

# بُحُرُ الْأَنْدلسِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصديروها ميسخدا لأزهر الشريف

تظهر غمرة كل شهر عربي

فهرس

المجلد الثاني

مطبعة المعاهد الدينية

١٩٣٢ — ١٩٣٣





## فهرس الموضوعات

### (أ)

صفحة	بسم	الموضوع
٥١٦	قلم الترجمة	الآلام ومكافحتها .....
٧١٨	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	اجتهاد ابن القاسم .....
٧٣٥	.....	استدراج صاحب القضية الأستاذ الأكبر شيخ
١٣٣	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الجامع الأزهر على اضطهاد المسلمين في روسيا
٣١٥	قلم الترجمة	اختيار العبد في أفعاله .....
٣٠٧	التحرير	الآخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب
٧٤٤	الترجمة	أو الاقتراب منها .....
٢٣٥	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	أسطورة تنصر المزمز لدين الله .....
		أسطورة داروين .....
		الأمانة في العلم .....

### (ب)

٢٩٠	فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالى	البعث بالجسم والروح .....
٧٣٦	قلم الترجمة	بلغاريا .....
٥٨	.....	بيان فضيلة لأستاذ الأكبر شيخ الجامع
		الأزهر بشأن حوادث طرابلس الغرب .....

### (ت)

١٠٤	فضيلة الأستاذ الشيخ حسن منصور	الترغيب في بذل المعونة بالمال والمثال .....
٣٧٦	» » » » »	الترغيب في طلب السلامة من الآفات النفسية والجسدية .....
٤٣٢	» » » » »	الترغيب في البكور في طلب الرزق وغيره .....

الرقم	الموضوع	الصفحة
٤٩٧	الترغيب في تأديب الأولاد ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٣٩٤	تعليق على مقال ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٣٩٥	التعليم الديني في مدارس الحكومة ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
١٥	تفسير جزء تبارك ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٢٤٤١٥٥٤٩٧	تفسير سورة الملك ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٤٤٣	تفسير قوله تعالى ( وإذ أخذ ربك ) الآية ...	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٦٩٠٠٦١٩	تفسير سورة النور ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٤٠٣	التفسير ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٦٦	تقدير قيمة الذكاء ... ..	٢٤٤١٥٥٤٩٧
٢٤٩٠١٦٣	تقرير اللجنة الازهرية في التعليق الذي هذى به صاحبه حول القرآن الكريم ... ..	٢٤٩٠١٦٣
٤٦٢	تقرير ... ..	٢٤٩٠١٦٣
٦٣١٠٢٨٢	تنزيه الله عن المكان والجهة ... ..	٢٤٩٠١٦٣
١١٤٠٢٩	التوسل وجهة الوهابيين ... ..	٢٤٩٠١٦٣
٣٤٨٠٢٠٦	التوسل والاستغاثة ... ..	٢٤٩٠١٦٣
٦٣٩	التوسل والاستغاثة ... ..	٢٤٩٠١٦٣

(ج)

٢٣٠	الجاليات الاسلامية في أطراف العالم النائية ...	٢٣٠
-----	--	-----

(ح)

٧٢٢٠٦٥٠	حقوق الزوجين ... ..	٧٢٢٠٦٥٠
١٣٥	حكم صلاة الجمعة وسر استقبال القبلة ... ..	١٣٥
٣١١	حكم ترجمة خطبة الجمعة ... ..	٣١١



صفحة	بسم	للموضوع
٧١٤	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	حكم الانتفاع بالمرهون من أرض وغيرها ...
٦٩	قلم التحرير	حوادث طرابلس الغرب ... ..
٢١٢	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	الحياة وأطوارها وإثبات الحياة البرزخية ...

## (خ)

٤٤٧	فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد الداذى	خطبة افتتاح كلية أصول الدين ... ..
-----	---------------------------------------	------------------------------------

## (د)

٢٢٩	قلم الترجمة	الدم كأداة للشم ... ..
٣٨	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	الدين سبيل السعادة فى الحياتين ... ..

## (ذ)

١٤٠	قلم الترجمة	الذهب فى العالم ... ..
-----	-------------	------------------------

## (ر)

٧٥١	قلم الترجمة	الراديوم ... ..
٤٨٨-٤٧٥-٣٥٨	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	الربا ... ..
٤٨٤	» يوسف الدجوى	رحم الله امراً عرف قدره ... ..
٥٦	» ابراهيم الجبالى	الرضاع ... ..
٧٠٩-٥٦٠	» » » »	روابط الأسرة ... ..

## (س)

٦٨٣	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	سماعة الاسلام فى معاملة غير المسلمين ... ..
٦١١-٥٣٩	» » » »	السنة — والبدعة ... ..

## ( ش )

الموضوع	يقسم	صفحة
الشرعة منبع السعادة ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٥٨

## ( ص )

صناعة الورق ... ..	صاحب العزة مدير المجلة	٤٥٧
--------------------	------------------------	-----

## ( ض )

ضغط الدم وعدد التفضات ... ..	قلم الترجمة	٦٥
ضلالة فصل الدين عن السياسة ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٣٢٣

## ( ط )

الطابع الأدبي للإسلام في أفريقيا الشرقية ... ..	قلم الترجمة	٦٦٨
طريقة حديثة لحفظ البيض من الفساد ... ..	» »	٣٩١
الطائل المعجيب ... ..	» »	٦٧٦
الطلاق ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٧٠٦

## ( ع )

العرش ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ حسن منصور	٥٨٢
العزة — والتواضع ... ..	» » رئيس التحرير	٤٦٧
علم الكهرباء ... ..	صاحب العزة مدير المجلة	٦٠٣-٥٣٢-٣٨٤

## ( ف )

القراءة على الأموات وكون الله في السماء ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٠
قرار الهيئة العلمية الدينية بالديار المصرية في شأن ( ... ..	... ..	٥٩٠
الخلافة سنة ١٣٤٢ ... ..	فضيلة الاستاذ رئيس التحرير	٥

## (ك)

الموضوع	بسم	صفحة
كتاب يهذى في تأويل القرآن المجيد .....	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	٧٥
كتابة القرآن وجمعه .....	الشيخ حسن منصور	٥٠٦
كلمات الوهابية وردّها .....	الشيخ يوسف الدجوى	٦٩٨

## (ل)

للعلم حدود لا يتعداها .....	قلم الترجمة	٥٩
ليلة النصف من شعبان .....	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	٥١٢

## (م)

المؤتمر الاسلامى والخلافة .....	قلم التحرير	٤٦٤
المدارة — والمداهنة .....	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	١٤٧
المستعمرون والمهاجرون الرحل .....	قلم الترجمة	٢٣٠
المسلمون في أوروبا الغربية .....	»	٤٥٢
المسلمون في أوروبا الشرقية .....	»	٥٩٥، ٥٢٦ / ٧٣٠ - ٦٦١
مقدمة .....	قلم التحرير	٣
المملكة الحيوانية وتعدد أنواعها .....	الترجمة	٤٦١
المياه وتنقيتها .....	»	٢٢٢

## (ن)

نداء صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع {	...	٧٢١
الازهر بازاء حوادث التبشير ... }	...	...
نقل معاني القرآن الى اللغات الاجنبية .....	فضيلة الأستاذ رئيس التحرير	١٢٢

## (هـ)

هل السموات هي الكواكب .....	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٥٧٦
-----------------------------	---------------------------------	-----

## (و)

وظة عالم جليل .....	قلم التحرير	٦٨٠
---------------------	-------------	-----

## فهرس الخطأ والصواب

صواب	خطأ	ص	س	صواب	خطأ	ص	س
الجزء الرابع				الجزء الاول			
ومن شخصاته	ومن شخصاته	٨	٢٥٩	يفضل	يفضل	٨	١٧
الجزء الخامس				هالك عن بيّنة	هالك عن بيّنة	١	١٩
				عقدة	عقدة	٧	١٩
عن التقيد	عن التقيد	١٨	٣٣٠	إن	إن	٨	١٩
الوهايين	الوهايين	١٥	٣٥٤	لست	لست	١٧	٣٠
يا لله	يا لله	١٣	٣٥٩	يضلل	يضلل	٢٠	٣٢
لم يسبقها اليه	لم يسبقها اليه	١٤	٣٥٩	قتل لذلك	قتل ذلك	١٠	٣٥
هذا الرأ الذي هو كال	هذا الرأ الذي هو كال	١٤	٣٦٥	الجزء الثاني			
بالتواجد	بالتواجد	١٥	٣٦٦	إنا أنزلنا	وأنزلنا	٢	٩٣
المقل	المقل	٧	٣٦٩	الجزء الثالث			
أو كانوا	إذ كانوا	٢١	٣٦٩	على المداراة	على المداراة	١٧	١٤٩
فصوب	فصوب	١	٣٧٠	ألفت كتاب	ألفت كتابا	١٦	١٥١
العليم القاهر فوق	العليم فوق	٢١	٣٧١	ونبلوكم	ونبلوكم	١٢	١٥٨
الجزء السادس				يراد بها	يراد به	٩	١٧٦
تتساقط	تتساقط	٨	٣٩٧	قال في صفحة (١)	قال في صفحة	١٩	١٨٤
جانب	جانب	١١	٤٢٣	نكروا	نكرو	١٥	١٨٨

فداء

صحة الادارة بمجدة نور الاسلام

الى قرائها الكرام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وقال جل شأنه : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى  
الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

ملاحظة

نرجو من حضرة القارئ حفظ هذا الاعلان  
أو إحراقه بعد تلاوته حتى لا يأتى بامتهان ما ورد فيه من  
كلام الله العزيز .

### أمرها الدخ السلم :

غير خاف أن هداية الحيارى وإرشاد الضالين وتعليم  
الجاهلين من خير البر الذي يحق أن يتعاون فيه المؤمنون ،  
ويتنافس فيه المتنافسون ، وينتظر عظيم الأجر فيه  
العاملون المخلصون ، لاسيما إذا كانت الحاجة ماسة إليه ،  
والدواعي متوافرة في شأنه .

ولقد ابتلى المسلمون في هذه الآونة بفشتين من الناس  
لا تزالان تحاولان مهاجمة الاسلام من كل جانب  
(يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمِّمٌ نُورِهِ  
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) إحداهما طائفة المبشرين أو المغوين  
المضللين ، والثانية طائفة من أبناء المسلمين درجوا في عرش  
الكافرين وتربوا في أحضانهم دون أن تعد لهم العدة للتوق  
من زعاتهم واتقاء شبهاتهم ، فصادفت ترهاتهم من نفوسهم  
صحفا خالية فارسمت فيها ، ورسخت أباطيلهم في قلوبهم  
حتى عميت عليهم السبل ، فأصبحوا عوناً لأعداء الدين  
يشوهون من محاسنه ما لم يفهموه ويظنون أنهم على  
شيء ، ولكنهم يعمهون .

ولقد اشرأبت أعناق المسلمين في مشاوق الأرض  
ومغارها الى الازهر الممور الذي هو مشرق نور الاسلام  
في عصرنا وفيما قبله من عصور كثيرة ، وأخذ الناس  
يتطلعون اليه وينتظرون أن يذب عن حى الدين حتى وفق  
الله خيرة رجاله فانهضوا لإحابة الداعي ، وأنشأ أولو الأمر  
فيه مجلة « نور الاسلام » تنشر من محاسن الدين ، وتقرر  
من قواعده ، وتشرح الحكم البالغة في تشريعه ، وترد كيد  
الكاذبين في نخورهم بما تكشف من أباطيلهم ، وتبين من  
تغويهمهم ولقد أذن الله بتوقيفه فكان ما يكتب فيها من  
خير ما أنتجه عصرنا هذا .

ولما كانت النفوس الغافلة محتاجة دائما الى التذكير ،  
والذكرى تنفع المؤمنين ، فإن المجلة توجه اليك هذا الخطاب  
تستحث منك الحمية الدينية والغيرة الاسلامية لتعمل  
جهدك على شد أزرها وتنبيه أصدقائك ومعارفك وكل  
من يهلك سعادته في الدنيا والآخرة على الاستفادة منها ،  
فلا سعادة إلا بالدين وتفهم معناه حق اليقين .

ولقد جعلت قيمة الاشتراك فيها زهيدة جدا حرصا  
 على تعميم الانتفاع بها فهي داخل القطار المصري والسودان  
 عشرون قرشا للطلبة وأئمة المساجد ومعلمي المدارس الأولية  
 وللمأذنين والعمال ؛ وأربعون قرشا لغيرهم وفي الخارج  
 ثلاثون قرشا للفتات المذكورة وخمسون قرشا لغيرهم ، إذ  
 ليس الغرض منها استدراك المال ، وإنما نرجو بها المثوبة  
 من الله والدخول في قوله صلى الله عليه وسلم : « لأن  
 يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من نهر النعم » .  
 نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل  
 كلمة الله هي العليا والله المستعان .  
 والسلام عليكم ورحمة الله

عبد المجدد



صواب	خطأ	ص	س	صواب	خطأ	ص	س
والتحرز منه	وما قرر منه	١٧	٦٢٦	قراءن	قراءن	١٨	٤٣٨
التخصيص عند التعميم بها		١٢	٦٢٨	بشراهما	بشراهما	٤	٤٣٩
الجزء العشر				أدائه	أدائه	١٠	٤٤٨
من المشركين	من المشركين	١٧	٦٨٥	القضائية	القضائية	١٣	٤٥٥
بما هن فيه	بما هن فيه	١٤	٦٩٤	الجزء التاسع			
فتذكر	فتذكر	٢	٧٠٩	ويستأذنه الذين	يا أيها الذين آمنوا		
من طرف	من طرف	٤	٧١٧	لم يفلتوا الحلم	ليستأذنكم الذين		
والله يقول	وقه يقول	١٠	٧٢٢	ملكنا بآلائكم والذين	لم يفلتوا الحلم		
						٥	٦١٩

## في القسم الانكليزي

صواب	خطأ	ص	س	صواب	خطأ	ص	س
الجزء الرابع				الجزء الاول			
فودبك لتسألهم فودبك لتسألهم		٢٤	٢٨	كم أهلكنا قبلهم	كم أهلكناهم	١٧	٦
الجزء السابع				الجزء الثالث			
لن يضروكم	لن يضروكم	٦	٥٢	وإنه هو رب الشرى وإنه هو رب الشرى		١٧	١٧
الجزء التاسع				وسنبرهم	وسنبرهم	١	٢١
يمقلون	يمقلون	٥	٦٢	وقولوا للناس قولا	وقولوا للناس قولا	٢٦	٢٣
في الصدور	في الصدور	٦	٦٢				

# ERRATA

---

Page	1	Line	7	tribs	should read	tribes
“	2	“	13	is	“	in
“	2	“	23	with hold	“	withhold
“	2	“	26	on behalf	“	on behalf of
“	11	“	3	comprehensive	“	universal
“	11	“	14	from	“	of
“	13	“	1	from	“	against
“	13	“	3	for	“	of
“	13	“	16	from	“	of
“	13	“	35	science	“	Knowledge
“	13	“	36	from	“	of
“	13	“	41	from	“	of
“	19	“	2	Not only it is	“	Not only is it
“	20	“	11	fulfilment	“	fulfilment
“	23	“	14	and	“	and
“	23	“	14	laws	“	law
“	24	“	9	succeed	“	inherit
“	24	“	33	heavens	“	heaven
“	39	“	17	abstinence from	“	taking of
“	44	“	14	inadvertently	“	inadvertently
“	45	“	26	unbelievers	“	unbelievers
“	45	“	27	Heaven	“	Heavens
“	46	“	29	on	“	into
“	47	“	15	imposter	“	impostor
“	47	“	27	Christian	“	Christians
“	48	“	23	imposter	“	impostor
“	60	“	8	aught	“	none
“	61	“	4	sealed	“	sealed
“	62	“	26	imposter	“	impostor
“	62	“	30	impostors	“	impostors
“	63	“	11	imposter	“	impostor
“	64	“	22	imposter	“	impostor
“	64	“	25	imposter	“	impostor
“	65	“	7	has	“	had
“	65	“	7	has	“	had
“	67	“	5	appeares	“	appeared
“	71	“	31	afflicteth	“	afflicteth
“	72	“	5	has	“	had



مطبعة المصنف الأدبية ١٠٠٠-٣-١٩٣٧







## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أبد الحنيفة السمحة بالآيات البينات ، ورفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي لقي في سبيل الدعوة الى الحق أذى كثيراً فصبر ، واعتصم بالتوكل على الواحد القهار فحُذِل كل جبار يناوئه وخاب كل منافق يمكر به ، حتى ظهر وانتصر ، وعلى آله المستقيمين على الطريقة بأمتن عزم وأظهر جنان ، وصحبه الذين جاهدوا في الله بأبلغ حجة وأبرع بيان .

أما بعد فقد قضت هذه المجلة سنتها الأولى مبينة لحقائق دينية ، مقررة لأحكام شرعية ، دافعة لشبه إلحادية ، باحثة في مسائل لغوية عربية ، بأسطة القول في سنن كونية وأسرار اجتماعية ، مازجة جدها بطرف وملح أدبية ، معربة من بمض المؤلفات الأجنبية مقالات في مباحث علمية ومخترعات عصرية ؛ قضت سنتها سائرة بحمد الله على خطها الحكيمة ، لا تلتفت الى من يهاجمها بقلب غير سليم ، ولا تجاري من يتوجه اليها بخذاب غير كريم ؛ أما من ينقدونها في ألفاظ مهذبة ، وأسلوب ظاهر في القصد الى استكشاف الحق ، فأولئك الذين عملاً عينها باحترامهم ، وترتاح لأن تأخذ بأطراف محاوراتهم ، حتى يستبين لها الحق في جانبهم فتصلح خطأها ، أو تستيقن أنها الحق فتثبت على وجهة نظرها .

وقد لقيت المجلة في العالم الاسلامي إقبالا شدا عزمها ، وقوى أملها في أن نجعل المسلمين على بصيرة من أمور دينهم ، وتزيح أو تخفف شر الفتن التي تتار في ديارهم ، ونغشى أبصار الغافلين من أخطائهم وعامتهم .

ونظرت إدارة المجلة فرأت من واجبها أن تبلغ دعوة الاسلام من لا يفقهون  
للغة العربية ، فأزمنت أن تضيف الى ما يحرر باللسان العربي مقالات في حقائق الدين  
الاسلامى ومحاسنه تنشر باللغات الثلاث : الانكليزية والالمانية والفرنسية ، وأخذ  
قلم الترجمة يعمل لهذا الغرض ، وسيرى القراء عمله في وقت قريب إن شاء الله .

وخرجوا ممن يقدرورالغاية حتى تملل لها المجلة أن يبذلوا جانباً من ماعينهم في شد  
أزوها ، وتمييد الوسائل لزيادة انتشارها ، وما تسمع به قرائح العلماء أو الأدباء من  
مقالات يحررونها على الطريقة الملائمة لخطه المجلة باللسان العربى أو بأحدى اللغات الثلاث  
هنا تتفقاها بقبول حسن ، وننشرها هنا كرين هم كتابها على ما أسدوه الى قراء هذه المجلة  
من علم نافع ( وَلَئِنْ جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْعَالَمِينَ ) .





## القضاء العادل في الإسلام

أحاط الإسلام بضروب السعادة هداية وتعلية ، فدل على كل ضرب منها دلالة تقوم بها الحجة ، وتقطع عن الناس عذر الجمل به ، وله في هدايته درجات ، فقد يرشد إلى الشيء دون أن يلجج به ، أو يلحف في الترغيب فيه ، حيث يكون سهل المأخذ على النفس ، أو يكون في طبيعة البشر ما يسوق إليه ، كإحسان الوالد لولده ، والسعي في الأرض لا ابتغاء الرزق .

وقد يكون في الأمر ثقل على النفس وصرف لها عن بعض شهواتها ، فلا تكاد تقبل عليه إلا بعزم صميم ، ونظر في العواقب بعيد ، كإقامة الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وهذا ما يأمر به المرة بعد الأخرى ، ويسلك في الدعوة إليه أساليب شتى ، حتى يأخذ إليه النفوس على تفاوت مهمها واختلاف رغائنها . وكذلك ترى مسلكه في الدعوة إلى العدل في القضاء .

يتقدم الخصمان إلى القاضي وكثيرا ما يجد في نفسه ميلا — شديدا أو ضعيفا — إلى أحدهما ، يميل إليه لنحو قرابة أو صداقة أو وجاهة أو غنى ، أو يميل إليه لأنه فقير أو ضعيف أو خصم لمن يناوئه ، ولما استطاع القاضي في هذه الأحوال أن يضع الخصمين من نفسه في درجة واحدة إلى أن يفصل في القضية بما أراه الله من الحق

تلك العواطف التي تثور في القاضي حال النظر في القضية ، هي في حكم المعفو عنه إلا أن يكون لها في رجحات أحد الخصمين على الآخر أثر غير ما تقتضيه البيعة وأصول الحكم .

شأن تلك المواطن أن تجاذب القاضي وتناجيه أن ينحو بالحكم نحو منفعة المعطوف عليه ، وعلى قدر العطف تكون هذه المجازاة والمنجاة ، ومتى قويتا في نفس لا تخاف مقام رهما ، ولم تكن على بصيرة مما في لباس العدل من زينة ونقار ، نبذت الحق وراء ظهرها ، وانحدرت مع عاطفتها الى هاوية الظلم ، وما هاوية الظلم إلا حفرة من النار .

هذه المواطن التي تجاذب القاضي وتناجيه أن يرضى خصما بعينه ، بجمل العدل في القضاء من قبيل ما يثقل على النفس ويجمع عنه الطبع ، فكان من حكمة الدعوة الاسلامية أن تدعى به عناية ضافية ، وتدخل الى الترغيب فيه من أبواب متعددة عنيت الشريعة بالعدل في القضاء عبايتها بكل ما هو دعامه لسعادة الحياة ، فأنت فيه بالعظات البالغات : تبشر من أقامه بملو المنزلة وحسن العاقبة ، وتذذر من انحرف عنه بسوء المنقلب وعذاب الهون .

فن الآيات النبهة لما في العدل من فضل وكرامة قوله تعالى : ( وَإِنْ حَكَمْتُمْ فَاَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) . فقد أمر بالعدل ، ونبه على أن خيرا عظيما ينال الحاكم بالقسط : هو محبة الله له ، وما بعد محبة الله تعالى إلا الحياة الطيبة في الدنيا والديشة الراضية في الآخرة .

ومن الأحاديث الدالة على ما يورثه العدل من شرف المنزلة عند الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَازِلٍ مِنْ نُورٍ عَنْ بَيْنِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّنَا يَدَيْهِ بَيْنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا<sup>(١)</sup> » . وهذا كناية عن شدة فرسهم من رب العالمين وموزم رضوانه ، وفي ذكر « الرحمن » تربية للرجاء والثقة بأن الحاكم العادل يجد من التميم ما تشبهه نفسه وتلد عنه ، شأن من يكون قريبا للمنزلة من ذي رحمة وسعت كل شيء .

وإن شئت مثلاً من آيات الوعيد فانظر في قوله تعالى : ( يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) ، نجد الآية تنادي بأن الفصل في القضايا جرياً مع الأهواء ضلال عن سبيل الله ، والضلال عن سبيل الله مُلق في شديد من العذاب ، ومن ذا الذي يستعف بمذابٍ وصفه الكبير المتعال بالشدة ، ويشتريه بمتاع من هذه الحياة إلا من سفه نفسه ، ولم يتغذ الإيمان إلى سويداء قلبه ؟

فلهذه الآية أثر بليغ في النفوس المطمئنة بالإيمان ؛ كان أحمد بن سهل جاراً لقاضى مصر بكار بن قتيبة ، حدث أنه مر على بيت بكار في أول الليل فسمعه يقرأ هذه الآية قال : ثم قمت في السحر فسمعتة يقرأها ويردها ، فلا عجب أن يكون بكار هذا من أعدل القضاة حكماً ، وأشرفهم أمماً أولى الأمر موقفاً .

ومن الأحاديث الواردة في الوعيد على الجور في القضاء قوله صلى الله عليه وسلم : « من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين »<sup>(١)</sup> في هذا الحديث تمثيل القاضى إذ يلاق جزاءه في الآخرة ، بأشد الناس عذاباً في هذه الحياة ، وهو المذبح بغير سكين ، وهذا حال من يكون حظه من علم القضاء مخساً ، أو يكون خاق العفاف في نفسه واهياً

ويصح حمل الحديث على معنى الإشارة الى صعوبة القضاء ، حتى كأن القاضى من أجل ما يلاقيه في تَمَرُّف الحق وتنفيذه من مسكاره ومجاهدة للأهواء ، مذبح بغير سكين ؛ وهو بعد هذا مشعر بسمو منزلة القضاء ، إذ كان القاضى العادل يضاهى القَتِيل في سبيل الله بما انقطع عنه من شهوات وقساها من آلام ، يبتنى أجر الله ، والله عنده أجر عظيم .

ومما جمع بين الوعد والوعيد قوله صلى الله عليه وسلم : (القضاء ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة : رجل عرف الحق ففضى به في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار<sup>(١)</sup>).

وصف هذا الحديث عاقبة من يقضى بالحق على بينة منه ، وهي المصير الى الجنة ، وأذن بعاقبة من يقضى على جهل أو جور ، وهي المصير الى النار . ولا يتناول هذا الوعيد العالم بأصول الشريعة بجهل رأيه فلا يصيب الحق ، ويقضى بما رأى ؛ قرأ الحسن البصري قوله تعالى : ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) . وقال : لولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاء هلكوا ، فانه أثني على هذا بعلمه ، وعذر هذا باجتهاده .

وصف الاسلام ما في العدل من فوز ، وأعلن بما في الحيف من شقاء ، وكان قضاؤه صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لاصيانة الحقوق والتسوية بين الخصوم ، وبكفى شاهدا على هذا أنه صلى الله عليه وسلم أراد إقامة الحد على امرأة مخزومية سرفت فغاطب فريش أسامة ليحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسقاط الحد عنها فقال صلوات الله عليه : « أنشف في حد من حدود الله » : ثم قام فغطب قال : « يأيتها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق للشريف تركوه ، وإذا سرق للضعيف فإقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

رسم عليه الصلاة والسلام طريق العدل في القضاء قيمة غير ذات عوج ، وزادها بسيرة العملية وضوحا واستنارة ، فاستبانة لأصحابه في أجلى مظهر ، فاقتدوا بهديها الحكيم ، وأردوا الناس القضاء الذي يزن بالتقسط المستقيم ؛ انظر الى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته الى أبي موسى الأشعري : « آس<sup>(٢)</sup> بين الناس في مجلسك

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم . (٢) آس : سر بينهم واحمل كل واحد أسوة خصمه .

وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يئس ضعيف من عدلك». كان للإسلام وسيرة الذين أوتوا العلم من رجاله أثر في إصلاح القضاء كبير؛ ولا تشرق المحاكم بنور العدل إلا أن يمسك زمامها رشيد العقل، راسخ الإيمان بيوم الفصل.

فتقوى الله تحمل القاضى على تحقيق النظر في كل واقعة حتى يتعرف الحق، ولا يأخذ بأول ما يلوح له من الفهم وإن تيقن أن قضاءه نافذ، وماله في الرؤساء من معقب؛ ومن أمراء الأندلس من كان يعزل القاضى متى رأى منه السرعة في فصل القضايا التي تستدعى بطبيعتها شيئاً من التروى، إذ يفهم من هذه السرعة عدم نحرجه من إثم الخطأ في الحكم.

وتقوى الله هي التي تقف القاضى في حدود العدل: لا يخرج عنها قيد أنملة في حال. قيل للقاضى إسماعيل بن إسحاق المالكي: ألا تؤلف كتاباً في أدب القضاء؟ فقال: «اعدل، ومد رجليك في مجلس القضاء، وهل للقاضى أدب غير الإسلام؛ وفي سيرة أبي عبد الله محمد بن عيسى أحد قضاة قرطبة أنه «الترم الصرامة في تنفيذ الحقوق، والحزامة في إقامة الحدود، والكشف عن البيان في السر، والصدع بالحق في الجهر ولم يهب ذا حرمة، ولا داهن ذا مرتبة، ولا أغضى لأحد من أرباب السلاطان وأهله، حتى تحاموا حدة جانبه، فلم يجسر أحد منهم عليه» ونقرأ في وصف إبراهيم بن أبي بكر الاجنادى أحد قضاة مصر أنه «كان لا يقبل رسالة ولا شفاعة، بل يصدع بالحق ولا يولى إلا مستحقاً».

وامتحن عبد الله بن طالب — أحد قضاة القيروان — فكان يقول في سجوده وهو في السجن: «اللهم إنك تعلم أنى ما حكمت بجور، ولا آثرت عليك أحداً من خلقك ولا خفت فيك لومة لائم» ووصف المؤرخون محمد بن عبد الله بن يحيى — أحد قضاة قرطبة — بأنه «لم يداهن ذا قدرة، ولا أغضى لأحد من أصحاب السلطان، ولم يطمع

شريف في حيفه ، ولم يئس وضع من عدله ، ولم يكن الضعفاء قط أقوى قلوبا ولا السنة منهم في أيامه .

ومن القضاة العادلين من أ طرح بين يديه قضية يدلى فيها أحد الخصمين بشهادة الخليفة نفسه فيرد الشهادة في غير مبالاة ؛ شهد السلطان بإيزيد عند شمس الدين محمد ابن حمزة الفناري قاضي الأستانة في خصومة رفعت اليه فرد القاضي الشهادة ، ولما سأله السلطان عن وجه ردها قال له : إنك تارك للجماعة ، فبنى السلطان أمام قصره جامعا وعين لنفسه فيه موصفا ، ولم يترك الجماعة بعد ذلك .

ورفعت قضية الى محمد بن بشير قاضي قرطبة أحد الخصمين فيها سعيد الخليل عم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وأقام سعيد بينة أحد شهودها الخليفة نفسه ، ولم قدم كتب شهادة الخليفة الى القاضي نظر فيه ثم قل لو كيل سعيد : هذه شهادة لا تعمل عندي فبني بشاهد عادل ، فضى سعيد الى الخليفة ، وجعل يغريه على عزل القاضي ، فقال الخليفة : القاضي رجل صالح لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولست والله أعارضه فيما احتاط به لنفسه ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله ؛ وأما سئل بن بشير عن رد شهادة الخليفة قال : إنه لا بد من الإعتذار في الشهادة ، ومن الذي يجترئ على القدح في شهادة الأمير اذا قبلت ؛ ولو لم أعذر لبخست المشهود عليه حقه .

فالا سلام بلقن القاضي أنه مستعمل ليس لأحد عليه من سبيل ؛ وقد قص علينا التاريخ أن كثيرا من القضاة العادلين كانوا لا يتباطئون أن يحكموا على الرئيس الذي أجلسهم على منصة القضاء حكمهم على أقصر الناس بدا وأدنام منزلة ؛ قال ابن عبد السلام يصف القضاة العادلين : « وربما كان بعضهم يحكم على من ولاه ولا يقبله إن شهد عنده » وقال المقرئ يصف القضاء في الأندلس : « أما خطة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي » وحكم ابن بشير قاضي قرطبة على الخليفة عبد الرحمن الناصر في قضية

رفعها عليه أحد المستضعفين من الرعية، وأبلغ الخليفة الحكم مقرونا بالتمديد بالاستقالة من القضاء اذا لم يسلم الحكم ويبادر الى تنفيذه .

ومن القضاة العادلين من يرى بالمنصب في وجه الدولة اذا أخذ بعض رجالها يتدخل فيما يرفع اليه من خصومات؛ فعل هذا ابراهيم بن إسحاق قاضي مصر حين تخاصم اليه رحلان وأمر بكتابة الحكم على أحدهما، فتشفع المحكوم عليه الى الأمير فأرسل اليه بأمره بالتوقف عن الحكم الى أن يصطلحا، فترك القضاء وأقام في منزله فأرسل اليه الأمير يسأله الرجوع، فقال: لا أعود لي ذلك أبدا، ليس في الحكم شفاعة.

وفعل هذا برهان الدين بن الخطيب بن جماعة أحد قضاة مصر؛ عارضه محب الدين فاطر الجيش في قضية، فقال: لا أرضى أن أكون تحت الحجر، وصرف أتباعه، وصرح بمزل نفسه وأغلق بابه، فبلغ أمره الملك الأشرف فارتعج وما زال يسترضيه حتى قبل، واشترط أشياء تلقاها منه بالاجابة .

والرئيس الناصح يكبر الناضي الذي يأئس منه استقامة ويعمل لإرضائه حتى يصرفه عن الاستقالة؛ أرسل أبو عبيد قاضي مصر أبا بكر بن الحداد الى بغداد ليستعفى له عن القضاء، فأبى الوزير علي بن عيسى بن الجرح أن يعفيه وقال: ما أظنه إلا أنه كره مراقبة هلال بن بدر لأنه شاب غر لا يعرف قدره، فأنا أصرف هلالا وأولى فلانا وهو شيخ عاقل يعرف قدر القاضي .

والرئيس العادل يُعجّب بالعام الذي دلته التجربة على استقامته عند الحكم وتجرده من كل داعية غير داعية ظهور الحق، ويدعوه هذا الإعجاب الى إقامة قاضيا بين الناس؛ أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرسا من رجل على رسوم، فحمل عليه فعطب، فخاصمه الرجل، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلا، فقال الرجل: إني أرضى بشرح العراق .

فقال شريح : أخذته صحيحاً سليماً ، فأنت ضامن له حتى ترده صحيحاً سليماً ، قال الشعبي - وهو راوي القصة - فكانه أعجبه فبعته قاضياً .

ولصعوبة القضاء من ناحية التثبت من الحق أولاً ، والقدرة على تنفيذه ثانياً ، أني كثير من العلماء الأتقياء أن يقبلوا ولايته ، ورفضوها بتصميم ، يخشون أن يترضهم في التنفيذ ما لا طاقة لهم بدفعه ، أو يخشون الزلل عند النظر في بعض النوازل وتعرف أحكامها ، فإن إدراج الوقائع الجزئية تحت الأصول الكلية عسير المدخل لكثرة ما يحوم حوله من الاشتباه ؛ فكثير من الجزئيات تحتوى أوصافاً مختلفة ، وكل وصف ينزع الى أصل ، وقد يكون في الأصل الذي هو أمس بالواقعة خفاء لا ينكشف إلا أن يردد القاضي الأملى نظره ، ويجهد في استكشافه رويته . عرض هارون الرشيد على المغيرة ابن عبد الرحمن بن الحارث قضاء المدينة المنورة بجائزة قدرها أربعة آلاف ديناراً فأبى ، وقال : لأن يخنفني السلطان أحب الى من القضاء .

ومن العلماء من يأبى قبولها ويكون الأمير ممن يقدر قدره ويراها أقدر أهل العلم على القيام بها ، فيهدده بالمقاب أو يسومه المذاب ليكرهه على قبولها ، ومنهم من يقبلها بعد التهديد البالغ ، مثل عيسى بن مسكين أحد الفقهاء بالقيروان ، عرف الأمير ابراهيم بن أحمد بن الاغلب من زهده في المناصب أنه يأبى ولاية القضاء ، فأحضره وقال له : ما تقول في رجل جمع خلال الخير أردت أن أوليه القضاء وألم به شعث هذه الأمة فامتنع ؟ قال له عيسى بن مسكين : يلزمه أن يلى ، قال . تمتنع ، قال : تجبره على ذلك يجلس ، قال : قم فأنت هو ، قال : ما أنا بالنبي وصفت ، وتمنع حتى أخذوا بمجامع ثيابه وقرّبوا السيف من نحري ، فتقدم لها بعد أمر خطير .

ولارتباط سعادة الأمة باستقامة القضاء جاز للرئيس الأعلى متى رأى في أهل العلم من هو أدري بمسالكه ، وأقدر على القيام بأعبائه أن يكرهه على ولايته بالوسائل



الكافية، قيل للامام مالك : هل يجبر الرجل على ولاية القضاء ؟ قال : لا ، إلا أن لا يوجد منه عوض ، فيجبر عليه ، قيل له : أيجبر بالفرب والسجن ؟ قال : نعم . وطلب ابن الأغلب أمير القيروان لامام سحنون لولاية القضاء فامتنع ، وبقى نحو سنة يطلبه لها وهو يمتنع ، حتى قال له حالفاً : لئن لم تتقدم لها لأقدم من على الناس رجلاً من غير أهل السنة : فاضطره هذا الخلف الى قبولها .

ومن العلماء من يُطلب للقضاء فلا يجيب إلا على شرط يصعب على رجال الدولة قبوله ولا يسعهم إلا أن يتركوه ، طلبوا أبا محمد بن أبي زيد امضاء القيروان وقطعوا دون قبوله كل عذر ، فشرط عليهم أن يحملوا امن بين يديه من الأعوان ما يقوم بكفائتهم من بيت المال بحجة أن من واجب الساطن أن يوصل لكل ذي حق حقه ، وليس على صاحب الحق أن يعطى من حقه شيئاً<sup>(١)</sup> ، فاستكثروا ما يتفق في هذا السبيل ، وتركوه .

« إن شئت مثلاً يريك الاعتزاز بالعم والزهد في المناصب إلا أن يتيقن الدير بها في استقامة ، فإليك قصة زياد بن عبد الرحمن : دعاه هشام عند ما تولى الخلافة بالأندلس الى القضاء فأبى ، وبعث اليه الوزراء فم يتخلص منهم حتى قال لهم : على المشى إلى مكة إن وليتموني القضاء وجاء أحد يشتكى بكم ؛ لأخذن ما بأيديكم وأدفعه اليه وأكلفكم البيئة ، لما أعرفه من ظلمكم ، فمرفوا أنه سيفعل ما يقول ، فتركوه .

وعناية الاسلام بالقضاء رفعت إلى درجة أفضل الطاعات ، فمن سار فيه على بينة وهدى كانت الأوقات التي يشغلها بانتظر في النوازل وإعداد الوسائل لساعة الفصل ، أوقاتاً معمورة بالعمل الصالح كافلة لصاحبها الكرامة في الدنيا والفوز في الآخرة ، ولهذا ترى بعض العلماء يتقلدون القضاء ويأبون أن يأخذوا عليه رزقا ، ومن هؤلاء العلماء الزاهدين أبو القاسم حماس بن مروان ، ولأه زيادة الله بن الأغلب قضاء إفريقية

(١) نص على هذا ابن رشد في كتاب البيان وعمل القضاة حار على غير هذا وهو أن أجرة المون على طالب الحق .

فتولاه وأبى أن يأخذ عليه أجراً و « كانت أيامه أيام حق ظاهر ، وسنة فاشية ، وعادل قائم » وكان سحنون قاضي افريقية « لا يأخذ لنفسه رزقا ولا صلة من السلطان ، وإنما يأخذ لأعوانه وكتابه من جزية أهل الكتاب » .

ومن أبى أخذ الأجر على القضاء فليندر ثوابه كاملا عند الله ، أو لأنه كان في غنى ، وليس في أهل العلم من يكتفى كفايته ، فتكون ولايته من قبيل القيام بفرض عين . ومن تعين عليه القضاء وهو في بسطة من المال فهو الذي لا يميز له الفقهاء أن يأخذ على ولايته عوضا .

حقيقة إن الاسلام بنى القضاء على أسس محكمة ، ونظام صالحة ، وأخرج للناس قضاة سلكوا الى العدل في الحكم ، والحزم في التنفيذ ، مسلكا هو أقصى ما يتطوعه البشر ، وأرق ما يجده الباحث في القديم والجديد ، فاذا توقفت الدول الاسلامية لأن تربي رجالا مثل من وصفنا علما وجمالة أمكها أن تحتفظ بروح العدل الذي لا يجري إلا على يد من تنفقه في كتاب الله وسنة رسوله ، واهتدى بحكمتها الى أن الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار

محمد النضر صبي

# النفس

## تفسير جزء تبارك

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد طيب القلوب ودوائها ، وعافية  
لأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وضيائها ، وعلى آله وصحبه وسلم . (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً وَهَبِيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا).

## سورة الملك

### مقدمة

هذه السورة الكريمة مكية ، وهي السورة السابعة والستون . وُضعت بعد السورة  
السادسة والستين : سورة التحريم ، وضعا توقيفيا ، مع أنها نزلت بعد سورة الطور .  
وذلك أن ترتيب سُورِ القرآن الكريم وآياته في التلاوة قد أَمَرَ به النبيُّ صلوات  
الله وسلامه عليه ، وعلى هذا الترتيب كَتَبَ الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحفَ  
في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله عنه بإشرافه عليهم ؛ فكان ذلك المصحف  
الذي أُجْمِعَ عليه الصحابةُ علماءهم وقراءهم وسائر المسلمين الذين هم حفظة الدين القائمون  
بأمره وعلى رأسهم أمير المؤمنين الأجلُّ سيدنا عثمان رضي الله عنه . هو مرجع  
المسلمين وقُدوتهم في تلاوة كتاب الله تعالى وفي تعرُّف دينهم الذي أَكَمَلَهُ اللهُ لهم ،

وفي التفقه في أحكام الاسلام الذي رضىه لهم ديناً . ولهذا سُمِّيَ هذا المصحفُ بالمصحفِ العثماني وبالمصحفِ الإمام .

قلنا لك إن ترتيب السور والآيات في التلاوة والمصحف الإمام إنما كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن على حسب الترتيب في نزول السور والآيات . فأما الحكمة في ترتيب النزول فهي أن النزول كان بحسب الحوادث وعلى طبق ما يقتضيه تبليغ رسالة ونشر الدعوة الى الاسلام . ولهذا كان نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم نزولاً متتابعاً مقسماً على الأزمان موزعاً على الحوادث والأحوال ، كل له فسطحه الذي قضت به حكمة الله الحكيم . وقد جاء ذلك في قوله تعالى رداً على أعداء القرآن ، ودياناً لحكمته سبحانه في إزاله منعهما إذ يقول : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً . كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً . وَلَا يَأْنُؤُوكَ يَعْزَلَ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) .

لا جدال أن نزول القرآن العظيم على هذا السنن القويم : سنن التقسيم والتنجيم ، حجة من الله بالغة تشهد بإحاطة علم من أنزله وحقية إلهيته ، كما تشهد بصدق من أنزل عليه وكمال أمانته ، وأن هذا القرآن المنزل ( نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .

أولم يروا الذين كفروا أن إزال القرآن على هذا السنن الحكيم سنن التنجيم إن هو إلا رجوم يقذفها الله تعالى على شبهاتهم فتصرعها ، وعلى أباطيلهم فتدفعها ، في الوقت الذي يكون فيه الحق وأهله أشد حاجة إلى المدافعة عن الدين وصدة كيد الكائدين . وكذلك إن هو إلا هدى ونور يستبين به المؤمنون شرائع دينهم حينما ندعوم الحوادث والأحوال إلى استبانها . ولا خفاء أن إمداد الله تعالى للمؤمنين ونوكيّه دفع الشبهات

وكيد الكافرين لهم ، وأن زيادتهم إيماناً مع إيمانهم بما بُرِّزَ لهم من القرآن الكريم منحسراً نافعاً ، في الوقت الذي تدعو الحاجة فيه إلى ذلك ، بعد التشوُّف والاستشراف له ، كل ذلك دليل قاطع على تمام عبء من أنزله وقدرته وحكمته ، وأدعى إلى مزيد العناية بما يزل من القرآن والاهتمام بحفظه وتقديره وثباته في القلب والحرص على العمل به . كما أنه أيضاً أنكى وأفعل في نفوس المناوئين له ، وأدلى على خسر خطتهم ، وبُعِدَ ضلالهم ، وأصلح جهلهم ، وأسهم ( حُنْتُ مَا هُنَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ) .

هذه ميزة عظمى من الله عز وجل اختص بها رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وقرآنه وأمنته والله الحكمة البالغة . يفضُّ من شاء من عباده بما يشاء كما قال : ( وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ) ( تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ) .

لقد وصَّح لك أن نزول القرآن المجيد على هذه السنة المنجِّمة برهان ساطع على صدقه وحقيقته وأنه تنزيل من حكيم حميد ، وأن تلاوته وكتابته في المصحف الإمام بعد ذلك كانتا توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم مؤخَّس به من الله لحكيم الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً تبييناً لكل شيء .

وأما الحكمة <sup>(١)</sup> لإلهية البالغة في ذلك التوقيف فهي أن ترتيبه في التلاوة والكتابة على غير ترتيبه في النزول هو بيان وجه آخر لإعجازه ، وإبراز أسلوب أعلى آخرس السنة للكارن ، وتسميتي نظم أبدع أفرق بيلاغته وتوقيفه وإعْدق أسفله وإثمار أعلاه أشبقت المعندين في مضمار المصاحبة والبيلاغه ، وأغلسهم في اتحدى بنظم اسكلام ونثره . فكان ذلك دليلاً جديداً وحجة ناطقة على أن القرآن لعظيم كلام الله وأنه كتاب مبارك أنزله على عبده ليُدبِّرَ الناسَ بآياته ولينذكر أولو الألباب .

(١) لم أر من تعرض لهذه الحكمة . وأرجو أن تكون صواباً توفيق الله تعالى .

وبهذا قامت الحجة على أولئك الذين كانوا يقولون: ( إِنَّمَا يُمَلِّكُهُ بَشَرٌ ) (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .  
 قد يكون ما ذكرناه في الحكمة الثانية باعثاً للنفوس تتسائل فيها: لِمَ كان الترتيب التوقيفي ترتيب التلاوة والكتابة آيةً بينة على عبج القرآن الكريم وأنه قد رقي في البلاغة الى أسمى درجاتها حتى ولى أعدؤه عن تحدّيه مُدْبِرِينَ ؟ والجواب عن ذلك أن هذا الترتيب الإلهي التوقيفي قد جعل جميع الآيات والسور متصلاً بعضها ببعض اتصالاً مُحْكَمَ الْعُرَى لا انفصام له ، حتى صارت الآيات والسور آخذاً بعضها بِحُجَزَةٍ بعض أخذاً بِغُوتِ المعنى القرآني البليغ بانفكاكه ، وكانت كل آية أو سورة بمنزلة الجزء الذي لا فِوَامَ لِكَلِّهِ إلا به ، وكان القرآن العظيم جِئُهُ بعد التوقيف جملةً واحدةً آياتٍ يَنبَنِي في صدور الذين أوتوا العلمَ وفيها بين دَقَّتِي المصحف الإمام ، كلُّ سورة لا غنى لها عما قبلها ، ولا يستغنى عنها ما بعدها ، وكل آية لا يقع موقعها سواها ، حتى فيما بَرَأَى لأعداء القرآن أَن فيه كما زعموا تكراراً وأن بعضه يفتى عن بعض ، كما ادعوه في الآيات التي جاءت في القصص وأخبار لأمم الماضية ، وفي آيات سور الشعراء والرحمن والمرسلات ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) . ( قَبَائِلُ الْعَادِ رَبُّكُمْ تُكَذِّبَانِ ) . ( قِيلَ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ) . ولا ريب أن هذه هي لدرجة العليا للبلاغة التي أخرست البلغاء ، وعيَّت لها مَقَاوِلُ الفصحاء والخطباء من العرب أرباب اللّسن وملوك الكلام .

لا تك في مِرْيَةٍ من بطلان ما زعمه هؤلاء الكاذبون ، فإسهم ما زعموا إلا كما زعم أئمتهم الذين سبقوهم بعداوتهم للقرآن من قبل ، وهم الذين ذكركم الله تعالى في قوله : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَمَلِكٌ مُّذَبِّهُنَ ) . وهكذا ( صَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ) . وقد غاب

عهم أَنَّ الْعَلَبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَنَارِلَةِ وَمُقَارَعَةِ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ ( لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ) . وقد تحدّث الله الذي أنزل الكتاب ليأتوا مثله أو ينصر سور أو بسورة أو بحديث مثله إن كانوا صادقين فمعزوا وأفصى بهم العناد إلى رضام بذل العجز ومهانة المي وخيبة الهزيمة من ميدان التعدي .

ثم إليك مثالين من بلاغة هذا الترتيب الإلهي التوقيفي المثال الأول للآيات ، قول الله جل ذكره : ( وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ . إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ ) الآية بعد .

فأنت ترى أن تلك الآية الأولى والآيات الكثيرة التي قبلها قد اشتملت على عِدَّة أحكام ، بعضها في العبادات كالصوم والحج ، وبعضها في الأموال والمعاملات كالوصية والتهمة عن أكل الأموال بالباطل والإدلاء بها إلى الحكم ، وبعضها في الحدود وتأديب المعتدين كالقصاص في القتل والدفاع عن الدين بالإحسان ، وبعضها في الزواج وأحكام النساء وهو آخرها ، كما نرى أن الآية الثانية وما بعدها من آيات قد تضمنت الأمر بالمحافظة على الصلوات وبيان أحكامها في الخوف والأمن .

سيقول السفهاء من الناس : ما هذا الاختضاب وما هذا البون الشاسع بين السبق واللاحق ؟ وما الصلة التي يتسق بها نظم الآيات بعضها مع بعض ؟ وما المناسبة التي يمتزج لها موضوع آيات الصلاة بموضوعات الآيات التي قبلها ؟ فكيف يُمدُّ مثل هذا الأسلوب أعلى أساليب الكلام ؟ وأين تلك البلاغة التي هي إحدى معجزات القرآن ؟ .

نقول : هل عيم هؤلاء الخافدون على القرآن السبب الذي ختم على أفواه

إخوانهم المُبَغِضِينَ للقرآن من قبلهم وهم ملوك الفصاحة والبلاغة من العرب المُخْلِصِينَ الذين عاصروا نزول القرآن وسمعو نلادته على هذا الأسلوب والترتيل فيه يعميونه ولم يلمزوه ، هو أقل مما عابه به هؤلاء الناس ؛ مع أن أولئك العرب كانوا أذرى منهم بلفظهم العربية وأعز ناسرارها وأعرف بأساليبها وأخبر بوجود فصاحتها وبلاغتها ومحاسنها وأعظم وقورها وأكثر إحاطة بما يرينها وما يشعشعها ، وما يرقى بها إلى أعلى رتب الكلام وما ينحط بها إلى أسفل دركاته ، مع تأصل عداوتهم للإسلام ومناواتهم للقرآن ومناهضتهم لأهله .

قَسَمًا لقد عَمِيَ هؤلاء الناسُ هذا السببُ حقَّ العمد ، ( وَلَكِنْ لَّظُلُمِينَ بَيَّاتٍ لَهُمْ يُخْجَدُونَ ) . لقد عَمِيَوه كما علم أشياعهم العرب من قبل ، ولكن تفرقت بهم سبيل الجحود والغوي في القرآن المجيد ، فسلك كل فريق منهم سبيلا في الضلال غير سبيل الآخر .

فأما العرب فإن الحياء قد حال بينهم وبين رضى القرآن عما تؤاخذهم عليه ضمائرهم ويميهم عليه العقلاء العادلون ، فلم يجروا على أن يدعوا أنه ليس في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة وشرف الكلام كما جترأ هؤلاء الناس ، فسلك العرب ليلغو فيه سبيلا آخر طئوه جهلهم موصلًا لهم إلى ما يرجونه من الغب وإطعام نود القرآن بأفواههم ، فتارة قالوا إنه شعر ، وتارة قالوا إنه شعر ، وتارة قالوا إنه كهانة ، إلى غير ذلك ( والله يشهد إنهم لكاذبون ) .

افترؤا على القرآن المجيد هذه النعوت الباطلة ، يريدون أنه ليس منزلا من عند الله تعالى وأنه ليس من شأنه أن يكون ما تضمنه دينا وهدى للناس ؛ رعموا هـد وأرادوه ولم ينجلوا من أن بعضهم كذَّب بمصاحبتنا اجتمعوا ينشاورون بينهم فيما يُلغَوْنَ به في وصف القرآن ليصدوا الناس عن الإيمان به ، فكذبوا من قال إنه شعر ومن قال



إنه شعر ومن قال إنه كهانة ، ثم نقصوا على غير رأى قطعوا به ، وتفرقوا حيارى  
على غير قرار اتفقوا عليه ، كما قال عز سبطانه في شأنهم . ( وَلَسَاءَ ذَاتِ الْجُبْتِ إِسْكُمُ  
لَوْ قَوْلٍ مُخْتَصِفٍ . يُؤَفِّكُ عَنْهُ مِنَ الْفَيْحِ ) . ( وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ . قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ .  
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ . قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَزِيزِ ) .

وأما هؤلاء الناس فإنهم وزنوا أنفسهم بغير ميزانها ، وأحلّوها فوق رتبة العرب  
أهل العلم والبصيرة بمواطن الكلام وأسايبه ، ووجوه حسنه وقبحه ، وقبوله وردّه ، وعلوه  
ونزوله ، إلى غير ذلك مما كانوا إليه يتسابقون وفيه يتنافسون . لقد استكبروا في أنفسهم  
واجترأوا على أمزج القرآن لعظيم في بلاغته وبديع نظمه ، وهو مدم يجرى عليه العرب  
لدين عرفت من علمهم بلغتهم ما عرفت وشدة حرصهم على مغالبة القرآن ولغو فيه  
ورميه بما يشوه محاسنه في زعمهم ليصدوا الناس عن اتباعه والإيمان به

لو نظر هؤلاء منس في القرآن لحكيم نظر المتدبر العزيز لقصد اعرفوا قدره  
العظيم في متانة أسلوبه وحسن نظمه وعلوه في إبداع مساقفه وفصاحته وبلاغته ؛ ولكن  
سوء منهم القصد فلم يروا خلق حقا فيتبعوه ؛ بل زين لهم سوء قصدهم الباطل حقا  
فأذاعوا به ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْغُدُورِ )

لو صح منهم النظر وتعلمت القلوب من العمى ونزّه القصد عن إرادة سوء  
لعمرو سنة الله تعالى في قرآنه الكريم ، ولعرفوا أنه جلت حكمته يقرن في كتابه العزيز  
الشيء بما يقابله ، كالطاعة بالمعصية والثواب بالعقاب والإيمان بالكفر والتصديق  
بالتكذيب ، إلى غير ذلك من أنواع الصلاح والفساد ؛ وأنه كذلك يتبع الأمر  
والنهي وقصص الأوائل وفصائل الأخلاق والأعمال ورذائلها بما يترتب عنها من  
المصالح والمنافع والفسد وامصار دينا ودينا . وأنه كذلك يُردف لأحكام إلى يشرعها  
لعباده بيان الوسائل والأسباب الصحيحة التي يُيسر لهم الاتّمار بها وتسهل لهم طاعتها

وأدائها على أحسن الوجوه وأحكمها، وتصرف لهم أجمع الأدوية لمعالجة ما عسى أن يعترض طريق لا مثقال من أمراض الإهمال والتفريط وأوهام المتاعب والشاق.

على هذه السنة الإلهية التي هي غاية الكمال البلاغي الذي لم يمهده البشر من قبل القرآن المجيد كان الترتيب التوقيفي في قوله تعالى: (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ) الآيات.

تجلى لك لحكمة العليا في هذه السنة الإلهية القرآنية إذ رجعت إلى ما قدمناه لك وأنعمت النظر والتدبر فيما جاء في غرضه من التصريح تارة والتلويح أخرى. وصغوة ذلك ما علمته من أن قوله تعالى: (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) الآيات، قد جاء بعد آيات كثيرة اشتملت على جملة شرائع إصلاح العباد دينا ودنيا. ولما كانت النفوس الإنسانية عرضة لأن تصاب بعدة أدواء مختلفة، وموانع وطوائف متنوعة، كالنسيان والإهمال والتواكل والترخي، واستئثار الأحكام والهاون في أدائها على وجهها وتأخيرها عن أوقاتها المحددة لها والميل والسآمة من المداومة عليها، واليحل بيدل المال والجلاء والمعروف وإسعاف المضطرين وإحسان المعاملة مع الأجانب والأقارب والأصهار والأزواج وغير ذلك، لما كانت النفوس على ما ذكرنا عقيب الله الحكيم تلك الشرائع في الآيات السابقة بالأمر بالمحافظة على الصلوات على الوجه الذي بينه في الآيات بعد، تعليما للناس وإرشادا لهم إلى أن جميع ما قد يطرأ عليهم بإزاء تلك الشرائع من هذه الموانع والأدواء فإن الله تعالى قد أتم نعمته عليهم فجعل لهم من هذه العوائق خلاصا ونجاة، ومن تلك الأدوية سلامة وشفاء. تلك هي الصلاة التي إذا حافظوا عليها وحرصوا على إقامتها وأدائها كما أمروا في أوقات الأمن والخوف والرخاء والشدة والصحة والمرض والإقامة والسفر وسائر أحوالهم وشؤونهم فإنها تكون السياج الأقوى والحصن المنيع لهم يتقون به ما يخشون أن يلحق بهم من تلك الهنات. هذا نرد قليل مما تضمنه قول

لله العليم الخبير في بيان فضل الصلاة ومناقضها الجليلة في الدين والديار إذ يقول : (إِنَّ  
 الصَّلَاةَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى النَّفْسِ أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْفَاحِشِينَ وَالْمُنْكَرِ - وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)  
 ما أشبه هذا التوفيق الإلهي وذلك الترتيب القرآني (وللقرآن المثل الأعلى)  
 بما يصدره الملوك لعمال دولهم من الأوامر شق الأنهار وإقامة الجسور واستصلاح  
 الأرض للحرث والنسل وما إلى ذلك ، ثم يُقْفُون على ذلك في كتاب واحد فيأمرونهم  
 تزكية نفوسهم من الرذائل وتزيينها بالفضائل ، ويحجبون اليهم مصالح الأمور  
 ويُكْرَهُون اليهم سفاسفها ومما قرأها ، إلى غير ذلك مما يشبهه ويتصل به . فهل يتوهم  
 أحد أن عمال الدولة يخفى عليهم شيء مما أَرَادَهُ ملوكهم من هذه الوصايا التي قَفَّوْا بها على  
 ما أصدره اليهم من الأوامر الأولى ؟ لا يتوهم أحد ذلك ، بل إنهم جميعا يدركون  
 أن هذه الوصايا إما قصد ملوكهم بها عقاب أوامرهم الأولى أن يتصفوا بها ويعملوا  
 أعمالهم على مقتضاها ، لأنها الوسيلة الصحيحة إلى ما يبتغيون أن يقوموا بها ، ككفوفه  
 أحسن قيام .

المثال الثاني لسورتنا المؤمنين والنور : افتتح الله جل ذكره سورة المؤمنين  
 بذكر طائفة من الأوصاف التي من شأن المؤمنين أن يتصفوا بها ليكونوا من المفلحين  
 الفارين برضا المولى جل وعلا . ومن هذه الأوصاف فضيلة العفة والتطهر من رجس  
 فاحشة الرئي . ثم ختم السورة بذكر نعوتة الإلهية العظمى ، فيبين أنه تعالى حكيم في صنعه  
 لم يخلق الخلق عبثا ، بل إنما خلقهم لِيَتْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عملاً ثم إليه يرجعون ، وأنه  
 تعالى الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، وأنه سبحانه وحده القائم على كل  
 نفس بما كسبت ، يثيب المطيع بفضله ويعاقب العاصي بمدله ، وأنه هو الله الذي  
 تُرْجَى مغفرته ورحمته ، وأنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة ، وأنه جل وعلا  
 أرحم الراحمين .

وقد ذكر سبحانه في آيات فاتحة السورة وخاتمتها ما شاء أن يذكره من بيان بعض صفات الربوبية العظمى ، خلقه تعالى للإنسان وخلق له العلم العلوى والسفلى وما ذراه في خلقه من المعائب ودلائل الإلهية ، ثم عقب ذلك بقصص بعض الأمم الخالية الذين أشركوا به بعد هذه الدلائل وأنه أرسل إليهم رسلا يهدونهم إلى ربهم مبشرين ومنذرين ( فَمِنْهُمْ مَنْ ءَمَنَ وَفِيهِمْ مَنْ كَفَرَ ) ، فَوَقَّى لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْهُمْ جِزَاءً بِإِيمَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ . وكذلك ذكر رسالة بينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه قومه فكانوا معه في أمرها نصديقا وتكديبا كما كان مَنْ قَبْلَهُمْ مع رسلهم ، ( مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَكَثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ) ثم بين بعد ذلك عاقبة كل من الفريقين من ثواب والعقاب وأن كل نفس بما كسبت رهينة ( وَمَا لَهُمْ بِرُيُودِ ظُلُمَاتٍ لَّيْلِيَةٍ ) .

أما سورة النور ، فإن الله جل ثناؤه قد افتتحها بمقت تلك الرذيلة وهي فاحشة الزنى وبين ما فرضه على مرتكبها من العقاب المبين ، وأن تلك الفعلة الدنيئة محرمة على المؤمنين تحريما ، ونهى للمؤمنين أن يأخذوا رافة ما في دين الله تعالى بمن يقصدون أنفسهم برجسها ، بل يجب أن العدل والجزر والتأديب ونظهير انفس من لاذل والفواحش تملك على المؤمنين أنفسهم وتحول بينهم وبين الرقة والعطف على أولئك المفجحين ، فإن الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر يغضد الشفقة على المجترى على ربه المنتهك لحرماته المعتدى على الأعراض والأسباب الممزق لحجاب العفة والصيبة .

ثم ختم السورة بذكر نفوت الإلهية العليا فيبين أنه هو سبحانه مالك ملكوت السموات والأرض ، وأنه عليم بما يكون عليه الخلق من الأحوال والشؤون والأعمال ظاهرها وباطنها ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) ، وأنهم سيرجعون إليه فينبئهم بما عملوا في الدنيا من خير وشر فيثيب الأختيار ويعاقب لأشرار ( حَزَّاهُ وَفَقَّاهُ )

ثم بين أن علمه سبحانه أشمل وأعم من ذلك، فكما أحاط بما عليه العباد كذلك أحاط بكل شيء مما هو في الغيب والشهادة في الدنيا والآخرة .

ثم ذكر سبحانه بين بدء السورة ونهايتها جملة أحكام وآداب صالحة تتصل بذلك اتصالاً وثيقاً، كرتبي المحصنات بالفاحشة ورتبي الرجال أزواجهم بها مع عدم الشهادة بها وبين العقاب الديني والأخروي على ذلك الرمي، وكدخول البيوت بغير استئذان أصحابها، وكفّض الرجال والنساء الأبصار عن النظر المحرم وما يتبع ذلك من إبداء النساء زينتهن ومن إعلانهن بها، وكتزويج الأيتام والإماء وعدم إكراه الفتيات المملوكات على البغاء كما كان يفعله أهل الجاهلية، وكاستئذان الأطفال الذين بلغوا الحلم في دخول البيوت، وحكم التواعد من النساء ثيابهن غير متبرجات بزينة، وحكم الأكل من بيوت الآباء والأمهات والأقارب والأصدقاء أفراد واجتماعاً، والسلام على أهل البيوت حين دخولها بحية من عند الله مباركة طيبة .

ثم إنه تعالى ذكر في خلال ذلك كله ما اقتضته حكمته من بيان صفاته الإلهية الجليلة وآثار رحمته في الخلق وبديع صنعه في الأكوان عالياً وسافلاً، وما أدخره المؤمنين المتفلحين الذين لا تنهيم تحارة ولا يبيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما أعدّه لغيرهم من توفية حسابهم على قدر جناباتهم وظلمهم لأنفسهم .

ثم بعد أن بين ما يتعلق به سبحانه أردفه ببيان ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر أن المؤمنين حقاً إتمام الذين آمنوا بالله ورسوله وقرؤوه حق توقيده، وإذا كانوا في مجلسه الشريف للنظر والتدبر في شأن من شؤون الدين أو الدنيا يجب أن يجتمعوا للبحث والتأمل فيه فإنه لا يجوز أن ينصرف عنه أحدهم إلا بعد استئذانه وإذنه عليه الصلاة والسلام، فإن دعاه لهم إلى الإيمان والعمل بما جاء به واجتماعهم به في مجلسه ليس كما يدعو بعضهم بعضاً لأمر ما، فإنه صلى الله عليه وسلم لا يدعوهم إلا بدعاية الله ولا يأمرهم ولا

ينهاهم إلا بأمره ونهيه سبحانه فكان دعاؤه لهم فوق كل دعاء ومجلسه أجل من كل مجلس .  
ثم ختم سبحانه ما أراد إيانه للعباد بتعذيرهم مخالفته فيما أُرشد لهم اليه من هذه الأحكام  
والآداب ، وأن عاقبتهم إن خالفوا أن تصيبهم فتنة من فتن الدنيا وكثرة من كوارثها  
يُعصها الله المنتقم العدل لهم فيها ، أو يصيبهم معها أيضا عذاب أليم بدخره لهم في الآخرة  
( جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمَّا هِيَ ) . ( وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ) .

فأنت ترى ما بين فاتحتي كل من السورتين وحائتيهما من كمال الاتصال وتتمام  
التناسب ؛ كما ترى ذلك أيضا بين ما جاء في أثناء السورتين مما لا حاجة بنا إلى إعادته  
تصريحا ولا تلويحا . وعلى ذلك تكون حملة كل سورة من السورتين مرتبطة بجملة  
السورة الأخرى آخدةً بحجزتها كل الأخذ سائرة معها جنباً لجنب ، فإن تأخى  
المعاني فيهما ، وامتزاج المقاصد منهما ، وتلاقى الأغراض عند نهاية واحدة ، جميع ذلك  
يكاد يجعل السورتين سورة واحدة لا سورتين .

قلنا إن ما بين السورتين من وثاقة التناسب وماتة الاتصال وإحكام النظم يكاد  
يجعل السورتين سورة واحدة . حقاً ، فإن هذه حقيقة ما ثلث لا تخفى على البليغ البصير  
الحنيف . ثم نقول : إن خلاصة ما أسلفناه لك هو أن بين السورتين اتحاداً من جهة  
وافتراقاً من جهة أخرى . فأما اتحادهما فهو من جهة تأخى المعاني وامتزاج المقاصد في  
آخر ما قدمناه . وأما افتراقهما فهو من جهة أن بعض المعاني قد ذكر في السورتين معاً ،  
وبعضها قد انفردت به إحداها دون الأخرى ، وكذلك من جهة أن إحداها قد جاء  
فيها ذكر معنى من المعاني ، وفي الأخرى جاء ذكر مقابلة الذي يضاده ؛ والمكن  
في جميع هذه الأحوال ترى الأسلوب هو الأسلوب الذي انقطعت دونه قدر البشر ،  
وأن النظم هو النظم الذي خربت له جباه بلغاء العرب ساجدين .

إن الذين يتذكرون ما قدمناه لهم من أن النفوس الإنسانية عرضة لأن تُصاب  
بعدة أدواء مختلفة وعوائق وعوارض متنوعة ، كالنسيان والإهمال والتواكل والسآمة

الى آخر ما سبق ، هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وتبجلي لهم حكمة الله الحكيم في قرآنه العزيز ، من أنه سبحانه يذكر المعنى بأسلوب تقتضيه حكمته في وقت من الأوقات ، ثم يذكره مرة ثانية أو أكثر بنظم آخر أو نظمه الأول على طبق حكمته سبحانه في وقت آخر ، كما رى ذلك ظاهرا في معاني هاتين السورتين وفيما اشتمل عليه غيرهما من السور ، كقصص الرسل والنبیین وأخبار الأمم ولا يندار والتبشير وأحوال العيب وأمور الآخرة ، والوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، والوعظ والترغيب والترهيب ، وبيان لأحكام وفضائل الصفات والأعمال والأخلاق ، وصفات الله عز وجل وكلامه ، الى غير ذلك مما أنت به خبير .

ثم اعلم أن ذكر المعنى في القرآن المجيد مرة بعد أخرى هو ثنية وثني له . وذلك المعنى مثناة ومثنى أى محل للثنية والثنى بمعنى جعله ثانيا وثالثا قبله ، فالعدد الثاني مثلا هو ثان ومثناة ومثنى للواحد ، والعدد الثالث هو كذلك بالنسبة لثاني ، والعدد الرابع كذلك بالنسبة لثالث ، وهم جراً . وكذلك الآية أو السورة الثانية هي ثانية ومثناة ومثنى للأولى ، وهكذا . وهذا الاعتبار سمي القرآن كله مثنى<sup>(١)</sup> ، أى تعدد فيه المعاني مرة بعد أخرى بأساليب متعجزة مختلفة النظم لحكمة بالغة اقتضت ذلك . ومن تسمية القرآن كله مثنى قوله تعالى : ( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُثْنًى مثنًى ) وقول سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه .

مَنْ لِلْقَوَائِيْ بِعَدِّ حَسَانٍ وَإِنَّهُ وَمَنْ لِلْمَثْنَى بِعَدِّ زَيْدٍ نَّاسِ

وكذلك يسمى بعض القرآن مثنًى ، ومنه تسمية الفاتحة بذلك كما في قوله تعالى ( وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانُ الْعَظِيمُ<sup>(٢)</sup> ) . وقول الشاعر :

(١) جمع مثناة أو مثنى . أى كما سمي مثنى أيضا باعتدال آخر والآية صالحة لذلك . (٢) وهذا على

جميل من قول تعالى « من الثاني » لبيان لا التبيين .

الحمد لله الذي عادني وكل خير صالح أعطاني رب مناني وآي القرآن  
 فهل بعد هذا يسوغ لمدل بصير بلغة العرب ، خير بواقع الكلام ، عليم بدقائقه  
 وحكمه وإشاراته ، عارف بأساليبه وفنونه ووجوهه ، أن يهتم القرآن العظيم بالحشو  
 أو التكرار المريب أو أنه في حاجة إلى الحذف والاختصار والتبديل والتعديل ، إلى  
 غير ذلك مما رآه لكثير من شياطين الانس أوليؤم من شياطين الجن (يُوحى  
 بِمُضْمَرٍ إِلَى بَعْضِ زُخْرَفِ الْقَوْلِ غُرُورًا) ؟ (فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَرُورًا وَقَالُوا أُسَاطِرُ  
 الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) .

قد تُنْكِرُ الْإِنُّ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْقَمَّ طَلَمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ  
 على أن الله الذي أنزل القرآن قد أرشدنا إلى أن الناس يازاء القرآن العزيز كانوا  
 حزينين : حزب الله وحزب الشيطان ، وذلك قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى  
 وَشَفَافًا . وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى . أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ  
 مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ) .

وبعد فالتنازج والساد والتوفيق من الله عز وجل فيما نكتبه من تفسير هذا  
 الجزء التاسع والعشرين من كتابه العزيز ، حتى يتبين لهؤلاء الناس أنه الحق المنزل  
 من الله الحكيم الحميد ، ( هُدًى وَذِكْرٌ لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ ) ، ويعلم المخدوعون بهم  
 أن هؤلاء الناس للقرآن منكرون ، وعنه صادون صادفون ، وإذ ذاك تنقطع بهم  
 الأسباب ، ويترجع بعضهم إلى بعض القول ، ويكون للقرآن العظيم عليهم الحجة  
 البالغة . ( وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا . قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ) ما

منه منصور  
 وكيل دار العلوم سابقاً



## التوسل وجهده الوهابيين

كتبنا في العدد الثامن كلمة وجيزة في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده ،  
غلاة الوهابية ومن هذا حذوم من تكفير المسلمين وقتلنا لهم إن التكفير أمر عظيم  
لا ينبغي لمن يشفق على دينه أن يسارع إليه ، وذكرنا من الأدلة على جوازه ما يخضع له  
النصف ولا يعماري فيه إلا الجاهل المتعسف ، فجاءتنا رسائل من جهلة الوهابيين كلها  
سب وإفذاع وليس فيها غير ذلك ، ولا غرو فسلح السفهاء بذاة اللسان لا قوة البرهان .  
وإني أبادر فأقول : إن كل ما يجد القارىء في مقال هذا من كلمة لا ذعة فأنا لا نقصد  
بها إلا سفاههم وأراذلهم وحاشا أن نقصد منهم عاقلاً أو كاملاً فإن سبق القلب بغير ذلك  
فهو على غير قصد منا وإنما جرتنا إليه جهل الجاهلين وجود الجاهدين .

وجرم جرده سفهاء قسوم      فحل بغير جانيه البسلام

وقد حيل لأولئك السفهاء أنهم سينسفون الحق وأهله بسفاهتهم التي لا تزيدهم  
عندنا إلا صغاراً واحتقاراً ولستنا نقيم لها وزناً وإن تفننوا فيها ، وكفى كلامنا من إشارات  
لم يفهموها ورموز لم يدروا المراد منها وإن ظنوا أنهم مبررون فيما يكتبون .  
إن العصافير لما قام قائمها      توهمت أنها صارت شواهيها

ويمز على أن أقول إن مجلة أم القرى ( وإنا نحترمها كل الاحترام ) كان فيها مقال  
طويل الذيل من هذا القبيل ، وللحق والانصاف نقول إنه جاءنا رسالة من بعض  
المكيين تحت إمضاء ( ا . د ) سلك فيها أساليب مسلك الأدب ولم يقذع إقذع  
أولئك الزعانف ، وربما نشرناها وعلقنا عليها تحقيقاتنا لاحق وإبطالا للباطل . أما اليوم  
فنقول : ليعلم القارىء الكريم أن إسناد الفعل نارة يكون أسكاسيه كفعل فلان كذا

ونارة يكون خلفه كفعل الله كذا والكل حقيقة في اللسان العربي ؛ وقد جاء ذلك في القرآن الشريف ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) . ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ) . ومع هذا فقد قال . ( وَإِنَّكَ أَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) . وهو كثير معروف .

فإن منع أولئك الجاهل الاِسناد على وجه الاكتساب فهم مجانين ؛ وإن ادعوا أن الواقع في كلام الناس هو لا إسناد للخالق لا للكاسب فهي دعوى كاذبة لم يقع عليها برهان ، وقد استباحوا بهادماء المسلمين جهلا وضلالا . ومن منع الاِسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته واتقطع الكلام معه . فتلا . الفوثن من الله خلق وإيجاد ومن النبي تسبب وكسب . هذا على فرض أننا طلبنا الفوثن منه صلى الله عليه وسلم مع أننا لم نفعل ذلك ؛ ولو فعلناه لصح على طريق التسبب والاكتساب بطلب الدعاء منه عليه السلام ؛ وقد قالت أم اسماعيل عند ما سمعت الصوت ( أَعَثَّ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ ) فأُسندته إليه على سبيل الكسب ؛ فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين واستباحة دماهم وأموالهم بالتوسل ولا استفانة (حتى على اصطلاحهم الذي لا يوافقهم عليه والتزاع في معان لا في ألفاظ) ؟

وقد جاء في الحديث الصحيح « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه » وقد قال الله تعالى : ( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَتَى إِلَيْنَا السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) . فإذا كان هذا في رجل لم يكن منه إلا مجرد السلام الذي هو تحية المسلمين ، فكيف من يتجاسر على خيار الأمة المحمدية ويكفرهم بالتوسل بالأبياء والصالحين بشبه أوهي من بيت التكبوت ( أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) ؛ ومن المقرر أن اليقين لا يزول بالشك وأنه يؤول المسلم من وجه إلى سبعين وحها كما نص عليه النووي وغيره من العلماء .

ولست أدري هل يأخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها ؟ فإن كان التعويل عندهم على الظواهر كان قول القائل ( أثبت الربيع البقل ) وأرواني الماء وأشبعني الخبز شركا وكفرا ؛ وإن كانت العبارة بالمقاصد والتعويل على ما في القلوب التي تمتد أنه لا خالق إلا الله وأن لا سند لغيره إنما هو لكونه كاسبأله أو سببا فيه لا لكونه خالقا له لم يكن شيء من ذلك كله كفرا ولا شركا ؛ ولكن القوم متعبطون خصوصا في التفرقة بين الحى والليت على نحو ما يقولون ( كأن الحى يصحح أن يكون شريكا لله دون الميت ) أو كأن الأرواح تستمد قوتها وسطانتها من الأشباح لا العكس ؛ ولكنهم ليسوا أهل منطق ولا رهان ، ثم انضم إلى ذلك الصاف المذموم والكبرياء المفقودة فيما نخططهم ؟ وعلى أى قاعدة نحاورهم ؟ ولكننا نكتب لغيرهم عسى أن يهيه شر مسمومهم التي ينفثونها فيما يكتبون تبعا لأسلافهم مطبقين الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين ؛ مع أن الشاذ عن جماعة المسلمين أولى بالتكفير منهم وأقرب إلى الخطأ والضلال . وهل يرضون أن نقول لهم إنكم مخالفون لسلف الأمة وخلفها اتباعا لمن قبلكم ، ثم نطبق عليكم قوله تعالى ( وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا كُلٌّ يَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ) . ( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرَ هُدًى مِنَ اللَّهِ ) . ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجْسِدُ فِي اللَّهِ بَغْيِرَ عَيْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ بَأَى عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) . وعندنا من ذلك شيء كثير وهل لنا أن نأخذ بظاهر هذا الحديث وهو أصح مما تأخذون به فنقول إنكم كفرتم عند ما رميت المسلمين بالكفر ؟ أو نقول إنكم من أولئك الذين يحقر أحدنا صلاته يجنب صلاتهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ؟ أو نقول إنكم من أولئك الخوارج الذين قال فيهم عبد الله بن عمر - كما في صحيح البخاري - إنهم عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين ؟ أو نقول

كما قال ابن عمر أيضاً إنكم قتلتهم أهل الاسلام وتركتم أهل الأوثان ؟ أو نقول :  
( ولا يزيد إلا أوائك الفظاظ العلاط لجامدين الجاهلين ) : إنكم أعداء الله حيث  
أنبئتم له الجبهة وشبهتموه بخنقه ، وأعداء رسول الله حيث لم توقروه ولم تراعوا حرمة ،  
وأعداء أولياء الله حيث حقرتموهم كل التحقير ، وأعداء جميع المسلمين حيث استحلتم  
دماءهم وأموالهم حتى قتل أطفالهم من بنات وبين وذلك شيء لم تفعله مع أكفر  
الكفرة وأجبر الفجرة الى آخر فظائلكم وشنائكم .

فيأبها الناس اتقوا الله في المسلمين فنحن أحوح الى الوثام والاتحاد أمام العدو  
الذى أجمعنا جميعاً على كفره وعداوته . بل اتقوا الله في أنفسكم وعلّموا أن النفس  
أمره بالسوء وأن من اتبع هواه ضل عن سبيل الله ولو سلكننا مسلككم واتبعنا  
خطتكم وقابلنا السيئة السيئة ألقنا لمن يريد نصحتكم ونحن يأسون منكم : ( أَرَأَيْتَ  
مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا . ثُمَّ يَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ  
أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ شَرُّهُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ) . وعلى نهجكم كان يمكننا  
أن نسير ولكن ديننا أعز علينا من أعر ضنا التي نهشتموها ودمائنا التي استبعموها ؛  
ولعمركم الله لقد صيرتم الاسلام بذلك ناراً مضطربة على وجه الأرض لادين يسر  
وسلام كما جعده الله ، بل صار دين جهالة وجود مع أن نبيه يقول : « إن الله لا ينظر إلى  
صوركم وأفعالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » . وإما لنسلم أن الفرق الضالة  
كلها تستدل بالقرآن على نحلها وزعاتها ، فلا يفرنكم ما تستدلون به من الآيات في غير  
محال الاستدلال مطبقين إياها على المسلمين خطأ وجهلاً كما فعل أسلافكم فإن ذلك  
لا يفتني عنكم من الله شيء . والناجى من نجاه الله ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ  
يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ) . ولا أخرى لماذا قامت قيامتكم وقد قلنا إننا نعتقد  
في توسلنا أن الله هو الفاعل ولنا نطلب من غيره فعلاً ولا عملاً ولكن نسأله بمنزلة

الذي عنده وتلك المنزلة نائمة له في الدنيا والآخرة وبها تذهب اليه للشفاعاة يوم القيامة وذكرنا وجوها أخرى هي في غاية الوضوح لا داعي لإعادتها ؟ ؛ وسنفيض بعد فيما يفتح للنظار ويفهم المساكين . فما ذلك الشرك الذي شققتة ذكره ؟ وما ذلك التكفير الذي حنتم برى المسلمين به ؟ وسندكر من أدلة التوصل ما يلهيكم الحجر وبين لكم أن آية (وَلَا تَنْتَفِعُوا بِهِنَّ) ما ذكرناها إلالم قاله بعض أئمتكم وستسمعون بعد ، ولأن لا نستبعد منكم شيئاً مما يعقل وما لا يعقل ، ولأن التفرقة بين الأحياء والأموات في هذا المقام غير صحيحة ، فإن الطالب من الله والفعل لله لا من المستغاث به على أنه يستطيع أن ينفعنا بدعائه على ما نوضعه أنتم توصيحه . ولتقتصر على هذا ونورد لكم شيئاً عن الأرواح وعلمها بعد الموت مما قاله ابن القيم ، وشيئاً عن التوصل مما قاله الشوكاني وهما من أئمة الوهابية الذين يرددون كلامهم في كل موطن ، بل كل ما نراه لهم من هم أو ما يشبهه لهم فاعلموا أن نبيه وابن القيم والشوكاني يحكونه واحداً بمسد و حد كابيضاه أو كالحاكي للصوت (الفنو غراف) وليتهم كان لديهم من الأمانة (مالفنو غراف) أو ليتهم عرفوا كل ما قال أئمتهم فسلكوا طريقهم ولم يقولوا بغير قولهم . وهذا هو كلام ابن القيم في الأرواح بعد موتها .

### عمل الأرواح بعد الموت

قال ابن القيم في كتاب الروح . إن للروح الماطقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه في التصرف والقوة وكفاذ وطمة وسرعة الصمود إلى الله تعالى والتعلق به سبحانه وتعالى ما ليس للروح الهينة المحبوسة في ثلاثق البدن وعوائقه بسبب انفاسها في شهواتها . فإذا كان هذا في عالم الحياة الأرضية وهي محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت عنه وفارقت واجتمعت فيها فواها وكانت في أصل نشأتها روحاً عالية زكية كبيرة ذات همة عالية ؟ فهذه لما بعد مفارقة البدن شأناً آخر وفعل آخر . وقد توردت

الرؤى في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالا لا تقدر على مشها حال اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، والفيالق بالعدد القليل جداً ونحو ذلك؛ وقدرني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فاد يجيوشهم مغالبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقتلهم. هذا ما قاله ابن القيم. فانظر فيه مع ما يقول هؤلاء. ولا تنس أنه ليس لهم علم ولا شبه علم إلا من كلام ابن القيم وأصحابه؛ ولكن يظهر أنهم قاصرو الاطلاع كما أنهم قاصرو العقل.

### التوسل في رأى الشوكاني

وقال الشوكاني وهو ثاني أو ثالث ثلاثة عندهم: قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه ما لفظه: «والاستهانة بمعنى أن يطلب من لرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم؛ ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطئ ضال» أقول فليكن النزاع فيما هو اللائق به وما يقدر عليه وفيما لا يليق به ولا يقدر عليه؛ ولا شك أنه قادر على أن يدعو لنا وهو في البرزخ كما قال في الحديث الذي ستم صحته: «نعرض على أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم» ولترجع الى تنعيم كلام الشوكاني.

قال الشوكاني: «وأما التشفع بالخلق فلا خلاف بين المسلمين أنه يحوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا» هذا ما قاله؛ وإني أكرر لمت نظرك الى أنه يجب أن يكون البحث اذاً في تحق ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه؛ وقد علمت أنه قادر على أن يتفعلنا وهو في البرزخ بدعائه كما كان في الدنيا؛ فيمكن محل النزاع هو كونه قادراً أو غير قادر؛ على أنه لا وجه للشرك على كل حال. ثم قال الشوكاني. وفي سنن أبي داود أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك

على الله . فقال : « شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه » فأقره على قوله نستشفع بك على الله وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك إلى أن قال .

وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث فيه . ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه وترمذي في صحيحه وابن ماجه وغيرهم - أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يرسل الله إني أصبت في بصرى فادع الله لي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « توفناً وصل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني أستشفع بك في رد بصرى اللهم شفع الي في » وقال « فإن كان لك حاجة فقل ذلك » فرد الله نصره . وإني ألفت نظرك إلى قوله « فإن كان لك حاجة فقل لذلك »

ثم قال الشوكاني . وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين . لأول ما عرفه لك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم . وثاني أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأهلهم الصالحة ومزايهم الفضلة ، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله ؛ فإذا قال القائل : اللهم إني أتوسل إليك بالعلم الملائي فهو باعتبار ما قدمه من العلم ؛ وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين دخلوا النار فأنقذت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ؛ فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم يحصل الحاجة من الله لهم ولا سكنت النبي صلى الله عليه وسلم عن إكثار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

وإني أرجو أن تدفن النظر في جعله ابن عبد السلام متشككاً مع قوله يجوز التوسل به صلى الله عليه وسلم ؛ غداً الأمر أنه قصر ذلك عليه ثم قال الشوكاني

وبهذا نعلم أن ما يورده المانعون من التوسل إلى الله بالأندياء والصالحاء من نحو قوله تعالى: ( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) ، ونحو قوله تعالى: ( فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) . ونحو قوله تعالى: ( لَهُ دَعْوَةُ الْخَلْقِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ ) ليس بورده بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه فان قوله ( ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) مصرح بأنهم عبدوكم لذلك . والتوسل بالعالم مثلاً لم يعبد به بل علم أن له مزية عند الله بحمله العبد فتوسل به لذلك وكذلك قوله تعالى: ( فلا تدعوا مع الله أحداً ) فانه هبى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول يا الله يا فلان ، والتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ؛ وإنما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين طبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم . وكذلك قوله: ( والذين يدعون من دونه ) الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذى يستجيب لهم ؛ والتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعاء غيره معه .

فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع . الى أن قال : والتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله فى أمر . ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبى فهو فى ضلال مبين . وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ) . ( قُلْ لَا أَمْرُكَ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ) فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء ، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك غيره ؟ وليس فيها منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء . وقد جمل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم للمقام المحمود — مقام الشفاعة العظمى — وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه



وقال له : « سل تعط واشفع تشفع » إلى أن قال : وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم « نزل قوله تعالى : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) . يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئا . يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا فان هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع من أراد الله تعالى ضره ولا ضر من أراد الله نفعه ، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله تعالى وهذا معلوم لكل مسلم ؛ وليس فيه ألا يتوسل به إلى الله فان ذلك هو طلب الأمر من له الأمر وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يديه طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المتفرد بالمطاء والمنع .

هذا كلام علمائهم الذين يقدمونهم على علماء المذاهب الأربعة ؛ على أن لهم مع هذا شذوذا لا وافقهم عليه في كثير من المواضع ؛ ولكن أتباعهم الذين لم يتذوقوا العلم إلا منهم ولم يتشذقوا بما يشبه الحق إلا بفضل كتبهم التي لا يستقون الدين والهدى إلا منها وليس وراءها لديهم عم ولا دين — يجب عليهم ألا يخالفوه في ورد ولا صدر ، وأن يكون كلامهم حجة عليهم كما كان الحجة لهم . ويكفي هذا اليوم وسندكم من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يجوز التوسل به قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة . وقد وعدناه في كلتنا الأولى بذكر الأدلة وتام التفصيل ولكنهم قوم لا يفقهون .

وكثيرا ما ترمي إذا أرادوا أن يردوا علينا أو على غيره قروا مذهبهم ( ونحن أعرف به منهم ) متخفين أن الأدلة يرد عليها بالدعاوى غير البرهنة . وحيث عجزوا عن الاستدلال فلتتبرع نحن بأقامة الأدلة على فساد كل دعاويهم ( حتى دعوى التفرقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ) وإن كان عجز المدعى عن إثباتها كافي في سقوطها ؛ فلينتظروا ما سيخزيهم في الأعداد المقبلة إن شاء الله .

يوسف الرجوى  
من هيئة كبار العلماء

## الدين سبيل السعادة في الحياتين

ما أعجب شأنك أيها الانسان ، أيها الضعيف الجبار ، أيها العاني العاجز ، أيها الخطير الحقيق ، أيها الصغير الكبير : إن من تأمل في هذا المخلوق (النوع الانساني) رأى العجب العجيب ، رأى أشد المخلوقات احتياجاً ، وأكثرها مطالب ، وأعجزها عن أن يستوفي لوازمه بمفرده ، وأجزعها إذا فاته شيء مما يطلب ، وأحرصها على التمسك بما بآلته يده ولو لم تدع اليه حاجته الحاضرة ( إِنْ الْإِنْسَانُ خَلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا لِلصَّالِحِينَ ) .

تنظر الى أنواع المخلوقات فتجدها كلها ذات حاجات محدودة يكفل كل فرد منها مصالح نفسه بنفسه ؛ وإذا احتاج الى الانضمام الى غيره من جنسه فالى حد محدود ، تقدر ما يتعاون على دفع عدو كيمض أنواع الفردية ، أو تقدر ما ينظم إنتاجه الذي هي له بحسب خلقته كالحل ، أو ما يشاكل هذين الرضين من المصالح التي ليست بضرورية لحياة الفرد أو النوع ؛ أما هذا المخلوق فأضعف المخلوقات عن أن يستغنى في وجوده عن غيره فهو في أشد الاحتياج بل الاضطرار الى أن يستغنى في مصالحه واستكمال حياته من القوى ما لا يدخل تحت حصر ، وكلما سكمل حاجة من حاجاته بدت له حاجة أخرى أشد منها ، وهكذا :

نروح ونفدو لحاجتنا وحاجات من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وإن الحاجة لواحدة لتستدعي من القوى للتعاونة ما لا يعرف عدده إلا بالتأمل وطول التفكير ، انظر الى ثوبه الذي يلبسه ولا بد له منه ليق نفسه عوادي الجو التي

لا قبل له بها وهو وحده من بين المخلوقات الشديد الضعف عن تحمل حوادث الجو .  
نظر الى ثوبه وافرضه ثوبا بسيط من قطن مثلا وادرس تاريخ حياة هذا الثوب من يوم  
حرث الأرض ، ولا تنس المراث وما ركب فيه من حديد وخشب وحيال ومواس  
وما يتطلبه كل واحد من هذه الأشياء من معدنين يستخرجون المعدن من منجمه  
وصناع يصفونه ويصقلونه ويصوغونه ومثله لأجزء الأخرى ، ثم انظر الى وضع  
البدور وما ينتج منه من عمالة زراعية سابقة ، وانظر الى السق وما يطلب من آلات  
متنوعة ، وكل من الأيدي اشتغلت فيها ، فذ تم نباته وبدا صلاحه فما هي أعمال جمه  
وإعداداته للنسيج ؟ وكل من يد لزرع ويد النسيج من وسيط صناعي وتجاري ؟ ثم ما هي  
أعمال النسيج وماذا تستتبع ، وما طريق رده من يد النسيج الى يد المصنّع ،  
وكيف يرد الى خائمه وما هي أدوات الخياطة وما يحتاج اليه ؟ هذه سلسلة لا تحتاج الى  
أن نشرحها لك ، وإنما يدرك لك شيئا منها ندعوك به الى التأمل في كل حلقة من تلك  
السلسلة الطويلة كيف تجر وراءها سلسلة أطول وتستخدم أيديا عاملة أكثر ، وما من  
يد عاملة إلا وهي محتاجة الى أيدي كثيرة جد تخدمها لتوفر لها قوتها التي تستعين بها  
على خدمتها لك .

فهل فكرت يوما في هذا الجيش الجرار الذي يخدمك في ثوبك القطن البسيط ،  
وأنك بدونك لا تستطيع أن تعيش ؟ وهل فكرت يوما في ضعفك المتناهي وأنك في حاجة  
شديدة في أبسط أمورك الى خدم يقومون أودك ويؤدون اليك منافع أنت اليها جد  
مضطرب ؟ وهل أنت في شك مما قدمناه اليك من أن هذا الانسان أشد المخلوقات حرصا  
على ما يملكه يده مما عساه يحتاج اليه ولو على احتمال ضعيف فهو كنوز شعبي لا نسمع  
بفسه بالتجاوز عما أحررت يده بل ولو لم يحتاج اليه ؟ هل هو كالسباع التي متى شبع  
تركت فضل فريستها ؟ وهل هو كالسباع الذي متى اكتفى ترك الحب ومضى ؟ وهل

هو كالبها، ثم اتى زعمى حتى تشبع ثم تعرض عما تأكل حتى تجوع فتعود على قدر حاجتها؟ كلا، ما هو من ذلك فى شيء، فهو اذا مسه الخير ممنوع فلا تطيب نفس امرئ عن شيء يناله إلا فى مقابلة شيء يعادله، وعلى ذلك نجد نفسك مضطرا - لكى تنال خدمة هذا الجيش لجرر - أن نخدم هذا الجيش الجرار خدمة تعادل ما نلته منه وهنا الفتك الى كلمة ( تعادل ماسته منه ) فمن ذا الذى يحكم لك أو عليك بأن هذا عدل ذلك فلم نعلم ولم نعلم؟ إن هذا أيضا باب من أبواب الاحتياج يمر وراءه سلسلة من أطول السلاسل هي سلسلة الحكم والقضاء والتنفيذ وما الى ذلك من قوة مهيمنة على جميعها ثم جيش يستند لها أرايت هذا الضعف؟ وأى ضعف أشد من أن نرى نفسك محتاجا فى معيشتك البسيطة الى أن يخدمك جيش وأن نخدم جيشا؟

وكما ارتقت حياة المرء فى الحضارة وانغمس فى التعميم كثرت حاجاته وشتت البها احتياجه، والتعميم شذته دائما فهو فى كل حال يفسد الضعف وأسبابه ويجره الى نفسه جرا، فالعجم والترف محبوبان وهما من أقوى عوامل الضعف. فما أشبه حال الانسان فى ذلك بقول الشاعر :

أحبه وهلاكى فى محبته      كما بد النار بهواها ونجوة

ولا تدنس أن الترفين أضعف منه وأوهى احتمالا وأشد جزعا لفقد حاجة من حاجاتهم بل لنقص لذة كمالية مما تمودوه بالرفه وأصبح قرن حياتهم ولا غنى لهم عنه . فكما رقت حياة المرء شتد ضعفه وناهيك بذلك ضعفا. وما أحسن تعبير ابن خلدون فى وصف بعض الأمم بقوله : وقد أصابهم (داء الترف) فأفانم ، ويقول بعض الناس : « لرفه مرض اختياري نجايه النعمة ويأخذ من يشاء » .

هذه ناحية من نواحي ضعفه فهناك البها وهى مما يدل قليله على كثيره لمن تأمل وتقبل بنظره فى شئون الانسان المتكثرة .

وأما ناحية جبروته وقوته وعنفه فهي أظهر من أن تخفى ؛ فقد مكّن الله له في الأرض ( خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ) وهداه الى كيفية الانتفاع بها وبقواها المبثوثه فيها وسخر له كل شيء ، وأطاق يده في كل عمل غير معطل الأسباب ولا محروم النتائج ، وبث له من القوى في هذا العالم ما تمكن به من التحليل والتركيب في كبريات الأمور وصغيراتها والاستثمار والاستثمار في فجاج الأرض ومسالكها ، وأدنى له القطوف وركب فيه الحاجة التي تدفعه الى الكد والكسح وابتكار الوسائل وشجعه نجاحه في الوصول الى ما يبتغى متى أحكم الوسائل مما لم يكن يحظر له على بال ؛ وهنا تفتقت له الصناعات وانقادت له القوى وصح أن يبرز هذا القلب الجليل المذكور في قوله تعالى : ( إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَافِئَةً ) ولقد أخذ في هذه العوامل يعود بعضها بعضها ويساعد أحدها الآخر فكلما عالج غاية وصل اليها متى ثبت وأنقن أسبابه وانتفع بهذا الملك الواسع الذي منحه الله له في قوله جل من قائل : ( خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ) لقد بحث عما خلقه الله له بدافع حاجاته المتتالية للترابدة التي لا تقف عند حد فاهتدى اليه والى استخدامه ولا تتفادى به بمقتضى ما وهبه الله من قوة العقل والفهم ثم نسي احتياجه وذكر نجاحه فأنسى واغتر وطفى ونجس حتى حدثته نفسه أن يشارك ربه في جبروته وكبريائه ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفَّارٍ أُنْزِلَتْ رِءَاؤُهُ اسْتَفْتَى ) ولكن سرعان ما تفجّوه فاجعة لم تكن له في حساب - وما أكثر نواحي ضعفه - ميخر من سماء كبريائه جزوعا هلوعا ويضعف ذاك الجبار حتى يرى نفسه غير جدير بالحياة التي وهبها له ربه فقد يحاول التخلص منها وهي أعز شيء عليه وكأنه يردد في خطرات نفسه قول ذلك القائل الجبار :

وإنا أناس لا توسط بيننا وبيننا الصدر دون العالمين أو القبر

على رسلك أيها القاريء الكريم ولا تنهمل في النقد فكأنني أسمع منك هذه الكلمة ( لقد نسي الكاتب رأس موضوعه ) ( لدين سبيل السعادة في الحياتين ) وخاض بنا

في حديث غيره . لا لا ، مانسيته ولا نسيني وإني مهت لك بهذه المقدمة اتحن  
الاستماع لما سبقت عليك ، وتعلم أن منزلة لدين من فروع الحياة منزلة النفس الذي  
لا يستغنى عنه لحظة فهو أكثر من منزلة الغداء والشراب وكل شأن آخر .

لقد تبينت أن الانسان محفوف بعاملين عظيمين شديدي الأثر في مجرى حياته .  
عامل الضعف وعامل القوة ، وأنهما يفعلان به فعلهما ويفتكان بسعاده وهنائه ، وأنه  
فريسة لها لا يستطيع التخلص منها ، فاعلم أن أعظم ما ينقذه من فتكهما ولعبهما هو دينه  
وشعوره بأن له إلهاً مهيمناً عليه وعلى كل شيء في هذا العالم ، وأن يده ملكوت كل  
شيء وإليه المرجع في كل شيء . هذا لشعور والاعتقاد متى حل في النفس وتمسك منها  
عالت به ما يعتريها من الوهن والتضعف من متاعب الحياة ومصاعبها ، فإذا غلبت  
نكالي الحياة وماتت ثقلها تذكرت أن لها رباً ، رباً أغدق عليها نعمه وغمرها في بحر  
إحسانه وكرمه ووهبها نعمة الوجود والقوة والعقل وتسحير كل شيء وتسهيل سبل  
الحياة ، وهبها كل هذا ولم تدفع له ثمنًا ولا تصوره قبل أن يوهب لها ، جدير بواهب  
النعمة كرمًا أن يديها ويحدها كرمًا ، وهذا يحق له أن ينشد قول القائل

لا تيئس ولا تخف ودع التفكير والآسف

الله عودك الجليل ل فقس على ما قد سلف

فتقوى نفسه على تحمل أ كدّار الحياة ويتسع صدره لمصاعبها وزول عنه التضعف  
المهلك والخنوع المزري فيستعم نشاطاً جديداً ويستجمع قوى فتيه فيقبل على شأنه مستعينا

(١) شطرها بمنى أهل العصر بقوله :

لا تيئس ولا تخف	من هاتيك قد خفت
سلم ربك أمره	ودع التفكير والآسف
الله عودك الجليل	ل وليس يسبح بالتلف
وإذا سألت عن الدين	ل فقس على ما قد سلف

بربه واثقا بموته وكيف به اذا هو أقبل على عبادة ربه واتجه الى مناجاته بلسانه وقلبه وبدأ عبادته بهذه الكلمة التي نبعث فيه أعظم قوة إذ يقول . الله أكبر ، ثم يردفها بقراءة أم الكتاب وفيها التناء على الله ، هو أهله واستحضار أنه رب العالمين يريهم ويبلغهم كمالاتهم التي أرادها لهم ، ثم ذكر رحمته المتكررة وقوة مسكه في دار الآخرة وإن الدار الآخرة هي الحيوانات ، ثم أخلص نفسه لصدته وحده وجعل معونه به وحده ، وأي معونة تلك التي نستمد من أعظم قوة بل من مصدر القوى والقدر ، بل من واهب الوجود وما حوى ؟ ههنا تسمو أنفس من حضيض ذلتها ، وتسترجع العظمة بواسطة عبوديتها ، وتحتقر كل ما يصادفها مما تكره في سبيل أنها أحررت أعظم غابة تقصد من حياتها هذه الغاية .

فليت الذي يبي ويدك عامر      وبينى وبين العالمين خراب  
اذا صبح منك الود والكل هين      وكل الذي فوق التراب تراب

نعم ونشعر بأن هذه الدار دار فناء وممر وأن الدار الآخرة دار بقاء ومقر فلا ينبغي أن يذهب نفسه حسرات على حياة إتمامها هي لحظات قصيرة تنفد سريعا ، ويقول كما قال فقير لمظيم : إن الفرق بينى وبينك لحظة وتنفد ، مضى فنى منى ومنك ، وما بقى مفيب ومنعدم عنى وعنك ، وليس إلا اللحظة الحاضرة ، فاشأنا في حياة الخلود في الدار الآخرة ؟ أليس هد الشعور بما بقوى عز ثم النعوس وبشد أزرها في تحمل أعباء هذه الحياة ؟ فكيف ذا اجتمع اليه الاعتقاد بأنه اذا قابل مصائبها بالاطمئنان وفضاء ربه بالرضا قال بذلك الجزاء الأوفى وماز عند ربه بالحسن ودخل في قوله جل شأه ( يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي ) ؟ أليس يعثر ما هو به من نكد الحياة فرصة سعادة يفتهم بها رضا ربه والفور بدخول حنته ؟ أليس يقولون مع القائلين إن مصيبة تمطف المرء الى

ربه وتوجب عطف ربه عليه خير من نعمة تصرفه عنه وتكون وسيلة لنعمته ؟ إن الشعور بهذه النعمة من أعظم ما يهون على المرء شقاء الحياة ( والحياة كلها شقاء ) ويبذلها سعادة وغبطة . وحقاً إن من ساءب من المرء ، فإنه فقد سلبه سعادة الدنيا قبل أن يسلبه سعادة الآخرة .

هذا شأن الدين في إيقاظ النفوس من فتك عو من الضعف بها ، وأما شأنه في معالجة ما يبطش بها من عوامل الشعور بالقوة فهو أعظم خطراً وأكثر أثراً ؛ ذلك أن النفس إذا اعتزت بقوتها واكترت بالنعم التي أحررها فنسيت نفسها ونجاهلت منزلتها ملكها الطفيان وتمكن منها الشيطان فبطرت معيشتها وعنت عتوا كبيراً . وإنك لتجد في طبيعة النفوس من الطمع إلى مقام الكبرياء وأنه يملك عليها مشاعرهما ما إذا تأملت أن أشفقت عليها من نتائج الوخيمة ، وما ظنك نزعاً من رغبات الشيطان تطوح تلك النفس الضعيفة إلى منازعة الله العلي الأعلى في كبريائه ؟ التفت وحقق إلى ما يكون من الخدم مع خادمه حين يعارصه في رأى أو يشير عليه بصواب أو يدافع عن نفسه بالحق كيف يكبر منه هذا ويستاء له ويؤنبه على تكلمه أمامه وإن حق ؛ روى أن عظيماً قال لشخص كيف تجادى ورد على كلامي فقال يا سيدي إن الله تعالى يقول : ( يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا نَمَتْ وَهُمْ لَا يُفْلَهُونَ ) ألا ترى هذا العظيم يعطى نفسه حق لم يرصه الله لنفسه وهو أنه لم يسمح لنفسه أن يجادل عن نفسه ؟ ثم ارجع بنظرك إلى ما يجري بين الناس إلى وقتنا هذا ولا تنضب إذا قلت لك لملك تكون من هذا القبيل في نمض لأحيان وإلا فلماذا تجتهد نفسك تتحرك بالفضب إذا ما خاطبك خادمك أو مرءوسك يدافع عن نفسه بالأدب والحق ولا تتعرك إذا أغلظ لك القول من تعقد فيه العظمة بالباطل ، اصدقني وأنصف من نفسك واعلم أن الشعور بالقوة أخطر أثراً على النفس وأشد إهلاكا لها وأخرج إلى المعالجة



لا نقاذها من برائها من الشعور بالضعف ، لا يلها قوتان متكافئتان على النفس  
تفتكان بها لولا ما وهبه الله من الدين الذي نعت به خير المرسلين وقال له : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) .

فاعلم أن الشعور بأنك عبد الله أمرٌ أن تشكر نعمته عليك وتقدر نفسك قدرها  
ولا تعطها ما ليس من حقها هو من نعم الله عليك التي تحفظ غيرها من النعم وتريدها  
هذا ، وإن الاسترسال في الاعتد بالقدرة من شأنه أن يصرف القلوب بعضها عن بعض  
ويوقع بينها النفرة والبغضاء فتدور حياة صاحبه ويشمر بالمقمت يتبادل بينه وبين الناس ؛  
ولا أنعس من حياة الكاره المكرره من خاطائه أجمعين .

ويعجبني قول المزماني في التنفير من الكبر والترغيب في التواضع « إنك لو رأيت  
علما جوادا متكبرا لا بغضته لكبريائه ونفرت نفسك من علمه وجوده ، ولو رأيت  
حاهلا بخيلا متواضعا لو جدت من نفسك لليل اليه لتواضعه ، فتاهيك وذيلة أودت  
بفضيلتين وفضيلة سرت وذيلتين » أضف الى ذلك أن الدين يعدل مزاج القوة وبوجهها  
الى خير طريق يوصل الى أشرف غاية . فأمل في قوله تعالى : ( وَبَتَّغْ فِيهَا ءَاتَاكَ  
اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا  
تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ) . تجد أن الله تعالى يرشدنا  
الى أن ما خولناه من نعمته بذر نخصب لمن أحسن زرعه وأنه صالح لأن يدر عليه أعظم  
الخيرات وينتج له أطيب الثمار حتى زرعه في مكانه الصالح له ؛ ذلك بأن يبتغي فيه الدار  
الآخرة فيقوم بحق ربه فيه فتكون نعمة جرت نهما وغنيمة ستبعت غنائم ، ونكون  
كقولهم : الخير يجلب الخير . أو كقول العامة : لا يجلب المال إلا المال ، فهي نعمة  
متعنتك بها فإن شئت جعلتها متجرا رابحا لنعم وفيرة ، وإن شئت لهوت بها فضيعت  
على نفسك الخير العاجل الآجل ، فيكون الشخص حينئذ ممن خسر الدنيا والآخرة

ذلك هو الخسران المبين ثم أردف ذلك بقوله : ( ولا تنس نصيبك من الدنيا )  
 ونصيبه منها إما الاستمتاع بما خول من نعمة فكأنه يقول له . لم تكلف أن تصرف  
 كل ما أوتيت من نعمة الى باب الإحسان الى الغير وتنسى نفسك والدين يسر لا عسر  
 وإما أن النصيب من الدين هو ما يحرره بواسطة تلك النعم في الآخرة ويكون المعنى  
 أنك اد لم تبادر الى اغتنام الفائدة العائدة عليك من نعم الله عليك فقد سويت  
 نصيبك وظلمت نفسك بحرمانها من ثمرة نهيأت لها ؛ وأى ظلم أكرم من ظلم المرء  
 نفسه ؟ ويقول الله بعد ذلك « وأحسن كما أحسن الله إليك » هون عليه أمر الإحسان  
 بأن يفهم حقيقة ما هو فيه وأنه إحسان من الله وأنه مهما ادعى لنفسه أن ذلك بقوته  
 وكسبه وكده وكدحه فما وهبه تلك القوى بل ما وهبه أصل لوجوده إلا لو حد القهار  
 الذي إن شاء سببه إحسانه وكان ذلك جز . عادلا على أنه لم يحسن كما أحسن اليه  
 وما أجمل أن يردف هد بقوله تخويفا وإرهابا ( ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله  
 لا يحب المفسدين ) . فإياها توجه الى النفوس التي تتماهى على عوامل الترفيع ولا يحدى  
 فيها إلا الإنذار والتهديد ويكفى التعمير عنه بأنه فساد في الأرض وإن الله لا يحب  
 المفسدين ؛ ومن ذا الذي يطعن جناد وقد أصبح وأمسى لا يحبه مولاه ؟

هذا شيء من معالجة الدين لمو مل الفتك بالنفوس من ناحيتي القوة والضعف  
 يتبين به مقدار السعادة العائدة على النفس من الدين ، وقد بقي عامل آخر أجل وأعظم  
 يتعلق في الدين لاسلاى أعظم نجل ؛ ذلك هو وضوح المعتقد ومثانة الدليل وسطوع  
 الحكمة في الأحكام وأول آثار هد طائفة النفوس وإيقاظها من الخيرة التي تقص  
 المضاجع وإن أكرم منصات الحياة هو الخيرة في فهم ما كلفت فهمه ، أو ضعف الأدلة  
 المؤيدة لما أوجب الدين اعتقاده أو منافرة الأحكام المكلف بها للصالح الخالص أو العام  
 ولو شاء الله لا ابتلانا بشيء . من هذا ولكن رحمة منه وفضلا ( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها )

ولم يطلب منها لمرضاته إلا ما فيه خيرها ونفعها ، واعتذر ذلك في الاحكام الخاصة والعامة بحجده أوضح من أن يحتاج الى دليل .

فهل تستهين بنعمة إنقاذ النفوس من تلك الحيرة التي نشير اليها ، وهل تشك في أن العقيدة الاسلامية في وضوحها وسهولة قبولها وساطع براهينها هي في الذروة السامية والمثل الأعلى ؟ وإن المجلة لتلم من حين الى حين بتفاصيل تحلو ما عساه أن ينحى على بعض النفوس وإن كانت الشمس لا تحتاج الى دليل .

وبعد فإن ما بيناه يشرح أثر الدين في سعادة الأفراد فردا فردا ، وقد بقي أثره في سعادة الجماعة في هيئتها الاجتماعية ؛ وإن هذه السعادة تتنوع الى نوعين . الأول ما يركز على سعادة الأفراد ، فإن الجماعة المسكونة من أفراد تسود بينهم هذه السعادة يشعرون جميعا بسعادة مضاعفة ، واعتبر ذلك في شخص مسرور بين قوم مسرورين وآخر عنده أسباب مسرة الأول ولكنه بين قوم محزونين ، ترى أن حزن جاره قد نغص عليه مسرته وأضعف ابتهاجه بها بخلاف الأول فقد استكمل القبضة والحبور . والنوع الثاني ما تعود أسبابه الى الروابط الاجتماعية وعلاقات ما بين الناس بعضهم وبعض وهذا يرجع الى أصليين عظيمين : الفضل والعدل ؛ أما الفضل فبانه الأخلاق ، وقد بلغ من عناية الشرع بها أن كاد ينحصر فيها غرض البعثة في قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق » وأما العدل فناهيك بأحكام للمعاملات سوء في سياسة المنزل المعروفة بالأحوال الشخصية أو في سياسة المدينة المعروفة بالأحكام المدنية أو ما يتبعها من أحكام العدو أو الجنائيات التي تضمن ردع الناس عن غيهم وسلامتهم من شرهم .

ولقد جاءت الشريعة الاسلامية والله حمد بما لا مطلب بعده اطالب ، ولا تزال الأمم تحسد عنها عمدا ثم ترجع اليها قهرا وقسرا ، تقهرها التحارب وتلحقها المصالح

وما شذوا فيه اليوم فلا بد من رجوعهم اليه ولو بعد حين ، وإن في قوله تعالى ( **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ) . كفاية وكفاية ، وإنك إذا تصورت حياة قوم قد فضيت نفوسهم من معين الدين وانتشرت بينهم الأخلاق المنهية شرعا وتصورت ما يكونون عليه من تنبذ وتدار وشحناء وبغضاء واضطراب أمن وقطع صلات لتصورت التماسه بحسمة وقلت بينك وبين نفسك : الحمد لله على نعمة الاسلام الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وكذلك لو تصورت حياة فرد قد نبذ الدين ظهريا وندفع في شهواته المنهية شرعا ورأيت كيف يسوء حاله في ماله وعقله وصحته وشرفه وكيف تؤول به حياة الدعارة والفجور الى أسوأ حياة وأشد معيشة ، سألت الله السلامة من الفساد ولقلت . اللهم احفظ عينا ديننا ، نتنى بذلك حفظ سعادة هذه الحياة وإن لم تفكر في أمر الحياة لآخرة ، وإن أنس لا أنس رجلا شهدته بالاسكندرية مات أبوه عن ثروة وسعة جد وقد كسبها بقرق جبينه فكان على تسميتها والمحافظة عليها جد حريص حتى فاته أن يعنى بتربية أبنائه وتهديمهم بأكثر من منعهم قسرا مما يشتهون ، ولم يؤيد ذلك بغرس الفضيلة في نفوسهم أو توجيهها نحو الغايات السامية ولو بإشعارهم بمعنى الكرامة الدنيوية ، فاهو إلا أن مات ذلك الأب المسمى حتى اندفع ذلك الابن التمس في حياة لهو والدعارة باستهتار وسراء شديدين فكان كمن كاد الظمأ يقتله فمثر بماء مثلوج فكلما شرب اشتد به الظمأ فلم تمض عليه شهور عدة حتى ذوى شبابه وساءت صحته وتملكته الأمراض من كل جانب ولم يكن له بها من عهد ، فعرض نفسه على الأطباء فأشاروا عليه بترك النساء والخمر والسهر وحياة اللهو وأذروه أنه إن خالف فإنه لا يمضى عليه شهر كامل حتى يفارق الحياة فاستمع لتصحيحهم أيام معدودات ثم غلبته شقوته واستحكمت فيه شهوته فماد مندفعما بأشد

مما كان فلم يحض عليه شهر من تاريخ مشورة الأطباء حتى طارق الحياة غير مأسوف عليه من أحد ولا من أهله .

أقلا تقول متى بنيت الحياة حياة لا تقوم على أساس متين ولم تشيد على أركان الدين : والأمثلة كثيرة على ذلك لا تكاد تحصى .

هذا شئ من سعادة الحياة بالدين في الدنيا ، وأما سعادة الحياة الآخروية فنصوصها في الشرائع جميعها وفي آيات القرآن الحكيم أكثر من أن نذكر ويكفي قوله تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ) . والله أعلم .

إبراهيم الجبالي

مدرس قسم التخصص بالأزهر

## الطرف والملاح

قال بعض الحكماء : إن من علامة المؤمن قوة في دين ، وحزمًا في دين ، وإيمانًا في يقين ، وحكمًا في علم ، وعطاء في حق ، وقصدًا <sup>(١)</sup> في غنى ، وغنى في فاقة ، وإحسانًا في قدرة ، وطاعة في نصيحة ، وتورعًا في رغبة ، وتعففًا في جهد <sup>(٢)</sup> ، وصبرًا في شدة .



وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن فلانا رجلٌ صدقٍ ، قال : سافرت معه ، قال لا . قال : فكانت بينك وبينه خصومةٌ ؟ قال لا . قال : فهل ائتمنته على شئ ؟ قال لا . قال : فأنت لذي لا علم لك به ، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفّفه في المسجد !

(١) توسطًا لامتدحًا ولا تقتبر . (٢) مشقة واحتياج .

# الفتاوى والأحكام

## القراءة على الأموات

وكون الله في السماء

جاء ما خطاب مطول من الأستاذ محمود علي أحمد لمدرس بمدرسة المنتزه تكلم فيه عن التوسل وأنه يجب أن يكون قاصراً على الأعمال، وعن القراءة للميت ويرى حضرته أنه لا فائدة فيه للأموات، وعن كون الله في السماء ويرى وجوب ذلك وأن القرآن يدل عليه وكذا السنة.

أما التوسل بالأعمال فهو مشروع به ورد الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أبو عبد الله البخاري وغيره، ولكن التوسل ليس مقصور على هذا وإنما هو نوع من أنواعه؛ فإن سر التوسل أن تسأل الله بما أحب من الأعمال الصالحة أو غيرها. كأن تسأله بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، أو بمن أحب. كأن تسأله بأبيائه وأصفيائه. ولا وجه لقصره على الأعمال كما يرى حضرته؛ بل كل محبوب لله يصح التوسل به سواء كان عملاً أو غيره؛ والنبي أشد حبا لله من جميع مخلوقاته لا يوازيه في ذلك عمل ولا غير عمل. وقد أوسعنا الكلام في ذلك بما يشي ويكفي؛ فارجع إليه إن شئت. ولا داعي لأن نطيل بذكر كلام السائل في هذا.

القراءة على الميت :

كتب السائل كثيرا يقتصر منه على المهم. والكتاب يرى أن القراءة بدعة لا فائدة فيها للميت؛ قال العلامة ابن عابدين في شفاء العليل: «وظهر في هذه السنة الإيحاء بدراهم

تدفع لمرأة الصمدية « وتاريخ الفراغ من تأليف هذه الرسالة سنة ١٢٢٩ أى أنها بدعة من منذ ١٢٠ سنة . وقال العلامة النووي في شرحه على صحيح مسلم : « وأما قراءة القرآن وحمل ثوابها للميت فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها لا تلحق بالميت » وقال الامام لبركوي في خطبة له : « والصلاة والسلام على حبيبه الذي هبى أمته عن الأكل بالقرآن والدين » وقال الامام الفيروزبادي : « ولم يكن من عادة السلف أن يجتمعوا للميت ويقرأوا له القرآن الخ » ثم قال السائل مفرعا على ذلك : « فكل ما يمكن مشروعاً ومنعاً التمسك به وهو مردود على صاحبه وإذا كان كذلك فما وجه التمسك فيما لا فائدة فيه للميت ؟ ويستفاد من ذلك أن قراءة القرآن لم تشرع للأمت وسواء كانت القراءة بسورة ( الإخلاص ) أو غيرها من القرآن فلم تشرع البتة . وأما حديث ( اقرأوا على موتاكم يس ) فقد نقل عن الدارقطني أنه قال : « هذا حديث مضطرب الاستناد مجهول المتن ولا يصح » ووفق على ذلك الامام الرزى في شرحه على الجامع الصغير . هذه عيون ما كتب السائل في موضوع القراءة .

ونحن نقول له . ( أولا ) : إننا إذا اكتننا عن شيء سئلنا عنه فاما نذكر ما نرجحه من آراء العلماء في المسألة ؛ واما معنى ذلك أنه لا خلاف فيها بل معناه أن المخار هو ما نذكره ؛ وفيما نجد مسألة مما يسأل عنه السائلون لا خلاف فيها ولهذا نصص لكل مشفق على دينه محتاط في أمره أن يكون أحد رجلين : فإما باحثا منقبا عن كل ما قال العلماء غير مقتصر على بعض الآراء ، ولا مقترعا بآرائه كثير من أرباب الأهواء ، ويكون مع ذلك فيه أهلية المقارنة بين الأقوال ، والموازنة بين الأدلة ، قد جرد نفسه من النزعات الخفية قدر الاستطاعة بحيث يكون منهما نفسه غير مسارع للحكم بما يراه أول وهلة . شأن أئمة الهدى وعلماء السلف الذين كانوا محتاطون لديهم ويخافون على أنفسهم ، وسيرتهم في ذلك معروفة مشهورة هذا أحد الرجلين

أما الرجل الثاني فهو رجل نظر لنفسه بالانصاف وآها قصيرة عن بلوغ ذلك  
إلى ، ورأى الأدلة متشعبة والأمر واسعا يحتاج الى فهم دقيق وعلم غزير يحيط  
بالأدلة وما يعارضها ، وبالعومومات وما يخصها ، وبالطلقات وما يقيدها ، وبالنصوص  
وما ينسخها ، وبالظواهر وما يقدم عليها ، وبالضعيف وما يرجع عليه الى آخر ذلك البحر  
الزخار ، معروف قدره ، ولم يتمد طوره ، فاختار ما عليه السواد الأعظم من المسلمين ،  
وم يشد عنهم في قبيل ولا كثير عدا أن لدثب إنما يأخذ الشاة القاصية . ويكفي أن  
استشهد في هذا الموضوع بأن الكاتب حفظه الله نظر في كتب أعرفها أنا ويعرفها هو  
مخرج منها بمقيدة أن الله في السماء ؛ وسنميص القول فيها . ولترجع الى مناقشة  
لاستاذ في بعض ما قل فنقول :

إن الذي نقله عن ابن عابدين إنما يصيد كون لا يصاء هو الذي حدث في السنة  
التي ذكرها للقراءة التي هي محل النزاع . ثم ليسمع لنا أن نسأله : لماذ لم ينقل عن الرسالة  
المذكورة إلا هذه العبارة وفيها كثير مما يؤيد رأينا من وصول القراءة للأموات ؟  
وكذا عبارة صاحب القاموس لا تقيد غير أن الاجتماع للقراءة على نحو مخصوص ندعة  
وليس هذا محل النزاع . على أن في سفر السعادة أشياء كثيرة أخذت عليه .

أما عبارة البركوي فهي باطقة بأن النهي إنما هو عن الأكل بالقرآن والدين ، وابن  
هذا مما نحن فيه ؟ والمحب كل المحب بعد ذلك من يتيجتك التي استحلتهم ، من تلك  
النصوص حيث نقول : فالقراءة على الأموات لم تشرع البتة وقد أغفلت آراء محترمة  
لعلماء محترمين من أئمة الهدى لم تقم لها وزنا ؛ وليس هذا من شأن من حلا  
من العصبية وحرد عن لأهواء ودعى لنحو الهدى نزاهة وإخلاص . ولا أدل  
على أن هناك شهوة خفية مما ذكرته حضرتك في حديث « اقرءوا يس على موتاكم »  
عن لدارقطني ؛ وكان الواجب أن تذكر ما قاله غيره في الحديث أيضا قال في بيل



الأوطار الجزء الرابع مرة ٥٢ . « اقرءوا يس على موتاكم » أخرجه أبو داود وأحمد في مسنده والنسائي و بن حبان وصححه . وقال أحمد في المسند حدثنا أبو المنيرة حدثنا صفوان أن المشيخة كانوا يقولون اذا قرئت « يعنى يس » لميت خفف عنه بها وأسندته صاحب مسند الفردوس ؛ وقال الطبري في الحديث : « إن المراد الميت الذى فارقه روحه وحمله على المحتضر قول بلا دليل » أو تقول : مجاز بلا قرينة ؛ وقد ذكر شرح السكز في مذهب الحنفية أن كل عمل صالح يصل ثوابه الى الميت سواء كان قراءة أو غيرها . فلينظر حضرة الكاتب هذا مع ما استنبطه من عبارة بن عابدين الحنفى وأما ما نقله عن الامام النووى في شرح مسلم فلا أجد عنه جواباً أحسن من أن أنقل لك نصوص الشافعية أنفسهم :

قال في شرح الروض في كتاب الإحارة . « فرع . الإحارة لقراءة على لقبر مدة معلومة أو قدراً معلوماً جائزة الانتفاع بنزول الرحمة حيث يقرأ القرآن » كاستئجار للأذان وتعليم القرآن ويكون الميت كالحى الحاضر سواء أعقب القراءة بالدعاء أو جمل أجر قراءته له أم لا فتمود بمنفعة القراءة الى الميت فى ذلك ، ولأن الدعاء يلحقه وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة ، ولأنه اذا جمل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بمحصول الأجر له فينتفع به . فقول الشافعى إن القراءة لا تصل اليه محمول على غير ذلك ؛ بل قال السبكي تبعاً لأن الرفعة بعد جملة كلامهم على ما ذانى القارى أن يكون ثواب قراءته للميت بغير دعاء . على أن الذى دل عليه الخبر بالاستنباط أن القرآن اذا قصد به نفع الميت نفعه ، إذ قد ثبت أن القارى لم قصد قراءته نفع المذبح نفعته ، وأقر الربى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : « وما يدريك أنها رقية » واذا نفعت الحى بانقصد كان نفع الميت بها أولى لأنه يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع عن الحى . وفى الرملى على المهاج فى باب الوصايا أن الدعاء بوصول ثواب القراءة للميت مقبول قطعاً ، فانه اذا كان مقبولاً بما لا حق فيه للداعى فكيف كان له فيه حق وعمل . أى فهو مقبول من باب أولى .

وقال ابن الصلاح : وينبغي الجزم بدع قوله اللهم أوصل ثواب ما قرأناه ، لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي مثله أولى ؛ ويجرى هـد في سائر الأعمال . وقال الشرح المسمى على لم يلى : إنه إن نوى ثواب قراءته أو دعا عقبها لحصول ثوابها لم يمت أو قرأه عند قبره حصل له مثل ثواب قراءته وحصل للقارئ أيضا الثواب ؛ هذا سقط ثواب القارئ لمسقط كأن غاب الباعث الديوى فينبغى ألا يسقط مثله بالنسبة للميت فيما إذا كانت القراءة بأجرة ، وينبغي أن تكفى نية القارئ لثواب لميت ولو لم يدع ؛ واختار السبكي وابن حجر والزملى وغيرهم جواز إهداء ثواب القراءة للنبي صلى الله عليه وسلم قياسا على الصلاة عليه .

#### نصوص المالكية .

قال في الشرح الكبير : إن قراءة القرآن على الموتى ليست من عمل السلف الصالح لكن المتأخرون على أنه لا بأس بقراءة القرآن والذكر وجعل ثوابه للميت ، ويحصل له الأجر إن شاء الله ، وهو مذهب الصالحين من أهل الكشف . وقال في التوضيح في باب الحجج : والمذهب أن القراءة لا تصل للميت ، حكاه العراقي في قواعد الشيخ ابن حمزة وفيها ثلاثة أقوال تصل مطلقا ، لا تصل مطلقا ، والثالث : إن كانت عند القبر وصلت وإلا فلا . وفي آخر نوزل بن رشد في السؤال عن قوله تعالى : ( وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ) قال : وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت حاز ذلك وحصل للميت أجره . وقال ابن هلال في نوزله : الذي أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا بالأندلس أن الميت ينتفع بقراءة القرآن ويصل إليه نفعه ويحصل له أجره إذا وهب القارئ ثوابه له . وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ، ووقفوا على ذلك أوقافا وستم عليه لأمر مد أزمنة سالفة

ومن اللطائف أن عز الدين بن عبد السلام الشافعي رثى في المنام بعد موته  
ف قيل له : ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدي من قراءة القرآن الموقى ؟  
فقال : هيهات ، وجدت لأمر على خلاف ما كنت أظن

وفي خطابات والخرشى أجازها بن حبيب الخبر « قرءوا يس على موتاكم » وهذا  
مقابل أقول مالك بعدم لوصول ؛ ولعل ذلك لم يصح عن مالك ؛ سلمنا صحته فتحمل  
السكرامة على فعله استئناجا ونقل أن الفرات في باب الحج عن القرافي : الذي يتجه أنه  
يحصل لهم بركة القرآن كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عنده . والقراءة للميت  
وإن حصل الخلاف فيها لا ينبغي إهمالها ؛ فاعمل الحق لوصول ، فإن هذه الأمور  
مفيدة عنا وليس الخلاف في حكم شرعي إنما هو في أمر هل يقع كذلك ؛ وكذا عادة  
التهليل اليوم ؛ ويعتمد في ذلك على فضل الله تعالى .

وقال في المدخل . « من أراد ثواب وصول القراءة فلا نزاع ، فيجعل ذلك دعاء بأن  
يقول : اللهم أوصل ثواب ما أقرؤه إلى والدي مثلاً . وفي مجموع لأمر ما يؤيد ذلك .  
هذه نصوص العلماء سردناها عليك ، ووكنا لحكم فيها اليك ؛ فكيف يحل مع  
هذه انهوص أن تقطع بعدم نفع الميت بالقراءة ( لبته ) ؟ .

هذا ومعلوم أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال مع أن في الباب  
غير الضعيف كما يباه في كتابته الأولى ؛ وقد قسنا إن الضعيف إذا عمل به المسلمون التحق  
بالصحيح لأنه يصير كالجميع عليه ؛ ولا فرق بين الإجماع القولي والإجماع العملي ، وقدنا  
أضاً إن القياس يقتضيه ؛ وقد وردت الأحاديث التي لا شك فيها بوصول ثواب غيرها  
من الصدقة والصلاة والصوم والحج فكيف القاطع بذلك بأنه لا فائدة فيها للميت البتة .  
إني أحب من أهل الدين والعلم أن يعلموا أن من أدلة الدين شيئاً غير ما يتشبهسون به  
من النصوص التي جحدوا عليها يسمى القياس ، وهناك أنواع أخرى من الاستدلال عول

عليها العلماء في كثير من المسائل . ويعجبني في هذا الموضوع قول من قال من المالكية .  
لا ينبغي ترك القراءة للأموال فإنه خلاف في الوقع المغيب عنا ، فعمل الواقع الوصول .  
وغير خاف عليك بعد ذلك أن مسائل الفقه ظنية ، ولعلنا محرم لليت من ثواب كثير  
ترك القراءة له . هذا ما نراه ولا نفتي بغيره ؛ ويكفي هذا في موضوع القراءة .

أما ما ذكر المسائل من كون الله في السماء ، تلك العقيدة التي تصادم البراهين العقلية  
كل المصادمة فترجيء الكلام فيه لعدم آخر فإن الكلام في ذلك طويل وجليل .

يوسف الدموي  
من هيئة كبار العلماء

## الرضاع

وورد أيضا هذا السؤال من صاحب التوقيع :

س : ولدت امرأة ولداً وأخرى بنتاً وأرضعت أم الولد البنت مع الولد ثم ماتت  
البنت ورزقت أمها بنتاً بعدها ولم ترضع مع الولد ، ثم رزق المراتل بولدين ورضع  
بن أم الولد من أم البنت ، فما حكم هذا الرضاع لو أراد الولد أن يفتن بالبنت الأولى  
التي لم ترضع معه ، ولو أراد أيضاً الولد الذي رضع مع أخيها أن يفتن بأختها ؟ وما حكم  
النكاح لو فرض أنهما تزوجا فعلاً ؟

محمد ابراهيم أبو خضرة  
مدرس الزاوي بيني صوبف

الجواب . إن الولد الذي رضع من امرأة يحرم عليه الزواج من نساها سواء كان رضاعه  
معين أو قباهن أو بعدهن ، والبنت التي رضع من امرأة حرم عليها الزواج بواحد  
من أولادها كذلك ؛ أما الولد الذي لم يرضع من أم البنت فيجوز له أن يتزوج البنت

التي لم ترضع من أمه ؛ فقوله في السؤال : « لو أراد لولد أن يقترب بالبنت التي لم ترضع معه » إن كانت هذه البنت لم ترضع من أمه أصلاً لا قبله ولا معه ولا بعده ، وكان هو لم يرضع من أمه أصلاً ، صح النكاح أما لو رضعت من أمه أو رضع من أمها فلا يحل نكاح سواء كان رضاعاً معاً أولاً ، وأما قوله : « ولو أراد أيضاً لولد الذي رضع مع أخيه أن يقترب بأختها » فقد لا يحل له ؛ فإنه برضاعه من أمها صار أخها سواء كان رضاعه معها أو قبلها أو بعدها وذلك يتبين جواب قوله « ما حكم النكاح لو فرض أنهما زوجا فعلاً » وذلك أن هذا نكاح باطل يجب فيه التفريق بينهما حالاً .

والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب » رواه الترمذي ؛ وروى الشيخان وغيرهما أن رجلاً استأذن على عائشة رضي الله عنها بعد ما نزل الحجاب فأتت أن تأذن له حتى تستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن امرأة أخيه أرضعها فقال لها : « انذني له فإنه عمك تربت بميمتك » فبذلك كانت عائشة تقول « حرموا من الرضاع ما يحرم من النسب » والقاعدة عند الفقهاء أن التحريم ينتشر بالرضاع من الرضيع إلى أصولها وفروعها وحواشيها أي آبائها وأبنائها وأخوتها إذا كان راضعاً أنثى ، وأمهاً وبناتها وأخواتها إذا كان لرضيع ذكراً ؛ وكذلك ينتشر التحريم من صاحب لبن وهو أبو الطفل الذي ينزل اللبن المرضع من أجله ، فيحرم أصوله وفروعاً وحواشيه ؛ أما لرضيع فينتقل التحريم منه إلى فروعها فقط أي يحرم الرضيع وأساؤه على مرضعته وتحرم الرضيعة وبناتها على صاحب اللبن وهو أبو الطفل الذي ينزل له اللبن ؛ وأما أصول الرضيع وحواشيه فلا يحرمون ولا يحرم من . والله أعلم

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

## بيان فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

شأن حوادث طرابلس الغرب و برقة

في ٢١ من شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٩ نشرت مجلة الفتح أخباراً عما ارتكبه بعض الإيطاليين في طرابلس الغرب و برقة من شأنها أن تهز العالم الاسلامي وتثير شعوره واحتجاجه لما تصنفته من نحو إهانة المصاحف الشريفة وانتهاك حرمة بعض المعابد والاعناده على الأغراض .

وعلى أثر اطلعنا عليها في ذلك التاريخ قساً بآول الواجبات علينا نحو ذلك الموضوع واتصلنا برجال حكومتنا السنية لمعرفة حقيقة الأمر ؛ وقد أبدوا من حابهم اهتماماً يشكرون عليه واتصلوا بالمفوضية الإيطالية في القاهرة ، فابلغتهم أن ما نشر لا أساس له من الصحة ، وأصدرت بلافا بذلك نشرته جريدة المقطم في ذلك الحين . وكان في مبادرة المفوضية الإيطالية بأصدوره معنى التقدير للحرمات الاسلامية والشعور الاسلامي

وعلى أثر توالى الاحتجاجات وعدم اكتفاء الجمهور بهذا البلاغ المختصر اتصلت من جديد بحصرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء فافهمنى اهتمام الحكومة بهذا الشأن ، وأن حصرة صاحب المعالي وزير الخارجية عى اتصال بمجباب الوزير المفوض للحصول على بيانات أوفى وعند ما يتم ذلك سيطلع عليه الجمهور ؛ وقد شكرت دولته وحكومة جلالة مولانا الملك على تلك العناية .

ولا شك في أن الذى يهمنى ويهم العالم الاسلامي هو أن تكون شعائر الاسلام وعقائده وحرمات المسلمين هناك وفي كل مكان مصونة حتى تهدأ الخواطر وترد الى النعوس طمأنينتها ويزول ما اعتورها من قلق ؟

محمد الوهمري الطواهرى

# العلوم والآداب

## للعلم حدود لا يتعداها<sup>(١)</sup>

إن العلم والفلسفة يبدوان بميدنين كل البعد عن متناول عامة الناس ولكن الواقع أنهما ليسا كذلك ، فإن أجيالا متعاقبة من بنى لأنسان تناولوا معضلة الخلود بالبحث وبحوثا غوامض ما وراء الطبيعة والمادة ثم يروق العلماء والفلاسفة أن يطلقوا عليها أسماء ضخمة متعددة المقاطع وهم لا يعرفون عنها إلا القليل الذى يعرفه عامة الناس ، ولكن ابتكار تلك الأسماء الضخمة نجعلهم يشعرون بالبراعة والمبقرة ويتخذون منها سترا يتقنون به النقد ، والحقيقة أنهم لا يحيطون منها إلا بالزبد اليسير .

والواقع أن الفرد العادى ليس أقل تفكيراً فيما وراء الطبيعة والمادة من الفيلسوف الكبير ، فكلاهما تائه في مهامه هذا التفكير ، فاد تعمق فيه واندفع الى أقصى حدوده أففى به في النهاية الى اشك المطلق والاعتقاد بعيب ما يبدله من مجهود .

ونحن في هذا العصر عصر العلم والتعليم ليس لنا غرض أسى من التغلب على العامية ، فلا بد لكل فرد أن يعرف القراءة والكتابة سواء كانت العقول والمواطن قد هدبت وصقلت ، أو بقيت على خشونتها مما يفضى بأصحابها الى السخف والذهيان .

فالأراء والأفكار المشككة التي تخامر ذوى الحصافة الحقيقية تندفق بسرعة الى ذوى العقول الضعيفة فتجد فيها مرثما خصبا حيث يسيئون فهمها ويتخذون منها ذريعة للاستهانة بنظام لوجود ، وقد يأمن ذو العقل الى جح التقاد مغية الاعتقادات

(١) عن مقال لسوان هاردج الكاتب الأمريكى مجلة « Open Court » .

غير الثابتة التي لم يقم عليها دليل، وله أن يكون متشككا الى حد بعيد، لأن مثله من يقدر قيمة كل اعتقاد، ويعرف أن لاعتقادات النظرية لا يجب أن تسيطر على الأعمال؛ فهو اذا عمل اتبع الحقائق الثابتة ولم يجرور الخيال.

واكن الأمر بعكس ذلك في العقول الضعيفة حيث تسيطر العقائد على الأفعال، وليس لذلك علاج خير من أن يسيطر ذوق العقول الكبيرة على معتقدات العامة ويشكلونها بحيث يعملون تبعاً لعقيدة صحيحة بم يمود على لهيئة الاجتماعية بالخير والاسعاد.

لأن الفرد المادى اذا استند للشك أصبح غير أهل لا يام بوجبه نحو المجتمع فلا يمول عليه كأحد أفراد.

والمفكر البهانة كالعالم الكبير مثلاً يقبل تلك العقائد غير الثابتة — التي تستند كأصول العلوم على مجرد فروض يقول إنها بدئية — كما يقبل التقاليد لاجتماعية أو آداب الرسميات الدقيقة، فهي لا تحتاج في نظره لدلائل بل هو يؤمن كل الإيمان بالبناء المنطقي لذى يقيمه عليها مع أن هذا البناء لم يقم إلا على البحث العقلى المحض لذى قوامه الدليل والبرهان.

معتقدات المفكر البهانة كما رأيت لا تستند إذاً إلا على مجرد الفرض، وهذا الفرض لا يعموره الدليل فهو مقبول لديه على أنه بدهى وحسب؛ ومثله مثل تلك القواعد الأولى اننى بنى عليها أفليدس<sup>(١)</sup> هندسته المنطقية الطريفة فهي هي وحسب، وقد تظهر أحيانا وفي حالات معينة أنها تستند على مجموعة قوة من الحقائق الثابتة؛ وهذا كل ما يمكن أن يقال فى تأييدها.

وإنا اذا عرضنا آراء العلماء لمحك الاختبار رأينا أنهم يبدون ظواهر الطبيعة عقب حدوثها في صور معقولة يؤيدوا آراءهم بما يتفق وأميلهم العلمية، فيجملون من الظواهر

(١) عالم إغريق اشتغل بالهندسة حوالى سنة ٢٨٥ قبل الميلاد.



مبدأ وأسلسا لعلومهم دون أن يفقهوا ما وراء هذه الظواهر من حكم وأسباب؛ ولواقع أن ما يحتاج إليه اليوم عامة الناس هو الاعتقاد بما وراء الطبيعة والمادة مما يتنى لدوى الخبرة والدراية من علماء النفس والحياة أن يهيئوه لهم . وسيظل العلم مقصرا في أدء واجبه نحو الهيئة الاجتماعية الى أن يبدل السعى في هذا السبيل وإلا استحق ما يوجه إليه من اللوم والنقد؛ فجميل أن يحيط العلم بنقط الملاحظات الطبية الدقيقة أو يستغرق في أبحاث عميقة عن الحيوانات لديها أو غيرها، ولكن المعضلة الحقيقية التى توجهه هى أن يسيطر على المجتمع وعامة الناس بحيث يتيسر له أن يوالى أبحاثه الانسانية ويطلقها على المجتمع بدون أن يصطدم بمقائد أو أئام الدين يود أن يمد لهم يد المساعدة .

ومعنى هذا أن واجب العلم الأعلى هو أن يهيئ للناس عقائد صحيحة ويديرهم عليها حتى يتيسر لأممتهم أن يقوموا من الأعمال بما يتناسب مع ما أوتوا من ذكاء ومقدرة معتمدين على قوة هذه العقائد التى يعدونها ثابتة لا تقبل النقض والجدل، فان كثيرا من الناس يتحدثون اليوم من العلم مقياسا يقيسون به كل شئ حتى الدين، فاذا أيد عقيدة دينية أصحت هذه العقيدة أشد رسوخا وأكثر صوابا، وإلا فان هذه العقيدة تضعف وتخور .

على أنه يتضح مما ينشر بالجرند ومجلات لشائعة أن اسم ان يصصح المهدى المنتظر، امامة الناس، والواقع أن فائدته قاصرة من هذه الناحية لأنه يعترف صراحة بأنه يستند على فروض نظرية محتمة، ولكن الدين فضلا عن أن ساء منطق معقول فهو لا يستند على فروض نظرية بل يستند على أساس فوق العقول هو أساس اسم بكل شئ والقدره على كل شئ

فالعلم يقول هانحن أولاء عند الأساس . فهو هو؛ فننقم عليه صراحا ناعا، ولكن الدين يقول هالك الأساس الذى لا يعنوره التغير ولا التبديل، الأساس الذى وضعه

الله العالم بكل شيء تماماً كاملاً من الأزل الى الأبد، فننقم عليه صروح الحياة المثلّي،  
فهما آل اليه أمره في النهاية فإن أساسه قاطع بات لا مريبة فيه .

والواقع أن العلم ما هو إلا عقيدة موضوعية بطريقة جازمة، أو هو عقيدة  
لأقلية المفكرين من الناس لا لعامةهم، ويختلف عن الدين في موقفه إزاء مبادئ العامة  
تلك المبادئ التي لا تتمدى كونها فروضاً بحتة يسم بها العلم على أنها فروض ولا يعتبرها  
نهائية بأي حال .

فالعالم يفرض مثلاً أننا نصل بالملاحظة وإجراء التجارب إلى استنباط النواميس  
الطبيعية باستنتاج معلومات خاصة، وهذا افتراض في نفسه، لأن للملاحظة وإجراء  
التجارب كثيراً ما أنتجا عقائد باطلة كما أنتجا عقائد صحيحة، ولن يمكن أن نقيم الحجة  
على صحة الفرض عقلياً فهو وحسب، ومن هذه النقطة - لا من قبلها - يتابع العلم  
سيره؛ وعلى هذا المنوال يفرض العلم علة الوجود وطراد وقوع ظواهره تبعاً للناموس  
الطبيعي، كذلك يجاهد العلم مبدأ لا يسير به العقل في افتراضه أن السبب والمسبب هما  
وحسب، وفي شعفه وهيامه بطراد وقوع الظواهر الطبيعية وانتظامها كفكرة أن  
الشمس سرف تشرق غدا لأنها أشرقت أمس، وأنه لن تقع معجزة طارقة لذلك لأن  
الناموس الطبيعي يأبأها، فالعلم في كل ذلك يفترض فروضاً جديدة .

جلس مرة ممثل هنزلي الى المعزف (البياتو) وقال: « سأعزف الآن هذه القطعة  
كما يعزفها بلدروسكي<sup>(١)</sup> لو أنه عزفها كما سأعزفها » .

وهذا هو موقف العلم إزاء الظواهر الكونية؛ فنحن نرى القمر وهو الذي  
يرسل شعاعه الى عيوننا، وقد نرى شعباً من الجن كما رأينا القمر رؤية مؤكدة فلا يكون  
في نظر العلم شعباً من الجن بالرغم من رؤيتنا له لأن العلم لا يعترف بوجود الجن، كذلك

(١) هو المؤلف للموسيق البولندي المشهور .

القول بعدم إمكان وقوع المعجزات وخو رق لطبيعة، فالعلم يقول بعدم إمكان وقوعها لأن ذلك لا يتفق ونظام النواميس الطبيعية مع أن العلم هو الذى استنبط هذه النواميس باستنتاج معلومات خاصة من الظواهر الطبيعية. هذا الى أنه لا يمكن أن يدلى بالدليل القاطع على صحتها لأنه من المستحيل على العلم أن يتثبت من كل خاصية على حدها فى أية ظاهرة من ظواهر الطبيعة، فلماذا وحقتك لا يحيز وقوع الخوارق بين الخواص الكثيرة التى لا يحيط بها ؟

ليس لذلك سبب معقول ولكنه يصر على أنها لا تحدث، فإذا حدثت وقف أمامها باهتا مذهولا .

لماذا لا يقرر العلم وجود خالق هو سبب الوجود الأول ؟ إتانا لا نجد لذلك من سبب سوى أن العلم لا يريد أن يحمل ذلك مبدأ له . ولكن ما فائدة مبدأ اطراد الناموس الطبيعى اذا نقضته الطبيعة بخارقة من الخوارق ؟

ولماذا يكون العلم التجريبي المستمد من الاستقصاء والتعربة أعظم قيمة وأجل قدرا من العلم الوجداني الذى يلقى فى روعنا ويُسهرنا بأنه الحق الصراح ؟  
ليس لذلك من سبب سوى أن العلم يقبل الأول ويسم به، ويرفض الثانى على أنه لا يعمل عليه .

وهنا نجد بعض الالتباس فى آراء علماء الطبيعة وعلماء النفس ؛ فالأولون يقولون إن كل ما فى الوجود آلى سواء كان سببا أو مسببا ؛ والآخرون يقولون إنه وجداني وإن الوجدان هو الكل فى الكل .

على أنه من الممكن أن نجتمع بين رأيتين المتفرقتين فى وحدة كاملة لفرض الدراسة والبحث وبخاصة فى هذه الأيام التى أصبح فيها علم الطبيعة أسلس قياداً للبحث العقلى من قبل ؛ فقد جاء منمن مقال للورد هالدين بمجلة القرن الصادرة فى شهر ديسمبر

سنة ١٩٢٨ أن أينشتاين<sup>(١)</sup> قد أظهر لنا أن الزمان والفضاء ليسا إلا نسبة بين العقل وما نراه من الأشياء ، وأن هذه النسبة تعبر بحسب مربعة العقل الذي يراها . فترى من ذلك أننا قد رجعنا إلى العمل حتى في علم الطبيعة فليس هناك غير العقل شيء وليس لأي شيء معنى بدون العقل .

كذلك يقولون إن نظرية التطور ( النشوء و الارتقاء ) تستند إلى طريقة علمية هي طريقة الاستقصاء والتجربة ، ولكن علام يستند هذان ؟ فالاستقصاء والتجربة قد أنتجا حتى في نظرية التطور أفكاراً وعقائد خاطئة تبينت فيما بعد ، فإذا كان الأمر كذلك فأى عقائد الطبيعيين صحيح اليوم وأبها خاطئ ؟

يقول الطبيعيون إنه يستحيل تعيين خاطئ منها خطأ تاماً والخاطئ بمض الخطأ ، ويعتقدون أن لتقدم العلم - وف بحول التنظيرية ( نظرية التطور ) إلى مبدأ صحيح يسلم به الجميع ، ولكن الطبيعيين يعترفون أن مبادئهم الأساسية ما هي إلا فروض وحسب ، فهم إذن لا تستند على طريقة علمية صحيحة . هذا إلى أنهم يعترفون بأن طريقة البحث العلمية قد اتحت - مراراً وتكراراً - أفكاراً خاطئة في دائرة العلم المحدودة التي يدرسونها . وما يدرينا أن اعتمادهم على الطريقة العلمية واعتقادهم بتقدم العلم ليسا من العقائد الخاطئة أيضاً ؟

ولنسم معهم جدلاً أن نظرية التطور أصبحت صحيحة فماذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة أنها تصبح مبدأ قاطعاً يسلم به كل إنسان غير مستندة في ذلك إلى حقيقة أو استقصاء أو تجربة أو طريقة علمية بل تصبح كذلك لأنها هي هي وحسب ، وبذا تصير نظرية التطور كنظريات العلم الأخرى عرضة للنقد والتحريح إذا بحثناها من أساسها بحثاً عقلياً .

(١) هو العالم الألماني المهور صاحب النظرية النسبية .

نعود الآن الى حيث بدأنا فنتقول إنه لا بد لسكل إنسان من أساس لعقيدته والناس يعتقدون ما يشعرون بصلاحيته وصحته فيتحذون من عقيدتهم ما يقيمهم شر الشك والفوضى التي تلحق الفكر من جرأته ويلتمسون منها مدحا آمنا وأساسا مبنيا يشيدون عليه صرح عقولهم ويكفون به أنفسهم مؤونة الشعور بعيب لوجود .

والواقع أن ما نراه من النظام في العالم ليس إلا ما تخضعه عليه عقولنا وأنا لا نحيط من أسرار العالم إلا بالزر اليسير .

ولذلك كانت للمعجزات وخوارق الطبيعة تستند الى سبب أقوى من القوانين العلمية لأنها تشير الى تلك الرغبة الانسانية المعقولة في وجود رب رحيم يكلؤنا بعنايته ويتولانا برحمته ، على حين أن لنموس لطبي لا يعبا بأ أو يعنى بأمر من أمورنا ، فانه وحده هو المرجع والأساس .

وواجب العلم أن ينظر الى الحياة في جنتها ، وأن يخفف من غلواء عقائده الجازمة بشئ من الشك ، ويلتمس رضا لنفس والعقل بدلا من الجزم بصحة نظرياته فانه لن يحيط من أسرار العالم بكل شئ .

## ضغط الدم وعدد النبضات

جاء بحلة « Kosmos » الألمانية أن لأبحاث التي قام بها الأستاذ الدكتور هيرنج دلت على أن مقدار ضغط الدم يتناسب تناسب عكسيا مع عدد نبضات القلب ، أي أنه كلما ازداد عدد النبضات ينخفض ضغط الدم ، وإذا قل عدد النبضات ارتفع ضغط الدم ، وفي كلتا الحالتين يتوقف مقدار هذا وذلك على عمر الإنسان ، فقد لوحظ طراد ارتفاع ضغط الدم ونزول عدد النبضات انقلبية الى أن يبلغ الانسان الحادية والعشرين من عمره .

ومن البدهي أن معرفة العلاقة المتبادلة بين مقدار ضغط الدم وعدد نبضات القلب ثم ارتباط قدر كل منهما بعمر الانسان مما يسهل على الطبيب تشخيص الأمراض بدقة .

## تقدير قيمة الذكاء<sup>(١)</sup>

---

الذكاء عبارة عن المقدرة على تكيف الأشياء والقوة التي نستطيع بها حل مسائل جديدة .

ولكن هل معنى ذلك أن هناك وظيفة للمغفل قائمة بذاتها ويمكن عزلها عن بقية القوى العقلية ؟

لقد قرر ( سبيرمان ) « Spearman » بعد تحليل دقيق للعلاقات التي تربط نتائج النجاح لمدة تجارب بأن هناك عاملا مشتركا للنجاح يطلق عليه اسم « الخلق العام » أو « الذكاء العام » .

ومن جهة أخرى نرى لدى الحشرات أو الحيوانات الفقيرة أن لذكاء ينمو على حساب الإلهام الغريزي بنسبة موازية لتقدم النشاط المرتبط بتكوين مراكز عصبية لا تقوم بوظائف القوى الدافعة ، أو تلك هي الأجسام ذات الساق للغدة المخية لدى الحشرات ذات الأجنحة الغشائية مثل الممل والنحل وهي غشاء أنصاف الكرات المخية عند الحيوانات العليا ذات الفقرات . وأن النشاط الآلي المستقل عن الإرادة وعمل الفرائز وحياة المواطن البحتة لدى الحيوانات ذات الثدي تتوقف على مراكز عصبية قديمة التكوين وهي عبارة عن أجسام كثيرة الأضلاع والغلافات كما بينها بنوع خاص تجارب الاستئصال الحديثة عند قطع نصف المخ لدى الكلاب والقط على طريقة ( روتمان ) « Rothmann » ( وزيليوني ) « Zetiony » ( ودوسر دي بارن ) « Dusser de Barenn »

(١) معربة عن نسخة من كتاب « تنمية قوى الذكاء » لـ « هيرى هيرى بيرون » نشرت بمجلة « الكتاب » الفرنسية .

لكن الحصول على التجربة واستعمال وتطبيق هذه التجربة الخاصة بكل فرد كل ذلك يسمح لنا بتطبيق مبرر للتجربة يمكن في عدة ظروف مختلفة لحياة مركبة معقدة، وليس هذا ميسوراً إلا مع وجود النشاط الذي تقوم به وظيفة نصفي المخ مما وهي وظيفة من نوع تلك الوظائف التي لا تؤدي إلا مشتركة، وقد حاول (باولو) «Pawlow» أن يحدد قو بينها الأساسية في رسالته عن الحركة الآلية المجردة عن الإرادة «Reflex» لدى الكلب.

فالعنة عند الانسان نتيجة محتمة لوقوف نمو غلاف المخ أثناء حياة الطفل عقب ولادته بزمان قصير؛ ويمكننا أن نقرر أنه من المرجح أن نمو الذكاء العام يسير بموارة نمو المراكز العليا للمخ وبالأخص بموازاة نمو مقدرتها على القيام بوظائفها وبمحوكتها الخاصة، هذا فيما لو كان الأمر قاصراً على عامل واحد فقط، لأن الباحث التي لا تزال مفتوحة على مصراعها لا تمنع على ما يظهر من احتمال وجود عدة عوامل مركبة مع بعضها (وهي التي يمكن أن نعد بينها بعض الصفات المحركة للأعصاب المتجمعة وطرق اشتراكها في العمل وقوة العوامل المحركة للمواطف وغيرها).

ولكن الدراسة المباشرة لهذه العناصر العضوية التي تتضمنها المقدرة على حل المعضلات تكاد تكون غير ممكنة ولا يمكننا أبداً — لو كان التقدير المباشر في مقدورنا — أن نجعل بمثابة تقدير لذكاء. ولتأت بمثل بسيط: إن سرعة عربة سيارة ترجع الى عامل أساسي هو لمحرك وعلى الأخص قوة المحرك ولكن هل تكفي معرفة قوة المحركات المختلفة لعدة سيارات حتى نستطيع أن نضع ترتيباً تدريجياً للسرعات الحقيقية لتلك السيارات. لا شك، لا، لأن ثقل ونوع العجل وحالة العجلات ونوع المطاط وغيرها كل ذلك يلعب دوراً مهماً في التقدير.

ولسكن نرتب العربات حسب السرعة فإن إجراء التجارب لمعرفة السرعة هو الوسيلة الوحيدة لوضع ذلك الترتيب، ونحن نعرف أنه لا يوجد في العربة أية وظيفة

أو آلة تقابل تسمى السرعة بل هذه السرعة هي عبارة عن حكم تقديري لسير العربة من وجهة نظر معينة من عدة وجهات نظر أخرى مثل لاير د أو مقدر ما تستهلكه في الكيلو متر أو مبلغ قوتها في الحب وغير ذلك مما هو ممكن اعتباره لوضع ترتيب لدرجات العربات، كذلك نحن نقدر درجة الذكاء بحسب قوة وظيفته في التغلب على الصعاب دون أن تكون هذه القوة ناشئة عن مقدرة خاصة بالعقل تلك الذاتية غيائية التي إذا أدخلناها في تقدير ما لقوة الذكاء لما أفادتنا بشيء سوى أن تفسد علينا التقدير. وفي الواقع أن العقل عند ما يتصادم مع مشكلة من المشاكل فإنه يتخذ جميع الوسائل التي لديه ليصل إلى حلها حلا قويا صحيحا لجميع وظائف العقل تشترك في هذا العمل المركب لدى يتيح لنا نجاحه الكثير أو القليل الفرصة لتقدير درجة الذكاء إلا أن اشتراك وظائف العقل يتطلب توازنا متناسبا مع نفس طبيعة المسائل المراد حلها بحيث إنه لا يكفي أن نقدر قيمة كل وظيفة على حدة وأن نجعل من مجموع تلك القيم الجزئية تقديراً حسابياً للذكاء، وكذلك الحال مع عربات السيارة فإنا إذا أعطينا مثلاً رقماً معيناً لقوة محرك وثانياً للمحل وثالثاً لنوع المضاطور ر بما « لوبركات » عدة من العربات السيارة فإنا لأنكثي مجموع الأرقام التي وضعناها لكل فئة لكي نستطيع أن نضع ترتيباً بدرجات تلك العربات فيما لو أردنا أن نقارن بين سرعة كل منها بل يجب علينا أن نقوم بتجارب مباشرة لكل عربة في ظروف وشروط معينة عن المدة والمسافة



## حوادث طرابلس الغرب

نشرت صحف القاهرة أنباء ما يرتكبه الإيطاليون في طرابلس الغرب من فظائع وديات هذه الأنباء على أنهم يسومون نفوس أولئك الضعفاء أقصى العذاب وأشد القتل ، وينزعون منهم ديارهم ومزارعهم ، ويتعرضون لإهانة دينهم وكتابهم على مرأى منهم ، وينتهكون أعراض محارمهم ، ذاعت هذه الأنباء فارتجف لها العالم الاسلامي فزعا ، وانهاال المسلمون بوجهون برفقيات الاستنكار والاحتجاج الى الصحف والمقامات التي يأنسون فيها عطفًا على الانسانية .

وكان حصرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأ كبير شيخ لجامع الأزهر خاطب حضرة صاحب الدولة رئيس الوزرء ليتكلم مع المفوضية الإيطالية في هذا الشأن كما جاء في بيان فضيلته المنشور في ص ٥٨ فأصدرت المفوضية ذلك البلاغ الملبم ، ولم يجد فيه الناس ما يضعف الثقة بالأنباء التي تصف تلك الحوادث بتفصيل .

وما لم تصدر المفوضية الإيطالية الاغا ينفي تلك الحوادث المفصلة نفيا مؤيدا بالشواهد فحجة نور لاسلام لايسعها إلا أن رفع صوتها بإسكار تلك الحوادث ، وترجو من عصبة الأمم ورجال الدول الذين يحدون في أنفسهم شيئا من الشفقة على الانسانية أن ينظروا إلى ذلك الشعب الضعيف برحمة ويتعدوا الوسيلة إلى إنقاذه من ذلك العسف الشديد ، حتى يتحقق لاسلام ، وتمتد ظلال الأمن ، ولا يكون للأقوياء على الضعفاء سبيل غير سبيل العدل

## كتاب التربية الاستقلالية

أميل القرن التاسع عشر

أهدى حصرة صاحب العزة لاستاذ عبد العزيز محمد بك المنشار بمحكمة الاستئناف الأهلية سابقاً، ومدير مجلة نور الاسلام، الى مكتبة هذه المجلة نسخة من هذا الكتاب الذى هو فى الأصل للمونس اسكروس، ونقله حضرته من الاخرسية الى العربية، وهو كتاب يرى مؤلفه الى غاية هى إنشاء الطفل حراً مستقلاً : تصدر أعماله وآراؤه عن اختيار وعلم لا عن اضطرار وتقليد . والكتب موضوع على أسلوب يقرب من أسلوب القصص ليكون أشهى للتنفوس . وأنى للملل عن القلوب، وقد سلك حضرة لاستاذ فى تربيته أوضح طريق البيان حتى أن القارئ لا يشعر بشئ من التعسف الذى يحسه فى كثير من الكتب العربية، بل يقرأ أن الكتاب فلا يجد أمامه إلا ألفاظاً مهذبة عذبة، وأساليب راقية متينة . وقد قدرت وزارة المعارف العمومية فى مصر هذا الكتاب، وعرفت مبلغ ما يكون له من الأثر الطيب فى تربية النشء . فقررت تدريسه فى مدارسها الثانوية . وقد تم طبعه الطبعة الرابعة فى مطبعة دار الكتب المصرية، وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بجمال الطبع، وشكل الحروف شكلاً تاماً، وزيادة تعليقات فى بيان كلمات لغوية أو فنية، أو فى نقد آراء اجتماعية، فنشكر حضرة الاستاذ العرب إهداءه هذا الكتاب النافع، وحث أهل النعم والأدب على اقتنائه . وهو يطلب من منزل حصرة للعرب بالحمية الجديدة شارع مصطفى بك سرى رقم ١١ ومن دار جمعية لطباعة الاسلامية بسكة الشاورى بالحمية الجديدة رقم ١١

محمد

صلى الله عليه وسلم

## المثل الكامل

—

تأليف حضرة الفاضل الأستاذ محمد جاد اللوى بك المفتش بوزارة المعارف ، وهو كتاب بين فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المثل الكامل ، قال في مقدمته : « لما كانت سيرة محمد صلى الله عليه وسلم من مولده الى مماته ثابتة ثبوتاً لا مصرية فيه لجميع أعماله مدونة ، وأحاديثه مسطورة شاملة لما يحتاج إليه بنو البشر في معاشهم ومعادهم ، وكانت حياته ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بإمهاض بنى الإنسان وتثقيف عقولهم ، وتقويم أخلاقهم وإصلاح شؤونهم ، كان هو لثل الكامل » ويحتوى هذا الكتاب على مقدمة وعشرة أبواب : الباب الأول - الى محمد صلى الله عليه وسلم ترد الفضائل جميعها . الباب الثانى - محمد صلى الله عليه وسلم بين الرسل . الباب الثالث - الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى اقتضت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . الباب الرابع - مراحل حصول النبوة واستقرارها . الباب الخامس - الأدلة القاطعة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم . الباب السادس - محمد صلى الله عليه وسلم أكبر المصلحين نجاحاً . الباب السابع - محمد صلى الله عليه وسلم أوفى لأتباعه ديناً . الباب الثامن - محمد صلى الله عليه وسلم أشرف خلق الله . الباب التاسع - محمد صلى الله عليه وسلم أجدر الناس بالإيمان به ومحبته واتباعه وطاعته . الباب العاشر - موجز السيرة النبوية .

وهو محرر فى عبارات واضحة متينة ، وأسلوب سهل رصين ، وقد طبع مطبعة

دار الكتب المصرية طبعاً متقناً ، فى ورق جيد تبين صفحاته ٢٧١ .

فنشكر لحضرة مؤلف هذا العمل جليل، ونحث أهل العلم والأدب على اقتنائه، والاستفادة منه.

ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي.

## كتاب المبسوط

للإمام شمس الدين أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي

في مذهب الإمام أبي حنيفة

قام بطبعه حضرة العاضل الحاج محمد أفندي السامي المغربي، في ثلاثين جزءاً

ويطلب من مكتبته في سوق الفحامين

تبيير : وقع في فهرس موضوعات المجلة ٨ ١١ « ظاهرة مرئية » . قلم  
الترجمة - ص ٦٧٢ والصواب « ظاهرة مرئية » . قلم التحرير - ص ٦٨٢



It contained reference to natural phenomena and heavenly mysteries which recent investigations have disclosed and science has fully proven as in the verse

« وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ »

meaning: " And we sent forth the fertilising winds." (1)

and « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ »

meaning: " He hath let loose the two seas to meet each other yet interposed a barrier between them which they overpass not" (2).

and « أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ »

meaning: " Have the unbelievers not seen that the Heavens and Earth were both a solid mass, and we tore them apart, and that from water We gave life to every living thing (3), Will they not then believe?"

Such is the Holy Koran as revealed to Mohammad the last of the prophets and the seal of God's messengers, recorded in book form and learnt by heart from the time of its revelation unto eternity.

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

meaning: " Verily We have sent down the Koran and verily We will be preservers thereof "

---

(1) Winds carry pollen to fertilise trees.

(2) Fresh water of rivers and salt water of seas meet but never mix on account of the difference in density.

(3) Water is the main constituent element in plant and animal life

*meaning* - " They shift the words from their places, and have forgotten part of what they were enjoined (1).

" Thou wilt not cease to discover deceit among them except in a few of them But forgive them and pardon them for verily God loveth the benevolent."

«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثم قليلا فويل لهم

عما كتبت أيديهم وويل لهم عما يكسبون»

*meaning* : " Woe unto those who misconstrue the Book with their own hands and then say, "This is from God" that they may sell it for some paltry price!

" Woe unto them for that which their hands have written! and woe unto them for what they gain thereby "

The Koran reveals perfect tenets suitable for all times and nations and vouchsafes the welfare of mankind in this world and the hereafter if on y these tenets were rightly interpreted and duly fulfilled.

It inspires noble and virtuous conduct : patience, truth, honesty, equity, kindly treatment, neighbourly love, fulfilment of covenant, enjoyment of righteousness, forbiddance of evil and such other qualities which will inevitably result in the ascendancy and elevation of nations to the zenith of greatness and glory.

This, over and above, its foretelling of future events which took place long afterwards as for instance in the verse :

« لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين »

*meaning* : " Ye shall surely enter the Sacred Mosque in security by God's will." (2)

and « عبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد عليهم سيعبون في بضع سنين »

*meaning* " The Greeks have been defeated in a land near by but after their defeat, they shall defeat (their foes) in a few years." (3)

(1) In the scriptures.

(2) Foretold long before the conquest of Mecca.

(3) The Greeks were defeated by the Persians in the sixth year before the H-jra but inflicted a crushing defeat on their foes a few years later.

« إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون .  
« واختلاف الليل والنهار وما أرسل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريفه  
الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون »

*meaning :*

" Verily in the Heavens and the Earth are signs for the believers.

" And in your creation and in the beasts which are scattered abroad are signs for a people who firmly believe.

" And in the succession of night and day, and in the rain which God sent down from the Heavens whereby He gave life to the Earth after it withered, and in the directing of winds are signs for a people who understand

" Such are the signs of God : with truth do We recite them to thee. In what discourse then, above the signs of God, would they believe ? "

The Koran reviews the history of past people and narrates stories from which deterrent examples are derived . It shows that their downfall and destruction were due to their deviation from the path of righteousness, their violation of God's commandments and their thanklessness for His blessings and favours

« لم يروا كم أهكنا قبلهم من قرون مكناهم في الأرض ما لم يتمكن لكم . وأرسلنا السماء عليهم مطارا  
وجعلنا الأنهار تجري من تحته فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قروا آخرين . »

*meaning :*

" Have they not witnessed how many generations We have destroyed before them ?

" We had firmly established them on the earth as we did not establish you.

" And We sent down the Heavens upon them in copious rains, and We made the rivers to flow beneath them (1). then We destroyed them in their sins, and raised up other generations to succeed them."

It decried the alteration, by theologians of past religions, of their books, the misinterpretation of its texts and the inclusion of new precepts in their religion

« يعرفون الكلام عن مواضعه ونسوا خطا مما ذكرناه ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا  
منهم فاعف عنهم واصبح إن الله يحب المحسنين »

---

(1) We gave them plenty and prosperity

masterpieces of prose and poetry were recited and the contest waxed hot between them for mastery and pride of place. They were a proud, haughty and supercilious people who would not acquiesce to iniquity or suffer any humiliation. They were keenly intent on the destruction of Muhammad and the refutation of his claims, yet, he called upon them, at the behest of God, to emulate the Koran and provoked them to dispute it if they can « فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ »

*meaning:* "Let them produce a discourse like it if they are truthful," and « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »

*meaning:* "And if ye be in doubt as to that which We have sent down to our servant, then produce a text like it, and summon your witnesses, apart from God, if ye are truthful."

They could have assembled a mighty array of great orators and erudites to produce something like it and spare themselves the disgrace of being beaten, but they dared not do it or venture thereon in spite of the long duration of the challenge and their insistence on contumacy and disbelief.

And if the Arabs were incapable of emulating the Koran, others were even more so, and God hath, therefore, recorded their failure thus :

« قُلْ لَنْ أَحْتَمِلَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ لُبٌّ لَعَسَىٰ قَلِيلًا مِمَّا يَكْتُمُونَ »

*meaning:* "Say, Verily were men and djinn assemble to produce the like of this Koran, they could not produce its like though some were to support the others."

A conclusive and categorical assertion which no man, incognisant of future talents and faculties, could make. But it is the utterance of God the bestower of talents, the apprised of past and future who knows full well that the Koran is beyond the capacity of men and that failure and ignominy are the inevitable lot of whomsoever sets himself to its imitation.

We proceed now to consider some of the contents of this Holy Book. The Koran draws the attention to God's creation of heavens and earth and inspires the meditation of His marvels which point out to the existence of an omnipotent God.



incumbent on every rational individual to believe implicitly therein and follow its teachings throughout his life.

Just as the Koran afforded a proof during the Prophet's lifetime that polytheists of the Arabs and many people of the scripture embraced Islam evidence of the continuance of his creed after his death was not lacking. Countless numbers of Persians and others adopted Islam and the Book of God still remains a stupendous miracle establishing the authenticity of Mohammad's mission and an invulnerable evidence of the permanency of his Faith.

---

## The Holy Koran.

---

The Holy Koran « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » "a Book whose verses are judiciously arranged and clearly set forth from the Wise, the All-informed" revealed by the Almighty to His messenger Mohammad to warn mankind in a clear Arabic tongue. It appealed to the hearts of men with goodly advice and to their minds with clear proofs and testimony. It drew their attention to the marvels of the universe with the result that minds were freed from the shackles of bondage, and signs of animation began to show after their long slumber and inactivity.

The Koran was revealed to Mohammad the illiterate Arabian prophet who never had a tutor or held converse with a philosopher, nor read a book or penned a single letter with his own hand. It was sent down to establish his mission and prove, beyond all doubt, the truth and authenticity thereof. It constituted a challenge to the Arabs in their entirety and did not single out for that purpose one particular clan or tribe. The contemporary Arabs were masters of rhetoric and champions of eloquence and oratory. Prose was their best asset and poetry their most profitable avocation. They included in their number some of the most eloquent orators and august poets of great genius. Literary contests were the order of the day; they were wont to hold meetings at which

whose sole occupation was to make incursion on one another massacring men and plundering property.

No sooner had a war between two tribes come to an end than another broke out in its wake. This, to their misguided beliefs and the predominance of delusions and superstitions in their minds. Their moral decadence and debased customs have reached such an extent that they were wont to kill their sons for fear of penury and bury their daughters alive to spare themselves the disgrace their future life may bring.

The condition of other nations was no better, paganism pervaded the corners of the globe and pyrolatry and sabianism were practised to the exclusion of God's worship. The beliefs of the religious people were no less tainted with perversion and corruption. They ascribed to God such attributes as were incompatible with his perfect Divinity, misconstrued and altered the text of their Holy Books and arbitrarily laid down new precepts and admonitions. Their patriarchs prohibited the consideration of any of the holy texts and comprehending the meaning thereof thus divesting the mind of its functions and stifling the ardour of thought. Iniquity and despotism were rife, the strong appropriated the gains of the weak and the rich dissolutely indulged in pleasures and dissipation while the poor were crushed under the harrowing burthen of misery and destitution. The unviolable rights of individuals were violated and sins were shamelessly committed. Signs of truth were obliterated and the right thereof dimmed forever as mankind deviated from the path wherein lies its salvation in this world and the hereafter.

It was out of God's mercy and benevolence towards mankind that He sent unto them a prophet to recall them from perversion and lead them unto the path of godliness and prosperity. He hath chosen Mohammad for this mission and honoured him with the announcement of His dispensation.

His mission was intended for mankind in its entirety as the need for reform was universal and comprehensive. He hath therefore, supported him with a miracle which surpassed, by far all other miracles of the prophets preceding him. Theirs were natural phenomena that came to an end as soon as they have taken place or when the prophet supported thereby passed away such as the cleaving of the sea by Moses and the healing of incurable diseases by Jesus. But Mohammad's miracle is the Holy Koran, that eternal and intellectual marvel handed down by tradition and preserved from distortion and alteration at the behest of God.

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »

*meaning* " Verily We have sent down the Koran and verily We will be preservers thereof."

The Koran makes its appeal to the minds of mankind and affords an irrefragable proof of the truth and authenticity of Mohammad's mission that it is

Alone and single-handed and yet he achieves success and saves a people who were steeped in gross sin and wickedness, henceforth directing their hearts to the one and only God, creator of Heavens and Earth at a time when every tribe had an idol god of its own make to which it pays homage and veneration.

He had introduced thereby order after chaos, unity after discord, co-operation after dissension, thus rendering his country the reformer of nations and mistress of the world.

Could all that be achieved by individual effort unaided and unsupported by the Almighty God?

Nay, forsooth! This could never have been accomplished save with the favour and grace of God.

A man who was sent to convert people whether religionists or atheists to their innate nature, to monotheism, the belief is one and Almighty God, infallible and far above taking a partner, a son, a father or a wife unto Him.

A man who announced unto mankind a new dispensation in connection with their worship and worldly affairs, a dispensation which has, hitherto, been the most perfect that a prophet had ever revealed, and proclaimed it the word of God and Lo! God never belied, forsook nor failed him and He who saith:

«ولو تقول عيسى بمص الأفاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين»

*meaning* "If he had fabricated concerning Us any sayings,  
We would have surely seized him by the right hand,  
And had cut the vital vein of his heart,  
Nor would any of you withhold him therefrom."

But He, therewithal, augmented his success and bestowed yet more and more godliness and prosperity on those who followed him. And when his mission was accomplished and his message duly delivered he gave utterance on behalf The Lord to the verse:

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»

*meaning* "This day have I perfected your religion and completed mine favours upon ye and chosen Islam to be your religion."

Could such a man be other than truthful and whatever he proclaimed anything but true? Aye, forsooth! There could be no doubt that he is truthful and that his Religion is true.

We proceed now to inquire into the condition of the Arabs before the advent of Mohammad

As already pointed out, the Arabs were contending and dissident tribes

## THE MISSION OF MOHAMMAD. <sup>(1)</sup>

---

The mission of Mohammad extended over twenty three years thirteen of which he spent in Mecca calling Koreish to the Faith but getting no response except from a few of them and a handful of others. He had suffered thereby all sorts of insults and persecutions which were humanly intolerable had it not been for the fortitude with which the Almighty had endowed him.

The other ten years he spent in Medina whence the call to The Faith had grown stronger and Islam spread among the tribes of the Arabs, and people betook themselves in multitudes to the Religion of Allah till it pervaded the whole Peninsula and Lo! This illiterate, ignorant, idolatrous, contending and dissident people have become enlightened, united, monotheistic and conciliatory.

A truly striking reformation rendered more so by its quick development and minute precision. A reformation which combined the spiritual and physical welfare of mankind in a just measure and with due moderation.

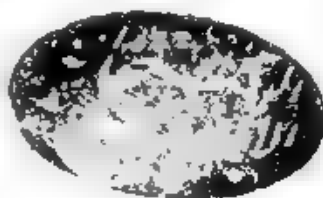
History has never witnessed, and it never will, such a swift and all-comprehensive change in beliefs, manners, customs and social conditions achieved in any country by any reformer or prophet before the advent of the Prophet Mohammad.

A man who was brought up an illiterate orphan in poor circumstances, in a corner of the globe far away from order and civilisation, from erudition and learned people among kinsmen and relations who were misguided polytheists, and yet grows up to abominate the delusions and superstitions under which his own folk labour and distinguishes himself by noble conduct and most excellent traits of character.

When he attains manhood, he declares his disagreement with his own folk and his discountenance of the evil beliefs, the shameful morals and pernicious habits of the people.

---

(1) Translated from the Reverend Sheikh Hassan Mansour's Book "*The Muslim Religion*".



تَدْعِيَةُ كَوْنِ الْقُرْآنِ وَكَتَابِ مُبِينٍ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ وَصَوَّاهُ يُسَلِّمُ إِلَى سَلَامٍ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ وَكَرَمِهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ •

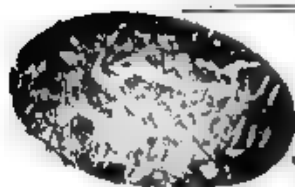
# بُفَا الأَزهَر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكيمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

المجلد الثاني	صفر سنة ١٣٥٠	العدد ٢
---------------	--------------	---------



رئيس التحرير  
البر  
محمد الخضر حسني  
من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد المجيد بن  
عبد المجيد بن

المستشار بمحكمة الاستئناف (سابقا)  
وس أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الاشتراك	الإدارة
داخل القطر المصري ١٠ ... .. للملأ غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس ٢ خارج القطر المصري ٥٠ ... .. لطلبة المعاهد والمدارس ٣٠ ... ..	شارع محمد مظلوم باشا رقم ١ تليفون : ٣٥٠٧ الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل أقمحة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والعمال صامعة الطلاب

وتمن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### كتاب يهذى في تأويل القرآن المجيد

علم الله أن في البشر عقولا لا تدرك وحوه الخير، وأن في وجوه الخير ما لا تصل إليه العقول بنفسها، وعم أن فيمن يعقلون بعض هذه الوجوه أولى أهواء زراعة إلى الشر، فأُنزل كتابا يدعو إلى توحيد الخالق ويهدي إلى مكارم الأخلاق، ويسن للقضاء والسياسة العامة أحكاما عادلة، وينبه على بعض سننه في الخليقة لتدرك بالغ حكمته، ويذكرنا بأيام أمم قد خلت من قبلنا نتعظ بها، ونحذر سوء منقلبها، ويقص علينا من أنباء رسله ما يصف لنا صبرهم على ما أودوا، وتأنيده لهم بما قطع عذر المنكرين لرسالتهم، ويخبر عن بعض الحقائق الغائبة عن أبصارنا انزاد على سعة خاقه وكمال قدرته، ونفقه أن ما لدينا من وسائل العلم لا نكسب به من العلم إلا قليلا

وقد شاء الله تعالى أن ينزل هذا الكتاب على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقضت حكمته أن ينزله بلسان عربي مبين: لسان أمة احتضنت لذلك العهد مجازيا تهيوها لأن تقبل دعونه، وتفقه مقاصده، وتشيد بجانبه دولة تقيم لمن تقلدوه عزة، وتعد على رموس دعائه حماية يتقبسون في ظلالها، ويباغون لأمر هداية الله تحت رايتها.

أُنزل الله كتابه الكريم، وعهد ببيانه إلى رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم، فخلق عنه أصحابه ذلك الكتاب وبيان ما كان يخفى عليهم من آياته، فما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى تركها شريعة غراء ليها كنهارها، وما انقضى عهد أصحابه رضي الله عنهم حتى ورثها عنهم التابعون وأدّوه إلى الذين جاءوا من بعدهم بأمانة وتقوى، وما زال القرآن يدرس والرسوخون في العلم لا يختلفون في فهم آياته إلا آيات

لا يمس الخلاف فيها أصلاً من أصول الدين ، وليس فيما يمتد به من هذا الخلاف ما يخرج فيه الفهم عن أساليب اللغة العربية ومقتضى وضع العاظماء ، حتى ظهر أشخاص قل في علم اللغة نصيبهم ، أو خف في علم الشريعة وزنهم ، فتناولوا القرآن بمقول لا تراعى في فهمه قوانين البلاغة ، ولا تدخل إلى تفسيره من باب السنة الصحيحة ، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة ومزاعم منبوذة ، ووجدت هذه الآراء وهذه المزاعم عند بعض العامة وأشباه العامة متقبلاً .

وشر من هؤلاء طائفة الباطنية الذين هم رهط من المحوس ثمروا على أن يكيدوا الإسلام بتأويل القرآن على وجوه غير صحيحة ، ليصرفوا الناس عن محمته البيضاء ، ويأخذوهم إلى ما شاءوا من نحل خاسرة وأهواء ، ولولا رجال يدرسون الدين ببصائر نافذة إلى لبه ، ويرققون إيماناً يسوقهم إلى دفاع الخبايا عن حياضه ، لكان لأولئك المضلين جولة أوسع مما حالوا ، واستدراج للنفوس أكثر مما استدرجوا .

وعلى الرغم مما في كتب العلماء المصلحين من حق واضح وحة دافعة لم ينقطع شر هذا رهط الذين يذكرون بكتاب الله ، ويحرفون كله عن موضعه ، ليقتضوا ما أرب ويشفوا صدور قوم لا يؤمنون .

وها هي تلك الفرقة البهائية قامت منذ عهد غير بعيد تتبع خط الباطنية : تجهد نفسها لإجهادهم ، وتهذى في تأويل كتاب الله هذيانهم ، وقد تسنى لها أن تستهوى بعض النفوس الغافلة أيام كان دعاؤها يراءون الناس ويضعون على ألسنتهم مسحة من الدين الخفيف ، أما اليوم فقد غرم الفرور ، فأعلنوا محلتهم وحملوا الناس على بينة من باطن أمرهم ، فالهم بعد هذه العلانية إلا أن ينقض بناؤهم ، ويحذر المسلمون أينما كانوا حيائل دعايتهم .



وبضاهي البهائية وأسلافهم الباطنية في العمل لتقويض أصول الاسلام على طريقة التأويل فترضعون على رؤوسهم بياضا، ويحملون في صدورهم سوادا، لم يرسموا لأنفسهم نخلة دينية، وإنما هي الغواية لعبت بعقولهم، وإكبار خصوم الدين ران على قلوبهم، فانطلقوا الى القرآن الكريم يؤولونه على ما يوفق شهواتهم، ويقضى حاجات في نفوس ساداتهم، يفعلون هذا ولا يرقبون في اللغة العربية ذمة، ولا يراعون لسنة أفضل الخليفة حرمة، وتراحم ينبذون ما يقرره أئمة العربية أو أئمة الدين نبذا لا يتسكى على دليل، ويطلقون أسنتهم في هؤلاء الأئمة الذين خدموا الدين والعمر والأدب، وإنما يعرف فضلهم العالم الناقد للنبييل .

ومن هؤلاء نفر شخص سولت له نفسه أن يخوض في آيات الله كالذين خاضوا فيها على عمالة، فكتب جلا قصيرة قذف فيها شيئا من وساوسه، وسماها تفسيراً، بل تنهى في الافتتان بها فسمها « الهدية والعرفان » .

والذي يقرأ هذه الجمل لا يرتاب في أن صاحبها حامد على المحسوسات، جاحد لكثير مما أخبر به القرآن، منكر لأحكام قررها القرآن والسنة وأجمع عليها الصحابة وأئمة الاسلام من بعدهم جيلا بعد جيل، ولسكنه يريد أن يدل على إكباره بما يرتكبه في الآيات من سوء التأويل .

ونضع بين أيدي القراء أمثلة من هذا الكتاب ليعلموا أن رئاسة الأهر الشريف قد قضت بسما في حوزة وإتلافه وجبا، هو حماية العامة من أن يقرءوا إلحادا في آيات الله غير مقرون بما يكشف الفناع عن وجهه الفطيع، وضلاله البعيد .

تأويل بآيات المعجزات :

ينكر ذلك المؤول المعجزات صراحة فقد قال في صفحة ٣٠٦ . « وإن آيتهم ( أى الرسل ) على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم، وصلاح رسالتهم ، وأنهم

لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنته ونظامه في الكون » وقال في ص ١٦١ :  
« وبعد هذا نعم أن الله ينادي الناس بأنهم لا ينبغي أن ينتظروا من الرسول آية على  
صدقه في دعوته ، غير ما في سيرته ورسالته » .

وقد جرى هذا المؤول وراء طائفة الهائية فيهم ينكرون للرسل عليهم الصلاة  
والسلام معجزات ، صرح بإسكارها داعيتهم المسمى أبا الفضل ، فقد ذكر المعجزات  
في كتابه المسمى بالدرر وقال : وكثير من أهل الفصل وفرسان مصمار العم اعتقدوا أن  
جميع ما ورد في الكتب والأخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الأمور المعقولة  
والخفائق الممكنة مما يحوزه العمل المستقيم . ثم أخذ يؤول بعض ما ورد في تلك  
المعجزات من قرآن وحديث على نحو الوجهة التي ضل فيها هذا المؤول من بعده .

لم ينقل عن أحد ممن يؤمن بالرسل صلوات الله عليهم — إنكار المعجزات التي  
هي خوارق عادات يذير الله بها بعض سنته الظاهرة لتكون حجة على صدق من يبعثه  
داعيا إلى سبيله ، وإنما ينكرها طائفة ممن أنكروا بعثة الرسل إذ قالوا : إن الرسالة  
تتوقف على المعجزة ، والمعجزة خرق للعادة ، وخرق العادة محال ، ودعوى استعالة  
خرق العادة قد أثختها الأدلة طعنا ، فلا يقيم لها النظر الصحيح وزنا . وكم من عقول  
ضلت سبيل لرشد ، وآفتها عدم التفرقة بين ما لا يكون عادة وما يقضى العقل بأن  
لا يكون ، فيفطنون في تصور ما يستبعد العقل وقوعه استنادا للعادة ، ويخالونه من  
قبيل ما لا يمكن وقوعه ، واستبعاد العقل لشيء لم تجر العادة بوقوعه لا يقف أمام  
نصوص شريعة قامت الآيات البيّنات على أنها تنزيل من رب العالمين ، وليس ما يقصه  
القرآن من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا تغيير لبعض السنن الكونية  
الظاهرة ، وتغيير هذه السنن لا يقضى بمنعه عقل بقدر قدرة الخالق قدرها ، ويسلم  
أن هذه السنن من صنعها .

وقوله تعالى : ( وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ) .  
نص في أن الله تعالى أرسل مع الرسل المتقدمين آيات غير سيرتهم وصلاح رسالتهم ،  
وقد مر المؤول على هذه الآية ولم يحسبها بتحريف .

وإذا كانت معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي هي خوارق عادات قد شهدها  
الصحابه ، وعرفها السلف لا نأخذهم في صدق أحاديثها ريبه ، ونقلت الى من بعدهم  
على طرق يكتنفها الصعده من كل جانب ، وكانت مجموعها بالغة حد التواتر الموجب  
للعلم ، استبان لنا أن المراد من الآيات التي منع من إرسالها تكذيب الأولين آيات  
خاصة هي ما اقترحه قريش من نحو إحياء الموتى على ما ذكره المحدثون والمفسرون  
في سبب نزول الآية ، والمعنى ما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن  
أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود قد كذبوا بها ، فتوغل المقترحون في الضلال  
الى حد من لا يرجح منه الانتفاع بالآيات يجعل إرسال الآيات التي اقترحوها بعد  
إراءتهم آيات تثبت لرساله وتقوم عليهم حجة ، خاليا من الفائدة ، وعدم إرسال هذه  
الآيات المقترحة لا يقتضى أن لا يظهر على يده صلى الله عليه وسلم آية من غيرها  
لم تقترح عليه أو اقترحها عليه غير من زلت فيهم آية ( وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ )  
فهذه الآية بملاحظة أنها زلت في آيات خاصة اقترحها عليه قوم بأعيانهم ، لا تدل على  
أن الله لا يرسل أى آية من غيرها .

ينكر ذلك المؤول المعجزات ، فأخذ يتقصى الآيات الواردة في شأنها ، وينحو  
مها نحو يخرجها عن أن يكون فيما تدل عليه خارق للعادة ، ولا يندى جبينه حياء أن  
يتعسف في التأويل ، فيأتى به بعيدا من مواقع حسن البيان خارجا عن المعقول من  
دلالة الألفاظ .

فانظر ما ذ صنع في قوله تعالى : ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ  
تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ) . فقد ذهب بالعصا الى معنى الحجة ، وقال : « يصور لنا كيف

كشفت حجته تزييف حجّتهم حتى سلموا له وآمنوا به . وقال في قوله تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) . وقوله تعالى : (أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) : « تفهم من تمثيل هذه الرواية أن الله أعد موسى وهياراً للدعوة وأراه كيف يتغلب على خصمه بالبرهان والحجة » وقال عند قوله تعالى : ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَفُذَّ هِيَ بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ ) : « انظر كيف يكون لتمثيل في قوة الحجة والبرهان » .

وقد اتبع المؤول في هذا مهذار البهائية المسمى أبا الفضل فقد ذكر في ص ٥١ من كتابه المسمى « الدرر البهية » أن أهل الفضل — فيما يزعم — فسروا العصا بأمر الله وحكمه ، وقال : إن موسى عليه السلام هذه العصا غاب على فرعون وجنوده ، وبها حبال عتوه وجعوده ، وذكر في صفحة ٥٣ من ذلك الكتاب أن اليد البيضاء عبر بها عن الرسالة .

في القرآن مجاز واستعارة وكناية ، ولكنه يسلك هذه الطرق على الوجه الذي يأتيه البلغاء من العرب ، وشأن البلغاء أن لا يخرجوا عن الحقيقة إلى أحد هذه الطرق إلا أن يكون سهل المأخذ ، واضح المقصد ، أما ما يبدو على وجهه تكلف أو يكون في دلالة التواء فعدود في معيب الكلام ، وداخل فيما يذهب بجزية الفصاحة ، وتأويل الآيات على ما قاله المؤول وسلفه البهائي يجعلها من قبيل المجاز الذي ينبو عنه الذوق لتعسفه ، ويعمد منه الفهم لخلوه من القرينة المشيرة إلى أنه مستعمل في غير ما وضع له ، فالمؤول ومعلمه البهائي لم يقدروا الله حق قدره ، إذ صرفوا كلامه عما يدل على سعة قدرته وخرجوا به عن حدود البلاغة وهو مثلها الأعلى ، والمختص بذروتها القصوى . وانظر ماذا صنع في قوله تعالى : ( أَتَى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ) . فقد حرف قوله . « أخلق لكم من الطين » عن حقيقته ، وقال يفيدك التمثيل لإخراج الناس

من ثقل الجهل وظلماته الى خفة المسم وورده وتردد هنا في معنى إبراء الأبرص فقال :  
 « فهل عيسى يرى هذا ، معنى أنه يكمل التكوين الجسماني بالأعمال الطيبة ، أم بمعنى أنه  
 يكمل التكوين الروحي بالهداية الدينية » وبذلك على أنه يذهب في تأويل الآية الى غير  
 مذهب المسلمين قوله عند قوله تعالى : ( أَلَمْ تَكُنْ بِدَكَ فِي جَنَّتِكَ ) : واعلم أن قصة موسى  
 في العصا واليد كفصة عيسى في إحياء الموتى وشفاء المريض كلاهما يتشابه في معناه  
 على الناس .

وقد مشى في هذا خلف ذلك البابي المسمى أبا الفضل إذ تصدى في كتابه المسمى  
 « الدرر النبية » لبيان معنى هذه المعجزة فقال في صفحة ٥٣ يتحدث عن حال بني إسرائيل :  
 « حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم وماتت قلوبهم وبرصت بالذل جياهم وجنوبهم  
 فرجعوا من أسر الفراعنة الى أسر القياصرة ، وعن عبادة المصريين الى عبادة الرومانيين  
 حينئذ طلعت شمس الحقيقة عن أفق بلاد الجليل وارتفعت نغبات الانجيل فأحيا الله  
 تعالى بأنفاس عيسى عليه السلام بعضاً من تلك النفوس الميتة وبرأ يده المباركة حملة  
 من الجباه المبروصة » .

رخف من القول ، ونحت هذا الزخرف جحود لمعجزات الرسل عليهم السلام  
 وصرف لآيات الله عن معانيها المفرغة في لفظها العربي المبين ، والتي عرفها المسلمون  
 منذ نزل بها الروح الأمين متظاهرين عليها جيلاً بعد جيل .

يقول الله تعالى ( أَلَمْ أَنْشَأْ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَيْفَةً فَإِنْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ  
 طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْحِىَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ) . والمعنى  
 الذى يعقل من الآية أنى أصور لكم من الطين شيئاً على هيئة الطير فأنفخ فيه فيكون  
 طيراً حياً بأمر الله ، وأبرىء الأعمى والذى به وضع ، وأعيد الحياة الى جسم من فقد  
 الحياة ، أفعل كل ذلك بأمر الله

وأما نحو إخراج الداس من ثقل الجهل الى خفة العلم ، وإبراء الجباه المصابة بمرض  
لذل ، فلا يصح حل الآية عليها إذ القرآن يرى ، من أمثال هذه الاستعارات البالغة  
في التكاف والتعقيد غاية تذهب عندها الفصاحة وحسن البيان .

واذ قرأت في بعض كتب التفسير ما يسموه بالإشارات ، ووجدت في الحديث  
عن هذه الآيات ما يقارب أو يماثل كلام المؤول أو البهائي ، فاعلم أن أصحاب الإشارات  
غير من يسمونهم الباطنية ، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول الى  
ما يوفق بفيتهم بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه ، وأما أصحاب الإشارات  
فإنهم كما قال أبو بكر بن العربي في كتاب القواصم والعواصم : « جاءوا بألفاظ الشريعة من  
باسمها ، وأقروها على نصابها ، لكنهم رعموا أن وراءها معاني غامضة خفية وقعت الإشارة  
إليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا إليها بالفكر ، واعتبروا منها في سبيل لذكر » .  
فأصحاب الإشارات لا ينتفون كما ينفي الباطنية وأذنابهم المعنى الذي يدل عليه  
اللفظ العربي من نحو الأحكام والقصاص والمعجزات ، وإنما يقولون : إنهم يستفيدون  
من وراء تلك المعاني وعلى طريق الاعتبار معاني فيها موعظة وذكرة ، وعلى ما بين  
مذهبهم ومذهب الباطنية من فرق واضح يرى في أهل العلم من نازعهم في إلصاق تلك  
المعاني بألفاظ القرآن ، وقال : إن ما جاء في صريح القرآن والسنة من مواضع وحكم يعني  
عن ارتكاب هذه الطرق البعيدة التي هي في الأصل نزعة قوم شأهم الصد عن هدى  
الله وتمطيل أحكام شريعته الفراء .

وأذكر ذلك لمؤول أن يكون عيسى عليه السلام قد تكلم في المهد فسام  
قوله تعالى : ( وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ) سوء التأويل ، فقال : « في دور المهد وهو  
دور الصبا ، علامة على الجرأة وقوة الاستعداد في الصغر » يريد أنه يكلمهم في سن  
اعتيد فيها الكلام .

جاء في الجامع الصحيح للإمام البخاري ما يدل على أن عيسى عليه السلام تكلم قبل أن الكلام، نجد هـ في حديث « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة » وذكر في أولهم عيسى عليه السلام، وروى ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير المهد « مضجع الصبي في رضاعه » والمهد في الأصل مصدر مهد أي بسط ووطأ، وهو كما في لسان العرب اسم لموضع الصبي الذي يهيا له ويوطأ لينم فيه، فكان على المؤول إذ فسر به دور التمهيد للحياة أن يقيم على هذا شاهدا من كلام العرب، ويبيد الوجه الذي دعاه إلى الإعراض عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا كان هذا التأويل علامة على جرائته واستعداده لأن يخوض في آيات الله بغير علم وعلى غير أصل.

أنكر أن يكون عيسى عليه السلام قد تكلم في المهد، وتأول آية: ( وَتَكَلَّمَ الْمَسِيحُ فِي الْهَيْدِ ) . على ما سمعت ومثل هذا التأويل تناول قوله تعالى: ( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ) . فقال: « أي كان ذلك النهار ولدا صغيرا، فكيف يأمرنا وينهانا ونحن كبار القوم، فهذا ابن حرام » ولما رأى أن ما قبل الآية وهو قوله تعالى: ( فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ) يدفعه عن هذا العبث، صرعه عن وجهه فقال: « تحمله على ما يحمل عليه المسافر ومنه تفهم أنه كان في سياحة طويلة ».

لم يكف المؤول أن يخرج فيما يكتب عن قوانين اللغة فطاش إلى أن يقول في التاريخ ما لا يعرفه التاريخ، فمن أين اطاع على أن صريح عليها السلام كانت في سياحة طويلة. كان على المؤول أن يثبت هذه السياحة الطويلة من التاريخ أو من القرآن ثم يقول: « ومنها تعلم أنها كانت تحمله على ما يحمل عليه المسافر »، ولكنه قلب الكلام فأتى إلى قوله تعالى: ( تَحْمِلُهُ ) الذي هو ظاهر في أنها تحمله نفسها، وحرفه إلى معنى تحمله على مركوب، وأذن لك في أن تأخذ منه أنها كانت في سياحة طويلة.

ومفتضى إنكاره لمعجزات الرسل أن لا يعلم أن عيسى عليه السلام خلق من غير أب، وقد كتب عند ما وصل الى آيات هذه المعجزة بلسان يدل على إنكارها في غير صراحة فقال في تأويل قوله تعالى: (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ): «استنكرت لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف» وقال في قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ): «اختصار في التعبير لا يعمق دور الحمل الطبيعي»، وقال عند قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ): «فيه ملحوظة ظريفة هي أن موسى لم يذكر له أب ولكن قومه لم ينكروا أباه أو يقولوا فيه كما قالت النصارى في المسيح ابن الله بناء على أن المسيح نسب الى أمه ولم يذكر له أب» فاذا نظرت الى قوله «لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف» ثم الى قوله في حديثه عن موسى عليه السلام «بناء على أن المسيح نسب الى أمه ولم يذكر له أب» اذا لاحظت هذا وهو صادر عن ينكر المعجزات عرفت أنه لا يعترف كما لا يعترف اليهود بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب.

وحرف قوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) فقال: «اضرب بعصاك البحر: اطرقه واذهب اليه». وقال: «هذا يمان لحالة البحر يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة». قال هذا ولم يتحدث عن الفاء في قوله تعالى: (فأنفلق) وظاهر تأويله أن يكون المعنى فذهب الى البحر فأنفلق فيكون الانفلاق قد وقع عقب الذهاب الى البحر، والمؤول يقول: يصور لك البحر بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة، ثم إن قوله تعالى (فكان كل فرق كالطود العظيم) ظاهر في تصوير حال البحر عند انفلاقه ليريك كيف ينجي رسله على طرق يفتحها من أجلهم، فتقف الأحوال حولهم، لا يسكب أن تظني عليهم إلا قدرته التي يدخل تحت سلطانها كل ما يدخل في حيز لا مكان.



ومما هو ظاهر في هذا المعنى قوله تعالى : ( مَا ضَرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى . فالمعقول من هذه الآية أن الطريق لدى سلكه موسى عليه السلام إنما تنحى عنه الماء حال مروره به ، وأن فرعون اقتفى أثره عند ما رأى الطريق لذى يسير فيه موسى وقومه يبسا ، ولما انحدر فرعون وقومه في هذا الطريق عاد الماء إلى حاله وغشيه من اليم ما غشيه فلكوا من المرفقين ، وأما قول مؤول : إن فرعون أضل الطريق اليبس الذى اهتدى إليه موسى ، فن الأشياء انى يفرضها ويحمل عليها الآيات إنكارا للمعجزة .

وحرف قوله تعالى : ( قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) فقال : « عرشها على كها يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول في البلد فطلب الخريطة التى فيها مملكة سبأ ، ليهاجها ويربها أنه جد غير هارل » .

يقول الله تعالى : ( أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ) ويقول هذا المؤول « يَأْتِينِي بِخَرِيطَةِ مَمْلَكَتِهَا » واد كان طلب خريطة مملكتها لوضع خطط الحرب فواجه عرض هذه الخريطة عليها بعد أن جاءت مسلحة ، وما حكمة سؤالها عن مطابقة هذه الخريطة لحال مملكتها ؟ !

عبث يهذى به حول كتاب الله ، فلا تقوى تحجبه عنه ، ولا حكمة يفرق بها بين الجلد والمزح فترفعه عن أن يقول ما يضحك الناس منه .

وحرف قوله تعالى : ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ) فتأولها على وجه ينكر به أن يكون إبراهيم عليه السلام أتى في النار وخرج منها سالما ، فقال : « معناه نجاة من الوقوع فيها » . وذكر أن بجاته كانت بالهجرة أى من وطن قومه إلى ناحية فلسطين .

وظاهر الآية أنه أتى في النار وقد سلب الله منها حرارتها، فإن حمل على معنى إيجاد حائل بين النار وحسم إبراهيم فهو تأويل غير بعيد، أما صرف الآية الى معنى عدم الوقوع في النار فتأويل لا داعي اليه، ولا مسوغ له إلا ضيق الذهن عن تصور بشر يلقى في النار ولا تحرقه النار، وإذا لم يقل القرآن « فأتقوه فقلنا يا نار كوني برداً » فليسبك الآية في إيجاز يلائم حد الإيجاز، فالجمله التي تدل على إلقائهم له في النار بالوضع والمطابقة حذفت من النظم استغناء عنها بذكر ما يستلزمها ولا يستقر معناه في ذهن السامع إلا بتقديرها، وهو قوله تعالى: (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم).

وحرف قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمَبْنِيهِ كَيْلًا مِنَ الْمُسْحَدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمُسْحَدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ). فقال: « لإسراء يستعمل في حجرة الأنبياء، والمسجد الحرام الذي له حرمة، ولا أقصى الأبعد مسحد المدينة ».

وقصد المؤول إسكار واقعة الإسراء حمل الآية على محرته عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة.

أجمع أهل العلم على أن أوائل هذه السورة زل بمكة أي قبل لهجرة، ولو كان هذا المؤول ممن يفقه فائدة معرفة ما رل بمكة وما زل بالمدينة في تفسير كتاب الله تعالى لما تجاسر على تفسير الآية بواقعة لهجرة. وقد روى واقعة الإسراء من مكة الى بيت المقدس جمع عظيم من الصحابة رضي الله عنهم — منهم جابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، ومالك بن صعصعة، وجاءت هذه الروايات في الكتب الصحيحة مثل الجامع الصحيح للإمام البخاري والجامع الصحيح للإمام مسلم، فلو كان هذا المؤول ممن درس كتب السنة، وكان ممن يستضي في تفسير كتاب الله تعالى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رمى نفسه في حفرة لا يسمع صيحته فيها إلا هزيع الذهن من مبادئ الدين، أو مزول العقيدة ما لقي ضليلاً إلا مال به عن السبيل.

دعوة إلى الفسوق عنه أمطام الشريعة :

يريد المؤول أن يفتح لدوى الأهواء باب الخروج عن الدين وتمطيل أحكام الشريعة، فزعم أن المصلحة قد تكون في غير ما أمر الله به خرف قوله تعالى : ( فَيَحْدَرَ الَّذِينَ يُخَافُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) . وقال : « يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التي تكون للإعراض عن أمره ، وأما التي تكون للرأى والمصلحة فلا مانع فيها بل هي من حكمة الشورى » .

فالمؤول يميز تقرير رأى مخالف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو أمر من الله تعالى ، ويرى في هذا الرأى المخالف مصلحة تجعله أهلاً لأن يعمل عليه بدلاً من أمر الله ، يقول الله تعالى : ( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) . ومصادق هذه الآية من يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن المصلحة فيما حكم به ، ويتناول من يفتى برأى معتقداً أنه أحفظ للمصلحة مما أنزل الله ، فمن يأذن للناس في تقرير رأى مخالف لأمر الله فإنما يقوم على حفرة من النار هي إنكار أن يكون الله تعالى أحكم الحاكمين .

فإن زعم المؤول أنه قصد ما كان ير جمعه فيه بعض أصحابه رضى الله عنهم من نحو بعض الآراء الحرية ، قلنا له إنك أطلقت في تأويلك ولم تقصره على هذا النوع من أوامره عليه الصلاة والسلام ، ثم إن مخالفة الأمر عدم العمل به ، وإبداء بعض الصحابة لأرائهم في شيء من تدابير الحروب لا يسمى مخالفة للأمر ، بل كانوا يمرضون عليه الرأى فتارة لا يراه صالحاً فيرده ، ولو عملوا على مقتضى رأىهم لحق عليهم وعيد الآية ، وتارة يرى فيه المصلحة فيأمر بالعمل به ، والعمل على هذا انحوا من قبيل اتباع أمره ، فأين المخالفة :

## انظاره للجمه :

يجب " هذا المؤول الى الآيات التي ذكر فيها الجن ، ويحمل الجن على غير المعنى الذي عرفه الصحابة ومن بعدهم من أئمة الدين وعامة المسلمين ، وأكتفى بأن أسوق ما قاله في آية هي من أظهر ما يدل على أن الجن خالق غير الانس ، وهي قوله تعالى : ( قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ تُسْمَعُ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ) . فإنه بعد أن أحال القارىء على آيات من سور متعددة قال : « بعد هذا نفهم أنه يطلق الجن و الجنة على الزعماء المستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن لانس بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين » ويفسر الجن في بعض الآيات بقواد الجيش .

لم ينقل عن أحد من المسلمين على اختلاف فرقهم إنكار الجن ، وإنما ينكرهم طائفة من غير المسلمين ، قال ابن حزم في كتاب الفصل : « لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيطة للطبائع ، بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم » وقال : « وأجمع لمسلمون على ذلك ( وجود الجن ) نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط ، فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلا يخرجهم عن هذا الظاهر فهو كافر ومشرک » .

وإنما ينكر الجن من جحد عقله في دائرة من المحسوسات لا يتخطاها أئمة ، ونحن نعم أن العقل وحده لا يصل الى العلم بوجودهم ، كما أنه لا يستطيع إقامة الدليل على نفيهم ، بل إذا شئنا عنهم وهو صحيح النظر محرد من كل تقيد أقر بامكان وجودهم إذ ليس من شرط كل موجود أن يدرك بإحدى الحواس الخمس ، فقدره الله تعالى تسع خلقا ينشأ من عنصر لطيف ، فلا يقع عليه النظر ، وإذا أقرت العقول إمكان

شىء وأخبر الدين القائم على البرهان بوجوده ، تلقينا خبره بالقبول ، ولم نفرق بينه وبين ما أدركناه بالمشاهدة أو ثبت بالأدلة العقالية مباشرة .

### انظروا للشياطين :

ينكر المؤول الجن ، وينكر أن يكون هناك مخلوق غير الانسان يقال له شيطان ، نجد هذا لا ينكار عند ما يرد لفظ إبليس أو الشيطان في آية ، فيأتي أن يبقيه على المعنى المعروف في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فانظر الى أصرح آية في هذا المعنى وهي قوله تعالى : ( فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ) كيف تأول لفظ إبليس فيها فقال : « إبليس اسم لكل متكبر على الحق ، وبقية لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصى على الانسان تسخيره » . وكذلك تأول قوله تعالى : ( فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيَّةً وَشِبَاءَ الْفُجَارِ ) فقال : « والشياطين يطلقون على الصنائع الماهرين والأشقياء الجرميين » ولما وجد قوله تعالى : ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ) نصاً في أن الشيطان مخلوق يصل أثر فنتته الى نفس الانسان دون أن يأخذه بأحد حواسه ، ذهب في تأويل الآية مذهب من يتظاهر بتفسير القرآن وهو يدس في تفسيره جعوداً ، فقال : « من حيث لا ترونهم فيها شياطين فيحدثونكم بأنهم من الأولياء الناصحين » .

وإذا حل بعض المفسرين لفظ الشياطين في بعض الآيات على أشرار من الانس كما قال طائفة في قوله تعالى : ( وَتَبَيَّنُوا مَا تُتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُذْكِكُمْ ) : المراد شياطين الانس ، فما كان هؤلاء لينكروا ذلك الصنف من الجن المخلوق من نار السموم ، وإعسا هو تأويل بدا لهم أن اللفظ يحتمله قريباً أو بعيداً ، ولا يستطيعون أن يذهبوا الى مثل هذا التأويل في قوله تعالى : ( إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ) .

فن حمل مثل هذه الآية على فريق من الانس فهو ممن لا يؤمن إلا بما يلمس أو يرى، ولم يجعل الله للعقول المتعجزة على تفسير كتابه سبيلا.

### تأويل للملائكة :

يتخبط المؤول عند ما تجيشه آية فيها اسم الملائكة، فمرة يفسره برسل النظام والسنن في الكون كما قال عند قوله تعالى : ( أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ) : «إشارة الى أنه يأتيهم بسنن الله ونظامه أى تغلبهم على العدو وبقوة الحرب ونظامه، والملائكة كما قلنا في ص ٢٤ رسل النظام والسنن في الكون » وقال عند قوله تعالى : ( وَإِذْ قُلْنَا لِمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ) . « الملائكة رسل النظام وعالم السنن، وسجودهم للانسان معناه أن الكون مسخر له » ومرة يجعل الآية التى ذكر فيها الملائكة من قبيل التمثيل كما قال فى قوله تعالى : ( جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ) : « يمثل لك السرعة فى إجراء سننه فى الكون وتنفيذ أوامره فى العالم » وفسر جبريل وميكائيل فى قوله تعالى : ( مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ) بأنهما قسمان من الملائكة، وقال : « الأول رسول الوحي والالهام، والثانى رسول السنن والنظام » وقال عند تأويل الملائكة من قوله تعالى : ( وَلَكِنَّ الْكَبِيرَ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ) : « وهذا تابع للإيمان بالله، فمن يؤمن بالله يؤمن بمخلقه ونظامه، والملائكة رسل هذا الخلق والنظام » فتحريفه الآية بادعاء التمثيل مرة، وذكره لسنن الكون ونظمه مرة أخرى، وجمعه جبريل وميكائيل قسمين من الملائكة دون الاعتراف بأيهما فردان منهم، يدل على أنه يريد من الملائكة معنى غير المعنى المعروف فى صريح الكتاب والسنة؛ ونصوص الشريعة

في دلالتها على وجود الجن والملائكة متساوية ، وهما من جهة إمكان وجودهما في منزلة واحدة .

انظره لأعلام معلومة منه الدين بالضرورة :

أطلق المؤلف فهمه في الإيثار حتى أُلحِد في آيات الحدود والأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ، فانظر الى ما صنع في قوله تعالى : ( وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ) إذ قال : « يعطى معنى التعود أى أن السرقة صفة من صفاتهم المألزمة لهم ، ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ، ولا يستمر في السرقة ، ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده » .

وكذلك حرف قوله تعالى : ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ) فقال : « يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذ كانا معروفين بالزنى ، وكان من عادتهما وخلقهما ، فهما بذلك يستحقان الجلد » وهذا لئلا يقال في اسم الفاعل من أنه يدل على التكرار والتعود من هتائه الذي لا يقف عند حد ، فلم الفاعل نحو السارق أو الزاني إنما يدل على ذات قامت بها السرقة أو الزنى ، ولا دلالة له على تجديد قيام الوصف بالذات ، ولا على تعودها عليه ، هذا ما يقوله علماء العربية في القديم والحديث . قال ابن مالك في كتاب التسهيل معر « اسم الفاعل : « اسم الفاعل هو الصفة للدالة على فاعل ، حارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها ، لمعناه أو معنى لماضي » .

فقوله : لمعناه أو معنى الماضي ، تنبيه على أنه لا يدل على أزيد مما يدل عليه الفعل ، وهذا وجه الفرق بينه وبين صيغ المبالغة كفعال ومفعال وفعلول ، فإن هذه الصيغ تدل على معنى زائد على حدوث الصفة لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه .

والكوفيون يمنعون عمل صيغ المبالغة في نحو المفعول . ويطلبون هذا لمنع عدم مجازتها للفعل المضارع في ورنه ، ومخالفتها له في معناه لأنها تريد عليه بالمبالغة ،

ومقتضى هذا أن اسم الفاعل عمل في نحو المفعول لأنه لا يخالف المضارع في معناه .  
فعلماء العربية من كوفيين وبصريين يجمعون على أن اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما  
يدل عليه الفعل ، وإذا كان علماء العربية الذين قضوا أعمارهم الطويلة في تقصى اللغة ،  
والتمقه في كلام العرب قد تضافروا على أن اسم الفاعل لا يدل على مقدار من الوصف  
أكثر مما يدل عليه أصل المضارع والماضى ، أفيسطيع المؤول أن ينقض بناءهم  
بكلمة لا تمت لى البحث بسبب ، وإعماهى وليدة الهوى والانهماك فى مخالفة أهل العلم .

وعمد الى الآيات الصريحة فى ملك الميى وحرفها بالتأويل تحريفا لا يختلف عن صريح  
الإسكار إلا أن عليه مسحة من النفاق ، فانظر كيف حرف قوله تعالى : ( وَمَنْ لَمْ  
يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ) وحل الفتيات على الخاديات فقال : « فيه عناية بالخاديات  
وتسهيل لمن يريدون الزواج ولا يستطيعون النعمات على ذوات البيوتات » وقال عند  
قوله تعالى : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ ) :  
« عبادكم وإيمانكم : خادميكم وخادمانكم » وقد ارتكب فى آيات الوردة فى هذ  
الشأن من التأويل ما لا يخطر على بال أصلب الباطنية جبهة ، فانظر اليه ماذا يقول  
فى قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِنْكُمْ فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ  
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول : « والذين يبتغون الكتاب : كتاب الله وما كتب من  
الزواج والنسل (فكاتبوهم) : عاونوم على أداء الكتاب » .

ولو قلت له : إن الذين فسروا الآية بأن يكتب الرجل رقيقه على مال حتى إذا  
أدى ما كتب عليه صار حراً ، قد أقاموا الشاهد على هذا من كتب السنة واللغة ، فهل  
لك شاهد على ما تأولت عليه الآية ، وما قلت فى تأويلها من أن المكاتب : المعاونة على  
أداء الكتاب ، لما كان جوابه إلا أن هذا المعنى قد نقت فى صدره وهو لا يرجع فى تفسير



كتاب لله الى السنة ولا الى قانون اللغة ، ولا مرد لهذا الجواب إلا أن تتلو عليه قوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ) وتقرأ عليه قوله تعالى : ( نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ) .

ومن مقتضى إنكاره لأصل ملك الميمن إنكاره لأن يتمتع الرجل بما ملكت يمينه من الإماء ، وكذلك نجده يحرف الآيات الواردة في هذا الشأن كما قال تعالى ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) فقال المؤول « أو ما ملكت أيمانهم من الخدم فان لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون في الانسان فروج أى نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدمه » .

إذا كان في بعض تأويله ما ينادى بالحراقة عن الهدى الى مكان بعيد ، ففى بعضه ما ينادى بأن الرجل ليس له فكر يتعاض به فضيحة العيب ، ويحبسه عن أن يقول ما يضحك منه المحزون ، فالمؤول يصرف الآية عن أن تكون لائح على الظهر والمضاف الى الأمر بستر العيوب والنقائص عن الناس إلا عن الأزواج والخدم ، ولم يكتف بهذا التأويل السعيف فقال عقبه . « ومن البلاغة في التعبير أن لفظ « أو » أهدأ التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك الميمن ، إذ يوحد من العيوب ما لا ينبغي كشفه على الخدم » ولا ندري كيف يفهم من « أو » العاطفة لملك أيمانهم على قوله « أزواجهم » التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك الميمن ، وهذا لذى يباح للصنفين فيما زعم لم يدكر في نظم الآية :

والاسلام جاء فوجد عادة الرق جارية بين المتحاربين فمذهبها وترك لأخذها لاجتهاد الإمام ، ولكنه أوصى بالاحسان الى الرقيق والرفق به ، وندب الى تحرير

الرقاب، وجعله كفارة لبعض ما يرتكبه لانسان من عمل سيء كالظهار، والعطرب  
في رمضان، والحنث في اليمين وقتل النفس خطأ، وجعل في يد الحاكم عتق الأرقاء  
الذين يلحقهم ممن هم تحت أيديهم ضرر فادح، وقفويض أمر الاسترقاق الى الإمام  
يجعل له الحق في العدول عنه كما هو مفصل في كتب الأحكام.

وانكر إباحة تعدد الزوجات الذي جرى عليه السلف من الصحابة من بعدهم،  
وجعل آية (فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ) خاصة باليتامى  
فقال: « (من النساء) نساء اليتامى الذين فيهم الكلام لأن الزواج مهن يمنع الحرح  
في أموالهن » ثم قال « ولتعم أن التمدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذلك الشرط  
السابق » يعني (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى) واللاحق يعني (فَإِنْ خِفْتُمْ  
أَلَّا تَعْدِلُوا).

ومن البين تجافي هذا المعنى الذي ذكره المؤول عن نظم الآية، ومن أظهر الوجوه  
التي يستقيم معها النظم ولا تمس إجماع المسلمين من الصحابة من بعدهم بشيء أن يكون  
المعنى: وإن خفتم أن تهضموا شيئاً من حقوق اليتامى لضعفهم ونحرجتم منها، فدعوا  
الزواج بهن، وانكحوا ما طاب لكم من نساء غيرهن متنى وثلاث ورباع.

زعمه أنه المسلمين يروونه الدعاء بت النبوة عن اليهود.

لا يبالى المؤول أن يتكلم في غير أمانة، ويقول ما لا يطابق الواقع، ومن أمثلة هذا  
أنه تعرض عند تأويل قوله تعالى: (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَنحُورًا) لما ورد في سحر  
بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم وقال: « ومن الغريب مع هذا الدليل البين أن  
المسلمين يتقلون في كتبهم أن النبي سحر بناء على حديث رواه اليهود كما ينقل النصارى  
أن المسيح صلب بناء على رواية اليهود أيضا ».

من يقرأ هذه الحلة يفهم منها أن حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه المسلمون عن اليهود، والحقيقة أن الحديث مروى بأسانيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، وفي هذا الحديث أنه علم بهذا السحر من طريق لוחي، ومن رواه من الصحابة رضى الله عنهم عائشة وبن عباس وريد بن أرقم، ثم رواه عن هؤلاء جماعة من الثقات حتى بلغ الأئمة البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي وغيرهم، ولا صلة لحديث السحر يهودي سوى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوحى إليه بما فعل اليهودي ليبدن الأعمى من السحر.

وأكرر بعض الناس هذا الحديث في القديم وأخذهم الرب فيه من ناحيتين (إحداها) قوله تعالى: (إِنْ تَدْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) فهذا مما قصه الله تعالى عن كفار قريش في سياق الإنكار عليهم، ومقتضاه نفي أن يكون قدسحر، والقرآن مقدم على الحديث، و(ثانيتها) أن تأثره بالسحر عليه الصلاة والسلام يقدح في الثقة بما يبلغه عن الله تعالى من أمر ونهي.

والذين لا يسارعون إلى تكذيب الأحاديث المروية بأسانيد صحيحة ما وجدوا لدفع ما يرد عنها من الشبه طريقا، يقولون: إن قريشا أرادوا من قولهم «مسحورا» معنى ختلان العقل فيكون مرادفا لقولهم «مجنون» أو أرادوا أنه مسحور سحر من أثره هذا الدين الذي يدعو إليه، وهذا موضع الإنكار عليهم بإجماع، ويقولون: إن السحر إنما تسلط على جسده وجوارحه الظاهرة ولم يمس شيئا من عقله وقلبه، وبدل لهذا حديث ابن عباس رضى الله عنه في رواية ابن سعد (مرض النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عن النساء والطعام والشراب).

وليس من غرضنا الآن البحث عن حقيقة السحر ولا بسط القول في حديث سحره عليه الصلاة والسلام، وإنما أردنا أن نريك كيف يحاول المؤول أن يقدف

المسلمين بسببة تلقى أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عن اليهود، وانظر الى قوله « أن المسلمين ينقلون في كتبهم » فانها كلمة لا أحسبها صدرت منه إلا في حال نسيانه أنه ستعار ثوب الاسلام ليتمكن من سحر أبناء المسلمين وصددهم عن السبيل .

هذه أمثلة من كتاب خشوه الجحود والهديان ، نسوقها في هذه المجلة ليزداد المسلمون علماً بأن مؤلفه مهزول الفكر ، منحرف عن الرشد ( وَإِنْ يَرَوْا كُفْرًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ )

محمد الحضر حسين

## الظرف والمثلح

قال بعض الشعراء في سجع الوعد :

وَعَدْتَ فَأَنْجِزْ وَلَا تَبْلُغْنِي بِصَدِّ التَّقَاضِي وَذَلِ السُّؤَالِ  
وَصُنْ وَجْهَ حُرٍّ يَرَاهُ الزَّمَانُ نَأْيَابَهُ مِثْلَ بَرٍّ يَرَى الْخِلَالِ  
فَإِنْ ضَاقَ مَالُكَ عَنْ رِفْدِهِ فَخَالِكَ أَوْسَعُ مِنْ كُلِّ مَالٍ



مرَّ لامام الشافعي رضي الله عنه بسوق الحدادين يتصرع، فسقط<sup>(١)</sup> قوسه من يده فقام رجل من دكانه فأخذها وسحبها بكفه وناولها إياها، فقال الشافعي لغلامه: كم معك؟ قال : سبعة دنانير ، فقال له : ادفعها إليه .

(١) كان رضي الله عنه شجاعاً ماهراً في الزمى بالسهم وكان يصيب المرمى في تسعة من عشرة .

# التفسير

## تفسير سورة الملك

٢

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .

ذكر الله جل اسمه في سورة التحريم التي قبل هذه السورة أن تشريع الأحكام من التحليل والتحريم إنما هو من صفات الله تعالى ، لأنه هو وحده العليم بوجوه المنافع والمضار ، الخبير بما يُصالح شأن عباده دينا ودنيا ، الحكيم الذي يشرع لهم من الأحكام الدينية والدينية ما يكون على وفاق هذا العلم لا كل المحيط عما ظهر لهم وما بطن .

ثم أمر المؤمنين بهذه الأحكام أن يَقُوا أَنْفُسَهُمْ انْتَارَ التي أَعَدَّهَا عَدْلًا مِنْهُ لِمَنْ يَخَالِفُونَ أَحْكَامَهُ فَيَمُوتُونَ أَوْ مَرَّةً وَيَنْتَهَكُونَ مَحَارِمَهُ بِالْكَفْرِ وَالْفُسُوقِ . ثم نهى الذين كفروا أن يعتذروا يوم يؤفّقهم جزاءهم بكسبوهم من الكفر والسيئات ، مبيّنا لهم أنه سبحانه إنما كافأهم بما كانوا يعملون في لَدَيْهِ جزاءً وَهَاقًا . ثم أمر المؤمنين أن يتوبوا إليه توبة نصوحًا صادقة إن فرط منهم ما يوجب غضبه عليهم ، فإذا تابوا تلك

التوبة رُجِيَ لَهُمْ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ فَيَكْفِرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيَدْخُلَهُمُ الْجَنَّةَ (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) ثُمَّ أَمَرَ سَبْحَانَهُ السَّيِّئُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَصْمَدَ لِأَعْدَاءِ لاسلام ويؤدبهم بقدر ما يدبرون له من المكاييد ويُسَيِّرُونَ مِنَ الْفِتَنِ وَيُرْجِفُونَ مِنَ الْأَقْوِيلِ وَالْأَكَاذِبِ . ثُمَّ إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ أَنَّ مَصَاحِبَةَ الْأَخْيَارِ لَا تَنْفَعُ مِنْ يَصَاحِبِهِمْ إِلَّا إِذَا قَتَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَسَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ وَاسْتَقَامَ عَلَى سَنَتِهِمْ ، وَأَنَّ مَعَاشِرَةَ الْأَشْرَارِ لَا تَصْرِفُ مِنْ يَعَاشِرُهُمْ إِذْ خَالَفَهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَسَكْرَةٌ مَا كَرِهَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ أَحَبُّوه ، وَأَحَبَّ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَإِنْ كَرِهُوهُ ، وَأَقَامَ وَجْهَهُ لِدِينِ اللَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

وقد ضرب سبحانه للنوع الأول مثلاً امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ اللتين أساءتا إلى أنفسهما بالخيانة والكفر ، وللنوع الثاني مثلاً امرأة فرعونَ ومريم ابنة عمرانَ للتين أحسنتا إلى أنفسهما بالإيمان والطاعة فكانتا من الناجين القاتنتين .

ثم إنه جل ثناؤه أَرَدَفَ سُورَةَ التَّحْرِيمِ هَذِهِ (وَقَدْ عَرَفْتَ إِجْمَالَهَا فِيهَا) بِسُورَةِ الْمُلْكِ مُفْتَتِحًا لَهَا بِقَوْلِهِ : ( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) تنبيهاً عَلَى أَنَّهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ مَقْصِدُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ؛ فَإِذَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ شَرْعًا فَأَحَلَّ هَذَا وَحَرَّمَ ذَاكَ ، أَوْ أَمَرَ أَوْ نَهَى ، أَوْ ضَرَبَ الْأَمْثَالَ لِيَعْلَمَهَا الْعَالَمُونَ (وَقَدْ وَرَدَ جَمِيعُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ) فَإِذَا عَاكَلُ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقْضِي بِهِ حُكْمُهُ الْبَالِغَةُ الَّتِي هِيَ عَلَى طَبَقِ عِلْمِهِ الشَّامِلِ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ التَّحْرِيمِ (وَاللَّهُ مُؤَلَّاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

ثم ذكر سبحانه بعد آية الافتتاح هذه ما شاء من الآيات التي اتصل بعضها ببعض وتناسب تأليفها وأحكم نظمها على أبلغ وجه وأدع أسلوب حتى آخَرَ السُّورَةَ ، كَمَا سَتَرَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَسَنَ تَوْفِيقِهِ .

سؤال قريب الخطور بالبال . قد يقال : اذا كانت السورتان على ما وصفت من متانة الاتصال حتى صارتا كأنهما سورة واحدة أفلا تكون البسمة بينهما كلاماً أجنبياً منهما غير مرتبط بهما فيتفكك نظمهما وينفصل وصلهما ؟

أمّا الجواب فانه أقرب منه خطورا وجلاء : ذلك أنّ من سنة الله الحكيم في كتابه المحكم أنه حينما يذكر لعباده ما شاء أن يذكره يأتي في غضون كلامه الكريم أو أو الله<sup>(١)</sup> أو في أواخر الآيات بما ينهم ويوقظ نفوسهم الى تذكر الجزء ، أو الى لتفكر والتعقل ، أو الى الخوف والحذر ، أو الى صفاته وكمالاته ، وصدق القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد ومن هذا الأخير ذكر البسمة الشريفة بين اسورتين .

وذلك لجلّة حكم سامية : فيها التذكير بنعوت الله تعالى وعظم جلاله ، ومنها أنّ ما ذكر قبلها وما سيذكر بعدها إنما هو باسمه عز وجل وعنوانه ، تنبها على أنه كلامه لدى رزله على عبده ليكون للعالمين نذيرا ( هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ) وليس من كلام أحد من خلق مـ كما مقربا أو نبيا مرسل ، بله<sup>(٢)</sup> غيرهما من الانس والجن ( وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا )

## التفسير

أننى الله حل ثناؤه على نفسه في هذه الآية الشريفة ثلاثة نعوت من نعوته لاهية العظمى . أولها قوله تعالى ( تبارك ) ، ثانيها قوله سبحانه : ( الذى بيده الملك ) ، ثالثها قوله عز وجل : ( وهو على كل شىء قدير ) .

فأما قوله . ( تبارك ) فانه لفظ جامع لعدة كمالات من كمالاته العظمى فان معناه : تعالى<sup>(٣)</sup> شأنه وجلّت عظمته ورتفع قدره كما قال : ( أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ) .

(١) كما في سورة الناحية لأب فاتحه القرآن العظيم ولم تعددهما سورة . (٢) دع وترك .

(٣) إشارة الى أن تارك مشتق من البركة الى هي العظم والزيادة والبه ، والكثرة وما أشبه ذلك .

(وَلِلَّهِ الْمُلْكُ الْأَعْلَى). ومعناه أيضا عَمَّتْ بَرَكَتُهُ وزاد خيره وكثرت نعمته، كما قال:  
(وَإِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا فِي الدِّينِ مَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (١).

وكذلك <sup>(١)</sup> معناه ثبتت ربوبيته ووجبت وحدانيته ودم سلطانه وكبرانيته التي لا يعلمها إلا هو، وذلك قوله جل وعز: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْخَلْقُ) وقوله (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْخَلْقُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ).

وأما قوله سبحانه: (الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) فاعلم أن اليد التي هي من أعضاء الحيوان قد أخبرنا الله سبحانه أنه منزّه عنها في مثل قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، وأيضاً قد قام الإبرهاني العقلي الصادق على وجوب تقديره عن مشابهته شيء من المخلوقات، فإن هذه الجارحة لم يخلقها سبحانه للحيوان إلا لتكون آلة يستعين بها في قضاء ما ربه لأنه من العاجزين، ولكن الله تزهت صفاته لا يمجزه شيء في الأرض ولا في السماء. وسيأتي لذلك مزيد بسط قريباً.

إذ علمت هذا علمت أن المعنى المراد من اليد في حق الله تعالى في هذه الآية وأمثالها إنما هو المعنى المناسب لتزويده وتقديسه سبحانه، وهو القدرة الكاملة النافذة والتصرف التام المؤسس على الكمال الإلهي والحكمة البالغة؛ وتوضيح ذلك أن القدرة على الشيء وصف لازم من لوازم اليد متسبب عنها، ولولاها ما قدر ذو اليد على العمل والتصرف وهذا يفتح لك إن شاء الله تعالى باب فهم المراد الصحيح من كل وصف ورد في القرآن والسنة إطلاقه على الله سبحانه وطاهره مستحيل عليه كاليد والسمع والبصر والقدرة والاستواء على العرش وغير ذلك من المتشابهات، وسيأتي عن الإمام القفال ما يوضح ذلك ثم توضيح أي أنك تنزه الله سبحانه عن لوصف الظاهر المستحيل كاليد المعروفة، ثم تثبت له تعالى الوصف

(١) إشارة إلى أنه يصح أن يكون مأخوذاً من البروك الذي هو لسان والبروم وسقاء.



الصحيح اللائق به من غير تشبيه له سبحانه بخلقه حسبها هداك الدين والعقل السليم، وذلك الوصف هو الوصف اللازم المترتب على ذلك المعنى المستحيل، وهو القدرة اللازمة لليد المترتبة على وجودها، وكالعلم بالمسموعات اللازم للسمع المترتب على وجوده، وكالعلم بالبصرات بالنسبة الى البصر، وهكذا<sup>(١)</sup>.

أما المُلْكُ فهو حيازة الشيء وضبطه والتسلط عليه بالأمر والهي والمحو والإثبات وسائر وجوه التصرف. ويطلق أيضا على ذلك الشيء، نفسه الذي هو موضع التصرف، فيكون هو المملكة التي هي محل سلطان المُلْك. هذا

ثم انظر تر أن الله جل ذكره عبّر عن نفسه بهذا اللفظ الكريم وهو: (لَيْدِي بِيَدِهِ المُلْكُ) لينبه على أنه تعالى مستحق لهذا التبارك (في قوله تبارك) لا شريك له فيه، لأن يده سبحانه وحده المُلْك، ولا يشك عاقل أن من كان كذلك كان حقيقا باختصاصه بهد التبارك لا شئ. وبهذا نعلم أن قوله سبحانه: (بِيَدِهِ المُلْكُ) دليل قاطع نصبه الله تعالى لعباده يعلمهم أنه هو الموصوف بالتبارك لا يزاحمه فيه أحد من خلقه.

وخلاصة ذلك أن الله جل ثناؤه قد تولى الثناء على نفسه بنفسه في هذه الآية الكريمة مبينا أن جميع هذه الكمالات الجليلة (وهي معاني تبارك التي ذكرناها) واجبة له وحده، لأنه دون سواه مالك هذا المُلْك العظيم. عرشه وفرشه، علوه وسفاهه، نفدت فيه إرادته، وقبضت عليه قدرته، وبسطت عليه كلمته، وأحاط به قهره وسلطانُه.

وأما قوله عز من قائل: (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو للتببيه صراحة على أمرين مختصين به تعالى: أحدهما أن تصرفه في المُلْك عام في تصرفه في أعيان

(١) وهذا معنى قول العلماء: كل وصف استحالة على الله تعالى باعتبار أوله سار حلاله عيبه إذا ورد

الموجودات وذواتها بإيجادها بعد عدمها تارة ، وبإعدامها بعد وجودها تارة أخرى ؛ وكذلك في تصرفه في صفاتها وأحوالها في أثناء وجودها بالإيجاد والإعدام كذلك . وبهذا التصريح يندفع توهم أن تصرفه سبحانه في الملك إنما هو تصرف في صفات أشياء قد وجدت من قبل التي هي الملك ، أمّا أعيانها وأشخاصها فإنه لا تصرف له فيها ، ( وهذا باطل بضرورة العقل ) فيكون نظير تصرف سلطان في مُلكه ، فإنه إما يتصرف في أحواله وشؤونه لا في أعيانه التي يتكون منها الملك بالإيجاد والإعدام .

ثانيهما التصريح أيضا بأن قدرته جل وعلا وسلطانه وتصرفه على مقتضى الحكمة البالغة عامة أيضا لهذا العالم الديوي وذلك العالم الأخرى : كل من الحيانين وما فيهما في قبضة قدرته ، لا يعجزه من أمرها شيء ، ونظير هذا لتعبير القرآن الكريم لإفادة ذلك التعميم قوله تعالى ( ذَلِكَ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَوْمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) .

قد وعدناك فيما سبق أننا سنبين لك طرّفاً يهديك بتوفيق الله تعالى إلى فهم المراد مما ورد إطلاقه على الله عز وجل في القرآن والسنة مما يوم التشبيه ، فنحن هنا نذكر لك ما نقله الامام غرّ الدين الرازي ونظام الدين التيسابوري عن الامام (١) القفال ، فإن فيه كفاية ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّ كَرًّا أَوْ أَرَادَ سُكُورًا ) .

قال القفال رحمه الله تعالى عليه : العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ، ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك ، يقال : ثلّ عرشه أي انتقض مُلكه وفسد ، وإذا استقام له مُلكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه .

(١) أي في تفسيرهما لآية ( إِنْ رِئَسَ اللَّهُ الْخ ) في سورة الاعراف .

قال الفخر الرازي : هذا ما قاله القفال ، وأقول <sup>(١)</sup> : إن الذي قاله حق وصدق وصواب ؛ ونظيره قولهم للرجل الطويل . فلان طول النجاد <sup>(٢)</sup> ، وللرجل الذي يُكثِرُ الضيافة : هو كثير الرِّمَاد ، وللرجل الشيخ . فلان اشتعل رأسه شَيْبًا ، وليس المراد في شيء من هذه الألفاظ إجرأها على طواهرها ، إنما المراد منها تعريف المنصود على سبيل الكناية ، فكدا هنا . يُذَكِّرُ الاستواء على العرش والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة <sup>(٣)</sup> .

ثم قال القفال رحمه الله تعالى : والله تعالى لما دلَّ على ذاته وعلى صفاته وكيفية تديره العالم على الوجه الذي أرفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقرَّ في قلوبهم عظمة الله وكمال جلاله ، إلَّا أن كلَّ ذلك مشروط بنبي التشبيه ، فإذا قال : إنه عالم ، فهموا منه أنه لا يخفى عليه تعالى شيء ، ثم علموا بمقولهم أنه لم يحصل ذلك المدة بفكرة ولا روية ولا باستعمال حاسة ، وإذا قال : قادر ، علموا منه أنه متمكن من إيجاد الكائنات وتكوين الممكنات ، ثم علموا بمقولهم أنه غنى في ذلك الإيجاد والتكوين عن الآلات والأدوات وسبق المادَّة والمدة والفكرة والروية ، وهكذا القول في كل صفاته ؛ وإذا أخبر أنَّ له بيت يجب على عباده حجه ، فهموا منه أنه نصب لهم موضعاً بقصدونه لمسألة ربهم وطالب حوائجهم ، كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلب ، ثم علموا بمقولهم نبي التشبيه وأنه لم يجعل ذاك البيت مسكناً لنفسه ولم ينتفع به في دفع الحر والبرد ؛ وإذا أمرهم بتحميده وتعييده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ، ثم علموا بمقولهم أنه لا يفرح بذلك التحميد والتعظيم ، ولا ينعم بتركه والإعراض عنه .

انتهى كلام الإمام القفال رحمه الله تعالى ، ونفع به ( الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبَابِ ) م

من منصور

وكيل مدرسة دار العلوم العليا سابقا

# الشيعة

الترغيب في بذل المعونة بالمال والمقال

بِشْرَ اللَّهِ الْخَيْرِ

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ مَنَعَ مَنِيحَةً لَنْ يَأُوْزِقَ أَوْ وَرِقٍ أَوْ هَدَى زُقَاقًا كَانَ لَهُ مِثْلُ عِتْقِ رَقَبَةٍ <sup>(١)</sup> .

## الشرح

مَنِيحَةُ اللَّبَنِ هِيَ النَّافِقَةُ أَوْ الشَّاةُ تَمْلُطُهَا غَيْرُكَ لِيَحْتَبِهَا ثُمَّ يَرُدُّهَا عَلَيْكَ . وَمَنِيحَةُ الْوَرِقِ هِيَ دِرْهَمُ الْفِضَّةِ تُقْرَضُهَا غَيْرُكَ . وَهَدَايَةُ الرِّزْقِ هِيَ أَنْ تَدُلَّ غَيْرُكَ عَلَى الطَّرِيقِ لِيَسْلُكَهُ .

شتمل هذا الحديث الشريف على نوعين من أنواع البر والمعونة التي جاء بها الدين الاسلامي الحنيف . فأنوع الأول المعونة بالنال ، والنوع الثاني لمعونة بالمقال . ثم إن النوع الأول صنفان : معونة النِّقْدِ من الفضة ، ومثلها لذهب كما سيأتي ، ومعونة غير النقْد من حيوان النافع .

كل خصلة من هذه الخصال هي تعليم من التعاليم التي جاء بها الإسلام على وفق ما قضت به عقول ذوي الألباب والمُروءات ، علَّم بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته

(١) رواه الأئمة أحمد والترمذي وابن حبان .

أنه ينبغي للقادر أن يُعَفِّفَ العاجز ، وأن يبسط الغنى يده للمفقر ، وأن يبدل العالم علمه للجاهل ، وجميعها خلال وفضائل مما بُنِيَ عليه الاسلام من إغاثة المحتاجين وإغاثة المهووفين وإرشاد الضالين وتعليم الجاهلين .

إذا علمت أن ما ورد في هذا الحديث الشريف إنما هي تعاليم من تعاليم الاسلام المؤسس على الإصلاح وأنواع البر ، وأن الحكمة الإلهية فيها إنما هي سدُّ حاجة المحتاجين ، وإسعافُ مُعْوَرِّين ، يتبين لك أن ما ذكر في الحديث من منيعة الأذى والورق وهداية الطريق إنما هو من قبيل ذكر لا مثله الخاصة التي تدل المتدبر فيها على أن نظائرها من سائر الأعمال والأقوال مطلوبةٌ مثلها ومندوبٌ إليها في دين الله تعالى ، لأنها مشتملة على الحكمة الإلهية التي لأجها حث الله تعالى عباده عليها ورغبتهم فيها . وهذه طريقة من طرق التعليم الصحيح ، يقتصر بها المرشد على ما يراه أقرب إلى أفهام المتعلمين وأسهل على أذهانهم ، لكونه ماثلاً أمام أعينهم مألوفاً فيما بينهم . على أن في هذه الطريقة فائدةً جليلةً أخرى ، وهي إيقاظ أفكار الأذكياء من المتعلمين ، وتوجيهها إلى مزيد التدبر والتفهم فيما سمعوه من الأمثلة حتى يفقهوا الحكمة فيها ثم يقيسوا عليها نظائرها من كل ما أعاد فائدتها وتضمن حكمتها . ولا يخفى ما في ذلك من تثقيف العقول وتربية ملكات البحث والتصرف في الأمور تصرفاً صحيحاً مبنياً على البرهان والاستنتاج المستقيم .

هذا يشرح لك السبب في اقتصاره صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وأمثاله على بعض الأشياء ، والسكوت عن بعض آخر لما يراه عليه الصلاة والسلام في ذلك من مصلحة التعليم والتعلمين .

هذه طريقة ماحمة في التربية والتعليم والتثقيف قد سار عليها علماء التربية الآن ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قد سبها قبل ذلك وأرشد إليها الأمة من نحو

أربعة عشر قرناً في ضمن إرشاده لهم الى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ومحاسن الأقوال ، فكان تعليمه هذا تعليماً مُزْدَوِجاً ، وتربيته لأُمته تربيةً مضاعفةً ، فجزاه الله تعالى أعظم مما جزى به نبيا عن أُمته .

إذ تمهد هذ علمت أن منيحة اللبن مثلها منيحة كل حيوان يُنتفع به انتفاعاً صحيحاً ما ذونا فيها : كدابة يُنتفع بها في الحمل عليها أو في الركوب أو الحرث أو لسق أو الصيد أو الحراسة ، وكذلك يُنتفع ببيضه أو بتفريخه لبيض عده بدون دجاج ، وهكذا .

ثم إن منيحة الحيوان مثلها منيحة غير الحيوان : كآلات الزرع والحرث والسق وحيوانها بالنسبة الى الزراع ، وآلات الصناعات على اختلافها بالنسبة الى أهل الحرف ، وكذلك بالنسبة الى المتعلمين والمعلمين والقارئین ، وكالتياب وأمتعة البيوت وأدواتها لمن يحتاج اليها وقد يَستُرُّ عليه شراؤها ، الى غير ذلك مما هو معروف ومستفيض .

هذا أحد الصنفين لداخلين في نوع المعونة بالمال . فأما الصنف الآخر منهما فهو منيحة النقد ، وهو أن تسلف غيرك ما يحتاج اليه من نقد الفضة أو الذهب ليرده إليك بَعْدُ إِذَا أُيسِرَ .

إن ما قدمناه لك في هذا الشرح مع إيجازه يكتفي المتبصرين فيه أن يفقهوا الحكمة البالغة فيما ورد في الدين الاسلامي الحكيم من التدب الى هذه الخصال المذكورة ، تلك الحكمة كما سبقت الإشارة اليها هي تيسير الأمور على من تعسرت عليه ، وتفريج الكرب عن نزلت به ، ومد القادرين أيديهم للأخذ بأبدي العاجزين ، وتوسيع المومنين بأموالهم على من ضاقت عليهم حياتهم ، وبدل أهل البر والروعة مما يحبون لإغاثة المحتاجين والمعوزين .

إن السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية قد علموا هذا الحكم من دينهم ، وفقهوا لحكمة الإلهية فيه ، واستقاموا على العمل والحرص عليه ، وتواصوا بالصبر ولا إخلاص له ، فكان من ثمرات طاعتهم لأوامر ربهم وتسكينهم بأحكام دينهم القويم أن المضطر منهم لا يلبث أن يُجَابَ ، وأن المعسر لا يَعمَدُ من يسارع إلى التيسير عليه ، وأن من نزل به أمر من حوادث الدهر لا يتركه إخوانه المسلمون فريسة لما نزل به من الكوراث ، بل كانوا يرون أن ما يصيب أخاه المسلم من خير أو شر فهم منه قسط ، فإصابته حسنة فرحوا بها ، وإن أصابته سيئة حزوا لها ، وكان مناهم في ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام في شأنهم : ( تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاهُدِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا <sup>(١)</sup> تَدَاَعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى ) <sup>(٢)</sup> هذا ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين من أمته ، فأجبرنا أن المؤمنين حقاً هم الذين تتمكن في قلوبهم أخوة الإسلام حتى يرحم بعضهم بعضاً ويشفق عليه من مكروه يصيبه ، وحتى يود بعضهم بعضاً كذلك ، فيتواصوا التواصل الجالب للمحبة كالهادي والزاور ، وحتى يعطف بعضهم على بعض كما يعطف طرف الثوب على باقيه لتقويته ، وإنما يكون ذلك باعانة بعضهم لبعض وشدة أزره له .

إن المسلمين إذا فعلوا ذلك تَمَّ إيمانهم وكانوا مؤمنين حقاً وصاروا كالجسد إذا مَرَضَ عضو منه اشترك معه باقي الأعضاء في الألم ، فالعين تسهر ، والجسم يحم ، والعدة تضطرب ، والفكر يرتبك ، فما مثلُ الجسد في كونه إذا اشتكى بعضه اشتكى كله إلا كمثل الشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحريك والاضطراب .

إن ما جاء في السنة النبوية من أوصاف للمؤمنين حقاً هو تعليم من النبي صلوات الله وسلامه عليه لأمته ، وبيان لما نزل إليه من ربه في مثل قوله تعالى في شأن معاملة

(١) هكذا بالنصب . (٢) رواه البخاري .

الأنصار لإخوتهم المهاجرين : ( وَالَّذِينَ <sup>(١)</sup> تَبَوَّءُوا لَدَارَ وَالِإِيمَانِ <sup>(٢)</sup> مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>(٣)</sup> )  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً <sup>(٤)</sup> لِمِمَّا آوَوْا <sup>(٥)</sup> وَبُيُوتُوا <sup>(٦)</sup>  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ بِهِمْ حَصَاةٌ <sup>(٧)</sup> وَمَنْ يُوقِ شُحَّ <sup>(٨)</sup> نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

فيا أيها الذين آمنوا هذا كتاب الله الذي أرسله إليكم نورا مبيناً ، وهذه سنة رسوله  
صلى الله عليه وسلم بين لكم بها ما نزل إليكم من ربكم ، وهؤلاء هم سلفكم الصالحون  
المؤمنون حقاً الذين إذا بُليَت عليهم آياتُ الله زادتهم إيماناً ، واستيقظوا السعادة لدينية  
والدنيوية في اتباعها ، والشقاء والخذلان في مخالفتها ، فأصبحوا بنعمة الله عليهم إخواناً  
متكافلين متعاضدين ، قوتهم ملجأ لضعيفهم ، وغنيهم كفاً لفقيرهم ، فسعدوا وسادوا  
وآسى الله تعالى عليهم نعمته وكانوا من المفلحين

ولكن خالف من بعدهم خالف نبذوا كتاب الله ورء ، ظهورهم كأنهم لا يعلمون ،  
وانحرفوا عن سنة رسولهم حتى جهلوا وكانوا قوماً عَمِينَ ، وسَخِرُوا مِنْ سَفِيهِمُ الصَّالِحِينَ  
وهجروا سَنَنَهُمُ الْقَوْمِ فَضَلُّوا وما كانوا مهتدين .

عابوا أحكام الله وعادَوْها ، كما عابوا فضائل الدين وعماسته وتَمَارَوْا فيها ، ( وَكَذَّبُوا  
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ) . ( صَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرٌ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ) .  
زعموا أن البخل بالمال حَرَمٌ محمود ، وأن قبْضَ الْأَغْنِيَاءِ أَيْدِيَهُمْ عَنْ سَدِّ حَاجَةِ  
الْمُحْتَاجِينَ أَمْرٌ لَا تَتْرِبُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، وأن في ترك الْمُتَوَرِّينَ فَرِيَسَةً بَيْنَ أَيْيَابِ الْفَقْرِ حِفْظٌ  
لِأَمْوَالِهِمْ وَسَلَامَةٌ لثَرَوَتِهِمْ أَنْ تُنْقَضَ بِإِسْعَافِ الْمُضْطَرِّينَ وَإِعَاثَةِ الْفُقَرَاءِ الْبَائِسِينَ

(١) الأنصار الذين سكنوا المدينة المنورة (٢) القوم وقبوتهم . (٣) من قبل أهل مكة  
المهاجرين . (٤) حسداً . (٥) من أجل الأموال التي أعطاهما الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين  
وهي أموال بني النضير . (٦) يعملون للمهاجرين على أنفسهم . (٧) احتياج إلى ما يؤثرون به على  
أنفسهم . (٨) حرصها على المال .



كَانَ شُحُّهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَغُلُّ أَيْدِيهِمْ أَنْ يَبْسُطُوهَا لِإِعَانَةِ إِخْوَانِهِمُ السَّالِمِينَ مَدْعَاةً  
لَا رَتَّكَابَ ضَعْفَاءِ الْإِيمَانِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ شَرَائِعِهِ ، فَوَقَعُوا فِيهَا وَقَعَ فِيهِ  
مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي فَسَقَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَأَخَذَتْ لِرَبِّهَا وَقَدْ نُهِيََتْ عَنْهُ ، وَلَمْ تَبَالِ  
بِأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ .

فَعَلَ ضَعْفَاءُ الْإِيمَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَمَّا بَخِلَ أَغْنِيَائُهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ ، كَمَا فَعَلَ أَشْيَاعُهُمْ  
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَنَبَذُوا الْقُرْآنَ كَمَا نَبَذَ أَوَّلُكَ التَّوْرَةَ وَرَاءَ طُهُورِهِمْ ، وَأَوَّلُوا  
مَا شَاءُوا أَنْ يُوَوَّلُوا ، وَحَرَّفُوا كِتَابَ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، بَلْ أَحْتَلَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الرِّبَا  
( وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ <sup>(١)</sup> ) .

وَلَوْ أَوْجَوْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَبُوتِ أَمْوَالِ الرِّبَا خَافِينَ أَنَّهَا سَتَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ ،  
وَتُنْقِذُهُمْ مِمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَتَكْشِفُ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
مِمَّا أَمَرَتْهُمْ بِهِ أَحْلَامُهُمْ ؛ وَلَكِنْ مَا عَتَمُوا حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمْ مَسَالِكُهُمْ ، وَانْتَوَتْ  
مَقَاصِدُهُمْ ، وَانْعَكَتْ أَمَانُهُمْ وَ ( أَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا ) وَ ( مَا رِيحَتْ نَجَارَتُهُمْ  
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) .

أَمْسَى الْوَاحِدُ الَّذِي أَخَذُوهُ مِنْ يَبُوتِ أَمْوَالِ الرِّبَا عَشْرَةً ، كَمَا أَمْسَتْ الْمِشْرَةُ مِائَةً ،  
وَالْمِائَةُ أَلْفًا بِلِ الْوَفَا ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَكْلِهِمُ الرِّبَا لِلَّذِي آذَنَ اللَّهُ تَعَالَى آكِلَهُ بِالْحَرْبِ أَنْ  
سَلَبَهُمْ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى الْكَفَافَ ، وَأَصْبَحُوا خُذًا مَا لَسَادَتِهِمُ الرَّرَائِينَ ، وَصَارُوا  
بَيْنَ عَشَائِرِهِمْ أَذْلًا ، مُسْتَجِدِينَ ، لَا يَمْلِكُونَ كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا ، وَكَانَ مِثْلُ أَعْمَالِهِمْ ( كَرَمَادٍ  
أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ) . ذَلِكَ هُوَ  
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ( فَتِلْكَ نِيَّتُهُمْ خَاوِيَةً مِمَّا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) .

(١) ذَوِي بَصَائِرٍ تَرَى الْحَقَّ وَلَكِنَّهُمْ تَامُوا فَمِنْ يَنْقُضُوا بِهَا .

كثيراً ما حزنَ المؤمنون الصادقون ، وأخذهم العجبُ من أمر هؤلاء المحذولين الذين أكلوا الربا بار صهرت ما في بطونهم ، وأذابت جلودهم ، وكانوا من الخاسرين . تساءل أولئك المؤمنون المحزونون . كيف أقدم أكلة الربا على أكله وقد رأوا بأعينهم وسمعوا ما آذاهم وعلموا ما أصاب أسلافهم الذين استهوتهم يوت الربا فوجئوها ورموا بأنفسهم بين أيديها فأشبت أظفارها في أحشائهم فزقتها كل ممزق ، وانتزعت من أيديهم كل ما كانوا يمسكون ولم تبق لهم منه بقية ، فأصبحوا في الفقر المدقع بعد الثراء ، وأزغمو بعد رغد العيش وسكنى القصور على الشظف ومررة الحياة والازواء في العراء .

ولكن أنظروا أن أولئك المؤمنين المحزونين الذين يتساءلون عن أكلة الربا الذين ستهتروا ولم يبالوا بإيذان الله تعالى لهم بالحرب حتى أصابهم سيئات ما عملوا ، عذراً في هذا لتساؤل ؟ ليس لهم عذر في ذلك البتة .

إن الحقيقة أن أولئك المتسائلين لا عذر لهم ولا شبهة في هذا التساؤل ، لأنهم إما تساءلوا ظناً منهم أن أكلة الربا قوم يعلمون قبح تعاطيه ، ومقت الله وغضبه على متناوليها ، وسوء مصير الذين يأكلونه في بطونهم باراً ، والوقع الذي لا مراء فيه أنهم جهلة لا يعلمون شيئاً من ذلك بل لا يشعرون .

وبيان ذلك أن الصمد الحقيقي الذي يستحق للتعسف به أن يكون في رُصرة العلماء الذين أنشئ الله تعالى والمقلا عليهم في مثل قوله تعالى . ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) وقوله : ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ) هو الايقان بالشئ ، والايقان والتصديق به وامتزاجه بالنفس يجرى فيها كما يجري الدم في الشرايين ، حتى تتأثر النفس به تأثراً يحفزها إلى المسارعة إلى الانتقاده وامل به ؛ وإذا ذلك نظر آباره في أعمال العالم به ، فإذا أقدم أو أحجم فإمما يكون ذلك منه

طاعةً لتلك لعلم وتسلية له ، لا للربا ، ولا للشهرة وحسن الأحدوة والخضوع لشهوات النفس .

ثم نقول : إن غش الرذائل والمجازي والمضار وسائر المعاصي لا ينحى على أحد ، فما من إنسان إلا يدرك قبج القتل والسرقة وشرب الخمر وتماطى ما يضر الجسم والعقل والمال والعرض ، إلى غير ذلك من سائر المحظورات ؛ ولكن هذا الإدراك لا يسمى علما بالمعنى الذى شرحناه لك آنفا ، وإنما هو مجرد اطلاع للنفس على ذلك الشيء . ولا جدال أن هذا الاطلاع المجرد عن الأثر المحمود إنما هو وقوف محض للنفس على ذلك الشيء . وعشور به ، لا يملك عليها قواها ولا يكون دافعا لها فى الفعل ، ولا وازعا لها فى الترك ، بل الفعل والترك معه إنما هما أمران يصدران عن شهوة تحكمت فى النفس وعن رغبة أحاطت بالعقل ورأت على القلب ، ولم يكن للنفس الانسانية فى هذه الحالة نصيب من العلم الحقيقى الذى يبناه لك ، كما أنها أيضا لا حظ لها من آثاره . وبهذا تعلم أن تسمية هذا لاطلاع النفسى المجرد عن آثاره علما إنما هى تسمية غير حقيقية .

لجملة القول أن الإدراك الذى يحصل فى النفس إن صدقت به وأذغنت له وسلمت به تسلية تظهر آثاره فى أعمالها وأحوالها فهو العلم الحقيقى المعتد به ، وهو الذى يحول بين العالم به وبين رتكاب ما يخالفه ، وإن لم يكن لإدراك على هذه الكيفية فهو علم غير حقيقى ولا يستتبع آثاره الخاصة به ، ولا يكون صاحبه عالما منتفعا بعلمه ، بل هو والجاهل سواء ، وهو الذى نعى الله تعالى عليه فى قوله . ( أَفَرَأَيْتَ مَنْ خُذَّ إِلَهِهُ هُوَ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ) .

فإن هذا كله نعلم أن المدرك لقبج المعاصي والرذائل وسائر المخالعات ولا يكون إدراكه لتلك زاجرا له ولا حائلا بينه وبين الانغماس فى رجسها فإنه لا يكون فى الواقع عالما حقيقيا منتفعا به ، بل يكون معروما من ثمراته وآثاره ، وكان إدراكه هذا

حجة قاعة عليه عند الله والناس ، بل عند نفسه : توبَّخه ونَحَزَّده وَخَزَّأ بين آيٍ وآخر ،  
إن كانت له نفس توبَّخه الى فطرتها الإنسانية وقت ما .

من ذلك الفريق الذي لم ينتفع بعلمه حتى كان في الحقيقة غير عالم وصار هو والجاهل  
سواء ، آكل الربا الذي زينت له نفسه سوء عمله فراه حسناً ، وأطرح الأوامر  
والنواهي ، وظهرياً ، ولم يُبالِ بما حلَّ بأمثله لذين ملأوا بطونهم بالربا من قبله ثم ماوا  
بالخسران يتضورون ويتكففون نادمين (يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) .

كل هذه العواقب الوخيمة لسيئة التي سقط فيها آكلو الربا إنما مصدرها الأغنياء  
الذين قبضوا أيديهم وغلُّوها إلى أعناقهم ، ولم يبسطوها كما أمرُوا الى الفقراء لينقذوهم  
ويردّوا عنهم غوائل الفقر والحاجة وهم يعلمون أن للفقراء حقاً أوجبهُ الله تعالى لهم  
في أموال الأغنياء يؤدونه لهم : إما زكاة وإما صدقة وإما قرضاً وعارية ومِنِيحة .

يعلمون كل هذا كما يعلمون ما أعدّه الله سبحانه لهم من حسن الثواب إذا عملوا  
بما علمُوا ، وسوء العقاب والمؤاخظة إذا لم ينتفعوا بما علمُوا وكانوا من الزاهدين فيما  
أعدّه الله الغنى المتفضل للمنفقين .

النوع الثاني من أنواع البر والمعمونة : للمعونة بالمقال . وهي باب واسع يدخل فيه  
كل قول صالح نافع يرشد إلى صلاح الدين ولديا ، من الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر ويبان كل ما تستقيم به أحوال المسلمين عامة ، وقد مثَّلَ صلى الله عليه وسلم  
لذلك بإرشاد الجاهل للطريق وهدايته الى سلوكه ، وذلك بأن يَشِيرَ إليه أو يَصِفَهُ له  
وصفا يكشفه له أو يأخذ بيده إليه إن احتج الى ذلك .

ثم إنه صلوات الله وسلامه عليه بين ما يناله العبد المطيع لهذه التعاليم التي علمها  
أُمته ليعملوا بها وتستقيم لهم دنياهم وأخراهم : يَبَيِّنُ أنها جزاء حسن عند الله سبحانه  
بماثل جزاء من أعتق رقبة فأعاد اليها إنسانيتها الكاملة ، وردَّ عليها حرَّتها المطلقة ،

فأصبحت بنعمة العتق كاملة الملك تامة التصرف فيما تملك صالحة لكل ما يصلح له الأحرار من سائر الأحكام والمعاملات الدينية والدينية التي خوطبوا بها الإسلام .

أما لجزء العظيم الذي أعدّه الله تعالى لمن أعتق رقبة مكافأة له على ذلك الإعتاق، فقد ورد بيانه والترغيب فيه في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فمن ذلك قوله تعالى : ( فَلَا اقْتِنَمَ الْعَقَبَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكَ رَقَبَةً ) وقوله عليه الصلاة والسلام : « أَيُّمَا رَحُلٍ آعَتَقَ أَمْرًا مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ »<sup>(١)</sup>

أَلَا فَلْيَعْلَمْ المسلمون الأغنياء والقادرون منهم على إغاثة إخوانهم ولو بالهدية والنصيحة ، أَنَّ أَمَامَهُمْ عَقَبَةٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ اقْتِنَامَهَا ، وَنَارًا تَنَاطَى لَا يَحْصِي لَهَا مِنْهَا ، إِلَّا إِذَا أَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمَا يَرْضِيهِ عَنْهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ الَّتِي مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي نَشْرَحُهُ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَانَ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ مَا لَا إِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَاقْتَنَمُوا الْعَقَبَةَ وَاسْتَنْقَذَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ مَنْ آعَتَقُوهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ . وَلَعَلَّهُمْ فَاعِلُونَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

منه منصرف

وكيل مدرسة دار العلوم العليا سابقاً

(١) رواه البخاري .

## التوسل وجهده الوهابيين

قلنا في العدد السابق إنه لا بأس أن تتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ونستفيد به في حياته وبعد مماته لأن التوسل إنما هو بمنزلة عند الله وهي ثابتة له في الدنيا والآخرة والمطلوب منه هو الله تعالى ، على أنما نطلبنا من النبي أن يتشفع لك عنده تعالى لصح عقلا ونقلا ، فإنه يمكنه وهو في البرزخ أن يسأل الله لنا كما كان يسأله في حياته . وقد قلنا إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركة ، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم أن للروح بعد مفارقة الجسد أعمالا تعملها (في هذا العالم) لم يكن يمكنها أن تعملها حال اتصالها بالبدن إلى آخر ما نقلنا عنه ؛ وهو معقول جدا ، فإن الأرواح لم تستمد قوتها من الأشباح حتى تذهب قواها وخصائصها بمفارقتها ، بل الأشباح هي التي تستمد حياتها وأفعالها من الأرواح ، فإذا الاشتباه الذي أدى إلى قلب الحقائق ومصادمة المعقول والمنقول ؛ على أن تخصيص الجواز بالحى دون الميت أقرب إلى إيقاع الناس في الشرك ، فإنه يوم أن للحى فعلا يستقل به دون الميت ، فأين هذا من قولنا إن الفعل في الحقيقة لله لا للحى ولا للميت ؟ ومن أمعن النظر في كلامهم لم يفهم منه إلا مذهب المعتزلة في الأحياء ، ومذهب الذين يتسوا من أصحاب القبور في الأموات . وعلى كل حال فالنقلة عن الفاعل الحقيقي وتحويل أن الفاعل غيره أظهر في الأحياء منه في الأموات . وقد نقلنا لك كلام الشوكاني وهو من أئمتهم أيضا في التوسل ورده على العز بن عبد السلام في تخصيصه جواز ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنه لا فرق بينه وبين غيره .

ونقل كما قال على سبيل التنزل عسى أن ينقطع النزاع بيننا وبينهم : لماذا لا يجعلون التوسل بالولي أو النبي توسلا بعمله الصالح فإنك تتوسل بالولي من حيث

هو ولي مقرب الى الله تعالى وما تقرب اليه إلا بما أحبه من صالح الأعمال ، وسؤل الله بالأعمال الصالحة يجمع على جوزه منا ومنكم ؟ وتستسمعون أكثر من هذا ولتذكر لكم اليوم عبارة ابن قدمه وهو من كبار الحنابلة الذين أنتم على مذهبهم وقد قال فيه ابن تيمية : إنه لم يدخل الشام بعد الأوزى على أفضل منه ، فلعله بحرك منكم الانصاف أو يذكركم بمذهبكم إن كان لكم مذهب كما تدعون .

نريد أن نحاكمكم الى العقل تارة ولى ما قاله انشوكاني وابن القيم وأئمة الحنابلة تارة أخرى .

وليت شعري هل يفيد شيء من هذا : ( بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ) وقد قال الله في حق قوم أشربوا في قلوبهم التعصب والعناد : ( وَإِنْ يَرَوْا كُلاً آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ) وسر ذلك كما بين الله أنهم كانوا يتكبرون في لأرض بغير الحق ؛ وأى تكبر أعظم من تكبر من يحتقر جميع المسلمين ويعتقد أن لا ناجى غيره ؛ ولكننا نكتب لغير جهة الوهابيين كي نقيه من عدوهم ، وللمنصفين منهم كي يرجعوا الى الحق اذا تبين .

أما عبارة ابن قدامة الحنبلي في مغنيه الذي هو من أجل كتب الحنابلة أو أجابها على الإطلاق فهناك نصها : قال في صفة زيارته صلى الله عليه وسلم في صفحة ٥٩٠ من الجزء الثالث : نأتى القبر فقولى ظهر لك القبلة ، وتستقبل وسطه وتقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه ، الى أن قال . اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما حاربت به أحدا من النبيين والمرسلين ، وابعثه للمقام المحمود الذي وعدته ينبطه به الأولون والآخرون ، الى أن قال : اللهم إياك قلت وقولك الحق : ( وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ وَابًّا رَحِيمًا ) وقد آتيتك مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بك لي ربي . فانظر الى استشفاعه به

وهو في قبره الذي يحرمه الوهابيون « الحنابلة » : وأظن أنهم لا يجرءون على التفرقة بين الاستشفاع والتوسل وإن كنا لا نستبعد منهم ما يعقل وما لا يعقل ، كما نعتقد أنهم لا يفهمون إلا ما يفهمه الناس من أن الزائر يستغفر والرسول يستغفر أيضا وهو في البرزخ ، وإلا فلا معنى لإيراد هذه الآية ولا بعد في استغفاره صلى الله عليه وسلم بعد موته ، فقد ورد في الحديث الصحيح « تعرض على أعمالكم » أى بعد الموت « فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا أستغفرت لكم » وقد أطل المناوى وغيره في تصحيح هذا الحديث ، فأنت تراه أثبت الاستغفار لنا بعد وفاته بنص الحديث . وفي شرح المقنع المطبوع مع المغنى على ثقافة جلالة الملك بن سعود وبصحيح الأستاذ السيد رشيد رضا في صفحة ٤٩٥ مثله حرفا بحرف وفيه زيادة على ذلك ما نصه : روى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » وفي رواية : من زار قبري وجبت له شفاعتي اهـ . والدارقطني من أعظم المحدثين تحرياً وأكثرهم تشدداً في الحديث ، ولكنه وافق على حديث الزيارة كثيره من الحفاظ النقاد كما بينه السبكي في شفاء السقام بما لا مزيد عليه .

فهذا كلام الحنابلة الأول المتبعين لمذهب الامام أحمد ، المتمسكين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبيه كسائر علماء المذاهب .

وانذكر لك بعد ذلك ما وعدنا به من أدلة التوسل من السنة الصحيحة فنقول :

شيء منه أدلة التوسل :

جواز التوسل وحسنه معلوم لكل ذي دين ، وكأنه مركز في الفطر الإنسانية أن يتوسل الى الله بأنبيائه وأصفياه والمقرين لديه ، ولذلك يذهب الناس يوم القيامة للأنبياء كي يشفعوا لهم لمزلة لهم عنده وإن كان الله أقرب إليهم من حبل الوريد ، وأتباع كل نبي



كانوا يتوسلون الى الله بذلك النبي ، وقد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة . أما التوسل به قبل وجوده فيدل له ما أخرجه الحاكم وصححه ولم يتعقبه الذهبي في كتابه الذي تعقب به الحاكم في مستدركه ، وقد صح عن مالك أيضا على ما رواه القاضي عياض في الشفاء أن آدم لما اقترف الخطيئة توسل الى الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال له من أين عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ فقال وجدت اسمه مكتوباً بجانب اسمك فعملت أنه أحب الخلق إليك فقال الله . إنه لأحب خلق إلى وإذا توسلت به فقد غفرت لك . وقال مالك للمنصور وقد سأله : يا أبا عبيد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له الإمام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك الى الله ووسيلة أيك آدم . يشير الى ذلك الحديث ، وقال المفسرون في قوله تعالى : ( وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ) : إن قرينة والنضير كانوا إذا حاربوا مشركي العرب ستنصروا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان فينتصرون عليهم ؛ وهو مروى عن ابن عباس وقتادة وغيرهما ؛ فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده .

أما التوسل به بعد وجوده في حياته فلا أظن أن أحد يمارى فيه ، فقد كانوا يذهبون اليه في كل شدة . إذا أجذبوا أو نزلوا منزلاً فم يحدوا به ماء ، وعند ما يمسمهم ضر أو كرب مما لا يسعنا الإفاضة فيه لأن ، وإني أسكره منكر ملائمة الدنيا أدلة وبراہین ، وإن سموا بمضه استفانة فلا ضرر فإنه يثبت المطلوب بالطريق الأولى ويرد عليهم على كل حال ، والزاع ايس في الفاظ وعبارات كما قلنا في العدد السابق .

ولكن نسوق لك الآن حديثاً صحيحاً أخرجه الترمذی وصححه والنسائي والبيهقي والطبرانی بأسانيد صحيحة اعترف بها الحفاظ حتى ( الشوكاني ) : رووا جميعاً عن

عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلاً أعمى جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهم جلوس معه فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصبر ، فقال ليس لى قائد وقد شق علىّ فقد بصرى ، فقال له : « ائت البضأة فتوضاً ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم إني أتوجه اليك نبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لى اللهم شفعه فيّ » وفي رواية « فإن كان لك حاجة فقل ذلك » قال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضرر . هذا هو الحديث الصحيح الصريح الذى كان ينبغى أن يقطع النزاع .

ولكن السخيف المتعصب لا يعدم خيالاً فاسداً وكلاماً فارغاً ، وقد قال الله تعالى : « وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا » . فننتظر حتى يتخيل ، وإني ألفت نظرك الى قوله عليه السلام . « فإن كان لك حاجة فقل ذلك » والى ندائه صلى الله عليه وسلم وهو غائب عنه وهو مما يحرمه الوهابيون أو يجعلونه شركاً .

وأما التوسل به بعد وفاته فيمكننا أن نستدل عليه بهذا الحديث ، فإن قوله صلى الله عليه وسلم « فإن كان لك حاجة فقل ذلك » صريح فى جوازه بلا قيد ولا شرط ، وبدل له أيضاً ما رواه الطبري والبيهقي والترمذي بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يخشى الى عثمان بن عفان زمن خلافته فى حاجة له فكان لا يتفتت اليه ، فرجا عثمان بن حنيف أن يكلمه فى شأنه فعلمه الدعاء المذكور فتوضاً وصلى ثم دعا به كما علمه ، ثم جاء الى باب عثمان فأخذه الخادم وأدخله عليه فأجلسه بجانبه على الطنفسة ثم قضى حاجته وقال له : إذ عرضت لك حاجة فأتنا ، فلما قابل الرجل عثمان بن حنيف قال له : جزك الله خيراً ، ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته فيها ، فقال له والله ما كلمته ولكننى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه أعمى وذكر الحديث . هذا وقد توسل صلى الله عليه بالأنبياء السابقين بعد موتهم كما فى الحديث الصحيح .

فمن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وكانت قد ربت النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس عند رأسها ثم قال : رحمتك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها ، ثم كفها يردته وأمر بحفر قبرها ، قال فلما باخوا الأحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج تر به بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال : « الله لذى يحيى ويميت وهو حي لا يموت » اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والآتية الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين . أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح . وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضى الله تعالى عنه مثل ذلك ، وروى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضى الله تعالى عنه . ثم يقول إنهم كانوا يتركون بآثاره صلى الله عليه وسلم بعد موته ، فقد ثبت أنه كان له صلى الله عليه وسلم حية عند أسماء بنت أبي بكر كانوا يستشفون بها ، ولا معنى لهذا إلا أنهم كانوا يتوسلون بآثاره إلى الله تعالى فيشفهم ببركاتها .

والتوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد كما يفهم هؤلاء ، أفترام يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به . وفي الباب شيء كثير لعنا نذكره بعد . أما توسل عمر بالعباس حينما استسقى به دون النبي صلى الله عليه وسلم فلكون ذلك هو سنة الاستسقاء ولكون العباس من ذوى الحاجة للمطر ، أو لكون عمر أراد أن يبين للناس أنه يجوز التوسل بغيره صلى الله عليه وسلم لفضله أو لقربته منه عليه السلام أو لخوفه على ضعفاء المسلمين وعوامهم إذ تأخر المطر بعد التوسل ، أو ليدلهم على أن التوسل بالمفضول جائر مع وجود الفاضل ، وإلا فعلى أفضل من العباس وكذا عمر . على أن السبقي في دلائل النبوة أخرج ما يأتي ، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار خازن عمر رضى الله عنه قال : أصاب الناس قحط في زمان عمر ،

فخاف رجل قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق الله لأمّتك فانهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال أئت عمر فاقراء السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضى الله ثم قال يارب ما آلو إلا ما عجّزت عنه . ومحل الاستشهاد في هـ الأثر طلبه الاستسقاء من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وإقرار عمر إياه على ذلك . هذا وأحب أن تتذكر ما قلناه من أن المسؤول هو الله تعالى لا فاعل غيره ولا خالق سواه ، وإنما نسأله بمنزلة حبيبه لديه ومحبته له ، وذلك شيء ثابت لا يتغير في الدنيا ولا في الآخرة . ومن شك في منزلته أو قرره صلى الله عليه وسلم فقد كفر . على أن قول عمر بمحض من الصحابة إنما توسل اليك بم نبيك يدل على حواز التوسل بالمنزلة وإلا لم يكن له معنى ، وأى حاجة إليه إذا كان المقصود دعاء العباس ، وهل ذلك من دعاء العباس ؟

أما التوسل به في عرصات القيامة فلا حاجة للإطالة فيه فإن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر ، وفيها أن الناس يذهبون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة إلى آخر ما هو معروف : « ضاق الكلام بنا من عظم ما اتسعا » .

### الخرصة

والخلاصة أنه مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم له عند الله قدر على ومرتبة رفيعة وجاء عظيم ، فأى مانع شرعى أو عقلى يمنع التوسل به فضلا عن الأدلة التي تثبتته في الدنيا والآخرة ولستأني ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه ؟ فممن بدعوه بما أحب أيأ كان ، فتارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها ، وتارة نسأله بمن يحبه من خلقه كما في حديث آدم السابق وكما في حديث فاطمة بنت أسد الذي ذكرناه ، وكما في حديث عثمان بن حنيف المتقدم ، وتارة نسأله بأسمائه الحسنی كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « أسألك بأنك أنت الله » . أو بصفته أو فعله

كما في قوله في الحديث الآخر: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» وليس مقصودا على تلك الدثرة الضيقة التي يظنها الجاحدون.

ومر ذلك أن كل ما أحبه الله صبح التوسل به، وكذا كل من أحبه من نبي أو ولي، وهو واضح لدى كل ذي فطرة سليمة ولا يمنع منه عقل ولا نقل بل تضافر العقل والنقل على جواره، والمسؤول في ذلك كله الله وحده لا شريك له، لا النبي ولا الولي ولا الخليفة (فلنكلم من عند الله قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) وإذا جاز السؤال بالأعمال فبأنبي صلي الله عليه وسلم أولى لأنه أفضل المخلوقات والأعمال منها، والله أعظم حباله صلى الله عليه وسلم من الأعمال وغيرها. وليت شعري ما المانع من ذلك واللفظ لا يفيد شيئاً أكثر من أن للنبي قدراً عند الله، والتوسل لا يريد غير هذا المعنى، ومن ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا.

لو كنا مثهم نأخذ بالظنة وتصيد الشبه ونسارع إلى تكفير المسلمين لا يمكن أن نقول لهم: إن من لا يعرف قدر النبي أولى بالاشراك ممن عرفه، ومن استباح دماء المسلمين أقرب إلى الضلال ممن استبرأ لدينه وعرضه. وبعد، فسألة التوسل تدور على عظمة المسؤول به ومحبته، فالسؤال بالنبي إنما هو لمعظمته عند الله أو لمحبهته إياه، وذلك مما لا شك فيه.

على أن التوسل بالأعمال متفق عليه منا ومنهم، فلماذا لا نقول إن من يتوسل بالأنبياء أو الصالحين هو متوسل بأعمالهم التي بحبها الله تعالى وقد ورد بها حديث أصحاب الغار فيكون من محل الاتفاق؟ ولا شك أن للتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث إنهم صالحون فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق على جوار التوسل بها كما قلنا في صدر المقالة. ولتقتصر اليوم على هذا وموعدا الأعداد المقبلة

إن شاء الله

يوسف الدمجوي

من هيئة كبار العلماء

## نقل معاني القرآن

### الى اللغات الأجنبية<sup>(١)</sup>

يتحدث الناس عن نقل معاني القرآن الى اللغات الأجنبية ، وتأثيرها  
الرسائل في السؤال عن حكم هذا النقل ، وذلك ، دعاني أن أنظر الى هذا  
الموضوع الخطير ، وأعرض ما وصلت اليه من نتيجة ، وأرجو أن أكون  
من استقام في البحث حق اهتدى الى الحقيقة .

### هل في المستطاع ترجمته القرآن الى لغة غير عربية ؟

للقرآن - ككل كلام عربي بليغ - معان أصلية ، وهي ما يستوى في فهمه كل  
من عرف مدلولات الألفاظ المفردة ، وعرف وجوه إعرابها من فاعلية ومفعولية ،  
وحالية وإضافة ، وما يشاكل ذلك من الأحوال المبحوث عنها في علم النحو ؛ فالعنى  
الأصلي لقوله تعالى : ( وَآسُكُمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ) يفهمه كل من له إلمام باللغة العربية ،  
سواء عليه أكان خبيراً بطرق البلاغة ، أم كان فاقداً للاحساس لذى يتذوق به طعنها ؛  
فكل عارف بمدلولات ألفاظ هذه الآية ووجوه إعرابها ، يعقل منها أن قتل الذى  
يقتل نفساً بغير حق ، يحى من القتل فيما بعد ، ويكون سبباً لحياة كثير من الناس ،  
لما فى القصص من الزجر البالغ والإرهاب .

وللقرآن معان ثانوية ، ويسمى علماء البلاغة بمستقبعات التراكيب ، وهي خواص  
العلم التي يرتفع بها شأن الكلام ، وتتساق في مجالها فرسان البراعة من الخطباء  
والشعراء ، فقد يتحد الخطيبين أو الشعراء فيما يريدان إفادته من المعاني الأصلية ،  
وتفاضلان فيما يتبع هذه المعاني من لطائف ومعان ثانوية .

(١) محاضرة أقيمت في دار حمية الهداية الإسلامية .

والمعنى الأصلي قد يوافق فيه بعض الآيات منشود أو منظوم من كلام العرب، ولا تمس هذه الموافقة إيجاز القرآن، فإن إيجازه ببديع نظم، وروعة بيان، وبما حلف به من المعاني لزئدة على أصل المراد، وبحكمة معنى كل آية بحيث لا يجد أولو الأبصار في آياته تحذلا، ولا في كلماته لاغية، وبما يضاف الى هذا من إخباره عن غيوب وقعت كما وصفها.

وإذا كان للقرآن معان أصلية وأخرى تابعة وهي مظهر بلاعته وملاك إيجازه، فإن ترجمته بالنظر الى المعاني الثانوية غير ميسورة إلا أن توجد لغة توفق للغة العربية في دلالة الفاظها على هذه المعاني السمة عند علماء البيان خواص التركيب، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه، ومن نبه على هذا في القديم أبو القاسم الرغيشري في كتابه إذ قال: « إن في كلام العرب - خصوصا القرآن - من لطائف المعاني ما لا يستقل بأدائه لسان ».

وليس في هذا إنكار أن يكون في اللغات الأخرى بلاغة، ويكفي في تعدد ترجمة ما يجعله اللفظ العربي من دقائق المعاني أن هذه المعاني أو بعضها مما لا يشير اليه اللفظ المراد له من اللغة الأجنبية إلا أن تصاغ له جملة مستقلة، وأضرب المثل لهذا بتقديم المفعول على الفعل يدل في اللغة العربية على الاهتمام بشأنه، وربما كانت اللغة الأخرى لا تبدل بالتقديم على هذا المعنى، فيحتاج المترجم في الدلالة على معنى الاهتمام لدى يشير اليه اللفظ العربي بالتقديم الى عبارة أخرى بعد العبارة التي ينقل بها أصل المعنى، وإذا كان التشكير يدل في اللغة العربية على التعظيم أو التحقير، ولم يمتد أهل اللغة الأجنبية أن يدلوا به على هذا المعنى، فإن المترجم يقتصر في ترجمة الاسم النكرة على مدلوله اللغوي، ويفوته معنى التعظيم أو التحقير الذي يمد من مقاصد المتكلم العربي ويدخل فيما يورث الجملة العربية رفعة، وإذا رد المترجم كلمة تدل معنى عظيم أو حقير ذهب رويق البلاغة الذي هو حلية للفظ العربي، لأن لأخذ هذا المعنى من التشكير وقفا في نفس السامع غير الوقوع الذي يكون له عند ما ينطق المتكلم بلفظه الصريح.

وعلى فرض أن يوجد لسان أجنبي يستقل بأداء ما في كلام العرب من لطائف المعاني، فلا يثق أحد بأنه وصل الى كل ما في الآية من المعاني التي يرتفع بها شأن الكلام حتى يصح له ادعاء أنه عبر باللغة الأجنبية عن كل ما أريد من الآية، وأن نقله لها الى تلك اللغة ترجمة طبق الأصل .

والذي يمكن نقله الى لغة أخرى إنما هو معانيه الأصلية حيث لا تقصر لذات الأجنبية عن تأديتها، قال أبو إسحق الشاطبي في كتاب الموافقات : « إن ترجمة القرآن على الوجه الأول ( يعنى النظر الى معانيه الأصلية ) ممكن ، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وكان ذلك حائرا باتفاق أهل الاسلام ، فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي » .

وإذا كان نقل المعاني الأصلية قد يقع صحيحا ، وكان في مستطاع من يجيد لغة أجنبية أن ينقل هذه المعاني من اللغة العربية الى اللغة التي أجاد معرفتها ، لم يبق سوى النظر في تفصيل حكم هذا النقل ، وبيان حال المنع منه أو لادخله فيه .

ويرجع النظر في هذا البحث الى مقامين :

المقام الأول . قراءة ترجمة القرآن في الصلاة ، والمقام الثاني : نقل معاني القرآن ليطلع عليها أهل ذلك اللسان لعلمهم بهتدون .

المقام الأول :

نجد في المسائل التي هي موضع خلاف بين الأئمة القرّة في الصلاة بالفاظ غير عربية يعبر بها عن طائفة من معاني القرآن الكريم ، يروى عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يرى حوازي القرّة في الصلاة باللغة الفارسية ، وبني بعض أصحابه على هذا القول جوارها بالتركية والهندية وغيرها من اللسان ، وطاهر هذه الرواية جواز القرّة بالفارسية ونحوها ولو كان المصلي قادرا على النطق بالعربية ، ومبنى هذا القول



على أن القرآن اسم للمعاني التي تدل عليها الألفاظ العربية ، والمعاني لا تختلف باختلاف ما يتعاقب عليها من الألفاظ واللغات .

أما أصحابه لإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن فجعلوا القراءة في الصلاة باللسان الأعجمي من قبيل ما تدعو اليه الضرورة ، فأجازوها للمعجز عن العربية دون القادر على القراءة بها ، وهذا ما تجرى به الفتوى في مذهب الحنفية ، قال في معراج الدراية : « إنما جوازنا القراءة بترجمة القرآن للمعجز إذا لم يخل بالمعنى ، لأنه قرآن من وجه باعتبار اشتراكه على المعنى ، فالإتيان به أولى من الترك مطلقا ، إذ التكليف بحسب الوسع » .

وما روى عن الإمام أبي حنيفة من جواز القراءة في الصلاة بترجمة القرآن قد صح رجوعه عنه ؛ حكى هذا الرجوع عبد العزيز في شرح البزدوى ، قال صاحب البحر المحيط « والذين لم يطلعوا على الرجوع من أصحابه قالوا . أراد به عند الضرورة والمعجز عن القرآن ، فإن لم يكن كذلك امتنع وحكم بزندقة فاعله » وليس الإلحاد ممن قدر أن يقرأ في الصلاة بالعربية فعدل عنها الى الأعجمية ببعيد .

أما المالكية والشافعية والحنابلة فقد منعوا القراءة بترجمة القرآن في الصلاة ، سواء كان المصلى قادرا على العربية أم عاجزا ، ناظرين الى أن ترجمة القرآن ليست قرآنا ، إذ القرآن هو هذا النظم المعجز الذي وصفه الله تعالى بكونه عربيا ، وبالترجمة يزول الإعجاز .

قال القاضي أبو بكر بن العربي - وهو من فقهاء المالكية - في تفسير قوله تعالى : ( وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ) . قال علماءنا : هذا يبطل قول أبي حنيفة رضى الله عنه - إن ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية منه بالفارسية جائز ، لأن الله تعالى قال : ( وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ) ، نفي أن يكون للمعجمة إليه طريق ، فكيف يصرف الى مانئي الله عنه

ثم قال « إن التبيين والإعجاز إما يكون بلغة العرب ، فلو قلب الى غير هذا لم كان قرآنا ولا بيانا ، ولا اقتضى إعجرا » .

وقال الحافظ بن حجر وهو من فقهاء الشافعية - في فتح الباري : « إن كان القارئ قادرا على تلاوته باللسان العربي فلا يجوز له المدول عنه ، ولا تجزئ صلانه ( أى بقراءة ترجمته ) وإن كان عاجزا ، ثم ذكر أن الشارع قد جعل للمعجز عن القراءة بالعربية بدلا وهو الذكر .

وقال الشيخ ابن تيمية وهو من فقهاء الحنابلة - في الرسالة الملقبة بالسبعينية . « وأما الإتيان بلفظ بين المعنى كبيان لفظ القرآن فهذا غير ممكن أصلا ، ولهذا كان أئمة الدين على أنه لا يجوز أن يقرأ بغير العربية لا مع القدرة عليها ولا مع المعجز عنها ، لأن ذلك يخرج عن أن يكون هو القرآن المنزل » .

وخلاصة البحث أن الخلاف في القراءة في الصلاة بغير العربية يرجع الى مذهبين ( أولهما ) أن ذلك محظور والصلاة بهذه القراءة غير صحيحة ، وهو مذهب الجمهور من أئمة الدين ، ( والثانيها ) جواز القراءة بالأعجمية عند المعجز عن النطق بالعربية ، وهو مذهب الامامين : أبى يوسف ومحمد بن الحسن ، ولا يعد بجانب هذين المذهبين ما يعزى للإمام أبى حنيفة من صحة القراءة بالفارسية ولو للقادر على العربية ، لما عرفت من صحة رجوع الامام عنه ، والقول الذى يرجع عنه الامام لا يعد قولاً في المذهب ، وإذا نظرنا الى أن من الفقهاء الحنفية من حمل ما روى عن الامام أبى حنيفة على حال المعجز عن العربية لم يبق في المذهب الحنفى سوى قول واحد وهو تقييد الجواز بحال المعجز من النطق بالعربية :

### المقام الثانى فى نقد المدعى على حكمته :

فى النقل وجوه من الفساد تقتضى المصالح منه ، وفى النقل مصلحة تستدعى الإذن فيه ، وهما نحن أولاء نذكر لك وجوه الفساد ، ونكشف عن وجه المصلحة ، ونعرض

عليك آراء أهل العلم . ونرجو أن يكون نقل ما يمكن نقله من لمعاني الأُصْلية على وجه التفسير غير محظور .

### وهو الضماد في ترجمته :

الترجمة نوعان : (أحدهما) أن يعتمد المترجم الى كل كلمة عربية ويضع بدلها ما يرادفها من اللسان غير العربي ، ثم يسوق الجملة مراعيًا ترتيبها على قدر ما تسمح به قواعد ذلك اللسان ، وهذا ما يسمى ترجمة حرفية . (ثانيها) أن يعمى الجملة العربية ، ثم يصوغه في جملة من اللغة الأخرى سواء أساوت ألفاظ الترجمة ألفاظ الأصل أو اختلفتا إيجارا وإطنابا ، وهذا ما يسمى ترجمة معنوية

وخلال لدى يشترك فيه الترحمتان . الحرفية والمعنوية أن يكون للفظ ذا معيين أو معانٍ تحتملها لآية ، فيضطر المترجم الى أن يضع بدله من اللغة الأجنبية اللفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين أو المعاني ، حيث لا يجد لفظا يش كل للفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة ؛ ومثال هذا ما صنع ما كس هينج Max Henning مترجم القرآن للسان الألماني ، فانه ترجم الإبل في قوله تعالى ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ) . باللفظ الموضوع في الألماني للسحاب ، وهو أحد المعاني التي حملت عليها الآية ؛ والجمهور يفسرون الإبل بالحيوان المعروف ، وهو المتبادر ، ولا داعي الى صرف اللفظ عنه الى ذلك المعنى المجازي وهو السحاب .

ومن الخلل الذي يدخل الترجمة الحرفية أن يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف للفظ العربي في معناه الحقيقي ، وهذا ما صنع مارما ديوك بكتهمول Marmaduke Pickthall مترجم القرآن الى اللسان الانكليزي في كثير من الآيات ، وقد وقع من هذه الناحية في أخطاء لا تحصى ، نجدونه مثلا - يترجم قوله تعالى ( فَيَدْمَغُهُ ) من آية ( بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ) . بمعناها

الأصلى ، وهو (فيشج رأسه) وترجم قوله تعالى : (وَلَا يَحْمِلُ يَدُكَ مَقُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطُهَا كُلُّ الْبَسْطِ) . بملولها الأصلى وهو جمع اليد الى العنق وإطلاقها ، والقدرى الانكازى لم يمتد أن يضم من مثل شج الرأس معنى القلب ، ولا من جمع اليد الى العنق وإطلاقها معنى البخل والإسراف .

ومن هذا القبيل أن يطلق القرآن لفظا عاما ويريد به خاصا كما أطلق الواقعة على يوم القيامة في قوله تعالى : (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) . فيأتى المترجم بما يرادف لوقعة دون ما يرادف يوم القيامة ، وكذلك فعل المترجم الألمانى إلا أنه كتب في أسفل الصحيفة منها على أن المراد يوم القيامة .

ومن هذا الباب أن يستعمل القرآن الكلمة ومعناها لا يظهر إلا بملاحظة متعلق محذوف ويكون هذا المتعلق قريب المأخذ في النظم العربى دون لغة الترجمة كقوله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) . فان ترجمتها من غير ذكر متعلق السابقين الواردة أولا وهو (في الدنيا) ومتعلق السابقين الواردة ثانيا وهو (في الآخرة) لا تأنى للقارئ الألمانى بفائدة .

وفى القرآن بمد هذا كلمات كثيرة اختلف فيها أهل العلم ، فمنهم من يقف دون تفسيرها فيؤمن بأن لها معانى صحيحة ، ويدع تعيين هذه المعانى الى علم الله وحده ، ومنهم من يأخذها بالتأويل ويذكر لها معانى معقولة ، ويذهب هذا الفريق فى التأويل مذاهب يحتاج ترجيح أحدها على غيره الى ذوق فى لغة العرب سليم ، ونظر فى فهم أصول الدين مستقيم ، وهذا ما يسمونه آيات الصفات فى قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى) .

وقد تعرض الامام الغزالى فى كتاب إلجام العوام للاخبار الموهمة للتشبيه ، وقرر الامساك عن التصرف فى ألفاظها بتفسيرها بلغة غير عربية ، وقال : « لا يجوز النطق

إلا باللفظ الوارد لأن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها، ومنها ما يوجد لها فارسية تطابقها، لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها، ومنها ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون مشتركاً في الفارسية .

ولما يعرض في ترجمة القرآن من الصعوبة أجاز بعضهم ترجمة الآيات المحكمة والقريبة المعنى بمقدرة الضرورة اليهما من التوحيد وأركان المبادات، وقال : لا يتعرض لم سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللسان العربي<sup>(١)</sup>.

الراعى الى نقل معاني القرآن الى اللغات الأجنبية :

كان المسلمون فيما سلف يقتحمون للسيادة كل وعمر، ويركبون لإظهار دين الله كل خطر، ويلبسون من برود البطولة والعدل وكرم الأخلاق ما يملأ عيون مخالفينهم مهابة وإكباراً، وكانت اللغة العربية تجر داءها أيتها رفعا رايتهم، وتنتشر في كل واد وطئته أقدمهم، فلم يشعروا في دعوتهم الى الاسلام بالحاجة الى نقل معاني القرآن الى اللغات الأجنبية، وربما كان عدم نقلها الى غير العربية وهم في تلك العزة والسلطان من أسباب إقبال غير العرب على معرفة لسان العرب، حتى صارت أوطان أعمية الى النطق بالعربية .

ذلك لأمر الذي جعل اللغة العربية تتقلب في البلاد، والقرآن يدرس باللسان الذي نزل به في كل واد، قد سكنت منذ حين ربحه وتقطعت أسبابه، غشيت المسلمين فتن، وناموا عن واجب الدعوة الى سبيل ربهم، غفروا مظاهر عزمهم، وفقدوا الوسائل التي كانت تسعد اللغة العربية فتنتقلق بها ألسنة المخالفين، ويدخلون منها الى الاطلاع على ما في القرآن من بلاغة وحكمة .

(١) نفسه، ذكرى في البحر المحيط الى بعض الأئمة للتأخرين من لغاربة .

أصبحنا أمام أمر واقع هو عدم استطاعتنا لنشر اللغة العربية في غير بلاد إسلامية يرأسها مسلم طاهر السريرة ؛ وإبلاغ دعوة لاسلام الى الشعوب غير الاسلامية فريضة لا تسقط إلا حين يسقط غيرها من الفرائض ، فلا بد لنا من ابتغاء الوسيلة الى القيام بهذه الفريضة ، وليس في يدينا اليوم وسيلة إلا نقل معاني القرآن الى السنة من يزيد دعوتهم الى شريعته الفراء .

وما يدعو اليوم الى نقل معانيه الى بعض اللغات الأجنبية على وجه التفسير أن كثيرا من الأوربيين - ومنهم قسس - قد ترجموا القرآن الى لغاتهم تراجم مملوءة بالخطأ ، وإعماي كفى شر هذا الفساد بإراءة أصحاب تلك اللغات معاني القرآن على وجهها الصحيح . هذا ما يأخذ النظر الى مذهب الإذن في نقل معاني القرآن الى اللغات الأجنبية ، وقد صرح بجواز هذا النقل طائفة من كبار أهل العلم ، قال ابن نطال : « إن الوحي كله متلوا وغير متلوا إنما نزل بلسان العرب ، ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجماء وغيرهم ، لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عري ، وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » .

وقال الحافظ ابن حجر : « فمن دخل الاسلام أو أراد الدخول فيه فقرأ عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحاجة فيدخل فيه <sup>(١)</sup> » .

وقال ابن تيمية في الرسالة السبعينية : « ولكن يجوز ترجمته كما يجوز تفسيره وإن لم تجز قراءته بألفاظ التفسير وهي اليه أقرب من ألفاظ الترجمة بلغات أخرى » .

وبعض من منعوا ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية صرحوا بما يقتضيه جواز تفسيره بها ، قال القفال من كبار علماء الشافعية : عندي أنه لا يقدر أحد على أن يأتي

(١) الفتح — باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية .

بالقرآن بالفارسية قيل له : « هذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ! قال : ليس كذلك لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن بعضه ، أما إذا أراد أن يقرأها بالفارسية ، فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله .

ننبه البصير :

إذ كانت ترجمة القرآن إبدال اللفظ العربي بلفظ من لغة أجنبية يقوم مقامه في الدلالة على ما يفهم منه عربية ، فإننا نرى كثيراً من الآيات لا يمكن ترجمتها على هذا لوجه ترجمة صحيحة ، فترجمة القرآن من فاحتته الى منتهاه غير متيسرة ولو بالنظر الى المعاني الأصلية ، فإن الآيات المحتملة لوجوه متعددة لا يمكن نقلها الى لغة أخرى إلا على وجه واحد ، وهذا ليس بترجمة ، وإنما يصح أن يسمى تفسيراً ، إذاً يحور نقل معاني القرآن الى اللغات الأجنبية على أنها تفسير لا على أنها ترجمة مطابقة للأصل .

ولا بد في نقل معاني القرآن الى اللغات الأجنبية من إشعار القارئ بأن هذا النقل تفسير لا ترجمة ، ومن طرق التنبيه جل نكتب في حواشي الصحائف بين بها أن هذا أحد وجوه أو أرجح وجوه احتمالها الآية ، ومما يدفع بمثل هذا البيان توهم من يقرأ تراجم الأوربيين أن في القرآن اختلافاً ، فإن المترجم الألماني مثلاً — قد ترجم « الإبل » في قوله تعالى ( أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ) بالـحـب ، والمترجم الانكليزي ترجمها بمعنى الحيوان المعروف ، فالأوربي الذي يقرأ الترجمتين يتوهم أن هذا الاختلاف في أصل نُسَخ القرآن ، ولا يخفى له أن هذا الاختلاف نشأ من جهة أن كلا من المترجمين نقل معنى من معنيين يحتملها لفظ الآية .

وإذا كانت الترجمة بمعناها الحقيقي ولو للمعاني الأصلية لا تيسر في جميع آيات القرآن ، وإنما التيسر الترجمة على معنى التفسير ، كانت الترجمة المعنوية أقرب الى الصحة من الترجمة الحرفية متى أعاد بها المترجم معنى الآية في أسلوب من أساليب اللغة الأجنبية لا زيادة فيه ولا نقصان .

فلو قامت جمعية ذات يات صالحة، وعقول راجحة، وتولت نقل معاني القرآن الى بعض اللغات الأجنبية وهي على بينة من مقاصده، وعلى راسخ في معرفة تلك اللغات، وتحامت الوجوه التي دخل منها الخلل في التراجم السائرة اليوم في أوروبا، لفتحت لدعوة الحق سبيلا كانت مقفلة، ونشرت الخنيفة السمعة في بلاد طافحة بالغواية قائمة

بمجد الخضر حسنين

\*\*\*\*\*

## الطرف والملح

قال بعض عمال الدولة لأعرابي : ما أحسبُكَ تدري كم نعلتُ في كل يوم وليلة . فقال . أرايتَ <sup>(١)</sup> إن أنبياءك بذلك تجعل <sup>(٢)</sup> لي عليك مسألة ؟ قال نعم ، قال الأعرابي :

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تُضَيِّعُ

قال : صدقت ، فسئل قال : كم فقار <sup>(٣)</sup> ظهرك ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتحكُم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ١٤ .

(١) احبري . (٢) تنظم لي أن أسألك سؤالاً في مقالة سؤالك لي . (٣) اسم جمع لفقارة .

والفقار سلة عظام الظهر أي السود القفري .



## الفتاوى والأحكام

ورد السؤال الآتي من حضرة صاحب التوقيع :

س : ذكرتم في كلمة القضاء والقدر أن العبد غير مجبور مع أن العلم الإلهي سبق بكل ما كان وما يكون ؛ وما سبق في العلم الإلهي لا يتخلف ؛ فكيف يكون العبد مع ذلك مختاراً ؟

عبد الرحمن محمد - يشين

الجواب : قلنا في كلمتنا في القضاء والقدر . إن العلم غير مجبر للعبد ولا مسقط اختياره بل يحقق الاختيار فإن الله إذا علم أنك ستفعل كذا باختيارك كان ذلك محققا لاختيارك لا منافيا له وإن كان ذلك الفعل لا بد من وقوعه ، ولكن ليس معنى ذلك أنك تدفع إليه دفعا أو تقعله قسرا ، فإن الله وهب للإنسان إرادة واختيارا فضله هما على غيره ، ولولا ذلك ما صح أن يكافه ولا أن يحاسبه ، فهو بمنزلة السيد الذي أعطى عبده الحرية فيما يفعل ثم يحاسبه بعد ذلك على ما كان منه ؛ فلو فرضنا أن السيد فعل ذلك امتحانا لعبده وكان عالما بما سيفعله عبده باختياره ، لم يكن علم السيد مجبرا للعبد على ما فعله ، لأن العلم ليس من صفات التأثير وإن كان معلومه لا يتخلف ، فإن هناك فرقا بين صحة العلم وعدم تخلفه ، وبين كونه قاهر أو مؤثرا .

ثم قلنا في تلك الكلمة . إننا نعمم بالضرورة فرقا واضحا بين حركة المراتش والمحسوم ، وبين حركة المختار لدى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، ونعلم مع هذا أن الله لو أراد لسلبه ما وهبه من القوة على الفعل وما أعطاه من الإرادة والاختيار ، ولا يكون في ملكه إلا ما أراد ، ولكنه منحك الإرادة ولم يرد سلبها منك ولا قهرك

على غير ما يريد . ثم قننا فى الخلاصة إننا نعم حق الامر أن لنا دخلا فى أفعالنا الاختيارية ونعرف أيضا أننا غير مستقلين فيما نأتى وندر ، فكان دائرة الحرية لدينا دائرة محدودة وعلى قدر تلك الحرية التى منحناها تكون المسؤولية ويتوجه الحساب . أما تحديد مالنا فى أفعالنا وما الله تعالى فى تصرفه المطلق غير المحدود فيجب علينا ألا نبحث عنه أو نتطلع اليه فإن ذلك خارج عن الطائفة البشرية ؛ وقلنا إن علمنا بأى شئ من الأشياء (حتى المحسوسات) ناقص جدا ولا يمكن أن نصل الى الحقيقة فى أى شئ مما علمناه ، بل علمنا قاصر على الظواهر واقف عند حد محدود منها ؛ ولا بد أن يبقى وراء ما علمنا شئ كثير يستأثر به العلم الإلهى ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) .

ولا بد أن تعرف أنه قليل كما وكيف ، فعلمومتنا فى عددها قليلة ، وفى الإحاطة بها واحدا واحدا فيما علمناه منها قليلة ، وقد نظم الله الملك على حسب ما يرضيه علمه لا علمك ، ولا سبيل الى أن تعرف ما فى علمه الذى أنبنى عليه ذلك النظام المراعى فيه حلقات سلسلة المخلوقات كلها لا كل حلقة على حدها ؛ وأعمل فى هذا مقننا وكفاية مـ

يوسف الربورى

من هيئة كبار العلماء



## حكم: صلاة الجمعة

وسر استقبال القبر

جاء الدين الاسلامي الحنيف لهداية البشر وإيصالهم باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات ، فعم العالم الاسلامي نفعه وشملهم إسماعده . أبطل جهلهم علما ، ونظالمهم عدلا ، ونحارهم سلما ، وتفرقهم وحدة ، وانحطاطهم نهوضا . حوّلهم عن خرافات واهية وأباطيل هاسدة الى حقائق ناصعة وأحكام رائعة وحكم بالغة ملؤها العلوم الجمة والمعارف المهمة . اختط لهم فيها سبيل الحياة الملائمة ، وطرق السعادة الخالدة ، فكان ذلك هو المهدف الفرد للدين ، والغرض الوحيد الذي جاء من أجله ، ولم يكن حكم من أحكامه خاليا عن عظة نرشدنا أو عبرة توفظنا وتهدينا .

أجل : ما تركنا لله سبحانه هملا تتخبط في دياحير الجهالة وتتعثّر في ميادين الحياة حيارى هائمين ، بل وضع لنا قانونا محكما وسن لنا نظاما قويا أودعه لطائف الحكم ودقائق الأسرار التي لا يعقلها إلا أولو الألباب وأرباب البصائر ، فكان ذلك دستور معالم الحضارة العالية ونبراس العيش الراقى النضير ، بل الذريعة المثلى لكل خير في الدنيا والعقبى .

اعمل فكرك قليلا وتمعن في صلاة الجمعة فانك بلا شبهة تدرك كثرة مسافها ووفرة فوائدها ، وجليل محاسنها وآدابها ، فتعلم إذ ذاك أن الله ما أوجبها على كل مكلف إلا ليسمى بتأديتها بالاشتراك مع إخوانه المسلمين ليكتسبوا جميعا من مآثرها الجليلة ما يصم مشتاتهم ويصلح فاسدهم ، فترى للمسلمين مندفعين بكامل الرغبة الى المساجد ووجوههم باشة نضرة ، ونفوسهم مارجها الانتهاج والسرور لإقامة تلك العبادة العظيمة

التي هي من أجلى مظاهر لدين وأوضح معالمه وشعائره، فيجتمعون من كل صوب وأوب - والاجتماع روح التألف والتضامن ورأس التعاضد والتكاتف - وكلهم متلبسون بسننها الأديبة ومستعباتها الكمالية من الاغتسال والتنظيف قبل الحضور، والتجمل بمحيد الثياب، والتطيب بالزوايح لركية، ليكون الانسان على أكل حال في هذا الاجتماع العظيم الذي يضم الكثير من مختلف طبقات الأمة على تفاوت مراتبهم وتباين مراتبهم، ويكون ذلك نموذجاً حسناً لاجتماعات الأمة المحمدية التي مآكلها كل خير وصالح، ومرماها كل نفع عام، وهو إشارة على ناطقة بلسان العمل الجوهري بأن قوام الإصلاح لشؤوننا الحيوية وملاك النجاح والسعادة لنا في معترك هذه الحياة - اجتماعات صحيحة رائدها الإخلاص، فتقيم أودنا وتقاوم اختلافنا وتفرقنا، وتدنا على مواطن الضعف ومواضع الخلل، وترشدنا إلى خير علاج وأنفع دواء، وحسبك هذا وسيلة عالية ترقى بالأمة في مدارج المجد إلى ذر عليائه.

فلم تكن صلاة الجمعة سوى مجلس إسلامي عظيم لم يكن في أنحاء المسكوبة مثله، يعقد في أقطار العالم الإسلامي في منتصف يوم الجمعة المبارك الذي هو يوم فرح ومسرّة فتعقدو المساجد إذ ذاك غاصة بأهل الإيمان، حافلة بجماعات الإسلام، وقد لاح على وجوههم الاستبشار، وساد بينهم الأئس لاخوى فيجددون تعارفهم ويمكنون أواصر الفهم وودادهم، ويزودون فيها ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم بما به تهذيب أخلاقهم، وتنقيف نفوسهم على مبادئ الدين الحنيف والشرعية السمحة، وإصلاح مجتمهم الديني، وأمر معادم الأخرى. أما الدين فلا أنه يجتمع العالم بالجاهل في هذه الفريضة فيعمله ما يحتاج اليه من الأحكام ليؤدي العبادة صحيحة مستوفاة الشروط فضلاً عما تشتمل عليه الخطبة من الوعظ والارشاد إلى أمور شرعية يفقهها، ومسائل دينية يفهمها، فيكون على رغب في الثواب يحمله على الخير، ورهب من العقاب يكفه عن ارتكاب الشر. ولا ريب أن هذه أمور خطيرة لا يستقيم شأن الخليقة إلا عليها، ولا يبلغون الناية منها

بغير الدين المشروع و الحكم المسموع ، فاجبلت الطباع البشرية على الاتعاق على المصلحة والتناصح في الحقوق من غير داع ولا مرشد ، بل خلقت أسيرة الأطباع زواعة الى مختلف المنافع ، حريصة على المنافع الشخصية والمراعى الحيوية ، فالشريمة البيضاء التي ليدها كنهارها تعرف كل إنسان حده ، وتوقفه عنده ، فيعم الخير ويسود السلام .

وأما الدين فلا أنه يحصل بينهم التعارف والتحابب والمصافاة الحقيقية بتلافة بعضهم بعضا ، وانتظام الكل في سلك العبادة التي تطهر نفوسهم من أدران الحقد والحسد ، ومن شوائب التفرقة والمعاداة ، وتركبها بالصدق والاخلاص والوثام والإخاء المتين ، فيلتف بعضهم حول بعض ، ويتطلعون الى شؤونهم وأحوالهم ، فلا يحدون بينهم محتجا إلا عطفوا عليه ومدوا يد المعونة اليه ، ولا مضطرا لأمر إلا أسرعوا بالقيام به ، وإن علموا أن بعضهم غاب لمرض عادوه وقدموا له وسائل الراحة ، أو للإشراف على خطر سارعوا لإيقاظه وبادروا بتعليصه مما ألم به ، أو كان مترخيا عن العمل الواجب والسعي المطلوب إهمالا منه وكسلا لامره ونهضوا به الى ذلك كما كان شأن النبي الكريم ذى الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم القائل : « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورثته » و « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » وهذا دعامة خير وسنام السعادة . ولا شك أن طلب تكاتفهم في أداء هذه العبادة يرشدهم الى أن تعاضدوا وتعاونوا على الخير وشد بعضهم أزر بعض في كل أمر هام ديني أو دنيوي مطلوب منهم في كل آن مدعوون اليه في أى مكان ، وأن تضاعف قوتهم وإعلاء شوكتهم بتحققان بتواصلهم وتناصرهم وأخذ بعضهم بأيدي بعض ، وحسبك حائلا على ذلك الخطبة التي أوجها الشارع لهذه الصلاة فإنها تجلى ما على القلوب من صدأ ، وتروى ما بها من ظلمة بآيات التذكير وعبارات الارشاد وهم جاثون على ركبهم ، مطرقون برؤوسهم ، منصتون هادئون ، كأن على رؤوسهم الطير لعلمهم أن ما يلقيه عليهم خطيبهم وما يحضهم به على

الاستمسك بأحكام الله وجرى على سننها والقيام بالأعمال الشريفة النافعة - هو موافق  
 لشريعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فإذ أقيمت الصلاة وقفت لمجموع صفوفها  
 مستقيمة على الفور بكل سكونة وخشوع ووقار : الأمير بجانب المأمور، والخادم بإزاء  
 المخدم، والفقر بجوار الغني، والضعيف بجانب القوى، دون ميزة لبعضهم ولا أفضلية  
 فيها بينهم، وفي ذلك تعويدهم على المساواة والحرية والائتلاف، لأن المرء إذا وقف  
 في صف يكون فيه السيد والسود والخادم والمخدم والرفيع والوضيع وكلهم منكسر لله  
 ذليل بين يدي رب عظيم قاهر قال في محكم كتابه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ  
 وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَبِيرُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
 بِعَزِيزٍ) لم يحدله في هذا الموقف الرهيب فضلا على غيره، فيمزق رداء الأئمة والعظماء  
 وينبذ للغلالة والكبرياء، يجعله في مستوى إخوانه في الاسلام، بل يوضع أشرف لأعضاء  
 على موطن الأقدام، فيلين جانبه، ويوطأ كنفه، وتصفو نفسه من كدر الشوائب  
 النفسية، وتتحلى بجلال الصفات وأمهات الفضائل - وأجل بهم وهم يتابعون إمامهم  
 في جميع أعمال الصلاة - حركاتها وسكناتها التي هي من أهم الحركات الرياضية الشاملة  
 لكل أعضاء الجسم كبيرها وصغيرها بكيفية تدعو إلى الإعجاب بما لها من الأثر  
 الدين في تنشيط الجسم وتنمية أعضائه. وفي هذه المتابعة تمرينهم على الطاعة والانقياد  
 إلى الرؤساء وأولى الأمر منهم كما أمر به الكتاب العزيز والسنة النبوية؛ وذلك ما تستوثق  
 به روابط الوحدة والقوة؛ وقد وقف ضابط فرنسي عقب لاحتلال لأجنبي تجاه باب  
 الجامع العمري في بيروت وهو يشاهد المصلين في صفوفهم المستقيمة، ومتابعيهم  
 المتعادلة، وانتقالهم المنتظمة، وتسوية صفوفهم وختلاف حركاتهم، ويفكر فيما يعود  
 به ذلك من عظيم الفائدة على أجسامهم وتوحيد كلهم وقضائهم، فقال إذ ذاك لبعض  
 المسلمين: «إن نبيكم هو أعظم فيلسوف في العالم» وقد ذكرت الصحف قبل أن يكتبوا

غريبا كبيرا قال ذات مرة : إيه ما دخل مسجدا إلا أسف على أنه لم يولد مسلما ، وكيف لا يأسف وقد قال الله تعالى : ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ) .

أجل : إنك أيها اليبيب لو أعمت فكرك ميا في استنساخ سر توجه المسلمين إلى الكعبة المشرفة على اختلاف أقطارهم وأصقاعهم ، وتعدد جهاتهم وبلدانهم والكعبة بذاتها بناء قديم لا يصر ولا ينفع ، لقد لك الفكر إلى أن اتجاههم إلى نقطة واحدة وبقعة قد أشرقت منها شمس الهداية المحمدية ، ونبثقت أورها فأفاضت على العالمين رشادا وإسعادا وعزا وسوددا إياهم هو لضبط قلوبهم بتوجيهها إلى مركز واحد وارتباطها بجهة معينة في أي مكان من أمكنة المعمورة كان المصلي ؛ وفي ذلك سر عظيم وحكمة بالغة ألا وهي الإشتغال بأن المسلمين منهم اختلفت أجناسهم وتباينت لغاتهم وتباعدت أقطارهم فالدين يجمعهم والدين يربطهم والدين آخى وسوى بينهم . فلا فضل لعربي على عجمي ولا أعجمي على عربي إلا بالتقوى . وناهيك ما في هذا من الدعوة العملية إلى الوفاق والتماسك بين المسلمين مما به فلاحهم ونجاحهم فإن الاتجاه إلى تلك النقطة المركزية الإسلامية من أقوى دعائم الارتباط ، وأجلى دواعي الاتحاد .

فأعظم سر استقبال الكعبة لمكرمة ، وما أوصح برهاتها ، فقد أضحت المحور الوحيد الذي عليه مدار جامعة الإسلام ، بل لقطب الفرد الذي تنفث شعوب الأمة وأجناسها عليه وفي طوافهم حولها بفريضة الحج إظهار لهذا الأمر الخطير المقول بمظهر المشاهد المحسوس ، توفيقا وإخراجا للحكمة المنوية من حيز القوة إلى حيز الفعل . ولو أن المسلمين في عصورهم الأخيرة جروا على نهج الشرع الظاهر ومقتضاه الحكيم لكان لهم شأن خطير ومظهر عزيز ؛ ولكن إهمالهم للعمل بقوانينه وعدم محافظتهم على آدابه أثنى بهم في هذه الحالة اسئنة . فمسي أن يفيقوا من سباتهم بإيقاظ العلماء العاملين وسعيهم للتواصل ، حقق لله الآمال من

## الذهب في العالم (١)

يوجد الذهب إما خالصا على حالته الطبيعية أو ممزوجا بمعدن أخرى ، إلا أنه قلما يوجد نقيا خاليا من مواد أخرى ، بل يوجد في جل الأحوال إن لم يكن كلها ممزوجا مع غيره من المعادن المختلفة : كالفضة ولزريق والبلاديوم ( وهو معدن أبيض صعب الذوبان وسهل التطريق ) .

وتنجز تلك المعادن بالذهب امتزاجا بنسبة معينة في أغلب الأحيان وتسمى بأسماء خاصة مثل « الالكتروم » ( Electrum ) ( وهو مزيج من الذهب مع ٢٠ في المائة من الفضة ) « والهرويزيت » ( مزيج من الذهب مع ١٠ في المائة من البلاديوم ) . « والروديت » ( Rhodite ) ( مزيج من الذهب مع ٤٣ في المائة من الراديوم ) ( وهو معدن قليل الذوبان يوجد في البلائين ) وفي تلك الأحوال التي يوجد فيها لذهب ممزوجا مع غيره من المعادن يكون المزيج فيها على شكل أخلط ممزجة ببعضها امتزاجا كثير أو قليلا مثل « الناحياجيت » ( Nagyagite ) « والالاسموس » ( Elasmose ) ( وهو مزيج من الرصاص والفضة والذهب ويحتوى على ٦ في المائة إلى ١٢ في المائة من الذهب ) .

وهذه الأخلط لم يكن يعرف علم المعادن عنها إلا شيئا يسيرا فيما مضى حتى أخذ الاهتمام ببعضها أولا في منجمين عظيمين من مناجم لذهب وهما منجم الكولورادو وكارجوجليا في استراليا الشرقية .



## توزيع الذهب

في أنحاء العالم

إذا كنا نجد أحيانا في بعض المناجم أو في عروق المناجم قطعاً بأدرة من الذهب فإن مناجم الذهب الموزعة في أنحاء العالم والتي كانت تخرج أعظم محصول منه يوجد بها لذهب على شكل خامات (هي عبارة عن لذهب المزوج بالتراب) فقيرة من الذهب نسبياً لا يرى بها الذهب ظاهرياً، ويستخرج الذهب من تلك الخامات بطريقة الرواسب إلا أن طريقة الرواسب هذه أخذ يقل شيوعها يوماً عن يوم، واستعاض عنها باستخراج لذهب مباشرة من مناجم الأصلية التي بقيت على حالتها الطبيعية وهي التي تورد لنا في الوقت الحاضر أكثر من ٨٥ في المائة من مجموع محصول الذهب في العالم. وسنغنى بها فيما يلي :

## استخراج الذهب الى سطح الأرض

بواسطة صخور طفعية

(١) عجائن حجر الجرانيت (الصوان) :

يقول الميول ، ده لونييه (L. de Launay)

يستخرج لذهب لسطح الأرض بواسطة الصخور الطفعية لأن مناجم الذهب التي على حالتها لأولى الطبيعية متصلة بصخور مصهورة على عمق بعيد أو قريب وأحيانا تكون متصلة بصخور ركانية .

أما العجائن الصخرية التي يستخرج منها الذهب في موطنه العميقة فهي دائماً أو تكاد تكون دائماً عجائن من حجر الصوان ، لكن الصلة التي بينها وبين مناجم الذهب قد تكون ظاهرة كثيراً أو قليلاً .

فأولاً يمكن وجود الذهب إما مندجاً في أحجار الصوان وإما في صخور خضراء، مثل «الديوريت» (وهي عبارة عن مزيج من صخور طفحية والجرايت) ممزجة به، وقد يوجد منعزلاً في تلك الصخور الجرانيتية بشكل عروق متبلورة أو عروق صوتية وهذه الأخيرة تنشأ عن تفاعل انفصال جميع عناصره الأصلية عدا الرمال (غاز السيلسيوم) ومن الطبيعي أننا نجد الذهب في تلك المناجم مخلوطاً بالمصدير أو بغيره من عنصر هذه الفصيلة المعدنية نحو «التونجستين» (Tungstene) <sup>(١)</sup> والزموت (Bismuth) كما في مناجم الذهب التي في هضبة جبال فرنسا الوسطى والتي أهمها منجم «شاتليه» (Chatelet) ومناجم «لوسيت» (La Lucette) و«بايير» (La Belliere) وكلها من نوع الفصيلة المذكور.

وأما المنطقة الشرقية من جبال «الأورال» (P. Oural) بالقرب من «بيكاريتنبورج» (Iekaterinenbourg) فإن الذهب في منجم «بيرزفسك» (Beresovsk) يمتاز بكونه يوجد في شقوق رقيقة متبلورة وموجودة في عروق صخرية طفحية تشبه «الجرزين» (Greisen) وهي صخرة مركبة من الصون والميكا (Mica) البيضاء وفي إقليم كوتشكار من الجنوب الغربي من الميلاس (Miass) يجبال الفوقاز يوجد نحو من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ عرق رقيقة من البلورات الممتزجة بـ «البيريت» (Pyrite) و«المسبككل» (Mispickel) (وهو مكون من كبريت الزرنيخ الطبيعي للعديد) وتخترق سلسلة جبال من الصوان.

ثم توجد هناك كذلك مناجم «جاليس» (Galice) و«الكورنوال» (Cornwall) وبعض مناجم «بوليفيا» (Bolivia) و«أنام» (Annam) التي لها صلة مباشرة بمجائن الصوان.

(١) كلمة سويدية تطلق على اسم معدن تبلغ كثافته ١٩.٣١ دى لون دماى قائم.

لكن ليس من السهل تفسير الصلة التي بين وجود لذهب مع عجائن الجرانيت في مجموعة بأكثرها من الطبقات المهمة جدا من الوجهة الصناعية ، وهذه الطبقات مكونة إما من كتل موشاة أو من عدسات ممتزجة بمعدن البيريت أو الميسكيل أو البيريت المكس ومخلوطة بالذهب في وسط طبقات من الأرض استعالت طبيعتها إلى مادة أخرى غير مادتها الأصلية مثل « الجنيس » ( الميكا ) وصفحات الميكا . إلا أن تلك الطبقات لأرضية قد نشأت وتكونت أثناء تفاعلات عميقة لعبت فيها عجائن الصوان دورا مهما على الراجح . ويوجد كثير من المناجم من نوع هذه المجموعة ، وأكثرها مشابة لها هي المناجم التالية .

**سبيريا** — إن الذهب هو المعدن الوحيد الذي يوجد في مناجم سبيريا التي تعتبر ذات قيمة كبيرة من حيث استغلالها بالنسبة للظروف السيئة التي عليها تلك البلاد . وهو يوجد في الجنيس على شكل البيريت الموشى بالذهب ولكن طبقات لذهب هناك لم تسمح إلا ببعض التجارب لاستغلالها في موضعها إلا أن طريقة الرواسب هي الطريقة المتبعة والتي تؤسس عليها ثروة البلاد .

**الهند** — يحتوى جنوب الهند على مساحات شاسعة للذهب ، لكن حقلا واحدا من تلك المساحات هو الذي أنتج محصولا عظيما ، والذهب هناك يوجد في عروق من الصوان المرصوفة بين صفائح الميكا ولا يرى خلالها عادة .

**أستراليا الشرقية** — إن اكتشاف الذهب في هذا القسم من أستراليا كان في سنة ١٨٥١ من الميلاد ، وأهم مركزين هما منجم « بالارات » ( Ballarat ) ومنجم « بنديجو » ( Bendigo ) في مديرية فيكتوريا ، وإن عدد ذات العروق الذهبية في هذه المديرية عظيم جدا إذ قد اهتمت إلى أكثر من ٣٠٠٠ عرق .

والعروق في مناجم البلارات منتظمة انتظاما كافيا. ونسبة لذهب في عرق « ايجاهاولك » (Eaglehawk) هي ٤ كيلوجرامات من الذهب في الطن (أربعة في ألف) لأن سمكة أو كما يقولون قوته تختلف من مترين الى عشرة أمتار، وأما في مناجم بنديجو فقد صودفت كذلك بعض العروق المنتظمة في وسط صفائح الميسكا ولكن أهمها هي التي توجد مرصوفة طبقات بعضها فوق بعض وشكلها يأخذ شكل السروح المعتدلة أو المقبوبة وذلك وقت حدوث انفصال الطبقات عند القمة لي ثانيا حادة بشكل روايا السروح أو مقوسة ومستديرة، وقد قطع في منجم « نيوشوم » (New Chum) وفيكتوريا أكثر من ثلاثين سرجا الى عمق ٧٥٠ مترا، وإن المعدن الموجود بها مركب من الصون الأبيض والذهب الطبيعي وهذا كثيرا ما يكون سميكا.

وقد وجد كذلك في نيوشوم قطع وزن الواحدة منها من ٣٠ الى ١٠٠ جرام.

**أستراليا الغربية** نجد في هذا القسم من أستراليا أن لأرضي المتغيرة المشربة بالذهب تمتاز عن غيرها بوجود بعض المعادن بها ممزوجة بالكبريت، وأهم المناطق كانت « كوجلاردى » (Coolgardie) « وكالجورى » (Kalgoorlie) وقد اكتشفا في سنتي ١٨٩٢ و ١٨٩٣ إذ مضى عليهما زمن كان محصولها كثير لانتاج والرواج إلا أنه قل بعدئذ شيئا فشيئا.

يتبع

We have already pointed out that Islam is completely consistent with natural sciences. In fact Moslems themselves were ignorant of the significance of many of the Koranic texts until the progress of natural sciences disclosed the meaning thereof, as for instance, the fertilisation of trees by winds which was only recently discovered. The Koran referred to this phenomenon over thirteen centuries ago in the verse :

« وَرْسَلْنَا رِيَّاحًا لَوَاقِحٌ » *meaning*. " And We sent forth the fertilising winds."

This verse was interpreted according to contemporary knowledge until its full meaning was at last disclosed and the verse stood out a marvellous sign of the Holy Koran

Again the verse « وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ »

*meaning*. " And We have caused to grow in it <sup>(1)</sup> all pairs of beautiful species"

and the verse « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ »

*meaning*: " And of everything have We created pairs"

and the verse « سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ »

*meaning*: " Glory be to Him who hath created all pairs of species of what the earth produceth <sup>(2)</sup>, and of (mankind) themselves and of what they know not".

Commentators used to interpret these verses according to the scientific standards recognised at the time. But it was not until natural sciences have discovered male and female species in plants, that we knew the full meaning of those verses.

Again, such verse as :—

« حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَبُكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »

*meaning*: " Till they came to the Valley of Ants <sup>(3)</sup>, said an ant "O ye ants, enter your dwellings, lest Solomon and his army crush you and they know it not"

was taken for a mere similitude or a kind of metaphor until the entomologists have unravelled many astounding mysteries in the life of ants and the real meaning of the verse was thereby disclosed.

(1) The earth

(2) Plants and trees.

(3) A valley in Syria abounding in ants.

in the Christian press to encourage marriage among their race. It is significant in this connection that the question of illegitimate children in Christian countries is assuming great dimension and causing serious consternation and alarm. Their people have turned from the awful to the unlawful, from the limited to the unlimited and from truth and rectitude to hypocrisy and deceit.

Another teaching of Islam is that in connection with speculation. Germany has introduced a law prohibiting speculation save within certain limits very nearly identical with the teachings of Islam.

England on the other hand has officially prohibited prostitution. It has recognised, as Islam did, the serious disadvantages which affect the race had such a breach of morality been licensed by the state.

Yet another teaching of Islam is alms-giving regarding which a French orientalist says:—

"The Moslem Religion affords the most effectual safeguard against the menace of communism which threatens to disrupt the social structure and shake the world-peace to its very foundation. This safeguard is alms-giving ordained by Islam and constituting the payment of a portion of the wealth of the rich to the poor every year. It made it incumbent on the ruler to collect these alms even though he had to enforce their collection as in judicial decrees."

But the knowledge of this French orientalist is even deficient in that respect. Islam has over and above enjoining the payment of legal alms, urged its followers to secret and public charity and has forcibly insisted thereupon. It urged them to lend the needy, and set more recompense for such charity than for legal alms-giving.

It ordained that such loans should be given free of any interest or advantage accruing to the rich from the poor. Benevolence was thus rendered one of the rights of humanity, an obligation of the rich to the poor.

This very same measure is what certain parties in European countries persistently clamour for. They insist on the assessment of a levy on bankers who contribute nothing to the public treasury in contradistinction to property and land owners.

There are other parties which call for the adoption of certain reformative measures corresponding, in more than one way, with the teachings of Islam.

Briefly, intuitive, scientific and empirical knowledge have all combined to prove the verity and truth of the Moslem Religion even in regard to the most transcendental questions and other questions which were positively denied by past generations.

They were wont to deride the idea of the destruction of the universe and the extinction of the luminary planets until recent discoveries have shown that the celestial world is composed of the same constituents as this world.

They discovered that potassium, for instance is a constituent element of the sun—that the heat of the sun is gradually diminishing and that the laws of this terrestrial world obtain in the celestial worlds as well.

It is not conceivable, therefore, that such a religion could be liable to abrogation or doomed to extinction.

Indeed, time and progress of civilisation are ever and anon offering fresh proofs of the verity and greatness of Islam. Many teachings were considered in olden days merely devotional and appeared to have no justifiable ground or known cause such as the scouring with dust of any vessel which a dog has licked and washing it thoroughly with water. Also the forbiddance of pork which is commonly known now to be the cause of many diseases particularly tape worm and trichina<sup>(1)</sup> which play havoc with the human body and very often cause death.

As to the dog, it is maintained that it often harbours different kinds of parasitic helminths which infect the human body with devastating results.

Abstinence from alcoholic drinks is another teaching of Islam. Science has definitely established the pernicious effects accruing from drinking. It weakens the heart, damages the kidneys, causes cirrhosis<sup>(2)</sup> of the liver, enfeebles the progeny and clouds the intellect.

Europe and America are gradually coming nearer and nearer Islam and adopting its teachings day by day, consciously and unconsciously after having long been its sworn and inexorable enemy.

They were wont to condemn the institution of divorce in Islam. But when they found out that it was necessary for the progress of civilisation and that it is unreasonable to force a man into continuation of matrimony in spite of incompatibility of temperament and inclinations, they were obliged to adopt that institution. Divorce courts were established and the number of divorce cases are increasing year by year.

Then again the institution of polygamy. This institution evoked their bitter censure and condemnation. Subsequent events and disasters have, however, pointed to its efficacy and the advantages accruing therefrom. The increase in the number of men, the consequent augmentation of power and the amelioration of conditions in every sphere of life are too self-evident to be enunciated. This is particularly the case after those devastating wars in which thousands of thousands of men are lost to the race and countless numbers of women are rendered widowed in consequence.

The Moslems have often been envied the multiplicity of their members within short periods on account of the prevalence of marriage among them.

We have lately noted with interest, the vigorous campaign conducted

---

(1) A parasitic worm which infects the intestinal canal and the muscular tissue of man and certain animals especially the pig.

(2) Inflammation and proliferation tending to destroy the liver cells and impede the flow of blood through the veins of the liver.

people to profess it, but they were waged in order to defend it from outside attacks and pave the way for its announcement and propagation so that the world, which was in desperate need for a new religion, might hear of it.

Islam enjoins kindly treatment of the neighbour, the wife, the friend, the parents and children and all kinsmen and others whether they profess it or not. This is prescribed in the most eloquent and easily assimilated language. It warned against deviation from these rules on penalty of severe punishment in the hereafter and instituted such temporal penalties as were indispensable for the welfare of mankind.

Such then, are the main teachings which constitute the truths of Islam. They were the light that shone on a world steeped in stygian darkness of ignorance and penetrated its furthest corners. It is the religion of nature for which nature will accept no other substitute had it been free from the taints of superstitions which pervaded it.

The first fundamental precept of Islam is the acceptance of monotheism and the expurgation of souls from sin and wickedness. Its texts clearly point out that salvation is the outcome of mental and conscious striving for truth and that perdition and aberration are the result of mental and conscious inactivity.

A philosopher has rightly remarked in this connection that the great thinkers of the world have of old been deeply interested in the search after a religion which fulfils the material needs and spiritual aspirations of mankind and combine the two in accordance with a just and reasonable criterion; thus establishing the right proportion between their respective claims in such a way as to keep them within bounds and withhold the one from dominating the other. But they discovered it nowhere except in Islam which warranted salvation in this world and the hereafter and was not oblivious of both material and spiritual claims.

It is for this reason that Islamic civilisation was assiduously sought after by mankind and had spread in such a fashion unprecedented in the annals of history.

It is feasible for anyone who studied history and social science to find out that this civilisation was the most progressive and far-sighted of all civilisations and that it has fully wielded the sceptre of authority over its followers and exercised the most astounding influence over their minds. It comprised the basic elements of all human progress viz., science and activity and it left out nothing that tends to purify the soul from its taints and fit it for the fulfilment of its functions to which it did not refer and insist upon.

Islam had thus become the crowning conclusion of all God's dispensations and the ultimate end of man's salvation.

It aimed at strict moderation throughout and strove for the expurgation of minds from the taints of delusion and the directing thereof to the sources of truth and blessedness.



religions suffer such as the doctrine of incarnation, trinity, anthropomorphism<sup>(1)</sup>, divestment of certain divine attributes and other doctrines which are definitely incompatible with the perfect divinity of God.

The Moslem Religion is absolutely clear on this point and both the proletariat and learned classes fully understand it, while followers of other religions are faced with the most serious complications and ambiguities which baffle the intellects not only of the proletariat but also of the learned classes. The teachings which were handed down to them were not of such clarity as to be understood without painstaking assiduity, they were so vague and ambiguous on so many points that inquirers were apt to lose their way in a labyrinth of complications.

As for the regulation of temporal affairs and the amelioration of life's conditions, the Moslem Religion is decidedly a clear and vast fount of information, and an aim beyond which no one could aspire for better hope or end.

Islam had rendered mankind a most inestimable service which anterior religions failed to offer, nor could the master minds of legislators interested in the organisation of human activities and the amelioration of social conditions, ever discover anything approaching it. It enjoined charity and benevolence towards the followers of other religions though they are the first, the maltreatment of whom, would strike the imagination as a religious injunction.

« وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

*meaning* : " Dispute not except in a kindlier way, with the People of the Scripture"

and the Prophet Mohammad saith in this connection « مَنْ آذَى دِمَاءَ فَتَا حَصَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »  
"Who-so inflicteth harm on a follower of the Scripture will I be his adversary on the Day of Judgement".

Islam enjoined that Moslems and all others should be treated on an equal footing. This is clearly shown in various parts of the Koran and the Tradition for the fulfilment of justice and maintenance of equity so that non-Moslems may feel secure under the rule of Islam and may not find there an unsupportable burthen. Also that they may procure their assigned share of the means of subsistence which God hath bestowed as common weal upon all His creatures.

It forbade interference with their religions and did not compel their adoption of Islam so that its own merits and clear teachings may be the sole incentive to its adoption. In no instance, indeed, did Islam have recourse to the sword to superimpose its will under penalty of death, as other religions did. The holy wars prescribed at the beginning of Islam were not waged to force

---

(1) The representation of the Deity in the form of man or with bodily parts

Thus it has thrown the door wide open for reflection and delivered mankind from the bondage of imitation

It spared them the turmoils of faction, and enjoined the Jew to rever Jesus and the Christian to respect Moses and that all should venerate any messenger or prophet who might have been sent, unknown to us, to other people as pointed out in the verse:—

« وَنَهَمُ مِنْ لَمْ تَقْصُصْ عَلَيْكَ »

*meaning*: "And of some We have told thee not".

Islam is, thus, a comprehensive religion which relies on the mind as its sole arbiter and forbids the submission of man to man or the glorification of any creature.

The Islamic teachings which were revealed to the Prophet Mohammad, to announce unto mankind, and the goodly exhortations with which he was sent to purge the souls from sin and recklessness, constitute an irrefutable and unassailable argument in the face of the most virulent attacks of criticism. These teachings are established on a solid substratum of reason which no criticism could affect or prejudice.

The tenets of Islam are purely intellectual and absolutely uncontaminated with delusion, superstition, beliefs or pernicious customs. They were not ordained in accordance with the consuetudinary approbation or censure of a particular people, but were instituted in strict accordance with intellectual truths established at all times and suited to all races of mankind.

It is for this reason that the message of Islam was a general one; it was no more intended for the Arabs than for others or for urban than for nomadic communities on account of its complete adaptability to all people in just the same way and same proportion; and it is no wonder, therefore, that Islam is called the "Natural Religion".

The teachings of Islam are classified into three main classes —

- (1) The avowal of one Creator and the admission of the Day of Judgement
- (2) Human actions pertaining to the Hereafter.
- (3) Human actions pertaining to the regulation of temporal affairs and the amelioration of life's conditions.

These are the main divisions under which there are several other subdivisions the consideration of which we defer for the time being.

As to the avowal of one Creator and the admission of the Day of Judgement, they are nowhere more clearly ordained than in the Moslem Religion. It is for this reason that monotheism in Islam is free of the defects from which other

This is a fact which a just and unbiased people will readily admit. Superstitions unsupported by tradition nor sanctioned by mind or conscience crept into religions prior to Islam and the most flagrant errors and misconceptions could easily be traced in the beliefs in God and His Holy Prophets and other precepts the consideration of which we leave entirely to your own judgement.

Islam required mankind to believe in all prophets without exception and addressed them thus:—

« قولوا آمنا بالله وما أُرل إلينا وما أُرل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطير . وما أتى موسى وعيسى . وما أتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »

*meaning* - " Say ye : We believe in God and that which hath been sent down to us, and that which hath been sent down to Abraham and Ismael and Issac and Jacob and their offspring ; and that which was given to Moses (1) and Jesus (2) and that which was given to the prophets from their Lord , we make no distinction between any of them and to God we are resigned "

and it addressed the people of the Scriptures thus :—

« يا أهل الكتب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُرل إليكم من ربكم »

*meaning* - " O People of the Scriptures ' you have no reliable Faith until ye observe the Torah and the Evangel and that which hath been sent down to you from your Lord "

and forbade them to commit what they have committed before

« ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون . ولا تفسدوا حق بالباطل وتكلموا الحق وأنتم تعلمون »

*meaning* : " Ye shall not barter my signs for a paltry price and fear ye me ; and confuse not the truth with falsehood and conceal not the truth when ye know it "

Islam led mankind to the pure fountains of religion and freed their minds from the confusion of misguidance and superstitions which no Prophet or Holy Book had ever revealed. It appealed to them to shake the torpor off their minds and rouse their conscience in contemplation of God's blessings and marvels.

(1) The Law.

(2) The Gospel.

# ISLAM

## THE IDEAL RELIGION<sup>(1)</sup>

---

Islam is a universal religion revealed to rectify the corrupted beliefs of mankind and set the seal to previous Scriptures. It enjoins respect and veneration to all the Prophets and is not a religion of egotism that preaches hatred and animosity to all others, nor does it require its followers to believe only in their particular prophet imputing perfidy and falsehood against those of other religions. Nay, but the magnanimous spirit of Islam rises far above this and enjoins the belief in all God's messengers for thus Mohammad was addressed

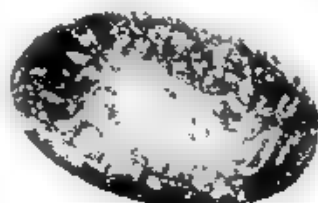
« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك . ومنهم من لم نقصص عليك »

*meaning* " And We have sent messengers before thee ; of some We have told thee ; and of others We have told thee not "

to warn us against disbelief or delamation of any of His Prophets and enjoin us to acknowledge that they were all sent with guidance, enlightenment and true beliefs. But the patriarchs and followers of past religions have misconstrued and altered its texts and Islam was revealed to sanctify them from the taints of superstition and innovation and lead mankind to the very sources of true belief. It honoured and revered their prophets and laid the responsibility of perversion on those who misconstrued and distorted the word of God.

---

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef El D-gwy's Book "Messages of Peace".



مَدِينَةُ كُوفَا سَافَتْ نُورَ دِيكَانِ مُنْتَهَى بَهَائِهِ قَرَأَتْهُ وَصَوَّلَتْهُ سُبْحَ السَّلَامِ  
وَبِحَرَمِهَا مِنْ أَضْأَانِ إِلَى التَّوَدَادِ بَدَّ وَهَجَزَ عَنْهُ إِلَى جَنَّةِ طَابِ شَيْئًا يَجُودُ

# بُحُورُ الْأَنْبِيَاءِ الْأَكْبَرِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكومية

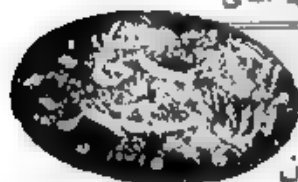
تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

المجلد الثاني

ربيع الأول سنة ١٣٥٠

الجزء الثالث



رئيس التحرير

البر

محمد الخضر حسين

من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد المحسن بن

المستشار بمحكمة الاستئناف : سامح  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى :

الاشتراك

- داحل القطر المصري ..... ١٠  
علماء غير المدرسين وطلة المعاهد والمدارس ..... ٢٠  
خارج القطر المصري ..... ٣٠  
طلبة المعاهد والمدارس ..... ٤٠

الإدارة

شارع محمد مظلوم بلشار رقم ١  
بغداد : بستان ٢٥٠٧  
الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والمعال معاملة الطلاب

ونحن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٥ - ١٩٣٦ م



## المدارة - والمداينة

خلق الناس للاجتماع لا للعزلة، وللتعارف لا للتناكر، وللتعاون لا ليتفرد كل واحد بمرافق حياته .

وللإنسان عوارض نفسية كالحب والبغض، والرضا والغضب، والاستحسان والاستهجان، فلو سار على أن يكشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أى حال، لأختل الاجتماع، ولم يخلص التعارف، وانقبضت الأيدي عن التعاون، فكان من حكمة الله في خلقه أن هيا الإنسان لأدب يتحاشى به ما يحدث تقاطعا أو يدعو الى تحاذل، ذلك الأدب هو المدارة .

فالمدارة ترجع الى حسن اللقاء ولين الكلام وتجنب ما يشمر ينفض أو غضب أو استنكار إلا في أحوال يكون الاشعار به خيرا من كتمانها، فمن المدارة أن يحملك بالرجل يضمرك لك المداواة بحاس، فتدأبله بوجه طاق، وتقضيه حق التبعة، وتفرق به في الخطاب، قال سعدون في وصيته لابنه محمد : « وسلم على عدوك وداره فان رأس الايمان بالله مدارة الناس » وقال أحد الحكماء من بني أسد :

وأمنحه مالى وودى ونصرتى وإن كان عنيّ الضلوع على بنفى

ونقرأ في سيرة الأستاذ محمد بن يوسف السنوسى صاحب المؤلفات المعروفة في علم الكلام وغيره أنه « كان يفتخ من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام، حتى يمتد أنه صديقه » ونقرأ في سيرة القاضي يحيى بن أكثم أنه « كان يداعب خصمه وعدوه » .

قد تبلغ المدارة لى إطفاء العداوة وقابها الى صداقة ، قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قات لأبي . لم تجلس الى فلان وقد عرفت عداوته ؟ قال : أخبي نرا ، وأقبح ودأ . وقد يقصد المدارى الى علاج جرح العداوة ومنعه من أن يتسع ، قال عقل ابن شبة : كنت رديف أبي ، فلقية جرير على بغل ، خيام أبي وألفقه ، فلما مضى قلت . أبعد ما قال لنا ما قال : قال : يا بني أفأوسع جرحي :

ومن المدارة أن يلاقيك ذو لسان أو قلم عرف بهش الأعرض ولمز الأبرياء ، فتطابق له جبينك ونحيبه في حفاوة ، لملك تحمي جانبك من قذفه ، أو تجعل لدغاته خفيفة الوقع على عرضك .

نقرأ في الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة رضی الله عنها أخبرته « أنه ستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ( أدنوا له فبئس بن المشيرة ) أو ( بئس أخو المشيرة ) فلما دخل الآن له الكلام » وفي رواية « فلما جلس نطق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسطل اليه ، فقلت يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم ألتفت له القول : فقال : « أى عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه » أو « ودعه الناس اتقاء لحشه <sup>(١)</sup> » .

فقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل المعروف بالبذاء ، من قبيل المدارة ، لأنه لم يزد على أن لاقاه بوجه طلق أو رفق به في الخطاب ، وقد سبق الى ذهن عائشة رضی الله عنها أن الذى بلغ أن يقال فيه ( بئس بن المشيرة ) لا يستحق هذا لقاء . ويجب أن يكون نصيبه قسوة الخطاب وعبوسة الجبين ، ولكن نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد مدى ، وأناة أطول أمدا ، فهو يريد تعليم الناس كيف يملكون ما فى أنفسهم فلا يظهر أثره إلا فى مكان أو زمان يلقى فيه إظهاره ، ويريد تعليمهم أدبا من آداب الاجتماع هو رفق الانسان بمن يقصد الى زيارته فى منزله



ولو كان شره في الناس فاشيا ، على أن إطلاق جبينك مثل هذا لئلا ينعك من أن تشمره بطريق سائق أنك غير راض عما يشيعه في الناس من أذى ، ولا يعوفك عن أن تعالجه بالموعظة الحسنة إلا أن يكون شيطانا ماردا .

ومن المدارة أن تلقى ذايذ تبطش فتمنعه جبيناً طلق وتجنب في حديثك ما لا يكون له أثر في نفسه إلا أنه يشير فيها التصد إلى أذيتك ، وهذا يحمل قول أبي الدرداء رضى الله عنه : « إنا انكشرف في وجوه أقوام ، وإن فلوبنا لتلهم » وفي رواية « لتقلهم »<sup>(١)</sup> والكشر . اتبسم ، وفي هذا الأثر شاهد على أن التبسم في وجه الظالم لقاء نأه ضرب من المدارة ، ولا يتعداها إلى أن يكون مداينة .

ومن المدارة أن يكون لرجل على حال تقتضى صرفه عن بغية أو عمل ، وتعرف أن في الاعتدال له هذا الحال ما يشير في نفسه ألماء فتعرض عن ذكر ما يؤلم ، وتذكر له وجها غيره مما هو واقع ، حتى لا تجمع له بين الحرمان من بغيته ، وإيلامه بما لا يحب أن يعتذر له به ، أصاب الكسائي وضع ( برص ) وهو مؤدب أبناء هرون الرشيد ، فكره الرشيد ملازمته لأولاده ، فقال له : كبرت في السن ، ولنا نقطع رانيتك ، وأصره أن يختار لهم من يتوب عنه ممن برضاه ، فاختار لهم على بن الحسن المعروف بالأحمر ، ولا ريب أن اعتدار هرون الرشيد للكسائي بكبر السن أخف على نفسه من أن يقول له : أصبت بوضع ، ولنا نقطع رانيتك .

والنفوس المطبوعة على المدرة نفوس أدرجت أن الناس خالقو ليكنونا في الائتلاف كجسد واحد ، وشأن الأعضاء السليمة أن تكون متشمة متماسكة على قدر ما فيها من حياة ، ولا تنكر عضوا ركب معها في جسد إلا أن يصاب بعلة يعجز الأطباء أن يعفوا له بمدواء .

قالمد راة يبتغى بها رضا الناس وتأليفهم في حدود ما ينبغي أن يكون، فلا يبعدك عنها قضاء بالقسط، أو إلقاء النصيحة في رفق، فلم يخرج عن المدارة أبو حازم حين دخل على سليمان بن عبد الملك وقال له: «إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر، فاختر أيهما شئت».

ترجع للمدارة الى ذكاء الشخص نفسه، فهو الذي يراعى في مقدارها وطريقتها ما ينبغي أن يكون، ولأسباب العداوة مدخل في تفاوت مقادير المدارة واختلاف طرقها، فإذا ساء لك أن تبالغ في مداراة من ينحرف عنك خطأ في ظن يظنه بك، أو لعدم ارتياحه لعمدة يسوقها الله اليك، فلمدارة من يحارب الحق والفضيلة إن صادفك وقتئذى الخلل مدارته، حد قريب ومسحة من التناطف خفيفة، وينبغي أن تكون مداراتك لمن ترجو منه العود الى الرشده، وتأنس في فطرته شيئاً من الطيب، فوق مداراتك لمن شاب على عوج العقل ولو لم الخلق حتى اقتطع أملك من أن يصير ذ عقل سليم أو خلق كريم، ولك مع من فيه قية من العقل ضرب من المدارة لا تسلكه مع من يعد مدارتك له أثر الخوف من سلاطة لسانه، فيزداد غشاً، ليزداد الناس رهبة، فيزيده خضوعاً.

المدارة خصلة كريمة، يحكمها الأذكاء، ولا يتمدى حدودها الفضلاء، أما المداينة فهي إظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل أو عمل مكروه، وأصلها الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه.

نضم المداينة تحت جناحيها الكذب، وإخلاف الوعد، أما الكذب فلأن للمداين يصف الرجل بغير ما يعرفه منه، ومن دخن الكذب من باب سهل عليه أن يأتيه من أبواب متفرقة، وأما إخلاف الوعد فلأن المداين يقصد الى إرضاء صاحبه في الحل فلا يبالي أن يعمده بشيء وهو عازم على أن لا يصدق في وعده، وليس من

الصعب على المداين وقد مرد على الكذب أن يخلف الوعد ويحتاج لإخلافه عذرا، وهذا الاختلاق لا يرتكبه الراسخ في كرم الأخلاق وإن كلفه الوفاء بالوعد أمرا جللا، فالمداين لا يترتب في أن يعد لأنه لا يتألم من أن يخلف، ولا يصعب عليه أن يصور من غير الواقع عذرا، والراسخ في الفضل لا يعد إلا عند العزم على أن يصدق فيما وعد، فإن وقف أمامه عائق كشف لك عن وجهه الحق، فإذا لم يساعده الحال على إنجاز الوعد لم يفته الصديق فيما ياتيه إليك من عذر.

ومن المداينة أن تنثي على الرجل في وجهه فإذا انصرفت عنه أطلقت لسانك في ذمه، قيل لابن عمر رضى الله عنه « إنا ندخل على أمراءنا فنقول القول، فإذا خرجنا قننا غيره » فقال : « كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

وقد قرر أهل العلم أن الرجل إن كان مستغنيا عن الدخول على من يضطره الحال إلى الثناء عليه، فدخل وأثنى بغير ما يعلم كان نفاقا، أما إن اضطر إلى الدخول على ذي قوة لا يخلص من بأسه إلا أن يسمعه شيئا من الإطراء فهو في سعة من أن يعطيه بمقدار ما يخص من بأسه، ولا تلحقه هذه الحالة الشاذة بزمرة المداينين، انهزم جيش السلطان فرج بن برقوق أمام جيش الطاغية تيمورلنك، ووقع طائفة من العلماء في أسر الطاغية، ومن هذه الطائفة الفيلسوف ابن خلدون، فكان من هذا الفيلسوف أن تقدم إلى تيمورلنك وقال له فيما حادثة به : « إني ألفت كتاب في تاريخ العالم، وحليته بذكرك، وما أسنى إلا على هذا الكتاب الذي أنفقت فيه عمري، وقد تركته بمصر وإن عمري الماضي ذهب ضياعا حيث لم يكن في خدمتك، وتمت ظل دولتك، والآن أذهب فأتي هذا الكتاب وأرجع سريرا حتى أموت في خدمتك، فأطلق سبيله فقدم مصر ولم يعد إليه .

ومن أسوأ ما يفعل المداين أن يلاقى الرجلين بينهما عداوة فيظهر لكل واحد منهما الرضا عن معاداة صاحبه ، ويوافقه على دعوى أنه الحق وصاحبه هو المبطل ، وفي مثل هذا ورد قوله صلى الله عليه وسلم : « تجدد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه »<sup>(١)</sup> وقال حكيم من بني أسد :

واست بدى وجهين فيمن عرفته      ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي

يتعذر الرجل وجهين متى كان يطامح الى ما في أيدي الناس من متاع ، أو كان يقطع في إرضاء طوائف على تباعد ما بينهم من نزعات ، وعلى شدة ما بينهم من اختلاف ، والعبور الى النفع على جسر من المداينة يحرم من أعز متاع هو الصدق ، بعد أن يحرم من أطيب لذة هي ارتياح الضمير ، ومن كان حريصا على أن يكون صديق الطوائف المتباينة ، فإن الطيب منهم يأتي أن يلوث صدره بصداقة من يتملق الخبيث .

المداينون يحملون أسنهم طوع بنية الوجيه ، ويمجدون الى قول ما يشتهى أن يقولوا ، فيمدحون ما يروى حسنا ، وبذمون ما يمدحون سيئا ، أما الذين يعرفون ما في المداينة من شر ، ويحزنهم أن يظهر الشر على يد من في استطاعته الخير ، فيربثون بالسنهم أن تسابر في غير حق ، ويؤثرون نصيح الوجيه على أن يرضوا له ما ليس بزين ، اتنى الخليفة عبد الرحمن الناصر « القبيبة » بقصر الزهراء ، واتخذ اسطحها قراميد من ذهب وفضة ، وجلس فيها إثر إتمامها ، وقال لمن حضر مفتخرا : « هل رأيتم أو سمعتم من فعل هذا من قبلى » ؟ فقالوا : إنك لا واحد في شأنك كله ، ولكن القاضى منذر بن سعيد وعظه وعظا بليغا ، وتلا عليه قوله تعالى : ( وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَّمْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ أَلْسِنَةً لَبُذِّخُوا بِالْأَرْحَامِ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْخُفُوفَ مِنْ قِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ) فاطرق الناصر مليا ، ثم أقبل على منذر ، وقال له : جاز لك الله يا قاضى عنا وعن نفسك خيرا ، وعن الدين والمسلمين أجل جزائه ، فالذى قلت هو الحق ، وقام من مجلسه ونقض سقف « القبيبة » وأعاد قرمدها ترابا .

والوجه الحازم يكره المداهنة، وبلا عينه باحترام من يوقظه لوجه الخير إذا كان في غفلة منه، ولوجه الشر إذا اشتبه عليه، قال طاهر بن الحسين في الكتاب الذي بعث به لابنه عبد الله بن طاهر: « وليكن أكرم دخلائك وحاصتك عليك من إذا رأى عيالا لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في ستر، وإعلامك بما فيه من النقص، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك ».

وقع الوزير هاشم بن عبد العزيز في يد العدو أسيرا، وذكره الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي في جماعة من رجال دولته مستقصرا له ناسباله إلى الطيش والعجلة ولاستبداد برأيه، فلم ينطق أحد ممن كان في المجلس بالاعتذار عنه ما عدا الوزير الوليد عبد الرحمن بن غانم فإنه اعتذر عن الوزير هاشم ورد على السلطان في مسلك سائق، ومما قال في الاعتذار عن هاشم: « قد استعمل جهده، واستفرغ نصحه، وقضى حق الإقدام ولم يك مالا النصر بيده، فخذله من وثق به، ونكل عنه من كان معه » ثم قال: « فإنه لا طريق للملام عليه، وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم، وأيضا فإنه ما قصد أن يجود بنفسه إلا رضا للأمير، واجتنابا لخطئه، فإذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالبا التقصير، فذلك معدود في سوء الحظ » فأعجب الأمير بكلامه، وأقصر بمد عن عقيد هاشم، وسعى في تخليصه من الأسر.

ومن عظماء الرجال من يفيض المداهنة، ولا يقبل من جالس مبالغة في مدح أو مسaire، ومن المثل الكاملة لهؤلاء العظماء، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فإنه نقرأ في سيرته أنه قال لجرير حين دخل عليه بقصيدة يهنته فيها بالخلافة: « اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقا » وقال له رجل مرة: « طاعتكم مفروضة » فقال له: « كذبت لاطاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله »:

والأجلاء من علماء الدين كانوا يداخلون رجال السياسة فيعتقد بينهما التثام أو صداقة، كانوا يأخذون بسنة المداينة، ولم يكونوا فيما نقرأ من سيرتهم يتلطفون

برجس المداينة، فهذا أبو الوليد الباجي كان يصاحب رجال السياسة، ويختارونه للسفارة بينهم، وهو الذي قال لمن ذكره بمداخلة السلطان: لولا السلطان لنقضى النذر من الظل الى الشمس، وتاريخه يشهد بأن قوة إيمانه كانت تحرسه من أن يقع في حيا المداينة. كان مرة في انتظار أحمد بن هود صاحب مرقسطه بالأندلس، فجالسه ابنه الملقب بالمؤمن، وأخذ المؤمن يحاذب الباجي الحديث في كتب الفلاسفة حتى قال له: «هل قرأت أدب النفس لأفلاطون؟ فقال له الباجي: «قرأت أدب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم» يعنى شريعته من قرآن وسنة، والباجي هو الذي رجع من الشرق الى الأندلس فوجد أمراءها في تقاطع، والعدو يتحفز لوضع يده على رقابهم، فقام يتردد على مجالسهم، ويطرق بالنصيحة آذانهم، ويسمى لجمع كلمتهم، فكانوا يحلون في الظاهر ويستبدون بزعمته في الباطن، وأقل ما يحتنيه الداعي الى الإصلاح براءة ذمته، وأمنه عند الوقوف بين يدي ربه.

فالنفس التي تنحط في المداينة انحطاط الماء من صيب، نفوس لم تشب في مهد الأدب السني، ولم تهدها المدرسة الى الصراط السوي، وما شاعت المداينة في جماعة إلا تقلصت الكرامة من ديارهم، وكادت الاستكانة شعارهم، ومن ضاعت كرامتهم، وداخت الاستكانة نفوسهم، جالت أيدي البغاة في حقوقهم، وكان الموت أقرب اليهم من حبال أوردتهم.

فن واجب أساندة التربية ودعاة الإصلاح أن يعنوا بجهد هذا الخلق المشنوم حتى ينفوه من أرضنا، وتكون أوطاننا ومدارسنا منابت نشء يميزون المداينة من المدارة، فيخاطبون الناس في رقة أدب وشجاعة، ويحترمون من لا يلوث أسماعهم، بالملق، ولا يكتهم الخفايا متى اتسع المقام لأن يحدتهم في صراحة.

محمد الخضر حسين

# النفس

## سورة الملك

٣

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله عز وجل في قرآنه العظيم : ( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَنتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) .

كلمة تُذكر القارئ بصفوة ما اشتملت عليه الآية الشريفة السابقة :  
شهد الله سبحانه لنفسه — وهو خير الشاهدين — بأنه الملك <sup>(١)</sup> الحق المتعالى عما  
سواه فى ذاته وصفاته ، الرفيع القدر الثابت الإلهية كثير النعم ذو الفضل العظيم . ثم إنه  
تعالى أقام البرهان على صدق هذه الشهادة بأنه وحده الذى بيده الملك ، لا كلمة لغيره  
فيه نهى ولا أمر ، ولا تصرف بإيجاد ولا إعدام ولا بمحو ولا إثبات ، وهو على  
كل شيء قدير .

ثم إنه جل ثناؤه فنى على الآية السابقة بقوله : ( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ) الآية ،  
فكانت منزلها من الآية السابقة أمها شروع فى بيان بعض شؤون الله عز وجل  
فى ذلك الملك بعد أن خاتمه ، ففصل فيها بعضاً من الأحكام التى خلق ذلك العالم  
عليها ، كما بين آثار قدرته ونصرفه سبحانه فيه بعد أن أبدعه ، مبيناً أن تلك

(١) هذا معنى التبارك الذى ذكرناه فى العدد الثانى .

الأحكام التي حكم بها وتلك الآثار والتصرفات في ذلك الملك إنما كانت على مقتضى قوانين العدل وسنن الحكم البائغة المؤدية الى جالب المنافع والمصالح ، الصارفة عن الشرور والمفاسد .

أخبرنا سبحانه بذلك أنه خلق هذا الملك العظيم ثم لم يتركه سُدىً مهملاً ، بل إنه جعله في قبضة يده سبحانه يدير أمره ويتصرف فيه بقدرته على وفق ما سبق به علمه لحييط وإرادته النافذة وحكمته الإلهية البائغة ، كما قال عز اسمه : ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ) ( وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) ( وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ) .

فن أحكام الله عز وجل في ذلك الملك العظيم وآثار قدرته الباهرة فيه ، خلقه الموت والحياة . فأما حياة فإن المراد بها هنا حياة الإنسان لانيوية أتى قبل موته ، وحياته لأخروية بالبعث بعد موته . حياة الدنيوية هي القوة التي وهبها الله تعالى له وجمعها مصدر العقل والعلم والعمل ، وحياته الأخروية هي القوة التي يعطيها الله تعالى إياها بالبعث فيبقى بها بقاءً أبدياً ، فإذا كان محسناً كانت حياته حياة طيبة سليمة من شوائب الآفات الدنيوية والأخروية ، وإن كان مسيئاً فقد ظلم نفسه ( وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ) .

هذه الحياة لأخروية ، وسيلتها التي يُتَوَسَّلُ بها إليها هي حياة الدنيوية التي بيناها لك من قبل ، ( وهي قوة العقل والعلم والعمل ) وذلك كما في قول العاصي يوم القيامة : ( يَا أَيَّتُهَا فَدَمْتُ حَيَاتِي ) كَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَ انْتَفَع بِحَيَاتِهِ الدنيوية لتكون وسيلة له الى طيب الحياة الأخروية الخالدة ، ولكن ( لَا يَنْتَفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَمَلِهِمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ) .<sup>(١)</sup>

(١) لا يدعون الى التوبة ولا تطلب إليهم الطاعة كما كانوا يدعون الى ذلك في الدنيا لأن الآخرة ليست دار تكليف وعمل بل دار جزاء على ما أسلفوا في الدنيا .



وأما الموت هنا فهو الصفة الوجودية الطارئة على الحياة مضادة لها، يخلقها الله تعالى في الإنسان فنزول بها قوة لا إحساس والنماء والتعقل .

قدّمنا أن المراد بالحياة هنا حياة الإنسان الدنيوية وحياة الأخرية، وهذا هو الذي ينطق به قوله تعالى بعد : ( لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) كما ستعرفه : ذلك أن البَلْو لا إبلاء ولا ابتلاء بمعنى واحد ، وهو في الأصل لامتحان والاختبر ، أي نَعْرِفُ حَالِ الشَّيْءِ والبعث عنه للوقوف على حاله لمجهولة ، فإذا ما حصل البَلْو على وجه الصحيح كان أثره اللارم المترتب عليه هو ظهور حال ذلك الشيء من جودة ورياءة ، وخيرٍ وشرٍّ ، وحسنٍ وقبحٍ ، إلى غير ذلك من الصفات . ولا جدال أن المعنى الأصلي للبَلْو يستحيل وصفه لله سبحانه به ، لأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، بل هو من صفات المخلوقين الذين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ( وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ) .

فعلى ذلك وجب أن يكون معنى البَلْو هنا هو المعنى الثاني الذي هو الأثر اللازم المترتب على المعنى الأصلي المستحيل ، وذلك المعنى الثاني الجائر على الله سبحانه هو إظهار أحوال العباد حتى يظهر خيرها وشرها ، ويتضح حسنُها وقبحها ، ويتبين أحسنُها وحسنُها .

تميز هذه الصفات المتقابلات وتعجلى حقائقها لأصحابها لمتصفين بها ، كما يقف عليها غيرهم أيضاً ، خصوصاً في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ( ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ) ( هَذَا لِكَيْ تَبْلُو<sup>(١)</sup> كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْفَفَتْ ) ( وَبَدَأَهُمْ مِنْ لَدُنْهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ) .

(١) تختبر وتباين وتدور . وفرا حره وسكتاى تقرأ أى تقرأ كما و نحو امرا كتناك . فاولئك

وبالجملة تَخَلَّقُ اللهُ جِلَّ ذَكَرُهُ الموتَ والحياةَ إنما هو لأجل ظهور صفات الأعمال للعباد أنفسهم، وهو معاملة منه سبحانه لهم تُشَبِّهُ في ظاهرها معاملة المخلوقين إذا امتحن بعضهم بعضاً للوقوف على ما جهلوه من أحوالهم. أمّا اللهُ تبارك وتعالى فإنه يعلم من أحوال عباده وشؤون خلقه ما ظهر وما بطن.

من هذا الذي قررناه لك يتضح لك أن ابتلاء الله تعالى للعباد ليس مقصور على أحسن أعمالهم وحسنها كما قد يُتوهم من ظاهر الآية الشريفة، بل هو متناول لأعمالهم كلها: حَسَنُهَا وَآحَسَنُهَا، قَبِيحُهَا وَحَسَنُهَا، نَافِعُهَا وَأَنْفَعُهَا، كَامِلُهَا وَأَكْمَلُهَا، نَاقِصُهَا وَكَامِلُهَا، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا.

فانظر بمد هذا إلى ذلك الإبداع القرآني للمعجز الذي جاءت عليه هذه الآية الكريمة - أَلَا تَرَى أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ ذُكِرَ فِيهَا مَتَعَاتٍ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَحَسَنُهَا فَقَطْ، دون سائر أعمالهم التي مثباتها فيما سبق، مع أن البلاء في الواقع متعلق بجميع أعمالهم على كثرتها واختلاف أجناسها، كما قال عز وجل: (وَبَلَّوْا كُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (وَبَلَّوْنَاكُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالْأَسْيَافِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ<sup>(١)</sup> هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ).

أمّا الحكمة القرآنية البلاغية في قصر الابتلاء على الأحسن والحسن في الآية فهي أن الله جلَّتْ حكمته يرشد العباد إلى أن المراد بالذات والمقصد الأصلي من ابتلائه لعباده هو أن يظهر كمال إحسان المحسنين، وتمام إجابة المجيدين لأعمالهم، فتتيز أعمالهم وتنجلي متفوقةً أرقى من أعمال غيرهم الذين تحقق في أعمالهم أصل الحسن بالإيمان والطلاعة.

(١) جمع شاهد كما يحب وأصحاب أو نهيد ككفر وأشراف وحيب ونجات.

أما لأعمال التي لم تتصف بالأحسنية ولا بالحسن كالماصى وسائر المخالفات فإنَّ تعلُّق الابتلاء بها مع كونه مراداً في الواقع، هو غير مراد إرادة أصبية بالذات كما تقدم، بل هي أئتمُّ من أن تكون مرادة، فإنَّ حقها أنها لا ينبغي وقوعها من العباد بعد أن تبين لهم الرشيد من الغي، وعلموا ما أعدَّه الله للمحسنين من الثواب والمسيئين من العقاب.

وذا كان هذا هو حالها من الخسارة والضعف فاتها لا تكون حينئذٍ صالحة لأن تنظم في سلك الحكيم البائغة الإلهية لأفعاله تعالى، بل هي أعمال سوء ذميمة تصدر عن عاميها بسوء اختيارهم ويحق تصرفهم لا شبهة لهم في الإقدام عليها ولا عذر لهم في ارتكابها. وفي هذا من الترغيب في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات، ومن الزجر عن الوقوع في نقائصها وسوء عواقبها ما فيه (ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَنْبٌ أَوْ أُلْقِيَ السُّعْيَ وَهُوَ شَيْدٌ).

وحاشية القول أن الحكمة الإلهية في خلق الله تعالى الموت والحياة هي أن تظهر أعمال العباد على تباينها، وتبين لأصحابها ولغيرهم في الحياة لدنيا ويوم يقوم الأَشْهاد، ليكون ظهورها إذ ذاك على هذا الوجه مرغبا الآن المحسنين في الاستزادة من الإحسان والرقى في معارجه، وزاجرا المسيئين عن التمادى أو الوقوع فيما ادَّخره الله تعالى للمسيئين.

وبهذا طهر لك أن الآية الكريمة قد نطقت بأن المراد بالحياة فيها ما يعم الحيائين: الدنيوية والأخرية كما قدمناه لك، فإنَّ كلا منهما يحمل الناظر فيه التدبر له على إحسان العمل والمسارة إلى المزيد والترقى في مدارج البافيات الصالحات، مع ملاحظة أن الأعمال لا يمكن صدورها عن عاملها إلا بالحياة الدنيا.

ثم إنه لا يخفى على الفطن ما في تقديم الموت على الحياة في الآية الكريمة من الحسن والبلاغة الفائقة، فإن ذكر الموت وما فيه من السُّكْرَاتِ والشَّدَائِدِ وما يعقبه مما لا تدرى

نفس ما الله فاعل بها فيه ، هو ادعى للذين أسرفوا على أنفسهم أن يتوبوا ويُنبِئوا الى ربهم ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ) وأعظمُ تَغْيِبًا للذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يتنافسوا في الطاعات ويسارعوا الى الخيرات وهم لها سابقون .

هذا ، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ( أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) بقوله <sup>(١)</sup> « أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً وَأَوْزَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » أي أن الله تعالى خلق الموت والحياة ليتبين لكم أيها الناس وتعلموا أيكم أحسن عقلاً وأوزع عن محارم الله تعالى وأسرع في طاعة الله عز وجل ؛ فإذا ما تبينت لكم أعمالكم ووجدت كل نفس ما عملت من خير أو شر مُحَقَّرًا لم يكن لأحد على الله حجة بعد هذا الإعذار ، وبعد أن يَرَوْا ما قَدَّمُوا لأنفسهم ليوم الحساب . وحينئذ يجازيهم الله الحكم العدل بمجازاة متعاقبة على حَسَبِ تفاوتهم في الأعمال ( وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ) .

وقد اشتمل الحديث الشريف لذي فسر به لرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ( أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) على ثلاثة أمور : أولها العمل القلبي ، وهو أحسنية العقل ، أي كمالُ حُسْنِ <sup>(٢)</sup> التعقل وتعمُّمُ إجادة التفكير والتفهم في ملكوت السموات والأرض وفي شرائع الله تعالى التي شرعها لصالح الدين والدنيا وللوصول الى معرفة المخلوقين لله خالقهم وخالق كل شيء ، وذلك أن الطريق المستقيم الموصل الى هذه المعرفة الفضلى إنما هو كمال التعقل والنظر في بدائع صنع الله تعالى ، وتعمُّمُ التفكير والتدبر في آياته الكونية المنصوبة في الأنفس والآفاق ، وفي آياته وشرائعه المنزلة على رسله صلوات الله وسلامه عليهم .

(١) رواه أبو جرير في تفسير سورة هود عن ابن عمر . (٢) إشارة إلى أن العقل في الحديث العرفي مصدر عقل النبي بمعنى تفقده وأدركه بعقله .

ثم إن هذا الأمر الأول عمل قلبي كما علمت ، وهو أشرف الأعمال على الإطلاق لأشرفية مصدره — وهو العقل — على سائر مصادر الأعمال الإنسانية ؛ وكيف لا يكون العقل كذلك وهو الوسيلة العظمى إلى معرفة العباد ربهم جل وعلا ؛ ولهذا كان هذا الأمر الأول هو الأساس الأعظم الذي لا قيمة لأعمال العباد إلا بعد تحققه على الوجه الصحيح .

ومما يزيدك علما بهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم — فيما ذكره الحفاظ بن كثير وغيره — : « لَا تُقْضَوْنِي <sup>(١)</sup> عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَلَا عَلَى يُوسُفَ بْنِ مَتَّى فَإِنَّهُ كَانَ يُرْفَعُ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُ عَمَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ » . قال العلماء : وإنما كان ذلك هو التفكير في أمر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ، ضرورة أنه لا يقدر أحد على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض .

ثانيها أحسنية لورع — وهي البياغة في التباعد عما حرمه الله ، وزيادة التحرز عن القرب مما نهى عنه ، وهذا الأمر الثاني هو من قبيل التعفف والتركي عن المنهيات . ثالثها الأسرعية في طاعة الله — وهي الأسبقية وزيادة التنافس في أداء حقوق العبودية لله رب العالمين ، وهذا الأمر الثالث هو من قبيل أعمال الجوارح .

وجملة القول أن الحديث الشريف قد اشتمل على ثلاثة أمور : أولها عمل العقل ، وهو أفضلها . ثانيها الترفع عن المحارم . ثالثها عمل الأعضاء ولا اعتداد بهما إلا بعد عمل العقل الصحيح .

(١) لسبب أن هذا النبي هو سد التدريفة وإغلاق الباب في وجوه ضيقة العقول الذين ربما أوقفهم جهلهم في تنقض الانبياء صوات الله وسلام عليهم . وأظهر هذا ما وقع فيه المستدعة والذين حصوا في التفسير بين الصحابة بأهوائهم حتى أغشى ذلك سمهم إلى التمسق بل الكفر . وإنما خص سيدنا يوسف عليه السلام بالذكر نظرا إلى قصته الواردة في القرآن الكريم فقد يظنها بعض الخفيا مدعاة لنقص درجته عليه السلام . حاش الله . وهذه لفظة قيصة من قول الله تعالى في حقه عليه السلام : (وإن يوسف لم المرسلين إذ أتى إلى الفلك المشعرون) فإت ترى أن الله تعالى قد أثبت عليه بالرسالة في وقت إيمانه الذي ربما زعمه الأحمق منافيا لحلال الرسالة . وهذا نعم أن هذا الحديث وأمثاله لا يأتى أن سيدنا رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم أمضى الخلق على الإطلاق .

كذلك دل الحديث على أن الابتلاء يتعلق بأحسنها كلها، كما دل على أن العمل في الآية الكريمة شامل لعمل القلب وعمل الجوارح.

ثم انظر بعد هذا إلى ما في هذا الحديث من البلاغة العالية - ألا تراه يقول: «وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» دون أن يقول: «إلى طاعة الله» وإن كان كل من العبارتين بليغا جليلا قد ورد<sup>(١)</sup> في القرآن الكريم.

ووجه أبغية التعبير هنا (بي) هو أنهم قائمون بطاعة الله تعالى بالفعل مؤدون لها داخلون فيها، ولكنهم لا يبغون بقاءهم على درجتهم الحاضرة في الطاعة، بل لا يرضيهم إلا المسارعة والسابقة والمنافسة وهم فيها ليتقربوا إلى الله زلي.

أما التعبير بلفظ (إلى) فإنه يفيد أنهم خارجون عن الطاعة لم يقوموا بها ولم يباشروها بالفعل، ولكنهم يسارعون ليصلوا ويدخلوا فيها. وهذا المعنى لا يناسب معنى الآية هنا، فإنه منابذ للتعبير فيها بالأحسنية في قوله تعالى: (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا).

أما التعبير (إلى) كما في بعض الآيات فلأن مقام البلاغة العليا فيه يقتضيه، ولكل مقام مقال، ولكل حديث مجال، وللقرآن الكريم المثل الأعلى

مسح مضمون

وكيل مدرستي القضاء الشرعي

ودار العلوم العليا سابقا

(١). وسارعوا إلى منفرة من وبكم - أو تلك يسارعون في الخيرات.

## تقرير اللجنة الازهرية

في التعليق الذي هدى به صاحبه حول القرآن الكريم

تألفت لجنة من حضرات أصحاب العvisلة : الأستاذ الشيخ عبد الهادى الصرغامى مساعد شيخ المعهد الأزهرى بالقسم الثانوى للأزهر الشريف ، والأستاذ الشيخ محمد العنانى المدرس قسم التحصين ، والأستاذة المدرسين بالأزهر الشريف : الشيخ محمد عبد اللطيف السكى ، والشيخ محمد عبد السلام لقبانى ، والشيخ محمد محيى الدين عبد الجيد ، ونظروا فى ذلك التعليق الذى هدى به صاحبه فى تأويل القرآن الكريم ، وكتبوا فيه تقريراً رفعوه الى حضرة صاحب العvisلة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد الاحمدى الطواهرى شيخ الجامع الأزهر ، وقد بسط الاساتذة فى هذا التقرير البحث عن ضلالات ذلك التعليق ووردوا عند كل ضلالة ما يدفعها وينبه على إلحاد من اعتقدها ، والى حضرات القراء نص هذا التقرير :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد . فقد أشيع أن من يدعى (أبازيد) وضع تعليقا على حواشى المصحف الشريف أسماه ( الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن ) .

وأن هذا التعليق قد اشتمل على ضلالات لا يقرها الاسلام ، وسعف ينبو عنه نظم القرآن الكريم .

فرائنا أن نطعم على هذا التعليق ثم نبين ما فيه مما يخالف الدين ليتبين لأمر للعالم الاسلامى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة . ولقد كان اهتمامنا بهذا

الموضوع عظيمًا فإنه من أوجب الواجبات ، ضرورة أنه متعلق بالقرآن الذي هو أصل الشريعة الإسلامية ، بل هو ملاك الشرائع كلها والأديان السماوية جميعها كما قال تعالى : ( مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ ) .

وقبل أن نورد ما لاحظناه على هذا التعليق نذكر مقدمة يسايرها العقل ويؤيدها السمع لتكون كأساس لما يرد بعدها من الملاحظات .

### المقدمة

فيما يجب أن يراعى من يتصدى لتفسير القرآن الكريم ويان ما فيه من حكم وأحكام وغيرها .

كل من يتعرض لتفسير الكتاب العزيز فعليه أن يلاحظ ما يأتي :

١ - اللغة العربية : مفرداتها ومركباتها وأسايلها وما اشتملت عليه من عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، وإجمال وبيان، واشتراك وترادف، وحقيقة ومجاز وكناية، وما يتعاقب بكل هذه الأنواع من الأحكام الثابتة بالأدلة الصحيحة . كحمل المطلق على المقيّد ، وتخصيص العام ، وحمل للشترك على جميع معانيه أو بعضها عند القرينة ، وحمل الظاهر على ما يبيده إلا للدليل يقتضى تأويله ، وحمل اللفظ على حقيقته إلا لصارف يصرفه عنها .

وكما يجب مراعاة ذلك يجب أيضا مراعاة ما تقتضيه متانة الأسلوب وجزالة المعنى بحيث يكون النظم الكريم مرتبطا ببعضه ييمض متجاوب الأطراف .

وعلى العموم يجب مراعاة ما نمس الحاجة اليه من علوم اللغة العربية على اختلافها : كعلم متن اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها مما يتوقف عليه فهم المعنى فهما ينتظم مع ما للقرآن من علو الأسلوب ومتانة التركيب ، وكونه قانونا سماويا يرجع اليه في الاعتقاد والعمل ؛ والدليل على ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا



عَرَبِيًّا) (يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) وهو أيضا معجز للخلق عن معارضته والإتيان بمثله (قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) الآية (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) وإيجازه على التحقيق بلفظه ومعناه، فهو في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة.

نضع من هذا أن القرآن نزل بلغة العرب وأنه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة، فيجب أن يراعى في تفسيره ما يتناسب مع ذلك مما عهد في أساليب العرب، وما عليه أوضاع اللغة العربية واستعمالها على التفصيل المدون في علوم اللغة كما قدمناه.

٢ - أسباب النزول من الوقائع والحوادث التاريخية التي نزل فيها القرآن، فإنه ليس من المعقول أن تكون الآية قد نزلت في حادثة معينة ثم تفسر بما يبدو عن هذه الحادثة، فإن هذا لا يليق بكلام العقلاء فضلا عن كلام رب العزة الذي هو أصح كلام وأعلاه، وليس مثل ذلك إلا مثل من يسأل عن أمر فيجيب بما ليس له أدنى صلة بالسؤال، ومثله لا يعهد إلا في كلام غير العقلاء.

ولسنا نغنى من مراعاة أسباب النزول تقييد القرآن بها وقصره عليها، وإنما نغنى أن سبب النزول يجب أن يكون من متناول اللفظ، ولا نغنى كل سبب قيل مهما كان سنده، وإنما نغنى الأسباب الثابتة بالأسايد الصحيحة.

٣ - مراعاة العقائد الثابتة بالأدلة القاطمة، فإن أول ما يدعو إليه القرآن إيمانا هو التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فيستحيل أن يكون

في القرآن ما ينفي شيئا من ذلك ويناقضه ، هذا ورد في القرآن ما ظاهره نقض عقيدة معلومة وجب صرفه عن ظاهره جمعا بين الدالين كما هو المعقول والموافق لقوله تعالى في وصف القرآن : ( لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ )

لذلك وجب تأويل ما تشابه في القرآن بصرفه عن ظاهره مع تعيين المعنى المراد أو عدم تعيينه على اختلاف الرايين للسلف والخلف أحذا من قوله تعالى : ( وَمَا يَمْلِكُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ) الخ .

٤ - مراعاة السنة النبوية من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى ، وتجب طاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه ( وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) ولا يعقل أن يأتي لرسول بما يتناقض مع الكتاب العزيز . وعلى الجملة فالسنة النبوية على اختلاف أنواعها مبينة للكتاب العزيز ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ) .

لهذا تجب مراعاتها في بيان معناه ، وانشواهد على ذلك كثيرة : فالصلاة لم تعلم كيفيتها إلا بقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » والحج احتاج في بيانه إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، واليه الإشارة بقوله عليه السلام . « خذوا عني مناسككم » والزكاة احتاجت في بيان مقدارها وتفصيل أحكامها إلى ذلك .

يتضح من ذلك أن مراعاة هذه الأمور في تفسير القرآن الكريم ليس من تحكيم الأوضاع والاصطلاحات في القرآن أو إخراجها عن وصفه وجملة موافقا لآراء قوم مخصوصين لم ينزل الله بها من سلطان مع أن القرآن فوق هذه الآراء والمصطلحات كما يقوله هذا الكاتب في مقدمة تعليقه إذ يقول : « وقد جعلوا ( المفسرون ) الاصطلاحات والمذاهب الفقهية والكلامية أصولا حكموها في القرآن وأنزلوه عليها

حتى صار ميدانا للجدل وأصبح غير صالح للحياة بما حملوه من الأثقال ؛ وقد تغيرت معاني القرآن أيضا وتبدلت مقاصده باعتماد المفسرين على بعض كتب اللغة التي تفسر الألفاظ بلازمها وتقصرها على بعض معانيها .

وإما ذلك رجوع اللغة العربية التي نزل بها القرآن إذ لا يعقل أن يفسر كلام متكلم بغير لغته ، فإذا فسر اللفظ بلازم معناه فهذا إنما يكون لقرينة عليه ، واللغة لا تمنعه ، بل يوجبها متى لم يصلح المعنى الحقيقي ، والمفسرون لا يحتجون لهذا إلا في مقام يقتضيه . ورد لما يقتضيه قانون التخاطب من ارتباط المنزل بالحوادث والوقائع التي نزل فيها ، كما في مراعاة أسباب النزول . وصون لقرآن من التناقض المنفي عنه بنفس القرآن ، كما في مراعاة العقائد . وتصديق لقرآن الذي يخبر بأن السنة مبيّنة له وبأن الرسول واجب الطاعة على الأمة ، كما في مراعاة السنة النبوية .

هذا ، وإن نظرة بسيطة في القوانين الوضعية واللوائح ، وما يوضع لها من مذكرات تفسيرية تبين أغراضها ومرامها ، وشروح تحدد مقصود الواضع ويرجع إليها القضاء في تطبيق الحوادث المعينة — من ألقى أقل نظر على ذلك أمكنه أن يحكم بأنه لا يصح تفسير القرآن مع إغفال اللغة العربية أو أسباب نزوله ، أو السنة النبوية التي يعلم صاحبها عليه الصلاة والسلام من القرآن ما لا يعلمه أحد سواه من الأمة .

نعم كان المتصدون لتفسير القرآن الكريم في الصدر الأول : كعبد الله بن عباس في غنية عن هذه العلوم المدونة ، لأنهم كانوا عربا بطبيعتهم وسليقتهم ، عالمين باللغة : مفرداتها ومركباتها وأساليبها ، وما يتوقف عليه فهم الكتاب العزيز من هذه الناحية ؛ ومع ذلك كانوا يستمينون بأساليب من تقدمهم .

ومن جهة أخرى - كانوا عالمين بأسباب نزول القرآن ، بل ربما شاهدوها ، وعالمين بالله تعالى وما يجب له ولا نبيائه ورسله ، وما يستحيل عليهم ، إلى غير ذلك .

وكما أنهم يعلمون ذلك يعلمون أيضا السنة النبوية على تفاصيلها، بل هم روتها وحلتها .  
وعلى الجملة فعلوم القرآن حاضرة لديهم وعنهم أخذت ، لذلك لم يكن هناك تدوين  
لهذه الفنون ، ولا حاجة الى مراجعة الدونات . اذا تمهد هذا فنقول :

الكلام مع هذا الكاتب يتلخص في ثلاثة مباحث :

- ١ - فيما جاء بمقدمته .
- ٢ - فيما يتصل بالعقائد - كالمعجزات والسمميات كالملائكة والجن والشیاطین .
- ٣ - فيما يتصل بالقروع الفقهية .

### الكلام في المقدمة

( أولا ) قال في ص ( ١ ) من المقدمة تحت عنوان ( حاجة الناس الى الدين ) .  
« والناس من غير الدين لا يمكنهم أن يحددوا المصالح ولوا أمكنهم فاتهم يحتاجون الى زمن  
طويل ولا يتفقون عليها بعد ذلك لما لهم من الشهوات والأغراض ، فالدين يوفر عليهم  
الوقت في تحديد المصالح ويوفق بينهم فيها ويحميهم على العمل بها » .

ثم يقول في ص ٢١٨ سورة التور - في قوله تعالى : ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ  
عَنْ أَمْرِ ) الآية ٦٣ : « ( عن أمره ) يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التي تكون  
للإعراض عن أمره وأما التي تكون للرأي والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة  
الشورى » .

انظر الى ما يقوله أولا وآخره تعرف ما بين كلاميه من التناقض ، فإنه يقرر أولا  
أن الناس من دون الدين لا يمكنهم تحديد المصالح التي يجب عليهم العمل على ما يحصلها ،  
وأن الدين هو الذي يحدد لهم ذلك ؛ وليس الدين شيئا وراء التشريع الإلهي الذي جاء به  
الرسول عليه السلام من عند الله تعالى من الأحكام المأخوذة من قرآن يتلى أو قول

أو فعل للرسول عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا عن وحى إلهي (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى).

ولا شك أن هذا صريح في أن ما يراه الناس من المصالح مخالفين فيه للرسول عليه السلام لا قيمة له بجانب ما جاء به الرسول، لأن نظرم معها يعد فهو قريب، ومهما طال فهو قصير، نظراً لاختلاف مشارهم ومنازعهم، وتقلب الشهوات عليهم كما يقول. ولا شك أن النتيجة المنطقية لذلك أن قول الرسول عليه السلام فوق لأقوال، وأمره فوق الآراء.

وإذاً فلا تجوز مخالفته والخروج عن أمره عليه السلام معها كانت المخالفة، سواء أكانت عناداً وإعراضاً، أم كانت لما يراه المحالف مصالحة، لأن الناس قاصرون لا يمكنهم الوصول إلى تشريع ثابت. ولا شك أن هذا مناقض مناقضة صريحة لما قاله في الآية الآتية، فندد جواز مخالفة أمر الرسول للمصالحة أخيراً ونفى ذلك أولاً، وهو تناقض. ومن جهة أخرى كأنه يقول: الدين وحده هو القانون الذي يرجع إليه — الدين وحده ليس هو القانون الذي يرجع إليه. ولا شك فيما بينهما من التناقض فضلاً عما يترتب عليه من الخط من شأن الرسول عليه السلام والتقدم عليه، والله تعالى يقول: (لَا تَقْدَمُوا عَلَىٰ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) وسيأتي لهذا مزيد بحث بعد.

(ثانياً) قال في ص (ز) من المقدمة تحت عنوان (اختلاف الأفهام في القرآن لا يدعو إلى الشقاق والتفرق): «والواجب أن يفهم المسلمون أن القرآن شائع مشترك بين الناس، وأن من آياته الدالة على أنه من عند الله اتساعه للأفهام وتحمله لاختلاف الآراء والأفكار في كل زمن، وهذا معنى أنه متشابه، أي أنه من تسعد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين، ولا يضر الناس اختلافهم في المعاني ولا أفهام

ما داموا يرجعون الى المحكمات من الأصول والأهيات أى يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات .

ثم قال فى ص ( ح ) من المقدمة أيضا تحت عنوان ( الواجب الختامى ) :  
« والواجب أن كل إنسان يعمل فى خاصة نفسه بما يفهم ويقتنع به ولا يكون تابعا لأحد بغير برهان » انتهت عبارته ؛ ونحن نقول :

١ — هذه دعوة الى الاجتهاد تفتح الباب على مصراعيه ، وفى ذلك من الفساد ما لا يخفى ، ولنا نرى أن الاجتهاد مستحيل أو مقصور على زمن دون آخر ، فإنه فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولكننا من يتوسط فى الأمر بجانب أحد الإفراط والتفريط غير غال ولا متعصب .  
إن الاجتهاد هو بذل الوسع فى استنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأساسه أن يكون المرء محرزا لقط مناسبات من علوم اللغة والسنة النبوية رواية ودراية ، عالما بالجرىح والتعديل وطرق الترجيح وأسباب نزول القرآن والتاسع والمسنوخ ، وما الى ذلك : كما جامع المسلمين — هذا عدا الورع والتقوى وصفاء القرحة والاحتياط فى الدين .

ولقد كان لنا فى سيرة الأئمة المجتهدين وشدة خوفهم من الله تعالى أن يقولوا فى الدين بنير علم أو يفتحوا بابا للفساد أكبر دليل وأعظم عبرة . عرض على بعضهم أن يقول بخلق القرآن ، وما كان عليه من بأس فى العقيدة لو قال ذلك وعنى به اللفظ الذى تقرأه السنن ويدل عليه كتبنا ونقشنا ، إلا أنه لما كان لفظ القرآن مشترك بين الكلام النفسى القائم بذاته تعالى للأنزه عن الخلق والابحاد وبين الألفاظ المقررة وهى حادثة ، خشى من القول بخلق القرآن أن يتسرب الى الفهم بتناول الزمن أنه عنى بالقرآن المخلوق صفته تعالى القائمة بذاته ، فيلزم من ذلك القول بقيام الحوادث بذاته

تعالى وهو محال . ساقطهم شدة الحذر والخوف على عقائد الناس الى أن يتحملوا أنواعا من الإهانة والتعذيب ، والتاريخ أكبر شاهد .

كان لهم من العلم بالقرآن والحديث ونقده ما يشهد لهم بفزارة المادة وحدة الذهن وجودة الرأي وإحكام النظر ، ومن الورع في الدين ما يميز عنه اللسان ويقتصر دونه البيان . وليس هذا الذي يدعو اليه الكاتب مجيد ، فقد بنا سبقة الى هذه الدعوة أناس كنا ولا تزال نجلهم أن يقصدوا بها من ليس أهلا ، بيد أن الدعوة الى الأمور الخطيرة — ما لم تحط بسياج يحول بينها وبين الأعداء — لا نحمد مغبتها ، ويكون إنها أكبر من نعمها . ولقد يكون من آثار هذه الدعوة اجتهاد هذا الكاتب الذي أفضى به الى القول بحل الربا الذي تقررته الأمة وترى أنه معتدل ، والقول بحرمة الاستمتاع بملك الميّن ، والى إنكار الإسرء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ( مسجد بيت المقدس ) وإنكار بقية معجزات الأنبياء والرسل ، والى تأويل القرآن تأويلا لا يتفق هو واللغة التي نزل بها كتأويل ضرب الحجر بالمصا في قوله تعالى لموسى عليه السلام : ( أَنْ أَضْرِبَ بِمِصْرَاكَ الْحَجَرَ ) بالسير الى منابع الماء ، وفرق البحر بالاهتداء الى الطريق اليانيس ، والتملة بالقبيلة ، والحررة بعلماء السوء ، وغير ذلك مما سنذكر بعد .

٢ - يقرر أن الناس لا يضرهم اختلاف الآراء والأل نظر ما داموا يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات .

ولعمري إنه ممن ينطبق عليه القول المشهور : « حفظت شيئا وغابت عنك أشياء » : ألم يعلم أن الرأي اذا لم يكن مبنيا على أساس متين ولم يكن صاحبه فيه الأهلية ، ذا كفاية لما يريد من الاستنباط يكون إنم أكبر من نعمه ، وقد يفضى به الى تحريم الحلال أو تحليل الحرام ونحو ذلك من المحاف لم أجمع عليه المسلمون وكان معلوما من الدين بالضرورة ؟ .

أليس الاجتهاد المضى الى هذا مناها للامان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات؟  
 اللهم إلا إذا كان له رأى في الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات غير  
 ما يعرفه المسلمون .

ويظهر أنه يرى أن مجرد النظر كاف في الوصول الى الاعتقادات والعمليات، وأن  
 كل إنسان مكاف بأن يعتقد ويعمل بما يؤدى اليه نظره، سواء أ كان النظر قاصرا  
 أم غير قاصر، تصادم مع عقيدة ثابتة أو حكم مقرر أم لم يتصادم؛ وهذا الذى قلناه  
 هو ما تعطيه عبارته .

يدعى أنه يفسر القرآن بالقرآن، فاذا يقول في قوله تعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنْصِفُ  
 أَلَسِنَتُكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ  
 الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)  
 وفي قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ  
 أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) ؟

أليس من افتراء الكذب على الله وتباع ما ليس للمرء به علم أن يقول من ليس  
 ذا كفاية في الدين برأيه ؟ .

أليس ذلك من تحكيم العقل القاصر في شرع الله تعالى ودينه الذى لا يصل الى  
 حكمه وأسراره إلا من احتضنه الله برحمته وآناه من الحكمة ما لم يؤت غيره ؟ .

أليس من الفساد الكبير والجرم العظيم أن يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه  
 حتى يدعى من هو فى حاجة الى تعلم أبسط المبادئ فضلا عن مقاصد العلوم ودقائقها،  
 فيقول لما يصف لسانه الكذب: هذا حلال وهذا حرام، ليفترى على الله الكذب ؟  
 سبحانه هذا بهتان عظيم ! .

وليس بتريب أن يكون هذا، فإن لكل شئ هرا وشبها؛ ويظهر أنه قد حان  
 الوقت الذى تنبأ به بعض الصحابة أو علمه من الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد روى



أن عمر رضى الله عنه قال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلها واحدة ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلّمنا فهم نزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فهم نزل ، فيكون لهم فيه رأى ، فإذا كان لهم فيه رأى اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا . قال : فزجره عمر وانتهره ، فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قال فعرفه ، فأرسل إليه فقال : أعد على ما قلت ، فأعاده عليه فعرف عمر قوله وأعجبه . وقد روى أن عمر رضى الله عنه استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، فقدم الجارود على عمر فقال : إن قدامة شرب فسكراً ، فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟ قال الجارود : أبو هريرة يشهد على ما أقول ، وذكر الحديث ، فقال عمر : يا قدامة إني جالدك . قال : والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدى : قال عمر : ولم ؟ قال : لأن الله يقول : ( لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) الآية ، فقال عمر : أمت أخطأت التأويل يا قدامة ، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرمه الله .

انظر الى هذه القصة تعلم أنه لا يجتمع تقوى الله تعالى مع فعل المحرمات ، فكيف يتأتى الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات مع القول فى القرآن بالرأى من غير مستند صحيح .

إن هذه إلا دعابة الى الفوضى فى الدين ومسايرة الهوى باسم الشريعة الشريفة .

### المبحث الثانى فيما يتصل بالعقائد

وفيه ثلاث مسائل :

- ١ - فى وجوب طاعة الرسول عليه السلام وعدم جواز مخالفة أمره أو نهيه .
- ٢ - فى معجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .
- ٣ - فى اللائكة والجن والشياطين .

١ - وجوب طاعة الرسول عليه السلام وعدم جواز مخالفته

فيما يأمر به أو ينهى عنه

في ص ٢٨١ آية ٦٣ قال تعالى : ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُمْ فَتَحَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) الآية .

يقول ذلك المحرف في تفسير قوله تعالى : ( فَاتَّحَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) ما نصه : « يفيدك أن المخالفة المحدورة هي التي تكون للإعراض عن أمره وأما التي تكون للرأى والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى » اهـ .

فهو إذاً يجاهر في تبجيع بأن مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جائزة للمصلحة . ونحن إزاء هذا النوع الجديد من التطرف والمكابرة نأسف على أن نصل القصة ببعض من يحسبون أنفسهم على الاسلام في هذا الحد من معارضة الآيات الصريحة ، وإلا فكيف يفهم هذا لانسان قوله تعالى : ( وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) وقوله تعالى : ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) وقوله : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ) وقوله : ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) .

أليست هذه آيات تدل في صراحة لا تخفى على الأغبياء فضلاً عن يزعمون الفطنة على أن طاعة الرسول واجبة في كل ما يأمر به وينهى عنه ؟ وعلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الحكم الذي يرجع اليه في كل خلاف ولا يجوز الخروج على أقواله وأفعاله بحال من الأحوال ؟

نستطيع أن ننزل الى فهمه ونجاريه على سبيل الافتراض ، ثم ننظر هل يصل بنا الى نتيجة ؟؟ ونحسبه على هذا يعتبر كلمة ( عن ) غير صالحة زائدة كما يقول المفسرون ، وأن الحذر من المخالفة بمعنى الاعراض حتى يكون المعنى بعد ذلك : فليحذر الذين يعرضون عن أمره ، ويكون المفهوم للآية أن المحالمة من غير إعراض جائزة ، كما تشبث هو بذلك التأويل وفرضه لزاما .

وهنا نعلمه من جديد أن الآيات التي سردناها صريحة المنطوق في وجوب الطاعة على وجه الإطلاق ؛ ودلالة المنطوق مقدمة على دلالة المفهوم ، ولا يكون المفهوم مقيدا للمنطوق إلا اذا كان معتبرا ، واعتبار المفهوم له شروط : منها ألا يكون المنطوق وارداً على سبب خاص كما هنا . تقضى بذلك قواعد العلم ويعرفها من تعلم ، فليس له بعد ذلك أن يركن الى ما دكن اليه من الأخذ بالمفهوم والقرآن مملوء بالآيات التي يؤخذ بمنطوقها ولا يجوز لأخذ بمفهومها ؛ ومن ذلك تحريم الزينة ( بنت الزوجة ) على زوج أمها في قوله تعالى . ( وَرَبَّائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُم ) .

وربما يفهم هذا المفسر وأمثاله أن الزينة لا تحرم اذا كانت بعيدة عن كفالة زوج أمها ، كما يفهم من الآية ، مع أن الحكم الشرعي أمها حرام مطلقا ، والمفهوم معطل إلا على مذهب ذلك المجدد وعند الإباحيين ، ومن ذلك قوله تعالى : ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانِكُمْ عَلَىٰ أَلْبَعَاءَ إِنِ ارْتَضَىٰ الْمُحْصَنَاتُ ) فإن الإكراه على البغاء حرام مطلقا ولو لم يردن التحصن ؛ ولكن الآية وردت على سبب خاص وفيها حكم أخرى .

و خلاصة أن دلالة المفهوم ضعيفة بالنسبة لدلالة المنطوق ؛ وفي اعتبارها خلاف بين الأئمة ؛ ومن اعتبرها فقد شرط لاعتبارها شروطا خاصة لم تتحقق هنا ، فلا يصح الركون اليها وترك صريح الآيات من غير دليل — خصوصا أن القول يجوز مخالفة لرسول

للمصلحة قد يفضى الى نبذ جميع أحكام الشرع الشريف بحجة أن المصلحة في العمل بغيرها .  
وكثيرا ما نسمع من يدعو الى نبذ هذا الدين ( حاشا لله ) باعتباره ديننا يتناسب  
مع زمن مضى وأصبح لا يتماشى مع هذا العصر .

وأما الشورى التي يدعو اليها الدين فذلك مما لا تنارع فيه ، وقد كان النبي صلى الله عليه  
وسلم يستشير الصحابة فيما لم ينزل فيه وحى ، وكانوا يقولون له : أذلك عن وحى أم هو  
الرأى والمصلحة ؟ فإن كان عن وحى لم يسمعهم إلا التسليم والامتثال ، وإن لم يكن عن وحى  
أبدوا رأيهم كما فى غزوة بدر ، فالمسألة إنما هى إبداء رأى أذن فيه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا مخالفة أمر . فكيف يصح الاستناد الى الشورى التى أكثر ما فيها أن  
تكون مخالفة رأى الرسول عليه السلام لا أمره ؛ إن هذه إلا دسيسة خفية يراد به  
تغيير الأحكام الشرعية والاتقاض عليها باسم الدين .

أما الآن والأحكام الشرعية مقررة فلا محل للرأى فيها ، اللهم إلا فى تطبيق حكم  
حادث منصوص على أخرى لم ينص عليها ، أو فى رد بعض الحوادث الى عمومات  
الكتاب أو السنة ، فقد اشتبه على الكاتب الفرق بين الأمر والرأى مع بعد ما بينهما ،  
ففى الأمر معنى الجزم والتحتيم ، وفى الرأى معنى الاختيار والحرية فيما يبيده كل من أصحاب  
المشورة . وإن نظرة الى وظيفة الرسول عليه السلام — وهى هداية الأمة الى ما فيه  
رشدها وصلاحها — اكفيلة بإعلامنا بأن كل أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام  
ونواهيها فيها المصلحة وإن خفيت على بعض الناس .

فكل مخالفة لأمره هى إعراض عنه ، لأنه لا يأمر إلا بالخير ولا يهذى إلا  
للطريق الأقوم .

ومن المضحك أن هذا الكاتب ناقض نفسه بنفسه حيث كتب فى صفحة ٦٩  
آية ٦٥ من سورة النساء ما نصه :

« يفيدك أن مقتضى الاسلام لله تحكيم دين الله ولرضا بقضاء رسول الله فكل من ينسب الى الدين ولا يخضع لحكمه لا يكون انتسابه إلا رياء ونفاقا » .

فهل ترى بعد ذلك اضطررنا في الرأي وحيرة في العقيدة ؟ : حسينا منه أنه شهد على نفسه ؛ وإنما تنصح له بأحد أمرين : إما أن يستغفر الله تعالى ويتوب من هذا النفاق والرياء اللذين أقر بهما على نفسه ، فيكون منتسبا للاسلام بحق ، وإما أن يدع المراوغة والتشكيك بأشكال المشعوذين ويسلك في الزندقة سبيلا ، ويدع الناس في مأمن من تلبيسه عليهم ولكن ( مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ هَادٍ ) .

## ٢ - في المعجزات

سلك هذا الكاتب في معجزات الأنبياء وما أيدوا به من خوارق العادات مسلكا غريبا أفشى به الى إنكارها ، بل لقد صرح بذلك حيث يقول في صفحة ٢٩٠ آية ٦٢ - ٦٣ من سورة الشعراء ما نصه : « وأعلم أن آيات الله في نصر أنبيائه لا تناقض سنته في خلقه وكونه . اقرأ أو اخر فاطر الخ » ويقول في صفحة ٢٩٧ سورة النمل آية ١٣ ما نصه : « وقد كانت كل آياتهم حقا ورايين من سيرتهم ورسالتهم فلا يمكن أن يأتيوا بدليل على صدقهم من غير الدعوة نفسها لتكون هناك علاقة بين الدعوة ودليلها » وسيتأتى ثقل كثير من عباراته في تأويل المعجزات .

وأنت اذا تتبعته كلامه فيها تراه مرة يفسرها بقوة حجة وظهور البرهان حيث يقول في قوله تعالى : ( فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ) وَرَزَّعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ( صفحة ١٢٦ سورة الاعراف آية ١٠٧ - ١٠٨ ما نصه . « مثال من قوة حخته وظهور برهانه » .

وتارة بإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته الى خفة العلم ونوره حيث يقول في صفحة ٥٥ آية ٤٩ سورة آل عمران قوله تعالى : ( أَلَيْسَ لَكُمُ مِنَ الظَّالِمِينَ

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْبِئِ الْأَكْمَهَ وَلَا تُرْصَ  
وَأُحْيِ الْأَمْوَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) ما نصه : « (كهية الطير) تفيدك التمثيل لإخراج الناس  
من قمل الجهل وظلماته الى خفة العلم ونوره » .

وتارة بتكميل التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينية حيث يقول في الآية  
نفسها ما نصه : « (الأكمه) من ليس عنده نظر. (الأبرص) المثلون بما يشوه الفطرة،  
فهو عيسى يرى هذا بمعنى أنه يكمل التكوين الجسماني بالأعمال الطيبة أم معنى أنه  
يكمل التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينية ؟ انتهت عبارته .

وقد أراد المعنى الثاني (وهو تكميل التكوين الروحي بالهداية الدينية) بدليل  
تصريحه بهامش صفحة ٩٧ من سورة المائدة آية ١٠٩ حيث يقول بعد إحالات  
كما هي عادته : « من هذا نعرف أن عيسى نبي أرسله الله الى بنى اسرائيل ليشفي مرض  
نفوسهم ويحيي موت قلوبهم فايته في دعوته وسيرته وهدايته » .

وتارة يحملها أمرا عاديا لا هو من ناحية قوة الحجة كما في القسم الأول، ولا من  
ناحية إخراج الناس الى خفة العلم ونوره أو تكميل روحهم بالهداية الدينية كما في القسمين :  
الثاني والثالث ، وذلك في عدة مواضع .

أولا - في معجزات سيدنا عيسى عليه السلام

يقول في صفحة ٤٥ آية ٤٩ سورة آل عمران قوله تعالى : (وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا  
تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)  
ما نصه : « (في بيوتكم) يعلمهم التدبير المنزلي » اهـ .

فانظر الى حضرة المفسر تر أنه جعل تعليم عيسى عليه السلام لأئمة التدبير المنزلي

آية على نبوته كما قال تعالى : ( إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُم ) فهل يصاح ذلك النوع من التعليم أن يكون دليلا على دعوى النبوة أو الرسالة ؟ .

إذاً يحق لمعلمات المدارس الأولية اللاتي يباشرن هذه المهنة أن يدعين النبوة ، لأنه قد وجد لديهن دليلها الذي نصبه الله تعالى آية على نبوة عيسى عليه السلام : أم أن التدبير المنزلي الذي كان يعلمه عيسى عليه السلام غير ما في المدارس الأولية ؟ .

وقد يقال : إن غرض المؤلف التدبير المنزلي الراقى ، لا المقدر لذي يؤخذ في المدارس الأولية ، فنقول : لو صح هذا النوع أن يكون دليلا على النبوة لكان الأولى منه في الدلالة عليها العلوم الحديثة التي أوصلت إلى اختراع الطائرات الهوائية والمائية والآلات الجهنمية وما إلى ذلك مما أدهش العالم .

نم كان الأولى بعارفي هذه العلوم أن يكونوا في مقدمة الأنبياء والرسل ، وكان المنطق أن يقرر المؤلف ذلك ويعلم اعتقاده ، لأن تفسيره يتمشى مع العصر والسنن الكونية كما يفيد كلامه .

ثانيا - معجزة سيدنا موسى عليه السلام :

قال في صفحة ١٣١ آية ١٦٠ من سورة الأعراف قوله تعالى : ( وَقَطَعْنَاهُمْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اذْغَرْ بِمِصْرَكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ ائْتِنَا عَشْرَةَ عَيْنًا ) ما نصه : \* ويصح أن يكون الحجر اسم مكان ، واذغرب بمصرك الحجر معناه : اطرقه واذهب إليه ، والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه .

قد خالف في تفسير هذه الآية اللغة التي نزل بها القرآن ، فإنه لم ينقل عن أحد من أهل اللغة أن الحجر اسم مكان أمر موسى بالتوجه إليه ، كما لا تستعمل اللغة

ضرب الحجر بالعصا في السير في الأرض ، وإذا كان الضرب في لأرض بمعنى السير فيها والسفر كما في قوله تعالى : ( وَإِذْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَيَّسَ عَيْنُكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ) فإين هذا من ضرب الحجر بالعصا ؟ ومن الغريب أنه يستدل على هذا المعنى بقوله تعالى في سورة الشعراء : ( فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) بناء على ما فهمه فيها من أن ضرب البحر بالعصا عبارة عن السير في الأرض مع أنه أعطى في هذا الفهم أيضاً ، فقد استدل بخطأ على خطأ ، ثم إذا كانت العصا ( عصا سيدنا موسى ) في رأيه هي الحجة كما تقدم ، فكيف ينتظم للمعنى الذي ذكره هنا : أم عصا موسى في نظره كانت متعددة فعصا يسير بها في الأرض وأخرى يحتاج بها على سحرة فرعون ؟ . وهل انبحاس العيون وانفجارها الذي أخبر به القرآن الكريم تستعمله اللغة في الاهتداء اليها ؟ .

لحق أنه أبعد في هذا التأويل وأنى بمعنى لا يصح أن يراد من اللفظ لا من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ولا يقبله إلا اعتول أمثاله .

ثم قال في صفحة ٢٩٠ آية ٦٢ ، ٦٣ من سورة الشعراء وهي قوله تعالى : ( فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) ما نصه : « البحر الماء الواسع ( اضرب بعصاك البحر ) اطرقه واذهب اليه » ( فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ) هذا بيان لحالة البحر يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة راجع ١٦٠ في الاعراف ثم راجع طه في ٧٧ ، ٧٨ لتعرف كيف اهتدى الى طريق ييس مرئية واقراً استعمل الضرب في السير في قصة أبواب في ص « الى آخر الاحالات التي تعودها ونحن نقول هذا المعنى الذي ذهب اليه لا تفره اللغة ولا يقبله النظر ، وأين قوله تعالى . ( فكان كل فرق كالطود العظيم ) ؟ :



وهل يعقل أن يكون في البحر طريق يبس طبعى على جانبيه الماء في غاية الارتفاع كالجبل العظيم، أم هي القدرة الالهية شقت موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين طريقا في البحر حتى جاوزه بسلام؟ و إذا كان موسى قد اهتدى الى طريق يبس ثم أتبعه فرعون وجنوده كما قال تعالى في سورة يونس: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ غَمِيًّا وَعَدَوْا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فكيف غرق ومكان العبور ليس فيه ماء: أم يرى أن الماء طغى بقدرة الله تعالى على الطريق اليابس حتى غرق فرعون؟ إذا كان كذلك فهذا أمر يخالف لسان الكونية، فكيف يقرر أن المعجزة لا تخالفها؟ أم يرى أن فرعون عبر البحر من المكان المغمور بالماء ابتداء فغرق؟ وهل نظم الآية يساعد على هذا؟ (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ) يقال حاور ما أتبعهم بدون أن يكون الاتباع في طريق عبورهم.

وهل كان فرعون إذ ذاك فاقد الشعور حتى يلقى نفسه في البحر؟ ألم يكن معه من يرشده الى الطريق اليابس حيث البحر ذو مناطق بعضها يبس وبعضها مغمور بالماء وهو فرعون الذي ادعى الألوهية من دون الله وعنده من الأعوان والمرشدين ما يفوق الحصر.

لا لا — هناك معنى يناسب مبدأ الكاتب ومراعاة الشئون المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، وهو أن فرعون خرج ومن معه في طلب موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فلما وصلوا الى البحر ويئسوا من إدراكهم آثروا الانتحار على الحياة فأتقوا أنفسهم في البحر فغرقوا، فكان عليه أن يقرره.

ثالثا — معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

قال في صفحة ٢٥٦ آية ٦٩ - ٧١ قوله تعالى: (قُنَّا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) الخ ما نصه : « معناه نجاة من الوقوع فيها راجع ٦٤ في المسألة و ٢٦ في النحل وترى في الآية وباقي القصة أن الله نجاه بالمجرة وخيب تدميرهم » .

وإنا نقل اليك ما أحال عليه في هذه الآية أن يكون على ينة من مقدار استنجاهه ،  
وأه إنا يسلك مسلك التفضيل والإيهام :

آية ٦٤ في المائة هي قوله تعالى . (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَبَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا نَارَهُمُ الْمَدَاوَةَ وَالْبَنَاضَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلًّا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْمَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) . وآية ٢٦ في النحل هي قوله تعالى : (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَأَتَانَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) .

أما الآية الأولى فليس فيها استعمال كون النار بردا وسلاما في النجاة من الوقوع فيها حتى يكون ذلك الاستعمال دليلا على ما أراده في آية إبراهيم عليه السلام ، إنما فيها (كُلًّا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ) ، وهذا كناية عن عدم تمكينهم من إمضاء ما عزموا عليه من الحرب ، دليل أن الحرب لا يوقد لها نار ، فإين هذا من الآية التي نحن بصدددها ؟ .

وأما الآية الثانية فليس فيها أدنى صلة بآية إبراهيم عليه السلام ، وإنما هي إخبار عن نوع من العذاب أوقعه الله تعالى ببعض المكذبين ، ويحتمل أن تكون تمثيلا لخذلان الله تعالى أعداء الأنبياء وعدم تمكينهم منهم ؛ وأيا ما كان لا تصلح دليلا لما رعمه ، إذ لا يلزم من كون بعض الآيات تمثيلا أن يكون غيره كذلك ، فالقرآن فيه التمثيل والصريح .

ثم كيف نجاه الله من الوقوع فيها وأعداؤه من العدد والقوة بحيث لا يفلت منهم إبراهيم عليه السلام، وكانوا حريصين كل الحرص على إهلاكه ؟ ومن أين للكتاب أن الهجرة التي حكاها الله تعالى بقوله : ( وَبَجَيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) كانت سبب إنجائه من الوقوع في النار ؟ ولم لا تكون النجاة بهذه الهجرة من كيد آخر غير إحراقه بالنار كما هو شأن المدو يكيد لعدوه فاذا فشل في أمر دبر له آخر وهكذا ؟ ثم نسأله :

ألفد الله لإبراهيم على الهرب والاختفاء قبل أن يحين وقت إلقائه في النار أدخل في كمال القدرة الإلهية وأنكى للأعداء أم حمل النار عليه بردا وسلاما بعد إلقائه فيها ؟ نريد أن نقول : نطق القرآن الكريم بقوله تعالى : ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) أفيسكون حينئذ حمله على ظاهره أدل على تمام القدرة الإلهية وصدق سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما يدعو إليه أم تأويله بما ذهب إليه الكتاب ؟ إن هذا إلا افتراء !

على أن المسئلة لا تحتاج الى كثير رد فيما نوافقه على تفسير القرآن بالقرآن فيما يصح فيه ذلك ، ونذكر لك نص الآيات لتعلم من أساليبها كيف ينتظم المعنى ، وما الذي يصح أن يفهم منها : قال تعالى : ( قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفِ اسْكُنتُمْ وَإِنَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَقَلًّا تَعْلَمُونَ . قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) وأرادوا به كيدا فجعلناهم لآخرين وبجيناؤه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وهبنا له إسحق ويعقوب مائة وكلا جعلنا صالحين . انظر الى صدر الآية تعلم أنهم عزموا على إحراقه بالنار ، فالتناسب لذلك أن يكون قوله تعالى : ( قُلْنَا يَا نَارُ ) الخ على ظاهره ، لأنه أنكى لهم ورد لكيدهم كما قدمناه

وأما قوله تعالى: (وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا) لَخ فهو في نجاة من كيد آخر دبروه له كما قدمناه ، فهو انتقال من نعمة الى نعمة أخرى .

ألا ترى الى قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) الآية وبعدها (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) .

رابعا — في معجزة سيدنا داود عليه السلام :

قال في صفحة ٢٥٧ آية ٧٩ من سورة الانبياء قوله تعالى: (فَهَرَمْنَاهَا تُسْلِمًا وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطُّيُورَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) ما نصه: « (يسبحن) يعبر عما نظهره الجمال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية » .

وإنما نسأله: في أي لغة وضع التسييح لإخراج المعادن، وكيف كان ذلك؟ أبان شقيق الجبال عنها من غير عمل كما هو قضية التسخير، أم أنه كان يعمل الحفارين والمعدنين ؟ فإن كان الأول كان أمر مخالفًا للسنة اسكوبية وهو لا يقره ؛ وإن كان الثاني فما وجه الامتنان فيه على داود مع أن إخراج المعادن من الأرض والجبال أمر هين ومألوف لسيدنا داود وغيره، وهل يصلح أن يكون دليلا على النبوة كما يقتضيه سياق الآية حيث يقول تعالى: (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطُّيُورَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) .

خامسا — معجزة سيدنا سليمان عليه السلام :

قال في صفحة ٢٥٧ آية ٨١ قوله تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) ما نصه:

« (تجرى بأمره) الآن تجرى بأمر الدول الأوربية وإشاراتها في التلفرات والتليفونات الهوائية اقرأ سبأ ٨٣ - ٨٦ اقرأ ص ٨١ .

أما الذى فى سبأ فهو قوله تعالى : ( وَلِسَانُكَ الرِّيحُ غَدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاَ شَهْرٌ ) وأما الذى فى ص فهو قوله تعالى : ( فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءِ حَيْثُ أَصَابَ ) وقال فى تفسير الآية الأولى : « (غدوها شهر) مدة سير المراكب الشراعية التى تنقل البضائع والذخائر وإليك لترى الآن الريح تغدو وتروح بالطيارات وبالطائرات وصور المراتى .

يرى أن معجزات سليمان عليه السلام هى تسخير الريح له وإيجادها لتستخدم فى تسيير السفن الشراعية ، فانظر أيها القارىء الكريم - هل تسخير الريح بهذا المعنى أمر خاص بسليمان عليه السلام ؟ أليس هذا كتسخير الشمس والقمر والليل والنهار وما الى ذلك لمنفعة الانسان ؟ وأيضا اذا صح أن يكون هذا آية على النبوة فكل الخلق حينئذ يصح أن يدعوها ، بل الدول الأوربية ومعتزعو الطيارات ونحوها بحق لهم أن يدعوها هذه الدعوى ، لأن لديهم من الدليل عليها ما هو أقوى من دليل سليمان عليه السلام بناء على هذا الزعم .

وهل المفهوم لئنه من تسخير الريح له تجرى بأمره حيث أراد ما ادعاه ؟ لا ، بل المفهوم أن الريح تحت أمره وسلطانها يرسلها حيث يشاء ويأمرها بما يشاء فتأمر ويتم له ما أراد بإذن الله تعالى .

ومن الأسف أنه لا يراعى المقام فيما يفهم - هل مقام الامتنان يقضى بالمعنى الظاهر من الآية أو يقضى بما ادعاه . ندع للقارىء الحكم ، وقد سار به فيما زعم من أن الريح تجرى بأمر الدول الأوربية وفندنا ما ادعاه فى معجزة سيدنا - سليمان عليه السلام . والآن نواجهه بالحقيقة ، وهى أنه لا أمر للدول الأوربية على الريح ، فكثيرا ما تهدم

أبنيتهم وتعطل سفنهم وطياراتهم وما إلى ذلك ، ولو كان لهم سلطان عليها ما وقع شيء من هذا .

(ب) قال في صفحة ٢٩٧ آية ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ من سورة النمل قوله تعالى : ( وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثَقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ الْمَمَلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِخْنِي مِنْ حَقِّكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) ما نصه : « (منطق الطير) كل من يرى الطير ويؤلفه يمكنهم أن يتعلموا منطقهم وماذا يريد ويمكنهم أن يستعملوه في الرسائل وغيرها » ثم قال : « (نملة) قبيلة من (النمل) قبائل الوادي » .

انظر الى هذا السخف الجديد ، فهل كان سليمان عليه السلام (دجاجا) مثلا يرى الطير ويعرف لغته كما يزعم هذا الكاتب ؟ وتأمل قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ) نعم أنه يناسبه أن يكون المعنى كما زعم الكاتب ، أم أن الله تعالى متن عليه بمعرفة لغة الطير وماذا يريد من غير تربية ولا تأليف .

ثم انظر تفسيره للنملة بالقبيلة - من أي لغة أخذه مع أنه ينبوعه انظم الكريم ؟ فإن قوله تعالى : ( قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) صريح في أن النملة هي الحيوان الصغير المعروف ، بدليل قوله تعالى : ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) ويدل عليه أيضا قوله تعالى : حكاية عن سليمان عليه السلام : ( فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ) وقوله : ( وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ ) الخ .

حيث جعل اللملة تها به أيضا بأن خلق فيها إدراكا لسلطانه وقوته ، وهى يقبل هذا من يرى المفسرين بأنهم اتبعوا فى تفسيرهم كتب اللغة التى تفسر الألفاظ بلازمها : فإذا كان تفسير اللفظ بلازمه غير مقبول ، فكيف يقبل هذا التفسير الذى لا مستند له أصلا .

والخلاصة أن من قرأ هذه الآيات السكرية أمكنه الجزم لأول وهلة بأن ما جاء فيها أمور غارقة للمادة امتن الله بها على نبيه سليمان عليه السلام ، وكذلك قوله تعالى : ( وَهَبْ لِي مُمْسِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ) فى سورة ص : يدل على أنه ملاك الجن والانس والطير والريح ، وأن الله تعالى قد جعل له سلطانا على كل هذه المخلوقات وأراه من خوارق العادات كثيرا .

( ج ) قال فى صفحة ٢٩٨ و ٢٩٩ الآيات من ٣٨ — ٤٢ سورة النمل ما نصه : « (عمرتها) بملكها . يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول فى البلاد فطلب الخريطة التى فيها مملكة سبأ ليهاجها ويربها أنه جاد غير هازل . (عفريت من الجن) أحد القواد ، ويظهر أنه لم يفهم أن المسألة علمية جغرافية تحتاج الى الذى عنده علم ( من الكتاب ) من الكتابة والرسم والتخطيط (قبل أن يرتد إليك طرفك) الغرض أنه يأتى به حالا ، وقد أتى به ، ويحتمل أنه رسمه فى الحال أو كان عنده مرسوم . ولو كان عهد الفوتوغرافيا قديما لصح أن يكون ذلك الرسم بها ، وترى أن سليمان يشكر الله على ما فى المملكة من العلماء العاملين فى كل فن ، وتأخذ من القصة أن الله يعظم شأن العلم ويدعونا الى تمسك بالأسباب الكونية لتشديد الملك وإقامة الدولة (وأوتيت العلم) يؤيد لك أن المسألة علمية (مسمين) منقادين لله ، يعنى أنهم جمعوا بين العلم والتربية على خلق العظيم ، وهذا أحسن حافظ لنظام الملك وعزة الدولة » انتهت عبارته .

وبحسب نذكر لك هذه الآيات الكريمة التي كتب عليها هاتم نبين لك خطأه فيما قال :  
 قال الله تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ).  
 قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ  
 أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ  
 طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ  
 أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَمْ أَغْنِهِمْ عَنْ شُكْرِ رَبِّهِمْ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ. قَالَ  
 نَسْكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْتَدِي أَمْ نَكُفُّ مِنْ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْ  
 قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ).

هذه هي الآيات الكريمة التي حشر فيها الكاتب ما شاء له التخريف والتشبيث  
 بأذيال الجديده الذي لا هو منه ولا من القديم في شيء. ألقى نظرة بسيطة عليها تعلم أنها  
 حكاية حال واقعية امتن الله بها على نبيه سليمان عليه السلام، فإنه قال: أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا،  
 وهل هذه تقييد إلا أنه أراد حضور عرشها لديه ولم ير رسم خريطة تبين له أرض  
 سبأ ومملكتها قبل أن يفزوها كما زعم الكاتب ؟ : .

ثم هل العرش معناه المملكة أم معناه سرير الملك ؟ ثم انظر الى قوله تعالى :  
 (فَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) (قَالَ نَسْكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا) (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا  
 عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) تعلم أن هذه كلها وقائع حقيقية لا تمثيل كما يدعى .

ثم من أين له أن عفریت الجن أحد القواد، وأنه ما كان يعلم أن المسألة علمية  
 جغرافية مع أن الجن خلق آخر وراء الانسان لا هو من القواد ولا من المقودين  
 كما سيأتى إن شاء الله تعالى في بحث الجن ؟ : ومن قال إن الكتاب هنا هو الرسم  
 والتخطيط ، مع أن الذي عنده علم من الكتاب قد ورد في القرآن مثله وليس معناه  
 ما يقوله ها هنا مع أنه يدعى أنه يفسر القرآن بالقرآن ؟ : .



قال تعالى في آخر سورة الرعد ، (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنْتُ بِاللّٰهِ شَهِيدًا نِّبِيٍّ وَيُنَازِعُكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) فهل من عنده علم الكتاب هنا هو العالم بصناعة الرسم والتخطيط . .

وأما استدلاله على ذلك بقوله تعالى في هذه الآيات : (وَأَوْتَيْنَا آلَ إِبْرٰهٖمَ الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فهو غير صحيح لأنه تحدث نعمة الله عليه حيث ورثه عبود النبوّة والرسالة ، كما شكره تعالى على حضور عرش بلقيس قبل أن تقدم عليه مما كان دليلا على صدقه في دعوى الرسالة وكانت عاقبة ذلك إسلامها لله رب العالمين (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَنتَ تَتَّبِعُنِي فَصَبِّرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

سادسا — معجزة سيدنا محمد عليه السلام :

قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

قال في صفحة ٢١٩ على هذه الآية ما نصه . « (أسرى) بالإسراء يستعمل في هجرة الأنبياء . انظر ٧٧ في طه و ١٣٨ في الأعراف و ٥٢ في الشمر و ٢٣ في الدخان و ٨١ في هود و ٦٥ في الحج ثم تدبر آخر النحل وعلاقته بالإسراء (المسجد الحرام) الذي له حرمة يحترم بها عند جميع الناس ٢١٧ و ٢١٨ في البقرة و ٢٥ في الحج (المسجد الأقصى) الأبعد — مسجد المدينة — وقد بارك حوله فكان لنبى صلى الله عليه وسلم هناك ثمرة وفوة وكان بالإسراء الفتح والنصر فكان كل ذلك من آيات الله انظر ٢٠ في يس و ١٠٨ في التوبة ثم ارجع الى الإسراء فقرأ ٦٠ و ٩٣ » .

يزعم هذا الكاتب أن الإسراء ورد في القرآن في بعض المواضع بمعنى الهجرة كما في إسراء سيدنا موسى بنى إسرائيل ، وإسراء سيدنا لوط قبل أن ينزل العذاب بقومه ، فيجب أن لا يخرج عن هذا المعنى في كل موضع ورد فيه في القرآن . .

فيكون إسرائ سيدنا محمد هو هجرته من مكة الى المدينة ؛ وعلى ذلك يجب أن يكون المسجد الأقصى في الآية الذي هاجر اليه النبي عليه السلام هو مسجد المدينة الذي لم يكن موجوداً إذ ذاك ، وإنما شيده النبي عليه السلام بعد : .

وغفل أو تغافل عن التاريخ والسنة الصحيحة التي تثبت أنهما واقعتان لا وقعة واحدة — منطلق غريب : .

ويسند هذا الزعم بأن أواخر سورة النحل وعلاقتها بالإسراء تؤيد ما يقول .  
وها هي ذى أواخر سورة النحل ليتبين القارىء مقدار جرأته . قال تعالى .  
( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبِلُوا بِمِثْلِ مَا عَوْفَيْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلْمُصِيرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلالٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) .

هذه كل الآيات التي يشير إليها ، وليس فيها أزيد من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسلك سبيل الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة الى الله تعالى وبمحسن بمجادلة الأعداء ، ثم المساواة في العقاب وعدم الاعتداء ، ثم الصبر على ما يباله صلى الله عليه وسلم من أذى ، وإشارته بأن الله معه .

هذا كل ما في الآيات الكريمة ، وهل هو غير مناسب للإسراء بالمعنى المعروف ؟  
ألم يتل الإسراء تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم ومجادلة من قرئش للنبي عليه السلام فيما أخبر به ، وإيذاء له عليه السلام من جرء ذلك ، فتكون هذه الآيات متصلة بأول سورة الإسراء ؟ :

وماذ يقول في أحاديث الإسرائء وفيها ما يبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به الى بيت المقدس، وأنه لما أصبح وأخبر قريشاً بذلك كذبوه وكشف الله له عن بيت المقدس فوصفه لهم وأخبرهم بعلاماته؟ وهل يتأتى أن يكون ذلك بالمدينة بعد الهجرة اليها مع أن المكذبين له من قريش كانوا إذ ذاك بمكة؟ وهل شق صدره صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالسنة الصحيحة كان ليلة الهجرة: وهل كانت الهجرة على البراق كما جاء في حديث الإسرائء: بل كان الخروج فيه ليلا مع أبي بكر رضى الله عنه ثم ارتحلا الى المدينة على رحلتين كان أعدهما أبو بكر لذلك، أو كانت الهجرة رؤيا منامية حتى أمكن القول بذلك في الإسرائء، وإن كان خلاف التحقيق، أم كان هناك إسرائء ان: إسرائء هو الهجرة وهو الذى ورد في القرآن كما يزعم، وإسرائء غيرها لم يرد في القرآن؟

ولنذكر لك طرفاً مما ورد في الإسرائء:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما كذبني قريش قتت في الحجر فخلا الله لي بيت المقدس فطقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه» انتهى - الحديث في مختصر صحيح البخارى.

وأيضاً حديث طويل في الاسراء وهو: عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة أسرى به قال: «بينما أنا في الحطيم ورمى قال في الحجر مضطجماً إذ أتاني آت فقد قال وسمته يقول فشق ما بين هذه الى هذه قال الراوى من ثغرة نحره الى شعرته فليستخرجها قلبي ثم أتيت بعطست من ذهب بماء، إيماناً ففسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال الراوى وهو البرقي يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل الخ» ولولا خوف الإطالة لنقلنا لك الحديث بتمامه وما فيه من روايات، لتعلم أن الإسرائء في الآية غير الهجرة الى المدينة المنورة.

وعلى الجملة فقد أرد هذا الكاتب أن يرضى جماعة الماديين على حساب دين الله، فذهب في هذه المسألة الى أن المعجزة على النحو الذي ذهب اليه علماء الملل جميعهم - من أنها الأمر الخارق للعادة المقصود به تأييد الرسول في دعواه - أمر لم يكن، وليس نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في تدعيم رسالته وإقامته الحجة على ما يدعيه أمر يظهره الله له يكون خارقا للعادة والسنن الكونية، ويقول في صراحة وتبجح: «إن آية الله في نصر أبنائه لا تكون مخالفة لسنته في الكون» وقصر معجزة الرسل على «سيرتهم الخفية ومقدار تأثيرهم في نفوس اناس ومبلغ هدايتهم إياهم بالحجة والبرهان» كما قدمناه.

ووقفت نصوص القرآن الصريحة حجرة عثرة في سبيله ولم تمكنه من تشييد ما ذهب اليه، لأنها تنطق عليه بالحق وتناديه بأنه سلك غير سبيل المؤمنين، ولكنه رجل قد ركب رأسه ورن له شيطانه سوء عمله فراه حسنا، فانطلق الى هذه الآيات يؤولها ويحملها على معان انتزعها انتزاعا من موضعها، فألصقها بأي الذكر الحكيم غير محتكم الى قاعدة ولا مستند الى برهان، فلما صارت معنى الآيات الدالة على خوارق العادات راجعة الى المادة أخذته نشوة المغرور وطلق يعلن أنه جاء بما لم يحى به أحد من قبل، وهو في هذه كاذب، فإن له سلفا سيئا في ذلك من الباطنية والبهائية.

وقبل أن نجيبه ونرد كيده الى نحره نريد أن نتساءل: إذا كان هذا المخدوع يمنع الناس أن يفهموا كتاب الله وهم متأثرون بقواعد علوم الشريعة واللغة التي نزل بها، فكيف استباح لنفسه أن يفهمه وهو شديد التأثير بظواهر علوم الماديين ونزعاتهم، وإذا كان لابد من التأثير بقواعد علم العلوم، أفليس علم اللغة وهو علم لغة الخطاب وعلم الشريعة: أصوله وفروعه، وهو العلم لدى نزل الكتاب - تقول: أفليست هذه العلوم أولى بالتأثير بها والاحتكام إليها؟ ثم تتكلم معه في أمرين يظهر أن جملة بهما هو الذي أوقعه فيما وقع فيه:

الأول: — في أن خوارق العادات من الممكنات العقلية، وأن ما جاء في القرآن بإزاء تأييد الرسول محمول عليها لا على ما ادعاه.

الثاني: — هل ما ذهب إليه ذلك للمغرور من تأويل الكتاب العزيز وصرفه عن الظاهر جائز لغة؟

فأما عن الأمر الأول فمدار المسألة على أن يخلو الانسان من الغرض ويرجع بالأشياء الى نصابها ووزنها عيانتها الصحيح. ونحن لو رجعنا الى أنفسنا لوجدنا من يؤمن بالله تعالى وبأنه سبحانه الخالق القادر، مضطرا الى الايمان بأن الذي فطر السموات والأرض ولم يميئ تخلفه وقدر لكل شيء، قدره غير عاجز عن أن يؤيد رسوله بما يشاء سبحانه، فقدرته تعالى متمكنة من هذا صالحة لإجرائه (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وقد علم الناس متدينهم وغير متدينهم أن خرق العادة وفلتات الطبيعة ومجىء الشيء على غير السنة للمعهودة من الأمور الممكنة التي لا يترتب على وقوعها محال، وليس هناك من يشك في أن ما حدث للرسل من فلق البحر لسيدنا موسى، وإبراء الأكمه والأبرص لسيدنا عيسى، وتسخير الجن والطير والريح لسيدنا سليمان، والإسراء بسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام، وغير ذلك مما هو معروف ومشهور — ليس من يشك في أن هذه الأمور لو وقعت على النحو الذي فهمه علماء الشريعة وصرحت به آيات القرآن لم يترتب عليها أمر محال لذاته، ولم تتداع السموات أو تنشق الأرض أو تتغير عامة السنن الطبيعية وينقلب نظام الحياة، فانضح أن خرق العادة أمر ممكن، والممكنات بأسرها لا سبيل لإنكار جواز وقوعها، فلا مناص من الإذعان بأن خوارق العادات لا ينكر جواز وقوعها إلا مختلط العقل أو من لا يدعن للحجة الواضحة والبرهان القاطع.

وإذ قد تبين أن خوارق العادات أمور ممكنة ولا مانع من وقوعها، فلبين لك مد ذلك أنه هل يجب أن يكون ما قصه الله عبيد من آيات الأنبياء ومعجزاتهم من

هذا النوع ، ولا يكتفى أن يؤيدوا بقوة تأثيرهم في نفوس أممهم أو حسن سيرتهم كما زعم هذا الكاتب ، وبيان هذا سهل يسير ، فقد علم جميع الناس أن المعجزة عبارة عن دليل ينصبه الله تعالى للنبي أو الرسول يؤيد به دعواه ، ومن حيث هي دليل يجب أن يكون لها ما للدليل : كأن تكون مستلزمة للمللول ، فلو كانت أعم من المللول وجوداً لم يجوز أن تكون دليلاً .

هذه أمور يعرفها من له أدنى مكة من علم ، ولو كانت المعجزة في قوة الحجة أو حسن السيرة لما صح أن تكون برهاناً على النبوة أو حجة على الرسالة ، فإن قوة الحجة توجد في كثير من الفسقة والداعرين ، بله الأتقياء والصالحين . وحسن السيرة يوجد في كثير من الصالحين الذين لم يصلوا إلى درجة الأولياء فضلاً عن الأنبياء ، أو الرسل ولم يتصدوا للدعوة إلى الله تعالى ، فليست قوة الحجة أو حسن السيرة مما يصح أن يكون دليلاً على النبوة أو الرسالة ، لأنه أعم وجوداً منها .

وكم سمعنا عن قوم قيل عنهم إنهم كانوا أسرع خاطراً وأقرب بديهة وأفصح لساناً وأبين برهاناً ممن كان حولهم ، بل لقد قيل إن أبا حنيفة رضي الله عنه كان من قوة الحجة وسطوع البرهان بحيث لو أراد أن يبرهن على أن سارية المسجد من ذهب لفعل وعقله السامعون ، أفصح أن يدعى مدع لمثل هؤلاء نبوة أو رسالة إلا أن يكون قد مسه طائف من الشيطان : وقد يحتج قوة الحجة وحسن السيرة في غير الأنبياء كما كان لكثير من العلماء ، وقد يكون واحد منهما لكثير من الناس على ما تبين لك ، فليس من المعقول أن يكون شيء من ذلك دليلاً على دعوى النبوة أو الرسالة ، فلم يبق إلا أن ينفرد الأنبياء والرسل بشيء لا يكون لأحد من الناس البتة ، ولا يمكن أن يكون هذا إلا ذلك الأمر الخارق للمادة على مثال ما فهمه وفهمه علماء الأديان جميعهم ، وإذا كان الأمر على ذلك النحو فمعين حمل ما جاء في كتاب الله تعالى بإزاء تأييد الرسل عليهم السلام عليه .

ومن ذلك ما يذكره الله تعالى لموسى عليه السلام من انقلاب عصاه حية تلفف ما يافك السحرة، ومن ضربه الحجر بها لينجس الماء منه وغير هذين، وكذا ما يذكره الله سبحانه لعيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى وإحياء الموتى بإذن الله، وما يذكره جلت قدرته لمحمد صلى الله عليه وسلم من الإسراء، وما يذكره لغيرهم من الأنبياء مما هو كثير في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويجب أن نبين مقصودنا من الخارق للعادة لئلا يلتبس على الناس، فإننا لا نغنى به مجرد كونه أمراً غير معتاد ولا ميسوراً لمن يقيم الرسل الحجة عليهم، فإن هذا يوجد مثله في كثير من الناس، فمن تفوق في علم أو حرفة حتى شأى غيره وبرز من عداه يمكن أن يدعى له مدح أنه جاء بما خرق العادة، لذلك فإننا لا نغنى بالخارق هذا المعنى، وإنما نغنى به أن يكون أمراً ليس من نوع ما يقدر البشر عليه عادة مهما توسلوا إليه بالوسائل وحاولوا التوصل إليه بالأسباب. وأقوى شيء يؤيد ذلك أن العلماء الذين يعرفون أقصى ما يمكن أن تبغى الطاقة الإنسانية وآخر مدى بدركه الجهد البشرى، هم الذين يدركون تمام الإدراك المعجزة من غيرها. أليس تعرف أن السحرة الذين حشرهم فرعون كانوا أول من أدرك أن إلقاء العصا وصيرورتها حية تلفف ما يافكون شيء لا يصل إليه السحر معها ارتقى وبائع صاحبه في تحاذي الأسباب، ولم يعاندوا بمد هذا الإدراك، فكانوا أول من آمن مع موسى عليه السلام؟ وأما فرعون وجنده فلكونهم لا يميزون الفرق بين السحر والمعجزة ولغير هذا لم يؤمنوا به. وهؤلاء المصاقع من العرب أهل الحجاز واليمن وأرباب الدلافة - كانوا أول من ذاق حسن تركيب القرآن وديع أسلوبه وشهدوا بأنه فوق السحر والشعر والكهانة، ولكن منهم من أذعن لما أدركه فآمن، ومنهم من بقى مصراً معانداً بمد هذا الإدراك وهذه الشهادة.

ومن هنا تعلم أن ما ظهر من العلوم الكونية وما سيظهر بعد اليوم ليس من المعجزة في شيء، لأنه أمر يقدر البشر عليه ويتوصلون له بالأَسباب العلمية، فكل من سلك سبيلها أدرك غايتها وعرف كنهها، كذلك ما ظهر على يد الكهان والحررة مما لم يكن معتادا لغيرهم هو أمر مقدور لأمثالهم ممن يتخذ أسبابهم وينتج سبيلهم.

فإن زعم زاعم أن من الأمور خارقة للمادة التي ليست مما تتناوله قدرة البشر ما يجري على أيدي غير الأنبياء: كما اشتهر عن العلاء بن الحضرمي من المشي على الماء، وكما نقل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من مخاطبته اسارية من فوق المنبر، وكما روى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه شرب السم ولم يؤثر فيه وبحو ذلك، فلم تبق معجزة النبي خاصة به واستمر للبس لدى فررنا منه، فالجواب على ذلك من بسائط الأمور وهيناتها، فإن الله جلت قدرته إنما أجرى على أيدي هؤلاء، ما لا يكون مثله إلا للنبي ليقم البرهان جديد على أن الدين الذي يعتنقونه ويدعون إليه دين صحيح، فهذه الأمور معجزات للأنبياء بعد موتهم، كما أن ما يظهر على أيدي الأنبياء قبل موتهم ثميد للنبوة وبناء للدينام التي ترتكز عليها.

وقصارى القول أن المعجزة دليل النبوة أو الرسالة، ولا يكون الدليل دليلا إلا إذا استلزم المدلول، فحيث وجد يوحد المدلول وحيث اتنى يفتى، ولا ينطبق ذلك إلا على أمر خارق للعادة ليس من جنس مقدورات البشر.

ومما أسلفنا لك يتضح أن البيِّنات التي أيدت بها الرس وفصلها الله تعالى في كتابه العزيز بالنسبة لبعضهم لا بد أن تكون أموراً خارقة للعادة على ما يعرفه المسلمون ويقرره علماء الشرائع، والقائل بغير هذا غير مصدق بالكتاب العزيز ومنكر لما سماه الله آيات وبيِّنات.



وأما عن الأمر الثاني فإن لقرآن نزل بلغة العرب كما قدمناه ، وفي اللغة العربية الحقيقة والمجاز ، وقد علم أنه إذا قال قائل كلاما ولهذا الكلام معنيان أحدهما حقيقى والآخر مجازى لم يكن للسامع أن يفهم المعنى المجازى ويعرض عن الحقيقة إلا إذا نبين له أن القائل قد نصب لكلامه قرينة تصرفه عن الأصل فيه ، ولو أنه ساع للمخاطب أن يصرف كلام المتكلم عما هو حقيقة فيه لى مجازيه لارتفعت الثقة بالألفاظ ولم تكن طريقا لإفادة السامع ما يحول بنفس المتكلم ، ولم تكن هناك ثقة بالمفود والمعاملات والمخاطبات ، لأن لكل متعاطبين أن يتخلف مما أرماء بينهما ، بأن يقول كل واحد للآخر : لقد فهمت من كلامك معنى مجازيا وم أفهم أنك تريد المعنى الحقيقى .

هذ كلام يعرفه أقل الناس علما باللغة العربية ، وقد أنزل الله القرآن قانونا لهداية الناس وإرشادهم لما فيه مصدقهم ، فإذا كانت ألفاظه غير محدودة المعانى أو لو ساع تأويلها الى أى معنى يرئيه الناظر فيه ، لما صح أن يكون من القوانين الوضعية فضلا عن كونه قانونا إلهيا محكما ( لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَافِهِ ) وقد أشرنا الى ذلك فى المقدمة .

لهذا كله يكون تأويل آيات المعجزات وحدها على غير معانيها الحقيقية أمرا غير جائز ، لما فيه من ابتذال الكتاب العزيز ابتد لا يلىق بعيب العاشرين به الكتاب الكريم الذى له المنزلة العليا والدرجة الرفيعة .

هذا عدا ما فى بعض التأويل الذى ذهب إليه هذا الكاتب من البعد الشديد عن اللغة العربية كما تقدم فى صدر البحث .

وأما احتجاجه بالآيات الدالة على أن سنة الله لا تتغير ولا تبدل ، فهو كباى احتجاجاته لاعلاقة فيها بين الدعوى والدليل ، مع أنه يقرر أنه لا بد من العلاقة بينهما .

جاء في القرآن في غير موضع ما يدل على عدم تبدل سنة الله تعالى ، غير أن الكاتب اشتبهت عليه السن الكونية بسنة الله تعالى في معاملة الأمم الذين انتهضوا على أنبيائهم وأصروا على معادتهم بعد قيام الحجة وظهور أن ما يدعوا اليه الرسل إنما هو الحق من عند الله .

فالأولى هي الصفات التي أودعها الله تعالى في المخلوقات : ككون النار محرقة ، والأرض لا تبصر ، والماء لا ينبع من البحر الصاب الذي لا منفذ فيه . هذه السن وأشياها لا تتبدل بحسب العادة والمألوف ، وقد تتبدل بتبدل الله تعالى ، فتكون النار غير محرقة بعد الإلقاء فيها ، والسكين غير فاطمة بعد وضعها على الرقبة ، وهكذا .  
ولسنا في حاجة إلى إثبات ذلك التبدل ، فكثيرا قرأ في الصحف من عجائب المخلوقات ما يشهد على كمال القدرة الإلهية والإتيان لغير المألوف والمتعارف من شواذ الخلق .

والثانية كما يأتي : — كانت عادة الله تعالى مع هذه الأمم أن يأخذهم بعذاب من عنده ، وأن يخذلهم وينصر رسله عليهم ( إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ) .

جاء القرآن مبينا ذلك ، وأن هذه السنة والعادة في معاملة المكذبين لا تتغير ، وحذر المخالفين من الأمة المحمدية عاقبة عنادهم و تنقضهم على الرسول عليه السلام .

انظر الى قوله تعالى في آخر سورة فاطر آية ٤٢ و ٤٣ — وهو مما احتج به على دعوه — : ( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنِ إِنَّا كَاذِبُونَ نَذِيرٌ لِّبَكُونِ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا . نَسْتَكْبِرُ فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا لَأَسْتَ

الْأَوَّلِينَ فَإِنْ مَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ مَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) وإلى قوله تعالى في سورة الفتح آية ٢٢ و ٢٣ (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ مَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا). وفي سورة آل عمران آية ١٣٧ (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)

وفي سورة الأنفال آية ٥٢ (كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

وفي سورة طاهر آية ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ. وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ. ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ).

فهذه الآيات تدل دلالة صريحة على أن سنة الله تعالى في معاملة المكذبين لا تتغير، فأين هذا مما أودعه سبحانه وتعالى في مخلوقاته من صفات ؛ ومنشأ هذا الخطأ عدم مراعاة مورد الآيات وسياقها، لذلك يحمل الآيات الواردة في موضوع دليلا على دعوى ليست من موارد هذه الآيات ؛ وقد يتكرر معنى الآية ويحمل ذلك المعنى الذي اخترعه من غير حجة دليلا على المراد من الآية أخرى ؛ ومن ذلك أنه يستدل على أن معنى ضرب البحر بالمصا هو السير في الأرض بقوله تعالى في قصة أيوب عليه السلام سورة ص : ( وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ) مع أنه ليس معنى اضربه به سربه في الأرض ، وإنما معناه : اضربه به من حلفت أن تضربه لتبر في بيمينك ، كما قال تعالى ( وَلَا تَحْنَثْ ) فالآية في أن أيوب عليه السلام حلف أن يضرب إنسانا عددا معيناً من الأسواط فأمره الله تعالى أن يجمع هذه الأسواط وأن يضرب المحلوف على ضربه

مرة واحدة بها، وأعلمه بأن هذا يكفى في البر وعدم الخنث في البين . فإن هذا من السير في الأرض الذى يدعيه : وهل لهذا معنى في الآية ؟ .

وأما احتجاجه على أن المعجزة يجب أن تكون من سيرتهم ودعوتهم ليكون هناك علاقة بين الدعوة ودليلها فغير صحيح .

أما حسن السيرة فقد تقدم أنه أعم ، فلا يصلح أن يكون دليلاً على الرسالة . وأما الحجة من نفس الدعوة فمفسدة منشؤها التثبت بأذيال المادة كما قدمناه . وكأنه تخيل أن الرسالة صناعة من الصناعات يدعيها الرسول ، فلا بد إذاً أن يأتى بدليل من جنس الحرفة التى يدعى مهارته فيها ، كما يدعى شخص أنه ماهر في بناء المنازل فيطالب بأن يبنى منزلاً كبيراً هان على ما يدعى .

ليس الأمر كما يتخيل ، إنما الرسالة اصطفاة من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده ، ولا شك أنها ليست من جنس ما يقدر عليه البشر ولا بما يتوصل إليه بالأَسباب ؛ فإذا كانت الحجة والمعجزة لمن يدعى هذا الاصطفاء أمراً من الله تعالى الذى اصطفاه يظهره على يديه وليس من جنس ما يقدر عليه البشر ، فلا شك في تمام الاتصال والعلاقة بين الدعوى والدليل .

نحن لا ننكر أن استقامة ما يدعو إليه الرسل وحسن ماضيهم قد يكون سبباً في الإيمان بهم ، ولكن هذا شيء ، وكونه الدليل الذى نصبه الله تعالى لتصديقهم شيء آخر .

### ٣ - المعركة والحجج والباطل

قال في صفحة ٧ آية ٣٤ قوله تعالى : (وَإِذْ قُنَا لِلْمَلَائِكَةِ آمُودًا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) ما نصه : « (الملائكة) رسل النظام وعالم السن وسجودهم للانسان معناه أن الكون مسخر له . راجع ٢٩ ثم انظر

الملك في ١٥ (ابليس) اسم لكل مستكبر على الحق ، ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصى على الانسان تسخير .»

وقال في صفحة ١٤ آية ٩٨ قوله تعالى : ( مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ) ما نصه : « ( جبريل وميكائيل ) قسان من الملائكة . الاول رسول الوحي والالهام والاخر رسول السنن والنظام . اقرأ أول فاطر .»

ثم قال في الصفحة نفسها على قوله تعالى : ( وَاتَّبِعُوا مَا نَتْلُو الشَّيَاطِينُ ) الآية ما نصه : « ( الشياطين ) هم المستكبرون دعاء الشر انظر ١٤ كانوا يحكون على ملك سليمان ا كاذيب .»

ثم قال في صفحة ١٠٥ آية ٧١ قوله تعالى : ( قُلْ أَتَدْعُونِ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْمُوتَهُ الشَّيَاطِينُ ) الخ ما نصه : « ( الشياطين ) تطلق على الحيات والسمابين نسموى من يتبعها ليقتلها فبهوى معها وتضله بتمرجها راجع ٢٧٥ في البقرة .»

وفي صفحة ٢٠٤ آية ٣٦ — ٥٠ قوله تعالى : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ) الخ ما نصه : « يمثل لك بوصف الانسان النوع المهدى صاحب الطبع اللطيف الذى تشكله كما تريد ( والجان ) النوع المتشرد الذى اذا قاربته يؤذيك وينوبك ولا تستطيع أن تمسكه وتمدله والنوعان موجودان فى كل أمة » الى آخر ما قال من الاحالات الطويلة العريضة .

وفي صفحة ٢٩٧ آية ١٧ « ( الجن ) يطلق على العالم الخفى والظاهر القوى ، وجن كل شئ . أوله ومقدمته ، وجن الجيش قواده ورؤسائه ، ولانس طائعه وممره وسوءه . اقرأ الجن .»  
وفي صفحة ٣٥٦ قوله تعالى : ( وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ) آية ١٥٨ من سورة الصافات ما نصه : « الجنة أو الجن سادتهم وكبرائهم .»

وفي صفحة ٣٥٩ آية ( وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَامٌ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ) مرة ٣٧ و ٣٨ من سورة ص ما نصه : هـ ( والشياطين ) يطلقون على الصناع الماهرين والأشقياء المجرمين (مقرنين في الأصفاد) مسلوكين في القيود . ومنها تفهم أن سليمان كان يشغل المسجونين من أصحاب الصناعات للانتفاع بهم ، الى آخر ما قال مما لا يخرج في جملة مما نقلناه من نصوصه .

ويتلخص كلامه (أولاً) في أن الملائكة قسمان : الأول رسل النظام ، والثاني عالم السنن ، وأن ( جبريل وميكائيل ) قسمان من الملائكة لا فردان منهم .

(ثانياً) في أن الجن هم المستكبرون على الحق من الرؤساء المستبدين ، وأن الشياطين بهذا المعنى ، ويطلق اسمهم أيضاً على الصناع الماهرين والأشقياء المجرمين والحيات والثعابين ، وأن ( إبليس ) ليس شخص واحد وإنما هو اسم لكل متكبر على الحق . ونحن نقول :

#### ١ - في الملائكة

نحن لا نتنازع في أن رسل النظام نوع من الملائكة . بيد أننا لا نرسل القول إرسالاً كما فعل ، إنما نقول إن رسل النظام الذين هم من نوع غير الانس والجن وهو النوع الذي وصفه الله في القرآن بقوله تعالى : ( لَا يَفْهَمُونَ اللَّهَ مَا أُمِرُوا ) الى آخر ما يأتي نقله من النصوص - نقول إن رسل النظام من هذا النوع هم من الملائكة ، وأما المصلعون ممن عدا هذا النوع فليسوا منهم ، وإن صبح أن يقال إنهم رسل النظام . وأما أن السنن المكونة من الملائكة فهذا مما لا يقره الشرع ، وهذه آيات أبان الله سبحانه وتعالى فيها الملائكة بصفات خاصة نوقها اليك أيها القارئ لتكون على بينة مما زعم هذا الكاتب :

قال تعالى: (وَلِلّٰهِ يَسْعَدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مِنْ ذٰبَةٍ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ) (وَقَالُوا اَتَخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُوْنَ لَا يَسْبِقُوْنَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُوْنَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْصِرُونَ يَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) (عَلَيْهَا مَلٰٓئِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اِلٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (اَللّٰهُ يَصْطَلِيْ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ) (وَجَعَلُوا الْمَلٰٓئِكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ اِناَنًا اَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَنَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُوْنَ) (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةَ رُسُلًا اُولٰٓئِ اُجْنِحَةٍ مَّتٰنٍ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيْدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ اِنَّ اِلٰهَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ).

فهذه الآيات صريحة في أن السنن الكونية ليست من الملائكة في شيء، وأن الملائكة نوع من الخلق مفطورون على طاعة الله سبحانه وتعالى، فيكونون نوعا مضافا للإنس والجن.

أما أنهم غير الانس، فلأن الانس فيهم المطيع وغيره، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَخَكُمْ كَافِرٍ وَ مِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ) وأما الملائكة فهم مطيعون لا غير.

وأما أنهم غير الجن، فلأن الجن مكلفون كبنى آدم وفيهم أيضا المطيع وغيره، قال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ) وقال تعالى: (قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ

نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ) .  
 فالكتاب محطى في أن السن الكونية من الملائكة، كما أنه محطى في أن جبريل  
 وميكال قسمان من الملائكة، لأنهما فردان لا قسمان (الأول) ملك الوحي قال تعالى :  
 ( إِنَّهُ يَقُولُ رَسُولٌ كَرِيمٌ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ) وهل  
 يقال لقسم وفريق من الملائكة رسول !

وعلى الجلة فكون جبريل وميكائيل عليهما السلام ملكين اثنين لا قسمين من  
 الملائكة وفريقين أمر معلوم من الشرع ومستفيض .

قلنا إن القرآن الكريم يفيد أن الملائكة عباد الله تعالى قد فطرم على الطاعة .  
 وأما تحديد حقيقتهم وأنهم أجسام نورانية قادرة بإقدار الله تعالى على التشكل بالأشكال  
 الجميلة ، وعلى الأفعال الشاقة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ولا يأكلون ولا يشربون ،  
 كما هو مستفاد من نصوص الشرع الشريف ، أو أنهم جواهر مجردة عن المادة  
 ولوازمها ، بل هم من جنس الأرواح والنفوس الناطقة كما هو رأى الفلاسفة — نقول  
 إن تحديد ماهيتهم وبيان الحق في ذلك ليس من موضوعنا اليوم ، إنما موضوعنا  
 بيان خطأ الكاتب فيما زعم .

وانظر الى استدلاله تعلم مقدار ما عنده من المطلق . أحال على آية ٢٩ في سورة  
 البقرة وهي قوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى  
 السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) .

أثرى أن في هذه الآية ذكر الملائكة وبيانهم بالسن الكونية وأن آدم هو  
 لانسان ، وأن سجود الملائكة لآدم معناه خضوع السن الكونية للانسان ؛ أم أن  
 ما في الآية أن الله تعالى خلق ما في الأرض من جبال وأنهار وحيوان ومعادن وماء  
 ونبات وما الى ذلك لمنفعة الانسان .



أحال أيضا على آية ١٥ في الملك وهي قوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ) .

أين الملائكة في الآية ، وأين تفسيرها بالسنن الكونية . لعله يرى أن الأرض معناه الملائكة ، وأن الملائكة هي السنن الكونية ، وأن الضمير في ( لكم ) لآدم ، وأن آدم هو الإنسان ، وهو وضع جديد للألفاظ بإزاء مدلولات لا ندري هي في أى لغة !! .

بيع

\*\*\*\*\*

## النظر في الملح

خطب بلال<sup>(١)</sup> على أخيه خالد رضى الله عنهما امرأة من بنى حِمْيَر<sup>(٢)</sup> من قريش ، فقال : نحن من قد عرقتهم ، كنا عبيد فاعتقنا الله ، وكنا ضالين فهدانا الله ، وفقيرين فأغنانا الله ، وأنا أخطب على أخى خالد فلانة ، فإن تشكوه فالحمد لله ، وإن ردوه فالله أكبر<sup>(٣)</sup> ، فأقبل بعضهم على بعض فقالوا : هو<sup>(٤)</sup> بلال ، وليس مثله يذفع ، فزوجوا أخاه . فلما انصرفا قال خالد لبلال : يغفر الله لك : ألا ذكرت سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال بلال : مة :<sup>(٥)</sup> صدقت فأنكحك الصدق .

(١) أى لأخيه . (٢) فى العقد الفريد من بنى ليث (٣) أى إن ترفضتم ودايتم أسكنكم أكبر وأعظم من أخى فاته جبل وعلا أكبر من كل كبير . فليكن والكبرياء . (٤) أى ذلك الحاطب هو بلال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم له منه السوابق والشاهد المحدودة . (٥) امك عن هذا الكلام .

## التوسل والاستغاثة

لا تزال تردنا الرسائل بشأن التوسل طلبا للتوضيح ولا سيما:

وقد ذكر بعض مرسلينا أن من الناس من يكفر المتوسلين برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سنتوسل به جميعا يوم القيامة على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة. ولو قالوا إن في المسألة تفصيلا أو أن بعض العبارات التي يقولها المتوسلون أو لزارون ينبغي التعاشي عنها وتعليم ما يصح أن يقول في توسله أو عند زيارته، لقبيلنا منهم ذلك وشكرناهم عليه، ولكنهم أفرطوا كل الإفراط رأينا أن نفيض القول في ذلك فلملنا بزيادة التفرير والتكرير بزيل تلك العقيدة التي هي أخطر شيء على الإسلام والمسلمين. ولنجعل الكلام معهم في مقامين حتى نفهمهم بالمقول والمنقول فنقول:

الكلام معهم من جهة الدليل العقلي وما يضطر إليه منه الدليل النقلى:

قبل الخوض في الموضوع نحب أن نشترط عليهم أن يصبروا صبر المراضين بصناعة المنطق العارفين بقوانين المناظرة، فلا يخرجوا عن الفرض الذي نفرضه حتى نتم الكلام فيه، وأن يعرفوا موضوع البحث فلا يفتقروا عنه إلى غيره، وسنفرض الفروض كلها ثم نبطلها واحداً واحداً.

ولينظروا حتى لا يختلط المعقول بالمنقول ولا المنقول بالمعقول، وسنوفى كلا حقه إن شاء الله، وعسى ألا يكونوا بعد ذلك ممن يسم المقدمات ثم ينازع في النتيجة، فنقول: هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونهما شركا من حيث إنهما توسل واستغاثة، فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذا شرك، واستغاثة الرجل بمن يعينه

في بعض شئونه شرك ، واستغاثة الملك يجيشه لدى الحروب شرك ، واستغاثة الجيش بالملك فيما يصلح أمره شرك ، بل نقول بزمهم على هذا الفرض أن طلب المعونة من أرباب الحرف والصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك ، وطلب المريض للطبيب شرك ، بل يلزم بناءً على تلك الكليات التي تقتضيها الحيثية أن استغاثة الرجل الإسرائيلي بسيدنا موسى عليه السلام وإجابته إياه كما قال تعالى: (فَسْتَجَابَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَرِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَذْوِهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) شرك ، الى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل .

هذا كله إن كانوا يقولون إنها ممنوعة من حيث إنها استغاثة بغير الله كما فرضنا ، فإن قالوا إن الاستغاثة والتوسل بالأَمْوات شرك دون الأحياء ، قلنا لهم لا معنى لهذا بعد أن سلمتم أن الاستغاثة بغير الله من الأحياء ليست بشرك ، وبعد ما ورد به القرآن ووقع عليه الإجماع في كل زمان ومكان ، ولا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركاً تارة وغير شرك تارة أخرى ، فإن فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال ، وإن قالوا إننا لا نعتقد التأثير الذاتي من الأحياء الذين نطلب منهم المعونة ، قلنا لهم يجب إذا أن تجعلوا مناط المنع هو اعتقاد التأثير الذاتي لغير الله تعالى لا فرق بين الأحياء والأَمْوات ، فإن وجد ذلك الاعتقاد كان شركاً وإلا فلا سواء كانت الدعوة لحى أو ميت ، وإن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الألفاظ وجب أن يكون ذلك كله شركاً ، حتى طلب الرجل من أخيه أنت يعينه في الحل على داته أو بناء داره أو حفر نهريه الى غير ذلك كما أوضحنا في الفرض الأول .

فإن قالوا إننا ننسب تلك الأفعال والتأثيرات الى غير الله تعالى من الأحياء معتقدين أن الخلق والإيجاد ليس إلا لله تعالى وأن الحى ليس له إلا الكسب لا غير ، قلنا لهم كذلك من يطلب من الأَمْوات أو يتوسل بهم ، والقرينة فيهما واحدة وهو

إيمانه بأن الله يده ملكوت السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله ، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا خالق غيره ولا موجد سواه ؛ وإن كان سر المنع عندهم هو أن الميت لا يقدر على شيء مما طالب منه فنقول لهم :

أولا - لا يلزم من ذلك أن يكون الطلب شركا بل عبثا فقط ، والاستغاثة بالأحياء أقرب إلى الشرك منها بالأَمْوات ، لأنها أقرب إلى اعتقاد تأثيرهم في الإعطاء والمنع بمقتضى الحس والمشاهدة - لولا نور الإيمان وساطع البرهان .

ثانيا - ثم نقول لهم ما معنى قولكم إن الميت لا يقدر على شيء ، وما سره وباطنه عندهم ؟ إن كان ذلك لكونكم تعتقدون أن الميت صار ترابا فأضلكم في دينكم وما أجهلكم بما ورد عن نبيكم بل عن ربكم من ثبوت حياة الأرواح وبقائها بعد مفارقة الأجسام ، ومناداة النبي صلى الله عليه وسلم لها يوم يدر بقوله : « يا عمرو بن هشام وباعتبة بن ربيعة ويا فلان بن فلان . إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » فقبل له ما ذلك ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » ومن ذلك تسليمه على أهل القبور ومناداة لهم بقوله : السلام عليكم يا أهل الديار . ومن ذلك عذاب القبر ونعيمه ، وإثبات الحجى ، والذهاب إلى الأرواح ، إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي جاء بها لإسلام وأثبتتها الفلسفة قديما وحديثا ؛ ولنتقصر هنا على هذا السؤال :

أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا ؟ فإن لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم ، لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول : ( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ) (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ) وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم : إن الأنبياء وكثيرا من صالحى المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية ، فإذا ثبتت الحياة للشهداء فثبتها لمن هو أفضل منهم أولى ؛

على أن حياة الأنبياء مصرح بها في الأحاديث الصحيحة، وقد رأى صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام يصلي فوق الكتيب الأحمر وواجهه مرارا عند ما فرضت الصلاة خمسين في كل يوم وليلة حتى صارت خسا، كما قابل آدم وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، فهذا كله يثبت حياة الأرواح وأنه لا شك فيها، فإذا تقول حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية التي قدمنا بعضها فلا يدعنا بعد ثبوت الحياة إلا إثبات خصائصها، فإن ثبوت الملوك يوجب ثبوت اللازم كما أن نبي اللازم يوجب نفي الملوك كما هو معروف .

وأي مانع عقلا من الاستغناء بها والاستمداد منها كما يستعين الرجل باللائكة في قضاء حوائجه أو كما يستعين الرجل بالرجل - وأنت بالروح لا بالجسم إنسان :  
وتصرفات الأرواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج إلى عماسة ولا آلة، فأيست على نحو ما تعرف من قوانين التصرفات عندنا فاتها من عالم آخر ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ رُوحِ قُلِّ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) وماذا يفهمون من تصرف الملائكة أو الجن في هذا العالم ؟

ولا شك أن الأرواح لها من الإطلاق والحرية ما يتكهن من أن نجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها كالأحياء - سواء بسواء ، بل أشد وأعظم . وقد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم أن الأرواح القوية كروح أبي بكر وعمر ربما هزمت جيشا إلى آخر ما ذكرناه . فإن كانوا لا يعرفون إلا المحسوسات ولا يعرفون إلا بالشاهدات فما أجدرهم أن يسموا طبيعيين لا مؤمنين : على أننا نتنزل معهم ونسلم لهم أن الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئا ، ولكن نقول لهم : إذا فرضنا ذلك وسلمناه جدلا فلنا أن نقرر أنه ليست مساعدة الأنبياء والأولياء المستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح في هذا العالم على نحو ما قدمنا ، بل مساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم

بالدعاء لهم كما يدعو الرجل الصالح لغيره ، فيكون من دعاء الفاضل لاهمفضل ، أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه ؛ وقد علمت أنهم أحياء يشمرون ويمحسون ويعلمون ، بل الشعور أنهم والعلم أعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية ؛ وقد جاء في الحديث أن أعمالنا تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فإن وجد خيراً حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا . ولنا أن نقول إن الاستغاث به والمطلوب منه الإغاثة هو الله تعالى ، ولكن السائل يسأل متوسلاً الى الله بالنبي أو الولي في أنه يقضى حاجته ، فالفاعل هو الله ، ولكن أراد السائل أن يسأله تعالى ببعض المقرين لديه الأكرمين عليه ، فكأنه يقول : أنا من محبيه (أو محسويه) فارحمني لأجله . وسيرحم الله كثيراً من الناس يوم القيامة لأجل النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء .

وبالجملة فإن كرام الله لبعض أحباب نبيه لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول ، ومن ذلك الذين يصلون على البيت ويطلبون من الله أن يكرمهم ويمفو عنه لأجلهم بقولهم : وقد جئناك شفعاء فشفعنا فيه . والمقصود من ذلك كله إثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض ؛ على أن توجه الإنسان الى النبي أو لولي والتجاء إليه بحس به روح النبي والولي تمام الإحساس ، وهو كرم ذو وجهة عند الله تعالى ، كما قال تعالى في بعض أصفيناه : (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهاً) وكما قال في بعض آخر : (وَجِهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فتعتنى تلك الروح بذلك الملتجئ ، أشد الاعتناء في تسديده وتأنيده والدعاء له هي والملائكة الذين يحلونها ويحبون مسرتها ورضاها ، والأنبياء والأولياء محبوبون الملائكة بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه » الى آخر الحديث ؛ وإن الملائكة لتقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : (يَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) كما نص على ذلك القرآن الشريف ، وذلك سر التوجه الى الأولياء وزيارتهم لتتنبه أرواحهم لحال زائر وتلتفت الى معونته بما أعطاهم الله تعالى من الخصائص ، كما تنفع أخاك بما أعطاك

الله من قوة أو وجهة أو مكانة أو ثروة أو أعون أو أنصار إلى آخره، وإن الإنسان هو هو في الدنيا والآخرة من حيث روحه التي هي باقية في العالمين جميعا. وليس الإنسان إنسانا إلا بها كما شرحنا، والأمـر جلي (ولكنها الأهواء عمت فأعمت).

ونرجى، تنعيم المقام الثاني، فرعاً طال الكلام فيه لعدد آخر إن شاء الله. والخلاصة أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد خلق والإيجاد لغير الله تعالى. والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها، فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر، على خلاف للممثلة في خلق الأفعال؛ وإن اعتقد التسبب ولا اكتساب لم يكفر.

وأنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس في الأموات هو أنهم متسببون ومكتسبون كالأحياء، لا أنهم خالقون موجدون كالإله، إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون في الأحياء إلا الكسب والتسبب، فإذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب، لأن هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق كما قلنا، وإلا لم يكن مؤمناً، والغلط في ذلك ليس كفراً ولا شركاً.

ولا نزل نكرر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد في الميت أكثر مما يعتقد في الحي، فثبتت الأفعال للحي على سبيل التسبب ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتي والإيجاد الحقيقي، فانه لا شك أن هذا مما لا يعقل، فغاية أمر هذا المستغيث بالميت — بعد كل تنزل — أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد؛ ومن يستطيع أن يقول إن ذلك شرك؟ على أن التسبب مقدور للميت وفي إمكانه أن يكتسبه كالحي بالنعاء لنا، فإن الأرواح تدعو لأقاربهم كما في الحديث الشريف إذا بلغهم عنهم ما يسوءهم، فيقولون: «اللهم راجعهم أو لا تمنهم حتى تهديهم» بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسها كالأحياء، ويمكنها أن تلهمك وترشدك كالملائكة إلى غير ذلك على ما شرحناه، وكثيراً ما انتفع الناس برؤيا الأرواح في المنام. ولعلنا نمود إليه

برسف الدهوي

من هيئة كبار العلماء

# الحياة وأطوارها

وإثبات الحياة البرخية

لما من الله علىّ في هذا العام بالحج الى بيته الحرام كان من حسن الحظ أن جمعتي المصادقات بعلم من أعلام الفضل وعالم جليل يجمع الى عظيم الذكاء عظيم الانصاف والغيرة على جمع شتات المسفين والرغبة في توحيد كلمتهم والتوفيق بين آرائهم .

ولقد بدأ الكلام معي في القتب على فضيلة الاستاذ المحقق الشيخ يوسف الدجوى فيما نسبته الى الوهابيين من تكفيرهم بالتوسل والاستغاثة بالموتى ، فقد زعمهم لأستاذ يسوون بين الاستغاثة والتوسل في الإنكار ، وليس الأمر كذلك عندهم ، فهم وإن لم يقولوا بالتوسل لا ينكرونه إنكارهم للاستغاثة ولا يكفرون به ، إنما المنكر في نظرم أشد الإنكار هو لاستغاثة بالموتى وأن يطلب من الميت ما لا يقدر عليه ؛ ولقد كان من حق الاستاذ أن يضعص كلامهم ويثبت مما يقولون قبل أن ينسب اليهم ما نسب ، فقلت له إن ولوع المسلمين بتوسيع نطاق الخلاف بينهم قد أوقفهم شر موقف ، فالمسلمون اليوم لا يؤثرون من قلة ، فقد أصبحوا من الكثرة بحيث لا يخشى عليهم ، ولكنها كثرة ككثرة أنقاض البناء لا تؤوى ولا تظل ، وذلك بفعل التفرق بين طوائفهم والتفكك في عرا وحدتهم حتى ذهبت رحمهم وأصبحوا طعمة الآكلين ومستعمرة المستعمرين ، ولو أنهم كانوا يختلفون في أمر من أصول الدين التي لا يسع المؤمن إغفال أمرها ولا يتم إيمانه إلا بالجزم فيها بنى أو إثبات لا لئسنا لهم العذر ، ولكنها اختلافات تتسع هونها ويفترق المسلمون من أجلها طوائف وشيما ، وهى من الأمور الثانوية التي يدخلها التأويل ويتسع لها مجال النظر ، فينظر إليها كل فريق من الناحية التي تساعد على ما يقول ويهمل



الناحية التي تساعد خصمه فلا ينظر إليها إلا بمقدار ما يجد فيها مما يمكنه من الاعتراض عليها .

فلو أن أهل النظر وقادة الرأي في المسلمين كانوا أوسع صدرا وأطول صبرا ونظرا كل منهم في المسائل المختلف فيها من الناحية التي ينظر إليها صاحبه ، وكذلك يفعل صاحبه ، فيضم كل منهما إلى علمه في المسألة عم مناظره ، لكان جديرا أن يتقاربا في الرأي إن لم يتفقا تماما ، وفي ذلك رأب لصدع المسلمين وجمع لشملهم وضم لشتاتهم ، وفي ذلك قوتهم وحفظ كياناتهم ، وبذلك يحققون مضمون الحديث الشريف « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض » ويكون مثلهم مثل لجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . فأمّن حفظه الله على هذا وقال . شرط أن يكون اجتماعهم على الحق ، قلت نعم ، فالحق هو ما ينشده الجميع وكل يدعيه ، ولكن علينا أن نكون أوسع صدرا وأطول صبرا حتى يفهم بعضنا ما يريد البعض فهما دائما ، لا أن يقتصر من فهمه على ما يمكنه من الرد عليه ، وهو لو أدرك وجهة نظره على ما هي عليه لكان جدير أن يوافقه . فقال : هذا صحيح ، قلت إذا يصح أن أعود إلى ما كان فيه الكلام ، وهو مقال لاستاذ الدجوى بشأن الأموات وصحة الاستغانة أو التوسل بهم :

كلنا نحب الحياة ونشعر بها ونحرص عليها ، وهي جذيرة بذلك ، ولكن هل فهمنا معنى الحياة واستوعبنا أطوارها ؟ إن الكثير من الناس يقصر الحياة على هذا الطور الظاهر الذي أوله الولادة وآخره القبر ، ولكن الحقيقة أن الحياة مظهر كمال للموجود بحسب ما يدين به ، وأنها في الإنسان لها أربعة أطوار تتدرج من أدنى إلى أعلى بحسب ترتبها في الحصول والتحقيق . طوران شاهداها ، وطوران أخبرتنا بهما النبوة الصادقة :

الأول — الحياة الجنينية . حياة الطفل في بطن أمه . هذا طور من أطوار حياة وهو أقصرها مدة وأضيقها مجالاً وأخفها أثراً وأضعفها احتمالاً ، فالت تعد مدته بأحاد

الشهور، وتجد مجالها لا يتجاوز شبراً في شبر وهو بطن الأم، وأثر الحى فيه لا يكاد يحسه أحد، اللهم إلا حاملته في بعض أحيان حركته أو من يتصل بها في أواخر شهوره، وقوة الحى فيه أضعف من أن يتحمل صدمة خفيفة فتقصى الكزة لساعته.

وبعد فهو دور من أدوار الحياة وطور من أطوارها يفتبط به الحى ويحرص عليه ويخرج لفارقه، حتى إنه يستهل صارخاً إذا انتقل إلى ما يليه مع أنه انتقل إلى أفسح وأوسع وأرغد وأكمل، ولكنه عبد لما ألف ورق لما عهد.

الطور الثانى - حياة عالمنا هذا الفانى: هو ذلك انطور الظاهر لنا المستولى على مشاعرنا، هو الطور الذى غتر به المغترون وانخدع به الكافرون فقالوا (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) وهو طور أرق مما قبله فى كل شىء، فبينما تعد فى مدة الأول بأحد الشهور إذا بك تعد فى مدة هذا بعشرات السنين، وبينما كان مجال الحى فى الأول شبراً فى شبر تجد مداه فى هذا ذلك القضاء المسمى الأرمى الفسىخ، وبينما كان أثر الحى فى الأول لا يكاد يحسه إلا حاملته أو من اتصل بها إذا بآثاره ههنا تملأ الكون -- من أنهار يشقها، وأشجار يفرسها، واستثمار واستثمار، وتحليل وتركيب، حتى عد بحق خليفة لله فى أرضه، لقب حسنة عليه الملائكة (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ثم بينما كانت قوة الحى فى الأول من الضعف بحيث تقضى عليه لكزة اليد أو وخزة الأصبع إذا به فى هذا الدور قد أصبح يقارع الخطوب والخطوب تقارعه، ويقارع الدهر والدهر يصارعه، فتارة غلب وتارة غلب، وطورا سلم وطورا هُزم.

طوران من أطوار الحياة يشتركان فى معنى الحياة ويتعاوران بل يتلاصقان، فتنهى أحدهما مبدأ الآخر، ومع ذلك يتباعدان فى أحكامهما تباعداً شديداً، حتى إن ما يشترط لصالح أحدهما نراه مفسداً للآخر، فالك لو عرضت الجنين قبل ولادته للهواء انفسدت

حياته ، ولو أعدت الوليد عقب ولادته لبطن أمه لمات لساعته . فانظر كيف تجاوزا وتلاصقا مع تناقصهما في الأحكام والمقتضيات ، وقد اقتضت إرادة الحكيم العليم أن نرى هذين الطورين من أطوار الحياة متجاورين متناقضين لتتسع مداركنا لفهم معنى الحياة فهما أوسع مما يبدو لصغار العقول وقصار النظر في فهمها من قصرها على هذا الدور الظاهر ، فأنا جل شأنه الحياة في مظهرين متقاربين متباعدين لتعلم أن الحياة أوسع معنى من قصرها على حال واحدة ، فنفهم من أطوارها ما نحدثنا به النبوة الصادقة وذلك هو الطوران الآتيان .

الطور الثالث من أطوار الحياة — وهو الأول من الطورين اللذين أخبرتنا بهما النبوة — هو الحياة البرزخية ، هو الطور الذي يبتدىء بالقبر وينتهى بالحشر ، هو الطور الداخل في عبارة ما بعد الموت ، ونسبته الى الطور الثاني كنسبة الثاني الى الأول ، فاذا عددت في مدة الاول بأحد الشهور وفي مدة الثاني بعشرات السنين ، فقد في مدة الثالث بآلاف الأجيال والقرون ، وإذا كان مدى الأول شبراً في شبر ومدى الثاني هذا الفضاء المسمى الأرضي ، فمدى الثالث ملاً أعلى روحاني سماوي ، وإذا كان أثر الحى في الأول لا تحسه إلا حاملته وأثر الثاني تلك الشئون المادية التى شرحتها لك ، فأثره في الثالث يتجلى باتصاله بأرواح الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين فيتجلى له من أسرار العلم الروحانية العلوية ما يحقر أمامه تلك الشئون المادية الأرضية ، وإذا كانت قوة الحى في الأول بحيث تقضى عليه لكزة يداؤ وخزة أصبع ، وقوته في الطور الثاني بحيث يصارع الدهر والدهر يصارعه فتارة غلب وتارة غلب ، فقد أصبح في الطور الثالث في مأمن من الدهر وغوئه ، حتى يأتي أمر الله يوم ينفخ في الصور .

لهذا الطور حكمه وأثره على نسق ما بين الطور الأول والثاني ، ألا ترى أنك إذا عرضت على واحد في هذه الحياة الدنيا أن يعود الى بطن أمه عد ذلك مجونا أو سخفا

ولا يكاد يصدق أنك تخيره تخيرا صحيحا مع أنه قد بكى عليه يوم فارقته ، فكذلك لو عرضت على المؤمن أن يعود من طوره الثالث الى طوره الثاني الذي حزن يوم فارقته لكان بمثابة أن تعرض عليه وهو في هذه الحياة أن يعود الى بطن الأم وقدرها وحسبها.

نعم : فالديا سجن المؤمن ، أما الكافر والعياذ بالله فيتمنى لو لم يحي حياته لأولى التي كانت عليه وبالأظهر أثره في الطور الثالث . هذا الطور ثابت بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة ، قال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْعَنُوا يَوْمَ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَائِهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وقال جل من قائل (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ما كان قولهم عنهم إنهم أموات أى لن يعيشوا ، فما كان هذا على بال المؤمنين في شأن الشهداء ، وإنما هو ظن أنهم أموات عقب استشهادهم ، فكان في الآية رد هذا الزعم وإثبات أنهم أحياء الآن ، ولكسها حياة ليست من جنس الحياة التي نحسونها وتشعرون بها ، وإنما هي حياة على معنى آخر أخبرتنا بها النبوة فنصدق بها وإن لم نحسها ولم نشعر بها ، وكفانا في اتساع عقولنا لفهم معنى الحياة على وجه أوسع ما شهدناه من تنوعها وتقننها في الطورين السابقين . هذا الطور غير قاصر على الشهداء ، وإنما اختصهم الله بالنص عليهم لاختصاصهم بالقرب منه تعالى ومزيد البهجة والكرامة ، وإلا فلا يعقل أن يكون الأنبياء وهم المتبوعون محرومين من حياة استمتع بها الشهداء التابعون . لا لا ، بل قد دلت الآية الكريمة على ثبوت هذه الحياة حتى للكافرين ، يقول الله جل شأنه : (أَلَمْ نَرُكُمْ تُحْسِنُونَ عَلَيْهَا غَدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) فما كان قوله : النار يعضون عليها غدوا وعشيا حكاية عن نار يوم القيامة ، فما كان في القيامة غدو ولا عشى ولا شروق ولا غروب ، والمتعاطفان متغايران ،

وقد حكى عن الأول بكلمة النار يعرضون عليها ، وعن الثاني بكلمة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، والعرض غدوا وعشيا غير الإدخال المستمر . وهل يتصور أن تكون هذه الحياة ثابتة للشهداء وبالأولى للأنبياء ، ثم هي ثابتة بالنص القرآني للكافرين ويكون المحروم منها هم سائر المؤمنين ؟ : أفلا يصح أن تكون هذه الآيات سنداً متيناً لما ورد في السنة من مثل « القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » ؟ أو لا يصح أن تؤيد مثل ما روى في قصة بدر أنه بعد أن قتل صناديد قريش وردوا في القليب : قليب بدر جاء صلى الله عليه وسلم وأخذ يضادبهم بأسمائهم : يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فقال قائل : أو تخاطبهم يا رسول الله أو يسمعون ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم — أو لا يصح أن يسند ما ذكر من الآيات ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم : حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتي خير لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم » .

إن الحياة البرزخية وعذب القبر ونعيمه واستدعاء ذلك للحياة أمر لا ينبغي أن يشك فيه مؤمن ، وإذا فليت بعد موته له حياة وله شعور ، ويصح أن يكون له استغفار ودعاء ، كما في الحديث السابق ، فالمانع من أن يتوسل به إلى الله كما يتوسل بالحي ، ومبلغ تأثير العبد في الوجود لا يعدو أن يجرى الله ببعض الشؤون عن طريقه ، وإلا فالله هو المتفرد بالإيجاد والتوحيد بالتصريف لا رب غيره ولا معبود سواه ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

وبعد فبأن ما ذكر لا يكفي دليلاً صحيحاً وبرهاناً صريحاً على ما رأيت من وضوح الأمر فيه إلى هذا الحد ، أفلا يكفي لأن يكون تأويلاً مقبولاً فيخرج صاحبه عن

أن يكون مشركا في نظر من لا يقول بتقاتله والله يقول: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)؛ أما أن لا أجدر بالمسلمين - وخصوصا أولى العلم والرأى - أن يتلمسوا أسباب التوفيق ما وجدوا، اليها سبيلا، وينبذوا الكلام ونوسيمه في أمور ليست مما يجب على المسلم في تصحيح عقيدته التي ينجوها يوم الفزع الأكبر أن يحزم فيه بنى أو إثبات؛ فلو أن مسلما صحت عقيدته فيما يجب لله ولرسله وعرف ما يجب عليه وما يحرم ثم لم يحزم في أمر التوسل والاستغاثة بحكم لما قيل له إنك مشرك.

فالواجب الجزم بأن الله هو المنفرد بالإيجاد والإعدام وأنه ربط العالم بنظام عرفنا منه ما عرفنا وجهلنا ما جهلنا، ولكن مهما عرفنا ومهما جهلنا فلنا لا نعدو ذلك الحكم الجازم وهو أنه جل شأنه هو وحده المهيمن على العالم المتصرف فيه المسيطر عليه، وأن ارتباط بعض أجزائه ببعض في حصول شئ بمعد شئ إن هو إلا تسبب وارتباط باختياره تعالى، ولو شاء لعكس القضية فجعل من النار ريا ومن الماء إحرقا، وإن في خرق النظم في بعض الأحوال لتأييد رسله أو لحكمة أخرى لا أكبر شهادة على أنه الفاعل المختار لا رب غيره ولا معبود سواه.

الطور الرابع - هو الحياة الآخرة، هو الحياة الحقيقية، هو المعر عنه بقوله تعالى: (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرُ كُلُّهَا) هو طور له أول ولا آخر له، هو طور النعيم المقيم والسعادة الدائمة، هو طور الوجود الذي لا نهاية له، هو الذي يرى المؤمنون فيه من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم يقول الله تعالى فيه للمؤمنين: «ألا أمنحكم ما هو أعظم من ذلك» فيقولون: «أى شئ أعظم من ذلك؟» فيقول: «أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا» هو الذي يكون للمؤمنين فيه أن يروا ربهم كما يرون القمر ليلة البدر لا يمارون فيه ولا يشكون، فيلحقهم بذلك من القبضة ولا تهاج ما يتقاصر أمامه نعيم الجنان مهما كان عظيما. نسأل الله أن يمنحنا سعادته ويحملنا من أهل نعيمه.

فقال الأستاذ حفظه الله: كل هذا نقول به، ولا نكر طوراً من أطوار الحياة، فعميت من قوله، فانه قد ينقل عنهم إنكار الطور الثالث، حتى إن منهم من يقول: عصا في يد خير من حبة فلان وفلان، فإني أتوكأ عليها ولي فيها ما آرب، وأما تلك الجثة فلا نفع فيها. فقال الأستاذ: إنا لا نكر هذا لأطوار ونقول بها جميعها، ونعتقد أن أرواح لبيتين السابقين تتلاقى مع الأرواح القادمة عليها يسألونهم عن ذوبهم ويقولون ما فعل فلان وكيف حال فلان - إلا أنا لا نقول بصحة الاستمانة بالبيت وأن يطالب منه ما لا يقدر عليه إلا الخي. قلت إذا فالأمر ينبت أمة، وأهل ينبتا وبينكم وسطاء سوء ينقلون لنا عنكم وينقلون لكم عنا إما بسوء قصد أو بسوء فهم، أفليس من الصواب أن نتفهم بطريق هادئ بعيد عن الصخب والملاينة حتى يفهم كل من الطرفين وجهة نظر صاحبه، فهو أقرب أن نصل معاً إلى حكم واحد وحقيقة واحدة، أو على الأقل نتقارب ولا يكفر بعضنا بعضاً، وذلك أحدى على المسلمين وأجمع لهم وجمهورهم وديعة في بداولى الراى منهم يسألون عنهم كما يسأل الوديع عن الوديع التى اوتعن عليها، ويكفى ما أصاب المسلمين من شتات أضعفهم وذهب بريحهم؟ فأمن حفظه الله على ذلك ورحب به وقال: كلنا نألم لفرقة المسلمين ونرجو أن يسلموا من ذلك وتجتمع كلهم، فمضى أن يحقق لله هذا لرحاء إنه سميع مجيب، فليس فى إساد بعض الحوادث الى بعض الخلائق على سبيل السببية لا الإيجاد ما يوجب الكفر والشرك والعباد بالله، وليس من المؤمنين من يعتقد أن لله شريكاً فى ملكه أو من يستقل بفعل من دون الله.

بعض شؤره أخرى:

ولا يفوتنى قبل أن أترك القلم أت أنه بشأن عظيم شاهدناه فى تلك الديار الحجارية. ذلك هو استتباب الأمن والطمانينة فى تلك الديار بحالة لا يكاد يصدقها من رأى أو سمع بما كانت عليه تلك الأماكن من اضطراب فى الأمن وهلع متوال

من حوادث السرقات والنهب والقتل جهارا نهارا ، فقد أصبح بدل ذلك كله كما يقول القائل : الذئب والنمجة في سقيفة ، واللص والتاجر في قطيفة ، لا لا - فلا لص ولا ذئب ، نعم نقول فلا لص ، فقد قضت الأحكام الشرعية وإقامة الحدود التي سنّها الله لعباده رحمة منه ورأفة بهم - قضت على مبدأ الخصوصية قضاء تاما ، وظهرت حكمة التشريع بأجلى مظاهرها ، ولا شاهد أصدق من التجربة ، وإن في حل المجرم ما بقى من يده الأثيمة بعد القطع لاجرا قويا لمن تحدّثه نفسه أن يقترب مثل هذه الجريمة ، فكأنها إعلان متحرك يسير مع صاحبه أينما سار ، وذلك أمر لا يتحقق في حبس السارق أياما أو شهورا أو سنين ، وهل في حبسه أكثر من اختفائه عن أهله مدة ثم عودته واحتفائهم به وتكرمه مما يقوى في النفس التي تشا كله في طبعه أن تشا كله في جرمه ليحتفى بها كما يحتفى به وتكرم كما يكرم الأبطال : لقد صدق الذي يقول إن الأصم إذا بدا عليه اسوداد دل على نسوسه وسريان العلة فيه يرى الطبيب قطعه لتسلم اليد ، أو قطع اليد كلها ليسلم الجسد ، ويرى ذلك حكمة من الطبيب أفلا تكون الجريمة مرضا معنويا يسرى من يد ليد فينتشر المرض وتقتك علته بالناس ، فيكون الرأي الحكيم أن تقطع حتى تستأصل جرثومة المرض ولا يسرى من اليد لأثيمة الى اليد السليمة ، سبحانك يا حكيم يا عليم ، شرعت لنا من الدين ما هو رحمة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وتقوم التجربة أمامهم حجة قاطعة وبينه ناصية ، ومع ذلك يتعامون عنها ويكابرون ويجادلون .

شأن آخر مما شاهدناه في أرض الحجاز :

إن أكثر البوادي على جهالة بأبسط الأحكام الدينية ، كن تربي في شاطئ جبل لم يخالط أحدا ولم يسمع بدين . وما ظنك ممن تلقاه في المسجد الحرام حيث مبهط الوحي وهو لا يعرف من فاتحة الكتاب شيئا وتستغرق معه الوقت الطويل في تحفيظه حتى



تعمل وتضجر وهو كما بدأت معه ؛ وليس هذا في واحد أو اثنين ، بل كان استغرابنا لهذا الأمر مدعاة لأن نكثر من التحري فيه ، فكان الأمر في أولئك البدويين أمراً عجيباً ، وأما الجهل بالأحكام الشرعية وحتياج العامة إلى التفقه في الدين فهو أظهر من أن يحتاج إلى التبيين ، فبدا لو تصفرت جماعات المسلمين على العناية بآثار التعليم الديني في هذه البقاع المقدسة التي إذا احتمل الجهل في جهة فلا يصح أن يحتمل فيها . والله تعالى يتولانا هدايته وكرامته إنه سميع الدعاء بحسب النداء

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالازهر الشريف

\*\*\*\*\*

## الطرف والملح

قال كلثوم العتابي يخاطب زوجته :  
 تلوم على ترك الغنى باهية  
 رأيت حولها النسوان يرفلن في الترية<sup>(١)</sup>  
 أسرك أتي نلت ما نال جعفر  
 وأن أمير المؤمنين أغصني  
 دعي بجني ميتي مطمئة  
 فان رفيعات الأمور مشوبة  
 روى الفقير عنها كل طرف وتالد  
 مقلدة أعتاقها بالقلايد  
 من العيش أو ما نال يحيى بن خالد  
 منقهما بالرهفات<sup>(٢)</sup> البوارد  
 ولم أجتشم هول تلك اللوارد  
 بمستودعات<sup>(٣)</sup> في بطون الأساود<sup>(٤)</sup>

(١) عطف الثراء بالدور الفنى . (٢) السيوف القوائى . (٣) بنوائب مودعة في الأيام واليالى . (٤) جم أسود وهى الحية ، لعظيمة واسم مستودع بها . استمرت للأيام واليالى .

## المياه وتنقيتها<sup>(١)</sup>

يرجع تاريخ تنقية المياه الى أرمان بعيدة ؛ ولا شك أن الماء كان يصفى اذا ظهر كدراً رقيقاً أو كان يترك حتى ترسب المواد العالقة به . كذلك نعلم أن الملاحين قد وجدوا بالتجربة أن المياه الرديئة العظم التي احتزنوها في أحد الشغور كثيراً ما صارت عذبة نقية قبل أن يلقوا مراسيهم في ثغر آخر ، ومن المحتمل أن تنقية الماء بالفلز كانت إحدى طرق الوقاية القديمة فقد عرف الانسان قوة الحرارة الفعالة من قديم الزمان ، ويمكن أن أسلافنا خاضعهم للشبهات في أن للمياه القدرة تسبب الأمراض فالتجثوا الى الحرارة لإبادة ما بها من الشوائب والجراثيم ، وقد يحوز أيضاً أنهم كانوا يضيفون عدة أنواع من المواد الى المياه لجعلها أصح للشرب إن لم يكن لتنقيتها تنقية تامة .

على أنه من الثابت أن أهمية صيانة مياه الشرب من المواد القذرة كانت معروفة من زمن بعيد يرجع الى سنة ١٦١٢ ميلادية حيث جاء في منشور صدر في تلك السنة أن « لا يلقى الناس في الأنهار أى قاذورات من تراب أو حصى أو حجارة أو قطع أو كلاب أو جثث الماشية الميتة أو أى شيء مضر بالصحة أو غير نظيف » .

وقد نبين الناس بمرور الزمن فوائد الرمل وأثره في الترشيح ، ولا شك أنهم عرفوا ذلك من أول الأمر لما رأوه من صفاء المياه المرشحة ، ويرجع تاريخ الترشيح بواسطة الرمل الى سنة ١٨٢٩ ميلادية ، ويظهر أن الفضل في اتباع هذه الطريقة يرجع الى مدينة لندن حيث قامت به شركة مياه تشلسي وأصبحت تنقية المياه بواسطة الرمل طريقة ناجحة فيما بعد ، ونسج على منوالها في أنحاء العالم ولم تزل معروفة الى يومنا هذا باسم طريقة لندن .

وقد صار من المعروف أن المياه المرشحة — فيما عدا القليل من الجراثيم (البكتيريا) التي توجد بها بعد الترشيح — مأمونة الجانب ولا يخشى منها أن تنقل الأمراض . وقد أظهر (كوخ)<sup>(١)</sup> أن الترشيح يزيل ٩٨ في المائة من الجراثيم (البكتيريا) وقد يستغرب المشتغلون بعلم الصحة كيف يكون الرمل مثل هذا الأثر الكبير في الترشيح مع أن ذراته المنفصلة ذات حجم كبير إذا قورنت بحجم الجراثيم، ولكن ظهر فيما بعد أن ذرات الرمل تنضخ تدريجياً وأن كل ذرة يملوها طبقة ويرة مخاطية، وعلاوة على ذلك فقد لوحظ أن الذرات التي على السطح أو القريبة منه تكسوها طبقة كثيفة من مواد مخاطية تزداد كثافتها إلى حد تكاد معه تمنع المياه من السريان خلالها . فإذا حدث ذلك أصبح من اللازم تفريغ المرشح وإزالة طبقات الرمل العليا وغسلها غسلًا جيدًا قبل إعادة الترشيح .

وقد أدت الصعاب المتزايدة التي تلاقها المدن للحصول على موارد قريبة للماء إلى الاغارة على الهضاب والأراضي الملقى المرتفعة البعيدة عنها، ولكن قامت بعد ذلك صعب جديدة، فقد كانت المياه بالرغم من عذوبتها ونقاها عطنة ذات لون ظاهر وكان بعضها حمضياً يؤثر في معدن الرصاص (المتخذة منه المواسير) .

وقد أظهرت التجارب أن أفضل طريقة لمعالجة مثل تلك المياه هي ترشيحها بمرشحات آلية تعمل بسرعة كبيرة تبلغ خمسين جالوناً<sup>(٢)</sup> لكل قدم مربع (من مساحة الحوض) في الساعة، وتستعمل لازالة اللون وجعل المياه المرشحة شبيهة الطعم حسنة المنظر (كبريتات أو أكسيد الألومنيوم) بمقدار من قعة إلى قحتين لكل جالون تقريباً . وهذه المرشحات الآلية يسهل تنظيفها بسرعة بمجرد عكس سير الماء فيها .

(١) هو العالم الألماني المشهور مكتشف جراثيم السل والملاريا وغيرها . (٢) مقياس انجليزي يساوي مقداره أربعة أمتار ونصف تقريبا .

إلا أن كثيرا من الخبيرين يعتبرون أن المرشحات الآلية ليس لها فعل مرشحات الرملية البطيئة في إزالة الجراثيم (البكتيريا) ولكن لا يعلق على ذلك أهمية كبيرة ما دام مورد الماء خاليا من الشوائب الوبائية .

والواقع أنه يمكن باستعمالها الحصول على نتائج مرضية من حيث صفاء اللون لا يمكن الحصول عليها بواسطة المرشحات الرملية البطيئة .

أما فيما يتعلق بفعلها في الرصاص فهو أمر خطير لأن الرصاص سم مركز .

على أنه من الممكن لحسن الحظ جعل مثل هذه المياه مأمونة لاخطر من استعمالها في الأعمال المنزلية باستعمال الجير بكميات مناسبة .

ولبحث الآن طرق التنقية الحديثة :

**استعمال الكلورين :**

إن استعمال الكلورين في الولايات المتحدة وكندا استمر بالقاعدة المتبعة في تنقية المياه ، ولكن التقدم في اتباع هذه الطريقة كان ضئيلا في المجترة إلا أن الحال تغير تقييرا كبيرا بقيام الحرب الكبرى ، فقد خطا مجلس المياه بنندن خطوة جريئة بأن استعمل الكلورين في كمية هائلة من المياه تزيد على مائة مليون جالون في اليوم ، وقد كانت تلك الخطوة باعثا على ازدياد البحث في هذه الطريقة .

ويقول المؤيدون لاستعمال الكلورين : إن هذه الطريقة لا تبديد فعلا جميع الجراثيم غير الوبائية فحسب بل إنها تقضى على الجراثيم الوبائية التي تحملها المياه أيضا .

ويقول المعارضون لاستعمال الكلورين : إن المياه التي يدخلها مخدر كالكلورين لا تكون صالحة بأي حال ، وإن بها عيوباً كثيرة أظهرت التجارب وجودها ، ويقولون إن الطرق الطبيعية كالتعزير والترشيح الرمي البطيء تزيد ٩٨ في المائة على الأقل من مجموع عدد الجراثيم في الماء مهما كان نوعه ، وإن التجربة والاختبار قد أظهرت أن في اتباع هذه الطرق وقاية تامة من الأمراض التي تنشأ من شرب المياه غير النقية .

وهناك فريق ثالث يقول إن جميع طرق لتنقية لمبت إلا حركة انتفال من حسن الى سيء، وإن السلامة كل السلامة في اختيار مورد مياه بكر غير ملوثة لا تحتاج الى أى نوع من التنقية أو التطهير .

وقد نشعر ببيل كبير الى هذا الرأي الجليل إلا أنه يجب ألا تنسى ضرورة جعل المياه غير النقية صالحة للاستعمال المنزلى .

على أن هناك ما يصح أن يقال في تأييد كل من الفريقين المؤيدين والمعارضين لاستعمال الكلورين إن لكل من الفريقين حججا قوية :

فطريقة استعمال الكلورين طريقة رخيصة جداً بحيث يكفي (شان) واحد لتنقية مليون جالون من الماء إلا أن فعل انسكاورين لم يزل موضعاً للجدل ، فالبعض يقول إن له فعلاً يسبب الصدأ، والبعض الآخر يقول إن له فعلاً مباشراً في الجراثيم . وكية الكلورين التي نستعمل في التنقية هي من ٢٥ إلى ٥٠ جزءاً من الكلورين لكل مليون جزء أو من ٢ إلى ٥ أرطال من الكلورين لكل مليون جالون . ويختلف الوقت الذي تستلزمه التنقية باختلاف الكمية ونوع الماء ؛ فقد تكفي بضع دقائق أحياناً ولكن الوقت الكافي هو من ساعة الى خمس ساعات .

وبوضع الكلورين بشكل سائل كلوريد الجير أو غاز الكلورين السائل الموضوع في اسطوانات معدنية، والطريقة الأخيرة هي الطريقة المنتشرة . وهناك جهارات دقيقة لمعرفة مقدار الفار الذي يخرج من هذه الأسطوانات معرفة دقيقة ؛ ومن المهم جداً بغض النظر عن الطريقة التي تتبع أن يتمزج الكلورين والماء امتزاجاً سريعاً تاماً .

على أن رداءة طعم الماء بعد معالجته بالكلوريد هي من العيوب الخطرة ؛ وكثيراً ما انتقصت كية الكلورين الى ما دون الحد اللازم للتنقية لتجنب هذه الرداءة .

إلا أن العلم قد تقدم أخيراً تقدماً كبيراً وأصبح من المعروف أن السبب في رداءة الطعم هو وجود أجسام خاصة بمقادير صغيرة جداً (أقل من جزء واحد لكل ألف مليون جزء). وقد يكون الجو مصدر هذه الشوائب إذا كان غير نقي، أو قد تنتقل إلى الماء بطريق إلقاء سوائل ملوثة كياه غسل الطرقات أو غيرها.

على أنهم وجدوا لحسن الحظ علاجات تمنع رداءة الطعم «كبرمنجنات البوتاسيوم» والنشادر مثلاً بمقدار ٢٠ جزءاً منها لكل مليون جزء من الماء.

ومن موانع رداءة الطعم المواد العضوية الموجودة بطبيعتها في الماء فهي مانع ذو فائدة كبيرة، وليس هناك ما يدل على أن الماء الذي عولج بالكلورين أثر ضار في الإنسان أو الحيوانات الدنيا أو الأسماك، كذلك يمكن أن يقال بوجه عام إنه ليس له أثر ضار في المعادن.

فالكلورين عامل عظيم الأهمية في تنقية المياه؛ فهو يجعل المياه الملوثة مأمونة الجانب بدون أن يتخلف بها طعم رديء (إذا استعملت مانعات الطعم السالفة لذكر). وهو يوضع في الماء بمقدار ٢٥ إلى ٥٠ جزءاً منه لكل مليون جزء من الماء، ومن المعقول أن نعتبر هذه الطريقة أنفس معين لطرق تنقية المياه الأخرى لا دواء عاماً لها.

وقد ظهرت في سنة ١٩١٢ م. طريقة جديدة للتنقية أطلق عليها اسم طريقة (استعمال الجير بمقدار مفرط) فإذا أريد جعل الماء عذبا أضيف إليه الجير بمقادير متساوية أو تنقص قليلاً عما هو لازم لامتزاجه بحامض الكربون المذاب في الماء أو ثاني الكربونات الموجودة به فيتكون من ذلك كربونات الجير، ولما كانت هذه الكربونات لا تذوب فهي ترسب في قاع الخوض وهذا ينقي الماء تنقية آلية بدرجة عظيمة. وفي طريقة «استعمال الجير بمقدار مفرط» يزداد مقدار الجير الذي يوضع في الماء قليلاً

فيجعل الماء قلويا كالواي ويؤثر تأثيراً ظاهراً في الجراثيم (البكتيريا) وتتوقف كمية الجير التي تزداد على مدة وجوده بالماء وكمية الشوائب الموجودة به .

ويكفي عادة لعملية التنقية هذه جزء واحد من الجير لكل ألف جزء من الماء .

ويتبين لك فوائد طريقة « استعمال الجير بمقدار مفرط » من النبذة الآتية التي وردت في تقرير بعض الخبيرين :

قد أظهرت التجارب التي قنابها في خلال السنتين الماضيتين بمحطة لاجبورود التابعة لشركة مياه سوتند أن طريقة استعمال الجير بمقدار مفرط ، قد أنت بنتائج مرضية أكثر من استعمال الكلورين لأن الكلورين لا يزيل المواد المضوية في المحلول على حين أن طريقة استعمال الجير تزيل ٥٠ من المائة من هذه المواد على الأقل وعلى ذلك يمكن الآن بهذه الطريقة استعمال المياه التي كانت تعتبر غير صالحة كورد للماء فيما مضى والتي لم يكن من الممكن تنقيتها بأية طريقة .

وقد نجحت طريقة استعمال الجير بمقدار مفرط نجاحاً كبيراً في أكرا بإحل الذهب سنة ١٩١٧ م حيث استعملت في مستنقع موبوء فنجعت في نظيره .

وقد احتفظت مدينة أبردين<sup>(١)</sup> بنهر « الذي » كورد للماء بعد أن طهرت صلاحية هذه الطريقة فاقصدت بذلك مائة ألف جنيه كانت ستصرفها في البحث عن مواد أخرى وظهر أن مياه نهر التيمس الطبيعية يمكن تنقيتها بتلك الطريقة بدرجة عجيبة .

على أن للطريقة عيوبها كالتكاليف مشلا والصعاب التي يلاقونها في إزالة الطعم القلوي الذي يتركه الجير بالماء والتخلص من رواسب الجير اللينة .

#### اختبار المياه لمعرفة صلاحيتها :

لم يطرأ على طرق الاختبارات الطبيعية والكيميائية والمتعلقة بالجراثيم تغيير كبير في السنوات الأخيرة ، ففي الاختبارات الطبيعية يلاحظ اللون بمقياس خاص ، اللون

(١) مدينة على بحر الشمال بالسكتندة .

ودرجة الكدرة بمقياس خاص ، وأهم ضروب الاختبارات الكيميائية ما كان الغرض منه معرفة وجود النشادر والزالال والنيتروجين والكلوريد والأكسوجين الناتج من البرمنجنات .

ولم يطرأ على الاختبارات المتعلقة بالجراثيم ( البكتيريا ) أى تغيير من حيث معرفة عددها وخاصة فى درجة ٣٧ بمقياس سنتيجراد .

#### الطرق الطبيعية :

لا تهمل طرق تنقية الماء الطبيعية فى السنوات الأخيرة ، وقد أخذت أهمية تخزين المياه تزداد فعلا ، والعوامل الثلاث التى تجعل الماء صالحا هى :

توحيد درجة كثافة الماء ، والترسيب ، والتعقيم ، فتوحيد درجة الكثافة هو تخفيف أى زيادة طارئة من الشوائب فى المياه التى تغدى المستودع الذى يخزن به الماء ، والترسيب هو فصل الشوائب الصلبة عن الماء .

والتعقيم هو إبادة الجراثيم ( البكتيريا ) المعرة غير المرغوب فيها .

والطريقة التنقية الطبيعية هذه عيوب فانه ولو أن جزءاً من الجراثيم يبيد فالتى يبقى منها يتكاثر تكاثراً يحير العقل أحيانا .

قُسمت النباتات المتناهية فى الصغر التى لا ترى إلا بانظار المعظم والجراثيم الأحادية خلوية ونوع من الطحيب الأخضر والأزرق ، وبعض هذه يحمل طعم الماء رديئاً والبعض الآخر له تأثير خطير فى منع الماء من السريان خلال الرمل .

وقد ظهر أن كبريتات النحاس بمقدار من ١٠ الى ١٠٠ جزءاً منها لكل من مليون جزء من الماء أو من رطل إلى ١٠ أرطال لكل مليون جالون عامل مهم فى تنقية الماء من هذه النباتات والجراثيم .



## المرشحات :

من التحسينات التي أدخلت أخيراً على طرق تعاهير المياه المرشحات الآلية السريعة وهي تستعمل لازالة كل المواد العالقة بالماء تقريباً، ومنها النباتات المتناهية في الصغر وأنواع الطحلب الأخرى . وهذه المرشحات تعمل بسرعة كبيرة تبلغ من ١٠٠ إلى ٢٠٠ جالون للقدم المربع من مساحة الخوض في الساعة، ولتأكد من نقاء الماء نقاءً تاماً يستعمل المرشحات لرمية البيطنة بعد ذلك؛ وفي هذه الحالة يمكن أن تعمل هذه المرشحات بسرعة أكبر مادامت المرشحات الآلية السريعة قد أزلت جل المواد العالقة بالماء من قبل .

ويرى البعض زيادة في الوقاية استعمال الكاودرين كاحتياط أخير إذا احتاج الأمر

---

## الدم كأداة للشم

إذا حقن الانسان عمادة ذات رائحة في إحدى الشريين فإنه لا يثبت أن يشمر برائحته أقوى مما لو شمها بأنفه وذلك لأن الدم يحمل هذه الرائحة الى أعصاب الشم بداخل الأنف .

وتستعمل هذه الطريقة عند اختبار المرضى الذين اختلت فيهم حاسة الشم بواسطة الأنف للتحقق مما إذا كان من الممكن علاج هذا الداء ، فإذا تمكنوا من إدراك رائحة هذه الأمصال بواسطة الدم فإن ذلك يثبت أن أعصاب الشم بداخل الأنف لا زالت سليمة ولكن لا تصلها الرائحة بالطريق الطبيعي لا تنفاخ أو تورم يحول دونها، ويمكن إعادة حاسة الشم اليهم اذا أزيلت هذه العوائق من الطريق العادي .

[ مترجمة عن مجلة « Umschau » الألمانية ]

## الجاليات الاسلامية<sup>(١)</sup>

في أطراف العالم النائية

المستعمرون والمهاجرون الرحل

في أقيانوسية (جزر المحيط الأعظم الهادى)

استراليا — بلغ تعداد المسلمين في استراليا ٩٠٨ ٣ نفس في سنة ١٩١٦ (وقد كان ٦٤٠٠ في سنة ١٩٠٦) وهم من الافغان السنيين حنفي المذهب، وقد نزحوا إليها منذ سنة ١٨٦٠ كزراعة للايل وأقاموا على الأخص في القسم الغربى منها، ويوجد بها مسجدان مستديمان في بلدتي برت وأديلاد، وسبعة مساجد متنقلة، كما يوجد بها خمسة مسلم قدموا إليها من جزر الهند الشرقية وأقاموا بفتيتا الجديدة التي كانت تابعة للألمان والآن تحت الانتداب الأسترالى. وهؤلاء شافعيو المذهب.

جزر فيجى — يقيم بها باستمرار ٣٠٠٠ مسلم سنيون شافعيو المذهب من ١٤٠٠٠ من الرحل الهنود يشتغلون بفلاحة الأرض.

### في أمريكا

الولايات المتحدة — بلغ عدد المسلمين بها في سنة ١٩٢١ — ١٠٠ ٠٠٠ نسمة أغلبهم من المهاجرين الرحل الذين نزحوا إليها من شمال الهند وسوريا واليمن وتركيا وأقاموا في بلاد ميلووكى وشيكاغو وبتسبورغ وكليفلان واكرون ونيويورك وفيلادلفيا وبالتيمور وبوسطن وورسىستر. وبها مسجد (أحمدى) في الميشيغان و١٢ جريدة عربية منها واحدة دررية (جريدة البيان) وأخرى للدفاع عن المصالح التركية وهي (سيرات ثم برليك).

(١) مترجمة عن الفرنسية من كتاب دليل العالم الاسلامى — الطبعة الثالثة.

ويقال إنه يوجد بها ألفان من الجنس الانجلو ساكوني اعتنقوا البهائية، كما أنه يوجد بعض المهاجرين الصينيين بحزيرة هايتي وجمهورية الدومينيكان.

**المكسيك** — يوجد بها ألف مسلم من المهاجرين الرحالة.

**بمرد البرازيل** — بها ٢٥٠٠٠٠ مسلم من لزراع الذين أقاموا بها إقامة مستديعة منذ القرن الثامن عشر من الميلاد و ٥٠٠٠ من المهاجرين الرحل السوريين ، وأولئك هم زوج من نسل المبيد الأرقاء الذين استجلبوا من غرب افريقية من قبائل النجوس والحاواساس والطياس والجيجي والجروما والبرنوان والكابندا والباربا والمينا والكلابار والجابو والندويوس واليينيين، وقد حاولوا القيام بحركة تمرد ضد استعبادهم في باهيلسنه ١٨٣٥ إذ كانوا كونوا لهم جمعيات سرية استمضو عنها في سنة ١٨٥٠ ميلادية بتأسيس هيئة دينية سنية حنفية المذهب تحت رياسة « القالي » أو القاضي ، وأول رئيس لتلك الهيئة كان عبد الرحمن اخندي وفي سنة ١٩١٠ كان برأسها الامام حسونه في باهيا، وكانت يساعده ثلاثة أئمة في بلدان ريو وبرنامبكو وسيار ، وعندما ثلاثة مساجد ويقومون بأداء فريضة الصوم، وقد عاد كثير منهم الى داهوى منذ سنة ١٨٥٠ ويصدرون أربع جرائد عربية في ريو ، وستا في ساو باولو منها ثلاث إسلامية.

**الجمهورية الفلبينية** — بها ثمانية ألف مسلم من الرحالة ، ولهم ست جرائد، تصدر بالعربية منها اثنتان كانتا مخصصتين لخدمة ملك لحجاز وهما جريدتي « الحاوى » و « يقظة العرب » وقد نزع منهم بعض الأسر الى برنغواي ويورانغواي .

**كوتوميا وفنزويلا** — قد كان يوجد منذ سنة ١٦١٥ إلى سنة ١٧٦٠ من الميلاد بعض جاليات المسلمين من مغاربة الأندلس الذين أبعدوا عن طريق كارتاجينا من الهند . والآن لا يوجد بها أكثر من ألف مسلم من الباعة المتجولين الذين يطلق عليهم في مدينة كارا كاس ( فنزويلا ) اسم التركوس .

سورينام ( غيانة الهولندية ) — إن عدد المسلمين بها يبلغ ثلث سكانها الذين بلغ تعدادهم في سنة ١٩١٩ مائة وسبعة آلاف وثمانمائة وسبعاً وعشرين ، ومن بين المسلمين نحو عشرة آلاف من زنوج افريقيا الذين جاءوا اليها منذ القرن الثامن عشر كأرقاء من ذوى البشرة الكستانية ، وهم يتكلمون لغة تدعى « البوش » وألقوا بينهم الجمعيات السرية سوء من الذين يقبعون المذهب الروحاني فيرجمون جميع الأشياء حتى العقلية الى لروح وأصلهم من بلاد دهموى ، أو من الذين لم يكمل إسلامهم وهم يعيشون في أطراف الغابات ، ونحو عشرين ألفاً من العمال المسلمين الرحل ومن بين هؤلاء ١٢٧٨٥ من أهالى ماليزيا ( البالغ تعدادهم ٢٠٨١٤ ) وسبعة آلاف من الهنود .

غيانة الفرنسية وجزر الدومنيك الاقترن — كان يوجد بها ٦٧٥٠ مسلم في سنة ١٩٠٨ حسب ما جاء في بعض الإحصائيات التركية .

غيانة البريطانية — بلغ عدد سكانها في سنة ١٩٢١ ثلاثمائة وعشرة آلاف ، منهم ١٣٤٧٨٥ عاملاً استجلبوا من الهند ، ومن بين هؤلاء ١٨٢١٢ مسلم .

جزيرة التربيداد — كان عدد سكانها سنة ١٩٢١ — ١٩١٣ ٣٦٥٩١٣ منهم ١٢٨٥٠٠ من العمال الذين استجلبوا من الهند من بين هؤلاء ١٧٦٩١ مسلماً حاولوا تأسيس طريقة أحمدية ومائة وخمسين ألف من زنوج أفريقية الذين لا يزال يوجد بينهم بعض آثار للإسلام .

جزيرة جابيطا — يوجد من بين سكان هذه الجزيرة البالغ عددهم سنة ١٩٢١ — ١٨٨٨ ٨٥٨ نفساً منهم ١٨٩١٢ عاملاً استجلبوا من الهند ومن بين هؤلاء ٥٠٠٠ مسلم . ومن بين ٦٦٠٠٠ زنجى من زنوج أفريقيا (المتنزهين بالمذهب الروحي أو المتنصرين) يوجد عدد منهم ينتمى للجمعيات سرية نصف إسلامية من نوع الهاووسه في نيجيريا م

favours to you; then the kindred on account of their relationship, and according to their proper degree of kinship, then the orphans who lost their providor and found nowhere to turn to; then the poor and needy; and lastly kindly treatment to all others.

Islam insisted on the kindly treatment of the neighbour so much so that the Prophet Mohammad saith in this connection:

«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (حديث)

*meaning:* "So often did Gabriel exhort me to kindly treatment of the neighbour, that I belthought he will succeed him". (Tradition.)

It urged strongly to doing good unto all people whether you happen to know them or not. Nay but it goes further still and ordains the clearance of impediments which might cause harm, from the path of people and considers such act a sign of true belief.

Nor was the social side neglected in Islam, good manners were insisted upon to such an extent that the eating of garlic and onions was forbidden before going to a meeting or visiting a mosque so that the susceptibilities of other people may not be offended.

Islam ordained cleanliness. It prescribed, over and above the daily ablution, bathing one's self as an essential obligation particularly on Friday on account of the congregation that takes place on that day for prayer.

Not only has Islam urged to cleanliness as pointed out before but it requested further to have one's self scented. In short, it requested you to afford your brethren-in-Islam all possible pleasure and happiness and promised you the highest recompense thereof.

Islam united the believers with the strongest of bonds the bond of brotherhood which God hath fostered between them and made them thereby one family despite the difference of their races and the distances that separate their countries:

«أما للمؤمنون أخوة»

"Verily the believers are but brethren".

It insisted on the love of one another so much so that true belief was made conditional thereupon for thus it saith.

«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا» (حديث)

*meaning:* "Ye shall not enter heavens until ye believe. and ye shall not believe until ye love one another", (Tradition.)



We will now proceed to consider the teachings of Islam in some detail.

Islam ordained to seek your own welfare, that of your own people, your neighbours and all others. It forbade to expose yourself to danger as ordained in the verse :

«ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»

"God ordains not to throw yourselves with your own hands into destruction".  
(Baidawy's Commentary.)

It forcibly warned against committing suicide and acted as a deterrent, through the love and veneration of God which it engendered in the hearts of men, to restrain people from recklessly exposing themselves to danger and rushing headlong into destruction.

Man-made laws exercise no such influence over mankind and utterly fail in restraining people from committing suicide. Hence the prevalence of this evil in Europe and America the land of laws and civilisation!

Islam enjoins esteem and kindly treatment of the wife for thus the tradition ordains.

«خيركم من كان خيره لأهله وشركم من كان شره لأهله» (حديث)

meaning: "The best of you is he who is benevolent unto his people, and the worst of you is he who is malevolent unto them", (Tradition.)

also:

«إن الرجل ليحشر مع المتجبرين يوم القيامة وليس عنده غير أهل بيته» (حديث)

meaning: "Verily, man will be huddled together with the overbearing tyrants on the day of resurrection yet he has had no others to ill-treat except his own folk". (Tradition.)

The Holy Koran prescribes:

«لا تعبدون إلا الله وهو الواسع إحساناً وذو القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس قولا حسناً»

"God ordains to worship none but Him, to be kind and benevolent to parents, the kindred, the orphans and the poor, and to treat all people in a kindly way"

It first of all enjoined the worship of one God for He is the source of all good, then it ordained benevolence towards the parents on account of their love and

ride them and make use thereof for pageantry : and other things which ye know not, apart from those referred to, doth He create", (*Alucy's Commentary*)

"which ye know not" may be taken to include such vehicles. It is significant that they were alluded to after horses and mules which sequence corresponds with the obtaining order of things.

It is feasible to deduce that the earth was a part of the sun as established by astronomers at the present, from the verse:

« أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما »

"Have the unbelievers not known that the heavens and the earth were joined together in one solid mass and that God hath separated them and distinguished their phases", (*Alucy's Commentary*)

Again it could be easily elicited that the heavens were composed of nebulae (1) or diffused gaseous matter from the verse

« ثم استوى الى السماء وهي دخان »

"After the creation of the earth, God applied himself to the creation of the heavens which was vapour" (*Alucy's & Ibn Kathir Commentaries.*)

We do not suggest that this is definitely the meaning of the verse because it has not been as yet, definitely established by science; but we do wish to point out that the Koran does not contradict the facts established by science; nor is it unyielding to the proofs thereof to deserve to be called an enemy of science as is alleged by wily missionaries and misinformed Christians who know nothing about Islam.

Many European philosophers have, however, commended the Moslem Religion and its teachings.

"He who practices the tenets of cleanliness ordained by the Moslem Religion, never will he commit a sin or perpetrate a crime", says Bentham (2), the great English philosopher and one of Europe's most able men of letters.

Societies in Europe and America have been established to promulgate a new religion which they call "the natural religion" all the fundamental principles thereof are identical with those of the Moslem Religion. Nay but the tenets of Islam are for more perfect and comprehensive

(1) The nebular hypothesis expounded by Laplace and Sir W. Herchel to the effect that nebulae form the earliest stage in the formation of stars and planets.

(2) Jeremy Bentham 1748-1832) exponent of doctrine of utilitarianism summed up by Priestly as "the greatest happiness of the greatest number"

« وسنريهم آياتنا في الآفاق » and

“ God declared that He will shew his signs to the unbelievers in the Islamic conquests in all directions, east, west, north and south achieved by the Prophet, his successors and his companions.” *(Alucy's Commentary.)*

Recent discoveries have disclosed many undreamt of marvels of heavens and earth to which the Koran referred long before.

In this connection we should allude here to the possible meanings which many Koranic verses may be taken to imply. The rotation of the earth for instance could be implied in the verse:

« وكل في ملك يسبحون »

“ And each one, doth journey in an assigned orbit ”; *(Alucy's Commentary)*

after referring to the sun and the moon and that is why they were referred to in the verse in the plural form: « يسبحون »

In fact, the Koran does not contradict anything which true science has definitely established and very often include a reference to scientific facts or is at least amenable thereto.

The verse:

« وخلقنا لهم من مثله ما يركبون »

“ And that God hath created of the like of arks such other things as camels, ships, boats, etc.”; *(Baidawy's Commentary.)*

directly following the verse:

« وآية لهم أنا حملنا ذريتهم »

“ And a sign unto the unbelievers is that God hath caused their sons to embark on full-laden arks in pursuit of trade ” *(Baidawy's Commentary).*

may be taken to refer to airships.

Aeroplanes, tram-cars, motor-cars and other modern vehicles are alluded to in the verse :

« والخيول والجمال والحير لتركبوها وزينة ويحلق ما لا تعلمون »

“ God hath created among other animals, horses, mules and asses that ye may



The Koran recognised the continual regeneration in man and that the tissues of the human body are periodically destroyed and renewed. The processes of decomposition and regeneration are ever taking place.

The Koran has further foretold the persecution of the Jews and their continued suffering under the yoke of others as testified by the verse

« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُمَتِّنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يُسُوءُ الْغَنَابَ »

" And God hath declared that He would surely send against the Jews, until the end of the world, those who would inflict on them severe punishment and subject them to tyranny and humiliation." *(Alucy's Commentary.)*

In fulfillment of the above, the Jews were scattered all over the world. They were ruthlessly persecuted by the French in Algiers and hounded down and banished by the Russians and were, therewithal, hated and despised wherever they set foot.

Nor was that the only prophecy that came true. The Koran prophesied many future events as testified by the following verses :

« سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ »

" The host of unbelievers shall be utterly routed and shall take to their heels in the battle of Bedr "; *(Alucy's Commentary.)*

and « وَلَنْ يَشْتَرُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ »

" The Jews who worshipped the calf, claimed that Paradise is exclusively assigned to them to the exclusion of all other people. In refutation of their claims they were challenged to wish for death if they were so sure of going to heavens, but never will they wish for it on account of the sins they have committed which rendered them liable to hell-fire "; *(Baidawy's Commentary)*

and « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ »

" The Moslems were promised to enter Mecca in full security and this verse was revealed to the effect that they will enter the Sacred Mosque in Mecca, which entry was materialised soon after "; *(Alucy's Commentary)*

and « وَهُمْ مِنْ جَدِّ غُلَامٍ سَيَقْلِبُونَ »

" The Persian defeated the Greeks in the nearest boundary town to them. The unbelievers of Mecca rejoiced at their victory as the Persians were unbelievers like themselves and the Greeks were followers of Scriptures like the Moslems. This verse was thus revealed foretelling a victory of the Greeks over the Persians and was fulfilled a few years later "; *(Baidawy's Commentary)*

Yet another discovery is the recognition of the advantages derived from ablution. Not only it is effectual against mouth and nose diseases, but it is one of the most important preventive measures against consumption, the nose being the chief medium through which this virulent disease is contracted.

Small wonder therefore, that noses which are washed fifteen times a day should be completely free from the germs of this malignant malady. It is significant in this connection, that cases of consumption in Moslem countries are few and far between whereas they are decidedly more prevalent in other countries.

Again the Koran proclaimed that men were created out of dust, a fact which was completely unrecognised at the time of its revelation, as signified by the verse :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ »

" And of the signs of God is that He hath created mankind out of mere sorry dust that has the least conceivable connection with their life, and then caused them to spread far and wide on earth." *(Alucy's Commentary)*

This fact is now as clear as it is indisputable. The germ of life owes its origin to nutriments derived from animals dependent for their life on plants, or from plants produced directly from earth.

Again the following verse is significant :

« وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَاجِلَ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ »

" God causeth hail to descend in copious measures from the clouds accumulating into the like of mountains." *(Kashaf's Commentary)*

It is established that snow forms mountains of ice which float on the surface of the sea and are called icebergs, a German word meaning mountain of ice. It so happened in 1912 that the *Titanic*, the world's biggest liner at the time, owned by the White Star Line Company came into collision with one of these icebergs floating on the surface of the Atlantic. The *Titanic* had a displacement of 46,000 tons and the number of passengers on board was no less than 2500. Its formidable frame could not withstand the impact with that huge monster and it floundered to the deep despite the fact that it was the world's biggest ship at the time.

No less pregnant with significance, is the verse :

« بَلْ هُمْ فِي لِسْنِ خَلْقٍ جَدِيدٍ »

" God hath caused the first creation, but men are dubious of a regeneration of a new one " *(Alucy's Commentary)*

until recent discoveries have disclosed that the Sun is greater than the earth a million and three hundred thousand times and that the Sirius is many times greater than the Sun and that the light of the Sun is one fiftieth of the light of the Sirius.

Through the development of natural sciences, many astronomical, medical and geographical facts referred to in the Koran were definitely established. Nor did social, ethical and economic questions lack corroboration. Recent scientific and philosophical researches have fully born out the concepts of Islam.

Some of these concepts pertaining to the hereafter and the spirit world, have long been made the object of derision and ridicule. The establishment by Islam of spiritual apart from material worlds was considered mythical and absurd. It was not until a faint ray of light from that prodigious world has filtered through to us by means of spiritualism, which is already fast becoming an established fact, that the deriders of Islam realised their mistake and were convinced of what the Koran says :

« وما يعلم حدود ربك إلا هو »

" And none is apprised of the varieties of God's creatures, including the angels referred to in a preceeding verse, but the Lord Himself. "

*(Alucy's Commentary)*

They knew, through the manifestations of the spirit which has broken all material laws, the secret of the Lord's saying :

« قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

" The spirit which is the cause of life is a hidden secret which the minds of men fail to comprehend and whose reality is but known to God. The knowledge of men in that respect is but an iota compared with the infinite knowledge of God. "

*(Alucy's Commentary.)*

Among other corroborative discoveries, is the forbiddance of water contained in a copper vessel and left exposed to the sun in hot climes on account of the chemical reaction that takes place.

Another discovery is that of eating salt which certain Islamic traditions hold to be an effectual cure of many diseases. Medical men were at first dubious regarding its efficacy and were disinclined to endow common salt with such curative properties. The discovery, however, was made and the facts thereof published in medical journals, the discoverer having shown that a hypodermic injection of salt solution is a sure remedy of many ailments (1).

---

(1) Dose 8 grammes of salt to every 1000 grammes of water injected under the skin

مترجمة عن كتاب « رسائل السلام » لمحمدة صاحب العصيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى

## ISLAM

### THE IDEAL RELIGION<sup>(1)</sup>.

(Continued).

The Holy Koran contains, moreover, the most striking references to animals which caused the scientists of Europe no small amazement. An orientalist is said to have remarked in this connection that there is nothing more clearly significant of the importance of animals than the Koranic verse :

« وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجحجه إلا أمم أمثالكم »

" No kind of beast is there living on the surface of the earth in any region thereof, nor bird that flieth in any cove with its wings, but are communities like you whose functions and conditions of life are ordained from on high, and whose interests are maintained and controlled by means of judicious laws in accordance with God's ministrations. " (Alucy's Commentary.)

Again, we were not aware of the magnitude of the Sirius<sup>(2)</sup> to which the Koran referred in the verse :

« وإنه هو رب السمى »

" And that God is the absolute Lord of the Sirius which was worshipped before Islam to the exclusion of God " (Alucy's Commentary.)

---

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef El Digwy's Book. "Messages of Peace"

(2) The Dogstar or Canicula, the brightest star in the heavens, situated in the constellation of Canis Major, or the Great Dog.



فَدَعَا كَرَمَ الْقَوْمِ وَوَكَّلَ مِنْهُمْ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَ رِضْوَانِهِ سَلَامًا  
وَبَرَكَةً بِرَأْسِ الْفَلَكِ إِلَى التَّوْبَةِ وَكَوْنِهِمْ فِي حَضْرَةِ شَيْخِهِ

# بِفَيْءِ الْأَسْئَلَةِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

المجلد الثاني

ربيع الثاني سنة ١٣٥٠

الجزء الرابع

رئيس التحرير

البر

محمد الحضر حسين

من عمدة الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد الحليم بن عبد الله

المستشار بمحكمة الاستئناف سابقاً  
ومن أعضاء مجلس الأهرام الأمل

## الاشتراك

- داحل القطر المصري ..... ٤٠  
للمعاهد غير امدسية وطلبة المعاهد والمدارس ..... ٢٠  
خارج القطر المصري ..... ٥٠  
طلبة المعاهد والمدارس ..... ٣٠

## الإدارة

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١

تلفون : ٢٥٠٧

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

بماثل أئمة المساجد والمأدبون ومعلمو المدارس الأولية والمعالم معاملة الطلاب

ونعى الجزء الواحد ٣ صاع داحل القطر و ٤ خارجة

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٠ - ١٩٣١





## الإمامة في العلم

فلاح الأمة في صلاح أعمالها ، وصلاح أعمالها في صحة علومها ، وصحة علومها أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصفون ، فمن تحدث في العلم بغير أمانة فقد مس العلم بقرحة ، ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة .

لا تخلو الطوائف المنتمية الى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسمى فضيلة ، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة ، وأمثال هؤلاء لا نجد الأمانة في نفوسهم مستقرا ، فلا يتخرجون أن يرووا ما لم يسمعوا ، أو يصفوا ما لم يعلموا ، وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم الى نقد الرجال وتمييز من يسرف في القول عن يصوغه على قدر ما يعلم ، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه ، فلا تخفى عليهم منزلته من القطع بصدقه أو كذبه ، أو رجحان أحدهما على الآخر ، أو احتياطيها على سواء .

قيض الله للسنة النبوية رجالا أشربوا في قلوبهم التقوى ، فنهجوا في روايتها نهج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يروون إلا ما وثقوا من صحته ، وهم بعد هذا الاحتراس البالغ على فريقين : فريق يحافظون في الرواية على الألفاظ لا يغيرون منها حرفا ، ومن أصحاب هذه الطريقة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ورجاء بن حيوة ، ومحمد بن سيرين .

وفريق من أولئك الراشدين يحافظون فيما يروون من الحديث على الدنى ، ولم يروا بأسا في التعبير عنه بلفظ غير لفظ الرواية على شرط أن يؤدي المعنى كما هو ، ومن أصحاب هذه الطريقة الحسن البصري ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي .

اندى بين هؤلاء الأئمة أشخاص يقتضاهون في الاستخفاف بصدق الابهجة ، ويحتفون في الأغراض التي دعتهم إلى هذا لاستخفاف ، ففهم الجاهل الذي يحسب أن من طرق الإحسان إلى الدين وضع أحاديث للترغيب في بعض مآذبه إليه من أعمال صالحة ، كما وضع نوح بن أبي مريم أحاديث في فضل سور القرآن ، وقال : رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ أبي خيفة ومنازى ابن اسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة .

ومنهم المغلوب على رشده : يضع الحديث لنحو تأييد مذهب أو إصابة عرض رائل كأن يصنع حديثاً فيما يوافق هوى ذي سلطان ليزداد عنده خطوة ، مثل غياث ابن ابراهيم رأى المهدي يلعب بالحمام ، فتصرف في حديث ( لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر ) فزاد فيه ( أو جناح ) وقد شاء الله تعالى أن يتنبه المهدي لهذه الخيانة ، فأُتِبَ غيائنا وترك الحمام وأمر بدبحها .

ومنهم الزديق : يضع أحاديث ليفسد القلوب ويزعزع الإيمان كما وضع بعض عباد الأوثان حديث « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لثفمه » .

ونهى باللغة العربية وآدابها رجال طبعوا على لأمانة ، مثل أبي عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبي ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والأصمعي ، وابن الأعرابي ، وأبي عمرو الشيباني ، ومحمد بن مسلم الدينوري ، ولم تخلص اللغة وآدابها من أن يفتنى إليها نفر لا يتحاشون أن يدخلوا فيها ما ليس من حقائقها ، كقطرب<sup>(١)</sup> ، وحماد الراوية ، ولولا العلماء الذين ينقدون ما يرويه أمثال هؤلاء لأصبحت اللغة فساد كبير .

وللتاريخ الفسط الأوفر من اختلاق الرواة وتزوير الكتّاب ، فكم من حقائق شاختة حاولوا أن يذهبوا بها هباء ، وكم من سير نقية أخرجوها في صورة ما يستحق

(١) كان متبهاً لى رأيه وروايته عن العرب ( مقدمة التهذيب لأبي منصور الأزهري ) .



هجماء ، وسير مدنسة ألبسوها ثوب ما يستأهل ثناء ، ومن ناحية المحرومين من نعمة الإمامة في العلم صدرت كتب مثل كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة - وصفت كثيراً من أفاضل السلف في غير إنصاف ، وولدت في أعراض الصحابة ومم خير أمة أخرجت للناس ، وقد حذر أهل العلم من التسرع الى تسليم ما يكتبه المؤرخون في شأنهم ، وإنما يعول في أخبارهم على الروايات الموثوق بها كالأخبار الواردة على طريق علماء الحديث .

وكذلك ترى في غير الحديث واللغة والتاريخ من العلوم رهطاً يمسونها بأيديهم غير مؤمنة ، ويحشرون فيها ما لا يصح رواية أو لا يقبل دراية ، فيتناولها الجهابذة بالنقد ، فينفون خبثها كما تنفي النار خبث الحديد .

فالإمامة زينة العلم وروحه الذي يجعله زاكي الثمر لذيذ المضم ، وإذا قلبت النظر في تراجم رجال العلم ، رأيت بين العالم الأمين وفريته غير الأمين يوماً شامساً ، ترى الأول في مكانة محفوفة بالوقار ، وانتفاع الناس منه في زدياد ، وترى الثاني في منزلة صاغرة ، ونفوس طلاب العلم منصرفة عن الأخذ عنه أو متباطئة .

وقد تقرأ كتاباً قترأه حافلاً بالمسائل النادرة ، فيكبر صاحبه في عينك ، ومتى عرفت أنه من المطعون في أمانتهم ، شعرت بأن شطراً من ذلك الإكبار قد ذهب ، وغالطك الريب في صحة ما أعجبت به من المسائل الراجعة الى الرواية .

كيف تكون منزلة الجاحظ عندك لو درست حياته فخرجت ماثلاً يدك بالثقة من أنه راوية أمين ؟ لا أشك في أن الإمامة ذا محازت الى مثل ذلك ، الجاحظ وسعة اطلاعه بلغ صاحبها في الشرف والسؤدد المكانة القصوى ، ولكك تقرأ ما شهد به بعض<sup>(١)</sup> نافدى علماء العربية من أن الجاحظ غير مأمون فيما يروي ، فلا يبقى في نفسك من احترامه إلا ما جاءها من ناحية سعة علمه وبراعة بيانه . ولا أظنك بعد أن تعلم أن

(١) أبو منصور الأزهري في مقدمات كتاب التهذيب .

أبا الفرج الأصهباني صاحب كتاب الأغاني غير معدود فيمن يُطمأن إلى روايته <sup>(١)</sup> إلا أن تقرأ كتاب الأغاني على أنه كتاب أدب يجمع بين الصحيح والسقيم ، حتى إذا أردت تحقيق موضوع تاريخي ، لم تعمل على ما ينفرد بروايته فتورده كما تورده ما يرويه ابن جرير الطبري مثلاً — وأنت مطمئن إليه ، ولو كنت إذ درست حياة أبي الفرج وجدتها خالصة مما يندش في أمانته لأخذ في نفسك مكانة فوق المكانة التي حازها من جهة سعة اطلاعه وإتقانه لصناعة التأليف .

فالرجل الذي يكون على جانب من العلم ولا يتصرف فيه بأمانة حصينة ، يرمقه الناس بازدراء ، وتذهب ثقتهم به فلا يكادون يتفهمون بما يحكمهم أن يتفغوا به من معلوماته الصحيحة ، وهذا صاعد بن الحسين البغدادي — دخل قرطبة أيام المنصور بن أبي عامر ، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار ، ولكن أهل العلم اختبروه فوجدوه يتنقّ بالكذب ، فأعرضوا عنه ولم يأخذوا منه شيئاً ، وألف كتاباً سماه الفصوص نحافيه نحو الأملالي لأبي علي القالي فغلب شؤم ما فيه من كذب على ما فيه من صدق ، وكان شكرهم لهذا الكتاب أن طرحوه في النهر .

قد يقع الرجل في حال يرى أن الاعتراف فيه بالجهل يذهب بشيء من احترام سائليه له ، فيقف بين داعيين : فضيلة الأمانة تدعوه إلى أن يقول « لا أدري » وحرصه على أن يبقى احترامه في نفوس سائليه غير منقوص يدعوه إلى أن يستمد من غير الحقيقة جواباً ، وفي مثل هذا الحال يظهر مقدار صلة العالم بعزبة الأمانة ، فإن كان راسخاً فيها رسوخ الجبل تشد به العواصف فلا ترحزه فيد شجرة ، أجاب داعيها ، واستيقن أن الاحترام الحق في الوقوف عند حدودها ، وإن كانت الأمانة كلمة يقوطها بنمه ويسمها بأذنه دون أن تتخلل مسلك الروح منه ، آثر لذة الاحترام في ذلك للشهد ، وأجاب بما ليس له به علم ، حضر بعض أدباء المغرب مجلس السلطان اسماعيل أو ابنه محمد ،

(١) انظر جيون التواريخ لابن شاکر .

وقرأ هذا لأديب بين يديه صحيفة، خاتمت كلمة «الوخيد»<sup>(١)</sup> فقرأها «الوخيد» بالذال المعجمة، فأرجعه السلطان، فقال ذلك الأديب: إنه بالمعجمة والمهملة، فطلب منه شاهداً على ذلك فارتجبل:

أقول لصاحبي لما ارتحلنا وأشرعنا النجائب في الوخيد  
نمتع من لذية كلام حورا فما بعد المشية من لذيذ

وإذا كان هذا الأديب قد خرج من مجلس السلطان في ستر، فقد لقي مايقامه المتعجب بحق الأمانة في العلم، فافتضح أمره، ووعت صحف التاريخ حديثه، فأزرى بقدره. وإذا أبديت في العلم رأياً، ثم أراك الدليل القاطع أو الراجح أن الحق في غير ما أبديت، ففتضى الأمانة أن تصدع الاستبان لك أنه الحق، ولا بمنصتك من لجهريه أن تنسب إلى سوء النظر فيما رأيته سالفاً، فأنت إلا بشر، وما كان لبشر أن يرى نفسه من الخطأ، ويدعى أنه لم يقل ولن يقول في حياته إلا صواباً، والأمانة هي التي كانت تحمل كبار أهل العلم على أن يمتنوا في الناس رجوعهم عن كثير من آراء علمية أو اجتهادات دينية تبينوا أنهم لم يقولوا فيها قولاً سديداً، تجده هذه الفضيلة في الأئمة المقتدى بهم كمالك بن أنس وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل، والفتاوى التي رجع عنها أمثال هؤلاء العظماء منبهاً عليها في كتب الأحكام، ولا يمد شيء منها فيما يصح لاقتداء به إلا أن يراه بعض المجتهدين صحيح الاستنباط ثابت الأصل لحكمه العمل على ما رأى.

يُسأل العالم ذو الخلق العظيم عما لا يعلم، فلا يجد في صدره حرجاً أن يقول «لا أعلم» وهذه سيرة علمائنا الأجلاء، يلقي على الواحد منهم السؤال في العلم الذي علا فيه كعبه، فإذا لم يحضره الجواب أطلق لسانه بكلمة «لا أدري» غير مستنكف ولا مبال بما يكون لها من لا أثر في نفوس السائلين، وإذا فاته أن يجيب طالب العلم عما سأل، لم يفته أن يعلمه خلقاً شرها هو أن لا يتحدث في العلم إلا على بصيرة، فيحفظ مقامه من أن يرى

بضعف الرأي إن كانت المسألة من قبيل الدراية، أو بقلة الأمانة إن كانت عائدة إلى الرواية، ولأن يقال: سئل فقال: لا أدري، خير من أن يقال: سئل فقال خطأ، أو روى ما لم يكن واقعا. قال ابن هرمز: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول «لا أدري».

والسائل التي قال فيها كبار العلماء «لا أدري» بالغة من الكثرة ما لا يحيط به حساب، سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة، وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة أشهر من المغرب، فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها، قل: ومن يعلمها؟ قال: من علمه الله؛ وسأله آخر عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب، فقال: «ما أدري ما هي» فقال الرجل: يا أبا عبد الله تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك، فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أنني لا أحسن، وقال الكاتبون في سيرته: لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك «لا أدري» لفعل.

ونقرأ في سيرة الشعبي أنه سئل عن مسألة فقال «لا أدري» فقال له السائل: فبأي شيء تأخذون رزق السلطان؟ فقال: لا أقول فيما لا أدري «لا أدري».

ومن شوه أمانة محمد بن الأعرابي أن محمد بن حبيب سأله في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شمر الطرماح، فكان يقول: لا أدري، ولم أسمع، أفأحدث لك برأيي:

وقد تحسّن الرجل ذاكرته أو تأخذه غفلة فيقع لسانه في خطأ، ويُنبّه بعد أو يتنبّه من نفسه إلى هفوته، فإن كان على حظ عظيم من الأمانة بادر إلى إصلاح خطائه بنفسه غير مستنكف من الاعتراف بما أخذه من ذهول قلب أو غلط لسان، حضر أبو بكر بن العربي<sup>(١)</sup> مجلس أبي الفضل النحوي فسمعه يقول: طلق رسول الله صلى الله

(١) هكذا وردت هذه النسخة في كتاب المائتي لابن رashed الغنمي وأوردتها أبو بكر بن العربي في كتاب الأحكام على أنها وقت لمحمد بن قاسم الثمالي حين حضر مجلس أبي الفضل الجوهري.

عليه وسلم ، وآلى ، وظاهر ، فلما انصرف قصده الى منزله ، وقال له : أصلحك الله : قلت :  
 إنه صلى الله عليه وسلم طلق وآلى وظاهر ، وإنه صلى الله عليه وسلم لم يظاهر ، فإن الله  
 جعل الظهار منكرا من القول وزورا ، فكان من أبي الفضل أن شكره ، ومن الغد  
 قال أبو الفضل لأهل مجلسه بعد أن قرب ابن العربي اليه : إني قد قلت لكم بالأمس :  
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق وآلى وظاهر ، وإن هذا أُرشدني الى أنه  
 لم يظاهر ، وهو كما قال ، وإنه شيخى في هذه المسألة .

من الأمانة الرجوع الى الحق ، وهو كمال لا تحرص عليه إلا نفوس ذلت لها  
 سبل المكارم تذليلا ، ومن الأمانة أن تنقذ الآراء ولا تفض فيما تراه باطلا وإن  
 كان يملك وبين صاحبها صلة الصداقة أو القربى ، قدم أبو جعفر أحمد بن يوسف القهرى  
 للملك المستنصر في تونس كتابا في النحو ، فدفعه المستنصر للأستاذ أبي الحسن حازم ،  
 فزار أبو جعفر حازما يوما ، فرأى الكتاب بين يديه ، فقال له يا أبا الحسن « وعين الرضا  
 عن كل عيب كليله » فقال له حازم : أنت سيدي وأخي ، والعلم لا يحتمل للمداينة ،  
 فقال له أبو جعفر : فأخبرني بما عثرت عليه ، فأراه مواضع فسلمها وأصلحها بخطه

ومن أمانة العالم أن لا يفتى أو يقضى بما يراه باطلا ، فحرام عليه أن يفتى أو يقضى  
 برأى غيره وهو لا يتردد في بطلانه ، ويبقى النظر في المسائل التي تعود الى الاجتهاد  
 ولا يتعدى حكمها مراتب الظنون ، وهذا ما يمكن أن يكون موضع اختلاف الفقهاء  
 في قضاء العالم أو إفتائه بغير مذهبه ، كأن يقضى بين خصمين من أتباع بعض المذاهب  
 على مقتضى المذهب الذى تقلده . كان العالم الجليل قاسم بن محمد بن سيار يفتى  
 في الأندلس بمذهب مالك وهو يخالفه في كثير من المسائل ، فقال له أحمد بن خالد : أراك  
 تفتى الناس بما لا تعتقد ، وهذا لا يحل لك ، فقال : إنما يسألوننى عن مذهب جري  
 في البلد فعرف ، فأفتيهم به ، ولو سألونى عن مذهبي لأخبرتهم به .

ويسهل على العالم السبيل لا إفتاء القوم بمذهب إمام تقلدوه أن المجتهد وإن خالف غيره من المجتهدين في بعض الأحكام المستنبطة، يرى أن عبادات كل مجتهد ومن يقلدونه في مذهبه صحيحة، لأنها قائمة على الاجتهاد الذي هو أقصى ما كلفهم الله بالعمل عليه، وليس عليهم أن يكون اجتهادهم مطابقا لما هو الصواب عند الله.

ومن لا يميز للعالم أن يحكم بمذهب غير راجح في نظره أبو بكر الطرطوشي، فإنه كان ينكر ما يفعله ولاية قرطبة من أنهم إذا ولوا أحدا القضاء شرطوا عليه أن لا يخرج عن قول ابن القاسم، وقال: هذا جهل عظيم.

والحق أن ولاية القضاء المتبعين لمذهب بعض الأئمة المقتدى بهم — عند فقد المجتهدين — صحيحة، ولولى الأمر أن يشترط عليهم الحكم بالشهور أو الراجح في مذهب يمينه عند الولاية، ضبطاً للأحكام وسداً لأبواب اتباع الأهواء، ولا حرج في قضائهم على هذا الشرط وإن حكموا بما لا تطمئن إليه نفوسهم، فإن آراء من لم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق أو المقيد تسقط أمام آراء المجتهدين، وليس لها في نظر الشارع من قيمة، أما بالنسبة لرتبة الاجتهاد فليس له أن يحكم بشيء ما قامت الأدلة القاطنة أو الراجعة على أنه حكم الله الذي شرع لعباده.

وإذا كانت الأمانة في العلم منبع حياة الأمم وأساس عظمتها، زيادة على أنها الخصلة التي تكسب صاحبها وقاراً وجلالة، كان حقاً علينا أن نعطف على نشئنا من طلاب العلم، وتتخذ كل وسيلة إلى أن نخرجهم أمناً فيما يروون أو يصفون، ذلك بأن نتحرى في دروسنا الأمانة فيما نروي، ولا نجيب سؤا لهم إلا بما ندرى أو بقولنا «لا ندرى» وإذا أوردنا رأياً استبقنا بعداً أنه مأخوذ من غير أصل، قلنا لهم في صراحة: قد أخطأنا في الفهم، أو خرجنا على ما تقتضيه أصول العلم.

ومن أساليب تلقينهم الامانة في العلم أن تتلقى مفاشاتهم بصدر رحب ، ولا تقتل آراءهم بالكلمات الجارحة ، أو تتعسف في ردها فندافعها بما نعتقد في أنفسنا أنه غير كاف لدفعها .

وعلى الأستاذ بعد أن يقوم بحق الامانة ملاحظة سير الطلاب حتى اذا وقع أحدهم فيما يدل على أنه غافل عن رفعة شأنها وغزارة فوائدها ، أرشده الى أن العلم بغير امانة شر من الجهل ، وأن ذكاء لا يصاحبه صدق اللهجة نكبة على العقل (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّهُ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) مـ

محمد الحضر حسين

## النظر في الملح

خطب سعيد بن شريك بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق . فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل . ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان قتل بالسيف ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

\*\*\*

هيا أبو الهول الحيمري الفصل بن يحيى ثم أتمناه راغب إليه ، فقال له الفضل : وذلك بأني وجه تلقائي ؟ قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر ، فضحك ووصله .

# النفس

## سورة الملك

٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ) .

#### تفسيرات لغوية عامة

الخلقُ هنا هو إبداع الشيء من غير أن يكون هناك أصل سابق يقلده الخالق ، ولا مثلاً يقيس عليه ويحتذيه . والخلق بهذا المعنى لا يكون إلا لله القدير على كل شيء ، ولهذا قال سبحانه في بيان الفصل والفرق العظيم بينه وبين ما اتخذوه آلهة من دونه : ( أَفَنَبْخَلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ ) .

أما الخلقُ بمعنى تحويل الشيء من حال الى حال ، ونقله من صفة الى صفة ، فقد أعطاه الله تعالى بعض خلقه في بعض الأحوال ، كما أعطى سيدنا عيسى عليه السلام تحويل الطين من صفة الطينية الى صفة الطيرية حيث قال : ( وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ) .



والسموات جمع سماء، وسماء كل شيء أعلاه، كما أن أرض كل شيء أسفله،  
ومن ذلك قول الشاعر يصف فرسا:

وَأَتَمَرَ كَالدَّيْبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ      فَرِيًّا وَأَمَّا أَرْضُهُ فَحَوْلُ

يريد أن ظهره ممتلئ وأن بطنه ضامر.

والطباق جمع طبق كجبل وجبال، أو جمع طبقة كرحبة ورحاب، والطبق والطبقة  
(ومثلها الطريقة في أحد معنيها كما سنبينه) كل شيء وُضِعَ فوق غيره وضعا جعل  
جميع أجزاء كل واحد منهما مُسَامِيَةً مُقَابِلَةً لجميع أجزاء الآخر لم يخرج جزء من  
أحدهما عن الآخر.

والمعنى الثاني للطريقة هو الطريق أي السبيل الذي يُسَلَكُ ويسار فيه.

والتفاوت هو الاختلاف وعدم التناسب والتوافق بين الشيئين، بأن يغوت  
ويذهب من أحدهما بعض ما في الآخر فوئا يوجب نقصا واعوجاجا وعدم حكمة.

وَرَجَعَ البصر كرتين هو ترديده في رؤية الشيء وتكرير النظر اليه مرة فمرة  
وهكذا حتى تبين حقيقة ذلك الشيء. فالغرض من تثنية الكثرة التأكيد لا الحصر  
في اثنتين فقط، وهذا استعمال معهود في لسان العرب: يُثْنُونَ الكلمة ويريدون ما هو  
أكثر من الثنية، كقولهم لَبَّيْكَ وَسَمْعُكَ وَحَنَانُكَ.

وَالْفُطُورُ جمع فطر، وهو الصدع والشق.

وانقلاب البصر خاسئا هو رجوعه الى حالته قبل النظر قارئا ساكنا منصرفا عن  
النظر في خلق الرحمن، صاغرا مهينا متعبرا لعدم عثوره على تفاوت ما.

والحسير هو الكليل التعب، ينقطع عن الوصول الى النهاية التي كان يريد  
الوصول اليها.

## التفسير

أَيَقِظُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عَقُولَ الْعِبَادِ إِلَى النَّظَرِ فِي آثَارِ قُدْرَتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَحِكْمِهِ وَآيَاتِهِ فِي الْأَنْفُسِ، مِنْ خَلْقِهِ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَهُمْ أَهْسُنُ عَمَلًا، لِيَعْلَمُوا أَنَّ آثَارَهُ سَبْحَانَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ شَهَادَةٌ صَادِقَةٌ بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَعْقِلُ لِلتَّبَرُّكِ، لِاتِّوَاحِدُ بِالْعَالَمِ وَالْبَقَاءُ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ وَسَائِرُ الْكَمَالِ الْإِلَهِيِّ.

ثُمَّ أَيَقِظُهَا مَرَّةً ثَانِيَةً فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى النَّظَرِ فِي آثَارِ تَصَرُّفِهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْأَفَاقِ، لِيَعْلَمُوا كَذَلِكَ أَنَّ آثَارَهُ عِزِّ شَأْنِهِ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ قَشْدٌ بِمَا شَهِدَتْ بِهِ آثَارُهُ فِي أَنْفُسِ الْعِبَادِ.

قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ السَّمَوَاتِ سَبْعٌ، وَكَذَلِكَ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ أُخَرَ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ سَبْحَانَهُ تَوْجِيهاً لِلْعَقُولِ إِلَى النَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي أَثَرَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنْ آثَارِهِ فِي خَلْقِهِ، كُلُّ مِنْهُمَا شَاهِدٌ صَدِيقٌ بِكَمَالِ اللَّهِ اخْتِلَاقَ الْعَلِيمِ — هَذَا الشَّاهِدَانِ أَحَدُهُمَا عَالَمُ السَّمَوَاتِ الْمُتَعَدِّدِ<sup>(١)</sup> وَثَانِيهَا كَوْنُ عِدْدِهَا سَبْعًا<sup>(٢)</sup> عَلَى مَا سَنُذَكِّرُهُ، وَمِمَّا لَا مِرَاءَ فِيهِ أَنَّ كَوْنَ السَّمَوَاتِ مُتَعَدِّدَةً، وَكَوْنَ عِدْدِهَا سَبْعًا، أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مُسْتَفِيزٌ بَيْنَ الْأُمَمِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا كَمَا سَتَعْرِفُهُ.

وَلِهَذِهِ الشَّهْرَةُ وَالِاسْتِفَاضَةُ كَانَ لِقِصَارِ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ عَلَى ذِكْرِ السَّبْعِ، وَحِينَئِذٍ لَا تَكُونُ هُنَاكَ مُنَافَاةٌ بَيْنَ الْقِصَارِ عَلَى السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ وَالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا إِذَا فُرِضَ أَنَّ الْبَحْثَ وَالنَّظَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ قَدْ أَوْصَلَ الْبَاحِثِينَ النَّظَرِينَ إِلَى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ حَتَّى صَارَتِ السَّمَوَاتُ ثَلَاثًا<sup>(٣)</sup>.

(١) وَالْتِمَادُ يَصْدُقُ عَلَى أَقَلِّ مِنَ السَّبْعِ . (٢) فَذَكَرَ السَّبْعَ لِقِي فِي أَنَّ التَّمَدُّدَ لَيْسَ أَقَلَّ مِنَ السَّبْعِ .

(٣) وَاجِبُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فِي سُرُورَةِ الْبَرَّةِ .

على أننا نعم الآن أن هؤلاء الباحثين قد وصلوا ببعضهم إلى معرفة عالمين سماويين آخرين هما (نبتون واورانوس) فهما تكون السموات تسما، وبهما يزيد عدد الآثار الإلهية الشاهدة بوحديته تعالى وجلاله، وتعلم<sup>(١)</sup> الشهادة قوة وصدقا، ويقوى قيام حجة الله البالغة على أولئك الذين اتخذوا من دونه آلهة أخرى، وبدلوا نعمة الله بكفرا.

قلنا فيما سبق : إن كلا من تعدد السموات وكون عددها سبعا كان معروفا مشهورا بين الأمم القديمة والحديثة، فما يدل على الأول وهو تعددها قول الله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام في حاجته لفرعون وأمنه : ( قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ <sup>(٢)</sup> رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) وقوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم في شأن أمته : ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ) .

ومما يدل على الثاني وهو كونها سبعا قوله عز وجل فيما قصه من حاجة سيدنا نوح عليه السلام إذ قال لقومه : ( أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ) . وقوله سبحانه في صدق حاجة رسولنا صلى الله عليه وسلم لأمنته : ( قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ اللَّهُ ) .

فأنت ترى أن السموات قد ذكرت بلفظ الجمع الدال على التعدد في الآيتين الأولى والثانية، ومعدودة سبعا في الآيتين : الثالثة والرابعة ؛ ولم ينكر أحد من الأمم القديمة كفرعون وقومه وأمة سيدنا نوح عليه السلام، ولا من الأمة الحديثة وهي الأمة المحمدية، كون السموات متعددة، ولا كونها سبعا، مع حرص هذه الأمم كل الحرص على تكذيب رسالهم وظهورهم عليهم في الحاجة .

(١) فإن تعدد الشاهد الماتق أدل وأكثر إثباتا لحق . (٢) أي سيدنا موسى عليه السلام .

وحينئذ لا يكون ذلك الخرس الذي قطعهم عن الحاجة إلا لأن الحاجة التي أقامها عليهم رسالهم قد جاءتهم على رطب ما يعلمون .

زد على ذلك أن انهزامهم من ميدان الحاجة اعتراف ضمنى أى اعتراف بتعدد السموات وأنها سبع كما بلغهم رسالهم الصادقون ؛ على أن بعض الأمم قد اعترف اعترافاً صريحاً بالأمرين معاً ، كما فى الآية الرابعة للمتقدمة ، وهى قوله تعالى : ( قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْمَرْشِ الْمَظِيهِ . سَيَقُولُونَ اللَّهُ ) . وفى قراءة أبى عمرو وسهل ويعقوب ( سَيَقُولُونَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> ) أى الله رب السموات السبع ، وليس بعد هذا إقرار يدلنا على أن الناس كانوا يعلمون تعدد السموات وأن عددها سبع سموات .

ثم إن هذا التعدد لا ينافى التعبير بالافراد فى بعض الآيات كقوله تعالى : ( وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ <sup>(٢)</sup> وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ <sup>(٣)</sup> ) فإن كلمة السماء مفردة فى اللفظ جمع فى المعنى ، ألا ترى قوله تعالى : ( ثُمَّ أُنْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ) . وقوله : ( ثُمَّ أُنْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ) فقوله تعالى : ( فَسَوَّاهُنَّ ) وقوله : ( فَقَضَاهُنَّ ) يدلان على أن كلمة السماء المفردة فى اللفظ هى جمع فى <sup>(٤)</sup> المعنى .

ولعلنا نوفق لإتمام الكلام فى مبحث السموات فى الممدد الآتى إن شاء الله تعالى .

### من مضمون

وكيل مدرستى القضاء الشرعى

ودار العلوم العليا سابقاً

(١) قراءة إثبات اللام مع لفظ الجلالة موافقة فى المسمى لقراءة حذفها ، فإن قولك : من رب هذا ولمن هذا ؟ فى معنى واحد . (٢) تعددتا الكلمة . (٣) قدو وسعة وتعنى غير محدود . (٤) أى أنها اسم جلس فتارة يلاحظ الجمع فى معناها فتعامل معاملة الجمع كجميع ضميرها فى نحو قوله تعالى : ( فَسَوَّاهُنَّ ) وتارة يلاحظ لفظها فتعامل معاملة المفرد كما فى قوله تعالى : ( السَّمَاءَ مَنفُورًا ) .

## تقرير اللجنة الأزهرية

في التعليق الذي هذى به صاحبه حول القرآن الكريم

٢

### ٢ - القول في الحق والباطل

ادعى هذا الكاتب أنه يفسر القرآن بالقرآن ، ونحت هذا الستار طفق يعبث بدين الله تعالى ويلصق به ما هو براء منه ، وفي الوقت الذي أعرض فيه عن السنة النبوية الصحيحة وعن كلام علماء الاسلام الراسخين في العلم تراه مولعا بأقويل الملاحدة وأباطيل المبتدعة ينقلها على هوامش الصحف ، ولا يخجل من أن يدعيها لنفسه وزعم أنها فهم منحه الله إياه في كتابه .

وكلامه في هذه المسألة من أقوى الأدلة على أنه رجل لا يعرف الأمانة في نسبة الآراء ، لأصحابها صحيحة كانت أو فاسدة ، كما أنه يدل على ولوعه الشديد بالبحث عن الآراء الفاسدة المنبوذة رجاء أن يعرف بين الناس ولو بالزيف والضلال .

ولقد كنا بصدد أن نمرض عن هذه المسألة لأن متقدمي علماء الاسلام رضى الله عنهم قد كفونا مشونة البحث فيها والرد على مخالفهم ، ولكن الرغبة في ألا ينخدع أحد من الناس بما جاء به هذا الكاتب ، والحرص على ألا يفهم من يميل اليه من غلبت عليهم العلوم المادية أن مجتهدى هذه الأمة وسلفها الصالح لم يلتفتوا الى مثل ما التفت هؤلاء اليه ، كل ذلك يدعونا الى العناية بهذه المسألة وبيان وجه الصواب فيها ، ومن الله المعصنة والتوفيق :

ادعى هذا الكاتب أنه لا وجود للجن والشياطين بالمعنى المتعارف عند الشرعيين وجمهرة الفلاسفة — وهو أن الجن خلق مغاير للنوع الإنساني — على اختلاف في التفصيل بين رجال الشريعة والفلاسفة سنأتى عليه بعد ، وبناء على هذه الدعوى تأول آيات الكتاب العزيز بما يرجع هذين الجنين الى صنف من الإنسان ممتاز عن باقيهم بالتردد والاستكبار ، وعند ما شعر بخطئه أراد أن يتداركه فأخذ يتغبط كالمسوس فيقول : يطلق الجن على العالم الخفى وجن كل شئ ، أوله وجن الجيش قواده ، ويقول في الشياطين : الحيات والثعابين ، إلى غير ذلك .

ولو أراد الرجوع للصواب لقرر بطلان ما زعمه أولاً واقتصر على ما هو معروف ومقرر في معنى النوعين .

ومن قبل هذا الكاتب قد اختلف الناس في وجود جنس مغاير للإنسان له القدرة على التشكل بالأشكال المختلفة والإتيان بالأعمال العظيمة الشاقة : فذهب أهل الأديان وفلاسفة الاسلام الى وجوده ، وذهب بعض الفلاسفة ممن لا يدين بدين الى عدم وجوده ، وقد استدل منكر وجوده على الإنكار بأمور :

( منها ) أنه لو كان موجودا لكان جسما إما كثيفا وإما لطيفا ، وكل منهما ليس صحيحا ، فيجب ألا يكون موجودا ؛ فأما عدم صحة كونه جسما كثيفا فلا أنه لو كان بهذه الحال لشاهدناه كما نشاهد سائر الأجسام الكثيفة ، ونحن لا نشاهد شيئا من ذلك ؛ وأما عدم صحة كونه جسما لطيفا فلا أنه لو وجد على هذا النحو لكان يصدد أن يتمدم بمجرد وجوده ، لأن الجسم اللطيف لا يتحمل الرياح العاصفة ونحوها ، ثم إن الجسم اللطيف ليست له القدرة على الإتيان بالمعجائب ؛ ومعتقد وجود هذا النوع يقرن باعتقاده هذا اعتقاد آخر وهو أنه قادر على هذه الأمور .

( ومنها ) أن هذا الجنس لو كان موجودا مخالطا لنا لحدث البتة من مخالطته لنا إما عداوة يظهر لها أثرها من الضرر والإفساد ، وإما صداقة ينشأ عنها صلاح ونفع .

(ومنها) أن القول بوجود هذا الجنس مما يفضى إلى إفساد عقيدة من يمتد بوجوده، لأنه يبطل نبوة الأنبياء بما يورث من الشبهة في معجزاتهم .  
وهذه شبه أوهى من بيت المنكوبات يكفى في نقضها أن نقرأها، فإنها تنطق بفساد نفسها .

وقبل الخوض في تفنيد هذه شبه نسائل هذا الزاعم ومن على شاكلته : أهو من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعتقد أن الله قادر على إيجاد خلق مخالف لما يألف الناس ويعتادون ، ويكون له خاصة تمنحه أن يتأثر بالمواسف ونحوها وتجعله قادرا على التشكل والمجس . بمجانب الأمور مع كونه جسما لطيفا ، وأن يكون مع ذلك غير صديق لنا ولا عدو ، ويمنحه الله من التسلط على الأدلة التي نصبها الله تعالى لتأييد أنبيائه ورسله — أهو من يؤمن بذلك ، أو هو على العكس من هذا يعتقد أن الله لا يقدر على مثل هذا ؟ فإن كان من الفريق الثاني ، فقد كفانا مشوة البحث معه والتصدي له بإدحاض مفترياته ، فإن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يستدعي الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في كتابه الذي عجز عن مقارعته فرسان البلاغة أيام التنزيل لذين تصدوا لمعارضته ولم يدركوا من ذلك مأربا ، فلم يسهم إلا الإذعان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو الإصرار على معاندته من غير حجة ولا بينة ؛ وإن كان من الفريق الأول ، فنحن نتكلم معه في إبطال هذه الشبهة ، وإليك البيان :

عن الشبهة الأولى :

إذا كانت قدرة الله تعالى صالحة للتعليق بجميع الممكنات — ولا شك أن الجن أو الشيطان بالمعنى الذي يعرفه المذنبون أمر ممكن الوجود — فالمانع من وجوده على أن يكون كل منهما جسما لطيفا مغايرا للإنسان قادرا على التشكل بأشكال مختلفة ، وأن يكون الجن فيهم المؤمن وفيهم الكافر ، أو بعبارة أخرى الخير والشرير ، وعلى أن يكون

الشیطان شراً محضاً — وهذا رأى الشرعیین فی هذین النوعین : أو ما المانع من أن یکون کل منهما جواهر مجردة عن المادة وعلاقتها فلا یکون جسمًا ولا جسمانيًا ، ویفترقان بنحو ما تقدم عند الشرعیین ؟

ما المانع من وجود هذین الصنفین من المخلوقات علی أن یکونا محفوظین من المؤثرات العادية ، وعلی أن یکون لهما من الأفعال والفرائب ما یعجز عنه کبار الأجسام وعظام الخلق ؟ : فدار الکلام علی أن وجود هذه الأنواع ممکن ، وعلی أن قدرة الله صالحة لا یحاده .

وعن الشبهة الثانية :

بناء علی ما قدمناه فی دفع الشبهة الأولى فأی مانع من وجود خلق آخر من بین أیدینا ومن خلفنا ولا نراه وليس لنا معه عداوة ولا صداقة كما یقول هذا الزاعم — خصوصاً وقد جاء فی الشرع الشریف ما یؤید بظاهره أو بصریحه فكرة وجودهم وعدم نفيها ( إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ ) .

وعن الشبهة الثالثة :

أما احتمال دخول الشیطان أو الجنی فی الجذع مثلاً ( فأولاً ) لا یقدح فی معجزات النبی عموماً ، فإن معجزاته لا تنحصر فی هذا ونحوه ، و ( ثانياً ) أن النبی صلی الله علیه وسلم معصوم من أن یتأثر بالشیطان أو الجنی أو یتأثر بهما شیء مما یتعلق به ، فلا یصح هذا الاحتمال بحال من الأحوال .

وخلاصة القول أن هذه المخلوقات الغريبة من امکنتات التي لا مانع من وجودها عقلاً ، وقد جاء الکتاب العزیز فی غیر آیه وكذلك السنة النبوية بوجود هذا النوع ، فلا سبیل الى جعده إلا بإنکار الکتاب العزیز أو السنة النبوية وقدرة الله تعالى ،



واذا وصل حال الباحث للنكر الى هذا الحد فليس لنا معه كلام، ولا يصح أن نغنى بالرد عليه كما قدمناه .

وإليك ما جاء في إثبات ذلك من الكتاب والسنة :

أما الكتاب فآيات ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ خَلَأٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ) ( خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ) ( وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا مِنَ الْأَمَلِ الْأَعْلَىٰ وَيَقْدِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ) ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ) ( إِلَّا إِلَهَ إِلَهِسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ) ( قُلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ نَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُنْفِقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ) ( وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ) الآية ( يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْفَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا ) الآية ( وَلِإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ) الآيات ( قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ) الآية .

وأما الأخبار فكثيرة ، منها ما رواه مالك في الموطأ عن صفين بن أخلع ، وفيه : « فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن بالمدينة جنا قد أسلموا — وكان قد تشكل بصورة حية — فمن بدا لكم منهم فادنوه ثلاثة أيام فإن عاد فاقتلوه فإنه شيطان » ومنها ما رواه في الموطأ أيضا عن يحيى بن سعيد قال : « لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عفرينا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلها التفت رآه فقال جبريل : ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن طفت شعلته » الحديث .

ومنها ما اشتهر وبلغ مبلغ التواتر من خروج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة جن نصيين وقرائه عليهم ودعائه ايام الى الاسلام . وهو في صحيح مسلم وأبي داود . ومنها قصة الغفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلته . وهي في صحيح البخاري .

فقد استبان أن وجود الجن والشياطين بالمعنى الذي يعرفه الميثتون أمر لا نزاع فيه ، وأن إككارم لا يصدر إلا من جامد التريجة الذي لا يؤمن بالغيب ولا يصدق إلا بما يقع تحت الحس ، وإذا كان كذلك فكيف يصدق بوجود الإله الذي لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول ؛ وحينئذ فتأويل الآيات الواردة في أخبار الجن والشياطين تأويل لا دليل عليه ، بل قام الدليل على بطلانه ، فهو تكذيب للقرآن تحت ستار التأويل ؛ وخير المؤول أن يهاجر بأنه لا يقول بالقرآن ولا بالسنة النبوية حتى يعرف أمره ويفتضح شأنه فيكون الناس في أمن من الانخداع برأيه والافتتان بما سماه جديدا في الدين ، والله ولي التوفيق .

ومن الغريب قوله في أول ما نقلناه عنه : « (ابليس) اسم لكل مستكبر على الحق » قال الله تعالى في إبليس : ( قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ) .

فهل كل مستكبر على الحق منظر ومؤخر بالحياة الى يوم الدين ؛ وأين كان كل مستكبر على الحق حتى قال تعالى له : ( فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ) ؛ وهل كل مستكبر على الحق كتب عليه الشقاء والطرده من رحمة الله الى يوم الدين ( وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ) أو لم يكن من بين المستكبرين من هداه الله للحق ؛ .

وهل جميع المستكبرين على الحق تصدوا لغواية الناس أجمعين إلا من همم الله حيث يقول تعالى : ( قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ) .

وفي آية أخرى (لَا حَتِيكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) وفي آية ثانية (ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ  
مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ  
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ).

### المبحث الثالث فيما يتصل بالفروع الفقهية

وفيه مسائل

#### ١ - من السارق والسارقة

يقول في صفحة ٨٨ سورة المائدة آية ٣٨ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا  
أَيْدِيَهُمَا) الآية ما نصه : « واعلم أن لفظ السارق والسارقة يعطى معنى التعمود أى  
السرقه صفة من صفاتهم الملازمة لهم ويظهر لك من هذا المعنى أن من سرق مرة  
أو مرتين ولا يستمر في السرقه ولم يتمود الاصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها  
فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه » اه كلامه .

كان الأولى بهذا الكاتب الذى يدعى أنه يفسر القرآن بالقرآن أن يقول إنه  
يتصرف فى أحكام القرآن ، فإن استعصت عليه آية فى حملها على ما يريد ترقى الى التعوير  
والتعديل فى اللغة التى نزل بها ، لأن هذا هو الذى ينطبق على صنيعه فى هذه الآية  
الواضحة والحكم الاسلامى المعروف ، كأنه أثرت فيه أفكار خصوم الاسلام الذين  
يتخذون هذه الآية مطعنا عليه بأنه ذو أحكام قاسية ويعملون ذلك بنفس تمليل هذا  
الكاتب (أن قطع اليد فيه تعجيز لصاحبها) فقام إرضاء لهم بحرف كلام الله عن مواضعه  
وعما فهمه منه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقال . إن لفظ السارق والسارقة  
يفيد أنه لا يحيد السارق إلا اذا تكررت منه السرقه مرارا عديدة حتى صارت صفة  
ملازمة له ، ظانا من نفسه أن هذا الفهم يمكن أخذه لغة من اللفظ ؛ وقد خاب ظنه

وظهر جهله بلسان العرب الذين وضعوا للصفة ثلاث صيغ مختلفة متباينة لا تستعمل إحداها في معنى الأخرى إلا لدليل ، كبقاى الألفاظ المجازية ينقل فيها اللفظ من مكانه الى مكان لفظ آخر لدليل ، وأين هو فيها نحن بصده : وهذا الوضع معروف عند أبسط طلاب العلم ومذكور في كتب النحو المتداولة ، وإليك البيان :

الوصف إن كان ملازما لصاحبه فله صيغة خاصة اسمها الصفة المشبهة ؛ وإن تكرّر من صاحبه جملة مرّات فله صفة خاصة اسمها صيغة المبالغة ؛ وإن لم يدل على شيء من ذلك بل على مجرد الاتصاف ولو مرة واحدة كان هو صيغة اسم الفاعل ، والصيغة التي معنا منه ، إذ ليست من صيغ المبالغة ولا الصفة المشبهة كما يعلم بالرجوع الى اللغة .

وعمل النبي صلى الله عليه وسلم قاطع في ذلك ، فهل من يجهل مثل هذا في اللغة العربية والسنة الواضحة يقبل منه أن يخط حرفا واحدا في فهم كلام العرب فضلا عن تفسير كتاب الله :

وبعد : فليس هذا الفهم الخاطئ ، مما يكفل المصلحة الاجتماعية التي يدعيها ، لأنه يطلق العنان للسارقين والساوقات في الاعتداء على الأموال حتى يصل كل سارق الى أن نصير السرقة ملكة له ولا تقطع يده إلا اذا ثبت عليه ذلك ، وهبات مثل هذا الإثبات . ثم هل هذا هو الذي ينطبق على حكمة الشارع الحكيم : يترك الجاني بلا عقوبة حاسمة تردعه من أول الأمر حتى يبتلى بهذا المرض الاجتماعي الفادح الذي قد يجر الى قتله أو قتل غيره ، ثم بعد ذلك يقطعه بعد أن يكون قد آذى المجتمع عدة مرّات وأصبح من السرر علاجه ؟ : وقد دلت المشاهدات على أن عقوبة السارق بغير القطع الوارد في الشريعة الاسلامية لم تكن دواء ناجعا لاستئصال شأفة هذا الداء وشفاء النفوس منه .

هذا فضلا عن أن حكم قطع اليد في السرقة ولو مرة واحدة حكم لم يختلف فيه أحد من المسلمين ، ومن المعلوم بينهم بالضرورة ، وقد نفذه النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل في حوادث مفردة ، وكذلك أصحابه من بعده وهم أئمة المسلمين كما يأتي ، فما مقدار جرم هذا الذي يجترئ على المولى سبحانه وتعالى بتبديل أحكامه ويفهم منها خلاف ما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل هذا الفهم العامي الخاطيء ؛ وخصوصا الاسلام الذين طعنوا عليه في هذا الحكم لم يكفوا أنفسهم عناء المقارنة بين قطع يد واحدة في سرقة وما تقتضيه هذه اليد المقطوعة من آلاف الحوادث من السرقات التي قد يكون في واحدة منها القضاء على أسرة بأكملها ، أو على أطفال يتامى فجعلهم السارق في ثروتهم ؛ ولو فكر هؤلاء الطاعنون أدنى تفكير علمي مبنى على ما عرف من علم النفس والأخلاق وشئون الاجتماع وأمراضه ما وسعهم إلا الإيمان بقانون الجنايات الوارد في الاسلام عن رب العالمين العالم بأخلاق عباده وطبائعهم ، ولعرفوا أنه القانون الوحيد الكافل للأمن العام .

وإليك بعض الروايات الواردة في قطع يد السارق من مرة واحدة :

أولا - قال أبو بكر الجصاص من أئمة الأحناف صفحة ٤١٤ جزء ثان مانصه .  
« لم تختلف الأئمة في أن اليد المقطوعة بأول سرقة هي اليمن » .

وقال المجدد نعيمية في منتقى الأخبار في باب ما جاء في كم يقطع السارق - من كتاب القطع في السرقة : عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا » رواه الجماعة إلا ابن ماجه ، ورواه أحمد في مسنده . وقال المجدد : وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقطعوا يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا » رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه . وفي رواية قال : « تقطع يد السارق في ربع دينار » رواه البخاري والنسائي وأبو داود . وفي رواية

قال : « تقطع اليد في ربع دينار ولا تقطع فيها هو أدنى من ذلك » رواه أحمد . وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » قال الأعمش : كانوا يرون أنه يبيض الحديد ، والحبل كانوا يرون أن منها ما يساوى دراهم . متفق عليه ، وليس لمسلم فيه زيادة قول الأعمش .

ولم يحيى في هذه الروايات ما يفيد أن القلع مشروط بتكرار السرقة وكونها عادة للسارق كما يدعيه هذا الكاتب .

## ٢ - مسألة حد الزاني

وقال في صفحة ٢٧٤ آية ٣٣ ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ ) : « ( الزانية والزاني ) يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل اذا كانا معروفين بالزنى وكان من عادتهما وخلقهما فها بذلك يستحقان الجلد » انتهت عبارته .

والذي قلناه فيما قال في آية السارق والسارقة يقال هنا ، والأحاديث وردت في الحد على مرة واحدة كما وردت في مسألة السارق والسارقة ، ولم يوجد أدنى خلاف في مسألة حد الزنى ، كما لم يوجد خلاف في حد للسرفة .

وهذه بعض الروايات الواردة في إقامة الحد على الزاني لأول مرة :

قال المجد بن تيمية في منتقى الأخبار — باب ما جاء في رجم الزاني المحصن وجلد البكر وتغريبه ما نصه : « عن أبي هريرة وزيد بن خالد أنهما قالا : إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله ، وقال الخصم الآخر — وهو أفضقه منه — : نعم فاقض بيننا بكتاب الله وإذن لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل . قال : إن ابني كان عسيفا على هذا

(أجيرا عنده) فزنى بامرأته ، وإني أخبرت أن علي ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني أن علي ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن علي امرأة هذا الرجل الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم رد (أي ترد إلى أبي الولد الزاني) وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس (لرجل من أسلم) إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » قال فغدا عليها فاعترفت ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت ، رواه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد

ليلتفت حضرة القاري إلى ما جاء في هذا الحديث من قول أبي الزاني : إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته ، فإن (ردى) في عبارته صريحة في أنه فعل الزنى ، وذلك لا يقتضى التكرار ، ولم يدكر في هذه الحادثة ما يفيد أنها تكررت ، ولا أن ابن هذا الرجل كان معتادا ذلك ، وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليه وعلى من رنى بها ، وبين أن ذلك بكتاب الله تعالى ، فهل قضاء النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة يدل على المعنى الذي أراده الكاتب من الآية الكريمة ؟ كلا بل يدل على خلافه .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفى عام وإقامة الحد عليه . رواه أحمد والبخارى .

وعن عبدة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » رواه الجماعة إلا البخارى والنسائي . وعن جابر بن عبد الله أن رجلا زنى بامرأة فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد الحد ، ثم أخبر أنه محصن فأمر به فرجم . رواه أبو داود .

وعن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعز بن مالك ولم يذكر جلدًا . رواه أحمد .

كل هذه الروايات لم يرد فيها ما يدل على أن الحد مقيد بالتكرار ، ولو كان هذا الشرط معتبرا في الحد لسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن توفره قبل أن يقضى بالحد ، إذ هو القائل صلى الله عليه وسلم « أدروا الحدود بالشبهات » حتى قال لماعز حينما قدم نفسه لإقامة الحد عليه : املك قبلتها لملك كذا ، حتى نطق باللفظ الصريح في معنى الزنى والفعل المخصوص ، وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « خذوه فأرجوه » .

أبعد مبالغة النبي صلى الله عليه وسلم في التحرى الى هذا الحد حقنا للدماء وصونا لها أن تراق في غير موجب شرعى يتوهم عاقل أن الله تعالى يقول : لا تقيموا الحد إلا على من اعتاد الزنى ، ثم يقيمه النبي صلى الله عليه وسلم بدون أن يثبت لديه أن المتهم به معتاد أو غير معتاد ، وبدون أن يسأل عن ذلك ؟ : كأن هذا الكاتب يرى النبي صلى الله عليه وسلم بالتساهل في تطبيق الكلام العزيز على الحوادث التي رفعت إليه وطلب منه أن يقضى فيها بكتاب الله : وهذا مما يحل عنه مقام أصغر قاض يتصدى لإقامة العدل بين الناس ، فضلا عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم الذى هو أفضى القضاة وأعدل العادلين .

وقد بسطنا لك طائفة من النصوص لا تحتل الريبة ولا تبيح لواحد في وجهه قطرة من ماء الحياء وفي نفسه حبة خردل من إيمان أن يذهب في فهم الألفاظ وتوجيه معانيها الى حيث يقوده الهوى ، طامعا في ترويح سحنه وإيهام الناس أنه اكتشف من أسرار الدين ما لم يسبق به ، وتلك فعلة لا يجرؤ عليها إلا من غابت عليه شقوته ، ومثل هذا جدير بأن تزل قدمه ويبوء بخسران مبین .

### ٣ - تعدد الزوجات

قال في صفحة ٦١ آية ٣ من سورة النساء (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى) الآية ما نصه . « ( من النساء ) نساء اليتامى الذين ( كذا ) فيهم الكلام لأن الزواج



منهم يمنع الحرج في أموالهن ومن هذا قهمن أن تعدد الزوجات لا يجوز إلا للضرورة التي يكون فيها التعدد مع العدل أقل ضرراً على المجتمع من تركه ولتعلم أن التمدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذلك الشرط السابق واللاحق أي (وإن خفتم ألا تقسطوا) ، (فإن خفتم ألا تعدلوا) .

يفهم ذلك الكتاب من الآية أن تعدد الزوجات لا يجوز إلا بشرطين :

أولاً - أن يكن يتأى في حجره ولهن مال وبخشي عدم العدل فيه ، فينبذ له أن يتزوج بائنتين فأكثر منهم ليرقع هذا الحرج عنه في أموالهن ، فالزوج في نظره يبيع للزوج أن يأكل من مال الزوجة ما شاء بغير إذنها ورضاها ، فكأن الدين يبيع للمرء أن يتخذ الزوج أداة لكسب المال ؛ وعلى هذا الفهم الغريب الذي لا يقره لدين لم أن لا يباح تعدد الزوجات من غير التأيي اللاتي في حجر من أراد الزواج منهم ، وهذا من الدين بمكان بعيد ، فإن التعدد عند عدم خوف الجور جائز مطلقاً لم ينكره مسم من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ، وعليه عمل المسلمين من عهد البعثة .

الشرط الثاني - أن لا يخاف الجور . ولم يتكلم عليه ، وهو معروف في الفقه . وإنا نذكر لك ما ورد في سبب نزول هذه الآية لتكون على بينة من أمرها ، وتعلم مقدار خطأ الكاتب وجرأته على الدين :

في سبب نزول الآية رويات - قيل نزلت في الرجل يكون عنده اليتيمة في حجره ويريد أن يتزوجها بأقل من صداق مثلها ، فهو عن ذلك وأرشدوا إلى أن يتزوجوا من غيرهن ما شاءوا : مثني وثلاث ورباع ، وقيل نزلت في الرجل كان يتزوج إلى عشر نسوة فينفد ماله ويعمد إلى مال التأيي اللاتي في حجره فيأخذ منه ما ينفقه على أزواجه ، فهو عن ذلك وأمروا بالتقليل من الزوجات إلى أربع فقط .

وظاهر الآية أن المعنى : إن خفتم الجور في مال اليتامى بسبب رواجكم منهم فاعدلوا  
عنهم وانكحوا ما طاب لكم من النساء الأجنبيةات : مثنى وثلاث ورباع ، أو تمتعوا بما  
ملكتم أيتانكم . فالآية لا تبیع مال الیتیمه بالزواج منها كما فهمه هذا ، بل تأمر بالعدل  
عن الزواج بها إذا خاف الوصى الجور في مالها ؛ ولا يوجد في الشرع ما يبيع مال الزوجة  
للزوج من غير رضاها ( فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ ) الآية وقد خرج هذا الكاتب  
عما شرط لنفسه في المقدمة من ملاحظة سنن الاجتماع في تفسيره ، فإن الحكم على  
الصورة التي فهمها لا يطبق على قوانين الاجتماع ، كما أنه لم ينطبق على الشرع الشريف .  
وكما لا تقيد الآية ذلك لا تقيد قصر التعدد على نساء اليتامى ، فقد اعتدى على الدين  
في الأمرين ، وألصق به ما هو براء منه .

#### ٤ - مسألة الربا

قال في صفحة ٣٧ : « ( الربا ) الزيادة من الربح في رأس المال وهو معروف ومقيد  
بالآية ١٣٠ في آل عمران أي قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَاءَ  
أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ) » .

وقال في صفحة ٣٨ آية ٢٧٨ - ٢٨٠ ما نصه : « ( ذرؤا ما بقي ) ( فلكم رهوس  
أموالكم - وإن كان ذو عسرة ) كل ذلك يفيدك أن الكلام في المعاملة الحاضرة  
ويبشر من يتوب بأنه لا يحاسب على ما كسبه من قبل ( فله ما سلف ) انظر ٣٨  
في الأنفال » يريد قوله تعالى : ( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ) .

وقال في صفحة ٥٣ آية ١٣٠ ما نصه : « ( الربا أضعاافا مضاعفة ) أي الربا الفاحش  
وبمعنى آخر الربح الزائد عن حده في رأس المال وتقدره كل أمة بعرفها راجع في جزائه  
أواخر البقرة وقصة اليهود في أواخر النساء ثم ارجع الى « في النساء » يريد قوله  
تعالى : ( وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ) .

يتلخص ما يستفاد من كلامه في أمرين :

الأول - أن الربا غير الفاحش لا يحرم ، وهو ما كان ممدداً في نظر الأمة التي فيها التعامل به ، وليس له أدنى سند ولا شبهة في هذا الرأي الفاسد الذي يكل إباحة الربا إلى الرأي والعرف ، وذلك أن آيات الربا قد نزلت - وهي من آخر القرآن نزولاً - والناس يتعاملون به ، على معنى أن الرجل يكون له دين عند آخر ، فإذا حل الأجل قال للمدين : إما أن تدفع وإما أن أنسى لك ( أى أؤخر ) وتردني . فهو زيادة في رأس المال بمقدار يتفقان عليه كيفما كان في مقابل التأخير ، ولم يكن يعرف الناس وقت النزول ربا سوى هذا ، فهام القرآن عن ذلك بقوله تعالى : ( لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ) لأنها تقول باطراد زيادة إلى أن تصير أضعافا مضاعفة ، وبقوله : ( وَحَرَّمَ الرِّبَا ) ثم عرفهم أن من ناب عن معاملته الربا السابقة على نزول آيات التحريم فله ما سلف ، وفي المعاملة القائمة له رأس المال فقط بقوله تعالى : ( وَإِنْ تَبَتُّمُ فَأُولَئِكَمُ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ) ( فَنَجَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَآفَ ) ( وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) فالآيات أعادت بوضوح حكم الأحوال الثلاثة في معاملة الربا ، فقضت في المعاملة السابقة على نزول آية التحريم بالعفو ، وفي المعاملة القائمة بأن ليس لهم إلا رؤوس أموالهم ، وفي المعاملة المتجددة بمد ذلك بالتحريم بتاتا .

هذا هو صريح آيات الربا ، وهذا هو ما فهمه المسلمون كافة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ، وقد قال الإمام أحمد في ربا النسيئة ، وهو الزيادة في مقابلة التأخير « إن هذا النوع من الربا لا يشك في تحريمه أحد » فمضى أضعافا مضاعفة ما يؤول إلى ذلك باطراد الزيادة ، لا أن ذلك شرط في أصل الربا المحرم ، كما فهم هذا الكتاب المخالف لما علم من الدين بالضرورة وعليه كافة المسلمين ؛ على أنه إذا كان المحرم من الربا هو الفاحش ، فكان الواجب عند التوبة أن يكون للتائب رأس ماله مضافا إليه

الربا المعتدل، فكيف يقول الله تعالى : (وَإِنْ تَبَيَّنَ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ) !  
فافهمه لا يتمشى مع الآية بحال من الأحوال .

الأمر الثاني - أن ظاهر كلام هذا الكاتب أن هذه الآيات تشمل المعاملة الحاضرة الآن، وأن من يتوب من التعامل بالربا فله ما سلف وتقدم التوبة، وأن لا آية تبشر المرابين بذلك إذا تابوا، وهذه كبرى الدوهي الطامة من هذا المفرور الجاهل، إذ التوبة من المظالم المالية لا تمكن إلا بردها إلى أربابها، وإلا استعمل السارقون والغاصبون والمرابون أموال الناس بالباطل، ما دُموا يخرجهم من ذلك قولهم : تبنا إلى الله .

وهذا ما لا يقبله العقل في أدنى المعاملات الوضعية، فضلا عن أن يكون قانون رب السموات والأرض بين عباده، وأين مقام النظم الاجتماعية والسنن الكونية من مثل هذا السفخ الذي يفسره كتاب الله على سنن الكون ونظم الاجتماع كما يقول : وما نرى مثل هذا التأويل إلا فعل من يرى إلى هدم الدين من مكان بعيد، على أن حرمة الربا لا تخص الزيادة في مقابلة التأخير، بل تم الزيادة مطلقا سواء أكان معها تأخير أم لا، والسنة الصحيحة مستفيضة بهذا - من ذلك ما رواه أبو بكره رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا سواء بسواء، والفضة بالفضة إلا سواء بسواء، ويبيعوا الذهب بالفضة والفضة بالذهب كيف شئتم » وما رواه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الذهب بالذهب مثلا بمثل، والورق بالورق مثلا بمثل » وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، ولا تُشِفُوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائبا بناجز » الأحاديث في صحيح البخارى جزء ٣ صفحة ٧٤ الطبعة السطانية .

نقول إن السنة الصحيحة تدل على حرمة زيادة مطلقا، ولا تنافي أيضا ما جاء في القرآن، فإن لربا في آية (وَحَرَّمَ الرِّبَا) عام في الزيادة مطلقا، وآية (أَصْنَعُوا مِثْلَ مَا جَاءَ

لا تنافى ذلك المعموم، لأن ذكر بعض أفراد العام بحكم يوافقه ليس تخصيصاً له. يعرف ذلك أهل الصناعة ومن عرف قواعد علم الأصول المرتكزة على الأدلة الصحيحة.

٥ - الفسرى (الاستمتاع بملك الممين بغير عقد)

قال فى صفحة ٦١ : « (أوما ملكت أيمانكم) انظر آية ٢٥ الى ٢٨ من النساء ». وقال فى آية ٢٥ : « وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَبِنَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ : » فيه عناية بالخدمات وتسهيل لمن يريدون الزواج ولا يستطيعون النفقات على ذوات البيوت انظر ٣٣ فى النور و ٦٠ فى الكهف ثم ٣٠ و ٣٦ و ٤٢ و ٦٢ فى يوسف (الغنى) الحرج انظر ٢٢٠ البقرة و ٧ فى الحجرات و ١٢٨ فى التوبة و ١١٨ فى آل عمران وفى هذه الآية رد على الذين يتخذون ملك الممين من الخدمات والوصيفات للتمتع بهن كالزواج بحجة أنهم مشتريات بالمال أو أسيرات بالحرب فليس فى الإسلام عرض امرأة بياح لغير الزواج مملوكة كانت أو مائكة فتدبر بذلك فى الآيات .

وقال فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون : « وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) : » اقرأ المارج » ثم قال فى المارج على مثل هذه الآية : « (أوما ملكت أيمانهم) من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون فى الإنسان فروج أى عيوب وتفاصيل يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدمه » انتهى كلامه .

والرد على هذا لأول وهلة من نفس القرآن الذى يدعى أنه يفسره به : قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) الى قوله : « وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلْيَنْكِحُوا مِنْهُمْ غَيْرَ مُلُومِينَ ) وقال

تعالى : ( لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَغْنَيْكَ  
 حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ) وفي آية تعدد الزوجات ( فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ  
 أَيْمَانُكُمْ ) فالتمتع بملك اليمين في كل هذه الآيات مقابل للنكاح بمعنى العقد ، فلو كان  
 يشترط في التمتع بالملوكة ما يشترط في الحرية من العقد لما كان في عطفه على النكاح  
 فائدة ، وهذا واضح من قراءة الآيات التي في هذا المقام ، فأين تفسيره القرآن بالقرآن :  
 وإليك البيان :

يقول الله تعالى في آية تعدد الزوجات : ( فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ  
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) فلو كانت الملوكة زوجة لا يحل الاستمتاع بها إلا بالعقد كالحرية  
 لكان لها من الحقوق على زوجها ما للحرية ، فلا يجوز تزوجها على زوجة أخرى إلا بشرط  
 العدل ، وهل تفرق الشريعة بين الزوجة الحرة والأمة ، فتفرض للأولى من حق البيت  
 معها وغيره ما لا تفرضه للأمة ؟ : كذلك قوله تعالى : ( لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ  
 إِلَى قَوْلِهِ : ( إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ) .

لو كانت الملوكة زوجة لكانت ممن لا يحل له كباقي النساء يتحقق في التزوج بها  
 ما يقتضي المنع كغيرها ، فامعنى الاستثناء حينئذ ؟ : وأيضا في آية ( إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ  
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) إذا كانت الملوكة زوجة فامعنى العطف وما حكته ؟ . وهل  
 الأمة أشرف من الحرية حتى يقال إنها عطف على الأزواج وأفردت بالذكر لشرفها ،  
 كما عطف جبريل وميسكال على الملائكة وهما منهم ؟ : على أن العطف بأو لا يكون إلا  
 في المتغابرين ، فقد خرج عن أصله وحكم على قوله بالفساد .

وأما تفسيره الفروج في سورة المؤمنون بالعيوب فالآية ومقدها تنكفي في الرد  
 عليه بأنه ليس أهلا لقهم المفردات الظاهرة الواضحة من كتاب الله ، فكيف بمقام  
 التفسير والرجوع بالآيات الى مثيلاتها ، إلا أن يكون هو وضع معاني للألفاظ من  
 عنده ، وجعل المعاني المجازية في اللغة هي المعاني الحقيقية ، والحقيقية هي المجازية ، ثم هو

يحمل القرآن الكريم على ما وضع، فيكون قد وقع فيما ادعاه هو على المتقدمين من أنهم يضعون الاصطلاح والقواعد ثم يحملون القرآن عليها، وهو لا أصل له، بل هي دعاوى كاذبة والقصص فيها سىء، لأن القواعد إنما هي مأخوذة من كلام العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، ونفس القرآن هو من أول أصول هذه القواعد وأدلتها.

فتفسيره الفروج في آية المؤمنون بالعبودية أخذاً من الآية (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) هو تفسير للفظ الحقيقي الذي لا يقبل الكلام خلاف معناه الوضعي بالمعنى المجازي لذي ينفيه المفسر.

وإليك آية (وما لها من فروج) التي هي في سورة ق وما كتبه عليها هامش

صفحة ٤٩٠ :

لَا يَـتَنَظَّرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَـنَاهَا وَزَيَّنَّـنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (فروج) قال: « (فروج) عيوب ونقائص اقرأ الملك وراجع ٣٠ و ٣١ في النور و ٧ في الذاريات و ٩ في المراتل » هذه الآية معناها واضح، وأن الله تعالى يلفت نظر الخلق إلى هذا البناء الضخم الذي رفعه بلا عمد، بحكم الصنم بديع الإنجاز، مزينا بالكوكب ليس فيه شقوق ولا عيوب، فهذا في مقام التنبيه على النظر في بعض مصنوعات الله تعالى وما فيها من أسرار وحكم لهم يؤمنون، فأين هذا من مقام بيان ترك محارم الله تعالى التي منها الزنى وعدم العفة: ذلك الترك الذي رتب الله عليه الفلاح والظفر شواهه جل شأنه ورضاه، حيث قال عز من قائل: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)، ثم أخذ يبين خلاصهم وما به يكونون مؤمنين حقيقيين بوصف الفلاح فقال: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) الخ؛ فهذه الآيات كآيات (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا إلى أن قال: (وَلَا يَقْنَطُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرَوْنَ) فيتعين أن يكون المراد بحفظ الفروج عدم التمتع إلا بالزوجة أو الأمة المملوكة.

وإذا قد بطل كلامه بنفس القرآن وبأن خطؤه في تفسيره عما أُصل هو من قو عد وأصول ، ووقع فيما اعترض به على غيره من غير فهم لما قاله ، وخالف بذلك ما عليه المسلمون من أول الاسلام الى الآن ، لأن التمتع بملك ليمين مستفيض في السنة معلوم من الدين بالضرورة ، فقد خرج على الدين واعتدى عليه اعتداء صريحاً ؛ ولو أنه أنكر في مواطن اشتباه أو خلاف العلماء لكان محتملاً ، ولكن هو الجهل بالإسلام والاستبداد بالرأى والهوى يوديان بصاحبهما ويفضيان به الى الهلاك ، ومن يضال الله فإله من هاد .

وإذا تأملت قوله تعالى في سورة المؤمنون ( قَنِ ابْتَنَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) عقب قوله تعالى . ( وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ) الى آخر الآية ، تعلم أن الفرض من الآية الأمر بعدم التمتع إلا بالزوجة والأمة ، وأن الكلام ليس في ستر الميوب البدنية عن غير الزوجة والخادمة ، فإن كان يبدنه عيب وأبداه لغير زوجته وخادمتها لا يقال إنه عاد ؛ ثم انظر الى قوله تعالى : ( قَنِ ابْتَنَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ) فإنه واضح في التوسع في الشهوات وعدم ضبط النفس وقصرها على ما أحل الله التمتع به من زوجة يستبيحها بالقد ، أو أمة يستحل الاستمتاع بها بملك اليمين .

## ٦ - مسألة الزناة

في صفحة ١١٣ سورة الأنعام قوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ) عرض ذلك الكاتب لتفسير هذه الآية حارياً على خطئه من عدم التقيد بسنة ولا مراعاة ما عليه المسلمون ، فاضطرب رأيه بين الصواب والخطأ ، وانتفض على أحكام إسلامية يجمع عليها ، وإليك عبارته : « ( وَآتُوا حَقَّهُ ) يفيد أن في كل خارج من لأرض حقاً لا بد من إعطائه



يوم حصاده زمن تحصيله وكما أمر المالكين بإتداء هذا الحق أمر الحاكم العام بأخذ  
والعمل على جبايته ليبت المال وقد ترك التقدير للأمة بحسب الحالة « اهـ .

ونحن لا ننزع أن في الخارج من لأرض زكاة واجبة ، ولكننا نلفتك الى قوله :  
وقد ترك التقدير للأمة بحسب الحالة ، فإن في هذا خطأ فاحشاً لا يرتضيه وجل يزعم أنه  
يفهم ، وأن له ديناً يحرص عليه . وقبل السير في بيان ذلك نصم اليه ما كتبه في هذا  
الصدد عند تفسيره قول الله تعالى : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ  
عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ) الآية — صفحة ١٥٠ سورة التوبة إذ يقول  
في تفسير الرقاب ما نصه : « في خلاصها من الاستعباد وفي هذا الزمان تجد أكثر  
المسلمين رقابهم مملوكة للأجانب فيجب أن يتعاونوا على فك رقابهم وفي الصدقات  
حق لهذا التعاون » اهـ .

ونحن نلفتك هنا أيضاً الى قوله : « وفي هذا الزمان تجد أكثر المسلمين رقابهم  
مملوكة للأجانب فيجب أن يتعاونوا على فك رقابهم وفي الصدقات حق لهذا التعاون »  
فقد قصر عقله عن فهم الصواب في بيان لرقاب التي يجوز شرعاً أن تصرف فيها الزكاة ،  
وتحيط فيها تحيط ، الأعمى الذي يتهاقت على قيادة الناس وهو لا يحسن أن يضع قدمه ،  
ومن ذلك يبدو أن خطأه في هذا المقام راجع الى أمرين :

الأول — دعواه أن تقدير ما يخرج في الزكاة موكول للأمة .

الثاني — جعله من مصارف زكاة التعاون على التخلص من الشعوب القوية  
للتغلب على الضعيفة .

أما الأول فهو ابتداء يخاف السنة الصريحة وما يعرفه المسلمون قاطبة من أن  
الزكاة مقدار حدده الشارع في كل نوع من الأموال التي فرضت فيها الزكاة اذا كل  
الصاب ، على ما هو مبين في الكتب ولا يتسع له بحثنا هذا ، وليس هناك مذهب من

مذاهب المسلمين يرى أن الزكاة أمر مبهم في الشرع يتقدر بحسب الحالة كثرة وقلة ، وإلا كان هذا انحلالاً في نظام الأحكام ، وفتحاً لباب التأويل الفاسد ، ودفعاً لكل ذى دخل في عقله أن يقدر في الزكاة ما تشتهي نفسه ؛ وكأن هذا الكاتب يرى إلى أمر خاص ؛ وكان الواجب عليه ألا يعلن ذلك باسم الدين لو كان يستحي ، فإن هذا تهديد لشرع الله تعالى ، وتلبيس على المسلمين .

ولعله بنى سخافته هذه على ما يزعم من أن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم تجوز بحسب ما يراه أهل كل عصر وزمان ، ومعنى ذلك أنه ليس هناك أحكام مستقرة من الشرع يجب على الأمة التمسك بها والعمل بموجبها ، وقد سبق لنا تفنيد هذا الزعم والقضاء عليه .

وهالك بعض ما جاء من الأحاديث مؤيداً لما عليه المسلمون من أن الزكاة مقدار محدود :

قال في منتقى الأخبار جزء ٤ من شرح نيل الأوطار صفحة ٢٠٢ — باب زكاة الزروع والثمار ما نصه : عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فيما سقت الأنهار والغيم المشور ، وفيما سقى بالسانية نصف المشور » رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود ، وقال : « الأنهار والعيون » ( يعني بدل الأنهار والغيم ) وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فيما سقت السماء والعيون أو كانت عثرياً ( هو الذى يشرب بمروقه من غير سقى ) العشر ، وفيما سقى بالنضح نصف العشر » رواه أصحاب الكتب الستة الصحيحة إلا مسلماً ، لكن لفظ النسائي وأبي داود وابن ماجه « بملا » بدل « عثرياً » ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده .

وفيه في صفحة ١٩٨ باب زكاة الذهب والفضة : عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد عفوت لكم عن صدقة الخليل والريق فقهاؤنا

صدقة الرقة ( الفضة ) من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومائة شيء ، فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم ، رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي . وفي لفظ « قد عفوت لكم عن الخيل والرقيق وليس فيما دون المائتين زكاة » وفي صفحة ١٩٩ : عن علي ابن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء . يعني في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا ، فإذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار » رواه أبو داود ، إلى غير ذلك مما فاضت به السنة . وإنما تعرضنا للكلام على الذهب والفضة وإن كان زيادة على موضوع الخلاف ، ليكون ذلك ردعا للكبار وكفاية للمستزيد .

وأما الأمر الثاني فقد خالف بتفسيره الرقاب على نحو ما أسلفنا ما أريد منها في القرآن ويساعده عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين من بعده ، فإن التمارف في مفهوم الرقاب هو المصنف المعروف بالعبيد والإماء الذين ثبت استرقاقهم بالطريق الشرعي للعروف .

ولما كان الإسلام يسقط عن العبد بعض ما يكلفه الأحرار من الأحكام الشرعية لعدم تفرغه لها بسبب اشتغاله بخدمة سيده ، وكان مع هذا يعني بعتقه ويرغب فيه السادة المالكين حتى يدخل مع الأحرار في جميع التكاليف ، شرع إعطاء الزكاة للملوك حتى يستعين بها على التخلص من رقة الملوك ، وهو ما جرى عليه العمل في جميع العصور الإسلامية .

وأنت ترى أن تغلب الشعوب القوية على ضعاف المسلمين لا يعتبر امتلاكاً يخول مثل ما في العبيد والإماء من بيع وشراء واستمتاع بالنساء وما إلى ذلك . وعلى هذا فما ادعاء الكاتب لا يدخل في قوله تعالى : ( وفي الرقاب ) بل هو داخل في قوله تعالى : ( وفي سبيل الله ) .

لا ينكر أحد أن تخليص الشعوب الضعيفة من الشعوب القوية أمر يفرضه الدين ويحتمه على الأمم متى استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وأنه لا مانع من صرف الزكاة فيه، إلا أنه يدخل في قوله تعالى: (وفي سبيل الله) لا في قوله تعالى: (وفي الرقاب) كما قلنا؛ فلو سائرنا هذا الكاتب فيما زعم فاذا تكون فائدة قوله تعالى: (وفي سبيل الله) إذا، مع أنهم فسروه بالجهاد لنصرة الدين وإعادة عز المسلمين ؟

#### ٧ - مسألة الاسهام في الغنيمة

لذوى القربى

صفحة ١٤٠ آية ٤١ (وَعَلُّمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّذِي جُحِمَ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) الآية - يقول المفسر عند تفسيره هذه الآية ما نصه: «أصل في تقسيم غنائم الحرب القربى في الله لا في النسب اقرأ اشورى الى ٢٣» .

يرى أن القربى في الآية المستحقة للتقسيم في الغنائم هي القربى في الله لا في النسب، ومعناه أن أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم لاحق لهم في الغنيمة، وهو خطأ من وجيبين: أولاً - أن الأقارب في الله هم من تربطهم رابطة لدين وأخوة الاسلام كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) فعلى كلام هذا الكاتب يكون جميع المسلمين لهم سهم فيما غنمه المجاهدون منهم، وهذا ما لم يقل به أحد من أئمة المسلمين ولا يفهم له معنى؛ وإن أراد تخصيص ذى القربى من المسلمين باليتامى والمساكين مثلاً - فهو ما صرح به بعد في الآية، فلا معنى لذكره، مع كونه مخالفا لما جرى عليه العمل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

ثانياً - أن جميع الأئمة على أن المراد من ذوى القربى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك اختلفوا في تحديد هم: فمن قائل هم بنو هاشم فقط، ومن قائل هم بنو هاشم

والمطلب ، ومن قائل غير ذلك ، كما اختلفوا أيضا في أن سهم ذوى القربى أهو ثابت لهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان في حياته أم غير ثابت لهم بعد الوفاة ؛ وقد أحال الكاتب فيما كتبه كما هي عادته على بعض سور القرآن ، شأنه في التلبيس والتضليل ، وقد رجعنا الى سورة مما أحال عليه فلم نجد فيها مناسبة للموضوع إلا قوله تعالى : ( قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْوَدْعَةَ فِي الْقُرْبَى ) فإن كان الكاتب أخذ من هذه الآية أن ذوى القربى لاحق لهم في الغنائم فهو فهم فاسد ينبو عنه المنطق ، ولا يسوغ إلا عند أمثاله ، فإن معنى الآية أن الرسول لا يطلب من الأمة أجرا ماليا على التبليغ وما يقوم به من الإرشاد . وفرق واضح لمن يفهم بين أن يطلب الرسول أجرا على التبليغ ، وبين أن يفرض الله تعالى له ولتنوى قرياه سهما في الغنيمة من الكفار ، ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ( وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ) وهذه سنة الأنبياء والرسل : يفرغون وسعهم وقصارى جهدهم في إرشاد أممهم الى سبيل الحق ، لا لغرض دنيوى ولا لمنفعة يبتغونها من الأمم ، ولكنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

قلنا إن حرمان قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة كما يرى هذا الكاتب يخالف لإجماع المسلمين ، والدليل من السنة على أن القربى قرابة الرسول عليه السلام ما أخرجه البخارى من حديث جبير بن مطعم قال : « مشيت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أعطيت بنى المطلب من خمس خبير وتركتنا ونحن وم عزلة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شئ واحد » فهذا الحديث صريح فى أن قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لهم حق فى الغنيمة ، وأن ذوى القربى فى الآية هم أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم

لا كما يدعى هذا الكاتب، والآية بعد ما تقدم تلك دلالة واضحة على أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم القائم بأمر المسلمين من بعده له حق في الغنيمة، وربما يقوم مقام هذا الحق ما يفرض له في بيت مال المسلمين مما كان يتقاضاه الخلفاء الراشدون، كما ثبت ذلك التاريخ الصحيح، وليس أخذ سيدنا عثمان بحقه كاملاً من بيت المال واحتجاجة على من تم عليه ذلك بقوله: «إن عمر قد ترك حقه وقد أخذت بحقي» ليس هذا ببعيد، وأياما كان فهذا أمر آخر يرجع فيه للفقه، وليس من موضوعنا، وإنما عرضنا له لمناسبته لموضوعنا.

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن ما فهمه الكاتب محض هذيان لا يستند إلى أصل من كتاب الله ولا سنة رسوله.

#### ٨ - مسألة الطلاق

قال في صفحة ٤٤٥ سورة الطلاق الآية عدد ١ ما نصه: «(يوتنهن) يوت الزوجية راجع البقرة من نمرة ٢٢٦ - ٢٤٢ والأحزاب نمرة ٤٩ والتحريم نمرة ٥ والنسور من ٥ - ١٠ لتعرف أن الطلاق وإن كان في يد الرجل لا يقع إلا بسبب يخل بنظام العشرة الزوجية».

يفيد كلامه أن ما هو معروف عن بعض الطوائف المسيحية من أن الطلاق لا يقع إلا إذا كان سببه أمراً يخل بنظام العشرة آتياً من قبل الزوجة هو من حكم الإسلام بنص الكتاب العزيز في غير آية، كما تفيد الإحالة على الآيات المذكورة، ويقرر أن المسلمين مخطئون من عهد النبوة لعمدة إلى الآن، وغير فاهمين لكتابهم على ما ينبغي أن يفهم، حيث يحكمون ويفتون بوقوع الطلاق مهما كان سببه، ومن غير أن تأتي الزوجة أمراً يخل بنظام العشرة.

ونحن بإزاء هذه الضلالة والجرأة الفرية نذكر للقارئ الآية الكريمة، ونبين له ما قيل في تفسيرها مما يطابق نظمها ويساعد عليه أسلوبها، ويؤيده النقل الصحيح من

السنة النبوية وأقوال السلف الصالح، حتى يتبين أمر هذا الكاتب، ويعلم أن ما قاله هنا ضلال مضاف الى ضلاله السابق واللاحق يذبح عنه القرآن والإسلام:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَدِينٍ وَاحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ).

قد اشتملت هذه الآية الكريمة على ثلاثة أحكام:

(١) أمر الرجال إذا أرادوا تطبيق نساءهم أن يطبقوهن للمدة.

(٢) أمرهم بإحصاء المدة.

(٣) نهيمهم عن إخراج الزوجات من بيوتهن ونهى الزوجات عن الخروج منها إلا أن تأتي الزوجات بفاحشة مبينة.

أما الأول فالقصد منه إرشاد الأزواج وأمرهم بالرفق بالنساء حيث يريدون مفارقتهم، كما أرشدهم الى الرفق بهن حيث يريدون للمعاشرة، فذلك كقوله تعالى: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) وكما قال في الآية اللاحقة في هذه السورة (سورة الطلاق) (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ).

واليك البيان:

إذا أراد الرجل طلاق زوجته فقد يطلقها وهي حائض، وقد يطلقها وهي طاهر، وإذا طلقها طاهرا فقد يطلقها في طهر مسها فيه، وقد يطلقها في طهر لم يمسا فيه.

هذه أحوال قد يحصل الطلاق في كل منها، وهي مختلفة: فمنها ما يترتب عليه ضرر للمرأة فوق الضرر الذي قد يلحقها بالمفارقة مهما كان شكلها، ومنها ما فيه رفق بها وعدم

إعانت لها : ذلك أن الطلاق في الحيض يؤدي الى تطويل المدة على المرأة ، لأن المدة إنما تبدئ من الطهر الذي بعد الحيض ، أو من الحيض التالي ، فإذا طلقها الرجل في حال حيضها فهي في هذه الحالة كالمعلقة فلا هي متزوجة ولا هي معتدة تنتظر انقضاء عدتها ، والاتصال بعمل آخر قد يكون لها من معاشرته ما ينسبها ألم الفرقة السابقة ، فالطلاق في الحيض يجمع للمرأة ألماً إلى ألم ( ألم تطويل المدة وألم الفرقة ) .

كذلك إذا طلقت المرأة في طهر مسها فيه التمس عليها أمر عدتها ووقعت في حيرة ، إذ لا تدري أحملت من ذلك المس فتعتمد بوضع الحمل ( وَأُولَاتُ الْأَحْصَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ) أم لم تحمل فعندتها بالأقراء ، فطلاتها في طهر مسها فيه يوقعها في حيرة ، ويضاعف ألماً ، أضف الى ذلك ما يلحقها من الألم إذا تبين حملها ، فإنها لا تدري بعد ذلك كيف يتربى هذا الطفل الذي نشأ كأنه يتيم حيث فارقت أمه أباه ، ومتى تنتهي من الرضاعة والحضاعة حتى تخلص من آثار هذه الزوجية التمسة وتتصل بزواج آخر ربما يكون لها معه السعادة والهناء .:

هذا من جهة المرأة ، وأما من جهة الرجل فقد يندم ندماً شديداً على ما فرط من الطلاق إذا ظهر حملها بعد ، فكان من الرفق بالمرأة بل بالزوجين معا أن لا يكون الطلاق في طهر مسها فيه .

أما إذا طلقت في طهر لم بمسها فيه فليس في الطلاق حينئذ إضافة ألم على ألم بالنسبة للمرأة ، ولا ما يوجب الندم من قبل الزوج ولا من قبلها أيضاً إذا كانت هي المتسببة في قطع أوامر الزوجية .

لهذا يقول الله تعالى : ( إِذَا طَلَّقْتُمْ ) أيها الأزواج ، أي إذا أردتم تطليق نسائكم فطلقوهن في زمن تبدئ فيه المدة أو تستقبلها فيه النساء من غير حيرة ولا ندم ، وذلك وقت الطهر الذي لم يحصل فيه مس وقربان للزوجات ، وبدل على هذا التفسير السنة النبوية :



عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه طلق امرأة له وهى حائض ، فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فحفظ عليه السلام ثم قال : « ليراجعها ثم يمكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسه ، فتلك العدة كما أمر الله تعالى » وفى لفظ « فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » رواه أصحاب الكتب الستة إلا الترمذى فإنه روى منه الى الأمر بالرجعة ، ولمسلم والنسائي رواية أخرى نحو هذه الرواية ، وفى آخرها قال ابن عمر : وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ) انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « فتلك العدة كما أمر الله تعالى » وقوله عليه السلام فى الرواية الأخرى : « فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » يتبين لك جلياً أن معنى قوله تعالى (لِعَدَّتِهِنَّ) لزمان يتبدى، فيه العدة أو تستقبل فيه العدة ، وهو زمن للطهر الذى لم يمسه فيه ، كما هو مصرح به فى قوله عليه السلام : « فَإِنْ بَدَأَ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا قَبْلَ أَنْ يَمْسَهَا » .

الى هنا ثبت ما ادعيناه فى بيان معنى الجملة الأولى ، ويتلخص فى أنها إرشاد لأحسن الحالات والأشكال التى يقع عليها الطلاق اذا عزم وصم عليه ، وأمر باتباع ذلك .

الحكم الثانى - قال تعالى : ( وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ) ومعناه اضبطوها واحفظوا عددها لتعرفوا متى تسقط عنكم الحقوق الواجبة للمعتدة من نفقة وسكنى ، ومنى يحل لكم من يحرم جمعه معها : كآختها وعمتها وخالتها ونحو ذلك مما يترتب على انقضاء العدة من الأحكام ، وهذا أمر ظاهر ومعلوم .

الحكم الثالث - قال تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ) ومعناه نهى الأزواج عن إخراج

المطلقات من البيوت التي كن فيها حين الطلاق مدة العدة ، كما في قوله تعالى :  
 أَتَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ) ونهى الزوجات عن الخروج من تلقاء  
 أنفسهن إلا في حالة خاصة ، والحكمة في هذا النهي الرفق بالمطلقة وتخفيف الألم عليها  
 بإبقائها في البيت الذي كانت ربه ومتصرفه فيه مدة العدة ، وإن كانت في مدة العدة  
 ليست كما كانت زوجة — إلا أن بعض الشراؤون من بعض ، فليس من المروءة أن  
 يطلق الرجل زوجته ويخرجها فوراً من منزله فتفقد كل ما كان لها من ترف ونمى مرة  
 واحدة ، فذلك من عدل الإسلام ورفقه بالمرأة وعنايته بها ، حيث حث على الإحسان  
 إليها وهي مطلقة ، وفرض لها حقوقاً على من كان زوجها ، كما فرض لها حقوقاً عليه  
 وهي زوجة ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) .

من جهة أخرى أن المطلقة يلحق مطلقها ما يتصل بها من سبة وسمعة سيئة ، وهي  
 عرضة للخطبة وطلب الرجال لها من الطلاق إلى الخروج من العدة ، وإن كان العقد  
 عليها لا يحوز في العدة — إلا أن الحرمة شيء ، والشهوة والعادة شيء آخر ، فكان من  
 الحكمة أن تبقى بعيدة عن الرجال مدة العدة مراقبة ممن كان زوجها لها ، حتى لا يطلبها  
 الرجال ولا تتصل بهم فيحدث ما يسيء سمعتها وسمعة مطلقها أيضاً ، ولذلك لم يقصر  
 النهي على الأزواج ، بل تعداه إلى الزوجات أيضاً حيث يقول تعالى : ( وَلَا يَخْرُجْنَ )  
 ومن جهة أخرى قد تكون الزوجة حاملاً ، فكان من الحكمة إبقاؤها في البيت حتى  
 تنقضى عندها بوضع الحمل ، صوناً للمرأة والرجل .

فالْحَمْدُ نَهَى لِلْأَزْوَاجِ عَنْ إِخْرَاجِ الْمُطَلَّقاتِ مِنَ الْبُيُوتِ مَدَّةَ الْعِدَّةِ ، وَنَهَى لِلزَّوْجَاتِ  
 عَنِ الْخُرُوجِ أَيْضاً مِنْهَا ، ثُمَّ اسْتَتَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الْحُكْمِ حَالَةً خَاصَّةً تَقْتَضِي خُرُوجَ  
 الْمَرْأَةِ مِنْ بَيْتِ الْعِدَّةِ هِيَ مَا إِذَا زَنَتْ وَأُرِيدَ إِقَامَةُ حَدِّ الزَّنى عَلَيْهَا ، فَيَجِبُ خُرُوجُهَا لِيُقَامَ  
 عَلَيْهَا الْحَدُّ ؛ وَهَذِهِ رَوَايَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ أَنَّ تِلْكَ الْحَالَةَ هِيَ

بذاعة المعتدة وغشها على أهل الزوج ، فينشد بحل للأرواح إخراجها من بيت العدة لسقوط حقها فيه حيث لم تحافظ على الكرامة التي أكرمها الله بها ، الى غير ذلك من الأقوال التي لا تخرج في مجموعها عن أن الجملة الأخيرة في سكنى المعتدة ؛ وليس من بين المسلمين من يقول إنها في التطليق وسببه كما يزعم هذا الكاتب .

يصير معنى الآية الكريمة على ما سمعت هكذا : اذا عزمتم الطلاق فطلقوا نساءكم في وقت مُبْتَدَأَ منه العدة أو تستقبل منه ، فاذا طلقتم فاحفظوا عدد العدة واضبطوها ، ولا تخرجوا المطلقات من البيت زمن العدة ، ولا يباح لهن الخروج إلا بسبب غير شريف منهن .

فالجملة الأولى متعلقة بشكل الطلاق ، والثانية والثالثة متعلقتان بما يكون بعده ، ولا شك أن النظم حينئذ في غاية الاتصال والمتانة .

أما اذا كان المعنى كما زعم هذا الكاتب فيكون هكذا : اذا أردتم تطليق النساء فطلقوهن لمعتن ، ثم اذا وقع الطلاق فأحصوا العدة ، ثم لا تطلقوهن ، ولا يقع عليكم طلاق إلا بسبب غير شريف منهن .

وخلاصة هذا المعنى بيان لشكل الطلاق ، ثم الحكم بعد وقوعه ، ثم رجوع لذكر السبب الذي يبيح الطلاق ويقع عند توفره . ولا شك في تفكك النظم الكريم وسوء الترتيب ( حاشا لله ) حينئذ ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان مقتضى البلاغة وحسن الترتيب ومراعاة تقديم الأهم وموافقة العبارة للترتيب الخارجى أن يبين أولاً سبب الطلاق ، ثم شكله ، ثم ما يكون بعده .

وأيضا اذا كان الطلاق لا يكون إلا لسبب غير شريف من الزوجة ، فكيف يعقل أنها اذا اقترفت هذا السبب يبق لها حرمة وكرامة حتى يؤمر الأزواج بالرفق بها وعدم طلاقها في الحيض ، أو في طهر حصل لها فيه قربان من الأزواج . أليس من المعقول حينئذ أن ينبذها الرجل ويقطع معاشرتها على أى حالة كانت ؟

فقد ستبين لك أن ما زعمه هذا الكاتب مما لا يستقيم نقلا ، فإن المنقول عن السلف هو ما قدمناه من التفسير ، وهو الموافق لما عليه عمل المسلمين من وقوع الطلاق مهما كان سببه .

وعلى فرض أن معنى الجملة الأخيرة النهى عن التطبيق كما زعم ، والنهى شىء وعدم وقوع الطلاق النهى عنه شىء آخر .

وماذا يقول في طلاق ابن عمر رضى الله عنه لزوجته ؟ فقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الطلاق بالرجعة لزوجته ، ولا رجعة إلا إذا وقع الطلاق ، فهل كان هذا الطلاق لسبب غير شريف من الزوجة : وأيضا فهذا الطلاق منهى عنه لوقوعه في الحيض ، ولم يمنع النهى عنه من وقوعه ، فليس هناك تلازم بين النهى عن الطلاق وعدم وقوعه . ولولا خوف الإطالة لشرحنا لك مسألة النهى ، وأنه يقتضى فساد النهى عنه لو فعل ، أو لا يقتضيه .

وأما ما أحال عليه من الآيات الكريمة فلا يدل على ما يدعيه ، وإنما هي شذوثة نعرفها من أخزم . وقد أبنا لك فيما تقدم نموذجاً من إحالاته واستنتاجه ، فلا حاجة بنا إلى الإطالة في مثل هذا الذى لا يصدر إلا عن الواهين والمضلين .

#### كلمة ختامية

هذه طائفة من البحث أوردناها ( كما وعدناك في المقدمة ) لنكشف لك ما يحتويه ذلك التعليق من الأباطيل التى لا تمت إلى العلم بصلة ، ولا يصدر مثلها عن عقل فيه قس من نور ، والتى لا يكاد يأبه لها بعد الذى بسطناه إلا من ران الضلال على قلبه ، وأعمته العصبية للجهالة قنابدى في مكابرتة ، وأمثال هذا إلى ربهم موكلون .

وإذا كان من واجب العلماء أن يحبطوا مساعى هذا الأفاك وأمثاله الخراصين ، ويقطعوا عليهم طريق التضليل بتفنيد مقترياتهم ، واجمعين في ذلك إلى كتاب الله تعالى

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس من المئين أن يقفوا هذا الموقف من رجل يشتهى أن يعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بفرضه من الإلحاد في الدين بتعريف كلام القرآن عن مواضعه ، ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته ، وبذلك يتبجح نفسه ، ولا يؤلمه بعد أن يكون استسلم لشهوته وضغى بدينه وخرج على المسلمين ، كما فعل مثل ذلك من قبل .

نقول لم يكن يروق العلماء أن يتخذوا التحرش بهم والتحكك بالدين أداة يتعرف بها هذا الإنسان إلى الناس ، ولولا أنه الواجب الملقى في عنقهم نهضوا لتأديته صيانة لعقائد البسطاء أن يتسرب إليها حسن الظن بهذه التخرصات إذا لم تصادف تكبرا من عهد اليهم حراسة الدين ، لما كنا لنصفي إلى مثل هذا التعليق ، أو نكثر بهذا الهر . . ولا يعنينا بعد أن يستتر هذا الخائر وراء ما يرمينا به هو ومن لف لفه من خدمة أغراضنا أو إرضاء سيلة خاصة .

وفد راعينا في بحثنا هذا أن نتناول الأمور التي يكون نخبطه فيها أخش خطرا ، وفهمه أسخف تأويلا ، تاركين أمورا أخرى قد يستطيع التهرب منها ولو من أضيق سبيل وبالارتسكان إلى أوهى الأسباب .

وعلى الجملة لم نقصد أن نعرض لجميع ما جاء فيه ، روما للاختصار ما أمكن ، واكتفاء بما أوردناه ، ليكون كحذر للعالم الاسلامي من النظر في تعميقه هذا ، أو الأخذ بأراء ذلك الرجل الذي لا يميز بين الحق والباطل ، ولا يفرق بين الدين والهوى .

كما راعينا أن نسير في أسلوب البحث على ما يسهل فهمه ويستطاع الإلمام به المتوسطى الإدراك .

ولعلنا بعد نكون قد أبرأنا ذمتنا إلى الله من واجب الإرشاد ، وها هو الحق صراح بين لئى عيتين ، وعلى الله قصد السبيل وبه التوفيق

## تزييه الله عنه المظالم والمجرمة

نقية الكلام على سؤال الأستاذ محمود على المدرس بمدرسة المنتزه



قال حضرته ما ملخصه : إن الله في السماء بمعنى جهة العلو ، ويدل لتلك آيات كثيرة وأحاديث عديدة ، ثم ساق من الآيات مثل قوله تعالى : (أَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ) وقوله : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) الى غير ذلك ، ومن الأحاديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأستجيب له » الخ .

ونحن نقول له : ما كان ينبغي أن تذكر هذه الآيات المتشابهة مجتمعة ، وكذلك أحاديث الصفات ، فإن هذا يلبس على الناس ويدع في نفوسهم أثرا سيئا عند ما تمتلي من تلك الظواهر التي لم تذكر في الكتاب والسنة إلا في مقامات معدودة ، وربما احتف بها من القرائن ما يوجب صرفها عن ظاهرها ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيمن ذكر أنهم يكونون على يمين الرحمن ، معرفا إيانا أنه يجب تزييه عما يعطيه ظاهر لفظ اليمين فقال : « وكلتا يديه يمين » ولا يكاد يذكر ذلك في مقام واحد على نحو ما تفعلون قصدا للتأثير في الناس والتلبيس عليهم خصوصا من لا علم له بما ذكره أهل البيان من الاستعارات والمجازات والكنيات ، ولا ارتاض بصناعة المنطق ، ولا زاول العلوم العقلية ، ولا تعمق في براهين المقائد ، ولا عرف ما قاله العلماء في ذلك ، وقد قال تعالى : ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ) .

ولا بد أن تكون قد عرفت أن السلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه، وأن الخلف يؤولون خوفاً من التشبيه، فكلهم متفقون على التنزيه، وإجماع الفرق بينهما أن علماء الخلف يعينون المعنى المراد فيقولون مثلاً في قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) : المراد باليد القدرة؛ والسلف يفوضون بعد التنزيه فيقولون: إننا ننزهه تعالى عن الجارحة ولا نعين شيئاً خاصاً من المعاني التنزيهية كما يفعل علماء الخلف. أما أولئك المتفهبون الذين يعينون ويشبهون فهم مجسمون مشبهون يبرأ منهم السلف والخلف جميعاً، فهم كراميون<sup>(١)</sup> لا سلفيون ولا خلفيون.

وليت شعري أين ثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر: فيثبتون له تعالى يداً بمقتضى قوله: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) أم يدين بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم: «كلتا يديه يمين» أم أيدياً عديدة بمقتضى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) أو يثبتون له عينا بمقتضى قوله: (وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) أم أعينا بمقتضى قوله: (تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا) إلى غير ذلك، وهو كثير جداً ألف فيه ابن الجوزي وغيره، أو يقولون إن الله في السماء بمقتضى (أَأَمْسُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أم على العرش بمقتضى قوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) أم في الآفاق بمقتضى قوله: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أم في أماكنا وأحيانا بمقتضى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) أم يثبتون له أصابع بمقتضى قوله: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» أم يثبتون له يميناً في الأرض من حجر بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» وبعد هذا فأى لون يثبتون له وأى طول وأى عرض يصفونه به الخ الخ ؟:

ويرحم الله الإمام الغزالي حيث يقول: «من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالاً بعيداً، ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلاح دينه»

(١) أي مسجونين لحمد بن كرام وهو من رؤساء الشيعة.

ولست أدري كيف يخوضون في هذا وهم لم يعرفوا حقيقة أرواحهم التي يحيون بها : فكيف يعرضون للكلام فيمن ليس كمثل شيء (سبح قدوس رب الملائكة والروح) وقد أقام كل ذرة من ذرات الكون دليلاً على وجوده ، حتى أصبحت معرفته بآثاره من أجلى الواضحات وأظهر الظاهرات ، ولنقل ما قال فيلسوف الإسلام ابن سينا في بعض مؤلفاته :

الحمد لله بقدر الله      لا قدر وسع العبد ذي التناهي  
لحمد لله الذي من أنكره      فإنما أنكر ما تصوره  
الحمد لله الذي برهانه      أن ليس شأن ليس فيه شأنه

أما معرفة حقيقته والوقوف على كنهه فهو من أول المحالات ، فإنه ليس بيننا وبينه مشاكلة ولا مناسبة ، فكيف يمكن أن تحيط به المقول وهي لا تحيط إلا بما شاركها في نوع أو جنس أو فصل مما هو حادث مثلها ؛ فهو بكل شيء محيط ، ولا يحيطون به عما ، وإما غاية ما نعلم منه وجوده وتنزيهه عن صفات المحدثات ؛ وقد علمنا في أول ما علمنا تلك القضية العقلية مع برهانها الواضح فقلنا : تجب مخالفته تعالى للحوادث ، لأنه لو مائلها لكان حادثاً مثلها لكن التالي باطل فبطل المقدم . والالهيّة يجب أن تكون أكبر من أن تخضع لسلطان عقل قاصر هو من صنعها ، وقد عجز عن إدراك نفسه وعن حقيقة ما يقع تحت حسه ، فيكفيه أن تدهشه تلك الآيات الباهرات وما أبدعه في الأرض والسموات ؛ أما ما وراء ذلك فليس من علمه ولا يليق بمرتبته ولا بمرتبة الإلهية .

قال الجاحظ في بعض كتبه : « إياك وأن تظن أن العلم بوجود الشيء يستلزم العلم بحقيقته ، أو الجهل بحقيقته يستلزم الجهل بوجوده ، فإنه إذا ضربك أحد في ليل مظلم علمت وجوده لا عمالة وإن لم تعرف شخصه » .

تسأله الأنام بسكركم      فذاك صاحي القوم عريد



تالله لا موسى الكليـ	م ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا جبريل وهـ	و إلى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البسيـ	طة لا ولا العقل المجرد
من كنهه ذاتك غير أنـ	لك أوحدي الذات سرمد
من أنت يارسطو <sup>(١)</sup> ومن	أفلاط قبلك قد تفرد ؟
ما أنتمو إلا الفـرا	ش رأى السراج وقد توفد
فدنا فأحرق نفسه	ولو اهتدى رشداً لا بعد

وإني لا أعجب كل المعجب والله ممن يحمله على العرش ، فأين كان قبل أن يحدث العرش ، وهل العرش غير محتاج إلى من يحمله أم هو محتاج إلى من يحمله ؟ وكذا حامله أيضاً ، حتى تصل إلى حامل غير محمول كما يقتضيه البرهان ، وهل يقولون إن الله محتاج إلى العرش والعرش غير محتاج إليه ، أم كلاهما محتاج لصاحبه ، أم ماذا يقولون ؟ وهل العرش أكبر منه تعالى أم مساوٍ له ، أم هو عز وجل يزيد عليه : وليت شعري بعد ذلك من أي العناصر هو ، وكيف تركيبه الخ ؟؟ ومتى ثبت له بعض لوازم الجسم ثبت له جميعها ، وقد بالغ الإمام الرازي في الرد على الفاتلين بذلك ؛ وله فيه كتاب سماه « أساس التقديس » ولنتفقد لك شيئاً مما قاله عليه السلام في التنزيه ، ونبدأ بصارة الرازي :

### كلام العلماء في التنزيه

قال الفخر الرازي في قوله تعالى : ( ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ) : في لامتواء عند خلق تأويلات . أولها أنه كناية عن تمام الملك ، كما يقال جلس فلان على عرش المملكة وإن لم يكن

(١) هو أرسططاليس واضح المطلق . وأفلاط هو أفلاطون أحد فلاسفة اليونان وهو أستاذ أرسطو وقد تصرف الشاعر هذا التصرف لأنهما أعجبين وهم لا يبالون بالأسماء الالهية كما قالوا : مجيى قالب به .

هناك عرش ولا جلوس، فيكون مثل قوله تعالى حكاية عن اليهود: (يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ) كناية عن البخل. ثم قال: إن من ملك بلدا صغيرا لا يحسن أن يقال فيه جلس على العرش، وإنما يحسن ذلك فيمن ملك البلاد السبعة والأقطار الواسعة. ومما قاله: إن العرش يطلق على الملك، وعلى السرير الذي يجلس عليه الملك ووزيره أمامه على الكرسي، فالعرش والكرسي في العادة لا يكونان إلا عند عظمة الملكة، فلما كان ملك السموات والأرض في غاية العظمة عبر بما ينبغي في العرف عن العظمة. ثم قال: ونظير هذا أنك تقول للفقير المغلوب: ضاقت به الأرض. أنظن أنهم يريدون به أنه صار لا مكان له وكيف يتصور الجسم بلا مكان: فسما يقال: الهارب لم يبق له مكان، مع أن المكان واجب له يقال للقادر القاهر: هو متمكن وله عرش، وإن كان التزه عن المكان واجباله. ومن التأويل أن استوى بمعنى استولى، كما هو في كتب اللغة كديوان الأدب وغيره كقوله:

قد استوى بشر على العرق من غير سيف ودم مهراق

كأنه قال: خلق السموات والأرض ثم ههنا ما هو أعظم منه (استوى على العرش) فإنه أعظم من الكرسي، والكرسي وسع السموات والأرض. إلى أن قال ما محصله: إنه لا يجوز أن نفهم من هذا الكلام إثبات المكان له تعالى، حتى ولو قيل إنه استقر على العرش، فإن فهمه، لممكن عند استعمال كلمة الاستقرار مشروط بجواز التمكن، حتى إذا قال قائل: استقر ريد على الملك أو على الثغف يفهم منه التمكن وكونه في مكان، وإذا قال قائل: استقر الملك على فلان لا يفهم أن الملك في فلان، فقول القائل: الله استقر على العرش، لا ينبغي أن يفهم كونه في مكان ما لم يعلم أنه مما يجوز عليه أن يكون في مكان، فجوز كونه في مكان إن استفيد من هذه اللفظة بزم تقدم الشيء على نفسه، وهو محال. ثم قال: كيف يكون محتاجا إلى العرش وهو الغني عما سواه؛ وكل ما هو في مكان فهو في بقائه محتاج إلى مكان، لأن بديهية العقل حكمة بأن الحيز إن لم يكن لا يكون

المتحيز باقيا، فالمتحيز ينتفى عند انتفاء الحيز، وكل ما ينتفى عند انتفاء غيره فهو محتاج اليه في استمراره، فالقول باستقراره يوجب احتياجه في استمراره، وهو غنى بالنص .  
الى أن قال : اعلم أن كلمة على تستعمل لكون حكمه على الغير، كما يقول القائل : لولا فلان على فلان لأشرف على الهلاك، وكذلك يقال : لولا فلان على أملاك فلان أو على أرضه ما حصل له شيء، فكيف لا تقول في استوى على العرش إنه استوى عليه بحكمه، كما نقول هو معنا بمله : كيف وهذا الذي يتمسك به هذا القائل يدل على أنه ليس على العرش بمعنى كونه في المكان : وذلك لأن كلمة ثم للتراخي، فلو كان عليه بمعنى المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليه، فقبله إما أن يكون في مكان أو لا يكون، فإن كان يلزم محالان : أحدهما كون المكان أزليا، والثاني جواز الحركة والانتقال على الله تعالى، وهو يفضي الى حدوث الباري، أو يبطل دلائل حدوث الأجسام؛ وإن لم يكن في مكان كان هناك محال آخر، وهو أن ما حصل في مكان يحيل العقل وجوده بلا مكان، وإذا كان كذلك فيلزمه القول بحدوث الله أو عدم القول بحدوث العالم، لأنه إن سلم أنه قبل المكان لم يكن فهو القول بحدوث الله تعالى، وإن لم يسلم فيجوز أن يكون الجسم في الأزل لم يكن في مكان ثم حصل في مكان، فلا يتم دليل حدوث العالم، فيلزمه أن لا يقول بحدوثه .

ألا يعلم ذلك الجاهل أنه جعله معدوما حيث أحوجه الى مكان : فإن كل محتاج اذا نظر الى عدم ما يحتاج اليه معدوم . ولو كتبنا ما فيها اطلال الكلام .

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في حديث النزول المتقدم : ما أسهل على العالم إرشاد الجاهل : بأن يقول : إن كان المراد من النزول الى سماء الدنيا أن يسمعا فاسمعا، فلا فائدة في النزول، فلا بد أن يكون المراد بالنزول شيئا آخر له محصل : كنزول الرحمة أو نحو ذلك ؛ وقد تكلمت على التأويل وما قال العلماء فيه في عدد سابق .

وقال إمام الحرمين : إن الله خلق العرش من ذرة ، وهو بالنسبة الى قدرته أقل من ذرة ، فكيف يكون مستقره ! .

وقال ذو النون المصري رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد : التوحيد أن نعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنيعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شيء صمعه ، ولا علة لصنعه ، وليس في السموات العلا ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، وكل ما تصور في وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك

وقال أبو الحسين النورى رضى الله عنه وقد سئل عن القرب من الله تعالى فقال : أما القرب بالذات فتعالى الملك الحق عنه ، وأنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ، ما اتصل به مخلوق ، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل ، فهذا قرب محال ، وقرب هو في نعمته واجب ، وهو قرب بالعلم والرؤية ، وقرب هو جاز في وصفه يخص به من يشاء من عباده ، وهو قرب الرحمة واللفظ .

وقال يحيى الرازى رضى الله عنه وقد قيل له : أخبرنا عن الله تعالى فقال : إنه واحد ، قنيل كيف هو ؟ فقال . ملك قادر ، فقيل أين هو ؟ فقال بالمرصاد ، فقال السائل . لم أسألك عن هذا ، فقال : ما كان غير هذا فهو صفة للمخلوق ، فأما صفته فأخبرت عنه . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : من زعم أن الله سبحانه في شيء أو من شيء أو على شيء ، فقد أشرك بالله ، إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء لكان محصورا ، ولو كان من شيء لكان محدثا ، تعالى الله عن ذلك .

وقال بعض العلماء لتلميذه له يمتحنه : لو قال لك أحد أين مبدئك فأى شيء تقول ؟ قال كنت أقول . حيث لم يزل ، قال فإن قال : فأين كان في الأزل فأى شيء تقول ؟ قال أقول : حيث هو الآن ولا مكان فهو الآن على ما عليه كان ، قال التلميذ فارتضى

الشيخ ذلك . وقال السهروردي من كلام طويل : جل الله عما يهجنس به الوسواس ، وعظم عما تكتنفه الحواس ، وكبر عما يحكم به القياس ، لا يصوره خيال ، ولا يشاكله مثال ، ولا يعتريه زوال ، ولا يشوبه انتقال ؛ لا يلحقه فكر ، ولا يحصره ذكر ؛ لا تحد أزمته بمقي ، ولا تقيد أبديته بمحى ؛ إن قلت أين فقد سبق المكان ، وإن قلت متى فقد تقدم الأزمان ، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشياء والأمثال والأقران ، وإن طلبت الدليل فقد غلب الخبير العيان ، وإن رمت البيان فذرات الكائنات بيان وبرهان ؛ عرفنا المكان بتعريفه إيانا ، ولو شاء كوننا ولم نعرف زمانا ولا مكانا ، وكوننا في المكان ولو شاء كوننا ولا مكان ، فموالم قدرته غير محصورة ، وغرائب مشيئته غير منكورة ، وما نحن فيه من العالم مما نحن فيه من العقل والعلم عالم من عوالمه ، ولا يستبعد قولي : « ولو شاء كوننا في غير مكان » فقد كون المكان لا في مكان ، إذ لو كان في مكان لتسلسل ، فمن يكون المكان والمكون فيه والزمان والمقدر فيه عالما من عوالمه ويسيرا من مبدعات قدرته كيف يحصره الزمان والمكان ؛ فما أحقرك وأحقرك علمك ؛ فلو فتحت عين بصيرتك ستحييت من قياسك وفكرك ووهمك وخيالك . أيها المحدود المحصور ؛ لا ينتج فكرك إلا محودا محصورا ، وأيها المحيط به الجهات ؛ لا يحكم علمك إلا على الجهات ، فالجهات من جملة العالم ، وقد علمت نسبته الى عظمة الله ، فتبارك الله رب العالمين .

والخلاصة أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها ، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى ، ولا نقطع بتعيين تأويل منها ، بل نكل ذلك الى العليم الخبير ، ولكن لا بد من التنزيه على كل حال .

يوسف الرمزي  
من هيئة كبار العلماء

## البعث بالجسم والروح

.....

أجمع أهل الأديان السماوية على الاعتراف بالبعث واليوم الآخر ، وبنيت الشرائع على تكليف العباد بمقائد وأعمال ، وترتيب الجزاء على امتثال التكليف أو عدم امتثاله بالثواب والعقاب ( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) وكذلك رأى الفلاسفة الحكماء الذين يستمدون آراءهم من نظر العقل أن لا بد من جزاء في حياة أخرى تتعرض لها النفس الناطقة بعد مفارقة البدن الذي هو من عالم المادة ، بل قد اهتدى بعض أهل الفترة بفطرتهم من غير أن يدرسوا علوماً فلسفية أو يتلقوا شرائع سماوية إلى أن حياة بعد هذه الحياة يلقي فيها المحسن جزاء إحسانه والمسيء جزاء إساءته أمر لا مفر منه ولا مندوحة عنه . روى أن بعض رؤساء العرب كان يقول دائماً : من يظلم يظلم ومن اعتدى اعتدى عليه . فلما رأى أفراداً استطالوا على الناس بقوتهم ، وظالمهم معتدين ثم مضوا لسبيلهم ، وانتهت آجالهم بدون أن ينتقم منهم ، ولم يلحقهم أذى في دنياهم ، فكر ثم قال : والله لا بد من يوم يحيا فيه الناس ويتقاصون ويلقى كل امرئ جزاء ما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

أعمل هذا ومثله فكراً في روية فتأملوا في صنع الحكيم العليم الذي أبدع خلق هذا العالم على أكمل نظام ، وأعطى كل نوع كماله الذي يناسبه ، فلم تقبل عقولهم أن يترك أفراد اناس فوضى يتطاحنون ويتظالمون ، ويمكن بعضهم من قهر بعض بلا رادع ولا وازع ، ثم يمتضون هكذا لسبيلهم بدون أن يقتص لبعضهم من بعض ، ورأوا أن ذلك لا يتفق وما يرون من كمال الإتيان والإبداع ومظاهر الحكمة والعدالة التي تتجلى في خلق العوالم المتنوعة بسائر نواحي وجودها كلية وجزئية ، فجزموا بما جزموا به

بفطرتهم وإن لم تصلهم تفاصيل الشرائع السماوية وأحكامها مما جاء به الأنبياء والمرسلون على وجه يكفى في الإيمان والإيمان.

هكذا رأت العقول السليمة بفطرتها، وإلى هذا وصل حكماء الفلاسفة يبعثونهم، وبهذا وردت الشرائع السماوية برمتها، وعلى هذا درجت الأمم المتدبنة قديماً وحديثاً. ولقد شذ عن هذا بعض الناس في بعض الأحيان والمصور فقالوا: «إن هي إلا حياتنا الدنيا نوت ونحيا وما نحن بمعموتين» وإنك إذا غصت حال هؤلاء وتأملت في دخائل نفوسهم وجدت لهم دواعي نفسية دعتهم إلى التمسك بهذه المقالة والإصرار عليها، واضطرتهم إلى التفتيش عن مستند لها معها ضعف، ففتشوا حتى عثروا بشبه واهية تخيلوها أدلة ثم خالوها، إذ كانت توافق أغراضهم، فعملوا على تثبيتها حتى دنت لها نفوسهم وخلدوا إلى السكينة عندها.

فأما دواعيهم لها فإنها لا تعدو الخرص على تحقيق رغائب النفس الأمارة بالسوء — من انقياس المترفين في شهواتهم ولذائذهم غير منغصين بعقوبة متوقعة، أو استمراء الأقوياء الظالمين مرائع الظلم الوحشية غير مروعين بقصاص عادل، فليس أبغض إلى المستهتر في شهواته العاكف على لذاته، ولا أثقل على سمع المعتد بقدرته المفتات على الضعيف بفضل قوته من أن تذكره بأن هناك جزاء عادلاً وقصاصاً شاملاً، لا ينجي منه مال ولا بنون، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين. هذه الذكرة مروعة للظالم، منغصة للمترف، مفسدة على كليهما ما يشعر به من لذة، سواء أكانت لذة الاسترسال في اللهو، أو نشوة النصر والغلبة والقهر. ومن ذا الذي يسمح للمنغصات أن تدخل عليه بلا استئذان، أو للمروعات تلج إلى نفسه من أي باب؟ فالمرء مجبول على أن يحتاط لنفسه فلا يسمح لأي غبار أن يمسك عليه صفوه، حين يقرع سمع هؤلاء. مثل هذه الكلمات فتحدث في نفوسهم أثرها الطبيعي يشورون عليها بطبيعتهم، ويهاجمونها بكل قوتهم، وبعثون بكل

ما يملكون عن شيء، يثبت هذه الفكرة المنقصة للذات، المفسدة للشهوات، المعركة للصغور، المقومة للهو؛ فإذا لم يجدوا ما ينشدون تمنوا ولو شبهة، ثم تخيلوا ما غنوه حاصلًا، ثم خالوا ما تخيلوا حقيقة واقعة، بل زعموه أدلة ساطعة؛ وهكذا يتحيل المرء على ما يوافق غرضه بأية حيلة ويسلك إليه أوهى وسيلة. ولو خلى هؤلاء وعقولهم، ولم تعبث بتفكيرهم أهواؤهم لكان أدنى مراتب الحكم أن البعث إن لم يكن ثابتًا جزمًا فهو على الأقل أمر محتمل، فيصح الاحتياط من الوقوع في شره أو التعرض لضرره، بل العقل يوجب الحذر للنفس والتوقي من التعرض للخطر والصرر ولو على سبيل الاحتمال؛ فن الجارفة المقومة، بل من الجنابة على النفس ندريضها لعقاب شديد وعذاب أليم لا تأمن الوقوع فيه، ولا دليل لها على النجاة منه، ولا طريق لها إلى الأمن من الوقوع فيه، ويصح أن يقال فيه على الأقل ما قاله الأول :

قال النجم والطبيب كلاهما لا يبعث الثقلان قلت إليك  
إن صبح قولكما فلت بخاسر أو صبح قولي فالحسار عليكما

ولا أخلتك تجمد فردًا واحدًا يفكر في أمر البعث بدون أن تدفعه رغبة خاصة إلى جهة معينة، بل يكون غرضه الحقيقي فهم الأمر على ما هو عليه، ثم يجزم من قرارة نفسه بأن البعث لن يكون قطعا — نكاد نجزم بأنه لا يمكن أن يوجد مفكر بلا غاية خاصة يصل به التفكير إلى هذا الجزم، فإن أمر البعث على فرض أن لم تكف الأدلة المثبتة لوقوعه فإنه لا توجد أدلة تقوم على نفيه، فاحتماله على الأقل لا يزال قائمًا، فالحيلة له والحذر من التعرض لخطره وصوره النفس عن أضراره المحتملة أمر يحتمه العقل ويوجب الاحتياط. كل هذا بقطع النظر عن نصوص الشرائع التي لا سيبل إلى التخلص منها، ولكن من لك أن تمنع عصايات الشر وجماعات اللصوص وقطاع الطريق أن يفكروا في أمر العقوبات والقوانين، وأن يذعنوا إلى أن لهم حكومة ساهرة على الأمن تمنع



المجرمين حتى تظفر بهم فتوقع بهم عذاب الهون ؟ : إنك مهاجاهدت في أن توجه تفكيرهم الى هذا ما رأيت منهم إلا شتمًا زأبًا لاذراء لمن يعرض عليهم مثل هذه الفكر، وسد الآذان وإغماضا للجفون، حتى لا تفرح أسماعهم المزججات، ولا تنهر أبصارهم الآيات الواضحات ولو أنهم راضوا أنفسهم على التفكير فيما تدعوم اليه ما ارتكسوا فيما ارتكسوا فيه، ولكانوا إن لم يستجيبوا لداعي الفضيلة فروا من العقاب لذي قد يربو أضغاث مضاعفة على ما يجرزونه من مال أو متاع يتمرد هم وطفياتهم، وقالوا في نفوسهم إن الضرر أكبر من النفع؛ وإنك لتجد أقرب جواب حاضر لديهم ذا ما نبهتهم الى شناعة ما هم فيه، ووخامة عاقبته عليهم في لدنيا من حبس أو تعذيب قول القائل :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك الهج

أو قول من سرق منه :

من راقب الناس مات هما وفاز بالأسدة الجسور

هل رأيت مرة مجرمًا يفكر فيما هو عرضة له من عقوبة ؟ لو فكر في ذلك لارتدع من أول الأمر؛ ولو فرض أن خاطب أحد المجرمين رفقاءه يدكرهم لثاروا في وجهه. إن هذا جبن وخور، فلتكن مقداما ولا تفكر في مثل هذا، ودع عنك الهواجس والخزعبلات. وهكذا شأن المجرمين إذا دعوا الى التفكير في البعث والجزاء الأخرى وامل هذه الحالة النفسية مما يلحق إليه قوله عليه الصلاة والسلام: « لا يزني زاني حين يزني وهو مؤمن، أي أنه لا يمسر على خاطره مقتضى إيمانه، وإلا كان إن لم يردعه الخوف من العقاب منعه الحياء من مالك الرقاب. نعم ليس أثقل على نفس المجرم من التفكير في ما له وصيرورة حاله، ولا يزال يمرض عن ذلك ويتنلساء حتى يران على قلبه وينسأه، ثم ينتقل الى أن يحزم بخلافه ويتلسأ أو هي الأسباب

يتمسك به، حتى يقنع نفسه ومن قدر عليه قهراً أنه لا شيء مما يخاف بواصل اليه، وإذا قدرت له السلامة مرة ومرة اتخذ ذلك ذريعة للاسترسال في غوايته والاجتهاد في تثبيت ما زعمه عقيدة، ومحال معها حاول أن يظهر بأنها عقيدة أن ترسخ الرسوخ الحقيقي الذي هو شأن العقائد، بل هي مزعجة بأي ربح تمر عليها لولا التشبث الشديد الذي يبعثه في نفسه حرصه على استيفاء اللذائذ؛ فمثل هؤلاء مثل معكري البعث — والكل من فصيلة واحدة يحمدهم التغافل عن العواقب — أو يقولون من الذي بعث من الآباء والأجداد على تقادم المصهور ولأحقاب؟ هل عاد أحد منهم وخبرنا أن بعد الموت حياة؟ وإذا لم نسمع ممن مضوا وهم الذين شهدوا وعرفوا فلا يكون لتلك حقيقة ولا ثبوت، كأنهم إذ لم يروا ولم يسمعوا ممن رأى وشاهد لا يكون عليهم سلطان ولا يقدر عليهم ديان، فما أشبههم بالنعامة تدفن رأسها بين حجرين لكيلا ترى الصياد ظناً منها أنها إذا لم تره لم يرها فقسيم، وبذلك تستسلم حتى يدركها حتفها في غفلتها.

واعلمك قائل إن هد إسرائف من الكاتب في تصوير ما عليه المنكرون، فيرى أنهم يشعرون بالبعث ويتغافلون عنه ويتناسونه، ولكن ما هم في ذلك من شيء، فهم ينكرونه من فراءة نفوسهم ويرون أنه لن يكون، وأهل الكاتب حكمت عليه عقيدته فتحيل كل الناس على رأيه، إذ قاس العقائد عند الناس بما حقه أن يكون في نظره، وإلا المنكرون منكرون وكفى. وأقول على رسلك ورويدك ورويدك: إن من نظري في كلام قدمائهم على تعدد طبقاتهم وتباين منازلهم، ثم تحدث إلى محدثيهم الذين درجوا على سننهم لا يجدوها تعدوا ما قدمنا لك من أن أمر البعث أمر سمعناه وما شاهدناه وما لنا به من علم؛ ومعنى ذلك أنهم لا يصدقون بوجوده، لا أنهم يحزمون بعدم حصوله، وفرق ما بينهما، أرى يقولون كما حكاه عنهم القرآن الكريم: (أَنذَرْنَا مُنِئْزَارًا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ آوَابًا وَّأَنَّا لَأَوَّلُونَ) ومعنى ذلك أنهم يتبعدون أن تعود إليهم الحياة

بعد أن ابتعدوا عنها ، ومعنى ذلك أنهم في شك واستبعاد ، لا أن لديهم الجزم بالنفي ، ومثل هذا قولهم : ( مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ) فكأنهم ما حيرهم في أمر البعث إلا عجزهم عن تصور من يقوم به ، وأما تصور الموجد للحياة الأولى بلا سابقة حياة فهو أمر غير محير عندهم ، نعم حاول فئات منهم أن يبرهنوا على استحالة مبالغة منهم في الأمن منه وجلبا للعظماء نينة الوهومة ليخلو لهم الجو ، فكذبوا قرائعهم وأجهدوا نفوسهم وما ظفروا من ذلك بما يبيل ريقهم ويحرك في أفواههم ألسنتهم ، إذ كان كلامهم من جنس هذه الكلمة : لو كان المعاد هو الأول لمعد بشخصه ويجمع مشخصاته ، ومن شخصاته وجوده في الوقت للمين الأول ، فإذا كان وجوده في وقت آخر كان مغايرا للموجود الأول فكان للمعاد غير الأول .

والمعجب منهم أن يدعوا لأنفسهم العقل حتى مع هذا الهذيان ، فهل يرون أنهم يوم اكتملوا حتى قالوا هذه المقالة ؟ غير من ولدتهم أمهاتهم أطعما لا على فراش آناهم ؟ فكيف إذا ينسبون إلى آباؤهم ويتوارثون معهم ويكافونهم أن يربوهم وقد صاروا شيئا آخر بمجيء وقت آخر : وإنها لسخافة لا تستحق الالتفات إليها ولا الرد عليها .

وما أحسن قول أستاذ تلميذه في إخامه وقد قال بمثل هذه المقالة : « أنا لا يلزمني الرد عليك ، فإن السائل والمستول قد مضيا لحالهما وجاء خالق جديد غيرهما يتبدل الوقت » وأحسن منه أن واحداً صنع صاحب هذه المقالة على وجهه ، فلما أراد الاقتصاص منه قال له : « علام ؟ قد ذهب الضارب والمضروب وجاء بدلها شخصان جديدان » فترى أن أمر البعث لا تكاد نفس تصل إلى دليل أو شبهة تصف به قدمها وتستطيع أن تثبت استحالة وعدم إمكانه أو الجزم بأنه غير حاصل . وغاية متمسكهم أنهم لم يحزموا بحصوله ، فزعموا أنهم جزموا بعدم حصوله .

أما بعد : فالتاس في أمر البعث قسمان : فريق لا يقول بدين ولا يعتقد بصدق أحد من الأنبياء والمرسلين ؛ وهؤلاء منهم من هدته فكرته ودلته فطرته على أن لا بد من

يوم يحاسب فيه الناس على أعمالهم ويحزون بما كان منهم، ومنهم من سمع بتثل هذه الكلمة فتأنى عنها، أو حاربها جهد استطاعته فرارا من صدمتها له في رغائبه وأغراضه. وفريق متدين ومعتقد صدق الأنبياء والرسلين؛ وهؤلاء كلهم معترفون بالبعث واليوم الآخر، ولكن منهم من يعترف بالبعث بالجسم والروح، ومنهم من يقول به ولكن بالروح فقط، إذ كانت إعادة الأجسام عنده محل إشكال، فذهب إلى التأويل في النصوص الشرعية جريا على القاعدة المفردة: أن ما ورد من النصوص وكان لإجراؤه على ظاهره غير ممكن وجب تأويله.

وليس من غرضنا في هذه الكلمة أن نعرض لآنياته على فريق من لا يقول بالآديان ولا يدعن للتصديق بنبوة الأنبياء ورسالة الرسلين، فهؤلاء قد أقام القرآن الكريم في وحهم من الآيات اليبينات ما يفهمه كل من عنده أدنى عقل اذا لم ينمض عينيه عن النور، ولم يجعل أصابعه في أذنيه فراراً من صيحة الحق، وإنى كلامنا مع من صدق بالشرائع وأذعن لدلالة النصوص، وزعم أن البعث الجسماني أمر غير ممكن أو لا فائدة منه فيجب تأويله وصرفه إلى البعث الروحي وتأويل ما ورد في أمر النعيم والشقاء، بأنه كنايةات لتقريب اللذائذ الروحية إلى الفهم بتشبيهها باللذائذ الجسدية التي ألفها الناس وركنت لها نفوسهم، حتى أصبحت أكبر عامل في اجتذابهم والتأثير على ميولهم.

وكلام هؤلاء في شعبتين: الأولى أن إعادة الأجسام غير ممكنة. الثانية أنها لا فائدة لها. فأما الأولى فقد استندوا فيها إلى شبه بعضها أو هي من بعض — قالوا أولاً تلك الكلمة التي سبق أن حكيناها عن بعض المنكرين، وهي أن المادي يلزم أن يستوفي كل مشخصات المبدوء، ومنه وقته الذي وجد فيه، وحينئذ يلزم أن يكون بدءاً لا إعادة. وقد عرفت أن اتحاد الوقت غير لازم في اتحاد الذات مطلقاً، ولا يقول به إلا من نسي نفسه وغفل عن ذاته، وأنه هو نفسه الذي يبدي كلامه وهو الذي يتمه، وقد بدأ في وقت

وأتمه في وقت آخر، بل هو نفسه لذى ولد صغيراً وعاش حتى هرم وشاخ، وهو هو الذى يموت بعد أن يستوفى أجله، بل إذا فرض أن تقطعت أجزاؤه ونبت له غيرها ما كان ذلك بغير شخصيته ولا بمخل بوحده، وعلى المموم فسخافة هذه الشبهة أوضح من أن تحتاج إلى عناء. وقالوا ثانياً: قد يصح أن يأكل شخص شخصاً فيمتزج بدن هذا ببدن ذاك، فهل الأجزاء التى دخلت في جسمين تعاد مع الأول أو مع الثانى أو مع كليهما؟ وقد يرى بعض الناس أن هذه الشبهة من القوة بحيث لا يمكن التخلص منها، ثم يبرزها فروض قريبة الوقوع، كأن يقول: قد يفرق شخص فتناً كله الأسماك حتى يتحد ببعضها، ثم يأكل هذه السمكة شخص آخر تتحد بجسمه؛ أو يقول: قد تتحات أجزاؤه وتصور تراباً تنخرج بنبات تنمى جذوره ثم تقتنى بهذا النبات؛ وأمثال هذه الفروض كثير، ويستأنس بقول الشاعر:

صاح هذى قبورنا تملأ الروح      ب فأن القبور من عهد عاد  
خفف السير ما أظن أديم ال      أرض إلا من هذه الأجساد

وإنك لتجد الكثير من الناس مولعاً بهذه الشبهة يتشدد بها، إما طرباً لها إذ وافقت هواه وهو تخليص رقبته من ربة التكليف، وإما ارتباً كافى أمرها وتخييراً فى كيفية الخلاص منها، فإذا تأملت ما سيتلى عليك لم تجد لها من الشأن ما يستحق كل هذا، وذلك أولاً أن هذا أمر إنمائي من يقوم بتنفيذه الإعادة والبعث، وهذا أمر لم ينط بنا حتى نهم بتعرف كميته وتدير تنفيذه، فلذى أخبر به هو الذى تكفل به (وهو الذى أحياناً كنتم تسمونه بـ"بُحْيِكُمْ") وثانياً قال العلماء: إن الذى يمد هو الأجزاء الأصلية التى لا تتبدل ولا تزيد ولا تنقص وتبقى من أول العمر إلى آخره، فمن فرض أنه أكل شخصاً أو أكل حيواناً أو نباتاً اغتذى من شخص كانت الأجزاء المأكولة معادة للمأكول لا للأكل، إذ لم تكن من الأجزاء الأصلية التى وجدت من أول

خلقته الى آخرها؛ وثالثا فإن الأجزاء ليست هي نفسها التي تحس الألم واللذة وتدرك النعيم والشقاء، وإنما المدرك الروح والنفس، وإحساسها — على ما سيأتى تفصيله في تفنيد الشبهة الثانية — نارة يكون بلذة وألم روحانيين: كالقنبلة التي تشعر بها النفس السامية إذا أدركت منزلة من منازل المجد والرفعة، والمذلة والانكسار التي تلحق ببعض النفوس حين تبطل في كرامتها، ونارة يكون بلذة وألم جسميين: كلدائد الطعام والشراب والآلام الضرب والجراحة مثلا، ففي كلتا الحالتين المحس هو النفس لا الجسم، وإنما تحس النفس بلذة جاراتها من طريق الجسم، ألا ترى أن من عمل له عملية جراحية في بعض أعضائه يكتفى في عدم إحساسه بالألم أن تعطل وسائل التوصيل بين العضوين مركز إحساس النفس الذي هو المخ؟ وتلك الوسائل هي أعصاب الإحساس، فحياة العضو باقية، وطرق التوصيل مسدودة، فلم تحس النفس بألم العضو، حتى إذا زالت أسباب التعطيل أحست النفس بما في العضو من ألم، وعلى ذلك فعنى اللذة والألم الجسمانيين هو تذبذبات النفس وتألمها من أمر حل بجسمها؛ ولا يفهم من هذا أن الماد هو الروح لا الجسم، بل معناه أن الجسد يعاد لتكوين النفس عرضة لنوعين من النعيم والشقاء:

(الأول) ما يلحقها لذاتها وهو النعيم والشقاء الروحانيين كنعيم اليقين وألم الحيرة.

(والثاني) ما يلحقها لجسمها كنعيم المأكل والمشرب وألم التعذيب بالنار على ما سنذكره في دفع الشبهة الثانية من شبهتهم.

الشبهة الثانية من شبهتهم قولهم: إن بحث الجسم لا فائدة منه، ذلك أن الروح هي المدركة وهي الشاعرة وهي المحسة باللدائد والآلام، وأما الجسد فهو في ذاته — لولا الروح — جماد لا إحساس له؛ وإذا كانت النفس هي المحسة للشاعرة، بل كانت بالحقيقة هي المكلفة والمخاطبة، فلتكن هي المثابة والمعاقبة، وإذا كانت لذائد النفس والروح غير

لذات الجسد، فليكن معنى النصوص الواردة في الشرائع تمثيلاً للذات المعنوية الروحية بالذات الحسية الجسدية، إذ كانت هي المعروف للناس المألوف لهم الغالبة على ميولهم، فهي المؤثرة في نفوسهم بالرغبة أو الرهبة، فاجاء من مثل قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُمَّ مِنَ الْآوَلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَنَكِّشِينَ عَلَيْهِا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ عَجُذُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَخُونَ وَفَاكِهَةٍ رِمًا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَخُورٌ عَيْنٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ومن مثل قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ النَّجَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشَّجَالِ فِي سُمُومٍ وَحُمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ) أو قوله: (إِنَّ شَعْرَةَ الرُّقُومِ طَعَامُ الْأَرْتَمِ كَأَنَّهُمْ يَنْفِلُونَ فِي الْبُطُونِ كَفَلِيَ الْحَلِيمِ) أو قوله جل شأنه: (يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُعْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) وأمثال ذلك من آيات النعيم أو العذاب الأليم — زعموا كل ذلك من باب التمثيل للذات والآلام الروحية المرادة بالذات والآلام الجسدية المعروفة، وزادوا في ترويح شبيهم أسلوباً فلسفياً فقالوا: إن الإنسان وسط بين طرفين: طرف منعط هو البهائم أو الشياطين، وطرف سام هو الملائكة، والشرائع جاءت لتسمو به إلى الطرف الأعلى الملكي، فكلمها جد في امتثالها صعدت روحه إلى الملأ الأعلى، حتى يلتحق بالعالم الملكي انصرف، فيكون أسمى من أن يتطعم في هذا الدور الكامل إلى الجسد ولذات هذه اللذاتية أو أن يعبأ بالآلام جسمية، وأما إذا ارتكس الإنسان في الشهوات البهيمية أو غلبت عليه الشرور الشيطانية فإنه ينحط في حياته الأخرى، فيلتحق بالشياطين الذين تكونوا من الشرور في الشر يعيشون، فهم دائماً حيارى قلقون وفي حياتهم مضطربون، لا يفارقهم الكدر والكآبة والاقباض، بينما الآخرون

في غبطة وسرور ، أو يلحق بالهائم فيحرم لذة الفهم والعلم والنور ، فتكون حياته الأخرى لاغية ويكون من المهملين . هكذا قالوا ، وهكذا روجوا رأيهم وخذعهم شقاشق ألسنتهم ، وهرتهم بوارق فلسفتهم ، وما كانوا في شيء منها بخوفقين لا في نظر الشرع والنصوص النقلية ، ولا في نظر العقل والآراء الفلسفية ؛ وإنما نطلب اليك أن تبعد عن نفسك السأم والملل وإن طال بنا وبك القول ، فللأمر أهمية كبرى ليس كبيرا عليها أن تمنحها قسطا وفيرا من وقتك ونشاطك ، والله يتولانا ويياك بالهداية الى الحق والى طريق مستقيم .

أما النصوص الشرعية فلا أحد من المسلمين ولا غير المسلمين من المتدينين يخفى عليه النصوص الواردة في الشرائع السماوية من حكاية النعيم والمذاب وتفصيلها حتى يحتاج الى سرده ، وقد ذكرنا فيها مضي طرفا منه ، وأما التأويل فيصير اليه اذا لم يستقم للمعنى لصرح ، فما وجه عدم استفادته ؟ أما عدم الإمكان فقد سبق لك القول فيه واستيفائه ، وأما عدم الفائدة والتوجيه بما ذكرنا من أن النفس هي المحسة وهي المدركة في نفس تقسيمهم ما يشهد أن لذائد النفس قسيان ، وآلامها كذلك في هذه الحياة ، فلتكن فائدة الثواب والعقاب الجسديين في الآخرة أن تستوفي النفس حظها وقسطها من الجزاء ، سواء منه ما يلحق النفس مباشرة كالفرح والاستبشار والرضا ، وكالكآبة والحزن والقلق ، أو ما يالحقها بواسطة جسمها : كالمطعم والشارب وما معها ، وكتحريق الجسم ونكرهه ( كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ )  
وأما النظر العقلي والاعتبار الفلسفي كما يتشددون به ، فإن العقل يحكم بأن الجزاء الأوفى هو ما يكون من جنس العمل ، وكالعدل يقتضي أن من عمل عملا من جنس فقهه أن يستوفي أجره من ذلك الجنس ؛ وقد جاءت التكاليف الشرعية على نوعين : نوع منها يرجع الى النفس بدون مداخلية لجسم والجوارح ، وذلك كالإيمان ، وهو أصل



التكاليف ، وكتطهير النفس من رذائل الأخلاق المعقولة : كالحسد والكبر وبغض الناس وإضمار الحقد عليهم ؛ وبيع يرجع الى النفس بواسطة الجسم والجوارح : كالصلاة والصيام والحج والجهاد وأمثالها ، وكالكف عن الزنى والقتل وأكل مال الغير ظلماً وأشباهاها ، فحين نحكم النظر العقلي وترجع الى ما يسمونه بالأراء الفلسفية ألا ترى أن من العدل وقضية العقل أن يستوفى المكلف جزاءه من الجنسين : النفس المحض والنفس الآتية من طريق الجسم ؟

نعم هذا هو ما تقتضيه العقول الراجمة في تفكيرها الى فطرتها السليمة التي لم تموج بالتواء الأهواء بها ، وهذا هو عين ما جاءت به النصوص الشرعية وما يعطيه التأمل في تفاصيل الجزاء في اليوم الآخر ، فإنك اذا تأملت في تلك التفاصيل الواردة تجدها قد جاءت طبق هذا الأصل تماماً ، انظر الى الايمان وهو أصل هذه التكاليف وأفضل الأعمال على الإطلاق تجده من قبيل العلم والتصديق ، وللعلم لذنه ، يعرفها من عانى شدة منه ، وتردد هذه للذة بازدياد اليقين ، وأرقى أنواع اليقين ، المشاهدة ، وترداد أيضاً بشرف العلوم

فهل تابعت الى أن الحكيم العليم الحكم العدل اللطيف الخبير الغفور الشكور قد جازى المؤمنين على إيمانهم في دار الكرامة بأرق أنواع العلم متملقاً بأكل ما يمكن أن يعم ، فمنهم جل شأنه رؤيته والنظر الى وجهه الكريم في دار كرامته ؛ وإن لها من للذة ما يصغر أمامه نعيم الجنان مهما عظم وارتداد ، حتى قيل إن أنواع النعيم تكاد تكون آلاماً اذا قيست بنعيم الرؤية ولذتها ، أليس في هذا أحسن جزاء وأوفاه ؟ وانظر الى قوله تعالى : ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ رِغْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) واعتبر بما تراه من أحوال نفسك اذا ملكك الغيظ ولم تستطع تصريفه وتفرج كربة نفسك ، حتى انقلب ذلك الى غل — حماك الله ووقاك شر الغل ، فإن كنت سليماً من هذا النوع المردول من الخلق : خلق الغل والحقد ، فاحمد الله في نفسك واعتبر آثاره فيمن ابتلى به ، ونأمل قول حكيم : لله در الحقد

ما أعله ، بدأ بصاحبه فقتله . فاذا رأيت أن الحقد في الدنيا يؤلم الى درجة أن يقتل صاحبه أو يستل نفسه منه تدريجاً ويسلب هناءة حياته جملة ، فكم ترى من النعيم والندة في نزع الغل من صدور المؤمنين جزاء لهم على تطهيرهم أنفسهم من شروره في الدنيا وامثالهم معنى الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ؟ فهذان مثالان من النعيم الروحي واللذائذ النفسية الصرفة ، وتراها تقابل معاني من جنسها .

أفليس يروق في نظر عقلك فلسفياً أن تقول : إذاً يحسن أن يكون جزاء من أجاع نفسه في الصيام وأظلمها وكف على الجملة عن المنهيات من شهوات بطنه وفرجه أن يطعم من طعام الجنة ويهنا من شرها ويستمتع بحورها جزاء وفاً على ما عمل كما قال تعالى : ( يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ بَأْكُوبٍ وَأَبَاقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَّفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جزاء بما كانوا يعملون ) ؟ أليس من حق من جاهد في سبيل الله وسافر في طريق الحج والهجرة أن يأوى الى ظل ظليل ، وأن يكون مع أصحاب اليمين في سدر مضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة ، وأن يكون له في مقابلة أن هجر فراشه وعف نفسه عما نهى أن يكون له من المتع ما تفر له عينه ويسر له قلبه ممن وصفهم ربهم بقوله جل شأنه : ( إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ) .

واعتبر مثل ذلك في أصحاب الجحيم في أمثال قوله تعالى : ( يَوْمَ يَحْمَى عَائِيهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَمُتَكْوِيًّ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ) وتأمل تلك الحشرات التي تفيض بها نفوس الكفار

حين يقولون : ما لنا لا نرى روحا لكنا نعدم من الأشرار نجد غيظ المخدول وألم  
للمخدوع الذي تبين له لأمر بعد فوات الوقت ، فشمله الندم ولات ساعة مندم .

هذا هو حكم العقل وقضية العدل وما يقضى به صحيح الرأي ، فكيف وهو صريح  
الشرع ومدلول النص : وما كان تأويله إلا عن ضعف في الإدراك وقصر في النظر ،  
ونموذ بالله من الخذلان .

أما قولهم إن العالم الملوكى هو مثل الأعلى الذى تسمو اليه النفس الإنسانية فهو إن  
صح ليس معناه أن ينهدم ركن من ركنى الإنسانية وهو الجسد ويهمل بتاتا ويصير روحا  
بلا جسم ، وإلا فلو كان الأمر كذلك ما استقام أن يكون النوع الإنسانى هو صفوة الخلائق  
على الإطلاق كما يقتضيه منحه لقب الخلافة فى قوله تعالى ( إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ  
خَلِيفَةً ) وكما يدل عليه أن الملائكة تمنوا مكانه . فى الحقيقة قد جمع هذا النوع الإنسانى  
بين النفس الملكية وجسم المادى ، واستخدم كلا منهما فيما صالح له ، فتعاونوا على  
ما لا تقوم به النفس المجردة ولا الجسم وحده ، ثم أوتى فضيلة المجاهدة بين الروح  
وملكيتها وبين الجسد وماديته ، فاذا ظفرت الروح وخرجت غالبية كان لها منزلة  
المجاهدين لفائزين .

وبعد أن استقر فى نفسك أن المنعم والمعذب فى الحقيقة هو النفس ، وأنها  
نوعين من النعم أو العذاب : نفسى وجسدى ، وأن إحساسها بكل واحد منهما يغير  
إحساسها بالآخر ، وأنها كلفت تكليفين : جسدى وروحي ، ولا يسد أحدهما مسد  
الآخر ، حتى لا يحزى الإيمان عن الأعمال ، ولا الأعمال عن الإيمان ، وأن قضية  
الجزاء الأوفى أن لا يهمل نصيب أحد النوعين ويستوفى نصيب النوع الآخر ،  
لا تخالك فى شك من أن العقل ذا خلى ونفسه ، والفكرة اذا رجعت الى فطرتها  
جزمت بأن لا بد من استيفاء الجزاءين الجسدى والروحي ، حتى يكون جزاء وفاقا ،

وإن كان مرجع كليهما إلى النفس ، فهي المعذبة في الحقيقة وهي النعمة ، وإذا وصلت إلى هذا الحكم فلك أن تقول : إذا ليست الذرات المادية هي التي تلقى الجزاء من نعيم وشقاء ، بل هي النفس يلحقها الجزاء مباشرة أو بواسطة الجسد ، فعلى ذلك لو فرض أن قائلاً قال : إن تلك الذرات خلقت من جديد بعد أن أهدمت لذرات المادية الأولى ، وإن المخلوق من جديد مغاير بشخصه لما سبق عدمه ، فإن هذا لا يضر في أن النفس قد لحقها بواسطة بدنها الذي خلق لها نعيم وألم ، على أن لك أن تطعن في مغايرة المخلوق بعد المدم للموجود أو لا الذي لحقه المدم والفناء ، فإنه يصح في نظر العقل أن يقال : أوجد الشيء ثم أعدم ثم أعيد وجوده . ولو فرض أن قائلاً قال : إن الأجزاء فرقت لأنها أهدمت ، والتفريق ليس إعداماً ما ضر ذلك في أنه إعادة بعد الفناء ، ففناء الشيء ، يكفي فيه تفككه حتى يزول عنه المعنى المقصود منه وإن كانت جزئياته حاصلة بذاتها .

ألا ترى أنك إذا هدمت منزلاً ثم جدده ولو بأتقاضه الأولى كنت قد أفنيته ثم أعدته ؟ والواقع أنه قد قيل بكل من هذين القولين : فقد قال جماعة : معنى الإفناء الإعدام بالكلية ، ومعنى الإعادة الخلق من جديد ، والمخلوق ثانياً هو عين المخلوق أولاً الذي لحقه المدم . وقال آخرون : بل الفناء هو تفريق الأجزاء حتى يزول عنه اسمه الأول ومميزاته وتضيق خواصه ، ثم إعادته هي جمع تلك الأجزاء ، والله عليم بها وبقلباتها لا يدجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ومعنى البعث الجسماني قابل لسكلا الرأيين ، فكل منهما محقق له ، بل لو قيل إنه متى كان الفرض لإيصال الأذى أو النعيم للنفس على جهتين ، إما بطريق المباشرة كالنعيم والشقاء الروحيين ، أو بطريق الحواس كالنعيم والشقاء الجسديين لم يفوت ذلك معنى البعث الجسماني . ونظر ذلك بأن يهدم شخص بيت شخص آخر فينتقم منه بالمثل وبأبى إلا أن يصنع معه مثل ما صنع فلا يرضى بضربه ولا إهانته ، وإنما يرضيه أن يهدم بيته كما هدم هو بيته ، فهذا لا يحاول إيداء البيت ولا يخطر بباله أن البيت يلحقه أذى ، وإنما يريد أن يعاقبه يجنس ما صنع ، حتى لو تعددت البيوت

التي يسكنها ذلك المعتدى لكان غرضه يتحقق بهدم البيت الذي يشغله حال الانتقام منه لا الذي كان يشغله يوم تعديه عليه ، وذلك أن غرضه الانتقام من المعتدى بهدم بيته المنسوب اليه لا الانتقام من البيت نفسه .

على أن هذا كله إنما يلتجأ اليه لو صح أن المهدوم ، ذا وجد كان مغايراً للأول ، ولا سبيل لإثبات هذا ، أو ثبت أن الأجزاء المادية المفرقة قد تتوارد على أشخاص عدة من المكلفين تدخل في تركيبهم الأصلي ، فلا يمكن أن تعاد مع كليهما ، ولا اختصاص لأحدهما دون الآخر ؛ وقد عرفت أن شيئاً من ذلك غير لازم بما قدمنا من أن الأجزاء الأصلية هي التي تعاد ، وهي التي تلامس الشخص من أوله الى آخره .

وقد بقيت كلمة لها مساس بالموضوع ، وهي أن بعض فلاسفة الطبيعيين يزعم أن جزئيات الأبدان كلها في تحليل وتركيب مستمر ، وأن كل جزء يتجدد توالي الأزمنة فينمو بالغذاء وينحل عنه البعض بالحركة أو الذبول أو ما شئت ، حتى إنه بعد مضي عدد من السنين تكون الذرات التي كانت داخلة في تركيب الجسم قد زالت كلها وتجدد مكانها ذرات جديدة . وإن هذا لا يمنع اتحاد الشخص قبل تلك السنين وبعدها ، فلو صح هذا القول أيضاً كان شاهداً لما نقول من أن اتحاد اللاحق والسابق لا يتوقف على أن الذرات الداخلة في تركيبه باقية بشخصها لم يزد عليها ذرة ولم ينقص منها ذرة ، وإنه لشبيه باتحاد القبيلة أو الجليل من الناس على كرا السنين ولا أعوام مع زوال الأشخاص الذين تتألف منهم القبيلة أو الجليل ، فاعرب هم لعرب يمتاز آخرهم بأولهم ، وقرش اليوم مثلاً — هي قریش تأخذ أحكامها وإن تبدلت أشخاصها .

ومن هذا البيان نخلص بنتيجتين : ( الأولى ) أن إعادة الروح أمر لا غبار عليه ولا تكدير فيه ؛ و ( الثانية ) أن إعادة البدن أمر لا يمنع منه مانع عقلي ولا وهمي . وعلى ذلك يكون صرف النصوص الشرعية عن ظاهرها ليس إلا مجرد التمشي ، وليس له من

مقتض ولا داع، وأن تلك الثروة التي تلوكتها ألسنة فئة من الناس ليخرجوا على حكم الشرعة بجديد ثروة واهية، حتى لو قيس بمقياس العقل المحض بدون رجوع الى نصوص الشرع لبددها وجزم بأن المقبول في نظره هو البحث الجسماني والروحاني، لتستكمل النفس جزاءها وفق ما صنعت من أعمال البدن أو الروح (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «والله لتموتن كما تنامون ولتبشئن كما تستيقظون وإنها لبارأبدا أو لجنة أبدا» والله الهادي الى سبيل الرشاد

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

## الظرف والملح

كان أول عمل وكيه الحجاج تبالة<sup>(١)</sup>، فصار إليها فلما قُرب منها قال للدليل: ابن هي وعلى أي سمت هي؟ قال: تسترها عنك هذه الأكمة. قال: لا أراي أميرا إلا على موضع تستر منه أكمة. أهون بها ولاية. وكرر راجعا. فقيل في الليل: «أهون من تبالة على الحجاج».

(١) بلدة خسة هاهنا.

## أُسطورة تنصر الممزر لدينه الله



في تقويم سنة ١٩٣١ الذي يصدره قلم نشر مطبوعات الحكومة فصل بقلم سعادة مرقس سميكة باشا وصف فيه الكنائس والأديار ، ومما قال في هذا الفصل يصف كنائس دير أبي سيفين « ويجانبها كنيسة صغيرة بها أحجية من العصر الفاطمي ، محلاة بنقوش بارزة تمثل القديس ومعمودية ، يقال : إن الممزر لدين الله تعتمد بها سرا . »  
وعندما ارتفعت الأصوات بإنكار أن يكون الممزر قد تنصر أجاب سميكة باشا — بأنه استند فيما كتب من تنصر الممزر في ما نقله بئر في كتاب « كنائس مصر القبطية القديمة » وهو : « وفي هذه المعمودية عهد السلطان الممزر حينما ارتد الى النصرانية » والى ما جاء في كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ، وهو : « قيل . إن الممزر بعد حادثة المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه ، وتنصر ، ولبس زي الرهبان ، وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين . »

رواية تنصر الممزر لدين الله ظاهرة الاختلاق الى حد لا يحوم عليه اشتباه ، ويكفي في التنبيه على أنها رواية خيالية محضة بحث على تزويرها الدعاية الى دين النصرانية عدم ورودها في كتاب من كتب التاريخ الاسلامية ، ولا نغني بهذا أن مجرد عدم وجود الواقعة في الكتب الاسلامية يدل على نفيها ، وإنما نريد أن ارتداد ملك أو خليفة عن دينه هو من قبيل الحوادث التي شأنها أن تذيع ولا يختص بخبرها سمع دون آخر ، فليس من المعقول أن يرتد الممزر لدين الله ويغفل المؤرخون عن نقل هذا الحادث ونحن نراهم يعنون من شئون صاحب الدولة بما هو أصغر من الارتداد عن الدين .

ومن النبوذ على البدهاة أن يقال : إنهم أجمعوا على كتم هذا الحادث ، وأخفوا كتبهم من ذكره لأنه ينفع دين النصرانية ، ذلك لأنهم يزعمون ما ينهم به بعض ملوكهم أو خلفائهم مما يشبه هذه التهمة ، وهم بعد ذكرها إما أن يقرروها أو يتصدوا لتزييف روايتها ، فلو ارتد المعز لدين الله ولبس زي الرهبان لم يخف حاله عن الكتاب المسلمين ولم يسعهم إلا أن يعترفوا بنصرانيته .

والواقع أننا نجدهم ينقلون عن المعز ما يدل على تمسكه بالاسلام كالخطبة التي ألغاها بالاسكندرية وقال فيها : إنه لم يرد دخول مصر زيادة في ملكه ولا لئال ، وإنه أراد إقامة الحق والحج والجهاد ، وأن يحتم عمره بالأعمال الصالحة ، وأن يأمر بعمل ما أمر به جده صلى الله عليه وسلم ، ولو ارتد المعز عن الاسلام لم ينقلوا عنه مثل هذه الكلمات دون أن ينبهوا على أنه لم يحتم عمره كما قال — بالأعمال الصالحة ، ونجدهم يصفونه بتعظيم الاسلام كما قال صاحب شذرات الذهب في شأنه « وكان مظهرا للتشيع معظما لحرمان الاسلام حليما كريما وقورا حازما سريابا يرجع الى عدل وإنصاف في الجملة »<sup>(١)</sup> .

والمعز كما هو معروف — مؤسس الدولة الفاطمية في مصر التي قامت لتقويض الخلافة العباسية ، فله خصوم سياسيون لا ينتفعون في هدم دولته بأشد من أن يذيعوا عنه أنه مرتد عن الاسلام ، فلو تنصر المعز ولبس زي الرهبان للهجت بتنصره النودى وطار حديثه الى خصومه السياسيين بينداد فأذاعوه طعنا في خلافته ، ولم يبق كتاب يذكر أخبار الدولة الفاطمية إلا تعرض لهذا الباطل العظيم .

ومما جرى أيام القادر سنة ٤٠٢ هـ أن أسجل القضاة بنو الفاطميين من نسب العلويين ، وشهد بذلك على السماع جماعة من الأعلام ، والذين يتشبثون في دفع المعز وآله عن الخلافة نبي العلوية عنهم ، ويسمعون لا ذاعته وإقامة الشهادة عليه ، لا يتباطئون لو تنصر



المعز أن ينادوا بنبي إسلاميته ، فإن أهل العلم لم يشترطوا في الخليفة أن يكون علويًا ، وشرط الإسلام لا إمارة المسلمين لم يكن في يوم من الأيام موضع خلاف .  
يقول صاحب الخريدة : « إن المعز بعد حادثة المقطم تخلى عن كرسى الخلافة لابنه ولبس زي الرهبان » .

يشير بحادثة المقطم الى أسطورة هي كما جاء في تاريخ « الكنيسة القبطية » تأليف الشماس منسى القمص : أن يعقوب بن يوسف اليهودي <sup>(١)</sup> الذي عهد اليه المعز جباية الخراج كان يعقت المسيحيين ، فأطلع الخليفة على قول الإيجيل « لو كان السك إيمان مثل حبة من خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل تنقل من هنا الى هناك فينتقل » وقال له : اذا كان دين النصارى صحيحا فها هو ذا جبل المقطم ينقلونه لنا ، واستدعى الخليفة البابا آرام ، واقترح عليه نقل المقطم ، فخرج البابا والخليفة في جمع عظيم ، ودعا البابا آرام تحدثت زلزلة عظيمة ولاح الجبل للناس ظن كأنه يتزحزح عن مكانه ، وبعد ذلك ارتفع حتى ظهرت الشمس من تحته ثم عاد الى مكانه .

ولو وقعت هذه الحادثة في مشهد كالدي وصفه صاحب ( تاريخ الكنيسة القبطية ) لما أغفل الكتاب المسلمون ذكرها ولو لم يصدقوا بأنها أثر دعاء البابا آرام ، وكثيرا ما نراهم يذكرون بعض عجائب تجرى على يد من لا يعتقدون صلاحه ، ولكنهم لا يسمونها كرامة أو معجزة .

وزعم صاحب الخريدة أن المعز تخلى عن كرسى الخلافة لابنه ولبس زي الرهبان مضروب به في عرض الحائط ، وللمؤرخون مجمعون على أن المعز استمر في الخلافة الى أن توفي في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ وذكر المقرئ أن المعز بالله بويج يوم وفاة أبيه المعز ، وكذلك يقول ابن خلكان في التعريف بالمعز : « ولى العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ واستقل بالأمر يوم وفاة أبيه » .

(١) هو يعقوب بن يوسف بن كلس ، أصله من اليهود وأسلم ، استورده المعز وابنه العزيز من بعده

يقول صاحب الخريدة النفيسة: «وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين» ولا ندرى أى عقل يقبل هذه الرواية أو يتردد في أنها مزورة ، يموت الخليفة المعز لدين الله ، وتنقل جثته من بين يدي ابنه الخليفة ، فتدفن في كنيسة أبي سيفين ، ولا يذكر هذا الخبر أحد من مؤرخي المسلمين : والموجود في كتب المؤرخين المسلمين أنه دفن في التربة المعزية وهي التربة التي نقل اليها المعز آباءه في توأيت من بلاد المغرب ، قال المقرئى : « واستقرت مدفنا يدفن فيها الخلفاء وأولادهم ونساؤهم ، وكانت تعرف بتربة الزعفران ، وفي تاريخ ابن خلكان عند التعريف بالعزى : « ودفن عند أبيه المعز في حجرة من القصر » وفيه عند التعريف بتميم بن المعز « وغسله القاضي محمد بن النعمان » ثم قال : « وحمله الى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز » .

وهذا القمص صاحب كتاب « تاريخ الكنيسة القبطية » ذكر أسطورة المقطم بإسهاب ولم يذكر هذا الذى يقوله بعض الأقباط من تنصر المعز أو تخليه عن كرسي الخلافة أو أبسه زى الرهبان أو دفنه في كنيسة أبي سيفين .

ومما يلاحظ أن كلمة « سرا » في قول سميكة باشا « تعمد بها سرا » لم ترد في النصين اللذين اعتمدهما ، ولعلها أُلصقت بالرواية لتخفف شيئاً من إنكارها ولا يرفضها القراء لأول ما تقع أبصارهم عليها .

وخلاصة المقال أن هذا الذى اختلق رواية تنصر المعز يجهل أن للتاريخ أصولاً تعرض عليها الروايات فينكشف أمرها « إن صدق وإن كذب » ، وتواترها بمعنى انتشارها بين طائفة خاصة بعد صدورها من خادم كنيسة ، لا يخرجها عن كونها قرية ، ولا قيمة لمثل هذا الضرب من التواتر في تقرير الحوادث ، ولا سيما ما تدفعه قواعد التاريخ وتأني أشد الإباء أن يمد في التاريخ الصحيح أو فيما هو قريب منه .

# الفتاوى والأحكام

## حكم ترجمة الخطبة

بغير المربية بعد تلاوتها بالمربية

ورد من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

س : إن في بلدنا بجاي التي هي من أشهر بلاد الهند مسجدًا جامعا هو أكبر المساجد فيها، وهو مبني على طبقتين: العليا والسفلى، ومقام الإمام إنما يكون في الدرجة التحتانية دُئماً، وفي خارج بناء الطبقتين بجانب الشرق عرصة واسعة وخمسة سطوح مختصة بالصلاة، وفي المسجد والفناء والأسطح سعة عظيمة تكفي لسبعة آلاف رجل مع هذا في صلاة الميدين. المسجد مع المواضع الملحقة المذكورة لا يسع كثرة المصلين بل يحتاج الأمر إلى مزيد الاعتناء والاهتمام لنحو ثلاثة آلاف رجل على الشوارع العامة في الجنوب والشرق خارج المسجد، وأهل الدرجة العليا والدرجة السفلى من المسجد، وأهل ملحقات المسجد والمصلون بالشوارع كلهم يصلون في الفطر والأضحي خلف إمام واحد شافعي يخطب بالمربية فقط ويقتدون به، فالمتوئمون وإن كانوا في أماكن متعددة لكن الصلاة إنما تكون خلف إمام واحد. ولما كان لا يبلغ ما يقول الخطيب إلى آذانهم لأجل البعد فيما بينهم وبينه كانوا لعدم سماع خطبته لا يعتنون بها فكانوا يرجعون بعد صلاة الميدين بمجرد تمام الصلاة إلى بيوتهم ولا ينتظرون سماع الخطبة، لأجل هذا رأينا في السنة الماضية أن تنصب في لدرجة العليا وجميع الأماكن المذكورة حتى الشوارع رجالاً آخرين غير الإمام يخطبون بالمربية،

وبعد تمام الخطبتين بالمريية يترجمون لهم بالأردو ( لسان الهند ) قبل تعيين هؤلاء الرجال للاستماع ، والترجمة بعد الخطبة المريية على السج المذكور لتعليم الأحكام يجوز في مذهب الامام الشافعي أم لا ؟ وهل يجوز للخطيب يوم الجمعة أن يخطب بالعربي ثم يترجمها بالأردو قبل الصلاة أم لا ؟ وأنا المفتقر الى الله تعالى .

عبد القادر طهري

الناظر للمسجد المذكور وأوقافه

الجواب : يشترط لصحة صلاة الجماعة شروط ، منها أن لا يتقدم المأموم على الإمام ، ومنها أن يعلم المأموم بانتقالات الإمام كانتقله من القيام الى الركوع ومن الركوع الى الاعتدال ومن الاعتدال الى السجود وغير ذلك ، حتى يتمكن من متابعتة فيما يفعل ، فتي عم بانتقالات الإمام ولو سماع صوت مبلغ وتابعه صحت الصلاة وانعدت جماعة ، ولا يضر كون المأموم مرتفعا عن الإمام أو عكسه في مذهب الشافعية ، فإن ذلك مكروه فقط إلا عند الضرورة وهي موجودة عندكم ، فالكرهية منتفية أيضا والله الحمد ، فلو صلى الإمام بالمسجد والمأموم بسطحه أو كان المسجد طبقتين ولا إمام بالطبقة السفلى والمأموم بالعليا كما هو في مسجدكم صحت الصلاة .

وكل ما تقدم شرط في صحة صلاة الجماعة سواء كانت الصلاة فرضا أو نفلا طلبت فيه الجماعة كصلاة العيد والتراويح .

هذا : أما ما سألتهم عنه من إقامة رجال يترجمون الخطبة بالأردو للحاضرين من المصلين جوازه أنه جائز في الفطر ولا ضعي ، سواء كان المترجم واحداً أو متعدداً ، وسواء كان مرة واحدة أو مراراً كثيرة ، فكل ذلك جائز لا شيء فيه ، وليعلم أن سماع الخطبة في العيدين ليس واجبا وإنما هو سنة . أما خطبة الجمعة فيجب أن تكون باللغة المريية في المشهور من مذهب الشافعية ، ويجب أن يسمعها أربعون من أهل الجهة وإن لم يعرفوا

لغة الخطيب أو لم يفهموا معنى خطبة فإنه لا يشترط فهم معناها، فإن شئتم اقتصرتم على إلقائها بالعربية ولا يضر عدم سماع غير الأربعين، وإن شئتم ترجمتها للمصلين بلغتهم فافعلوا ذلك بعد الصلاة لا قبلها، محافظة على الموازنة بين الخطبة والصلاة، فليتنبه لذلك، وأنتم وما تريدون بعد الصلاة، فلكم إن شئتم أن تجعلوها خطبة بالاردو، ولكم أن تجعلوها درسا واحداً أو متعدداً، ولا أدري لماذا يعيدها المعيدون بالعربية ثم يترجمونها على ما يقول السائل .

والخلاصة أنكم إذا اقتصرتم على الخطبة العربية صح وإن لم يسمعها جميع الحاضرين أو لم يفهموها، فإنه لا يشترط سماع الجميع ولا فهمهم للخطبة، وأما بعد الصلاة فلا إمام أن يترجمها وكذلك تفسيره منفرداً أو متعدداً، وإن عملتم دروساً بعد الصلاة تلقى في نواحي المسجد وما اتصل به يبين فيها موضوع خطبة أو غيره كان ذلك حسناً ومفيداً والله يتولى هدى الجميع

يوسف الدجوى  
من هيئة كبار العلماء

## الظرف والملاح

قال شاعر حكيم :

ولو قدّرتُ على نسيان ما اشتملتُ  
منى الضلوعُ من الأسرار والخبر  
لكنْتُ أولَ من ينسى سرّ امرءه  
إذ كنتُ من نشرها يوماً على خَطَرٍ

## تعليق

على بعض ما جاء في مقال الأستاذ الشيخ الجبائي  
في العدد الثالث تلا عن بعض علماء الوهابية

\*\*\*\*\*

قال فضيلته عن ذلك العالم : « بدأ الكلام متى في العتب على فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ يوسف الدجوى فيما نسبته الى الوهابيين من تكفيرهم بالتوسل والاستغاثة بالموتى فقد زعمهم الأستاذ يسوون بين الاستغاثة والتوسل في الإنكار، وليس الأمر كذلك عندهم فهم وإن لم يقولوا بالتوسل لا يتكرونها، إنكارهم للاستغاثة ولا يكفرون به، وإنما المنكر في نظرهم أشد الإنكار هو الاستغاثة بالموتى ، ولقد كان من حق الأستاذ أن يفحص كلامهم ويتثبت مما يقولون قبل أن ينسب إليهم ما نسب » ونحن نقول أولا .  
إننا كتبنا ما كتبنا إجابة عن سؤال يقول سائله : إنه شدد النزاع في التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن بعضهم كفر من يتوسل به عليه السلام، وأننا نقول لذلك العالم الوهابي : يكفيننا منكم تكفير المسلمين بالاستغاثة على ما يفهم من كلامك السابق، على أن إمامكم محمد بن عبد الوهاب في رسالته الأربع القواعد كفر المتشفعين بالملائكة والصالحين ، بل قال إن شركهم أغلظ من شرك المشركين الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم ، وسنسوق لك عبارته مع الرد عليها في العدد المقبل إن شاء الله ولولا خوف على بعض القراء إذا سقنا زخرف قوله من غير أن تتبعه بما يكشف عن باطله لذكرناها اليوم، ولمتبوعيك كثير من أمثالها في كتبكم المطبوعة المنشورة وإن كنتم سياسيين أو تقول متناقضين (والمبطل لا بد أن يتناقض شاه أم أبي) وإن غدا لناظره قريب م

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

## الأخطار

التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها<sup>(١)</sup>

إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب في السنوات الأخيرة يضطربنا الى لفت نظر الرأي العام الى الأخطار التي تنجم عن ذلك ، خصوصا وأن الحال لم تقتصر على مجرد اقتنائها ، بل قد تعدت ذلك الى مداعبتها وتقبيلها والسباح لها بالمحس أبدي الصناد والكبار ، بل كثيرا ما تترك تعلق فضلات الطعام من الصحون المعدة لحفظ ما كل الانسان ومشربه . ومع أن في كل ما ذكر من العادات عيوباً ينبو عنها الذوق السليم ولا تراعى فيها الآداب ، هذا فضلا عن أنها لا تتفق مع قواعد الصحة والنظافة ، إلا أننا ننض النظر عنها من هذه الوجهة لخروجها عن مجرى الحديث في هذا المقال العلمي ، ناركين تقديرها للتربية الخلقية وتهذيب النفس .

أما من الوجهة الطبية — وهي التي تهمننا في هذا البحث — فإن الأخطار التي تهدد صحة الانسان وحياته بسبب اقتناء الكلاب ومداعبتها ليست مما يستهان بها ، فإن كثيرا من الناس قد دفع ثمنها غالبا لطيشه ، إذ كانت الدودة الشريطية بالكلاب سببا في الأدواء المزمنة المستعصية ، بل وكثيرا ما أودت بحياة المصابين بأمراضها .

وهذه الدودة هي عبارة عن إحدى الطفيليات الشريطية الشكل ، وتسمى دودة الكلب الشريطية<sup>(٢)</sup> ، وتظهر في الانسان على شكل ثرة ، وكذلك في المواشي خصوصا

(١) نقلا عن مقال الأستاذ الدكتور جوارد قنسر من مجلة ( Kosmos ) الألمانية .

(٢) وكثيرا ما يطلق عليها اسم الدودة ذات القشرة وذلك لوجود ما يتولد عنها بداخل قشرة صلبة وأما اسمها العلمي فهو ( Taenia Echinococcus ) .

في الخنزير، ولكنها لا توجد نامة النمو إلا في الكلاب، وكذلك في بنات آوي والذئب ويندر وجودها في القطط، وتختلف عن الديدان الشريطية لأخرى بأنها صغيرة الحجم جدا حتى إنها تكاد لا ترى، ولم يعرف شيء عن حياتها إلا في السنوات الأخيرة.

وهي تتكون من رأس به عدة خطافات حادة وثلاث أو أربع أعضاء أخرى على الأكثر، ولا يزيد طولها عن نصف السنتيمتر، وأما العضو الخلفي بها فلا يزيد عرضه على المليمتر الواحد ويحتوى في طور البلوغ على ما لا يقل عن ٥٠٠ بيضة دقيقة جدا.

وتتكون البويضات بداخل إحدى أعضاء لدودة الشريطية وتعلوها قشور صلبة جدا، وتتميز هذه البويضات المستديرة التي لا يزيد قطرها عن  $\frac{3}{4}$  من المليمتر بمقاومتها العجيبة حتى إنها تحتل الجفاف التام، كما أنها قادرة على العيشة في الماء، ولوحظ في التجارب العلمية أن حياتها لا تقل عن ١١٦ يوما في درجات الحرارة بين درجة واحد فوق الصفر والدرجة واحد تحت الصفر دون أن يدب إليها الفساد أو يتعطل نشوؤها.

فاذا ما ارتاقت هذه البويضات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة إلى أمعاء الإنسان — ويسهل ذلك باختلاط الإنسان بالكلاب في الأحوال المذكورة في أول المقال — فإن أعصرة الهضم تعمل فيها حتى تمزق قشرتها فتخرج منها شرقة بها ستة خطافات مدببة وتندفع في مجرى الدم بعد أن تخترق جدار المصراع إلى أن تصل الكبد، وهنا تستقر فيه في أغلب الأحيان وتأخذ في النمو والانتفاخ تدريجيا وتظهر على شكل البثرات في الأعضاء المصابة، ولا يزيد حجم البثرة عن المليمتر الواحد في الثمان أسابيع الأولى، وعن ٢ سم بعد خمسة شهور، آخذة في النمو سنين عديدة.

وتتفتح هذه القرحة في غضون سنين نموها عن بثرات منتفخة صغيرة دخلية أو خارجية، وكثيرا ما يتوالد عنها رموس لديدان شريطية دقيقة قد تتحول إلى بثرات جديدة.



فإذا ما انفجرت هذه القرحات التي تحتوى على عدد كبير من رؤوس الديدان الشريطية وانتقلت من عضو الى آخر وتلوث بها جسم المصاب أصبح يخشى عليه من استفحال أمراضه واستعصاء أدوائه .

وفي حالات أخرى تتكون أ كياس صغيرة على جدار القرحات وتحتل هذه الأ كياس برؤوس الديدان الشريطية ، وهذه الأحوال كثيرة الوقوع في البهائم التي ترعى الفيضان الملوثة يراز الكلاب الموبوءة ، فتنتقل البويضات مع ما ترعاه الموشى من الحشائش الى أمعائها ، وتنمو بداخلها الشرقة الى أن تصيب قرحاتها الكبد أو الرئة من المشية وتنشر فيها حتى يستمصى إرالتها وتخليصها منها ، فتلقى هذه الأ أعضاء ملوثة ولا يصرح بها لما أكل الانسان .

ومما يدعو للأسف الشديد أن هذه الأ أعضاء الملأى بالأ دران تلقى غداء للكلاب ، فلا تكاد تستقر يحوفها ونجد البيئة التي تساعد على حياتها بمصران الكلب حتى تأخذ رؤوس الديدان التي بداخل القروح في النمو الى أن تصبح دودة شريطية بالغة ، وهكذا تعود الى الإنسان والحيوان تفت من عضده وتهدد حياته وغذائه بأ كبير الأخطار .

ولأ طوار نشوء دودة الكلب الشريطية خواص فريدة في علم الحيوان ، فمن البويضة الواحدة تنشأ رؤوس ديدان شريطية عديدة بالقرحات الناتجة عنها ، كما أنه يمكن أن ينتج عن البويضات المتشابهة بثرات مختلفة اختلافا تاما ، هذا الى أن رؤوس الديدان المتولدة من القروح تتحول الى ديدان شريطية كاملة التكوين بالغة النمو بمصران الكلاب ولا ينشأ عنها بالإنسان والحيوان سوى بثرات وقروح جديدة تختلف اختلافا كلياً عن الدودة الشريطية .

ولا تتمدى القرحة في المشية حجم التضاحة إلا فيما ندر ، ومع ذلك يلاحظ أن وزن الكبد يزداد ازديادا بالغا قد يصل من خمسة الى عشرة أضعاف وزنه العادى .

وأما في الإنسان فإنها تصل الى حجم قبضة اليد أو رأس الطفل الصغير، وتمتلي سائلا أصغر، وتزن من ١٠ الى ٢٠ رطلا.

وأغلب ما توجد في الإنسان في الكبد كما أسلفنا، وتظهر فيه بأشكال عديدة متباينة، إلا أنها كثيرا ما تنتقل الى الرئة والمضلات والطحال والكلى والى تجويف الجمجمة ويتغير شكلها وتكونها تغييرا كبيرا حتى إنه كثير ما يختلط على الاختصاصيين تمييزها الى عهد قريب.

وعلى كل حال فإن هذه القرحة أينما وجدت خطرا أكيد على صحة المصاب بها وحياته، ومما يزيد الطين لة أن توصلنا الى معرفة تاريخ حياتها وطرق نشأتها وتكوينها لم يساعدنا حتى الآن على الاهتداء الى طرق علاجها، إلا أنه في بعض الأحيان قد تموت هذه الطفيليات من تلقاء نفسها، وقد يكون السبب في ذلك هو أن مواد يفرزها الجسم تعمل على زيادة هذه الطفيليات، وقد ثبت أخيرا أن جسم الإنسان يفرز في مثل هذه الأحوال مواد مضادة لفعل هذه الطفيليات لإبادتها وإبطال عمل سمومها.

ولكن مما يدعو للأسف الشديد أن الحالات التي تموت فيها هذه الطفيليات دون أن تترك أثرا أو تحدث ضررا نادرة بالنسبة للحالات الأخرى، وهذا فضلا عن أن محاربتها بالطرق الكيميائية لم تات بأية فائدة، وطالما لا يلتجئ المصاب الى أسلحة الجراحين لا ينقذه من الوبال أى طريق من طرق العلاج الأخرى.

وهذه الأسباب مجتمعة تضطرنا لاتخاذ جميع الوسائل المستطاعة لمكافحة هذا المرض العضال ووقاية الإنسان من أخطاره الفحائية.

وتدل الإحصائيات الأخيرة على أن كلاب الرعاة والقصاين وكلاب الصيد هي أكثر الكلاب تلونا بهذه الدودة الشريطية، هذا الى أنه قد اتضح أن جميع فصائل الكلاب المختلفة حتى أصغر أنواعها لم يسلم من الإصابة تماما.

وقد ثبت للأستاذ الدكتور « بولر » من تشريح الجثث بألمانيا أن الإصابات الادمية بقروح دودة الكلب لا تقل عن ١ في المائة بكثير، وأما أكثر البلدان

الأجنبية تلونا هذه الدودة فهي المناطق الشمالية بالأراضي الواسعة ودالماسيا وبلاد القرم واسلنده وجنوب شرق أستراليا ، وفي إقليم قرزلند بهولنده حيث تستخدم الكلاب في الجر ظهرت الإصابة بالدودة الشريطية فيما لا يقل عن ١٢ في المائة من الكلاب ، كما وجد في اسلنده أن بين كل ٤٣ من الأهالي شخصا مصابا بقروحها ، وفي محافظة فكتوريا بأستراليا شخصا في كل ٣٩ من السكان ، وكذلك ثبت أن هذه الدودة كثيرا ما كانت سببا مباشرا في الأمراض بتركيا وبلغاريا وبألوسيا وفنلنده وفي مناطق عديدة من شمال السويد وكذلك بأفريقيا الشمالية ومستعمرة الكاب وبأقطار مختلفة من أمريكا الجنوبية ، كما دل الإحصاء على أنه يتوفى متأثرا بهذه الأمراض في إنجلترا ، وحدها في الوقت الحاضر نيف وأربع مائة نفس سنويا .

فأذا كانت الإصابات الآدمية بسبب دودة الكلاب الشريطية محدودة في بعض الجهات فإن إصابة المواشي بها بكثرة زائدة تجعل اهتمامنا بمكافحتها مضاعفا ، فقد دلت الإحصاءات التي أجريت في المجازر الألمانية على أن ٢ في المائة من الأغنام ، ١٢ في المائة من الأبقار ، ١٥ في المائة من الخنازير مصاب بقروح دودة الكلاب ، على أنه في بعض نواحي ألمانيا — مثل مكنيبورج — كثيرا ما تصل هذه الأرقام إلى حد يوجب القلق ، إذ قد بين الإحصاء أن بهذه المنطقة ما لا يقل عن ١٢ في المائة من الأبقار و ١١ في المائة من الأغنام ملوثة بهذه القروح ، وكذلك ثبت في مجزرة مدينة هامبورج أن ١٨ في المائة تقريبا من الخنازير مصاب بها .

فإذا ما أضفنا الخسارة التي نصيب غذاء الإنسان من جراء إبعاد كبد هذه المواشي الملوثة إلى الأخطار التي تهدد صحة الإنسان بوجود هذه الدودة الشريطية ، فإنه مأمّن أحد يتردد في أن يباينها من أزم الواجبات ، وقاية للصحة العامة وحرصا على غذاء الشعب ، خصوصا وأن النوحى التي سلمت حتى الآن منها مهددة من حين لا آخر بأن يسرى إليها الوباء .

ولقد يكون أنجع الطرق في مكافحتها هو أن نجتهد في حصر هذه الدودة في الكلاب وحبسها عن الانتشار ، وذلك لعدم استطاعتنا في الواقع منع اقتناء الكلاب بتاتا .

فلا ينبغي السماح للكلاب بدخول المجازر العامة بأي حال من الأحوال ، كما يجب أن يراعى إبعادها عن الذبائح ولا يقدم لها الغذاء من فضلات الذبيحة النيئة بل يجب طبخها إلى أن تنضج تماما .

ولا ينبغي إغفال معالجة الكلاب التي شبت إصابتها بالمعالجة اللازمة في مثل هذه الأحوال لطرد الدودة الكامنة بمصرانها ، ويستحسن تكرار هذه العملية من حين لآخر لكلاب الرعاة وكلاب الحراسة .

كما ينبغي بذل الكثير من العناية بالذبائح في المنازل والمحال الخصوصية ، فإنها تساعد كثيرا على انتشار هذه الطفيليات ، فلا ينبغي أن يقتصر التفتيش الصحي على البحث عن دودة الخنزير<sup>(١)</sup> فحسب ، بل يجب أن تسرى لوائح التفتيش الصحي في المحازر على الذبيح بالمنازل ومحال الأكل العمومية ، فلا يخفى على من أتاحت له فرصة مشاهدة الذبائح المنزلية الخصوصية أن كثيرا ما يرتكب الناس إنهم أكل لحوم ملوثة بدودة الكلب ، خصوصا وأن القضاة العديدين الذين يقومون عادة بالذبح يجهلون كل الجمل وتنقصهم الخبرة العلمية .

ويمكن للإنسان وقاية لصحته وحرصا على حياته أن يراعى بدقة زائدة الابتعاد الكلى عن مداعبة الكلاب ، فلا يسمح لها بالاقتراب منه ، كما ينبغي تربية الأطفال على الاحتراس من الاختلاط بالكلاب ، فلا تترك تالقي أيديهم ولا يسمح لها بالإقامة بأماكن نزوة الأطفال ولهموم ، فإنه مما يدعو للأسف الشديد أن نرى عددا كبيرا من الكلاب خصوصا في ميادين رياضة الأطفال ، هذا إلى برازها المبعثر في كل أركانها . كما ينبغي إعداد أوان خاصة لإطعام الكلاب ، فلا تترك تالقي في الصحن التي يستعملها الإنسان ، ولا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العمومية أو المطاعم إلى آخره ، وعلى العموم يجب أخذ الحيطة الشاملة بإبعادها عن كل ماله مسلس بما كل الإنسان أو مشربه .

(١) هي إحدى الطفيليات التي تصاب بها لحم الخنزير واسمها العلمي ( Trichina ) .

also :

« وحرأ سينة سينة مثلها فمن عفا وأصاح فأحره على الله »

" The recompense of evil is a like evil but he who forgiveth the offender and reconcileth himself to his enemy and overlooketh the harm done him, will the Lord afford him ample recompense." *(Alucy's Commentary)*

It describes the pious thus :

« والكاطمين العيب والعافين عن الناس »

" Those who suppress anger and give no vent thereto, and forego the punishment of offenders against them " *(Baidawy's Commentary.)*

Islam recognised the eagerness with which men seek the fleeting world and the sad regret with which they view the lost opportunities to secure material ends. They assign causes to their failure to avail themselves of those opportunities but they get no further in the process and remain ignorant of the underlying causes which transcend all human knowledge or comprehension and whose minute workings are ordained from on high.

The following verse is significant in this connection :

« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير »

" No misfortune is there, that afflicteth the earth as dearth, sterility, blighted crops or earthquakes, or that afflicteth your persons as disease, plague, wound or injury; but ere God caused them, was known to Him and recorded in the Book of Divine Decrees; for such is easy unto the Lord." *(Alucy's Commentary)*

Islam embraced the very sources of virtue and good conduct. It strongly urged to justice which constitutes the restraint imposed on the self to keep within certain assigned limits. It enjoined all virtues and forbade all vices for thus it saith :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى »

" God enjoineth moderation in all things, the doing of good and performance of duties and prayers in a becoming manner; the giving to the kindred what they stand in need of; and forbideth the following of lustful desires; the giving vent to anger and passion, and the oppression of men "

*(Baidawy's Commentary.)*

according to the tenets of virtue will he be reckoned in the same category as the martyres". (Tradition.)

It urged to piety and pointed out the salient feature of the pious, yet it recognised the tendency of the sou, to succumb to the forbidden and ordained the most effectual remedy thereof :

« اتق الله حيث كنت واتع لسبئة الحسنة تمنحها وحلق الناس محلوق حسن »

meaning. " Fear God wherever you may be and cause the good deed to follow the evil so that it may be expiated thereby and treat people in a kindly way"; (Tradition.)

and « لا يبلغ الرجل درجة التقين حتى يدع ما لا بأس به بحجة ما به بأس »

meaning. " Man will not attain to the exalted position of the pious until he refrains from the mere permissible lest he be tempted to lapse unto the forbidden ". (Tradition )

It recognised that souls are susceptible to the least offence and that hatred and malice may be born even against an otherwise well-meaning offender. It has therefore urged to peace-making and reconciliation among people and made such act one of the best a man could do .

« لا خير في كثير من نخوام إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »

\* Vain are their deeds except those who enjoin charity and do the good by lending the needy relieving the distressed giving voluntary aims and by peace-making and reconciliation

" Whosoever does that to please the Lord will the Lord recompense him beyond all measures". (Alucy's Commentary.)

It recognised that human souls are prone to wreak vengeance and are not content, in the exercise of justice, with mere retribution. The offender might, out of pity, be forgiven on the grounds of ignorance or the overwhelming motive which impelled him to commit what he has committed. Forgiveness will, in such case, be more compatible with mercy and farther removed from injustice and iniquity.

Islam has, therefore, repeatedly urged to forgiveness for thus it saith :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

\* Use indulgence with sinners and forgive them their trespasses, enjoin the good actions and return not the evil of the ignorant with a like evil but overlook it"; (Alucy's Commentary )

Another Tradition ordains :

« لتأمرن بالمعروف . وتنهون عن المنكر . ثم لتأخذن على يد الظالم . ولتأطرنه على الحق أطرا .  
ولتقرنه على الحق قسرا أوليقرن الله قلوب بعضكم ببعض . ثم يلعنكم كما لعن بني إسرائيل »

*meaning* . " Let ye enjoin the good and forbid the evil, check the iniquity of the unjust, restrain him therefrom and force him back to the truth, or will hatred of one another be engendered in your hearts and ye will be accursed as were the sons of Israel " *(Tradition)*

Islam recognised the inherent love of life and the covetousness of material ends inborn in men, the hatred and jealousy engendered in the hearts of the poor against the rich and the love of self and cupidity of the latter that it assigned a share of their wealth to the poor every year and prescribed its collection by force if need be.

Islam has furthermore urged the rich to charity so that malice and hatred may be exterminated from the hearts of the poor and love and good-will substituted instead. Also that the rich may set themselves free from the vice of avarice and cupidity .

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

" Expend of what the Lord hath given you in the manner He ordained and save yourselves from the greed of your souls that ye may prosper "

*(Baldawiy's Commentary.)*

It urged to lend the needy and set a greater value thereon than on charity

Through the forbiddance of usury Islam has striven to strengthen the bonds of love and implant kindness and benevolence in the hearts of men

It is deplorable, indeed, to see how far mankind have disregarded, to their detriment, the dictates of virtue . The reforms clamoured for by extremists in many Christian countries, are not, indeed, without justification. Evil institutions are undermining the very edifice of society in those countries and a complete disruption is only averted through constantly grappling with the exigencies of the moment. But should they only give the question of religion their serious consideration, they will find in Islam and its benign teachings a perfect panacea for all their social evils.

Islam has recognised the worldly needs of man and his covetousness of material ends as a means to his welfare. It pointed out that therein lies the cause of wretchedness and perdition and ordained :

« من طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء »

*meaning* : " He who seeketh the world within the bounds of the lawful and





from the path of righteousness for they counsel nought but evil and follow a mere delusion, and they are but liars to ascribe to God a begotten son or a human attribute.”  
(*Baidawy's Commentary*)

It showed that the path of righteousness could not be approached by way of delusion and falsehood and that it could only be found through sound and sane reflection. Hence the frequent repetition in the Koran of such verses as

« **إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** »

“There is verily a sign in such and such thing for a people who understand”;

and

« **إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** »

“There is verily a sign in such and such thing for a people who reflect.”

It reproves others thus :

« **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا** »

“Have they not reflected !”

and

« **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا** »

“Have they not witnessed !”

and other like verses.

Islam recognised the value of time and that men are prone to waste it in vain discourse or futile pursuits. It warned against such waste and strongly urged us to make good use thereof. It described the blessed thus :

« **وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ أَلْمَمِ مَعْشُورُونَ** »

“Those who avoid vain discourse and futile pursuits and busy themselves with useful avocations”,  
(*Alucy's Commentary*.)

and saith further :

« **فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ إِذَا كَانُوا يَسْمَعُونَ** »

“God will subject all kinds of unbelievers to a severe trial on the Day of Judgement for what they have committed of sins and disbelief”

(*Alucy's Commentary*.)

Islam has recognised the influence exercised by passion over the minds of men, and has forcibly cautioned them against it. It has exposed the role it assumes in the direction of their souls and the extent to which it holds sway over their hearts.

So great indeed, is the influence of passion over men that it was referred to in the Koran as a deity worshipped to the exclusion of God.

« أفأريت من اتخذ للهواه وأصبه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وحمى على بصره عشاوة »

" Hast thou not seen he who hath deviated from the right path and so eagerly followed his passion as to make a deity thereof to be worshipped, and God hath forsaken him knowing of his misguidance and the corruption of his soul, and hath his ears and heart sealed up so that he hearkens not to goodly exhortations and is heedless of the signs of God "

(Baidawy's Commentary)

It warned against following its precipitous path thus :

« ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

" Follow not the passion of thy soul in judgement or in any other spiritual or worldly affair lest it causeth thee to miss the signs of God with which He hath indicated the path of rectitude "

(Alucy's Commentary)

It urged men to shun the sinister influence of passion thus :

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى »

" He who hath feared his Lord before his Lord on the Day of Judgement, curbed the unlawful desires of his soul, preferred the good thereto and was heedless of worldly gratifications, Verily Paradise, and nowhere else, shall be his abode "

(Alucy's Commentary)

Islam found mankind groping in the darkness of superstitions and delusions and hath reached forth a helping hand unto them to save them from the dire influence of conceit as signified by the verse :

« إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يبنى من الحق شيئا »

" The unbelievers follow but a mere delusion, a false conceit of their own rectitude, whereas truth could only be perceived if it is founded on reality and not on mere delusion or conceit "

(Alucy's Commentary)

Also :

« وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون »

" Unbelievers or ignorant people will if they are obeyed lead others astray "

It urged strongly to faithfulness and benevolence and warned against hypocrisy and deceit which taints corrupt the souls and detract from virtue to vice :

« إن الشرك (ازياء) أحيى فيكم من ديب الخلق في الآلية لظلماء »

*meaning* " Verily hypocrisy is more imperceptible in you than the crawling of ants in the darkest of nights ". (Tradition.)

It recognised the natural tendency of mankind to injustice and warned forcibly against it in the most vehement manner for thus it saith :

« ما من أمير عشرة إلا يحيا به يوم القيامة مقنولة يذاه فلا يملكه إلا العدل »

*meaning* " No prince is there who rules over but ten people, but will he be brought on the day of judgement with his hands chained together, and none will set him free save the justice he dispensed " (Tradition.)

It insisted on the upholding of Divine Justice and made it incumbent on all people so that no one escaped the responsibility, for it most wisely saith in this connection :

« كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته »

*meaning*. " Ye are all shepherds and ye are all responsible for your flocks " (Tradition.)

Islam recognised the evil propensities of mankind and the ceaseless efforts on their part to satisfy their passions and desires, thus missing the good life and depriving themselves of blessedness and salvation

It has transcended in this respect, the knowledge of the greatest pedagogues that ever existed. It warned you against thine own self as against your most inexorable enemy, for the wiles and guiles of the soul are the most pernicious and farthest removed from the sphere of consciousness. To succumb therefore to temptation and follow the precipitous path of passion, will inevitably lead to aberration and perdition

The Tradition saith in this connection :

« أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »

*meaning* : " Thy most bitter enemy is thine own soul that lies concealed within thy breast "; and

« إن النفس لأماراة بالسوء »

*meaning* : " Verily the soul inclineth to evil ".

مترجمة عن كتاب « رسائل السلام » لخمرة صاحب الفصيلة الأمتد الشيخ يوسف الدحد

## ISLAM

### THE IDEAL RELIGION<sup>(1)</sup>.

(Continued).

Islam enjoined the love of one another so much so that true belief was made conditional thereupon for thus saith the Tradition:

« لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا »

meaning: " Ye shall not enter heaven until ye believe, and ye shall not believe until ye love one another "

It ordained good counsel and made it to cover the whole religion as signified by the Tradition:

« الدِّينُ النَّصِيحَةُ »

meaning: " Religion is good counsel "

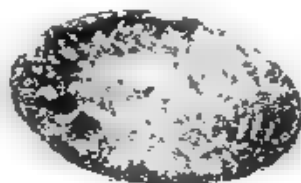
It enjoined the believers to refrain from inflicting harm on others and made such desistance the very gist of Islam for thus it saith .

« السَّلَامُ مِنْ يَدِ الْمُسْلِمِ إِلَى الْمُسْلِمِ »

meaning: " The true Moslem is he who spares his fellow Moslems the evil of his hand and tongue ".  
( Tradition )

---

(1). Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef El Digwy's Book "Messages of Peace".



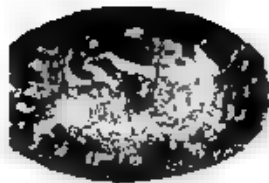
قدسية كريمة قدوة و كانت منبر تهدي به الله من أنفع وصوناته شمس الإسلام  
 وتخرجته من الظلمات إلى النور بآية من آياته بتهمة إلى جنتنا طيلة مستقره

# بغداد الإسلامية

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية  
 تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

الجزء الخامس	جمادى الأولى سنة ١٣٥٠	المجلد الثاني
--------------	-----------------------	---------------



رئيس التحرير  
 السيد  
 محمد الخضير  
 من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة  
 الشيخ  
 عبد الحليم  
 المستشار بمحكمة الاستئناف  
 ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى سابقا

الاشتراك	الإدارة
داخل القطر للمصري .. ... ٤٠	شارع محمد مظلوم باشا رقم ١
للملأء غير المصريين وطلبة المعاهد والمدارس ٢٠	تيليفون : ٣٠٠٧
خارج القطر للمصري .. ... ٥٠	الرسائل تكون باسم مدير المجلة
لطلبة المعاهد والمدارس .. ... ٣٠	

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والمعلمون معاملة الطلاب  
 وعن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ١ خارج

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة فصل الدين على السياسة

ما زال الرسل عليهم السلام يرمون في الدعوة الى اصول الايمان بالله عن قوس واحدة ، ولكل رسول بعد هذا شريعة بُرِئَ في أمرها ونهيها حال من يرسل اليهم خاصة ، حتى حفر الوقت الذي تهيأ فيه البشر على اختلاف بيئاتهم للانتظام في شريعة واحدة ، فبعث الله المصطفى صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمعة ، وجعله خاتم النبيين ، وفصى بأن تكون شريعته خاتمة الشرائع ، ولعموم رسالته ، سواء للشاهد فيها والغائب والعربي والعجمي ، أقام على صدقه آيات باقيات ما نظر فيها ذو فطرة صافية أو بصيرة نافذة إلا أسلم وجهه لله قانتا ( وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ) وخالود شريعته جعلها أبلغ الشرائع حكمة ، وأوفاهأ أصولا ، وأوسعها للمصالح رعاية .

ثلاث حقائق كل واحدة منها شطر من الاسلام : عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، واشتمال شريعته بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع ، وكون هذه الشريعة أحكم ما تناس به الأمم ، وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح أو التنازع في الحقوق .

أجمع علماء المسلمين على هذه الحقائق وعرفها عاقلهم ، فمن أنكر واحدة منها فقد ابتدئ في غير هداية الاسلام سبيلا ، ومثل من يمارى في شيء منها ، ثم يدعى أنه لا يزال مخلصا للإسلام مثل من يقرب بموله في أساس صرح شاخ ، ثم يزعم أنه حريص على سلامته ، حامل على رفع قواعد .

فتنت مدية الشهوات أشخاصا ينتمون الى الاسلام فانحرفت بهم عن المحجة ، وأدركوا أن مجاهرتهم بإنكار رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم تسقطهم من حساب المسلمين دفعة ، فلا يبلغون من فتنة الأمة مأربا ، فبيتوا أن يبقوا ثوب لاسلام على أكتافهم ، ويحركوا بحمسه في بعض المجالس السنهم ، أو في بعض الصحف أعلامهم لكي يركن الغافلون من المسلمين الى أقوالهم ، فيقذفوا من وراء رايهم وثقة بعض الناس بهم ما شاءوا من آراء خاسرة ، وبزعموا أن هذه الآراء من هداية الاسلام أو أن الاسلام لا ينكرها .

والواقع أن هذا الصنف من المنحرفين قد أحدث في بعض البلاد الإسلامية آثار فساد لم يحدث معشارها النابذون الى الدين على سواء ، ولم أرنا الأيام في هذا الصنف من عجائب : دلتنا على أن هناك مغارات بأعمروا بالدين بين حيطانها ، ولغة اذا حضرم بعض المسلمين يضحون الى التخاطب بها ، وضروب من الإغواء يجهدون أنفسهم في تمويهها .

منذ عهد قريب أخذ بعض الكتاتين يتشبهون بمن يؤلف على طريق البحث العلمي ، فقالوا ما شاءوا أن يقولوا ، وخرجوا بغير مناسبة منطقية الى إنكار أن يكون للإسلام مدخل في الشؤون القضائية والعاملات المدنية .

جال هذا الصوت جولة الباطل ثم ذهب كصبيحة في واد ، ولم يبق له صدى إلا في آذان رهط لا يسمعون رشد ، ولا يفقهون حجة ، وإن شئت فقل : صادف ذلك الصوت أفئدة هواء ، فجعلوا يحاكونه في بعض ما يكتبون ، ويوقظون فتناؤا أقبل كل على ما يحسن أن يتحدث فيه لكانوا عنها في شغل .

ما كدنا ننتهي من إمطة أذى ذلك الذي ادعى أنه يفسر القرآن بالقرآن ، حتى خرجت إحدى الجلات تحمل مقالا تحت عنوان « داء الشرق ودواؤه » وفي هذا المقال



دعاية الى فصل الدين عن السياسة، وبلغ بكتابته الحال أن زعم أن سبب تأخر المسلمين هدم فصلهم للدين عن السياسة.

ونحن نود والله يعلم أن يقبل كل من يده قلم على ما فيه خير للناس، والموضوعات العلمية والأدبية والسياسية مترامية الأطراف، وانصراف نفس الكاتب عن البحث في أمثال هذه الموضوعات ليس بعذر يبيح له أن يخوض بقلمه في الحديث عن الدين خوض من يقولون ما لا يتدبرون.

ونود والله يعلم أن تقبل على شأننا، ونغضى في سبيلنا، وليس في فطرتنا الولوع بأن نفتد لكاتب رأيا، أو نبطل لباحث قولا، ولكن القوم أصبحوا يتساقطون على طمس معالم الحقيقة والفضيلة تساقط الفراش على السراج، والسكوت عنهم تفریط في جنب الله، ومن فرط في جنب الله خسر الدنيا قبل الآخرة.

قال صاحب المقال في ذكر أم النقطة الجوهرية التي ترجع إليها أسباب ضعف الشرق: « الثانية عدم التفريق بنظام قاض بين السلطين الدينية والدينية، فكان هذا من جملة المسببات لتأخر المسلمين إذاً جمع السلطين في شخص واحد بدون تحديد لهما كان من أبعد<sup>(١)</sup> الأمور الى اختلال النظام وإذا كان هذا أفاد المسلمين في صدر التاريخ الاسلامي وأمر العالم لهم كما قدمنا، إلا أنه كان بلاء بعد انقسام المسلمين الى ممالك و فرق وشيع ومذاهب وأحزاب ووجود دول أخرى تنازعهم السيادة على العالم، وقد عاد اجتماع هاتين السلطين بلاء عليهم إذا أصبحت الرئاسة الدينية والدينية في الواقع في قبضة تلك الدول التي نازعهم كما هو مشاهد الآن ».

نعرف من قبل أن يظهر هذا المقال أن الذين يدعون الى فصل الدين عن السياسة فريقان : فريق يعترفون بأن للدين أحكاما وأصولا تتصل بالقضاء والسياسة، ولكنهم

(١) كذا في الأصل ولها محرفة من كلمة « أدنى ».

ينكرون أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح آخذة بالسياسة الى أحسن العواقب، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالظمن في أحكام الدين وأصوله وقبلوا أن يسميهم المسلمون ملاحدة، لأنهم مقرون بأنهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بمن نزل عليه القرآن. ورأى فريق أن الاعتراف بأن في الدين أصولاً قضائية وأخرى سياسية، ثم الظمن في صلاحها، إيدان بالانفصال عن الدين، وإذا دعا للنفصل عن الدين الى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحاً وسميه خائباً، فاخترع هؤلاء طريقاً حسبوه أقرب الى نجاحهم وهو أن يدعوا أن الإسلام توحيد وعبادات، ويحددوا أن يكون في حقائقه ما له مدخل في القضاء والسياسة، وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه لعلمهم يحدون في الناس جهالة أو غباوة، فيتم لهم ما يبتغوا.

هذان مسلكان لمن ينادى بفصل الدين عن السياسة، وكلاهما يبتغى من أصحاب السلطان أن يضعوا للأمة الإسلامية قوانين تناقض شريعتها، ويسلكوا بها مذاهب لا توافق ما ارتضاه الله في إصلاحها، وكلا المسلكين وليد الافتتان بسياسة الشهوات، وقصور النظر عما للشرعة الإسلام من حكم بالغات.

أما أن الإسلام قد جاء بأحكام وأصول قضائية، ووضع في فم السياسة جلماً من الحكمة، فإنما ينكره من نجاهل القرآن والسنة ولم يحفل بسيرة الخلفاء راشدين إذ كانوا يزنون الحوادث بقسطاس الشريعة، ويرجعون عند الاختلاف الى كتاب الله أو سنة رسول الله.

في القرآن شواهد كثيرة على أن دعوته تدخل في المعاملات المدنية، وتتولى إرشاد السلطة السياسية قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وكل حكم يخالف شرع الله فهو من فسيلة أحكام الجاهلية، وفي قوله تعالى: (اتقوا الله وأطيعوا أئمة الدين) إيماء الى أن غير الموقنين قد ينازعون في حسن أحكام رب البرية، وتهوى أنفسهم تبدلها بمثل أحكام الجاهلية، ذلك لأنهم في غطاء من تقليد

قوم كبروا في أعينهم ولم يستطيعوا أن يعجزوا سيئاتهم من حسناتهم، وقال تعالى: (وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) فرض في هذه الآية أن يكون فصل القضايا على مقتضى كتاب الله، ونبه على أن من لم يدخل الإيمان في قلوبهم يبتغون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم، وأردف هذا بتحذير الحاكم من أن يفتنه أسرى الشهوات عن بعض ما أنزل الله، وفتنهم له في أن يسمع لقولهم، ويضع مكان حكم الله حكما يلائم بغيتهم، قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وفي آية: (فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) وفي آية ثالثة: (فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).

وفي القرآن أحكام كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات، كأحكام البيع وزبا والرهن والدين والإشهاد، وأحكام النكاح والطلاق واللعان والولاء والظهار والحجر على الأيتام ولوصايا والوارث، وأحكام الفصاح والدية وقطع السارق وجلد الزاني وقاذف المصنات، وجزاء الساعي في الأرض فسادا، بل في القرآن آيات حربية فيها ما يرشد إلى وسائل الانتصار كقوله تعالى مرشدا إلى القوة المادية: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) وقوله تعالى مرشدا إلى القوة المعنوية: (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وقوله تعالى منها على خطة هي من أضع الخطط الحربية. (فَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) والكفار هنا المحاربون، ففي الآية إرشاد إلى أن يكون ما بينهم وبين ديارهم أمنا، ولا بدعوا من ورائهم من يخشون منه أن ينهض إلى أموالهم وأهلبيهم من بعدهم، أو يجلب عليهم بخيله ورجله ليطن في طهورهم وقد أقبلوا على المدو الذي تجاوزوا إليه بوجوههم، وفي الآيات الحربية ما يتعلق بالصلح كقوله تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) وقوله تعالى: (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وفيها ما يتعلق بالمعاهدات كقوله: (فَأَيُّ مَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاْنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ).

وفي السنة الصحيحة أحكام مفصلة في أبواب من المعاملات والجنائيات الى نحو هذا مما يدل على أن من يدعو الى فصل الدين عن السياسة إنما تصور ديناً آخر وسماه الإسلام .

وفي سيرة أصحاب رسول الله — وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة — ما يدل دلالة قاطعة على أن للدين سلطاناً على السياسة ، فإنهم كانوا يأخذون على الخليفة عند مبايعته شرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله .

ولولا علمهم بأن السياسة لا تنفصل عن الدين لباعوه على أن يسوسهم بما يراه أو يراه مجلس شوره مصلحة ، وفي صحيح البخاري « كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فاذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم » .

ومن شواهد هذا محاوره أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب في قتال مائى الزكاة ، فإنها كانت تدور على التفقه في حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » فمروا بن الخطاب يستدل على عدم قتالهم بقوله في الحديث : « فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم » وأبو بكر الصديق يحتج بقوله في الحديث « إلا بحقها » ويقول الزكاة من حق الأموال ، ولولم يكونوا على يقين من أن السياسة لا يسوغ لها أن تخطو خطوة إلا أن يأذن لها الدين بأن تخطوها ، ما أورد عمر بن الخطاب هذا الحديث ، أو لوجد أبو بكر عند ما احتج عمر بالحديث فسحة في أن يقول له : ذلك حديث رسول الله ، وقتال مائى الزكاة من شئون السياسة .

ومن شواهد أن ربط السياسة بالدين أمر عرفه خاصة الصحابة وعامتهم ، قصة عمر بن الخطاب إذ بدله أن يضع لمهور النساء حداً ، قتلت عليه امرأة قوله تعالى :

(وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) فما زاد على أن قال: رجل أخطأ وامرأة أصابت، ونبذ رأيه وراء ظهره، ولم يقل لها: ذلك دين وهذه السياسة.

وكتب السنة والآثار مملوءة بأمثال هذه الشواهد، ولم يوجد حتى في الأمراء المعروفين بالفجور من حاول أن يمس اتصال السياسة بالدين من الوجهة العلمية وإن جروا في كثير من تصرفاتهم على غير ما يأذن به الله، جهالة منهم أو طغيانا، أراد الحجاج أن يأخذ رجلا يجرمة بمض أقاربه، فذكره الرجل بقوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فتركه ولم يخطر على باله وهو ذلك الطاغية أن يقول له: ما تلوته دين وما سافله سياسة.

وأما قيام أحكام الشريعة على أساس العدل، ورسمها للسياسة خططا محكمة الوضع فسيعة ما بين الجوانب، فذلك ما لا أستطيع تفصيل الحديث عنه في هذا المقال، وفيما كتبناه ونكتبه إن شاء الله تعالى تحت عنوان «الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان» ما يساعد على الإلمام بأصول الشريعة ومعرفة اتساعها لكل ما يحدث من الوقائع، والذي نقوله في هذا المقام أن السياسة لا تجدد في الدين ما يقف دون مصلحة، ولا تجدد منه ما يحمل على إتيان مفسدة، لا تجدد فيه هذا ولا ذاك متى وزنت المصالح والمفاسد بميزان العقل الراجح، وكان القابضون على زمامها من حصافة الرأي في منعة من أن يطيش بهم التقليد أو إرضاء طائفة خاصة إلى أن يرو الفساد صلاحا في شرعه، أو يرو الإصلاح في لون الفساد فينهرفوا عنه، وليس من شأن الدين أن يراعى فيما يشرع الأهواء الجماعية وإن كانت أهواء الملأ الذين استكبروا، أو أهواء من في الأرض جميعا.

والرؤساء الذين لم يحافظوا في سياسة شعوبهم الإسلامية على أحكام الشريعة وآدابها، فوضعوا لهم قوانين جائرة، وأذتوا بمظاهر غير صالحة، إنما أتوا من ناحية جهلهم بسماحة شرع الإسلام وسعة قواعده وسمو مقاصده، وإذا كان على غير هؤلاء

الرؤساء تبعه فعلى أولى الحل والعقد من فضلاء الأمة وعلمائها إذا أحملوا علاجهم ، ولم يبذلوا في دعوتهم الى الاستقامة جهدهم .

أما الأحداث وأشباه الأحداث الذين لا يهدأ لهم بال ما داموا يسمعون اسم الدين يجرى في لسان بعض الدول باحترام ، فإن من نشأ في غير جد ، وأسرف في حب اللهو ، لا يألف شريعة تأمر بالعدل ، وتضع دون الأهواء الجامحة حاجزا ، فلا عجب أن يتآسروا بها ، ويشيروا على السياسة بأن تبتمد منها ، وإذا بلغ هؤلاء مأربهم في سياسة وقع زمامها في يد رائج عن سبيل الرشاد ، فستذهب آمالهم خائبة في كل قطر يسوسه رئيس يقدر الإسلام قدره ، ويجد من حوله علماء درسوا الشريعة بنباهة ، ولا يخفى عليهم قصد من يتغنون بمدح الإسلام ، وقبل أن تستريح حناجرهم يطعنونه في الصميم .

يقول الكاتب : « إن جمع السلطتين في شخص واحد بدون تحديد لهما كان من أدعى الأمور الى اختلال النظام » .

ليس في الإسلام سلطة دينية إلا على معنى أن الأمير ينفذ أحكام الشريعة المفصلة في الكتاب والسنة ، أو المدرجة في الأصول المأخوذة منهما . وقاعدة الشورى التي قررها القرآن الكريم ، وجرى عليها الخلفاء الراشدون كافلة بصحة الاجتهاد في الأحكام المستنبطة من الأصول ، أما النظم التي تقوم بها الشورى على وجهها الصحيح فوكولة الى الآراء لراجعة وما تقتضيه مصالح الأمم أو العصور ، فالإسلام لم يترك السلطة التي وضعها في أيدي الأمراء مطلقة عن التقيد ، وإذا استهان بعض الأمراء بقاعدة الشورى فإن التشريع قام ، والوزر على من لم يأخذ نفسه بما قرره الشرع العزيز .

وإذا كان بعض الأمراء هم الذين خرجوا عما حده الإسلام لسلطتهم الدينية ، فحكمة الكاتب متى كان مسلما أن يقرر الحد الذي رسمه الإسلام ، ويبين للناس

كيف نعداه أو لو الأمر ، ليطالبونم بالوقوف عنده ، لا أن يقول كلاما مبهما ، ويبني عليه المناقشة الى شهوة هي فصل الدين عن السياسة .

ويقول صاحب المقال : « وقد عاد اجتماع السلطين بلاء عليهم إذا أصبحت الرئاسة الدينية والدينية في الواقع في قبضة تلك الدول التي نازعتهم كما هو مشاهد الآن » .

لسقوط الشعوب الإسلامية في قبضة تلك الدول التي نازعتهم أسباب ليس اجمع بين السلطين منها في شيء ، ومن طبيعة سيطرة تلك الدول عليهم أن تتصرف في شئونهم على طرق لا تحفظ حقوقهم ولا تراعى فيها مصالحهم ، وهل ينقص هذا البلاء لو أن المسلمين أعلنوا فصل سياستهم عن الدين قبل أن يسقطوا في أيدي هذه الدول المنازعة لهم ؟

حرص الكاتب على شهوة فصل الدين عن السياسة جملة يورد في معرض التشويق اليها ما ليس بحق ولا يشبه أن يكون حقا ، بأي طريق عرف الكاتب أن تلك الدول اذ وجدت السياسة في يد والدين في يد أخرى ، سلبت ما في اليد الأولى من سياسة وترككت اليد الأخرى تعمل في حدود سلطتها بحرية .

ويقول الكاتب : « وإذا كان هذا أماد المسلمين في صدر التاريخ الإسلامي وأمر العالم لهم كما قدمنا ، إلا أنه كان بلاء بعد انقسام المسلمين الى ممالك و فرق وشيع ومذاهب وأحزاب ، ووجود دول أخرى نازعتهم السيادة على العالم » .

قد عرفت أن الأمير المسلم ليس عنده في الواقع سوى سلطة واحدة هي تدبير شئون الأمة على مقتضى القوانين الشرعية والنظم التي لا تخالف شيئا من أصولها ، فتجريد الأمير من السلطة الدينية هو عزل له عن الإمارة في نظر الشريعة ، ومن لم يمكن أميرا في نظر شارع الإسلام ، فليس بأمير في نظر المسلمين ، فالمسلمون لا يستطيعون أن يتصوروا أميرا مجردا من السلطة الدينية فضلا عن أن يجرّدوه منها

بالفعل ورضوا بمد تجرئد منها بالاستماع اليه والطاعة له . ولم تكن السلطة الدينية بيد الأمراء في يوم من الأيام بلاء على المسلمين ، وإنم بلاء المسلمين في عدم قيام بعض أمرائهم بما توجب هذه السلطة من نحو العدل والشورى والمساواة وإعداد القوة لتقرير الأمن وكف العدو الذي يبتسط عليهم يده بالسوء .

قال صاحب المقال : « فكل مملكة احتضنت مذهبا في العقائد والفروع لتبقى وحدها منفصلة عن الممالك الأخرى ، فبعد الانقسام أصبح كل أمير منهم إماما دينيا وحاكما سياسيا لقطره ، فكانت النتيجة من هذا الجمع الإخلال بالنظام العام وزالت الوحدة المقصودة من روح التشريع الإسلامى فتعددت الخلافات واختلت أحكامها ، بعكس الأمم الأخرى التى تلبثت لى حكمة الفصل بين السلطتين فصار ذلك الفصل مصدرا لفائدة الأمة وحمايتها من التلاشى والانهيار فلم يضرها اختلاف الدول فيها لوجود الرئاسة الدينية قائمة فى حدود سلطتها وتخصصها ، ولذلك بقيت وحدتها خالدة فى عصمة من الانشقاق والتدهور الذين أصابا الوحدة الإسلامية » .

وقع تفرق فى الممالك الإسلامية ، وأصبح كل أمير مستقلا بالنظر فى أمور قطره فكانت النتيجة من استقلال كل أمير بمملكة مع تقاطع هذه الممالك وتدابرها انحلال الرابطة الإسلامية وزوال الوحدة المقصودة من التشريع الإسلامى .

فسبب اختلال النظام العام أو أحكام الخلافة انقسام الأمم الإسلامية الى دول انقسامها غير مصحوب بشئ من التحالف والتماطف ، أما أن كل أمير يرجع اليه النظر فى شئون رعيته الدينية فذلك من لوازم الإمارة فى الإسلام ، فلم يكن لعبد الأمير المستقل نفسه حارسا للدين فى مملكته الخاصة دخل فى اختلال النظام ، فوهن المسلمين جاء من جهة استقلال كل أمير بطائفة من المسلمين استقلالا يقطع بينها وبين الدولة العظمى صلة التناصر والتعاون ، لا من جهة أن رعاية الدين داخلية فى سياسة كل دولة .



ويقول الكاتب : « يعكس الأمم الأخرى التي تنهت الى حكمة الفصل بين السلطتين ، فصار ذلك الفصل مصدرا لفائدة الأمة وحمايتها الخ » وهذا صريح في أن الكاتب يريد من الدول الإسلامية أن تفعل ما فعلته الدول الغربية من تجريد السياسة من الدين ، وهو رأى لا يصدر إلا ممن يكتن في صدره أن ليس للدين من سلطان على السياسة ، وهذا ما يبتته فئة يريدون أن ينقصوا حقيقة الإسلام من أطرافها حتى تكون بمقدار الديانة المسيحية ، ثم يصبغوا هذا المقدار من بمد بأى صبغة أرادوا ، فيذهب الإسلام ، فلا القرآن زل ولا محمد صلى الله عليه وسلم بمث ، ولا الخلفاء الراشدون باهدوا في الله حق جهاده ، ولا الراسخون في العلم سهروا في تعرف الأصول من مواردها وانتزاع الأحكام من أصولها .

يضرب الكاتب المثل بالأمم الأخرى ويزعم أن فصلها الدين عن السياسة كان مصدر فائدة الأمة وحمايتها من التلاشي والانهايار ، ومن أجل فصلها الدين عن السياسة ووجود الرياسة الدينية قائمة في حدود سلطتها لم يضرها اختلاف الدول فيها .

وضرب المثل على هذا الوجه أثر نظرة متسرعة ، إذ ليس للرياسة الدينية في الإسلام حد تنتهى اليه ثم يكون للأفراد أو الجماعات أن تفعل بعه ما تشاء ، ولو كان في دين تلك الدول قوانين مدنية ونظم سياسية ، وقامت كل دولة على تنفيذ تلك القوانين والنظم داخل حدودها ، أفيكون مجرد رعايتها لما جاء به دينها سببا لا انتشار مرض التقاطع بينها .

ليس في طبيعة ربط السياسة بالدين التقهقر والتنازع إلا أن يكون في معالم الدين ما يسير بالناس الى وراء ، أو ما يغرى بينهم المداوة والبغضاء ، وليس في دين الإسلام إلا ما يصعد بالأمم متى شئت الصعود الى السماء ، وليس فيه إلا ما يدعو الى الائتلاف والتعاون على أن تكون كلمة الحق هي العليا .

قال صاحب المقال : « ولنضرب لذلك مثلا وحدة الكنيسة الكاثوليكية فإنها على الرغم من اختلاف الدول الكاثوليكية بقيت لها زعامتها وشعورها بقوة فكرتها

وقد رأينا أثرها في الحروب الصليبية المستمرة بل وفي كل الحوادث التي تلتها والتي تأملت فيها أوروبا على الأمم الإسلامية ، فإن للكنيسة والجمعيات الدينية المختلفة التي تستمد سلطتها منها أثرها الفعال في بقاء وانتشار المسيحية وتأثيرها في سياسة العالم .

ليس في الإسلام سلطة دينية تشبه السلطة الكاثوليكية ، والسلطة لادينية في الإسلام لكتاب الله وسنة رسول الله ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) .

وعلى العلماء البيان وعلى الأمراء التنفيذ ، فإن أراد الكاتب من السلطة البيان ، فالبيان حق لكل عالم نفقه في أصول الشريعة ومقاصدها ، فلا يختص به عالم دون آخر ، ولا يعد بيان العالم الذي تعينه الأمة للبيان أرجح من بيان غيره إلا أن تكون حجته أقوى ، وإذا كان الأمر للحجة ، فما معنى تعيين شخص ليكون مصدر البيان في كل حال ، فإن أراد من السلطة التنفيذ فليس له معنى سوى أن تكل الأمة الى شخص القيام بتنفيذ أحكام الدين على أن تكون هي يده التي ينفذ بها ، وسلاحه الذي يدافع به من يعارض في التنفيذ ، وذلك معنى الخلافة المعروفة في الإسلام .

قال صاحب المقال : « ولو رزق المسلمون رحالا ينظرون بعين الناقد البعير — من قبل قرنين — وفصلوا الدين عن السياسة لكان للإسلام اليوم من الشأن والسيادة في الممالك التي اغتصبتها الدول الأوروبية ما لا يقل عما للفاتيكان ، وما كان خطر الاستيلاء الأجنبي عليهم عظيما » .

كلام يروج ولكن في غير هذا الوادي ، ويتقبل ولكن بعقول لم تستر بهداية ، يأسف صاحب المقال على الشأن والسيادة اللذين فاتا المسلمين لعدم فصلهم الدين عن السياسة من قبل قرنين ، ويرى أن إبقاء الدين في جانب السياسة كان سببا في أن صار خطر الأجنبي عليهم عظيما .

فصل لدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين ، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين ، وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدى به الأجنبي على الدين إذا جلس خلال الديار ، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنا كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن ، ورأينا كيف كان بعض المبشرين بالاستعمار الأجنبي أقرب إلى الحرية في الدين ممن أصيبوا بسلطانهم ، ونحن على ثقة من أن الفئة التي ترناح مثل مقال الكاتب لو ملكت قوة لألفت محكم يقضى فيها بأصول الإسلام ، وقلبت معاهد تدرس فيها علوم شريعته الغراء إلى معاهد فهو ومجون ، بل لم يحدوا في أنفسهم ما يتباضعون بهم عن التصرف في مساجد يذكر فيها اسم الله تصرف من لا يرجو الله وقارا .

يقول الكاتب « لو فصلوا الدين عن السياسة ما كان خطر الاستيلاء الأجنبي عليهم عظيما ، يقول هذا كأنه لا يدري أن السياسة الطاغية لا تنهاب إلا حديدا أشد بأسا من حديد ، ونارا أشد حرا من نارها ، فليس من المقول أن تردعها عن قصدها سلطة دينية ليس في كائناتها سهم ، ولا في كفها حسام ، أما قياسه حال السلطة الدينية الإسلامية - على فرض صحة إقامتها - بحال السلطة الكاثوليكية في احترام مؤسساتها وإطلاق يدها في عمل يرفع أهل ملتها فغلبة أو غفلة عن الفرق بين سلطة دينية يحد فيها الاستعمار مؤاررة أو موافقة على أي حال ، وسلطة دينية قد يكون في بعض أصولها ما لا يلائم طبيعة الاستعمار .

ولو ربط المسلمون سياستهم بالدين من قبل قرنين ربطا محكما ، لم نجد يد الغاصب للعبث بحقوقهم مدخلا ، ولو أعلنوا فصل الدين عن السياسة لظلوا بغير دين ، ولوجد فيهم الغاصب من الفشل أكثر مما وجد ، فليست مصيبة المسلمين في تركهم السياسة مربوطة بالدين كما زعم الكاتب ، وإعماهي ذهولهم عن تعاليم دين لم يدع وسيلة من وسائل النجاة إلا وصفها ، ولا قاعدة من قواعد العدل إلا دفعها .

قال صاحب المقال : « فإن أعظم ما أصاب المسلمين من المصائب إنما هو فقد الرئاسة الدينية بعد أن فقد منهم الاستقلال وحرمانهم من بقائها درعا حاميا وسدا منيعا من تسرب المستعمرين باسم السياسة الى السيطرة على شعور وضمائر الأمم الإسلامية حتى كاد يحتل بناء الدين ، ويتنكر المسلمون تعاليمه الحقبة » .

حقيقة فقد الرئاسة الدينية من أعظم ما أصاب المسلمين ، وهي الرئاسة التي في إحدى يديها هداية ، وفي أخرى قوة ، أما الرئاسة التي لا يتعدى صاحبها أن يكون واعظا عاما ، يدعو الناس الى الصلاة والصيام والحج إن استطاعوا اليه سبيلا ، فلم تفقد بعد ولم يحرم المسلمون منها ، ولا تزال باقية ولكن في أشخاص متفرقين في البلاد لا في شخص واحد كما يرغب صاحب المقال ، ولم نذكر الزكاة في قبيل ما يدخل في لوعظ مخافة أن يكون الكاتب قد انتزعها من أحضان الدين وجعلها في قسمة السياسة .

يربط الكاتب الوقائع ولكن بغير أسبابها ، ويصل النتائج ولكن بغير مقدماتها ، لنفرض أن المسلمين اتفقوا على ضلالة فصل الدين عن السياسة ، وأقاموا رئاسة دينية لا جند لها ولا سلاح ، أمن المعقول أن تكون هذه الرئاسة درعا حاميا ، وسدا يمنع من تسرب المستعمرين الى السيطرة على شعور الأمم الإسلامية وضمائرها .

إذا سيطر المستعمر على الشعور والضمائر فإن أكبر مساعد له على هذه السيطرة قبضه على زمام التعليم العام حيث يسير به على منهج يخرج به الناشئ ، مزلزل العقيدة غائبا عن سماحة الدين وحكمة التشريع ، ومعظم الناس مأخوذون بحاجات أو دواع الى أن يترددوا على مدارس الحكومة .

فإن أراد الكاتب أن يكون لتلك السلطة الدينية فضل إقامة مؤسسات نفى عن مدارس التبشير ومستشفياتهم التي يتخذونها وسائل للسيطرة على شعور المسلمين وضمائرهم ، قلنا : في يد المسلمين أن يقيموا مؤسسات تحاكي تلك المؤسسات ، فينقذوا أبناءهم من شر مؤسسات الأجنبي ، ولا شيء يضطرهم الى موبقة فصل الدين عن السياسة ، وابتداع رئاسة دينية لم ينزل الله بها من سلطان .

بسط صاحب المقال لسانه في « الفقهاء المسلمين » كما يبسطه فيهم من لم يطالع كتبهم ، فغلا في وصفهم بالجمود ، حتى زعم أنهم « لم يقولوا لنا كيف يجتهد الفقيه » وتنادى في هذه المزاعم الى أن قال « ووجد من الفقهاء المزيفين من جوز إمامة المفتصب الذي يتولى ولاية الأمة بغير رغبتها وإرادتها » .

يقول الفقهاء : تنعقد الإمامة ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس ، وهذا هو الأصل الذي ينبغي أن تكون عليه الإمامة في كل حال ، وأجازوا للإمام متى خشي التنازع في الإمامة من بعده ورأى في أحد رجاله الكفاية أن يمهّد اليه بها قطعا للفتنة ، ولم يجزوا لأحد أن يتولى أمرها دون أن يبايحه أهل الحل والعقد ، أو يمهّد اليه بها الإمام ، وإن قام مسم ذو قوة فتولاها بالقهر والقلبة ، فإن كان جامعا لشروط الولاية من نحو العلم والعدل والاستقامة كان إقراره أسلم عاقبة من منازعته ، وليس في إقراره من بأس ما تحققت فيه شروط الولاية ، فالفقهاء يجيزون ولاية المتغلب على معنى أنه بعد القهر والغلبة يعد إماما لتحقق شروط الإمامة فيه ، ولأن منارعته تفضى الى فتنة ليسوا في حاجة الى إثارتها .

فإن فقد منه بعض شروط الولاية منتخبا كان أو مهوردا اليه ، أو متغلبا ، فن الشروط ما يكون فقد مسقطا للولاية بنفسه كالارتداد عن الدين ، واختلال العقل ، ومنها ما يستحق به العزل بإجماع كالفسق ، ومن الفقهاء غير المزيفين من يعد الفسق في الشروط التي تسقط ولايته بنفسها ، ولا تحتاج الى إعلان أهل الحل والعقد بخلعه ، أما القيام على الفاسق وإبعاده من مقر الولاية باليد ، فوكلول الى اجتهاد أهل الحل والعقد ، وهم الذين يسلكون ما تقتضيه الحكمة وتستدعيه مصلحة الأمة .

هذا ما يقوله الفقهاء أخذنا من أصول الشريعة ورعاية لقصدها في الاستنباط ، وليس فيه تزييط في المصلحة العامة ، ولا ما يمس مقام الولاية العظمى بسوء .

محمد المنصور الحسين

# النفس

## سورة الملك

٥

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ( الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا  
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ . ثُمَّ  
أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَابَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَلِيسًا وَهُوَ حَسِيرٌ ) .

### التفسير

قدمنا لك أن القرآن العظيم قد نص على أن السموات متعددة ، وأن عددها  
سبع سموات ، وأن هذا الخبر القرآني الصادق في نفسه قد جاء مطابقا تمام المطابقة لما  
عهده الأمم واستفاض بينهم قديما وحديثا من أن السموات متعددة وأن عددها  
سبع سموات .

فنقول : إن علم الأمم بذلك كانت نتيجة صحيحة لازمة لما قاموا به من البحث  
والتفكير في خلق السموات ، ولما استعانوا به من الوسائل المتنوعة الكثيرة التي توسلوا  
بها في الرصد والكشف عن عجائب ملكوت هذا العالم العلوي العظيم عالم السموات .  
تكشف كل أمة ما تكشف من بدائع عالم السموات بقدر ما استطاعت  
من النظر والتتقيب ، وبقدر ما اخترعت من آلات الرصد والكشف ، ثم تخلفها

أمة بعدها فستدرك ما فات الأولى ، وتُصلح ما عسى أن تكون قد أخطأت فيه ،  
وتريد عليها ما لم يكن قد وصل اليه علمها ، واستمر العمل على هذا المنوال الى يومنا هذا .  
تكميل لنقص تركته لأوائل ، وإصلاح خطأ غفلوا عنه ، وإظهار لشيء جديد خفي  
على المتقدمين ، ومن ذلك عثور المتأخرين على سيارين زائدين على السبع وهما ( نبتون  
وأورانوس ) كما قدمناه لك في العدد الرابع .

هذه السموات السبع التي اقتصر القرآن الكريم عليها لشهرتها وانتشار العلم بها  
بين الأمم قديما وحديثها هي الكواكب <sup>(١)</sup> السيارات السبع ، وأقربها إلينا القمر ،  
وفوقه عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ، وقد جمعها بعضهم  
مرتبة من أعلى الى أسفل في قوله :

زُحَلْ شَرَى مَرِيخُهُ مِنْ شَمْسِهِ قَزَاهَرَتْ لِعَطَارِدِ الْأَفَارِ

ثم إن هذه الكواكب السبعة كُرَاتٌ <sup>(٢)</sup> أى أجرام مستديرة سطوحها منعنية  
كسطح الكرة المعروفة ليست مُسَكِّمَةً وَلَا أَقْنِيَةً ، ولكل كوكب منها كواكب  
أخرى كثيرة جدا لا يحصىها العدد تابعة له تسير بسيره ، لا تُسْرِعُ فتقدم عليه ، ولا  
تُبْطِئُ فتأخر عنه . فلما كان سيرها مرتبطا بسيره سميت توابع له ، ولما كانت  
ملازمة له لا تنفك في سيرها عنه كأنها مقيدة قارة سميت ثوابت .

أى أن كل كوكب من السبعة تتألف منه ومن توابعه مجموعة عظيمة من  
الكواكب لا يحيط بها الحصر ، قد وضع الله القدير الحكيم كل كوكب منها وضعا  
محكما بمقدار اقتضته حكمته لا يتعداه في أثناء سيره ، ولا ينحرف عنه بئنة وَلَا يَسْرِعُ  
لا يعترى ذلك حلالٌ وَلَا يَلْحَقُهُ بَلَى عَلَى مَرِّ الْغَدَاةِ وَكَرِّ الْعَشِيِّ ، وذلك هو معنى

(١) راجع تفسير القمر وغيره لقوله تعالى . ( معواصم سبع - حوات ) . (٢) راجع كتاب نهات  
ابن الألف ليلة الاسلام انظر الى وكتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير فيما نقله من ابن حزم وابن النير وابن  
الجوزي وغيرهم من إجماع العلماء على أن السموات كرات مستديرة .

البناء<sup>(١)</sup> في قول الله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وقوله: (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا).

قلنا إن كل كوكب من الكواكب السبعة السيارة يؤلف مع توبعه مجموعة عظيمة من الكواكب، فتلك سبع مجموعات من السموات السبع.

هذه السموات السبع منفصل بعضها عن بعض، بين كل واحدة والأخرى بُعدٌ شاسعٌ يجري فيه جريها الذي قدره الله تعالى لها، لكن جريها هذا هو على خط منحنٍ دائرٍ كالحلقة، ولهذا سُمي مداراً لأنه دائرٌ، كما سمي فلَكاً لأنه مثل فلَكَةِ الْمِنْزَلِ كما قاله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما. والفلكة هي رأس المنزَلِ الأعلى المستدير.

ومما يُقَرَّبُ لك تصور هذا البعد الشاسع الذي يفصل السموات بعضها عن بعض أن بعضها يقطع مداره ويتم دورته في شهر مع جريه السريع وهو القمر، وبعضها يقطعه في سنة وهو الشمس، وبعضها غير ذلك. فانظر إلى هذا الجري السريع في ذلك الزمان الطويل ماذا يستلزم من البعد الشاسع والخلأ الواسع حتى لا تصطدم سماء بسماء أو كوكب بكوكب؛ ولكن الله على كل شيء قدير.

قدمنا لك في العدد قبل هذا أن الطريقة تطلق على معنيين: أحدهما الطريق الذي يُسَلَّكُ ويُسَارَفُ فيه، وبهذا فسر بعض العلماء قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) أي سبعة طرقٍ ومداراتٍ وأفلاك. ومن الواضح أنه لا تكون المدارات إلا إذا كان هناك ما يدور فيها وهو الكواكب الدائرة التي هي السموات السبع. فعلى تفسير الطريق بهذا المعنى وهو الأفلاك يكون معنى مجموع هاتين الآيتين وهما: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) و (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) هكذا: خلقنا سبع سموات وخلقنا لكل سماء فلَكاً خاصاً بها تجري فيه بحسب<sup>(٢)</sup>

(١) فإن السماء هو وضع شيء فوق شيء ليشكون من المجموع شيء آخر على حالة معينة فارة ثابتة

(٢) بحسب وتقدير معين في فلَكها تنظم به أمور الكائنات.



كذلك قدمنا لك أن المعنى الثانى للطريقة هو الطبقة<sup>(١)</sup> . وعلى ذلك يكون قوله تعالى: (طَرَاتِقٌ) وقوله فى الآية التى نحن بصدددها: (طَبَاقًا) بمعنى واحد، وهو أن الله جلّت قدرته جعل هذه العوالم العليا التى هى السموات السبع طبقات بعضها فوق بعض، يفصل كل منها عن الأخرى مسافة ممتدة وفضاء متراعى الأطراف والأرجاء . وفى هذا الفضاء المتسع أفلاكها التى تسبح فيها . وقد ذكرنا لك ترتيب هذه الطبقات من أعلى الى أسفل وبالعكس ، فارجع اليه إن شئت .

ثم نقول : إن جميع أهل الأرض لا يرون فوقهم شيئاً غير السموات أينما كانوا وحيثما حلوا فى أى بقعة من بقاع الأرض .

فاذا كان معنى الطبقة كما ذكرنا ، وكان أهل الأرض على ما وصفنا، لزم من ذلك أن السموات السبع كرات<sup>(٢)</sup> ، وأن كل سماء موضوعة فى جوف التى فوقها ، وأن الأرض فى مركز جوف السماء الدنيا ، وأن كل سماء تحيط بها تحتها إحاطة قشرة البيضة بالبيضة . أى أن السماء الدنيا تحيط بالأرض من جميع جهاتها ولأرض فى مركزها ، كما أن السماء الثانية تحيط بالسماء الدنيا هذه الأحاطة ، وهكذا الى السماء السابعة ( قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) إذ يقول : ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَافًا مُّخَوَّطًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) ( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) ( خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ) ( وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ) ( إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَإِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ . إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ) . فسبحان الذى خلق السموات والأرض ولم يئس بخلقهن وهو على ما يشاء قدير .

(١) عندما كان أن الطبقة هى كل شئ وضع فوق غيره وصفا جعل جميع أجزاء كل واحد منهما مسامتة ومقابلة لجميع أجزاء الآخر لم يخرج جزء من أحدهما عن الآخر . (٢) راجع تفسير البقاع وما قلناه لك من الحافظ ابن كثير قريبا .

إن هذا الذي ذكرناه لك مع إجماله واختصاره يُريك صورة فائقة لبعض صنْع الله البديع ، ويُطأُك على عظم عالم السموات وآساعه وعجيب تكوينه وغريب تركيبه وتأليفه ، ويَهْدِي المتفكرين المتبصرين إلى أن هذا الملكوت ملكوت السموات إنما هو أثر من آثار خلاق عليم حكيم ، لا قدرة لمخلوق مع قدرته ، وليس معه من إله ولا شريك ، وإليه ينتهي القهر والجبروت ، وبه يختص الذنى المطلق والنعمة والرحمة ، وأنه (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) .

ثم إن الله جل اسمه عرّف عباده القانون الإلهي الأعظم الذي هو أساس خَلْقِه لكل الموجودات ، سواء عالم السموات وسائر العوالم الأخرى ، فقال : ( مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ <sup>(١)</sup> ) فَعَرَفْتُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُ سَبْعَانُ مَنْزَعٍ عَنْ أَن يَكُونَ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ اخْتِلَافٌ وَتَنَافُرٌ ، وعدمُ توافقٍ وتناسُبٍ ، بأن يتجاوز شيء منها القدر الذي ينبغي له فيزيد على الحد الذي تقتضيه الحكمة أو ينقص عنه ، زيادةً أو نقصاً يؤدي إلى اعوجاج وخلل في أصل الخلق والإيجاد .

لهذا استحال أن يفوت من أحد الشئتين بعضهما في الآخر فإنا إن شئنا بعدم النظام والحكمة في الإيجاد والتكوين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . بل كل ما يراه الرأىون في هذا العالم أجمع علوه وسفليته ، إنما هي موجودات أنشأها من العدم المحض مُوجِدٌ قدير غني كل الغنى ، ومخلوقات خالقها خلاق عليم على أساس الحكمة البالغة ، وأدعما غاية الإبداع وقومها نهاية التقويم ولا انتظام على ما تقتضيه المصلحة والمنفعة ، فلم يَفْقِدْ هذا الخلق شيئاً من مقومات تكوينه وإيجاده ، ولم يَعدَمْ ركناً من الأركان التي هي عماد بقاءه ، ولا أساساً من أساس المنافع والنظام ، بل إنه عز وجل خلق المخلوقات فأنقها ، وأمدَّ كلاً منها بما يقوم به وجوده وتستدعيه مصالح

(١) راجع معنى التفاوت في العدد الرابع .

الكائنات، كلُّ له نصيبه الذي يناسبه، وحُظُّه الذي هو أهل له، كما قال جلت حكمته:  
(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) وقال حكاية عن محاجة سيدنا موسى عليه السلام  
لفرعون والمصريين: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى).

ثم انظر بعد هذا الى ما في الآية الكريمة من التمييز الذي اليه ينتهي الإبداع  
المُعْجِزُ، ألم تر الى قوله تعالى: (فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ) دون أن يقال: (في خلقهما) أى  
السموات السبع التى سياق الكلام فيها.

إن الذين يقرءون القرآن قراءة التدبر والتفقه فيه يدركون من أسرار هذا التمييز  
البليغ معاني جليلة تُقَوِّتُ بفوائده، فنها أن وَضَعَ (خَلْقِ الرَّحْمَنِ) موضعاً (فيها)  
يدل على أن السموات السبع من خلق الرحمن الذى لا تفاوت فيه، فزعم من ذلك أن  
السموات السبع لا تفاوت فيها، على طريقة الاستدلال<sup>(١)</sup> والبرهان.

وبما كان خَلْقُ الرحمن سبحانه لا تفاوت فيه، لأن وصف الرحمة مانع من  
التفاوت كلٌّ للمتع، لما أن الرحمة الإلهية التى هى الإحسان والإينام والتفضل  
الواسع، بينها وبين التفاوت كلٌّ للمباينة والمنافرة، لأن التفاوت مستلزم للاضطراب  
وفساد نظام الكائنات واختلال أمور الموجودات.

ومن هنا نعلم أن ذكر الرحمة وإضافة الخلق إليها فى قوله تعالى: (خَلْقِ الرَّحْمَنِ)  
هو بيان للسبب فى عدم رؤية تفاوت ما فى السموات السبع، لأنها من جملة خَلْقِ الله  
الرحمن (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ)، وهو وحده مصدر كل إحسان وفصل  
عظيم. ومن البين أن هذا كله كان يفوت اذا عُبِّرَ بكلمة (فيها) بدل عبارة (خَلْقِ الرَّحْمَنِ)

(١) أى أنه يؤخذ من الآية الكريمة قياس من الشكل الأول ذكرت كبراء وحذفت صفراء وتبيعت  
ونظمت هكذا: السموات السبع خلق الرحمن، وكل خلق الرحمن فيه من تفاوت، فالسموات السبع ما ترى  
فيها من تماوت.

ومنها أن خلق الله تعالى للسماوات السبع إنما كان بقدرته الباهرة وإرادته المطلقة النافذة، وبرحمته وإحسانه وتفضله، لا يَمُوقُهُ سبحانه عن خلقها عائق، ولا يصد إرادته لا يجادها صا، ولا حاجة تضطره تعالى إلى خلقها، فإنه عز وجل غنى عن أن يجلب لنفسه بها نفعا أو يدفع بها ضرا. لا تُجبرَ بعباده، ولا قاهر يقهره، بل هو الغالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده، سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

ومنها تنبيه العباد على أن إيداع الرحمن جل ثناؤه للسماوات السبع فيه خير عظيم ومنافع جمة كثيرة لهم، لأن الذي أبدعها إنما هو الرحمن الذي لا رحمة إلا برحمته، ولا تستطيع العقول أن تحيط بعظمها وقدرها، ولا ينتهى العادون في عدّهم لها إلى كثرتها وحصرها، كما قال جلّت آلاؤه: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) فكان ذكر وصف الرحمة دليلا على ما في السماوات السبع من الفوائد الجليلة الكثيرة للعباد.

ومنها أن إضافة خلقها إلى الرحمن تبارك وتعالى هي نهاية التشريف والتعظيم لها والرفع من قدرها والتنويه بعلو منزلتها، لأنها من آثار رحمة الله لذى له ملك السماوات والأرض وما فيهن (لَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

هذه بعض من أسرار البلاغة القرآنية، عفاها الذي إذا قرئ القرآن أستمعوا له وأنصتوا، و(إِذَا بُنِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ فُتِنَهُ) (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمِبًا وَلَهُمْ وَغَرَسَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا).

خاطب الله عز وجل جميع عباده الصالحين للخطاب فأخبرهم ذلك الخبر الصادق أنه ما يرى أحد منهم في خلق الرحمن من تفاوت ولا عيب مآ، فآمن بذلك الخبر الإلهي الصادق المؤمنون الذين (إِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا،

وتفكروا في خلق السموات والأرض وما بينهما وكثروا من المؤمنين ، ( وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ) .

ثم إنه تعالى بعد أن أخبر عباده هذا الخبر الصادق المفيد للعلم بأنه لا تفاوت في خلقه وهو قوله : ( مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ) أودعه بما يفيد العلم بذلك أيضا ولكن من طريق الحس والمشاهدة التي هو أجلى وأظهر طرق العلم فقال : ( فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ) أي إن كنت تريد أيها العبد زيادة اليقين واطمئنان القلب لهذا الخبر الصادق ، أو التحقق والتثبت منه إن لم تقتنع بالنظرة الأولى ولم تعتمد عليها بسبب أنه ربما وقع الخطأ فيها ، فاردد البصر وكرر النظر مرة ثانية وأدِمِ التأمل والاستقصاء في نواحي السماء وفي سائر أجناس الخلق ليتبين لك صدق خبر ما وتعلم علم اليقين والاطمئنان جواب هذا لاستفهام اذ قيل لك : ( هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ) وشقوق وصدويج وخلل وعيوب وعدم اتفاق واتساق ونظام في خلق الرحمن ، خلق السموات السبع وغيرهما أبداً ، والله وأحسن خلقه . لا شك أن جوابك عن هذا السؤال إنما يكون نفيًا محضًا ، أي لم أرَ فطوراً ولم أعثرُ بمسبب ما ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) .

إن هذا الأسلوب القرآني الفائق في جزائمه وبلاغته ، وهو قوله عز شأنه : ( فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ) لا يقوم مقامه ولا يؤدي مؤداه أن يقال : ( فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ لَرَى أَنَّهُ لَا فُطُورَ ) مثلاً ، وذلك أن ذكر صيغة الاستفهام في مثل هذا الموضع ، موطن الاحتجاج والإلزام ، يدل دلالة ظاهرة على شدة عناية المنقبين وعظيم اهتمامهم بالبحث والوقوف على حقيقة الأمر المسئول عنه الذي سيق له الكلام ، وهو هنا التفاوت في خلق الرحمن . ولا ريب أن الأمر هنا كذلك ، فإن ذلك الخلق البديع هو الشغل الشاغل لمقول العقلاء في كل أمة وعصر ، وهو الذي حارت البرية

فيه وعنت له وجوهها ، وكلما أمنت في النظر والاستقصاء وأوغت في البحث في عجائبه وأسراره زاد عجبها ، وتضاعفت دهشتها وحيرتها ، وتضائل حولها وقوتها ، وتجلت لها قدرة الله الكبير المتعال ، وقامت عليها حجة الله عز وجل إذ يقول : ( هَذَا خَلْقُ اللَّهِ . فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) .

أما الذين في قلوبهم زيغ ، فقد طبع الله على قلوبهم بكفرهم ( وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ) وليزيدتهم ما أنزل إليهم من دهم طغيانا وكفرا ، ( فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ) وأتبع قول الله تعالى : ( وَإِذْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ . وَإِنَّمَا يُفْسِدُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تُقَعِّدْ بَعْدَ اللَّهِ كَرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

ثم إنه سبحانه بعد أن أمر برَجْعِ البصرِ مرة ثانية بعد الأولى عاد فأمر برَجْعِهِ وتكريره مرارا كثيرة في خلق الرحمن على سبيل التصفّح والتتبع عسى أن يجد الرئي فيه عيبا . ثم يتعالى أنه لن يجد شيئا من ذلك ، بل إنه سيرجع بعد إدامة التأمل والبحث وإطالة التنقيب والإمعان ، متجسّما متقبّضا تقبّض الذلة والمهانة ، متراجما مُبْعَدًا عما كان يرجوه وهو حسير قليل تعب عبي قد انقطعت آماله عما كان يؤمله من استمرار النظر وتقليبه في أرجاء السموات ، وقد حيل بينه وبين ما كان يشهيه من العثور على تفاوت وعيب في خلق الرحمن جل وعلا .

وإنما قلنا إن النظرة الثانية كان وقتها طويلا وكانت بِرَيْثٍ وَثَمَلٍ ، أخذنا من التعبير بثم في قوله تعالى : ( ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ <sup>(١)</sup> ) لأنها كلمة تدل على تراخي ما بعدها عما قبلها وتباعد عنه .

(١) المراد من هذه التثنية التكثير كما في قولهم ليك وسعديك وحايك . كما ذكرناه في العدد الرابع .

وخلاصة المعنى أن الله تبارك وتعالى قد دلّ عباده على قدرته القاهرة وحكمته البالغة وسائر كماله الربانية بخلقه سبع سموات طباقاً منزهةً عن التفاوت بريئة من كل عيب، لا يستطيع أحد من ذوى الألباب السليمة أن يقول: كان الأحسن كذا، أو لو كان كذا لكان كذا.

ثم إنه تعالى أقام دليل لرؤية بلبصر شاهداً بصدق سلامة هذه السموات مما ذكر، فذكر أن الرؤية الأولى لا يرى معها الرائي شيئاً مما من التفاوت، ولهذا أمر سبحانه بإعادة الرؤية مرة ثانية مع التأنى والبطء وطول الوقت، تفادياً من عجلة أو خطأ ربما كان قد وقع في المرة الأولى. ولكن حفظ الرائي في هذه المرة الثانية كان كحظه في المرة الأولى. ولذلك أمر الله تعالى بإعادة رؤية مرة ثالثة إعادة مكررة كما يشاء الرائي غير محصورة في عدد محدود، علماً منه سبحانه أن سمواته السبع برأى من التفاوت، وأن العباد لا يرون فيها إلا غاية الإتيان والإبداع، وأن آياتها التي نصبها الله تعالى فيها ناطقة بأن الرحمن جل ثناؤه قد خلقها سبع سموات طباقاً لا تفاوت فيها، وأنه تبارك وتعالى (يَدْرِي أَلَمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

#### منه منصور

وكيل مدرستي القضاء الشرعي  
ودار العلوم سابقاً



## التوسل والاستغاث

جاء ما حطاب مطول فامضاء (مسم بكذا) أحواله فيه صاحبه وأعاد وأبدى وأكثر وكرر  
صاحبه أنه أتى بالقواصم وقد أتى في طلب الاحبة حتى قال في آخره ( يا فضيلة الشيخ أرجوك  
وأشد الله الذي لا إله إلا هو إلا ما حقت هذا الموضوع وأدعيت فيه ) ونحن نحسن ما جاء  
فيه من الأئمة معربين عما فيها من بحر مشوب بأدب وتمريض سامع فيه فغوب والله التوفيق .

س . — هل جاء في السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم الناس أن يسألوا  
الصالحين من الأموات ويطلبوا منهم الدعاء ؟ أرجو أن تذكر ولو حديثاً واحداً .

الجواب : — ونحن نقاب عليه السؤال أولاً — فنقول . هل جاء في السنة أن  
الرسول صلى الله عليه وسلم نهى الناس عن أن يسألوا الصالحين ويطلبوا منهم الدعاء ؟  
أرجو أن تذكر لنا شيئاً من ذلك ولو حديثاً واحداً . ثم نقول له ثانياً : إن جواز  
الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بها بل على عدم النهي عنها كما هو مقرر في علم  
الأصول ( قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ ) إلى آخره ، فكل  
ما لم يرد فيه نص بالخطأ فهو مباح على ما تقتضيه الآية ، وعلما صلى الله عليه وسلم في السنة  
الصحيحة أن ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه وما نهى عنه اجتنبناه ولم نفعله وما سكوت عنه  
فهو عفو ، فهذه هي قواعد العلم التي يعرفها العلماء . وأما شبهة الموت فهي شبهة واهية  
لأنكم بين أمرين : إما أن تنكروا إدراك الأموات وعلمهم ودعائهم وسماعهم ، وإما أن  
تقروا بذلك ، فإن أنكرتموه ملأنا لكم الدنيا أدلة وبراهين على ثبوت ذلك لهم مثل دعاء  
آدم وبرهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج  
كما في حديث البخاري ومسلم وغيرهما ، وكما في حديث « تعرض على أعمالكم فإن رأيت  
خيراً حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم » وكما في حديث عرض أعمال



الأحياء على الأموات ودعائهم لهم ، وقد ذكره ابن تيمية رحمه في فتاويه واعترف به ابن القيم كل الاعتراف وقرره أتم التقرير .

ومن عاين المصادقات في هذا ما يقرره الأوربيون الآن مما يرفق ذلك ، وقد قرره قبلهم بعشرات القرون الفلاسفة الأقدمون مثل أفلاطون وغيره من الفلاسفة ، فالسألة متفق عليها بين علماء الدين وعلماء الدنيا ، أو تقول بين المسلمين وغير المسلمين ، أو تقول بين أهل الأثر والعقل وبين أهل الفلسفة والعقل ، أما إذا اعترف الوهابيون بأن للأموات إدر كا وعلماء وسماعا وأنهم يدعون ويردون السلام إلى غير ذلك كما ورد في السنة ثم منعو طلب ذلك منهم كانوا متناقضين ، أو تقول كانوا ممن يسلم للمقدمات وينازع في النتيجة ، أو ممن يقطع الدوازم عن ملزوماتها وهو مما لا يقول به عاقل فصلا عن فاضل ، على أننا ذكرنا في ذلك ما يقطع الشغب من أصله ، والراء من أسسه ، وذلك هو الحديث الصحيح الذي روينه عن عثمان بن حنيف في التوسل به في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد مماته ، وقد قال فيه : يا محمد اشفع لي عند ربك ، ولا معنى للشفاعة إلا الله الذي يكون منه صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث الصحيح اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وفي حديث آخر بحق ببيك والآنياء قبله .

فالتوسل بالصالحين والدعاء ثابت وواقع ، وقد قلنا في بعض ما كتبناه لا معنى لكون هذا شركا كما يقوله الوهابيون ، فإن الحى إذا طلب من الميت الذى هو حى بروحه متمتع بدوازم الحياة وخصائصها فإنما يطلب منه على سبيل التسبب والاكتساب لا على سبيل الخلق والإيجاد ، لأنه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحى ، وهو إذ طلب من الحى فإنما يطلب منه على هذا لوجه لا على جهة خلق والإيجاد ، والطلب من المخلوق على سبيل التسبب ليس شركا ولا كفرا ، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك ، ولو فرضنا أن الميت لا عمل له ، فإن خطأ المنادى أو المستغِيث على هذا الفرض

إنما هو في اعتقاد السببية لا الإلهية، واعتقاد السببية في غير الله ليس هو اعتقاد الإلهية كما يظنه الجاهلون، وقد عرفت مما قدمناه أنه ليس غلطاً أيضاً، وإنمى الفالطون هم الوهابيون، وإن كان التوسل بمنزلته عند الله فلا أمر واضح، لأن الموت لا يغير للنزلة عند الله تعالى.

س : — هل الرسول صلى الله عليه وسلم أهل نوعاً من التوسل إلى الله تعالى أو ترك شيئاً مما يقرب إلى الله تعالى ؟

ج : — لم يهمل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً مما يقرب إلى الله، ولا ترك نوعاً من أنواع التوسل، وقد علمنا التوسل في حديث عثمان بن حنيف المتقدم، بل توسل هو بحقه وحق لأبياء قبله، وعرفنا أن آدم عليه السلام توسل به قبل وجوده، وقد بين ذلك كله في الأعداد السابقة.

وبعد فإذا عسى أن يدل ذلك للأسائل : فلو فرضنا أن الرسول لم يتوسل بالصالحين لأنه لا يمكن أن يقال إن مقامه أرفع من كل مقام، عسى أنه صلى الله عليه وسلم كان غريقاً في العبودية، وكان أعلم خلق الله بإطلاق الربوبية وسعها، وبأن الكل عبيدها وتحت قهرها وليس هناك إلا فضائلها الواسع وكرمها الشامل، وأنه لا بد من ظهور ذلك العبودية على كل أحد، وذلك من تعظيم الربوبية، ويعلم صلى الله عليه وسلم أن عبيد السيد المطلق لهم منارل عنده، وأن لكل منهم مزية لديه، وأن المقتضى لمعانيه تعالى إنما هو العبودية له عز وجل، فلا بد أن يكون بينهم ارتباط العبيد وتبادل المنافع، وعلى هذا قام بناء الكون.

كان صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بذلك كله، فطلب الدعاء من عمر وابن عمر من رسول الله وأمر عمر أن يطلب الدعاء من أويس القرني وابن أويس من عمر، وسأل الله تعالى بحق الأنبياء قبله كما في حديث فاطمة بنت أسد، وأمرنا أن

نتوسل به اذا عرضت لنا حاجة الى الله ، فقال لذلك الأعشى : « فإن كان لك حاجة فقل ذلك » وقد فعلها الرجل الذي كان يتردد على عثمان بن عفان في خلافته ، وقد بينا ذلك أتم البيان ، على أننا نريد منكم أن لا تكفروا المسلمين بمثل هذا العمل الذي لا شيء فيه ، ونكتفي منكم أن تقولوا إنه مباح أو خلاف الأولى أو مكروه ( اذا أردتم ) ولو قلتم ذلك لاحتملناه منكم وإن كان غير صحيح ، ولكن قومك يا حضرة السائل الذي يظن أنه منصف وغير متعصب يعملون على خلاف ذلك .

س : — هل ثبت ما يروى عنه صلى الله عليه وسلم : ما تركت شيئاً يقربكم الى الله إلا بينته لكم ؟ واذا كان ثابتاً فهل الطلب من الأموات أن يدعوا للأحياء مما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر به وفعله أم لا ؟ .

ج : — نعم ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، ودعاء الأموات داخل في دعاء الأخ لأخيه الذي لا يمكنكم أن تمنعوه ، وقد عرفتنا السنة لصحيجة أنه لا فرق بين الحي والميت في ذلك ، وأن الميت يدعو كما يدعو الحي على ما سبق ، فإن الموت ليس فناء أو عدماً كما يظنه الجاهلون ، وإنما هو انتقال من دار الى دار .

لا تظنوا الموت موتاً إنه حياة وهو غايات المني

لا ترعكم هممة الموت فما هو إلا نقلة من هاهنا

ولا نزال نكرر أنه قد دعا آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء لتبين صلى الله عليه وسلم ، وأن النبي يدعو لأمته في البرزخ ، بل آباؤنا يدعون لنا على ما عرفت وتعرف ، على أننا نكتفي منكم أن تقولوا إنه مباح لا قرينة أو على الأقل لا تكفروا به مسلمين كما فعل إمامكم محمد بن عبد الوهاب على ما في الهدية السنية وغيرها ، وقد قلنا في ما كتبناه في العدد الثالث من هذه السنة إنه لا وجه لذلك ، ولو قلنا إن الميت لا يمكنه أن يدعو ولا أن يفعل شيئاً فإن الغلط على هذا الفرض يكون غلطاً في اعتقاد التسبب لا الإلهية ،

ولا نزال نكرر أن معتقد السببية في المخلوقات لا وجه لتكفيره ولا معنى له، فإن من يجعل غير السبب سبباً يكون جاهلاً لا كافراً، ويكفي هذا.

س : — هل بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمر به من الوسيلة في آية المائدة عملاً بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) الآية أم لا ؟

ج : — نعم بين لنا صلى الله عليه وسلم كل ما نحتاج إليه، على أن الوسيلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة، والقرآن عرّف نزل بلغة العرب، ولا وجه لقصركم إياها على نوع خاص فإنه قول بلا دليل، على أنه لا داعي لذلك كله فقد ثبت التوسل مصرحاً به في حديث عثمان بن حنيف وغيره مما قدمناه، وقد جاء في آخر الحديث المذكور ( فإن كان لك حاجة فقل ذلك ) وقد عمل به في زمن عثمان بن عفان كما بيناه فيما سبق من الأعداد.

س : — هل يلزم من عدم دعاء الأموات ومخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم ؟ وذا قلتم بالتألام فينبوا لنا وجهه بالبرهان، واذكرو لنا من الصحابة والتابعين والأئمة للتبوعين من قال يحوز هذا النوع من التوسل.

ج : — نعم من كان مثلكم ينكر التوسل والاستغاثة يجب أن ينكر كرامات الأموات، فإنه إذا لم يصح أن تتوسل إلى الله بالميت ولا يمكنه هو أن يدعو لنا ولا نستطيع روحه أن تفعل شيئاً كما هو اعتقادكم، فأى كرامة تكون له بعد ذلك ؟ وما معنى إثباتكم إياها وقد نفيتهم عنه كل عمل وكل قدرة، ومنعتم أن تتوسل به لله تعالى ليفعل لنا ما نريد لأجله ؟ فأى شيء يبقى بعد ذلك ؟ وأما طلبكم منا ذكر من جاوز ذلك من التابعين أو الأئمة للتبوعين فنحن نقول إن الأمة كلها قبل ظهور ابن تيمية على هذا الجوار، وتحدثكم فنقلب السؤال عليكم فنقول : هل يمكنكم أن تذكروا لنا من التابعين

أو الأئمة المتبوعين من منع ذلك النوع من التوسل؟ أليست للذاهب كلها مجمعة على توسل الزاثرين للحجرة النبوية به صلى الله عليه وسلم؟ وقد ذكرنا لكم نص الحنابلة في ذلك وكذلك جميع الأئمة، ولا نرى لكم سلفاً فيما تقولون بل جميع العلماء يصرحون بأن ذلك مطلوب من كل زاثر لا جازر فقط، فهذا هو الإجماع، وقد مر من الأدلة العقبية والنقلية ما يكفي ويشفي. ثم نقول لكم ألم يعترف ابن القيم بأن الروح القوة لها من الأعمال بعد الموت ما لا تستطيعه حالة الحياة، وقد وصل الأمر إلى أنتمكم أنفسكم؟ فأنتم في إثبات كرامات الأولياء وغيرها متناقضون نارة مع الهوى ونارة مع الحق، ويرحم الله من قال: للبطل لا بد أن يتناقض شاء أم أبى.

وأما تفضيلنا إياكم فإنما هو لتكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم إلى آخر ما كان يفعله الخوارج وكان ينقمه عليهم الإمام علي ومن معه من الصحابة، ولو قلتم إن الأولى أن يرجع الناس في كل أمورهم إلى الله تعالى بلا واسطة، أو قلتم إن هناك مقاماً تسقط فيه الأسباب والوسائط كما قال إبراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام: «أما إليك فلا» عند ما قال له: «ألك حاجة؟» لو قلتم ذلك وسلكتم هذا المسلك لم تنكر عليكم ولم تشتد في مناقشتكم، ولو كانت لكم رأى في المسألة غير التكفير لقلنا مجتهدون ظننوا ظننا وإلى الله أمرهم ولم يجتهدوا خطأ، ولكن أولئك الذين أخطأوا لم يقدسوا أنفسهم هذا التقديس ولم يحملوا الناس على مذاهبهم بالسيف لأنهم يجوزون أن يكون الحق في جانب غيرهم ويعلمون ما جاء عن الرسول أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأن من رى أخاه بالكفر فقد كفر أو كاد، ولم يرض الإمام مالك من الخليفة المنصور العباسي أن يحمل الناس على الموطأ وهو عند مالك، ولا من الرشيد أيضاً أن يلزم الناس بما فيه احترام الأئمة وعلمائهم واتهاماً لأنفسهم، شأن أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله عليه وسلم، والجاهل لا يعرف غير تعظيم

نفسه، والعالم لا يعرف غير أعظم ربه، ومن أعظم الله تعظيم من عظم الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

ثم قال السائل: لا يمكننا أن نسيح توجه المسلم العارف بربه الآنس بذكره إلى عبد من عباده انتقل من عالم إلى آخر لا يعلم حاله فيه إلا الله، يسأله ويخاطبه بعد أن كان متلذذاً بخطاب الله تعالى ومناجاته، ولا يخفى عليكم حديث أم العلاء من صحيح البخاري، وفيه أنها شهدت لها جر - وهو أبو السائب - توفي عندها فقالت: أما شهادتي فيك لقد أكرمك الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لها: وما يدريك أن الله أكرمك<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الأحاديث من أمثاله.

وكلها تدل على أن الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، وأنه لا يجوز لنا أن نحكم لأحد حكماً جازماً بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا ما ورد النص بأنهم من أهل الجنة أو من أهل النار كما ورد في أهل بدر وبعض الصحابة كمسكاشة بن محصن، ونحن نقول إن حضرة السائل أدمج في هذا الكلام الخطأ في أشياء لا تركها له بل تناقشه الحساب فيها، أما التمويه بذكر توجه المسلم إلى ربه وتلذذه بذكره فهو لتبذير في الاستماع يكاد يأخذ بجماع النفوس، ولكن هذا مقام تحقيق علمي لا ينفع فيه التمويه ولا تقييد فيه الخطابة، وقد قلنا فيما سبق لو كان رأى الوهابيون أن هذا هو مقام الكمال لم تعرضوا له، ولكنهم بدعوا وفسقوا وكفروا إلى آخره، فأين هذا مما يقوله السائل: فإن كان يريد أن

(١) هذا نص الحديث الذي أشار إليه :

من أم العلاء امرأة من الأنصار رضى الله عنها وهي ممن أبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إنه أقمتم المهاجرون قرعة مطار لنا عثمان بن مظعون فآثرناه في آياتنا فوجع وجهه الذي توفي فيه عنا توفي وغسل وكفن في أتوبه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أما السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لبي صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أن الله أكرمك؟ قلت ما بي أنت يا رسول الله من يكرمه الله؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إنى لأرجو له الخير والله ما أدرى وأما رسول الله ما يفعل بي؟ قالت فوالله لا أركى أحداً بعده أبداً.

الاستغفال بذكر الله ومناجاته أولى فليس الخلاف بيننا وبينه في الأولوية، ولكن الناس درجات بعضها فوق بعض، ولا حرج على من يلتفت للأسباب والوسائط عالمًا أن الله هو الأول والآخر، فهو مد كل شيء، والمفيض على كل شيء،، واليه يرجع الأمر كله، ولا بين من ترك الأسباب ثقة بالمسبب فكان هذا غريبا في قدرته كما كان ذلك ناظرا إلى حكمته عاملا بسنته فلا حرج على هذا ولا ذلك وإن صح أن هولاء بعضهم أفضل من بعض، وهل ما ذكره السائل من حديث الترمذي والانس الذي قطعه خطيب الأموات صحيح أم هو تمويه وخيل؟ ولماذا لا يقول مثل ذلك في الطلب من الأحياء؟ أليس الأنس بالله ومناجاته خيرا من الطلب من الأحياء أيضا (ولو كان وزيرا أو أميرا) أم التفضيل الذي ذكره لا يتحقق إلا بين انطلب من الله والطلب من الأموات؟ وقد أدمج في كلامه ما يلهج به كثير من الجهلة من أن الميت لا ندرى حاله ولا مآلات عليه، وهو سوء ظن كبير بالمسلمين بل بالله تعالى، فنفت نظر السائل إلى أن من عاش على شيء مات عليه كما في الحديث الشريف، فهذه هي سنة الله للعالمة، وما عدا ذلك فشاذ لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو.

ثم نقول إن الأمور في هذا العالم مبنية على الظن، حتى الأمور الشرعية والأحكام الفقهية، وعلى هذا يجب أن نعامل أمواتنا فنفسلهم ونكفئهم وندفنهم في مقابر المسلمين ونورث أموالهم إلى غير ذلك، ولسنا على اليقين الذي يريده السائل من أمرهم (ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد) فعلمنا أن نعد من عاش في حياته على خير وصلاح من أهل الخير والصلاح بعد موته، ولا يجوز لنا غير ذلك اتباعا لتلك الوسوس التي ما تزل الله بها من سلطان.

ولبت شمرى هل اذا رمينا أحدهم بأن آياه لا ندرى حاله أمسم هو أم كافر أفيمنصب أم لا؟ وهل يريد أن لا نعمل شيئا إلا بناء على جزم ويقين: اذا بحثل أمر

هذا الوجود وتبطل أحكامه ، أما حديث عثمان بن مظعون الذي أشار اليه السائل فالمراد منه أنه ينبغي الخوف من سعة التصريف الإلهي ، وأن مرتبة العبودية لا تتخطى مقام الرجاء والضرعة ، وأم العلاء قد قطعت على الله أنه مكفره على سبيل الجزم فأخرجت ذلك مخرج الشهادة ، وأظن أنها لو شهدت له بالدين والصالح لتغير جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قل في آخر الحديث : وإني لأرجو له الخير . فهل يفرق السائل بين رجاء الخير وظن الخير ؟ ولماذا لا يذكر لنا ما أخرجه البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه — قال : مروا بجمنازة فأتوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وجبت . ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شرأ فقال : وجبت . فقال عمر بن الخطاب ما وجبت ؟ قال : هذا أثبتتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثبتتم عليه شرأ فوجبت له النار ؛ أنتم شهداء الله في الأرض . أو ما أخرجه عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة » فقلنا وثلاثة ؟ قال : وثلاثة ، فقلنا واثنان ؟ قال واثنان ، ثم لم نسأله عن لواحد . أو ما أخرجه البخاري أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد : « أنا شهيد على هؤلاء » ثم نقول لله هاية جيبا لماذا لا نذكرون أو لا نعلمون ، ولا نقول لا تصدقون بما أخرجه البخاري أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : « والله ما أخشى عليكم الشرك ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا فتتافسوها » إلى آخره ، بل سارعتم إلى القول بالشرك الذي لا يخافه صلى الله عليه وسلم على أمته فأوسعتموم ذبحا وقتلا معتقدين أنهم مشركون خارجون عن الملة ، وكأن السائل قد أحس بذلك كله فقال : « على سبيل الجزم » .

ونحن نقول له يكفينا الظن ، وحسن الظن بالمسلمين مطلوب خصوصا الصالحين ، وأما الجزم الذي تريده فلم يشترطه أحد كما قلنا . ثم قال السائل : وإن من المجارفة أن نزيد على حسن الظن فيمن لم يرد لهم شهادة من المعصوم ، ونحن نقول له إن من المجارفة أن نسيء الظن بمن لم يرد فيهم نص عن المعصوم خصوصا من ظهرت عليه



علامات الخير وأمارات الصلاح أو ظهرت له كرامات في حياته وبعد مماته ، ونجوز أن يكون قد تغير حاله هو من سوء الظن بالمسلمين بل بالله تعالى ، كما أنه عقوق للأباء والأجداد ، وما معنى الزيادة التي زِدْتَهَا حضرتك ، وليس ذلك كله إلا أثرًا لحسن الظن ومبنيًا عليه . ثم قال السائل : وكم أكون مسرورًا جدًا إذا عثرت لنا على نص صريح في هذا النوع من لوسيلة ، وأقول ذكرنا من الأدلة العقلية والعقلية الشيء الكثير ، وقد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول ، وقد قلنا إن من ثبتت الحياة والإدراك والعمر الأرواح والقربة والمنزلة للصالحين ثم يمنع التوسل والاستغاثة بهم متناقض غاية التناقض قاطع المازوم عن لوازمه ، وقد ذكرنا إجماع الأئمة على التوسل به صلى الله عليه وسلم عند زيارته ، ولو لم يكن في الموضوع إلا حديث عثمان بن حنيف لكان كافيًا شافيًا .

وعلى الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها والفلاسفة الأقدمون والفلاسفة المعاصرون ، أو نقول المسمون والأوربيون والأمريكيون وهندوس على إثبات الحياة ولوازمها للأرواح ، وعلى أن لها من الإطلاق وسعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها في هذا العالم ، وهو عين ما قرره ابن القيم أحد أئمتهم في كتاب الأرواح . أسأل الله أن يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة وظلمة الأشباح عنه وكرمه .

بوصف المرجوى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر



## الربا

الربا في الجاهلية والاسلام - الربا في نظر الشرع وفي نظر القانون

الربا في نظر الأمم وفي نظر الأفراد

قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَافَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مِمَّنْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا يَخَافُ عَنْهُمْ قَوْلَ الْكَافِرِينَ يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِمْ فَزَكَاةً مِنْكُمْ رِئُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَغْلِبُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ).

وما لنا لا نتكلم في الربا وقد ضح ضحيجه في مشارق الأرض ومغاربها، وعلا صياح الاستغاثة من آثاره وعواقبه الوخيمة حتى صم الآذان، وما لنا لا نتكلم في الربا وما هي ذى نتائج الإقدام على محاربة الله ورسوله قد بدت لاهياناً، وصطلج نارها كل إنسان؛ انظر الى بلدك واستمع لما يلقى عليك جيرانك من مر الشكوى، فسواء أ كنت من أهل المدن أم من سكان القرى فإنك لا تكاد تقابل رجلاً تعرفه إلا وهو يبادرك إن لم تبادره بالشكوى التي تذرّف الدموع وتستدر الرحمت ولكن ليست رحمة

مالك السموات، وكيف تستدر الرحمة ممن أذنك بحرب ونهاك فأم تنته : يتقابل الرجلان أو الفئتان ثم يفترقان ولا حديث لهما إلا أمر الأزيمة وما تعانيه الأمة من أمرها وما تتوقفه من لحظة الى أخرى من خراب البيوت وفتضح الأسر والإشراف على المجاعة وقد ملك الدعر عليهم جو نهم حتى كاد بعضهم يأخذ بتلايب بعض يحاولون أن يحتسب بعضهم ببعض ، ومن ذا يحممهم من الفرع إلا كبر فزع غضب الجبار المنتقم القهار ؛ وليغلب مغالب الغلاب .

تتناول الصحيفة من الصحف اليومية أو غير اليومية وتقلها بين يديك فلا تكاد تجتاز خبرا من أخبار الأزيمة حتى تصادفك شكوى من الضيق وانسداد باب الرزق، فتنتقل منها الى خبر البيوع الجبرية فتنتقل الى أنباء العمل على مكافئة الضائقة المالية وهكذا اذا قطعنا علما بدا علم ، ومرجع الكل الى أمر واحد وهو الضائقة الآخذة بتلايب الأمة . ثم ارجع البصر الى البلدان الأخرى والأمم الأجنبية واذا بها تعاني في سبيل العيش أكثر مما نعانى ، وتقاسى من صنوف المجاعة أشد مما تقاسى ، وتحاذر من عموم المجاعات أكبر مما نحاذر ، بالله أليست هذه الأمم هي التي ملكت وسائل العيش وتبسطت في استنباط سبل الارتزاق التي لم يسبقها اليه أحد من الأمم ، وعد نجاحها في امتلاك باصية شئون الحياة الدنيا دليلا على سمو قدرها وعلو كعبها وأصالة رأيها وصحة مذاهبها حتى في شئون الدين وفي الحياة الآخرة عند من أضلهم الله على علم وغرهم الحياة الدنيا وزخرفها ؟ أليست هذه الأمم هي التي سميت ملوك المال واتخذت سيرتها في إحراز الحياة الدنيا ومتاعها مثلا يضرب وقلبت على الكثير منا أفكاره حتى صار ينادى بأعلى صوته أن تبعوا الأمم الأجنبية في كل شئ فقد نجحوا في إحراز المال حتى صاروا ملوكه ، والمال أساس كل شئ ، فن نجح فيه فقد نجح في كل شئ ، ومن أصاب طريقه فهو مصيب في كل شئ ، حتى خدعوا الناس عن دينهم

وجميل أخلاقهم ومحاسن عاداتهم فاندفعوا متدهورين يتردون بعضهم فوق بعض في هابوية عميقة من الرذائل لا يعلم مقدارها إلا الله ، وما ذلك إلا بفتنة المال ونجاح تلك الأمم في إحراز المال ، فمالهم وقد شاركونا في الضحيج والصراخ والموبيل ، يشكون كما نشكو ، ويبكون كما نبكي ويحآرون بصياحهم أن أغيثو العاطلين وأنقذوا المفاسين وأطعموا الجائعين وإلا قامت الثورات وانتفضت الجماعة وعمت الفوضى كل الطبقات ؟ ما لأساطين المال وملوك الاقتصاد ومديرى المصارف المالية يتجمعون من مختلف الدول يتآمرون ويتشاورون على إنقاذ دولة بعد دولة من فقر مدقع وجماعة طاحنة قاتلة وحرب من الله مستمرة تدمر كل شئ. بأمر ربها ، ثم ينفذون معترفين بالخطية والفشل مقرين بالعجز واليأس ؟ أين نظريات الاقتصاد ، وأين القواعد المالية المبرهنة ، وأين العلم وما أثبتته العلم وما نقاه العلم وما أيده العلم وما نقضه العلم ؟ مسكين أيها العلم لقد ظلموك ظلما كبيرا ، وفرعوا باسمك أجراسا صمت لها الآذان وصدأت منها الأذهان ، وما أنت منهم وما هم منك فى شئ . .

من كان يظن أن أمريكا تشكو الأزمة وهى مالكة الذهب بل منجمه ومعدنه ؟ من كان يصدق أن إنجلترا تن من كثرة العاطلين وهى التى لا تقيب الشمس عن أملاكها ؟ من كان يقول إن ألمانيا تنادى على نفسها بالإفلاس وهى التى عرفت بالإباء والكد والمكافأة وصدق التصميم وقوة الشكيمة فى مناهضة كل نازلة ؟ من كان يقول إن روسيا تحارب النظام الإلهى والنظام البشرى وتصرف كل جهودها فى محاربة المالية لعالمية تخلصا من القيود المالية بأجمعها ، تلك القيود التى ضغطت على عنقها حتى كادت تفقدها الحياة ؟ فهى الآن تحاول تحطيم تلك القيود صالحها وطالحها لتفسد على العالم نظام معيشتة وتركه يتناهب ويتطاحن ، فتحرم العامل من ثمرة عمله ، والموفق من نتائج توفيقه ، حتى ترهد الناس فى العمل والسعى لتحصيل العيش تحصيلًا صادقًا ،

تلك الروميا للترامية الأطراف التي أتى عليها حين من الدهر وهي المثل الأقصى في الخضوع لفرد واحد لا يسألونه على ما قال برهانا، فإين غمضة عين وانتباهتها تنذير حتى تصير وحشا مفترسا وسبعا ضاريا أو كلبا مكلوبا تنحصر منها الأمم وتحذر شرها الدول وهي تغير بمختلف لوسائل لتسطو على النظم فتنترها، وعلى القيود المشروعة فتحطمها، وعلى صرح العدالة فتهدمه، وما كان ذلك منها إلا أثرا من آثار التمرد على حالة في المعاملات جرت عليها غضب الجبار وعرضتها لحرب القهار، ومن يحارب الله قاله من نصير.

لا أطميل عليك القول، ولا أتلوح بك بين الدول والأمم شرقها وغربها، بعيدها وقربها، فقد لا يتيسر بين يدينا من تفاصيل أحوالهم وتصاريف أموالهم ما به تقتنع أنهم ما أصابهم ما أصابهم إلا من جراء ذلك النظام الربوي الممقوت الذي عرضهم لذلك الوباء والشر المستطير، وما علموا نبأه إلا بعد حين. ليس من السهل علينا أن نستعرض من أحوال أمة بعيدة عنا ما به نحكم حكما واضحا يقنعك بأن هذا نتيجة ذلك وإن كنا في أنفسنا مقتنعين ومتيقنين، ولكن الاقتناع شيء، والإقناع شيء آخر، فحبنا أن نستعرض أحوال أمتنا، وما هي ذى مجلوة أمامنا وأخبارها متلوة علينا صباح مساء ففينا المقنع وكفى.

هذه مصرنا العزيزة وقد اختصها الله بهبات قل أن يشاركها فيها بلد آخر، ففيها نيلها المبارك الغدوات والروحات، يجرى بالخير العميم، ويقبل بالفضل الجسيم، وتلقاه كل عام بالوجه الوسيم والثغر البسيم، وفيها تربتها الخصبة التي تعطيك ما لا تنتظره من أيك ولا أخيك، فهي كما قال فيها عمرو بن العاص فيما روى عنه. ترابها ذهب، ونيلها عجب. وفيها أهلها وفلاحوها وذوو الصحة الوفيرة، والسواعد المفتولة، والنفس القنوعة، والمزعمة الماضية، والهمة القوية، وذو الكد والجهد والفرح والمرح، السرور دون دأما، المستبشرون الراضون المرضيون، الطائمون المالمون، كل هذه هبات من الله من حقها - وهكذا كانت - أن تحمل الميعة هائلة والحياة هادئة والنفس مطمئنة،

وأن تباعد بين النفوس وبين الذعر والفرع من انقطاع العيش ومداهمة البؤس والضيق وتفتش التذمر والضجر والشكوى والأين .

وقد كانت مصر ولا نظام ولا عدالة في الأحكام ولا قيام على المرافق العامة بهذا النظام والإحكام ، وكان معظم أرضها قفرا ، وجل نيلها يضيع في البحر هدرًا ، ومع ذلك ما كانت تثن ولا تضج ، وما كان لها هذا المويل وهذا الصراخ ، فإلها وقد نظم نيلها ، وأصلحت أراضيها ، وتنوعت أفاين استغلالها ، وأخذت المدلة بينها أو فر قسط ، قد علا صراخها وتوالى سقوط البيوت في حلبتها ، وأصبحت تلك النفوس الهادئة بالمطمئنة هلمة مذعورة ! .

ألا فاعلم أن أسس ذلك ومنشأه وسببه القريب والبعيد هو فتحة باب الربا ، وإليك البيان :

مصر — كما قدمنا وكما تعرفها ويعرفها غيرك — بلد خير بأصل خلقها ، وأهلها أولو قناعة وأخلاق هادئة ونفوس راضية مطمئنة ، فكانت في الأزمنة الماضية لا هم لأهلها إلا العمل على ما يقوم بأود معيشتهم كل على حسب ما قدر الله له من ورق ، إن واسعا وإن ضيقا ، ولم يكن لهم من أمل أكثر من أن يوفقوا في استغلال أرضهم التي يحتازونها فيرتبون معيشتهم عليها ، ومن كان منهم في صناعة فقد عرف ما يفيد من صناعته وعليها رتب حياته ، والتاجر قدر بالتقريب ما تدره عليه تجارته المحصورة المملوكة له بالحقيقة والاسم ، فرتب معيشته على حسبها ، فكان القليل منهم من يخطئ ، ومن يخطئ فليس مدى خطئه يعميد حتى يأتي خطؤه على الأخضر واليابس ، بل كانت عثرة لا تلبث أن تقال ، وغلطة عما قليل أثرها يزال .

عاشت مصر على ذلك حقبا حتى تنيرت الشئون وجاءت هذه المصوّر فدهمتنا الجاليات الأجنبية تحمل الذهب النضار اللاعب بالألباب والخطاف للبصائر والأبصار ،

فمرضوه علينا ولعبت الأمانى والآمال برؤوسنا، ورتبنا فى نفوسنا مشروعات كبرى ستدر علينا الخير الوفير والذهب الكثير، وسنعمر الأرض ونملأ الحواصل بالخصلات، وما لنا لا نقرض المال بغائدة معقولة معتدلة ١٠ فى المائة أو ١٥ فى المائة أو ٢٠ فى المائة على الأكثر، وفرض أنه أكثر من ذلك، أليس هذا يمكننى من أن أشتري أرضاً بألف وأدوات بمائة ومواشى بمائتين وأستغل ذلك فينتج فى السنة على الأقل مائتين أضع القسط مائة وخمسين، وأستفيد خمسين وهذا أقل تقدير، وربما أقدت مائة أو مائتين؟ وانظر فلاناً فقد اشترى أرضاً فكأت غلة أول زرعة منها كفيلاً بسداد ثمنها، وهنا نملك الرءوس حتى الأمانى فهدى النفوس بالأكاذيب ويتخيل ثم يخال، فيندعه النوم إلى أن يصبح مبكراً إلى المرابى وكل أمانيه أن يحوز المبلغ المطلوب فى يده فيرى ذلك المرابى حرصه وإخافه فى الطلب فيشتط عليه ويشترط ما يشاء وهذا يسلم له بكل ما يريد، وماهى إلا لحة حتى يوقع الصك، وفى ففزة وصل إلى بلده وصار بين أهله وولده فتنتفح يده عن الذهب وتنتفح الشفاه عن المطالب، هذا فتى بلغ أو أن الزواج، وهذه فتاة تحتاج إلى الجهاز، وهذه دار قد أكل الدهر عليها وشرب وليس طرازها مما يوافق منزلتنا، وها هو المال مما ولا أسرة بكاملها بحاجة إلى الكسوة، وهكذا دواليك.

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

فلا يمضى شهر حتى يكون معظم الذهب قد ذهب، وما لنا لا نزيد ونجدد الكرة والباب مفتوح والمالى مستعد بل يود، وهل له صناعة غير هذا؟ ولا جميل علينا لا أحد فى الاقتراض فإننا ننفعه وننتفع منه (وتأمل كلمة : لا جميل علينا فى الاقتراض) فقد كانت هذه الكلمة الوجيزة حاجزاً حصيناً بين الناس والاقتراض فلم يكن أحد يقرض إلا للضرورة القاسية، وكان فى النفوس سلطان الحياء قوى العمل والنفوذ، أما وقد ذهب الحياء لأنه لا جميل عليه لأحد فى القرض فقد اتسع مجال الأمانى الكاذبة بلا رادع ولا وازع، وهل أنت بحاجة إلى تفصيل باقى القصة وتكميل الرواية بعد أن

شرحت لك فأنحتها ؟ ما أظنك إلا قد لحت خاتمها وتبينت ما فيها واستعدت بالله من شرها ، فإن لم يكفك هذا فاعمد الى أى شاك لك من الأرملة وعملها — وما أكثر الشاكين والباكين — واسأله كيف كانت قصته فيجد في شرحه لك ما ينفس عن صدره بعض المم ، ويقول لك كما قال الأول :

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة    بواسيك أو يسليك أو يتوجع

وستعلم من أحواله وأقواله ما به تصدق إن لم تكن صدقت أن الربا هو أصل بلوانا وعلة شكوانا لا فرق بين زارع وتاجر وصانع ، فالكل في ذلك غارقون وإن تنوعت الأسباب وأحاديث الآمال بتنوع الأعمال ، فعلى الجملة قد تعددت الأسباب والموت واحد .

احضر مجالس القوم واغش أنديتهم في بيوتهم إن كانوا قد بقى لهم يسوت ، وفي المقاهى والنوادي العامة إن كانت بيوتهم قد أقفلت وقدمت أسسها ، تجد النغمة وحدة في أشكال شتى ، والله يلطف بمباهه ، فإن لم يتيسر لك مخالطتهم والتحدث اليهم فما أيسر أن تطلع على صحيفة يومية فترى أخبار البيوع الجبرية ، وتأمل فيما وراء البيع الجبرى من البؤس والشقاء يحل بالأسرة بعد الأسرة والبلد بعد البلد والمدينة بعد المدينة وتخيل تلك العيون الدامعة والنفوس الخاشعة واللواعث اللاذعة ، وما من أحد يئنا بحاجة الى أن يعرف مبلغ ما آلت اليه مالية البلاد ، فكنا عارفون ، والعارف لا يعرف ، وإنما الذى زيد أن نقوله هو أننا ستؤجرنا لأصحاب الأموال وكانت أجرتنا بمقدار ما يملأ بطوننا أو يئناك بعض مشتبياتنا ، فأصلحنا لهم الأرض وم يوهوننا أننا مالسكوها حتى إذا تم لهم الملك طردونا شر طردة ، وبليت ككنا نملك تلك القوة الماضية قوة التشف والقدرة على العمل ، وتلك السواعد المفتولة المضروب بها المثل ؛ لا بل أكل منا الرفه ونخرنا سوس الترف حتى صرنا كأننا جزوع نخل خاوية ، بل فقدنا عزة النفس من حيث توهنا أما نجري وراءها ، والحرية من حيث حبسنا أننا نملك نصريف أعنتها .



لقد طال بنا المقال بما عساه يجر الى اللال ولما نبليغ كل ما في نفوسنا، ولكنها نفثة مصدور قد تفرج بعض الهم، وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة أخرى، ولكن بعد أن نفي العنوان الذي ترجنا له حقّه وإن كنا قد ألمنا بشيء منه في هذه الكلمة.

الربا في الجاهلية والاسلام — ذكر علماء التفسير أن آية الربا من آخر الآي نزولا، وروى الامام أبو بكر الرازي المعروف بالخصاص في تفسيره أحكام القرآن عن عمر رضى الله عنه «إن آية الربا من آخر ما نزل من القرآن وإن النبي صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يبينه لنا فدعوا الربا والريبة» وروى عنه أيضا قوله: «إن من الربا أبوابا لا تخفى منها السلم في السن» يعنى الحيوان، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: «تركت لكم ما إن تمسكن به لن تضلوا من بعدى: كتاب الله وسنتي» فيكون الربا في أصله من الأمور المعلومه لهم غير محتاج في أصله الى بيان وإن كان قد جاء في الخبر زيادة على ما كان معروفا لهم ألحقت بالربا المعروف لهم وأخذت حكمه وهي الأشياء الستة المعروفة في الفقه: الذهب والفضة والبر والشعير والنمر والملح، أما ما كان معروفا لهم فهو ربا النسيئة أى التأخير، وذلك أنهم كانوا يقرضون الدراهم أو الدنانير الى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به، هذا الربا الذى هو كان متعارفا عندهم وعليه جاء النهى في الآية التى هي من آخر الآي نزولا وانفقوا جميعا على تحريمه ولم يكن الربا المتعارف في كلام الفقهاء وهو البيع نقدا في الأثمان والطعوم مع زيادة أحد الموضين، لم يكن ذلك معروفا عندهم، ولذلك كان ابن عباس رضى الله عنهما ينكر تحريم هذا النوع أى بيع الذهب بالذهب نقدا مع زيادة أحدهما أو بيع الطعام بالطعام نقدا مع زيادة أحدهما، وكان يقول: لا ربا إلا في النسيئة، حتى قال له أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: أشهدت ما لم تشهد أسمعتم ما لم نسمع؟ وروى له الحديث المشهور في هذا الباب: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والنمر بالنمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى: الآخذ والمعطى

فيه سواء ، ثم قال له أبو سعيد لا أراني وإياك في ظل بيت ما دمت على هذا ، فيروى عنه أنه رجع عن هذا ، وقال كنت استحللت الصرف برأبي ثم بلغني أنه صلى الله عليه وسلم حرمه ، فاشهدوا على أبي حرمة . وحجته في ذلك أن بيع النقد بالنقد والطعام بالطعام حالاً بزيادة لم يكن معروفاً عند العرب ولم يكن اسم الربا دالاً عليه لغة فلم يفهمه من الآية ، فلما بلغه الحديث ممن يثق به رجع عنه وأفتى بتحريمه ، وعلى كل حال قربا الفضل الذي لا نسيئة فيه والذي كان يقول ابن عباس بحله ثم قال بتحريمه ليس من غرضنا التكلم عنه في هذا ليقال وإن أخذ في كتب الفقهاء مجالاً واسماً تبعاً لاختلافهم في علته ، وقياس بعض الأرواع على بعضها فيه ، وإنما كلامنا في النوع المتفق على تحريمه وهو ربا النسيئة أي قرض الدراهم أو الدنانير لأجل زيادة في نظير الأجل ، فهذا حرمة يجمع عليها من الصحابة ومن بعدهم ، وهذا الذي كان متعارفاً بينهم في الجاهلية ، وجاءت الآية الكريمة بتحريمه .

والآن فلتكلم على الآية الكريمة وما فيها من الإشارات المؤكدة للنهي عن الربا ثم تتبعها بالكلام على آية ( لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ) ، وآية ( وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ) ثم نعرض لشبه المتسكين به العاضين عليه بالنواجز يحاولون إحلال شيء منه شرعاً أو تبريراً ما يقع منه بين الناس للضرورة الاجتماعية ، فنغند كل ذلك من الوجهة الشرعية والوجهة الاجتماعية ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ومن يضلل الله فإله من هاد :

يقول الله تعالى : ( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ) وقد جاءت هذه الآية بعد آية الصدقات قوله تعالى : ( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) ليتبين باجتماع الآيتين الفرق بين الفريقين : قوم

يرضون بهم بنقص أموالهم فيزيدونها بالبركة والحمد الإلهي ودفع الكوارث وتهيئة أبواب الانتفاع بها غير منقصة ولا مكدرة ، وقد وعدهم الله بأجرهم فضلا منه وإن كان هو المنعم في الأصل عليهم ، وقال قبل ذلك : ( وَمَا تَشْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِي إِيَّاكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُمُونَ ) وقال : ( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ مِنْ شَجَرٍ سَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ) فهذا أجرهم عند ربهم بوفى إليهم ، لا يخافون حدوث أمر متوقع في المستقبل ، ولا يحزنون على فوت أمر حصل في الماضي ، وحسن جميل أن يردف بيان أمرهم ببيان أمر أضدادهم ، وهم قوم يخطئون ربهم وينغضبون النعم عليهم فيتلمسون الزيادة من غير بابها ويحاربون النعمة بمحاربة رهم النعم عليهم بها ، أولئك الذين تمسكوا بالزيادة الحسية معرضين عن الزيادة المعنوية بل غافلين عن أن زيادتهم باب للمحق والعمار ( يَحَقُّ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ) فاشبهوا بستانيا ترك السرطانات في أشجاره تتمتع عصارتها فتموقها عن النمو والإثمار ، فقد عرض الشجر للمحق بأن لم يمنع عنه تلك الزيادة الماحقة ، قرب نقص أقصى إلى زيادة وزيادة أدت إلى نقص .

وبعد أن عرفنا موضع الآية من حسن المناسبة لما قبلها نقول : إن قوله جل شأنه : ( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ ) معناه يتعاملون به ويأخذونه وينتفعون به بأي وجه من وجوه الانتفاع ، وتخصيص الأكل من بينها لأن المأكول يلبس بدن الأكل ويختلط بكل أجزائه ، فاذا كان ذلك سحطا خبيثا كان تجنبه أكده عند الأكل ، فكل امرئ حريص على أن يسلم بيده ، ولا يعرض بدنه للسحت والمحق إلا مأفون مجنون لا يزن أخص منافعه بيزان ، فهو كالذي يتغبطه الشيطان من المس .

والمفسرين في تأويل هذه الآية طريقتان نعرض لهما بإيجاز ، لأن الكلام عليهما موضعا آخر سنعرض له في فرصة أخرى إن شاء الله : فيمضهم يرى أن هذا تصوير

جار على ما كان يزعمه العرب من أن الشياطين تمس الناس فتؤذيهم ، فجاءت الآية في التنفير والتخويف على هذا الزعم ، والطرق البلاغية لا تأتي ذلك ، كما يقول القائل :

ومسنونة زرق كأناب أغوال

وكما قال تعالى : ( طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُفُوسُ الشَّيَاطِينِ ) ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ( وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ) فلو كان في قدرة الشيطان أن يمس شخصا فيجبه لكان له عليه سلطان ، والمحققون لا يرون في هذا دليلا ، لأن نفي السلطان معناه نفي الإلجاء وسلب الاختيار ، فإن الشيطان مهما وسوس للإنسان وزين له العصيان لم يسلب عنه اختياره ولم يلجئه للمعصية قهرا عنه ، وإن غاية أمره أن دعاه فاستجاب له باختياره وزين له سوء عمله فراه حسنا ، وهذا لا ينبغي أنه يمكن أن يتسلط عليه بالأذى من حيث لا يشعر ، ألا ترى إلى اللص يرى كل الناس أن لا سلطان له على أحد منهم وأنه أخط من أن يؤبه له ، وأحقر من أن يظهر بظهوره أمام أي شخص ، وهذا لم يمنعه من أن يتسلط بالأذى على بعض الناس من ناحية أخرى غير امتلاك إرادتهم وسلب اختيارهم ، وعلى ذلك قالوا إن الشيطان يمس الإنسان فيتخبطه ، وهؤلاء منهم من قال إن قيامه يتخبط يكون يوم القيامة ، مستندين إلى ما رواه الطبراني عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا الدُّنُوبُ أَلَيْسَ لَكَ تَغْفِرُ : الْغُلُولُ ( وهو إخفاء بعض الفنيمة ) فَنَ غُلَّ شَيْئًا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَآكَلَ الرَّبَا ، فَنَ أَكَلَ الرَّبَا بَعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يَتَخَبَّطُ » ، وعلى هذا يكون معنى لا يقومون : أي من قبورهم ، ومنهم من قال : بل ذلك تصوير لهموضهم في الدنيا وقلوبهم على غير هدى ودورانهم كالمصروع أو كالمكلوب الذي يشمل أذاه كل من صادفه ، كما يقال للمسرع في حركاته العديم التأني قد جن ، وعلى كلا الرأيين فالتشبيه في قوله كما يقوم إلى آخر ما مر حقيق ، وقد استفاد عند الكثير من الناس أنه

يصريح بالنس من الشيطان ، وحوادث ذلك وعلاجاته الناجعة أكثر من أن تحصر ، ولا يلزم من عدم معرفة الكيفية تفصيلا الإنكار جملة ، فكم من شيء يعترف به وإن لم يعرف كنهه ولا وجهه ، ولا يلزم من عدم اعتراف العلم الحديث به عدم ثبوته ، فقد اعترف العلم على السنة حمله بأنه قاصر عن أن يحيط بكل شيء . وإن ظلمه المتحككون به بدعوى أن ما لم يقل به فليس بشيء ، جهالة وسخفا وعدم تفريق بين عدم العلم بالشيء والعلم بعدم الشيء ، ولقد صور بعض المفسرين هذا المعنى بصورة إن لم يقم الدليل على ثبوته فلا سبيل لإقامة الدليل على نفيها فتبقى جائزة محتملها الفعل ، وورد بها الخبر الصادق ولا داعي لصرفها عن الظاهر .

قالوا : قد يدخل في بعض الأجساد هواء متمغن على بعض الكيفيات تتعلق به روح خبيثة صارة مؤذية تناسب ذلك الهواء فيحدث الجنون أو المرض عند الاستعداد لها ، وما أقرب هذا الصور من أمر الجرائم والمكروبات ، وقد يستولى ذلك البخار على حواسه فتختل ، وعلى جوارحه فتضطرب أو تتحرك حركات مؤذية صارة تحت سلطان ذلك الروح المستولى عليها من غير شعور للشخص بشيء من ذلك ما دام تحت سلطان ذلك الروح ، ونكاد حوادثه تلتحق بالضروريات ، وإنكاره يلتحق بالمكبرات ، وإذا صح حديث الطاعون من وخر الجن فهو على هذا النمط تتعلق الأحياء الخفية أو الأرواح الخبيثة المستجبة أو الجرائم والمكروبات بالهواء المتمغن فتعس الجسد المستعد لها فيعرض له من الأذى ما تظهر عليه أماراته .

نعم لا تنكر أن الكثير من فلسفي الأخلاق ومنحطى النفوس قد اتخذوا هذا المظهر مظاهر الصرع ذريعة لنيل مآرب وحاجات في نفوسهم فيظهرون بهذا المظهر الكاذب ويتعبطون تصنعا حتى يشفق عليهم ذووهم فينبؤهم ما يبتغون وهم في مأمن من أن تتكشف أباطلهم وتقتضح أكاذيبهم أو كانوا لا يستندون إلا إلى أعراض خفية وأمراض أخفى منها . نعم قد نشأ ذلك في الطبقات المنحطة وخصوصا في النساء .

مما دعا رجال الإصلاح الى أن ينكروه بتاتا ويحاربوه حربا اجتماعية خلقية فصوب رأيهم في ذلك باعتبارهم معالجين لأمراض الأخلاق ، ولا حرج على الطبيب أن يسلك من العلاج ما يراه ناجعا ، ولكن هذا شيء ، وتحقيق الحقائق العلمية شيء آخر ، فكان لسان حال أولئك المصلحين يقول : إنا نعلم ذلك ونقر به ولكن لا نعلمه ولا نقره فما كل ما يعلم يقال ، ولأن يحمل العوام هذه الحقيقة حتى ينكروها بالمرّة أنفع لهم من أن يتعلموها فتجر عليهم إلا كاذب الخزيّة التي تجعلهم فريسة للدجالين والحتالين التي جعلت الشرقيين أضحوكة في أقصاه الغرباء الغربيين ، وما أسرع انهزامك يا شرقي وتركت التمسك بعقائدك الحقّة بينما الذين تحاذرونهم من الخرافات ما يضحك الشكلى ، فيأجيبا كل العجب من تمسكهم بباطلهم وفشلنا عن حقنا .

( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ رِبَاً وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا )  
لقد رأيت ذلك الوعيد الشديد الذي توعد الله به آكل الربا وهو قيامهم يتخططون كالحجّابين المصروعين الموسوسين ، وأن ذلك يكون شأنهم يوم القيامة على ما هو مختار الجمهور من المفسرين ، أو أن ذلك يكون شعارهم وسيلهم في تقلهم في دينهم كما يرى ذلك بعضهم ، أو أن يجمع لهم بين الأمرين ، ونعلم أن ترتيب الوعيد على جرعة معناه أن الجرعة سبب ذلك الوعيد ، ومع هذا فقد جاءت هذه الآية التالية تعيد هذا المعنى بوجه أشد هولا وأعظم تأثيرا في النفوس الحية ، فقد شرحت ما يحول في نفس المالكف على هذه المعاملة السيئة التي اتخذها ديننا له واطمأنت نفسه لها ورضيها لنفسه مرتقا ثابتا ، فهذا شأنه ألا يبقى في نفسه شعور بأسف أو ندم أو استياء من محاربتة لربه بل لا يزال يران على قلبه حتى تهدأ نفسه إذ كانت قد اضطربت أول الأمر ويلعب الشيطان معه دوره حتى ينلّه على إيمانه فيقول في نفسه ولماذا كان هذا حراما والبيع حلالا أليسوا منفعة تتبادل بالرضا بين الطرفين ؟ فهل قسرتة على الاقتراض

أو أخذت منه الزيادة بدون أن ينتفع بمالٍ ، ولماذا لا نخرج على من يشتري بعشرة أن يبيع بخمسة عشر ؟ فالبيع مثل الربا والربا مثل البيع فهما سواء فلا معنى لتحريم واحد وتحليل واحد .

هذه خوطر لا يمكن أن تفارق نفس المرابي ، وقلنا يشعر بأنه بعمله ظالم لنفسه وغيره عاص لربه ، ولو كان عنده هذا الشعور لا يلبث أن يزول ، وإذا فهو مستحل أو آيل الى الاستحلال ، ومن أعظم جرما ممن أحل ما حرم الله ويرر عمله بما ينسدرج في سلك الاعتراض على الله ؛ فلا عجب أن كان من الذنوب التي لا تغفر كما جاء في الحديث المورداً نقاً ، ولا عجب أن جاء لمن خسة في سبيله على لسان محمد خاتم الرسل ومم آكله ومؤكله وشاهداه وكاتبه .

وإنك لتسمع في أسلوب الآية الكريمة من ضروب التهويل ما لا تفيه حقه عبارتنا ، فإن الاكتفاء بسرد مقالهم في مقابلة حكم الحق جل جلاله تنذر بخطر تلك المقالة وشديد فظاعتها كما نقول في مخاطباتنا : « ماذا تريد من فلان يكفيك منه أنه يقول كذا وقد قال الملك كذا » ونسكت وانقأ بأنك قد بلغت في وصفه بالشناعة كل ما تريد ، فهذا قوله تعالى ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ) وفي الآية نكتة أخرى في التشنيع عليهم وهي أنهم جعلوا الربا كأنه الأصل في الحل يقاس عليه البيع فقالوا إنما البيع مثل الربا ، وكان حق التعبير إنما الربا مثل البيع إذ كان حل البيع لا مصرية فيه ، ولكن طغيانهم في تفكيرهم قلب عليهم حكمهم فجعلوا الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وقد جاء الجزء الأخير من الآية كما يحاكيهم ملجأهم بما لا قبل لهم بدفعه وهو قوله : ( وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ) كأنه من باب إرخاء العنان لهم في الجدل فيقال هب أنهما من واد واحد ولكن الله الحكيم العليم فوق عباده أحل البيع وحرم الربا فماذا أنتم فاعلون ، على أنك

قد تبينت بما شرحناه لك في أول الكلام مقدار الفساد والمضار الاجتماعية المترتبة على هذه المعاملة المشنومة التي تعاني الأمم والأفراد منها ما تعانيه .

يقول الله تعالى : ( قَدْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَافَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) أغلظ الوعيد في معاملة الربا إذ صور أصحابه بصورة المجانين للتخبطين ، وجعل ذلك علامتهم يوم القيامة يعرفون بها فيفتضحون بين الخلائق بتلك الصورة الشنعاء ، ثم بين ما يحرق في نفوسهم من الافتيات والاجترار على الله بتبرير استغلالهم لما حرمه ، وقولهم إنما البيع مثل الربا ، وحصرهم الصفات التي يدور عليها حل أحد النوعين في المائلة لصفة الآخر ، وكأنهم يقولون لا فرق بينهما مطلقا فلا معنى لتحليل أحدهما وتحريم الآخر ، وفي هذا من شنيع الاعتراض على الشاوع الحكيم ما يكفي في تكفير صاحبه وبرؤ في الجرم على استعمال الربا أضافا مضاعفة ، وما كان طرد إبليس من الجنة لمجرد عصيانه بترك السجود لآدم وقد أمر به ، فما كانت للمصيبة سببا لاخلود في النار وتأيد العقوبة والطرد من الجنة والإبعاد عن الرحمة ، وإنما جرمته الكبرى في الاعتراض على التشريع المتضمن تنفيه الحكم والاستملاء بالرأى القاصر على حكم الحكيم العليم ، ذلك في قوله : ( أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ) ففي الاعتراض من الإصرار على بئذ الطاعة وتنفيه الحكم ما ليس في مجرد المعصية ، فكان في قوله : ( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ) وقوله : ( وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ) تصويرهم بصورة المعارض على الله الخارج قصدا وإصرارا على أحكامه وطاقته .

ولما كان أثر مثل هذا الوعيد في نفوس المؤمنين أثرا عظيما ، ومن شأنه أن يلفت أنظارهم إلى التفكير في سالف أمرهم ، وهل يجب عليهم أن يطهروا أنفسهم وأموالهم مما سلف لهم الوقوع فيه ، وفي ذلك من الحرج وارتباك المال واضطراب الحال شيء كبير



تداركهم الله برحمته فقال: (فَنَ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَآفَ) يعني جل ذكره أن الأمر وإن كان شديداً على ما رأيتم فقد من الله عليكم فسامحكم فيما سبق لكم قبضه قبل التحريم وأصبح في حوزتكم وجزءاً من أموالكم فلا تضطربوا ولا ترتبكوا، وأما ما لم يقبض وإن كان قد استحق فلا يدللكم عليه كما ذكر في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وأما قوله جل شأنه: (وَأْمُرُهُ إِلَى اللَّهِ) فمن المفسرين من يقول أمر من كان يستعمل الربا إلى الله إن شاء عصمه وإن شاء أوقفه فيما تورط فيه وهو الفاهر فوق عباده وييده تصريف القلوب.

ومنها من قال أمر المنتهى إلى الله إن شاء أمّاه على انتهائه لأن لانهاء امتثالاً للشرع طاعة له ثوابها، وإن شاء عامله بما يستحق وهو العالم بنيات المباد، وقيل غير ذلك، وعلى كل حال لا يبعد أن يكون في الآية إشارة إلى أنه جل شأنه وإن كان قد عفا لا كل الربا عما سلف له قبل تحريره وانتهائه حتى لا يضطرب حاله ما زال يرضيه منه أن يكون رحيماً بالضعفاء، فهو عبد من عباده الذين ينبغي أن يسارعوا إلى مرضاته، وكل امرئ عارف بتصرفاته وبمآلها وما استغل أرهاقاً للضعفاء وإعانة للفقراء، فمن حق مقابلة نعمة العفو من الله بالشكر من العبد أن يعود إلى نفسه وبحاسنها على تصرفاتها الماضية القاسية فيرد ما تطيب به نفسه مما يكون قد غلا في تحصيله ويكون صاحبه في حاجة شديدة إليه، وهذا من الودع في الدين، وتقويه أن أمر المؤمن ومرجه إلى الله، فمن حقه أن يسعى جهده في بلوغ مرضاته والوفاء إليه.

(وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) تكاد تكون نتيجة لازمة لهذا الوعيد والبيان السابق، فإن من لم تقدم معه تلك الزواجر يكون بمن تحجر قلبه وعميت بصيرته واستحب العمى على الهدى وارتكس في الضلال ارتكاساً لا يخرج

له منه ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، وعلى هذا فعنى ومن عاد . أى لما سبق من أكل الربا واستحلاله ، وإن شأن أكل الربا أن يحجر الى استحلاله على ما سبق بيانه ، ولذلك جعل من الذنوب التي لا تغفر ، كما ورد في الحديث السابق ، وهذا لا ينفي أن أكل الربا وحده معصية ، والمعاصي غير الكفر يجوز أن يغفرها الله لمن يشاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) الحق النقص حتى المحو والاستئصال ، ومنه محاق القمر ذهاب نوره آخر الشهر ، وقد عاد البيان الى زجرهم عن الربا من وجه آخر وهو تسفيههم فيما يؤملون من ورائه من زيادة الأموال ، فيقول الله : إن تلك الزيادة التي تلوح لكم فتدعوكم الى مخالفة أمر ربكم وعصيان للنعم عليكم هي زيادة محوكة ذاهبة البركة آيلة الى الضياع في الدنيا ذاهبة للنفعة في الآخرة معرض صاحبها غالباً للصنوف الأدنى والمقت وذهاب البركات وتسلط الآفات ، والله وحده هو المعطي المانع الضار النافع ، وقد أرشدكم الى ما فيه خيركم وابتلاكهم بتهينة منافع موهومة أخبركم بأن الفائدة منها معدومة ليمتنحكم وهو أعلم بكم ليتبين من صدق كلام ربه ووقف عند حده ومن غرته الأمانى حتى وقع في شرك الوهم وغره زخرف الضلال ، لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فتكرر الزجر وتنويعه لتبلغ حجة الحق مبلغها ولا يكون للناس عذر في الخروج عليها ، وهذا الحق إن تأخر الى حين فلا بد أن يكون ، فالله يمهل ولا يهمل .

وارجع البصر الى ما وقعت فيه الأمة المصرية من عظيم الشقاء تجدد الأمر بينا ، وأما قوله تعالى : (وَيُرِي الصَّدَقَاتِ) فمقابلته لسابقه كقابلة الضوء للظلام والنهار الليل والهدى للضلال والحياة للموت والوجود للمعدم ، فذلك زيادة مآلها الى النقص وهذا نقص عاقبته الزيادة (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ) .

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) من أبلغ أنواع الزجر أن يصور مرتكب الجريمة المعاودة لها المصير عليها المتمسك بها بصورة الكفر المتكرر للكفر المتردد عليه المتردى فيه، فكما عن له هذا الطريق فتح عليه باب الشر إذ يتردى في هاوية الاعتراض على للشرع الحكيم ويكرر في نفسه (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فإشنعته شرًا يجر دائمًا الى شر منه، ومعصية توقع دائمًا في كفر: وقوله (أَثِيمٍ) أى متورط في الإثم منغمس فيه حتى صار الإثم كالملكة الراسخة عنده لا يفارقها ولا تقارقه كما هو مفاد صيغة (فمیل) في اللغة.

انظرالى هذه الأساليب المتنوعة المروعة وتفهم مغزاها وحكم عقلك في موضوعها هل مثل هذا الإطناب والإسهاب وتنوع الأساليب في الزجر يأتي من الحكيم العليم إلا في أمر خطره عظيم وضرره جسيم؟ أقبعد هذا يفتري مؤمن على أن يزعم أن من الربا ما أحله الله بعد أن يسمع ما أنزل الله فيه؟ ومن ذا يقاوم هذه النصوص الصريحة بتمحلات يلصقها ببعض الآيات ليحلوا ما حرم الله: وسنعود في المقال التالي الى الموضوع نستوفى أجزاءه ونكتفى الآن بهذا المقدار وبالله التوفيق

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر



# السُّنَّةُ

الترغيب في طلب السلامة  
من الآفات النفسية والجسمية

بِشَرِّ اللَّهِ الْخَيْرِ

عن قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَذْوَاءِ » (١) .

## الشرح

إننا نحن المسلمين كسائر أهل الأديان الإلهية الصحيحة نعلم جميعاً أن الله جل شأنه أرسل الرسل الكرام ليكونوا أئمةً لأمتهم وقدوةً حسنةً لهم ، يقتدون بهم فيما يأتون وفيما يذرون من العقائد والأخلاق وسائر الأعمال الصالحة وأبواب الخير والطاعات . فمن ذلك قول الله تعالى لنا بالنسبة إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ) وقوله تعالى لنا أيضاً بالنسبة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام . ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ) .

بل إنه سبحانه قد جعل الرسل بعضهم قدوة لبعض ، كما قال تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام بعد ذكره طائفة من الرسل الكرم : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ ) .

هذا التمهيد يدل على نوعين من عبادته صلى الله عليه وسلم لربه جلّت نعمته : الأول عبادته له بالدعاء والاستزادة من فضله ، والثاني عبادته له بإرشاد أمته الى أن يقولوا كما كان يقول ، وأن يفعلوا كما كان يفعل ، ليكون عليه الصلاة والسلام أسوتهم الحسنة ، يتقربون الى الله زُلْفَى بِمَثَلِ مَا كَانَ يَقْرُبُ بِهِ ، ويتوسلون لنيل رحمته سبحانه بتظير ما كان يتوسل به صلى الله عليه وسلم اليه .

أما الأمر الأول فهو افتتاحه بثناء ربه السميع العليم بقوله : ( اللهم ) زيادة في خضوعه وعبوديته له والاعتراف له باختقاره اليه ، واستعانت به على تحقيق ما يزيد قربا اليه سبحانه .

وأما الأمر الثاني فهو طلبه عليه الصلاة والسلام الى الله تعالى أن يُجِيبَهُ تلك الصفات التي جاءت في الحديث الشريف . هذا .

دعا صلى الله عليه وسلم ربه السميع لدعائه أن يُبَاعِدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَعِ صِفَاتٍ ، الثلاث الأولى منها قد نَزَّهَهُ اللهُ تعالى عنها وَعَصَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ مِنْهَا ، ولكنه عليه الصلاة والسلام طلب ذلك استبقاءً لنعمة السلامة منها ، وتنويعاً برفعة قدر هذه السلامة ، حسناً للأمة على طلب النجاة من هذه الصفات ، وتنفيراً لهم من شروها .

أما الصفة الرابعة فلمّا من الصفات البشرية التي يجوز عُرْوُضُهَا لِلْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهَا لَا تَقْدَحُ فِي مَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ ، فهم عليهم الصلاة والسلام في هذه الصفات كسائر الناس : يَمْتَرِبُهُمْ مَا يَمْتَرِي غَيْرُهُمْ ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ، وَيَنَامُونَ وَيَسْهُونَ وَيَنْسَوْنَ ، فَمَا

لا علاقة له بتبليغ الأحكام، وكذلك يَمْرُضُونَ وتمتد إليهم أيدي الأعداء والظلمة،  
وَيَنَالُهُمُ الاضطهادُ، وقد يُقْتَلُونَ.

ولكن جواز عروض هذه الصفات البشرية للأنبياء لا يمنع طلب السلامة من  
بعضها، ولهذا دعا صلى الله عليه وسلم ربه أن يُجَنِّبَهُ الأذى وهي الأمراض. وسيأتي  
السلام في ذلك بعد.

الصفة الأولى من الصفات الأربع التي دعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يُجَنِّبَهُ  
الله إياها هي مُنْكَرَاتُ الْإِخْلَاقِ.

فأما المنكرات على الإطلاق فهي التي تَحْكُمُ الشريعة الإلهية والعقول السليمة  
والعادة الصحيحة بقبحها وفحشها، أو تتوقف العقول في استقباحتها وحسنها فتحكم  
الشريعة بقبحها ومقبتها، سواء أكانت تلك المنكرات أخلاقاً أم أقوالاً أم أعمالاً  
أم عادات. وأما الأخلاق فهي القوى والسجايا التي تدركها البصائر والعقول في الإنسان،  
فهي الصفات المعنوية المودعة في الفطر الإنسانية، وهي المصدّر الذي تصدر عنه  
معاملته لغيره، وهي نوعان: محمودة ومذمومة. فالمحمودة هي التي تحمّلك على إسناده  
البر إلى غيرك؛ ولها مراتب متفاوتة تختلف باختلاف الفطر والطباع، حتى تجعل  
صاحبها مؤثراً لغيره على نفسه ومنتصفاً له منها، وغير منتصف منه لها — فمنها العفو  
والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتودد ولين  
الجانب والصدق وقوة العزيمة والإخلاص في القول والعمل.

والمذمومة هي نقيض ذلك، وهي مُنْكَرَاتُ الْإِخْلَاقِ التي سأل النبي صلى الله  
عليه وسلم ربه أن يُجَنِّبَهُ إياها في هذا الحديث وفي قوله <sup>(١)</sup>: «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي

(١) أخرجه الإمام أحمد وصححه ابن سبان.

تَحَسَّنْ خُلُقِي» وفي دعائه صلى الله عليه وسلم في الافتتاح: «وَأَهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا وَالكُ؛ وَأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا غَيْرُكَ». الصفة الثانية: منكرات الأعمال. فأما المنكرات فقد عرّفها فيما سبق، وأما الأعمال فهي قسمان: أعمال القلب، وأعمال الأعضاء الظاهرة. وكل منهما ينقسم إلى معروف ومنكر.

فأما المعروف فهو الأعمال التي يعرفها الشرع والعقل القويم ويُمهدّ لها، لأنها تلائمها وتأنف معها ولا تنافيها، فكانت معروفة لها، كما تقول: فلان لا يعرف الوشاية. أي أنه بعيد منها وليست معبودة له.

وأما المنكر ( وقد بينا حقيقته فيما مضى ) فهو المهلكة الواسعة المترامية الأطراف، التي سارع إلى الهلاك فيها أمم قد خلت من قبلها أمم، حتى إذا ولجوها وأداركوا فيها جيما لم تتمطأ أخراهم بما أصاب أولام من الدمار والفناء وخسران الدنيا والآخرة، غفقت عليهم كلمة ربك إذ يقول: ( وَكَمْ قَصَصْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَأَنْتُمْ ظَالِمَةٌ ) وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا بِرَكُضُونَ . لَا تَزِرُ كُضُوءُهُمْ وَارْجِمُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلْنَاهُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينُهُمْ فَلَكُمْ تَسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ) ( وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنُ وَرَهْمَ ظَالِمَةٍ إِنْ أَخَذَهُ إِلَهٌ شَدِيدٌ ) .

قد كان من العدل الإلهي الذي لا معقب له، أن يعاقبهم الله تعالى ذلك العقاب الذي ليس له دافع من الله، جزاء بما كسبوا ( نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) . كان ذلك من العدل الإلهي، فإنهم فسقوا وارتكبوا حوباً كبيراً، واحتلموا بهتاناً وإثماً مبيناً، فاحتقروا أوامر الله وانتكسوا حرّماته وخاضوا منهيّاته، واقتسم كل فريق ما زينت له نفسه، وأطاع ما أوحاه إليه شيطانه .

جَنَوا جَنَایَةً فَاحِشَةً عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَرْقُبُوا فِيهَا إِلَّا<sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً<sup>(٢)</sup>، واستهوا بما  
يَنجُمُ عن جنایاتهم عليها من المفاسد الدينية والدينية، وأفتنوا فيها وتوسعوا حتى اعتدوا  
على حقوق الله عز وجل، وحقوق أنفسهم على أنفسهم، وحقوق غيرهم عليهم.

هَآكِ مِثَالًا لِمُنْكَرَاتِ الْأَعْمَالِ. إِنْ خَلَدَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا عَلَى الْحَقِّ الْإِلَهِيَةِ اثَابَتْهُ  
بِالْعَمَلِ وَالنَّفْلِ، أَخَذُوا فَأَنكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ عَالَمَهُمُ الَّذِي يَقْبَلُونَ فِيهِ  
وَرَزَقَهُمُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وجحدوا بآياته التي نَصَبَهَا لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْأَفَاقِ  
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، ولكنهم عَمُوا عَنْهَا فَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ.

طعنوا في شرائع الله عز وجل وفي كُتُبِهِ السَّامِيَةِ وفي رِسَالَةِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ  
لِهَدَايَةِ الْعِبَادِ، ووصفهم بما أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَتَهُمْ مِنْهُ، بل أَنكَرُوا وجودَهُمْ  
وَسَخَرُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِكُلِّ ذَلِكَ عَنْ يَدِهِ مِنْ دِينِهِمْ، وَسَمَّوْهُمُ الْقِدْمَاءَ الْجَامِدِينَ الَّذِينَ  
عَطَّلُوا عَقْلَهُمْ وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِشَرَاتِ بَحْثِهَا وَتَفْكِيرِهَا وَاسْتِنْبَاطِهَا. حَقًّا لَقَدْ مُسَخَّتْ  
عُقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُلْحَدِينَ وَغَمِيتْ بَصَارُهُمْ فَكَانَ هَذَا الْإِلْحَادُ الْقَبِيحُ مِنْ أَعْمَالِهَا الْمُنْكَرَةِ.  
عَقَدُوا لِلْجَمَاعِ بِمَذْهَبِهِمْ وَحَفَلُوا بِالْمَحَافِلِ، وَقَامُوا بِخُطْبَتِهِمْ فِي أَشْيَاعِهِمْ وَيَلْبِسُونَ  
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُذَيِّمُونَ الْخَادِمَ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَتَهَمَّوْنَ بِطَعْنِهِمْ وَقَدْ حَصَمَ فِي اللَّهِ وَفِي دِينِهِ  
وَفِي رِسَالَةِ عَلَى الْمَلَأِ، وَيَبْذُرُونَ أَبَاطِيلَهُمْ فِي رِمَوسٍ قَدْ حُرِّمَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِحَقَائِقِ أَوَّلِيَّةِ  
وَأَحْكَامِ دِينِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، فَاخْتَدَعَ أَصْحَابُ تِلْكَ الرِّمَوسِ الْخَاوِيَةَ بِشَبَاحِ ضَلَالَتِهِمْ  
وَعَمُومِهِمْ، وَتَحْتَ ظِلْمَتِهِ نَوْرَ بَصَارَتِهِمْ (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ  
وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ).

لم يكتفوا في ارتكابهم هذا المنكرَ بنشر إلحادهم وضلالاتهم وجنایاتهم بأفواههم  
على حقوق الله العلي الكبير، بل عمَدُوا مع ذلك إلى حشر هذه المُرَبِّقَاتِ فِي صُفْهِ

(١) يباع على صيانتها. (٢) عمدا بمحضها.



نثروها ، وفي كتب سؤدوها ، ثم يثروها بين أيدي القارئ ، ورفعوها على أعين الناظرين ، ليطلع على نحلهم وهتاتهم وافترائهم من لم يكن قد سمعها من قبل ، وليبقى إلخادهم هذا - كما زعموا - مستمرا على وجه الدهر . زعموا هذا وهم في غمرة ساهون عن قول الله للنتهم الجبار . ( بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ <sup>(١)</sup> ) فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ . وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) . ( فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ) .

هذا مثال من أمثلة مُنكَرَاتِ الأعمال التي اعتدى بها الناسُ على حقوق الله القوى اللتين ، ونَذَخِرُ الإِفاضة في بسط هذا الموضوع الى فرصة أخرى إن شاء الله تعالى .

الصفة الثالثة : مُنكَرَاتُ الْأَهْوَاءِ . الهوى هنا هو ميل النفس الى ما تشتهي من غير نظر الى مقصدٍ صحيح محمود شرعا وعقلا . فإن كان ما تشتهي رذيلة مضادة للفضيلة كالكدب والبخل فهو من مُنكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ ، وإن كان أمرا مستقبعا شرعا وعقلا كالإلحاد وضروب الفجور فهو من مُنكَرَاتِ الْأَعْمَالِ .

وهذا يُعَرِّفُكَ أن منكرات الأهواء عامة تشمل مُنكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ ومنكراتِ الْأَعْمَالِ ، كذلك يُعَرِّفُكَ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن خص كلا منهما بدعاء على حدة دعا الله تعالى أن يُجَنَّبَهُ مُنكَرَاتِ الْأَهْوَاءِ التي تعظمها ، مباغاة في الضراعة واللجأ إليه سبحانه لِيزِيدَ في رفعة قدره وعصمته وقربه إليه رُفِّي ، وقصدا الى المزيد في تنزيهه عليه الصلاة والسلام وتركيبته بالمباعدة بينه وبين الهوى ، فإنه جُرْثُومَةُ آفَاتِ النُفُوسِ وَمُنكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ .

الصفة الرابعة: منكرات الأدواء. المنكر هنا هو الأمر الصعب الشديد القاسى الذى لا يُدْرَى ما هو لصعوبته وشدة؛ وبه سُميَ مَلَكُ سؤال القبر عليه السلام، ومثله المنكر<sup>(١)</sup> أيضا. ومنه فى وصف يوم القيامة (يَوْمَ يَدْعُ<sup>(٢)</sup> الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ) وفى وصف عذاب القرية التى عَتَتْ عن أمر ربها ورسوله (وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا). وأما الأدواء فهى الأمراض والأعراض التى تَطْرَأُ على الصحة فتخرجها عن الاعتدال المألوف.

دعا صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل أولاً أَنْ يَزِيدَ نفسه الشريفة طهارةً وزكاةً من الهوى الذى هو مَنَبِتُ كلِّ المنكرات، ثم تَتَّبَعَتْ بدعائه تعالى أَنْ يُجَنِّبَهُ مُنْكَرَاتِ الأدواء والأمراض التى هى عوارضُ الأبدان الإنسانية وآفاتُها، فكان ذلك الدعاء الأخير تعليلًا منه للأمة أَنَّ سلامة النفوس وصحتها إنما تكون إذا سَلِمَتِ الأبدانُ من صعبات الأدواء، وصَحَّتْ من الماهات والمواض البشرية التى تُفْسِدُ أُمُورَها وتُوْهِنُ قواها، وقد أخذ متقدمو الحكماء من هذا الحديث الشريف قَوْلَهُمْ : «العقلُ الصحيحُ فى الجسم السليم».

دعا صلى الله عليه وسلم أَنْ يَقِيَهُ الله تعالى منكراتِ الأمراض، وبهبه كمالَ القوة الجسمية وتِمَامَ العافية البدنية، لا ليتمتع بزخرف الحياة الدنيا وزينتها، فإنه عليه صلوات الله وسلامه كان أزهدَ الخلق فيها، عملاً بقول الله تعالى له : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُوكَ مِنْهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَتَّقُونَ) بل إنما كان دعاؤه هذا ليستمع على أداء ما كُلِّفَهُ الله تعالى من أداء عبادته له على القدر الذى يكافئ رتبة النبوة والرسالة، ومن القيام بأعباء التبليغ ونشر الشريعة وتعليم الأمة أحكام الدين الخفيف.

(١) بضم الكاف وسكونها. (٢) هكذا رسم للمصنف الامام.

لا جدال أن هذه تكاليف وأعمال كثيرة شاقة لا يقوى على القيام بها إلا من وهب الله عز وجل له أكل قوة روحية وأنهم صحة بدنية . وقد استجاب الله السميع للنعم دعاء رسوله عليه الصلاة والسلام ، فله الحمد في الأولى والآخرة وهو ذو الفضل العظيم .

وقد ذكر الله سبحانه في مواضع من القرآن العظيم هذه التكاليف من المبادات والأعمال التي يقتضيها تبليغ الرسالة ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه : ( يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ <sup>(١)</sup> قُمْ اللَّيْلَ <sup>(٢)</sup> إِلَّا قَلِيلًا <sup>(٣)</sup> . نِصْفَهُ <sup>(٤)</sup> أَوْ أَنْقُصْ <sup>(٥)</sup> مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ <sup>(٦)</sup> وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا <sup>(٧)</sup> . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا <sup>(٨)</sup> . اللَّيْلَ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا <sup>(٩)</sup> وَأَقْوَمُ قِيلًا <sup>(١٠)</sup> . إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا <sup>(١١)</sup> طَوِيلًا . وَإِذْ كُرِيَ اسْمُ رَبِّكَ وَتَبَنَّلَ <sup>(١٢)</sup> إِلَيْهِ تَبْتِيلًا <sup>(١٣)</sup> ) وقوله ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا . فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا يُطْعَمُ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا . وَإِذْ كُرِيَ اسْمُ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا <sup>(١٤)</sup> . وَمِنْ <sup>(١٥)</sup> اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ <sup>(١٦)</sup> لَيْلًا طَوِيلًا ) .

#### مسموع منصور

وكيل مدرستي القضاء الشرعي  
ودار العلوم سابقاً

- (١) يأبىها التي التلطف شيابه حين يحى الوحي له خوفاً منه ليجتبه . (٢) صل فيه .
- (٣) الآية بعد تنسیر المراد من القليل . (٤) تنسیر المراد من القيل . فيقوم النصف الثاني وينام النصف الاول . فالنصف الذي ينام فيه هو من معاني القليل في قوله تعالى : ( إِلَّا قَلِيلًا ) . (٥) أى من النصف نفساً تدريجياً حتى ينتهي الى الثلث . فيقوم الثلث وينام الثلثين . وهما من معاني القليل في الاستثناء السابق .
- (٦) أى على النصف زيادة تدريجية حتى ينتهي الى الثلثين . فيقوم الثلثين وينام الثلث . فيكون الثلث من معاني قليل أيضاً في الاستثناء المذكور . وسيأتى كل ذلك في قوله تعالى بعد : ( إِنَّ رَبَّكَ يَمْلَأُ الْقُرْآنَ دُرًى مِنْ ثُلَى اللَّيْلِ وَلِصْفِهِ دُرًى ) . (٧) شديداً لما فيه من التكاليف . (٨) القيام بعد النوم .
- (٩) مواعاة وموافقة فإن السح حيث تدظم موافقة قلب على تفهم القرآن . (١٠) أي من مواعاة قولاً وأداء قراءة . (١١) عملاً مستمراً لتبليغ الرسالة لا تخرج معه تلاوة القرآن .
- (١٢) انقطع اليه وتفرغ له في المباداة . (١٣) بين الفجر والظهر والمصر . (١٤) بين المغرب والمشاء . (١٥) صل صلاة التطوع والتشهد كما تقدم من ثلثي الليل او نصفه او ثلثه .

## علم الكهرباء

لما كان من أغراض المجلة التي أنشئت لها نشر البحوث العلمية ، وكان كثير من قرائها في حاجة الى الاطلاع على بعض العلوم المصرية التي لها آثار محلية في معيشتهم اليومية كان حقا علينا أن نقدم لهم نبذة من هذه العلوم يد آتية وأخرى ، حرصا على الاستفادة منها ، وسبا للجهالة بها ، ودونهم فيما يلى نبذة من علم الكهرباء منقولة عن الانجليزية من كتاب لمؤلف امريكي وباقية التوفيق :

### في الجاذبية<sup>(١)</sup>

قد علم منذ عدة قرون أن بعض أصناف من الحجر المسمى المعروف بالمغنيس فيه خاصية جذب القطع الصغيرة من الحديد والصلب ؛ وربما كان سبب تسميته بالمغنيس راجعا الى كثرة وجوده في اقليم مغنيسيا من أعمال ولاية تساليا ( ببلاد اليونان بأسية الصغرى ) ولو أن الكاتب اللاتيني بليني يقول إن كلمة مغنيت ( حادب ) مشتقة من اسم الراعى اليونانى مغنيس ، وهو الذى لاحظ أثناء وجوده على جبل إيدا أن حجرا كبيرا جذب خطافه الحديدى . وقطع الحجر المسمى الذى تبدو فيها خاصية الجذب هذه للحديد والصلب تسمى بالجواذب الفطرية .

### استعمال الجاذب في تعيين الجهات الأربع :

وقد علم القدماء أيضا أن الجواذب الصناعية يمكن عملها بحك قطع من الصلب بالجواذب الفطرية . على أنه لم يكشف أن الجاذب اذا علق بخيط يتحد له وضعا شماليا

---

(١) الجاذبية قوة من القوى الكونية لا تعرف ماهيتها بل تدرك آثارها . وإنما ابتدأ المؤلف بها لأن العلم بها يعتبر مقدمة لعلم الكهرباء ولأن بينها وبين الكهرباء علاقة وثيقة ونبا لاصفا .

وجنوبيا إلا في القرن الثاني عشر (الميلاد المسيحي) وبسبب هذه الخاصة صارت الجواذب الفطرية معروفة بالأدلة الحجرية (Lodestones) كلمتان محرفتان عن (Leadingstones) وهما كلمتان انجيزيتان معناهما الحجارة الدالة . وأنشأت الجواذب سواء أكانت فطرية أم صناعية تستعمل في تعيين الجهات ، وكان أول ذكر لاستعمال معين الجهات (بيت لابرة) في أوروپة سنة ١١٩٠ ميلادية ويظن أنها جلبت إليها من الصين .

الجواذب التي تحفظ خاصة الجذب زمنا طويلا يقال لها الجواذب المستمرة ، وتزداد مدة بقاء خاصة الجذب في الجواذب الصناعي زيادة عظيمة بوضع قطعة من الحديد اللين تسمى وقاية بين طرفيه السائين .

#### عمل الجواذب الصناعية — طريقة المس المفرد :

يوجد عدة وسائل يمكن بها إيجاد الجواذب الصناعية . منها طريقة المس المفرد ، وهي عبارة عن ذلك قطعة من الصلب من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر يقطب جاذب صناعي أو فطري .

#### طريقة المس المقسم :

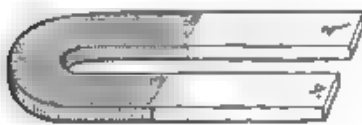
هذه الطريقة هي ذلك قطعة من الصلب من وسطها إلى أحد طرفيها يقطب أحد الجواذب الصناعية أو الفطرية ثم دلصها من الوسط إلى طرفها الآخر بالقطب الثاني للجاذب كما في الشكل رقم (١) .



شكل (١)

#### طريقة المس المزدوج :

يكون المس المزدوج بتطبيق قطبي جاذب على شكل نعل الفرس كليهما على قطعة



شكل (٢)

من الصلب ، ثم تحريك الجاذب عدة مرات على طول هذه القطعة في جهة واحدة أولا ثم في الجهة الأخرى ثانيا كما في الشكل رقم (٢) .

ويمكن عمل الجواذب الصناعية أيضا بإمرار تيارات كهربائية حول قطعة من الحديد أو الصلب بكيفية ستشرح فيما بعد.

الصورة الميينة في الشكل رقم (١) تسمى بالجاذب القضيبى ، والميينة في الشكل رقم (٢) تسمى بالجاذب العملى .

قطبا الجاذب — اذ غمر جاذب في برادة الحديد لوحظ أن طوائف منها تتعلق بطرفيه ، ولا يكاد يوجد شئ منها قريبا من وسطه كما في الشكل رقم (٣) .



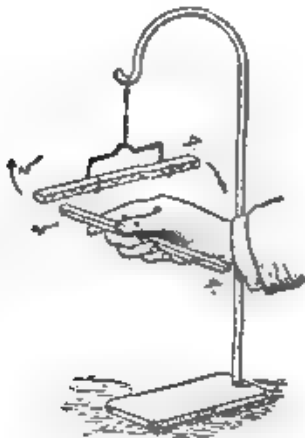
شكل (٣)

فهذه الأماكن المجاورة لطرفى الجاذب التى يظهر أن قوته مستقرة فيها تسمى قطبيه ، وقد اصطلح على تسمية طرف الجاذب السائب المعلق للجهة نحو الشمال متطلب الشمال أو القطب الشمالى ويرمز له عادة بحرف ش ؛ وتسمية طرفه الآخر متطلب الجنوب أو القطب الجنوبى ويرمز له بحرف ج ، والجهة التى تتجه إليها إبرة الجاذب تسمى خط الطول الجذبى .

قوا بين المذب — امتداد القطبين :

لم يلاحظ فى التجربة التى عملت على برادة الحديد فرق خاص بين عملى القطبين كليهما ؛ على أن بينهما فرقا يمكن إظهاره بتجربة تعمل على جاذبين يمكن تعليق أى واحد منهما كما فى الشكل رقم (٤) .

فإذا قرب قطبان شماليان أحدهما من



شكل (٤)

الآخر وجد أنهما يتدافعان ، وكذلك القطبان الجنوبيان يتدفعان إذا قرب أحدهما من الآخر ، ولكن إذا قرب القطب الشمالى لأحدهما من القطب الجنوبى للآخر ظهر أنه يجذبه ، ويمكن اختصار هاتين التجربتين فى قانون عام وهو أن أقطاب الجواذب التى من نوع واحد تتدافع ، والتى من نوعين مختلفين تتجاذب .

### قوة الجذب أو الدفع :

ظهر من التجارب أن قوة الجذب مثل الثقل تختلف على عكس مربع البعد الذى بين القطبين ، أعنى أننا إذا فرقنا بينهما بمقدار ضعف البعد الذى كان بينهما نقصت القوة العاملة بينهما الى ربع مقدارها الأصيل ، فإذا فرقنا بينهما بمقدار ثلاثة أمثال البعد الأصيل نقصت القوة الى تسع مقدارها لأصيل وهلم جرا .

### واحد القوة فى قطب الجاذب :

واحد القوة فى قطب الجاذب هو مقدار من القوة بالغ حدا يكون فيه إذا وضع على بعد سنتيمتر واحد ( $\frac{1}{33}$  من الإبهام) من قطب مماثل له ومساو له فى القوة دفعه بقوة دايڤ<sup>(١)</sup> واحد ( $\frac{1}{37800}$  من الأوقية) .

### المواد الجاذبة :

المادتان الجاذبتان الشائعتان الوحيدتان هما الحديدان والصلب ، وفى النيكل شئ قليل من الجذب إذا قرب منه جاذب قوى ، وثمة بعض مواد أخرى كالبرموت والانتيمون فيها خاصة التباعد بدلا من خاصة الانجذاب ، ولكن أثر هذه الخاصة قليل ، وهذه المواد فادرة الوجود ، وغالية الثمن وهى غير مستعملة غالبا .

(١) الداين فى اصطلاح علماء الطبيعة هو واحد القوة يعنى المقدار من القوة اللازمة لتحريك وزن جرام واحد مقدار سنتيمتر واحد فى ثانية واحدة .

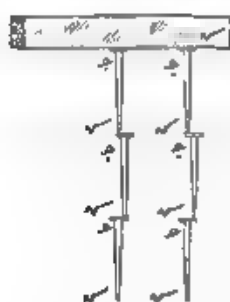
وقد يمكن اعتبار جميع المعادن الأخرى تقريبا في عداد المعادن غير الجاذبة، لأنها لا تعمل عمل الحديد والصلب إذا قربت من أحد الجواذب، وأعم هذه المعادن غير الجاذبة هي النحاس الأحمر والألومينيوم والنحاس الأصفر.

وكثير من المواد الأخرى كالمسحوق والخشب والورق وكذا السوائل معدودة ضمن المواد غير الجاذبة، لأنها لا تتأثر بالجواذب ولا تتجذب بها، على أن كثيرا من هذه المواد يستعمل عند الحاجة إلى مادة غير جاذبة تكون غير معدنية.

## التوصيل الجذبي

نقل الجاذبية بالتوصيل :

إذا علقنا مسبارا خاليا من خاصية الجذب في طرف جاذب قضيبى ظهر لك أنه يمكن



شكل (٥)

أن يعلق به مسبار آخر لأنه يعمل عمل الجاذب، ويمكن أن يعلق بالمسبار الثاني مسبار ثالث وهلم جرا كما هو مبين في الشكل رقم (٥) فإذا نحى الجاذب القضيبى باحتراس عن المسبار الأول سقطت في الحال جميع المسامير وانفصل بعضها عن بعض دالة بذلك على أنها إنما كانت جواذب قوية أثناء اتصالها بالجاذب القضيبى . وبهذه الطريقة

يمكن إيصال الجاذبية الوقفية إلى أية قطعة من الحديد اللين يجعلها على اتصال بجاذب مستمر.



شكل (٦)

نم إنه ليس من الضروري أن يكون بينهما اتصال فعلى ، فإنه إذا قرب مسبار من جاذب مستمر مجرد تقرب ظهر أنه يصير جاذبا ، ويمكن إثبات هذا بإمسالك مسبار من أحد طرفيه ثم تعرض بعض برادة الحديد لطرفه الآخر كما هو ظاهر في الشكل رقم (٦) فإذا أبعد الجاذب



المستمر عن المسار سقط معظم برادة الحديد فوراً من طرفه، وذلك ذلك على أن اتصال خاصة الجذب به لم يكن إلا مؤقتاً، وأنه ناشئ من مقاربتة للجاذب المستمر. والجاذبية الحاصلة بهذه الوسيلة من وجود جواذب مجاورة غير مماسة تسمى بالجاذبية الموصلة. فإذا اختبرت هذه الجاذبية التي في مسار المئين في الشكل رقم (٦) بجاذب معين الجهات لوجد أن الطرف البعيد لقطبه الجنوبي الموصل له خاصة الجذب من نوع القطب الجنوبي الموصل لهذه الخاصة، على حين أن الطرف القريب لقطبه الشمالى يكون من نوع آخر، وهذا هو القانون العام لتوصيل الجاذبية.

وتوصيل الجاذبية بوضوح لنا سبب كون الجاذب يجذب قطعة من الحديد خالية من خاصة الجذب، فإنه يوجد الجذب أولاً في قطعة الحديد بالتوصيل، وذلك يوجد بالقرب من طرفها قطبين، فطرفها القريب من قطب الجاذب يكون من طبيعة مخالفة لطبيعة القطب، ولذلك ينجذب إليه، وطرفها الآخر يكون من طبيعة مماثلة لطبيعة القطب الموصل للجاذب، ولذلك يتبوعه. وبما أن هذا القطب بعيد عن الجاذب يكون نبوه عنه معادلاً للجذب الحاصل بين قطب الجاذب وبين القطب المجاور له الذى ليس من نوعه والذى يوصله للحديد، ومن أجل ذلك تكون نتيجة هذا التعادل أن ينجذب الحديد نحو الجاذب. وتوصيل الجاذبية بوضوح لنا أيضاً سبب تكون طوائف برادة الحديد حول طرف الجاذب القضيبى كما في الشكل رقم (٣) فإن كل قطعة صغيرة من البرادة تصير جاذبا وقتياً، لأن طرف كل منها المتجه نحو القطب الموصل للجاذب يكون من طبيعة مخالفة لطبيعة هذا القطب، والطرف المتجه الى جهة مضادة له يكون من طبيعة مشابهة لقطب الجاذب الموصل، ويرجع سبب ظهور البرادة في شكل شجيرة الموسج الى الفعل الدفعى الذى يحدثه أقطابها السالبة الخارجية بعضها في بعض.

قابلية تشرب القوة الجاذبة وقابلية اصساكرها :

بعض المواد يصير أكثر جاذبية من البعض الآخر بتأثير قطب جاذب ذى قوة

معلومة ، فمثلا - اذا عرضت قطعة من الحديد اللين لقطب موصل لجاذب فانها تظهر من الجاذبية أكثر مما تظهره قطعة من الصلب اذا عرضت لنفس هذا القطب ، فدرجة انتقال الجاذبية الى مادة من المواد الناتج من قوة معلومة لقطب موصل تسمى قابلية التشرب .

والقطعة من الحديد اللين تصير بغاية السهولة جاذبا قويا ، ولكنها اذا نحييت عن تأثير الجاذب الموصل فقدت فعلا كل جاذبيتها . وأما القطعة من الصلب فانها لا تصير حاذبا بهذا المقدار من السهولة كقطعة الحديد اللين ، ولكنها تمسك من جاذبيتها أكثر مما تمسكه هذه القطعة بعد نحييتها عن تأثير الجاذب المستمر ، فقوة المقاومة لانتقال الجاذبية وللتخلي منها تسمى قابلية الإمساك .

وتقدر قابلية التشرب بمقدار انتقال الجاذبية الذى تستطيع مادة من المواد أن تقشره بفعل قطب موصل لجاذب ذى قوة معلومة ، وأما قابلية الإمساك فتقدر بمقدار الحفظ الذى به تمسك الجاذبية الموصلة اذا نحي عمل القطب الجاذب .

عبد العزيز محمد



## طريقة حديثة

لحفظ البيض من الفساد<sup>(١)</sup>

توصل الكيماويون في مصلحة الزراعة بالولايات المتحدة، الأمريكية الى طريقة فنية جديدة لحفظ البيض لمدة طويلة دون أن يتسرب اليه الفساد أو يفقد شيئاً من قيمته ، إذ أنه قد ثبت أن الطريقة التي كانت تتبع في حفظ البيض داخل محازن باردة تفقده كثيراً من رطوبته كما أنه يتسرب منه جزء غير يسير من ثلثي أكسيد الكربون وبذا تقل قيمته ، فلاحظ في المقاطعات الغربية أنه يمكن تلافي هذه الخسائر بغمر البيض في الزيت حتى تسد مسام القشرة .

وقد أدخل الكيماويون على هذه الطريقة تحسيناً بأن جعلوا غمر البيض في الزيت بداخل أوعية تحت تأثير ضغط بسيط ، فإذا ما أعيد الى الضغط الجوي العادي مع وجود ثلثي أكسيد الكربون الذي يحاول أن ينفذ الى مسام القشرة فيفصل غشاء رقيقاً جداً من طبقة الزيت تتكون منطقة مانعة جداً ضد الهواء تماماً .

ولوحظ أنه اذا عولج البيض بهذه الطريقة لا يفقد من وزنه أكثر من  $\frac{1}{100}$  في عشرة أشهر ، بينما يفقد  $\frac{16}{100}$  من وزنه اذا غمر في الزيت دون مراعاة تخفيف الضغط ، ويفقد ما لا يقل عن  $\frac{27}{100}$  من وزنه إذا لم يغمر في الزيت بتاتا .

ولا يختلف طعم البيض في هذه الحالة أى بعد مضي عشرة أشهر عن طعمه بعد يوم أو يومين من وضعه .

وأما الزيوت التي تستعمل في هذه الطريقة فهي الزيوت المعدنية .

(١) هلام مجلة « Umschau » الألمانية .

## الخطب المنبرية

بمسجد الإمام الحسين

هي مجموعة الخطب التي ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ السيد محمد علي الببلاوي تقييد السادة الأشراف بالديار المصرية في المسجد الحسيني ، وهي خطب قيمة نسج بها فضيلة الاستاذ على منوال المدر الأول ، فتجافى فيها عن الانحراف ، وتوخى فيها السهولة ، وأخذ فيها بالألفاظ المألوفة ، والمعاني التي تصل الى قلوب السامعين من أقرب الطرق ، متحاشيا الإيجاز المخل ، والاسهاب الممل . طبعت هذه الخطب في مطبعة دارالكتب المصرية على ورق جيد طبعا متقنا .

فنشكر فضيلته على هذا العمل النافع الجليل ، ونحث القراء على اقتناء هذه الخطب الباقية ، ولا سيما الوعاظ وخطباء المساجد . وهذه المجموعة تباع في مكتبة الشيخ مصطفى الحلبي بشارع التبليطه م

.....

المرجو من القارئ الكريم تصحيح الأخطاء الآتية .

صواب	خطأ	سطر	صفحة
مطلقة عن التقييد	مطلقة عن التقييد	١٨	٣٣٠
لو كان رأي الوهابين	لو كان رأي الوهابيون	١٥	٣٥٤
يا لله أليست	يا لله أليست	١٣	٣٥٩
التي لم يستقها إليها أحد	التي لم يستقها إليه أحد	١٤	٣٥٩
هذا هو الربا الذي كان	هذا الربا الذي هو كان	١٤	٣٦٥
بالنواجذ	بالنواجز	١٥	٣٦٦
يحتملها العقل	يحتماها العمل	٧	٣٦٩
إذ كانوا لا يستندون	أو كانوا لا يمتندون	٢١	٣٦٩
فصوب	فصوب	١	٣٧٠
العليم القاهرة فوق عباده	العليم فوق عباده	٢١	٣٧١

Islam forbids the betrayal of trusts, overeating to one's own discomfort and keeping up a quarrel among Moslems for more than three days after which they are to come to peace.

Contention, dissension and the neglect of one's own children and dependents are also forbidden.

Forbidden also is to strike anyone without lawful justification or to frighten him with arms, nay but Islam goes further still and forbids abuse or infliction of harm on any one until his guilt is definitely established.

It forbids the acceptance of government should the ruler know of his own incompetency to bear such a responsibility. It also forbids the appointment of the oppressor and the dissolute to any post in the state dealing with any of the Moslems' affairs, the deposition of the good and efficient and the non-attendance of the ruler to the exigent needs of his people either personally or through his viceregent.

Islam forbids the acceptance of any present proffered to the judge in charge of dispensing justice from any one except those who were in the habit of offering such before his appointment to the judgeship; also the acceptance of private hospitality.

Forbidden is the receiving of bribery from any one whether in the right or in the wrong, the payment of bribery by a wrong-doer, the intermediation in effecting bribery and the withholding of justice when able to establish it.

Forbidden also is the looking for the defects of people, the viewing of another's home without his permission even though by peeping through a hole, and eavesdropping to the discourse of people unknown to them.

It forbids intentional lying in order to thwart or spite one's enemy association with the dissolute, disregard of penitence for sins committed or wrongs done to people.

It would be impossible to consider all the features of Islam and the corroboration thereof in the Koran and Tradition.

We trust however, that what we have pointed out of its salient features will suffice to give an idea of that glorious Religion and should it lead to the guidance of only a few our trouble would not indeed have been taken in vain and our effort would be more than amply repaid.

It forbids the non-fulfilment of covenant, breach of promise and betrayal of trust, artifice and deceit, and tale bearing which incites people to contention.

It forbids misconduct which result in utter confusion and complete loss to trace the true lineage of families, and deception of others as to the descent of the illegitimate issue, inheriting wealth to those who have no right to it and lastly the inevitable perdition of the natural child through the lack of care and affection.

Not only has Islam forbidden misconduct, but it goes further still and forbids the mere contact with a strange woman and retirement into seclusion with her for such is conducive thereto.

Islam forbids the imitation by one sex of the other. Man and woman should remain true to their respective sexes; the former retaining his manliness and the latter her femininity.

It forbids celibacy unto those who have no justifiable reason to remain unmarried as such abstinence is subversive to the divine order of things.

Forbidden also is the repression of woman marrying her equal, the divulgence by man or wife of each other's secrets and the abstinence from intoxicants for he who comes under the influence of drink, will readily commit any sin or perpetrate any heinous crime. Should there be, as is maintained, any advantage accruing from drink, it is by no means equal to its pernicious effect. Medical men have now fully expounded the great harm and distressing afflictions

with which it affects the human race. The Tradition « الحرام الخبائث »

*Meaning:* "Wine is the mother of evil" is thus fully horn out.

Islam forbids gambling which is conducive to the loss of wealth and ruination of man's home and happiness. Among other inhibitions, the Moslem religion forbids cheating people of the just measure or weight procrastination on the part of the rich to settle his debts when such are due and the expending of money in unlawful pursuits.

It forbids the infliction of any harm on the neighbour, larceny, usurpation and usury.

Forbidden also is the betrayal of one's partner, the employment of a lent article for a purpose other than that it was lent for without the owner's permission.

It forbids the deferment of the labourer's wage or withholding thereof after his work is done, the prevention of people from the exercise of their civic rights be it public or private, using a private road without the owner's permission or a public road to the danger of others.

Rashness, levity, obstinacy, pertinacious contention of truth and denial thereof after learning of it are also forbidden.

It further forbids violence, greediness, sluggishness, persistence in sin, supporting falsehood and zeal for a religion other than God's. It forbids despair in God's mercy, the love of oppressors and dissolute people and rancour against the pious, as well as inclemency which keeps one from rendering succour to those in hardships.

It forbids calumny and aspersions, vain talk and gossip, the divulging of secrets and the ridicule, derision and slight of people.

Forbidden also are cursing, defamation and reviling of others and the use of plain words in the expression of offensive and coarse matters, as well as disparaging people's descent and lineage.

Islam forbids constant dispute and pertinacious hostility, the discussion of falsehood and hypocrisy. Also mendacity to any one not reduced thereto.

It further forbids abuse, rudeness, violence, inquisitiveness and looking for the defects of people.

Forbidden is the offering of prayers for the oppressor soliciting the continuation of his rule, to address people in nicknames distasteful to them, to swear by none except God and to use frequently His hallowed name even though in statement of truth.

Islam forbids the interpretation of the Koran by none other than trustworthy masters of erudition, the interruption of other people's discourse unnecessarily, the directing of people to the ways of sin and exorbitant joking which culminates in evil.

It forbids the discussion of other people's affairs, the alienation of the wife from her husband, the withholding of evidence and declining to bear witness to the truth.

Forbidden also is perjury, slander of unsuspecting chaste women, defamation of the dead, withholding of knowledge, intentional imputation of falsehood to God and His Apostle and the utterance of such words as may cause dissension and engender ill-feeling in the hearts of men.

Islam forbids insolence and profanity, ostentatious vaunting in granting charity, thanklessness for favours done by others and the omission, on the part of the sick, to acknowledge his debts.

Forbidden also is the defilement of people's honour and reputation, the relation of one's self to an ancestry other than his own and the neglect of enjoining good and forbidding evil.

Islam forbids slander i.e. to speak detrimentally of your fellow-beings, which lapse is of frequent occurrence and is most conducive to harm.

Nor was the acquirement of knowledge left out of Islam. It ordained that man should acquaint himself with a measure of knowledge requisite for the amendment of beliefs, manners and conduct and amelioration of life's conditions.

It enjoins piety which constitutes the refrainment from any pernicious act prejudicing one's chances in this world or the hereafter, loyalty and fidelity unto God and the good performance of worship as signified by the Tradition :

« اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

*meaning* "Worship God as if you were to behold Him, for if thou canst behold Him, He doth."

It enjoins good counsel to mankind and the practice of patience and resignation to the will of God.

It enjoins propriety of conduct, forbearance and satisfaction in the doing of good as well as liberality, magnanimity, courage, zeal and manliness.

It enjoins prudence, judiciousness in judgment, thankfulness and fear of the almighty God and faith and resignation unto Him. It further enjoins mercy and compassion on mankind, honesty and integrity, fulfilment of covenant and promise, good faith and labour for one's living, toleration, hastening to the doing of good and unwavering determination in upholding the tenets of Religion. It enjoins the love of God, the courting of His favour and reliance upon Him. Modesty, piety, uprightness, magnanimity, urbanity and probity which constitutes the earning of one's livelihood in an unimpeachable way are all also enjoined as well as the suppression of passion, awe and humility unto God. Lastly to shake off the human soul the dire influence of desire and bring it to account for the wrongs perpetrated thereby thus purging it of all defects and imperfections from which it suffers.



We proceed now to consider some of the inhibitions of Islam.

The Moslem Religion forbids disbelief and theocracy, dissoluteness and disobedience of God's commandments, passion and hypocrisy, malice and arrogance, vanity and envy, gloating over people's misfortunes and recklessness or assailing what one is not equal to.

It forbids unjustifiable pessimism, greed and niggardiness, prodigality and extravagance, indolence and inactivity and precipitancy in resolving matter.

It forbids harshness and ruthlessness, impudence and insolence, discontent and ingratitude, raucous against learned people and blasphemy of God, as well as disregard of his wrath and punishment, regret over lost opportunities and wavering in worldly and spiritual affairs.



The creed ordained by Islam has thus rendered man great and self-respecting and caused his heart to feel pride and exaltation. And no wonder it should be so when man realises that such attributes as greatness, majesty and grandeur could only pertain to the one omnipotent and all-pervading Lord, and that all others are mere subordinate creatures seeking His pleasures.

One of the great injunctions of Islam, is to shield the failings of your fellow-Moslems and to keep away from the places of suspicions lest they be tempted unto evil thought and slander.

Islam requires you to do favours unto your fellow-Moslems even by mere intercession or recommendation.

Another significant commandment of Islam, is to hasten to greet and shake hands with any Moslem so that the credit of a good act will be yours.

Another commandment is to stand up for your friend in his absence and to defend, by word and deed, his honour and property.

Yet another commandment is to commiserate with your fellow-Moslems in their afflictions; to call on their patients, attend their funerals, visit their graves and offer prayers for the salvation of their souls.

Islam enjoins justice unto all people and to wish them the same as you wish for your own self, high position, security, health, good reputation and prosperity.

It ordained prayers in gratitude and thankfulness to the beneficent bestower, fasting which leads to the elevation of minds and purification of souls and alms giving which constitutes the alms to the poor of one fortieth or two and half per cent of the capital per year in courting of God's favour and people's devotion.

Nor were the other forms of charity left out in Islam. The giving unto the kindred what they stand in need of, benevolence unto the parents and help unto the poor were all equally ordained. On the whole Islam enjoined good manners and noble conduct and to labour in this world whereby you may seek the hereafter.

It is for this reason that Islam enjoined to resist our own inclinations so that we may be of the elect abiding in the Kingdom of Heaven and that we may attain blessedness in this world and the hereafter. It points out that our worst enemies are misguidance, injustice, oppression and dissoluteness in any form they may assume, even in our own selves.

Islam enjoins mercy and benevolence unto mankind and kindly treatment thereof, to seek their benefit and afford them opportunities of gain and prosperity; and above all to ward off any evil befalling them.

In short it enjoined kindness, charity, faithfulness, kindly treatment of the neighbour, wayfarer, and guest and lastly kindness to animals.

The sense of justice and fair play would perhaps, have moved you by now to appreciate the saying of the Prophet of Islam:

« بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ بِكَامِ الْأَخْلَاقِ »

*meaning*: "I have been sent unto mankind to perfect the traits of noble conduct";

and the Lord's saying in reference to the Koran :

« وَإِنَّ لَكُنَّا عَرِيرَ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجِلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

"It is an incomparable book which yield to no abrogation or distortion and unto which no falsehood could find a way from whatever side, be it of the past or future events mentioned therein. It is a missive from the Wise Lord to whom praise is due for the bounties He bestowed upon mankind."

(Baidawy's Commentary.)

\*\*\*

We will now proceed to consider some of the injunctions of Islam.

Islam requires you to be self-respecting enough not to degrade yourself into imitation of the beasts below you, to be great enough not to be a slave to your passion and desires; and to be proud enough not to glorify anyone save thy Lord.

Islam enjoins you to seek the pleasure of God and the approval of the pure and pious in all your actions, so that you may become the viceregent of thy Lord and acknowledge no favours except those bestowed by Him.

It requires you to feel that you are an active and beneficent member of society who disdains to imitate or be dependent on others or be outtrivalled by them in any virtue.

It enjoins you to seek exaltation in God and humility unto Him. It requires you to use your mind and senses in whatever useful avocation that has fallen to your lot, and to fear none but God as long as you practice what He ordained.

Islam enjoins the belief in monotheism for which the mind accept no other substitute and without which the hearts of men will find no comfort or peace.

All are humble unto God mere subordinate creatures and the most favoured unto Him are the pious who adhere to His commandments.

It would take a very long discourse indeed should we continue to discuss all the moral and material features which Islam embraced. We may, however recount later some of the excellent features of prayer and other rites of Islam. Suffice it to say that ablution is now admitted on all hands to be beneficial for many diseases particularly those of the nose. The thrice rinsing of the mouth and the constant use of the tooth brush requisite for the health and good care of the teeth and sweetening of breath was strongly insisted upon, particularly after sleep, so much so that the Prophet well might make it a religious injunction.

No less healthy and clean is the practice of frequently washing the feet for the prevention of any odour emanating therefrom should they be left a long time without being washed.

As such and other features of Islam become known to the world, many have taken up the cudgels for Islam in complete satisfaction and admiration thereof. They were convinced that the true Moslem Religion utterly renounces many of the obnoxious practices of the so-called Moslems of to-day.

Were it for those radical reforms alone which were introduced within a short period and which non-Moslems failed to discover for centuries, the Moslem Religion should be accorded the highest honours by the just and discerning critic.

It should be remembered that this field of discussion is far too wide to be covered with any tolerable measure of detail and that I could only express very little of what I feel which in turn, is but an iota of those comprehensive and all-pervading tenets of Islam.

The following verse is significant in this connection.

« فَن لَّن اَجْتَمَعَتِ الْاَسْسُ وَالْحَنُّ عَلٰى اَنْ يَّاتُوْا مِثْلَ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُوْنَ مِثْلَهٗ وَلَوْ كَانُ مِنْ عِنْدِ مَعْصِيْمٍ

لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا »

" Were men and Djinn, those supernatural beings who have the power to perform wonders, assemble to produce something equal to the Koran in eloquence, rhyme and superb meaning, they could not under any circumstance, produce anything like it though they may include in their numbers the purest Arabs of the progeny of Ishmael who are masters of rhetoric and oratory. Nay but they could not do it even though they co-operate together for the purpose and support one another all they can."

(Alucy's Commentary.)

مترجمة عن كتاب « رسائل لسلام » للحفصة صاحب العصيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدحوى

## ISLAM

### THE IDEAL RELIGION. <sup>(1)</sup>

(Continued).

---

Islam directed mankind to the path of goodness and pointed out the worldly advantages accruing therefrom as signified by the Tradition :

« من وصل رحمه ربط له في عمره ووسع عليه في رزقه »

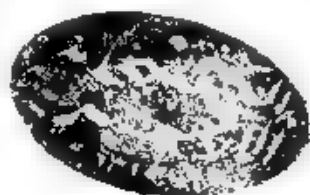
*meaning* " Whoso giveth unto his kindred will his life be blest and his prosperity augmented "

One of the most excellent tenets enjoined by Islam, is to feel, in the performance of worship, entire submissi on to the sublime majesty of God and complete awe and venerati on to His grandeur and glory, for such will act as a deterrent against committing sin and cause the soul to revert to its nital purity. Also to impress upon you that you have a spiritual entity apart from your worldly one, and that you should not seek the world so eagerly to the exclusion of all else for by so doing you will engage in protracted contention with people and will only earn their hatred and animosity.

The material world should have as little fascination as possible for you and should not exercise more than a cursory influence over your heart; for only thus will you relish the taste of happiness and content and enjoy the love and good-will of people.

---

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef El Diowy's Book. "Messages of Peace "



مَدِينَةُ كَرَمٍ أَقْدَمَ نُوُورَ كَنَازَاتِ مَنِّهِ بِهَيْبَتِهِ أَقْدَمَ نَارَ شَمْعِ وَصُولِهِ يُسَلِّمُ السَّلَامَ  
وَسُحْرَ شَمْعِهِ بِرَأْسِ الطُّلُوبِ عَلَى أَلَمِ زَيْدٍ وَبُرْهَانِهِ بِهَيْبَةِ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ

# بُحْرَانُ الْأَسْئَلَةِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تُصَدِّرُهَا مَشْرِفُ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفُ

تظهر مرة كل شهر عربي

الجزء السادس	جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠	المجلد الثاني
--------------	-----------------------	---------------



رئيس التحرير  
السيد  
محمد نجيب  
من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة  
الشيخ محمد نجيب  
المستشار بمحكمة الاستئناف (سابقاً)  
ومن أعضاء مجلس الأهرام الأعلى

الاشتراك	الادارة
د. حل القطر المصري ٢٠	شارع محمد مظلوم بشار رقم ١
علماء غير المذاهب وطلبة المعاهد والمدارس ٣٠	تليفون : ٣٥٠٧
خارج القطر المصري ٥٠	الرسائل تكون باسم مدير المجلة
طلبة المعاهد والمدارس ٣٠	

يماثل أئمة المساجد والمذاهب ومعلمو المدارس الأولية والمجال معاملة الطلاب

وتن الجوز الواحد ٣ صاغ دحل القطر و ٤ خارج

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٠ - ١٩٣١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## التعالم الديني في مدارس الحكومة

\*\*\*\*\*

يشعر كل من يطلع على ما ينشر في الصحف ، أو يشهد مجالس طوائف من الناس مختلفة أن انحرافا غريبا طرأ على الأخلاق ، وأخذ يدب في نفوس النشء ديب السم النافع في جسم السبع ، ويمتاز هذا الانحراف بأنه ناشئ عن زيف العقيدة ، لا عن مجرد الأهواء العالبة ، وزيف العقيدة مصدر الأخلاق الرذولة في كل حين ، إلا أن العناية إلى القبايح لم تبلغ في علانيتها ما بلغت اليوم ، ألم يبلغ الحال أن يتنادى للتنادي مثلاً - إلى ما يمزق رداء العفاف والكرامة مخادعا الشباب باسم الحرية أو الفن الجميل ، ولا مجال إلا مع الفضيلة ، ولا حرية إلا لمن يلقى الناس بعرض سليم .

ولا منحرف الناشئ عن زيف العقيدة أصعب علاجاً من الانحراف الناشئ عن طغيان الشهوات ، فإن زائف العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب ، يزعم أنها ليست من الحسن في شيء ، ويخرج عن حدود المكارم بدعوى أن هذه الحدود رسمت على غير حكمة .

والغلوب للشهوة وحدها قد ينصرف عن الحسنة معترفاً بأنه أقبل على سيئة ، وينتهك حرمة الحق غير منازع في أنه ارتكب جرماً ، وإذا احتجت في تهذيب أخلاق الأول إلى إصلاح عقيدته بالحجة ، فإنه يكفيك في قوم أخلاق هداشيء من الموعظة ،

و تأثير الموعظة في زحر من يعرف الحق حقا ، والباطل باطلا ، أيسر من تأثير الحجة فيمن يبصر الباطل حقا ، أو الحق باطلا .

وقد يندى جبين المملوب لأهوائه إذا أبتته ، ويعرف لك فضل النصيحة إذا ذكرته ، أما زائغ العقيدة فإنه يحمل بين حاجبيه وناصيته ما هو أشد قوة من الحجارة ويرى إرشادك له لغوا في القول ، فلا يميرك قواد صاعيا إلا أن تبقى فيه للإنصاف وحرية النظر بقية .

ولا صرية في أن انحراف الز ثنتين أظهر فسادا وأشد فتنة من انحراف الشاعرين بقبح ما يفعلون ، فإن الزائع يندفع فيما لا يليق إلا أن يهرب قانونا حارما ، ولا يبالي أن يبصر به من لا يملك للقانون نفاذا ، أما الشاعر يقبح ما سيفعل فشأنه أن يجتهد في التستر عن أعين الناس حتى في حال أمنه من أن يساله القانون بأذى ، فإذا قست الجاحد بأمثاله في التعلم أو الأمية ، وجدت تخروجه عن مكارم الأخلاق مواطن أكثر ، ومشاهد أظهر ، فتكون جنابته في الناس أكبر وأفزع ، فلا شبهة في أن إصلاح العقائد أساس لهذيب الأخلاق ، وأن الأخلاق السكرية لا تستقيم إلا على العقيدة السليمة .

لم يتفش زيف العقيدة فيما سلف تفشيه اليوم ، لأن وسائل ساعدت على سرعان وبائه لم توجد قبل ، وأمهات هذه لوسائل ثلاثة أمور .

( أحدها ) هذه المدارس التي يفتحها الأجانب في أوطاننا باسم العلم ، وينقل بعض المسلمين عن سريرتها ، فتأخذهم بظواهرها ، حتى يسلّموا أطفالهم وم على الفطرة الى من يصنع هذه الفطر بسواد ، وينزع منها روح الأدب الذي يجعلهم أولياء لعشيرتهم نصحاء لا منهم .

( ثانيا ) تهاون بعض الآباء بواجب أبنائهم ، إذ يرسلون النشء الى معاهد العلم بأوربا قبل أن يتلقن من علوم الدين ما يجعل عقيدته مطمئنة ، فيلاق في أثناء الدراسة



هنالك أوفى بعض المحادثات شُبها لا يحد في نفسه من الحُجج ما يدفعها ، واذ تواردت الشبه على الناشئ رانت على قلبه ، وأصبح يبصر وجه الحق أسود قائما ، فيعود الى وطنه وهو يحمل لأبويه عقيدة أنهما في ضلال قديم ، وذلك جزاء من يستهين بهدى الله ولا يهيمه إلا أن يكون لابنه مورد رزق واسع ، أو منصب في أحد الدواوين وجيه .

( نألهما ) أن كثيرا من الحكومات لاسلامية ضعف فيها روح الاعتزاز بالدين الخفيف ، فاستباح واضمو برامج التعليم العام في مدارسها أن لا يضر بها العلوم للدين بسهم ، ومن يضرب لها ، فبسهم لا يفتنى من جهل ، والتعصيم الذي يهضم فيه جانب العلوم الدينية ، لا يرجي منه تهيئة نشء تنساقط عليهم الشبه فيطردها ، أو توسوس اليهم الشياطين فيستعينون منها .

واد كان سوء الأخلاق الذي هو علة اختلال النظام ، ينشأ من زيف العقيدة نارة ، ومن طغيان الشهوات نارة أخرى ، فإن الاسلام دين ينير العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، ولم أخرجت مدارس أو مجالس القوامين على هدايته من رجال يلاقون لآسود فيصرعونها ، ويحارون الرياح فيسبقونها ، يخفصون أجنحتهم نو ضما المستضعفين ، ويرفعون رؤوسهم عزة على الجبارين ، تعترضهم الأخطار فيخوضون غمارها ، وتعتل قلوب أو عقول فيضعون الدواء موضع علاها ، عدل كأنه القسطاس المستقيم ، وسعاء كأنه الغيث النافع المميم ، وجد في طلب العلم وإن كان غمط الثريا ، وطموح الى المعالي وإن انتبذ وراء الفلك الدوار مكانا قصيا ، الى ما يشاكل هذا من الخصال التي ترفع بعض الأمم على بعض درجات .

والأمة في حاجة الى نشء ترتبط قلوبهم بالتعاطف ، وتعتلى صدورهم بالزيرة على حقوق الوطن ، والإخلاص في كفاح من يروم اغتصابها ، ولدين يفقر ينبوع التعاطف ، ويحمل العيرة على الحقوق حامية ، ويبعث في النفوس إخلاص تسقط أمامه المنافع الخاصة حملة .

والتاريخ يملأ آذاننا بأسماء رجال أحرزوا بملهم لآخر مكانة تكفيهم لأن يعيشوا بين الناس في هناءة وإجلال، ولكن ما يبذره الدين في نفوسهم من غيرة وإخلاص يأتي لهم أن يقضوا حياتهم بين جدران المدارس أو المساجد دون أن ينفقوا منها في تعرف الشئون العامة والجهاد في نجاة الأمة فسطوا وافرًا، ولو أخذنا لضرب الأمثال على أن التعلم الديني يطبع النفوس على خصال الشرف، وبعلوهاهما لا تقف عند حد، وغيره لا تلهو عن حق، ملأنا صحفا كثيرة أو أسفارًا، ولكن المقام للتذكرة، ومن مقامات التذكرة ما ينبغي فيه الإيجاز عن الإسهاب.

وإذا رأينا في بعض المتلقين لعلوم الدين عوجًا، فتلك سنة الله في خلقه أن لا تخلص الطوائف الكثيرة من أفراد يشربون بكأسها، ويظهرون في زيتها، ثم هم يشذون عنها، ويسبغون في غير وجهتها، لموارض تجمد في نفوسهم من الاستعداد للهو أكثر من الاستعداد للجد، ويكفي شاهدا على استقامة الطريق أن يبلغ أكثر سالكيه غاية الفلاح، فإن فقد في منتصفه ذوهمة خامدة، أو اتوى عنه ذو هوى غالب، فالطريق لا يزال طريق رشد وفلاح، والوزر على رقبة من فقد في منتصفه لاهيا، أو اتوى عنه قبل أن يدرك من الاهتداء به حفظًا كافيًا.

فسماحة الدين وماله من الأثر الخطير في إعداد أمة روحها البطولة، وزينتها التقوى، وغابتها السيادة، من أشد ما يبعث أولى الأمر منا على أن يضعوا علوم الدين بالمسكاة العدا، ويقرروا لها في جميع المدارس وفي كل سنى الدراسة ما فيه الكفاية.

ومما يقضى عليهم بأن يمتوا بها عناية ضافية أن الأمة مسلمة، والأمة المسلمة لا ترضى إلا أن يكون أبنائها مطمئنين محجج الدين الخفيف، سائرين في ضوء حكمته العراء، فن سلك في تعليم أبنائها طريقًا لا يأتيهم على هذه الحجج، ولا يدخلهم في نهار من ضوء هذه الحكمة، فقد تصرف في شئونهم تصرف من لا يرعى ذمتهم،

ولا يحترم وكالته على أمرها ، وإذا وجد في الناس من لا يؤله أن يكون ولده في ظلام من النفي ، فأمثال هؤلاء على قلوبهم طائفة استهواهم زخرف الحياة غرورا ، ولم يهتدوا إلى خير أبنائهم سبيلا ، وما كان للحكومة الرشيدة إلا أن تقبم سياستها على رعاية ما فيه خير النشء ، وما يرتضيه أهل العلم والعقل ، ويكون قسط تلك الطائفة من هذه السياسة تقويم عوجهم ، وإصلاح ما فسد من أخلاقهم ، وإذ أتممت التعليم الديني حكومة باض الإلحاد في أدمغة رؤسائها وفتوح ، فأعلنوا فسوقهم عن الدين في غير استعيب ، فإن حكومة يكون على رأسها ملك يعتز عرشه الرفيع بعزة الدين الخفيف ، ويسعى في دستورها على أن دينها الرسمي الاسلام ، لجديرة بأن يكون للتعليم الديني في مدارسها شأن لا يقل عن شأن غيره من العلوم النافعة في الحياة .

ولا يكفي في تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر وما يتصل به من معاهد ، فإن قصره على الأزهر والمعاهد الدينية يحمل تربيته العالية في طائفة من الناس خاصة ، وخير في أن تكون روح الدين سارية في نفوس الأمة قاطبة ، وبثها في جميع الأفراد مدعاة إلى الائتلاف والاتحاد الذي هو أساس كل نهضة ، وكل عمل اجتماعي يقام على غير هذا الأساس ، فنقلب إلى فساد .

ولو كان التعليم الديني أخذ حقه في جميع مدارسنا ، لم ير الناس ما يرونه من التجافي بين أفراد نشئوا في مدارس دينية ، وآخرين نشئوا في مدارس ليس للدين فيها من نصيب ، ولا منشأ لهذا التجافي إلا بُعد ما بين النشأتين ، وإدخال العلوم الحديثة في المعاهد الدينية يذهب بجانب من هذا التجافي ، فإذا عيّنت وزارة المعارف بدراسة علوم الدين درسا جديدا ، اتحد أبنائنا في أصل التربية ، فيكون فضل المعاهد الدينية والمدارس الرسمية على الشرق في إخراجها نشئا يتقارب شعورهم وتتدافى عواطفهم ، فيتسابقون إلى أعباء الحياة بكواهل ملتزمة ، يرمون في وجوه العقائهم من قوس واحدة .

لا ينبغي عنا أن في بعض الأمم التي لا تعنى وزارات معارفها بدرس علوم الدين شيئاً من خصال الكمال ، ونقول مع هذا : إن الأمم التي يقوم تعليمها على روح دينية قوية تبلغ من العظمة ما لا تبلغه أمة تساويها في غير هذه الروح من وسائل الحياة .

فإذا تقدمت فرنسا — مثلاً — على بعض الشعوب الشرقية ، وكانت أبسط منه سلطاناً وأنتم بالا ، فإنما فضيلته بالقوة المادية ، ثم بجانب من الأخلاق التي ينظم بها شأن الاجتماع في بلادها ، ويجعلها قوية أمام خصومها ، ولو جاراها ذلك الشعب الشرقي في وسائل الحياة المادية ، واستندار في تقوية أخلاقه بحكمة الدين ، اكان أسعد منها حالاً ، وأرسخ في السيادة قدماً ، وأعلى يوم ينادى المنادى علماً .

وليس في إعطاء علوم الدين عذارس الحكومة حقها ما يحجب بحق دراسة العلوم الأخرى ، لأننا لا نرجو من وراثة المعارف أن تغذى التلاميذ من علوم الدين بمقدار ما يتغذى به طلاب العلم بالمعاهد الدينية ، وإنما نرجو منها أن تقرر من هذه العلوم ما يستخير به التلميذ في كل سنة من سنى الدراسة ، وتجعله مادة أساسية في امتحاني النقل والشهادة ، وأن تسن لهذه العلوم مناهج حكيمة ، ولا تغمض في كنفه من يهد بهم بتدريسها .

وقد دلنا التاريخ والمشاهدات على أن وزارات المعارف في بعض الشعوب الإسلامية ، قد تستخف بالتعليم الديني متى ألقى أمرها الى من نشأ في غفلة عن آداب الدين ، وفصر في السياسة شأوه ، فليس له بصيرة يحس بها فضل الدين ومحاسنه ، ولا بُعد نظر في السياسة يفقه به أن خير ما تُتأنف به الأمم الإسلامية رعاية دينهم ، وجعله روحاً في تربية أبنائهم ، ومن أشد ما تبلى به المصالح العامة أن يصرفها من لا يدري كنهها ولا يتدبر العواقب في تصرفها ، وإذا انتهر أولئك الخاطئون غفلة لآمة فرصة لاهتضام حق الدين في التعليم والتربية ، فإنها اليوم في نقطة تميز بين المهوشين من المصلحين ،

فتقابل الهوش بامتعاض وتنديد ، وتلاقى المصلح بإقبال وتأييد ، ورجاؤنا في حصرة صاحب المعالي وزير المعارف أن يكون الرجل الذي يؤثر إقبال الأمة على امتعاضها ، وتأييدها على تنديدها ، بل صلاحها على فسادها ، وسعادتها على شقتها ، فيوفى للتعليم الديني حقه ، حتى تصبح مدارسنا منبع العلم ومطلع الهداية .

ومن فائدة الشرق أن تكون له عاصمة تلتقي فيها آراء المصلحين ، ويتدفق منها الشعور لى سائر الأقطار ، وموقع مصر في البلاد يستدعي أن تكون مصر هي ملتقى تلك الآراء ، ومصدر ذلك الشعور ، ولا يكفيها لهذه الزعامة أنهارها التي تجري من تحتها ، والعلوم والفنون الماثلة ما بين جوانبها ، وإنما نحن لها القلوب ، وتمتليء بمهابتها العيون إذا أضافت إلى هذه الأنهار والمدارس تربية دينية عامة ، حتى يقول كل زائر لها فاضل — مثل ما قال العلامة أبو عبد الله القرني — حين رآها وعاد إلى المغرب في أثناء السألة الثامنة « من لم ير مصر لم ير عز الإسلام » ما

محمد الخضر حسين

\*\*\*\*\*

## الظرف والمِلح

وقف أعرابي على رجل يستعديه فقال : إني امتطيتُ إليك الرِّجاء ، وسرتُ على الأمل ، ووفدتُ بالشكر ، ونوستُ بحسن الظن ، حقَّقِ الأمل ، وأحسنِ التَّوْبَةَ وأَقِمِ الأَوَدَ ، وعَجِّلِ السَّراح .

# النفس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) .

مقدمة

قد ثبت بالدليل القاطع حكمة الخالق عز وجل ، ودلتنا أسرارہ التي أودعها في مخلوقاته على علمه الذي لا يتناهى وحكمته التي لا تحيط بها العقول ، وبمكنتك أن تتعرف ذلك من نفسك بما أودع فيك من ريتين للتنفس وأستان للطعن ومعدة للهضم وكبد لإفراز الصفراء وكليتين لإفراز البول ومسام جلدية لإفراز العرق وبخ للإدراك ، وما نظمها فيك من شرايين وأوردة وعصب وعضل وعظم وكرت بيضاء وكرت حمراء ، ومن أعين تبصر بها وآذان تسمع بها ، إلى آخر الحواس الخمس ، إلى غير ذلك مما لا يأتي عليه المد ولا ينبي به البيان ، وكل ذلك لغايات جليلة أدهشت العلماء وحيرت الباحثين . ثم نظر بعد ذلك ما أودعه في العالم من نبات وحيوان وهواء وماء وأرض وسما ، وما في ذلك من أسرار باهرة وحكم عالية ، كل ذلك يدلنا دلالة قطعية على أنه العليم الحكيم والقادر العظيم فضلا عما يملئ علينا الإيمان بما جاءت به الرسل الإلهية والكتب السماوية من أسمائه حسنى وصفاته العلية ، فإذا رأيت مثلا — عالما محروما وجاهلا سرورقا أو فاجر معاني يترحم كما يشاء وصالحا قد أحاطت به أنواع البلاء إلى آخره إلى آخره ولم ينفذ نظرك المقعدود على الظواهر إلى إدراك سر ذلك ولم تعرف الحكمة فيه أوجب

عبيك الدليل القاطع أن تثبت العجز عن معرفة الحكمة الى نفسك لا أن تشك في حكمة الحكيم عز وجل .

وإني ألفت نظرك الى أن طلب لمة الأفعال والبحث عن علمها موجب للشرك والكفر، لأن العقول البشرية قاصرة عن إدراك حكمة الله في مخلوقاته (وما كسر المأثورية والثابوت إلا بنحو ضيق في مثل ذلك) فلما حكموا عقولهم الضعيفة وآراءهم الفاسدة قالوا إن للعالمين إلهين إلهًا للخير وإلهًا للشر لأن إله الخير لا يكون مصدرًا للشر وإله الشر لا يكون محلًا للخير، وقد غفلوا عن أن الحكمة الإلهية لا يحيط بها محيط وأن الشر قد يستتبع الخير، وقد يكون وجود الشر الجزئي واجبًا في نظر الحكمة، وأن المراعى في ذلك هو النظام العام لا خصوص الأشخاص وأعيان الجزئيات، ولم يفتنوا الى كون الشر في الخير ولا الى أن الشر قد يكون شرًّا في نظرهم لا في الواقع (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) هذا .

واعلم أن تفسير العلم، خصوصًا لأشاعة في هذه الآية يرجع الى أن الملائكة يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا بد أن يدور بنفسك عند ما تسمع ذلك حديث طويل وإن كنت لا تجرؤ على إظهاره فتسكت أمامهم مقتنعًا بما حدثوك به فيما يظهر منك، وأما باطنك فيكون فيه من المحاورات والتنازعات ما لا تطمئن معه نفسك ولا يسكن له جأشك، وقد قال لي بعض المصريين: هذا يمكن أن يكون جوابًا عن الملوك المستبدين وما يفعلونه مع رعاياهم، فأرشدته الى ما اقتنع به واستحسنه جدًا، وإبه الحسن فيما أراد والفضل لله، وإني أعلم أنك تارة يشرق عليك بما يفاض عليه من نور سماء روحك فتعجب به كل لا عجب، وتارة تنزل الى أرض طبيعتك الكثيفة التي لا يمكن دواؤها أن تمسك تلك المعاني السائلة ولا يتأتى أن تنتفض تلك العلوم اللطيفة في تلك

الأرض الكشيفة، ولا أن يزن ميزن أحجارها تلك الأسر لمزيد رقتها، وعند ذلك يلزمك أن لا تذهب بل تلك الأرض إلا ويسدك معول البراهين الكشيفة حتى تستطيع أن تؤثر في أحجارها - أيديك الله .

### ذكر امثال قريية في الآية

أقدم لك هنا في بيان المراد من الآية ما يقرب تناوله ويطيّب جناحه ثم تتبعه بشرح ذلك السر الذي نوهنا عنه إن شاء الله :

يمكنك أن تقول إن المراد تقرير كونه تعالى حكيمًا بالغ الحكمة فلا يسأل عما يفعل، ثقة بحكمته بحيث لا يصح أن يرتاب فيما يفعل ولا ينهم فيما يحكم، فإن قولك لم فعلت يشعر بهمة وريبة، فيريد الحق تعالى أن يكون عبده ممتلي القلب بالعلم بحكمته، فأض النفس باعتقاد رحمته، فيكون غارقًا في التسليم له والتفويض إليه، فلا تتحرك نفسه مع تلك العقيدة نسؤال ولا يلزمها أدنى خيال .

### يا حاكمي وحكيمي أفعالك الكل حكمة

وكان كثيرًا ما يقول بعض العارفين . « إذا كنت لا تعرف الحكمة فقلد من يعرف الحكمة » .

وكم رمت أمرًا خربت لي في نصرافه فلا زلت بي منى أبر وأرحما

أو تقول إن المراد تقرير العظمة، وأن الالهية بحيث يجب لنعمتها العليا أن لا يجزؤ على سؤالها أحد لا من حيث إنها تعمل عمل المستبدين من السفهاء وأرباب الأهواء، بل من حيث إنه يجب لعظمتها التلاشي والاضمحلال والقيام بأجل آداب العبودية، أما تراك - أيديك الله - تستقبح من عبدك بل خادمك أن يسألك عن وجه ما فعلت وسر ما قضيت، وتعتبر ذلك من سمات عدم لوثوق بك أو الجراءة عليك أو الريبة فيك أو عدم الحياء منك، وأن واجب العبودية الانقياد والامتثال، ثقة بحكمتك



وبعد نظرك وقياماً بما يجب لعظمتك وسيادتك وأنه أقل من أن يفتش على ما تنويه  
أو يراقب ما تقتضيه ، بل يجب عليه بعد هذا الامتثال الظاهري أن يكون خاضع القلب  
مطمئن النفس هادئ السر ، علماً بك من صفات الكمال التي لا يبلغ نظره مدّها  
ويحسر بصره دون غايتها ؟ وقد قيل في ( عينية بن حصن الفزارى ) : إنه إذا فزع  
بسيفه فزع معه مائة ألف سيف لا يسألونه عما دعاه لى ذلك . أفتى هذا إلا قياماً  
بواجب عظمته أو ثقة برأيه وبعد نظره ؟ ولا تزل العرب تمدح بمثل ذلك ، وقد قال  
الفرزدق في زين العابدين رضى الله عنه مادحاً له :

ينفى حياءً وبعضى من مهابته      فلا يكلم إلا حين يتسم  
وقال بعض المدنيين في مالك رضى الله عنه :

يدع الجواب فلا تراجع هيبة      ولخاضرون نواكس الأذقان

الى غير ذلك . فما بالك برب لأرباب ومانك الرقاب كيف يحتاج في نفس عبده  
حاضر وقد علم أنه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين .

ورب العالمين يستحيل عليه العبث والخطأ ويتزده عن كل نقص ويجب له كل  
كمال . قال بعض الأجلة : « كيف يستغرب ذلك وفي القوانين الحربية أنه لا يباح  
للعامور أن يتباطأ في امتثال الأمر ، وأنه لو قال له لم ؟ لكان جوابه إطلال دمه » وليس  
معنى ذلك أن القائد يفعل ما يشاء على ما يقتضيه العبث أو تشير به الأهواء بل أمان  
أخرى ووجوه يجب أن تعتبر في الحكمة وواجبات المقام .

ويمكننا أن نقول بعبارة أخرى : إن هذا يراد به تعليمنا حسن الأدب مع الله  
تعالى حتى نقلده في كل شيء ، فنطمئن في كل مأمور ونذعن لكل ما يريد فنعمل  
الأعمال كلها بالإذعان والاطمئنان ، وإذا تريت فينا تلك الملكة فدارعنا الى الامتثال  
ولم نتباطأ فيما يأمرنا به من الأعمال ، سعدنا بسعادة كبرى وكنا كالأطفال الذين وثقوا

بأيهم الحكماء وعلموا أنه لا يريد بهم إلا الخير، وقد عمل هو على تمكين ذلك من نفوسهم فأصبحوا لا يبحثون وراءه عن شيء، عالمين حسن نيته وبعد حكمته ومزيد رحمته، فليس هناك شك يعوقهم عما يريد منهم ولا بحث يؤخرهم عن است فراغ همهم وأوقاتهم فيما ينويه من سعادتهم، ولو أنه أرجعهم إلى البحث عن أسرار الأمور وخبايا المقاصد ودخائل الأشياء، لكان قد أعدهم لقاء النفوس وخرج الصدور والتباطؤ في بعض الأعمال تارة والامتناع عنها تارة أخرى، فكان من مصاحبتهم وموجبات سعادتهم أن يرهبهم على أن لا يراجوه فيما يأمر ولا يسألوه عما يريد إلا اذ تبرع هو — وله النظر الأعلى — ببيان الحكمة، وإلا فهو أعلم منهم وأرحم بهم عالم أن في هذا قضاء حقه وحقوقهم معاً، وليس يغيب عنك سبب الخذلان الأبدى لا يأس وأنه ليس إلا ما كان من انهماكه لحكمة الحكماء وجراته على ربه العظيم ورجوعه إلى استحصانه لا إلى إيمانه وإيقينه وتمويله على قياسه الفساد ونظيره الكاسد.

ويمكنك أن تقول إن المراد بالسؤال النقي سؤال التسلط والاستيلاء، فلا يسأله تعالى أحد بطريق الاستيلاء عليه، بخلافهم فإنهم يسألون عن كل ما يفعلون من قبله تعالى، فإنه الحاكم عليهم والمتصرف فيهم تصرف السيد في عبده والملاك في ملكه، فكانه يقول: إن له العزة ولكم الذلة. فهذه احتمالات قريبة في الآية بممكنك أن تكتفي بها وتعلمن اليها.

ولا بأس أن نلفت نظرك بمد ذلك إلى أمر بديع وهو أن من الحكمة أن ننظر في حال السائل الذي يطلب منك الجواب قبل أن نجيبه حتى إذا كان يناسبه الجواب ولا يدعو عن استعداده أفرده على السؤال وشغيت غلته بما يريد من الجواب، وإذا كان لا يمكنه أن يفهمه وكان من علوم طبقة أخرى غير طبقة كان ذكره عبثاً، وربما كان ضرراً كبيراً عليه.

وقد عرفنا صلى الله عليه وسلم أنه « ما من رجل يحدث قوما بغير ما تصل إليه عقولهم إلا كان فتنه عليهم » وقد قال الإمام مالك رضى الله عنه في حق من سأل عن قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): «أخرجوا عنى هذا المبتدع فإنه شيطان» ولو سألك ابنك الصغير عن مسألة عالية في العلم تتعلق بفروع كثيرة ولو ذكرتها له أضر ذلك بعقله أو عقيدته وكان كالمرضى لذي يأكل لأطعمة الدسمة التي لا يستطيع هضمها فليس من الحكمة أن تذكر له جواب تلك المسألة بل من الحكمة أن لا تدعه يقرع باب السؤال في مثل ما سأل فيه ، ومن العلوم أن فعل كل أحد يصدر منه على قدر علمه حتى إننا نستدل بإتقان الصنعة وحسن تنميقها على مزيد علم الصانع فإذا فعله تعالى على قدر علمه وعلمه على قدر ذاته وذاته لا نحيط بها العقول فكذلك علمه فكذلك فعله . فتحجب عن الكل ، وتزيدك ههنا أن الوجود كله سلسلة واحدة تتجاذب أجزاؤها وترتبط حكمها وأسرارها على وجه لا يحيط به إلا الله الذي لا تنهاى كمالاته ولا تنحصر معلوماته ولا تفهم أسرارها في مخلوقاته ، لأنها مترابطة وغير متناهية فلم يمكن إدراكها على التحقيق إلا له تعالى ، والفعل الإلهي الذي أتمن بالعلم الإلهي كيف يمكن أن يصل إليه عم البشر القاصر الضعيف .

وإذا رأيت صنعة متقنة فلا يمكن أن تعرف كل ما فيها من الأسرار والدقائق حتى يصير علمك مثل علم صانعها وإلا فهناك ما لم تعلمه ، وعلمك إنما خلق على قدر أفعالك التي تراد منك لا على قدر أفعاله تعالى ، فإن ذلك يعلم عن استعدادك ولا يناسب درجة علمك ، ولكون أسرار الوجود يرتبط بعضها ببعض وهي غير متناهية كانت العلوم لا تقف عند حد أصلا ولا تزل تخرج من شيء إلى شيء ، ويزداد الأول بالثاني وضوحا لما بينهما من النسبة والثاني بالثالث اكشافا ، وهكذا حتى يلوح للناطر في بعض الأوقات ذلك السر البدع وهو أن الأشياء مدبرة معا وأنها ترجع إلى قانون واحد سار في كل المخلوقات .

يلوح له ذلك البرق فيجده قد قذف به في بحر لا ساحل له وعلوم لا نهاية لها، يتشابه موجها وتوالى بروقها ثم تشرق عليه كواكبها فيعشى بصره وسط تلك الأضواء، ويدعش أبسه من مظاهر تلك الحضرة القعساء، فينبأ هو مهوت في ذلك الملوكوت إذ سمع صوتا كأنه سلسلة على صفوان وإذا بمناد ينادى من وراء حجب لجبروت (قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) فلما تجلت له تلك العظمة صار جبل عذله دكا وخر كل شيء فيه صمعا، فاذا أفاق من غشيته وتنبه من دهشته (قَالَ سُبْحَانكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) ثم أنشد:

دع لا اعتراض فما الأمر لك      ولا الحكم في دوران الفلك  
فلا تسأل الله عن فعله      فمن خاض لجة بحر هلك

فعلم إذ ذلك أنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه لو تقدم آتلة لفرق في بحار الأبور واحترق بسبحات الواحد القهار فقال لنفسه . « ليس وراء عبدان قرية » فهنا ينتهى علم الملائكة للقرين وأرواح الصالحين من المؤمنين فرجع أدراجه يطوى اسماء طياء، وقد عزم أن يتبذ من أهل بيته مكانا شرقيا، وعلم أنهم إنما ينظرون إلى الحلقة الأخيرة من سلسلة الوجود وإن نخطوها إلى حد محدود، ثم يقف بصرم الكليل وعقلهم الضئيل فينقطعون أثناء الطريق لا محالة (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) ثم لا يزال ذلك الروحاني الكريم ينزل من سماء إلى سماء ويشاهد من عوالم الملوك والملوكوت ما يعرف وما لا يعرف حتى اذ صار بين الروح والجسد يريد أن يفرع باب العوادم من ذلك العالم إذ لاحت منه التفاتة وهو في ذلك المقام إلى ما بين سماء العمان وأرض المحسوسات فوجد تلك الآية مكتوبة وسط الهواء بحروف من نور تمتد صاعدة إلى السماء ونازلة إلى فرار الماء:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فَأُدْهِشَهُ مَا رَأَى  
وعرف أن الأمر كله لله ، ثم وجد نفسه تشاق الى عالم الكشافة عند ما كاد يقضى  
عليها جمال عالم العلاقة ، فاشتد في قرع باب الفؤاد ودخل في سجن عالم الأجساد وقد  
اضمحل وتلاشى ، ثم رجع الى حده من العلم ومركزه من الفهم فوقف عند الظواهر  
وما تعداها ، بل اقتنع بما وصل اليه من رشايش ذلك البحر وقد نقش على صفحات قلبه  
ذلك الخطاب الإلهي : ( وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) .

### القدرة

فالخلاصة أن الآية مسوقة لبيان عظمة الألوهية في سعة علمها وعدم تناهي  
أسرارها ، وأن ذلك يعلو عن حد الإدراك ويرتفع عن متناول الطاقة البشرية ، فإن  
للإلهية شأنًا آخر لا تدركه العقول ولا تصل اليه الأفهام ، فإنها مقصورة على إدراك  
شؤون الحوادث التي تماثلها ولا تمتدأها الى شؤون الربوبية ، فذلك يتوقف على تناسب  
في الصفات وعناصر في الكمالات ، وإن نسبة علمك الى علمه كنسبة قدرتك الى قدرته  
ونسبة ذاك الى ذاته ، فله في كل شيء من باطن العلم وسر السر ما ليس لنبي مرسل  
ولا ملك مقرب مما يناسبه ويكون على قدره وهو الكبير المتعال ، فليس لك من العلم  
بالأشياء إلا درجة تناسبك وتقف بك عند ظاهرها ، وفوق درجتك درجة من فوقك  
من الخواص الى أن تصل إلى درجة في العلم مختصة به تعالى تناسب الإلهية لا يشاركه  
فيها أحد ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ) وهو من لوازم الإلهية التي تجب لها الوجدانية  
في كل شيء ، وقد نهينا عن الخوض في سر القدر علما منه صلى الله عليه وسلم بأن النفوس  
لا تقف عند الظاهر بالنسبة اليه ، ولا تزال تتطلع للوقوف على باطن الأمر فيه ، وهي  
لا تطيقه لأنه فوق رتبها ، فوقها عليه السلام عند حدها وحظر عليها أن تسير في تلك  
الغياهب لئلا تضللا ميينا ، وقد خلقت العقول على حد محدود كالحواس ، فكما

لا يصح أن تجهد بصرك كي يرى الهواء الذي يدق ويلطف عن رؤية الأبصار ، كذلك لا يصح أن تطمع في أن تكتنه أسرار الأفعال الإلهية كما هي لدى الحضرة العلية ، فسرّه فيما يقضيه وحكمته فيما يفعله على الوجه التام مما يختص بالألوهية ، فلا بد أن تعرف قدرك ولا تتعدى طورك .

من أنت يارسطو ومن أفلاطون قبلك قد تفرد  
ومن ابن سينا حيث هذا م ب ما أتيت به وشييد  
ما أتممو إلا الفسرا ش رأى السراج وقد توفد  
فدنا فأحرق نفسه ولو اهتدى رشدا لأبعد

وقد قيل لا ياس — وهو الذي تضرب يدكائه الأمثال : « ما رأيك في القدر » ؟  
فقال . « رأي رأي ابنتي » وإنك لتلمس من كلمته هذه كلمة الرجل الساذج الذي لا يزيد علمه على علم ابنته برهاناً سطوا على ذكائه حيث لم يتعد طوره ، ورحم الله امرأ عرف قدره .  
هذا مع العلم بأن الفعل في حجاب عن العقول كالذات والصفة ، فكما لا تعرف كنه ذاته لا يمكن أن تعرف كنه صفاته ولا كنه أفعاله وهي لوازم مرتبة ، ومع العلم بأن أسرار الوجود يرتبط بعضها ببعض على تدبير عجيب وأسلوب غريب وأنها لا تتناهى ، فإذا لا يمكنك أن تعرف ما هو الفعل ولا كيف يكون الفعل لأن ذلك من الخفاء بمكان الصفات ورتبة لذات على ماحققناه ، ولا أن تعرف سر الفعل على التحقيق لما عرفت من أن درجتك لا تسمح لك بذلك ، وأن اكتناه الأشياء بما لا غاية وراءه من خصائص الألوهية ، ولما علمت أيضاً من أن أسرار الوجود متجاوزة وغير متناهية ، ولا قدرة لك على ما لا يتناهى . هذا .

ولك أن تجعل الآية الواردة في خصوص سر القضاء والقدر الذي سبق لك ذكره ، فهو لا يسأل عما يفعل لا لمزيد القهر والاستيلاء ، ولا لوجود المبت وعدم الحكمة ،

( نَمَّا لِيُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَُ عَلُوًّا كَبِيرًا ) بل لرحمته بك كي تقف عند حدك حيث لم تكن مستعدا لفهم الجواب ولوصول الى ما تنوق اليه نفسك التي تريد أن تتجاوز درجتها وتتمدى غايتها

يوسف المجهول  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## النظر في الملح

قال بعض الحكماء : لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلى ، ولا المروءة فتشمت بك الأعداء . قال الشاعر :

من فارق الصبر والمروءة      أمكن من نفسه عدوة

\*\*\*

رأى إياس بن قنادة شبيبة في لحية فقال : أرى الموت يطلبني وأراني لا أموته ، اللهم إني أعوذ بك من بقاء الأمور وبغنائ الحوادث . يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي . ولزم بيته صائما قائما . فقال له أهله : تموت هرا . فقال : لأن أموت مؤمنا مهزولا ، أحب إلي من أن أموت منافقا سميما .

# النفس

سورة الملك

٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تباركت أسماؤه : ( وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا <sup>(١)</sup> بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا <sup>(٢)</sup> لِلشَّيَاطِينِ . وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ . وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَرَبُّنَا الْمَعِيرُ ) .

قد أقام الله عز وجل لعباده في الآية السابقة الدلائل القاطعة بالدق بقدرته التامة وعلمه المحيط ، فإن السموات السبع تدل على ذلك دلالة يتعاضى عنها المتشككون الملهدون ، ويُبصرها الموقنون الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ويقولون : ( رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُحَابًا فَفَنَّا عَذَابَ النَّارِ ) .

دلت السموات السبع على ذلك دلالة بينة من عدة جهات : من جهة أنها قِيَّتْ في جَوْءِ الهواء معققةً بلا عمادٍ تقوم عليه وترتكز ، ولا سلاسل تستمسكُ بها وترتبط ، ومن جهة أن كل سماء منها قد اختصت بمقدار معين لا تزيد عليه ولا تنقص ،

(١) أى القربى إليها . اسم تعظيم من الدو بمعنى القرب . (٢) جمع رحم بفتح الجيم وهو الحجارة ونحوها مما يرجم به . (٣) أعددتا وهياتا .



ولا يعترها خلل ولا وهن على مرّ الدهور والمصور ، ومن جهة أن كل واحدة منها قد اختصت أيضا بحركة خاصة مقدّرة بقدر معين من السرعة والبطء الى جهة معينة لا تتعداها ولا تنحرف عنها ذات اليمين ولا ذات الشمال ، ومن جهة براءتها من كل تفاوت في خلقها ، وسلامتها من كل فطور وعيب ونقص وسائر ما يتنافى العلم الأكمل والحكمة البالغة .

ثم إنه تعالى أردف دليل القدرة والعلم وبراءة السموات من كل عيب بدليل ثانٍ مثبت لها أيضا ، وبشاهد شهادة صدق بأن السماء مع براءتها من العيوب قد خلقت خلقا هو نهاية الحسن والبهاء ، وذلك من جهة أن هذه الكواكب لكونها متحدّة ومختصة بمقادير خاصة ومواضع معينة وسير معين ، تدل على أن من أخذها وصنعها هذا الصانع قادر غاية القدرة لا يُجزّئه شيء ، ومن جهة كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد وزينة لأهل الدار الدنيا وسببا لانتفاعهم بها ، تدل على أن صانعها قد أبدعها وأحسنها على مقتضى العلم الشامل الصحيح .

ثم إنه يهدين الدليلين اللذين أقامهما الله جل ثناؤه على قدرته التامة وعلمه المحيط وحكمته البالغة قد ثبت استحقاقه سبحانه للتبارك ، وأن بيده الملك منفردا به لا يزاحمه فيه مزاحم ، وأنه على ما يشاء قدير . ومن هذا يتضح لك أن الكلام لا يزال متصلا تمام الاتصال بفاتحة السورة ، وهي قوله تعالى : ( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) هذا .

قد طهر لك مما قدمناه أن الله تعالى بمدّ أفق نبي عن السموات كل تفاوت وأثبت سلامتها من كل خلل ونقص ، أتبع ذلك بأنه خلقها خلقا هو غاية الزينة والحسن والرواء ، فكان تقدير الكلام هكذا ( وللقرآن الكريم المثل الأعلى ) : لقد خلقنا السموات منزهة عن كل عيب ، ( ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ) .

ثم نقول: السماء الدنيا من الدنوّ وهو القرب، فهي أقرب السموات إلينا بالنسبة إلى ما فوقها من السموات. ثم إن تزيين الله تعالى لها هو خلقه لها على هذا المنظر الرائع، وإيجادها على هذا الإحكام البديع. تفضل الله الكريم على عباده بخلق لهم هذه الأرض مستقرًا ومتنًا إلى حين، ثم جعل لها السماء سقفًا محفوظًا وأمسكها بقدرته أَنْ تَزُولَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، ثم أتم فضله عليهم ونعمهم فجعل هذا السقف ورثته بتلك المصاييح، وهي الكواكب المضيئة الثلاثمائة التي تثرها على سطح السماء وأرجائها على ما اقتضته الحكمة الإلهية ووافق مصالح المباد ومرافق الحياة.

وقد اقتنى الناس هذه السنة الإلهية، وهي تزيين الله لهم سقف الدار الدنيا التي جعلها مسكنًا لهم، فزيناها بسقوف بيوتهم بأنواع الشرج وأصناف المصاييح، وتنافسوا في اختراع أشكالها والتفنن في أوضاعها وزخرفتها وفيما يتغذونها منه، بل إنهم زينوها بصور الكواكب السماوية صغيرها وكبيرها، وبصورة منطقة فلك البروج، بل وبالسحاب المسخر بين السماء والأرض، ولكنهم طوّح بهم الإسراف والبذخ وحب الفخر والمباهاة إلى اتخاذها من الفضة والذهب وغيرها من الثمائن، وأنفقوا في سبيل ذلك من أموالهم وأموال أمهم ما كان يجب إنفاقه في الوجوه النافعة من المصالح الخاصة والعامة، فخرجوا عن سنة الله الحكيم التي زعموا الاقتداء بها، وكالوا بذلك من المبذرين، و(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ).

قد اشتملت هذه الآية الكريمة صراحةً على حكمتين عظيمتين في خلق كواكب السماء الدنيا، كما اشتملت آيات أخرى صراحةً على حكمة نالته وهي الاهتمام بتلك الكواكب كقول الله تعالى: (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) وقوله: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ).

وإنما قلنا إن هذه الآية الكريمة قد اشتملت صراحة على حكيتين ، لأنها أيضا قد اشتملت على الحكمة الثالثة المذكورة صراحة في الآيات الأخرى ، وهي لاهتداء بها ، ولكن على سبيل التلويح لا التصريح .

وبيان ذلك أن الله تعالى قد عبر هنا عن النجوم بالمصاييح وهي مأخوذة من الصَّبَاح الذي يَسْلُخُ ظلامَ الليل وسواده عن ضوء النهار ويُبَارِضُهُ . وعلى ذلك تكون هذه الآية قد اشتملت على الحِكَمِ الثلاث ، ثنتين نصريحا وواحدة تلويحا .

ولهذا قال قتادة رضى الله عنه في تفسيرها : إن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجومَ لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء الدنيا ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يُهْتَدَى بها ، فمن يتأول منها غير ذلك فقد قل برايه وأخطأ حفظه وأضاع نصيبه وتكَلَّفَ ما لا علم له به .

قلنا : وقد أراد قتادة رضى الله عنه بالتأولين هؤلاء الذين جهلوا أو تجاهلوا الله لدى صنْعِ النجوم وخلقها زينة ورجوما وهداية ، وانحرفوا صَنَمَهُ هذا وهو النجوم شركاء معه ، فعبدوها وجعلوها بزمهم نصيبا من التصرف والتأثير والمحو والإثبات في الكون مع الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

قد ذكرتنى هذه الحكمة الإلهية ، وهي خلق الله سبحانه لكواكب السماء الدنيا زينة لها وبهجة للناظرين ، حادثة حدثت بمَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنى - سافرت مرة الى الاسكندرية وكان يجانبى أسرة مسافرة أيضا اليها ، فلما أشرقت عليها في الليل وكان الظلام حالكا والجو صَحْوًا ، وَأَنْصَرَ القومُ مصاييح المدينة منتشرة في بيوتها وطرقها ، تَنَادَوْا وَنَصَابَحُوا أَنِ انظروا الى هذه المصاييح المنيرة والأضواء المتألقة ، ما أَعْجَبَهَا وما أَحْسَنَهَا زينة تَسُرُّ الناظرين ، إلى غير ذلك من كلمات الإعجاب والاستحسان .

أما أنا فقد عَجِبْتُ من القوم إِذْ رَأَيْتُهُمْ قَدْ أَهْلَامُ صَنَعُ المَخْلُوقِ الحَقِيرِ عَنْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا صُنْعَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ . وَلَوْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ إِلَى مَا فَوْقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ ، وَقَلَّبُوا أَبْصَارَهُمْ وَأَجَالُوا بِصَارْتِهِمْ فِيهَا حَوَاتِهِ أَفْعَارُهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ بِالثَّلَاثَةِ الْأَنْوَارِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمَقَادِيرِ وَالْأَضْوَاءِ وَالْأَوْضَاعِ وَكُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ ، لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَبَ الْعُجَابَ مِمَّا حَارَتْ فِي صُنْعِهِ وَإِبْدَاعِهِ بِصَارِ أَوَّلَى الْأَلْبَابِ ، ثُمَّ قُلْتُ : تَقْدَرُ صَدَقَ اللَّهُ بِدِيْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِذْ يَقُولُ : ( قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَمَا تُنْفِى الْأَيَّاتُ وَالتَّذْذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ) ويقول : ( وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ) .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَصَابِيحَ الَّتِي هِيَ الْكَوَاكِبُ النِّيرَةُ الَّتِي زَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، بَعْضُهَا فِي السَّمَاءِ الْمَذْكُورَةِ وَبَعْضُهَا فِي السَّمَوَاتِ الَّتِي فَوْقَهَا كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ لِلْبَاحِثِينَ بِالنَّظَرِ وَالرَّصْدِ ، وَلَكِنْ وَجُودُ بَعْضِهَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَبَعْضُهَا فِيهَا فَوْقَهَا لَا يَمْنَعُ أَنْ تَكُونَ كَأَنَّهَا زِينَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كَوْنَهَا زِينَةً لَهَا مَرَامِىٌّ فِيهِ مَا يَتَرَكَمُ لِلنَّاضِرِينَ ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهَا كُلَّهَا كَأَنَّهَا جَوَاهِرُ قَدْ سَطَعَتْ أَنْوَارُهَا وَتَأَلَّفَتْ أَضْوَاؤُهَا ثُمَّ دُصِّعَتْ فِي سَطْحِ السَّمَاءِ لَدُنْيَا بِكَيْفِيَّةٍ بَدِيعَةٍ عَمَكَةٍ وَوَضَعَ رَاقِي رَائِعَ ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) .

عَلَى أَنْ مَنَظَرَ الْكَوَاكِبِ الْمَذْكُورَةِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ كَأَنَّهَا فِي سَطْحٍ وَاحِدٍ ، قَدْ عَرِّدْنَا مِثْلَهُ كَثِيرًا ، فَإِنَّ الْمُرْتَبَاتِ كَالْأَشْعَارِ مِثْلًا إِذَا كَانَتْ بِعِيدَةٍ مِنَ الرَّائِي وَكَانَ بَعْضُهَا خَائِفَ بَعْضٍ فَإِنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ بُعْدِهَا أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ فِي صَفِّ وَاحِدٍ .

ثُمَّ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ بَعْدَ أَنْ يَبِينَ مَا فِي هَذِهِ الْكَوَاكِبِ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَهِيَ زِينَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِيَتَمَتَّعَ الْعِبَادُ بِمَحْسَنِ مَنَظَرِهَا وَبِهَجَةِ مَرَّآهَا ، وَكَوْنِهَا مَصَابِيحَ لَامِعَةً مُشْرِقَةً

يهتدون بها في ظلمات البر والبحر ، فَوَيْ عَلَى ذَلِكَ بَيَان مَا فِيهَا مِنْ دَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْمُنَاسِدِ  
الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ لِلسَّمْعِ فَقَالَ : ( وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ) أَيْ جَعَلْنَا  
هَذِهِ الْمَصَابِيحَ مَعَ كَوْنِهَا زِينَةً وَأَعْلَامًا لِلْهُدَايَةِ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ .

قَدْ يُفْهَمُ مِنْ ظَهَرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الشَّيَاطِينِ يُرْجَمُونَ بِنَفْسِ أَجْرَامِ هَذِهِ  
السُّكُوكِبِ ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ اتِّقَالَهَا وَخُلُوقَ مَوَاضِعِهَا مِنْهَا ، فَذَا قُرِضَ ذَلِكَ فَمَاذَا يَكُونُ  
مِنْ أَمْرِهَا بِنِهَايَةِ الرِّجْمِ ؟ أَعُودُ كَمَا كَانَتْ أَمْ نَصِيرُ مَوَاضِعَهَا خَالِيَةً ؟

نَقُولُ : إِنْ هَذِهِ الْآيَةُ قَدْ فُسِّرَ الْمُرَادُ مِنْهَا آيَاتٌ أُخْرَى ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَلَقَدْ  
جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَاجِمٍ .  
إِلَّا مَنْ شَرَّقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ) وَقَوْلِهِ : ( إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ  
السُّكُوكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَاتٍ إِلَّا عَلَى  
وَيْفَاقٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا <sup>(١)</sup> وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ <sup>(٢)</sup> إِلَّا مَنْ خِطَفَ  
الْخُلُفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ) وَقَوْلِهِ حِكَايَةً لِقَوْلِ الْجِنِّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ( وَأَلَسْنَا  
السَّمَاءَ فَوْجَدًا نَاهَا مِثْنَتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَلَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ  
فَمَنْ يَسْمَعُ إِلَّا نَحْنُ بِأُصْحَابٍ ) .

وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الشَّهَابِ فِي الْأَصْلِ هُوَ الشُّعْلَةُ الْمُقْتَبَسَةُ مِنَ النَّارِ مَعَ قَهْرِ  
النَّارِ نَائِبَةً فِي مَكَانِهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ : ( ائْتِكُمُوهَا إِلَى  
وَأَنْتُمْ <sup>(٣)</sup> نَارًا سَاطِعَةً مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ أُنَيْسُكُمْ ) بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَلَّسَكُمْ  
تَصْطَلُونَ <sup>(٤)</sup> ) أَيْ بِشُعْلَةٍ مُقْتَبَسَةٍ مِنَ النَّارِ الَّتِي آتَتْهَا ، وَعَلَى هَذَا فَلِشَّهَابِ الْمَرْجُومِ

(١) طَرْدًا وَإِمَادًا . (٢) دَائِمٌ . (٣) أَيْ لَا يَسْمَعُ إِلَّا الشَّيْطَانُ الَّذِي تَمِيعُ الْكَلِمَةِ مِنْ  
الْمَلَأَكَةِ فَاتَّخَذَهَا بِسْرَعَةٍ . (٤) أَهْرَتْ . (٥) نَسْتَمْعُونَ .

منفصل من نار الكوكب وهو قار في فَلَكِهِ على حاله ، كقبس النار يؤخذ منها وهي باقية لا تنقص ولا تنفصل عن مكانها ، وذلك مسوغ لتسمية الكواكب بالرجوم .  
ثم إنه ليس في آيات ولا في الأخبار ما هو نص في أن الشهب لا تكون إلا لرجم الشياطين المسترفين للسمع ، فيجوز حينئذ أن يكون منها ما هو ناشئ عن الحوادث الجوية ، وما أوتي الناس من العلم إلا قليلا .

ثم علم أن هذه الشهب المنقضة من الكواكب ، كانت موجودة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم زمن الجاهلية وقبله كزمن سيدنا عيسى عليه السلام . ويدل على ذلك جملة أمور - منها قوله تعالى : ( وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ) ألا ترى أنه سبحانه ذكر في بدء خلق الكواكب فائدتين ، وهما التزيين ورجمُ الشياطين . ومنها أن الناظرين في أحوال الكواكب من المتقدمين قد تكلموا في انقضاؤ الشهب وأسبابه . ومنها أن وصف هذا الانقضاؤ قد جاء في شعر أهل الجاهلية قبل البعثة .

فدل ذلك على أن الشهب كانت موجودة قبل المبعث ، لكنها زِيدَتْ بعده وجُعِلَتْ أَكْلَ وَأَكْثَرُ وَأَقْوَى . وهذا هو الذي يدل عليه لفظ القرآن العظيم ، لأنه حكى عن الجن في شأن الشهب قولهم : ( فَوَجَدُوهَا مَمْلُوءَةً حَرًّا شَدِيدًا وَشُهُبًا ) وهذا كما ترى يدل على أن الذي حدث بعد المبعث الحمدي ، هو الملة والكثرة والقوة ، وأما أصل الحرس والحرس فإنه كان قبل ذلك . وكذلك حكى عنهم في شأنها قولهم : ( وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ) أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب صالحة للاستراق والاستماع ، ولكن الآن أي بعد المبعث قد مَلَأَتْ المقاعد كلها .

قلنا لك فيما سبق . إن قول الله جل ذكره . ( وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ )  
 بيان لما في مصاييح الزينة من دفع لمضار والمفاسد المترتبة على استراق الشياطين  
 للسمع وتوضيح ذلك نقول : إن مثل الشياطين الذين يسترقون السمع ، كمثال  
 لحديث المفسد من الإنس ، الذي يتسمع إلى حديث الناس ويتسقط أخبارهم وأسرارهم  
 وهو على تحوُّفٍ وحذرٍ من أن يشعروا به ، فهو إن سَمِعَ كَلِمَةً فَتَتَّكِلُ عَلَيْهَا ، وإن سَمِعَ  
 جَلَّةً سَمِعَهَا نَاقِصَةً فَاسِدَةً الْمَعْنَى أَوْ مَعْكُوسَةً لِمَرَادِهَا ، ولهذا عبر الله تعالى عن هذا  
 العمل الشيطاني الناقص بالاستراق في قوله . ( إِنْ لَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ) وبالمخطف  
 في قوله : ( إِنْ لَّا مَنِ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ) ثم إنه بعد ذلك خطبه وسوء قصده ينقل ما سمعه  
 على هذا لوجه المشوِّه الباطل وبذيله بين الناس بعد أن يضيف إليه فنونا من الأَكْذِيبِ  
 وضروبا من الأَبْطِيلِ ، وكل ذلك قصدا إلى تضليل الناس وصرفهم عن سبيل الرشاد ،  
 وغراما بانتشار الفساد .

على أن ستراق الشياطين للسمع أشد من ذلك ضررا وأُنْكَى أثرًا وأَسْوأ ثأورا ،  
 وذلك أن من ينحو منهم من رجم الشهب بفراره يتسلط بوسوسته على ضِعَافِ العقول  
 الذين فسدت فطرتهم فيوهمهم أن ما يقذفه في قلوبهم من الأَكْذِيبِ والتُّرَّهَاتِ هو  
 من علوم الغيب السماوية التي تلقاها عن الملائكة الأعلى زعمه ، ولكن الله تعالى قد  
 أخبرنا أن الشياطين كاذبون في كل ذلك ، كما قال في إثبات صدق القرآن العظيم : ( وَمَا  
 نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ . إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُونَ )  
 وقال : ( هَلْ أَنْبَأُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ . نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَقُولُونَ <sup>(١)</sup>  
 السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ) .

(١) أي يلقى الشياطين ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة وأكثر هؤلاء الشياطين كاذبون . والآية مختل

تَنَزَّلُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ الْمُسْتَغْفِرُونَ لِلسَّمْعِ عَلَى أَوْلَئِكَ الْأَقَاكِينِ الَّذِينَ  
 هُمْ أَئِمَّةُ الضَّلَالِ مِنَ النَّاسِ ، فَيُوسُوسُونَ لَهُمْ مَا يُفْتَرُونَ ، وَيُؤْذُونَهُمْ أَزًّا بِمَا يَخْتَرِعُونَ ،  
 فَيَتَلَقَّوْنَ عَنْهُمْ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ ، وَيَتَقَبَّلُونَ مِنْهُمْ تِلْكَ الْأَكَاذِبَ ، ثُمَّ يَبْلَغُونَهَا إِلَى  
 جُنُودِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمُ الْجَهْلَةَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ أَئِمَّةً يَشْرَعُونَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ،  
 فَضَاوَا بِذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِمَّنْ أَغْوَوْهُمْ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ .

كل هذا من آثار استراق كَذِبَةِ الشَّيَاطِينِ لِلْسَّمْعِ ، وهو كما نرى إخراج للناس  
 من الهدى إلى الضلال ، كما قال سبحانه : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ <sup>(١)</sup> )  
 يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ) ، وحَشَرَهُمْ فِي مَوَاطِنِ الْجَهْلِ وَيُؤْذِرُ الْفُسَادَ ،  
 وَسَوَّقَهُمْ إِلَى التَّرَدَّى فِي مَهَادِي الْخَبَائِثِ وَغَشْيَانٍ مَا يَسْتَوْجِبُ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَمُوتُهُ عَلَيْهِمْ وَغَشٌّ قَبِيحٌ لَهُمْ ، وَتَلْيِيسٌ عَلَيْهِمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ،  
 وَتَحَايِطٌ عَلَى الرَّسُولِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ ، وَتَعْطِيلٌ لِّسِيرِهَا وَنَشْرُهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ ، وَصَدُّ  
 لِلنَّاسِ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

قد أخبرنا الله تباركت أسماؤه بِخَبَايَاتِ أَوْلَئِكَ الشَّيَاطِينِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ،  
 وَحَدَّرَنَا أَنْ نَفْتَرَّ بِمَا يَزُخَرُفُوهُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمَوَّهَةِ ، وَأَنْ نَطِيعَهُمْ فِيمَا يَنْزَعُونَ  
 وَيَخْتَدِعُونَ بِهِ ضُعَفَاءَ النُّفُوسِ مِنَ النَّاسِ ، كَمَا أَخْبَرَنَا أَيْضًا أَنَّ أَوْلَئِكَ الشَّيَاطِينِ قَدْ  
 اتَّخَذُوا لَهُمْ جُنُودًا وَأَعْوَانًا مِنَ الْإِنْسِ يَرْوِّجُونَ مَا يُوسُوسُونَ لَهُمْ بِهِ ، وَيَنْشُرُونَهُ بَيْنَ  
 أَتْبَاعِهِمْ وَمَرْضِيَّتِهِمْ مِنْ جَهْلَةِ الْإِنْسِ ، فَيُحِيطُونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَيُخَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ  
 مَا أَحَلَّهُ لَهُمْ ، وَيَشْرَعُونَ لَهُمْ مَا يُوَافِقُ الْأَهْوَاءَ وَالْمَطَامِعَ ، لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ حَسَابًا وَلَا  
 عِقَابًا ، وَلَا لِلْعَقْلِ وَالْعَقْلِ نَقْدَ وَلَا عِتَابًا ، وَلَا يُقِيمُونَ لِلنَّصَاحَةِ الْخَالِصَةِ وَالْمَوَاعِظِ الصَّادِقَةِ  
 وَالْمَعْرِيسِ وَسُوءِ الْمَوَاقِبِ وَزُنَا .

(١) مأخوذ من الطيَّان . يطلق على الواحد وغيره . وهو كل رئيس في الضلال .



أخبرنا الله تعالى بذلك في كثير من الآيات، فمنها قوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ  
كَيْفٍ عَذَابَ شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)  
وقوله: (وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذَوْهُمْ  
وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) وقوله: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ  
لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)

وقال: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ رِزْقِي مِنْ رَسُولٍ)  
وقال: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ).

يَدْعِي أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ مَعْرِفَةَ الْغُيُوبِ وَمَا يُكِنُّهُ الصُّدُورُ، وَهِيَ فِي ذَلِكَ فَرِيقَانِ.  
فَأَمَّا الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يَوْمَ النَّاسِ أَنْ عِلْمُهُ بِذَلِكَ فَيَمِضُ أَفَاضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ لَتَقْوَاهُ  
وَقَرِيبَهُ مِنْهُ، وَهُوَ فِي دَعْوَاهُ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَإِنَّ التَّقْوَى قَدْ بَيَّنَّهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْهَا  
بَرَاءٌ، كَمَا يَبَيِّنُ أَنَّهُ لَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ إِلَّا أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ  
اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ).

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْجَدِيدُونَ بِأَنْ يَكْرِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَامَاتٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنْ يُعَلِّمَهُمُ  
مِنْ غَيْبِهِ عِلْمًا، لَا أَوْلَئِكَ الْجَاهِلُونَ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا تِلْكَ الْبِدْعَ الْمُنْكَرَةَ الْفَاسِقَةَ وَلَقَنُوهَا  
أَتْبَاعَهُمْ، وَأَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّهَا مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ وَشَارَاتِهِ<sup>(١)</sup>، فَأَخَفَوْا بِذَلِكَ فُضَائِلَهُ وَرَأَى  
رِذَائِلَ مَبْتَدِعَاتِهِمْ، وَشَوَّهُوا مَحَاسِنَهُ وَمَثَّلُوا بِهِ شَرًّا تَمْثِيلًا، وَأَضَعَفُوا ثِقَةً كَثِيرًا مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ بِهِ، وَصَيَّرُوهُ سُبَّةً وَمُضْغَةً مَعِيفَةً<sup>(٢)</sup> فِي أَقْوَامٍ لَا يَدِينُونَ بِهِ (وَسَوْفَ  
يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

وَأَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي فَإِنَّهُمْ اتَّبَعُوا طَرِيقَ مَنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ مِنْ كُهَّانٍ جَاهِلِيَّةٍ وَغَيْرِهِمْ،  
فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ عُلُومَ الْغَيْبِ يَتْلَقُونَهَا مِنْ يَسْمُونِهِمُ بِالْجِنِّ أَوِ السَّادَةِ أَوِ الْأَرْوَاحِ  
أَوِ الْمُخَلَّدَاتِ الَّذِينَ يَتْلَقُونَ تِلْكَ الْعُلُومَ مِنَ السَّمَاءِ فِي زَعْمِهِمْ ثُمَّ يَهَيِّطُونَ بِهَا عَلَى قُلُوبِ  
أَوْلَئِكَ الْمُشْعُوزِينَ الْخَادِعِينَ.

لِهَذَا الْفَرِيقِ طَوَائِفٌ وَشُعَبٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَلَهُمْ جَمِيعَا طَرِيقِ وَحِيلٍ وَتَوَهُّمَاتٍ وَفِرَاسَاتٍ  
فِي لَذَنِ يَقْصِدُونَهُمْ لِاسْتِطْلَاعِ الْغَيْبِ كَمَا يَزْعُمُونَ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَحَرُوا

(١) علاماته وأماراته. (٢) مكرومة.

أَعْيَنَ النَّاسَ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ، وَغَشَّوْا عَقُولَهُمْ وَغَشَّوْهُم بِمَا أَدْعُوهُ مِنْ تَلَقُّي أَخْبَارِ السَّمَاءِ  
عَنِ الشَّيَاطِينِ ، وَبِمَا أَحْكَمُوهُ كُلَّ الْإِحْكَامِ مِنْ زُخْرَفِ الْقَوْلِ وَأَسَالِيْبِ الْخُدَاعِ وَالْمَكْرِ ،  
حَتَّى قَصَدَهُمُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ فِجٍّ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ ، وَلَا بَيْنَ عَالَمٍ وَجَاهِلٍ ،  
فَأَصْبَحُوا لَدُنْكَ فِي عِزٍّ بَعْدَ مَهَاةٍ ، وَفِي نِبَاهَةٍ بَعْدَ خُمُولٍ ، وَفِي ثَرْوَةٍ بَعْدَ فَقْرٍ . وَالْمَعْجَبُ  
أَنْتَ لَا تَزَالُ تَرَى النَّاسَ يَتَسَابِقُونَ وَيَتَدَافِعُونَ فِي التَّرَاسِي عَلَى أُبُوَابِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ ،  
وَيَتَبَدَّرُونَ فِي التَّقَرُّبِ وَالتَّزَاوُفِ إِلَيْهِمْ يَبْذُلُ الْمَالُ وَالسَّخَاءُ بِمَا يَسْتَطِيعُونَ ، مَعَ ظُهُورِ  
كَذِبِ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَالِينَ وَاشْتِغَالِ الْحَاكِمِ كَثِيرٍ مِنْ قَضَايَا غَشَمِهِمْ وَخُدَاعِهِمْ .

وَمَا أَوْقَعَ هَؤُلَاءِ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْمَهَالِكِ وَاسْتَحْقَاقِهِمْ سَخَطَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ إِلَّا  
انْتِهَالُهُمُ التَّقْوَى وَدَعْوَاهُمْ عِلْمَ الْغَيْبِ ، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تَنَزَّلَتْ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ، مَعَ  
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ كَوَاكِبَهَا رِجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ، وَبَيْنَ حِكْمَةِ الرِّجْمِ بِهَا فِي قَوْلِهِ :  
( لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِ الْمَلَا أَلَّا تَعْلَى وَيَقْذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَبَابٍ دُحُورًا <sup>(١)</sup> ) وَقَوْلِهِ :  
( إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْأَخْطَفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ) فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ  
اسْتِرَاقِ السَّمْعِ وَمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَكَانُوا مَعَ وَأَشْيَاءَهُمْ مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسِ  
مِنَ الْجَاهِلِينَ الْمُفْتَرِينَ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ أَنْ يَبِينَ عِقَابَ الشَّيَاطِينِ الْمُسْتَرْقِينَ لِلْإِنْسِ فِي الدُّنْيَا ، أَرَدَفَهُ  
بِبَيِّنَاتٍ عِقَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ . ( وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ) أَيْ جَعَلْنَا هَذِهِ  
السَّكَاكِبَ رِجُومًا لِلشَّيَاطِينِ الْمُسْتَرْقِينَ لِلْإِنْسِ وَرَحْمَةً مِمَّا فِي الدُّنْيَا بِالْفِعْلِ ، وَأَعْتَدْنَا  
وَهَيْئًا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ إِحْرَاقِهِمْ بِتِلْكَ الشَّهْبِ عَذَابَ الْمَارِ الْمُسْقَرِّ الْمُنْتَهَبِ الَّتِي  
هِيَ فِي غَايَةِ الْأَثَادِ وَالْإِحْرَاقِ الشَّدِيدِ .

ثم إنه سبحانه بعد أن أخبر بما أعدّه لمؤلاّ الشياطين من عذاب الآخرة إخباراً خاصاً بهم عاد فدكر أنهم بفعلهم هذا صاروا كافرين ، وأخبر إخباراً عاماً بما أعدّه لهم ولنغيرم عن كفر كفرهم وعمل عملهم فقال : ( وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ) . أما جهنم فهي تلك الدار التي هيأها الله بعدله لعقاب العصاة من عباده في الآخرة ، وقانا الله منها بفضلّه ، وهي في اللغة المكان العميق بعيد الفؤور . ومن ذلك قول العرب : **بُئْرُ جَهَنَّمَ** <sup>(١)</sup> أى عميقة غائرة . فالمعذاب في هذه الدار البشعة الموحشة هو الجزاء العدل المدّخر في الآخرة للشياطين والانس الذين كفروا بالله الذى ربّى أرواحهم بأحكام دينه القويم ، كما ربّى أبدانهم بما تفضل به من الصحة والأمن والطيبات من الرزق .

ثم انظر بعد ذلك الى ما فى نظم الآية الكريمة من نهاية البلاغة والإبداع ، ألا ترى أنه قدّم فيها أولاً بيان الذنب القبيح الذى جنّاه الشياطين والانس وهو الكفر بالله الذى رباهم ، ليكون ذلك التقديم إشعاراً للسامع من أول الأمر بجنّس الجزاء المدّ لهم ، بل ويكون أيضاً مدّعاة للسامع أن يحكمّ عليهم من تلقاء نفسه بالجزاء المكافئ لجريمة كفرهم برّبهم سبحانه . فلماذا كان تقدير الكلام كأنه قيل : إن كفرهم برّبهم قد أوقعهم فى عذاب جهنم ، وكانت جهنم مصيراً لهم ، وبئس المصير والمآل جهنم ( لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا . كَذَلِكَ يَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ) .

عسره منصور

وكيل مدرستى القضاء الشرعى

ودار العلوم سابقاً

(١) معروف لأنه هنا غير علم .

## الربا

الربا في الجاهلية والاسلام — الربا في نظر الشارع وفي نظر الفقهاء

الربا في نظر الأمم وفي نظر الأفراد

.....

أسلفنا في العدد الماضي كلمة في الربا ، ومضى بنا القول الى تفسير آية الربا في سورة البقرة ، وإنا بعمون الله تعالى متو الكلام فيها ثم منتقلون الى تفسير آية الربا في سورتي آل عمران و لروم ، ثم راجعون الى ما يقوله المتسكون هذه المعاملة القاسية على البشر أجمع ، نفند شبههم بعد بسط كلامهم الذي يقولون واستيفاء كل ما يحكم عليهم من شبه وترهات ، ثم رجع الى شرح مضاره بعمون الله والله المستعان :

قال تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ).

تأمل في هذا التنويع العجيب في التفسير من هذه المعاملة المقوطة ، وذلك لما علقت بنفوس الناس واشتد تمسكهم بها على ما فيها من ضرر بهم ، وذلك أن دواعيها متوافرة من الطرفين : فمن جانب المقرض شدة تطلعه لإحراز المال في يده ، وسعة أمانيه فيما يجره عليه من منفعة أو لذة عاجلة ، وفيما يدره عليه للمستقبل من وسائل السداد التي لا تلبث أن تنكشف عن أوهام وخيالات يتبهما ارتباكات واضطرابات ثم بدم وغيط ينقلب الى حقد وكرهية وعداوة دونها كل عذوة . ذكركي وأنا بأسويط أن رجلا من المرائين بها بلغه أن أحد عملائه السابقين الذين خربت بيوتهم بالربا — وقد كان ذا ثروة عظيمة — يفكر في قتله انتقاما منه لثروته التي ضاعت وبيته لدى أهله وركنه الذي انهى ، فقال له بلغني يا فلان أنك مقتاط مني وتسكر في قتلي ، ولكن هل أنا أخذت منك شيئا قهرا عنك ؟ أليس كل ما أخذته منك طبق الشروط

التي ارتضيتها وأمضيت عليها بعد ما فهمت معناها؟ فقال من خرب يته بعد أن ضحك  
 تلك الضحكة التي تمرى من أكل الغيظ والحق قلبه : وهل أنا طفل حتى أقتلك ؟  
 أنا اذا قتلتك أرحتك فلا تشعربى بقاسيه من آلام الخراب والعدم ، ولكنى اذا  
 أردت أن أقتل فإنى أقتل ابنك الوحيد لتعرف أن أموالنا التي نهبتها ودماها التي  
 استنزفها ضائعة من يدك لا محالة لى أشد الناس عداوة لك وعم أقاربك هؤلاء الذين  
 تصارحهم ويصارحوك العداوة والبغضاء وتبادلهم لخصومة والمقاضة دائما أبدا . وم  
 كان اتعاط الناس يوم مات وحيد ذلك المرأى : وذكرت هذه المحاورة تناسبه وفاته  
 ولكنها عظة وقتية ، وم من عظاات بالغات تهتز لها الأعصاب كما تهتز أوراق لأشجار  
 وأغصانها لطوب الرياح ثم تعود لسكونها .

ومن جانب المقرض شرهه على جمع المال ولاستزادة منه مع خلوده الى السكينة  
 وعدم نفعه المجتمع بالمضاربة فيما ينفع الناس ، وجلب ما يدعو اليه الحاجة مما ينتفع به  
 ذاته لا ما يكون وسيلة الى النفع ؛ نعم قد أراح المرأى نفسه من التفكير فيما يحتاجه  
 الناس وما يروج عندهم وانتقاء ما يروق لهم ويوفق أذواقهم والتعرض للتقلبات التجارية  
 التابعة للمهارة فى انتقاء لأصلح وإن كانت خاضعة أيضا لأسباب إلهية ، فهى هذ  
 الاعتبار قرينة الزراعة والصناعة وأمثالها مما فيه خدمة للناس حقيقية ، ومما يعتمد على  
 إجادة العمل فيما يقدر عليه ، ثم الرجوع الى الواحد القادر فيما يخرج عن طوق قدرته ،  
 فهى فى طى قوله تعالى : (لِرَجَالٍ نَّصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا  
 اكْتَسَبْنَ وَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ فَضْلِهِ) على ما سبق لنا فى تفسيرها فى عدد ماض من  
 أنها تدينه للناس على ما ينبغي أن يسلكوه فى طلب الرزق من اللأا الى إجادة الأعمال  
 دون التعلق بالأمانى والآمال ، ثم الرجوع الى الله فى المآل وابتغاء فضله  
 بصادق السؤال .

هذا هو قانون الارتراق حقا وهو الذى يطابق قولهم :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدوم

هذه هى خدمة الناس بتحصيل مرافقهم وتيسير منافعهم وجلب حوائجهم ، وهى التى يستحق صاحبها أن يأخذ من الناس فى مقابلتها ما يحتاج اليه وما ينتفع به ، أما مجرد أن يحتزن المال ويقعد به بالمرصاد لمن تمسه الحاجة أو يدفعه الطمع فيبرر له الذهب الوهاج البراق فيخطف بصره وبصيرته حتى يوقعه فى الشرك شرك الخراب والدمار ، ثم يفقره من حيث لوح له بالفنى ويحجبه من حيث خيل له الشيع ، فهو خادع مفرر محتال يستعمل الحاجة الحاضرة والطمع بالاستقبال وهما عاملان قويان على النفس الضعيفة لإرادة ، فلا يزال بها حتى يردبها ، ثم يلهو بآلامها ويبعث عن فريسة غيرها ، فهو بعمله هذا عدو لمجتمع الإنسانى باذر بذور الشقاق والبغضاء بين الناس ، هادم صروح السعادة فى الأسر ، مستحق للعقت والسخط ، كل واحد يدعو عليه أن يحقه الله ويمحق ماله الذى قعد به للناس على الطرقات وأعدده شركا لاصطيادهم فسلبهم نعمة الله التى خولهم إياها ، فلا عجب أن يقول الله فى شأنه : ( يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ) نعم يحقه ويريله ويذهب بركته ويضيع الانتفاع به .

أولا يكنى فى ذهاب الانتفاع به حق الانتفاع أن المرابى يشمر بأنه بفيض لعملائه لمحيطين به ، يتصورونه طالما لهم ناهبا لأموالهم فى ظلام غفلتهم كسارق المال فى ظلام الليل ، وأنهم أحق بما فى يده منه ، وأنه ما نأى إلا باستزاف حقوقهم ، فكيف بها بما أوتى وكيف يطيب له الانتفاع بما خول ؟ بل يحق الله الربا حسا أيضا ، ويمرضه للتلف ولضياع والدمار . وكثيرا ما جرى هذا لأناس بعد أناس ، ولكن حب المال يدفع الإنسان للمسيان ، فلا يذكر إلا ما وافق هواه .

وقد ذكرنا فى العدد الماضى شيئا مما حاق بالأمم وبخاصة الأمم المصرية من تلك الأزيمة الآخذة بالخلق ، الحابسة للأرزاق ، وأن ذلك نتيجة قريبة أو بعيدة للمعاملات

الربوبية ، فلو أنك خالطت الناس طبقات طبقات لعرفت أن أشدّهم ضيقاً وأجارهم بالشكوى هم أصحاب الأقسام ، هم الدينون البنوك ، هم أصحاب البيوع الجبرية ، وأما غيرهم فيقولون في شكواهم على كل حال : « الحمد لله لسنا مطالبين لأحد بدين في مقدورنا أن نسوى أمورنا على حسب الحالة » نعم لقد صدقوا ، فلو أن كلهم كذلك لارتاحت نفوسهم وما أحاطهم الملح كل هذه الإحاطة ، ولكن صدق فيهم قول الله : ( يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ) وقوله : ( وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ نَعْدَ حِينٍ ) ولقد شملهم قوله جل شأنه : ( يَمْحَقُهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورٌ ) أجل : فقد غرتهم الأمانى ففرضوا التقديرات ورتبوا شئونهم حسب تقديرهم ، ولم يحسبوا حساباً لتجارب مررت أمام عيونهم وشاهدوها في جيرانهم ومعارفهم ، فكيف يظن بهم أن يحسبوا حساباً للنصوص الشرعية والتهديدات الإلهية وما يعقلها إلا العالمون .

من أجل تأصل حب هذه المعاملة الفاسدة في نفوس الناس جاء القرآن الكريم مبالغاً في النهي لهم والنهي عليهم ، وتلوين الخطاب تارة بتمثيلهم بصورة المسوس المجنون المتغيب ، وتارة بإفساد قلوبهم ما حرم الله على ما أحل الله ، وتارة بمخاطبة وجدانهم وردم لحظة إلى عقوبتهم ، ليتعظوا بموعظة جاءتهم من ربهم ، وترتيب الحكم عليها ببيان ما لهم وما ليس لهم فلا يظلمون ولا يظلمون . ثم جاء في هذه الآية يكشف لهم القناع ويبرز لهم الأمر طاهراً فيقول لهم : إن طلبكم النمو من غير وجه المشروع سيؤول بكم إلى النقص بل إلى الدمار والمحق ( يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ) وهو كلام العليم الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأردفه باترياق الواقع من فعل السم ، وذلك قوله تعالى : ( وَبَرِّئِ الصَّدَقَاتِ ) فن كانت مؤمناً بالله وكتبه ورسله فليأخذ بالدواء لدى وصفه له الحكيم العليم ، ومن لم يكن من أهل الإيمان فقد استحق غضب الرحمن وصار عدواً لله ، فالله لا يحب كل كمار أثيم ، وهل بعد أن ين لك الحكيم الرحيم ما فيه منفعتك الصحيحة تمرض عنه وأنت في سبيل ابتغاء منفعتك إلا لأن قلبك



لم يطمئن لكلامه ولم يثق بصدقه؟ وهل الكفر إلا هذا؟ إن التعامل بالربا لا يدفعه إليه إلا حرصه على مصلحته المالية، فبعد أن يقول له حكيمه إن هذا ضد مصلحتك ومفسد لأمرك، لا يقدم عليه إلا لشكه أو إكراه صدقه في نصحه، وذلك الكفر الصراح: فليست معاملة الربا من الشهويات التي تندفع النفس إليها في حال غفلتها عن نهى ربها، ولا من مستلزمات ثورة الغضب التي تقع فيها النفس وهي في ذهولها وجنونها، ولكنها معاملة البصيرة والثأني وارتداد المصلحة يقدم عليها صاحبها (وهو بأثم وأكل كل لأوصاف المعتبرة) كما يقولون، فمن البدهى أن إقدامه لأنه وثق بأحلامه وترهاته وأمانيه أكثر من ثقته بره الحكيم العليم، فإن بقي في نفسه بقية إيمان تحرك منه وجدانه تلمس لنفسه المآذير وهو ضيق الصدر كاره التفكير فيه، كاره أن يتحدث به الناس، وذلك هو الأثم، فالأثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه غيرك. وصاحب هذه المعاملة دائم التردى في هاتين الهوتين حتى يحقق به سوء عمله، ولا عجب أن يلعن من أجله خمسة: آكل الربا ومؤكله وشاهداه وكتبه. وصيغة (كفار) و (أثم) فهما من الإشارة إلى أن الانغماس فيه يوجب تكريره ودوام الإصرار عليه ما لا يخفى على من عرف طرفا من العربية.

يقول الله تبارك وتعالى عقب ذلك: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وهذه عادة الكتاب العزيز في نهيه وأمره ورجره ووعظه: يبالغ في لزجر عن الكبائر الخطيرة والتنديد بتركيبها والتشديد عليهم حتى يضيق ذرعهم بما وقعوا فيه، فإن كانوا من أهل الخطاب اشرأبت أعناقهم إلى تلمس المحلص مما تورطوا فيه، وتطلعوا إليه أيما تطلع، فيسمفهم بما انتظروا أو بما حقهم أن ينتظروا، فيردف آيات الوعيد بآيات الوعد.

وابتك اذا عبرت ما يجري بين الناس في مخاطبتهم ومناصحتهم تجدم اذا بلغ القول بالزاجر والنهي مبلغه من التفتيح والتشهير حتى وصل الكفاية قيل له قوله حق : « قد عرفنا هذا في المخلص » ؟ فاذا كان حكما انتهى هذه الفرصة وأسعفهم وهم متطلعون لمخلص من الورطة التي تردوا فيها . بهذا نعرف حسن موقع قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) وأريد هنا أن أترك لك فرصة لتأمل فيها هذه الصفات العظمى : لا إيمان ، لا خير للقلوب ، للمصرف للحوارح في طريق الهدى . عمل الصالحات — وهو ثمرة الإيمان لدلة عليه التي يمتحن هوبها ، فإن أثمرها كان إيمانا قابليا وإن لم يثمرها كان إيمانا لسانيا أقصى مداه لا يجاوز الحلقوم . إقام الصلاة ، التي هي عماد الدين مذكرة بالله وجلاله تذكيرا متكررا ، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر . إيتاء الزكاة ، وذلك أمانة أن النفس قد ظهرت بحق وأسلمت أمرها لربها وطابت عن مرضاتها في سبيل مرضاته . هذه أعمال البر المترتبة المتماكة لا ينفرد واحد منها عن أمحابه ، فاذا شذ منها شيء كانت البقايا دعاوى .

وللدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أديعاء

تأمل في هذه الصفات النفسية والتمرات العملية التي وضعها لك ربك ليرشدك الى الخير ، وافرا قوله : ( لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) فما وصل اليه فهمك من تدبرك لهذه الكواكب النيرة فهو أفيد لك مما أشرحه وما يجري به قلبي الضعيف ، والله يتولى هدايا أجمعين .

يقول الله تبارك وتعالى بعد هذه الآيات البينات والعظات البالغات قوله جازمة حاسمة صارمة : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) .

أى صراحة أوضح وأبين في مراد الشارع الحكيم من هذا الأمر الصارم بمجده بالأمم تقوي لله ، أى أن يبق المرء نفسه شر غضب الله وعذابه ، ثم يردف بقوله : ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) ومعنى ذلك لا تتحملوا دعوى الإيمان وأنتم مصرون على هذا الذى بين لكم أنم بيان ، فلا تسمع دعوى يكذبها حال مدعيها ، فلا إيمان لمن عاند ربه القوي القاهر ، فإن لم تسمعوا هذا ولم ينفعكم ما بين لكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله . وقانا الله . ومن له بدن بمعارضة الله ورسوله : إن من حاربهما المحروب ، ومن غالبهما المغلوب . إياك أيها الإنسان أن تغرك فتوتك الوهمية وعزتك الكاذبة فتكون كمن قيل فيه : « غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك » وروى أن قبيلة قتيبة كانت تستعمل الربا فلما نزلت هذه الآية قالوا : « لا يدين لنا بحرب الله ورسوله » .

وأما قوله تعالى : ( وَإِنْ تَبَيْتُمْ فَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) فمعانيها واضحة بينة تدعو الى العدالة أولا ، والى الفضيلة بالإنظار وعدم إعات المدين الذى ما أقدم على الدين إلا بدافع الحاجة ثانيا ، والى ما هو لأفضل ثالثا ، وهو قوله : ( وَأَنْ تَصَدَّقُوا ) أى بالإبراء من كل الدين أو بعضه خير لكم إن كنتم تعلمون .

وهنا يحق التذكير بيوم الله ونوجيه الحساب الصحيح ، وذلك فى قوله : ( وَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) وقد ورد أن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجعلوها بين آية الربا وآية الدين » وذلك من أكبر الدلائل على عظيم عناية الشارع الحكيم بتطهير النفوس من هذا الرجز أنم تطهير ، وبذلك تعرف أمر الربا وحكمه فى نظر انشراح لذى ما أرسل رسوله إلا رحمة للعالمين .

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالأزهر

« يتبع »

# السُّنَّةُ

الترغيب في البكور  
في طلب الرزق وغيره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن صخر بن وداعة الغامديّ الصنعانيّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمِّي فِي بُكُورِهَا . وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ . وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا فَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثَرِي وَكَثُرَ مَالُهُ » .

## الشرح

(بارك) من البركة التي هي العظم والزيادة والتماء والكثرة . ومن البروك أيضا وهو الثبات والاستمرار والدوام . (البكور) هو الخروج الى العمل والتوجه الى مباشرة الأمور في أول النهار . (السرية) بعض من الجيش تحت إمارة بعض الصحابة . خلق الله عز وجل الناس وجعلهم في هذه الدنيا عاملين كادحين ، لِيَبْلُوَهُمْ أَيْهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، فيتيين العامل من الخامل ، ويتميز الطيب من الخبيث ، ثم يوفي كلا

جزاء ما عمل من خير أو شر ، في العاجلة ولا آجلة ، جزاء وفاء ، عدلاً وفضلاً ، كما قال سبحانه : (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ) وقال . (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) .

ثم كان من تمام رحمته تعالى بهم وحكمته في تصرفه فيهم أن جعل زمان حياتهم في الدنيا زمانين . زماناً يعملون فيه عمل السكدة والنصب ، وهو النهار . وزماناً يسكنون فيه ليستريحوا مما لحقهم من العناء والتعب ، وهو الليل .

وقد امتنَّ الله المنعم على عباده بهذه النعمة في عدة آيات من كتابه العزيز ليذكروا بها وليشكروه تعالى على الإتيان بها ، فلا يضيعوا شيئاً منها في غير منفعة ، ولا يفتروا خالق الله وحكمته في تخصيصه كل زمان منهما بزايا وفوائد على حدته . فمن ذلك قوله عز وجل : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ مَبَاطًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) وقوله : (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ مَبَاطًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقوله : (وَمِن رَّحْمَتِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِي وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

هذه الآيات الكريمة ونظائرها ، وكذلك السنة الشريفة كما سيأتي ، قد ذكرت للناس بنعمة الله تعالى عليهم في خلقه لهم الليل والنهار ، كما ذكرتهم بحكمته سبحانه في خلقه لهما على هذا الوضع والسنتي القويم فيهما .

يَبْنِي جِلَّتْ حِكْمَتُهُ أَنَّهُ خَلَقَ لِلَّيْلِ لِعِبَادِهِ وَجَعَلَهُ لِبَاسًا لَهُمْ ، فَكَمَا أَنَّ اللَّيْلَ مِنَ النَّيَابِ يَفِيهِمُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، وَيَسْتَرِيهِمْ مِنْ أَسْفَافِهِمْ ، وَيَنْزِلُونُ بِهِ وَيَتَجَمَّلُونَ ، كَمَا قَالَ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ أَنْفُسِكُمْ وَرِيشًا<sup>(١)</sup>) كذلك الليل

(١) لباس التحمل والريه .

يستر الانسان بظلمته عن الميون اذا اراد الفرار من العدو ، أو اراد هو مهاجمة عدوه ومباغتته في حرب انتقاء لضرره ، أو اراد الاختفاء من حيوان مفترس مُطارِد له ، أو إخفاء ما لا يجب أن يطلع غيره عليه . وفي ذلك يقول المتنبي :

وكم لظلام الليل عندك من يد<sup>(١)</sup> تخبر أن الماتوية<sup>(٢)</sup> تكذب  
وقاك ردى<sup>(٣)</sup> الأعداء تسري اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحب

وأيضا كما أن الانسان بسبب اللباس يزداد جماله وتكامل قوته ويندفع عنه أذى الحر والبرد ، كذلك الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الانسان وفي لين أعضائه وتكامل قواه الحسية ، ويزول عنه أذى التعب الجسمى وضرر الأفكار النفسية الموحشة ، فإن المريض والسكران ومضطرب البال اذا ناموا بالليل وجدوا الخفة العظيمة والراحة والسكون والطمانينة .

كذلك يئن لهم سبحانه أنه جعل لهم النوم سباتا أي موتا . والعرب تسمى الميت مسبوتا ، من السبوت وهو القطع ، فإن كلا من الميت والنائم مقطوع مكفوف عن كل ما كان يزاوله وقت حياته ويقظته . لذلك كان كل منهما مسبوتا وميتا ، وكانت النوم أحد الموتين . وكما سمي الله تعالى النوم سباتا أي موتا في الآيات التي تلونها عليك ، سماه وفاةً وسمى اليقظة منه بمتا في آية أخرى وهي قوله : ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ )

أما تسمية النوم سباتا ووفاة ، واليقظة منه بمتا فهي تسمية واضحة جلية السبب ، لما يعقبهما من تجدد القوى الحسية والمعنوية ، وعودة النائم الى ما كان عليه من قبل أن يمسه الإعياء والفُتور وقت العمل . فلهذا التجدد كان النوم موتا واليقظة منه بمتا

(١) خير ومنفعة . (٢) نسبة الى ماتي وهم زنادقة يعتقدون أن النهار إله الخير والليل إله الشر

(٣) كل من عد الله فلهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا . (٤) شرهم وسوء تدبيرهم وسكرهم .

وخلقاً جديداً ، وكانت نعمة الله سبحانه في النوم كبيرة ، ومثته به على عباده جليلة ، وكان نوم الإنسان ينصح ساعات في الليل موتاً له يحياه ويميد اليه ما فقد من قواه وبريحها ، وزيج عنها ما أصابها من التعب والحول وقت اليقظة والعمل ، وينشطها من الفتور والكسل ، والسآمة والملل .

كذلك يتلهم جلّت نعمته أنه جعل لهم النهار معاشاً أي وقت حياة لهم من نومهم ، ومن البين أن حياتهم من نومهم هي يقظتهم منه . فكما سمي نومهم موتاً سمي يقظتهم حياة ، وسماها أيضاً نشوراً وبعثاً في آيات أخرى . وقد عرفت سر هذه التسمية فيما تقدم قريباً .

والمعنى أن الله جل ثناؤه جعل لهم النهار وقتاً ينجون فيه من موت النوم ، ويستيقظون فيه ويتقلبون في مزاولة أعمالهم ومباشرة شئونهم وقضاء ما رزقهم والقيام بما يصلحهم ديناً ودنياً .

وصفة القول أن الله تبارك وتعالى جعل الليل والنهار نعمتين عظيمتين أنعم بهما على الناس ، وكان من بالغ حكمته أنه جعل لكل منهما خصائص ومزايا يعود جيمها عليهم بالخير العظيم والبر الكثير ، إن قدروها حق قدرهما ، وشكروها حق شكرهما ، لكن هل درى الناس ما قدرهما حتى يقدروها ؟ وهل دروا أيضاً ما شكرهما حتى يشكروها ؟ ندع الآن درايتهم بهذا وذلك جانباً ثم نقول :

أما قدرهما وعظم آثارهما وكثرة منافعهما وكونهما عماد الحياة الطيبة وقوامها فقد ذكرنا لك منها فيما سبق ما فيه غنّاً وكفاية .

وأما شكرهما فهو ألا يهملهما الناس ولا يعطلوها عما أَرَادَ الله تعالى من حلقه لهما وإنعامه بهما عليهم ، بأن يتركوا العمل كلاً أو بعضاً في النهار، والنوم والراحة كذلك

في الليل ، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونوا قد غيروا خالق الله ، وحوّلوا نعمة الله الى غير وجهها ، ولم يضعوها حيث أوجب أن توضع ، ولم يصلوها حيث أمر أن توصل ، فخرموا أنفسهم بسوء تصرفهم أن ينتفعوا بنعمة هم اليها فقراء ، وعصوا من أنعم بهم مع غناه عنهم وعلمهم أنه على سائرهم إياها اذا يشاء قدير . فكان عليهم إن كانوا من الشاكرين أن يضعوا نعمة النهار حيث وضعا الله ، وقد جعلها حياة للعمل ومباشرة المصالح ، وأن يضعوا نعمة الليل كما وضعا الله ، وقد جعلها وقت الراحة وسرراح ما فقدوه من القوى والنشاط .

هذا هو الذي نزل الله تعالى بحكمته الى الناس في كتابه الكريم ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغه ويبينه لهم ، كما قال تعالى : ( وَأَوْفَرْنَا إِلَيْكَ الْدَّكْرِ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) .

لقد بلغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كما أمر ، ويئها للناس أعظم البيان وأكمله ، تارة بالقول وبارة بالعمل ، ليكون العمل مثبتا ومقررا للقول ، وشاهدا عدلا بصدقه ، ومظهرا واضحا لآثاره الحميدة التي هي سر التشريع وحكمه الإلهية .

فن ذلك قوله وعمله صلوات الله عليه وسلامه الواردان في هذا الحديث الذي نشرحه ، وهو ( اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمِّي فِي بُكُورِهَا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَةً أَوْ جَيْشًا بَعْضُهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ) .

فأما تبليغه القولى فهو في قوله صلى الله عليه وسلم : ( اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمِّي فِي بُكُورِهَا ) . وهو يدل على أمور : ( الأول ) مزيد رافته ورحته بأمته ، وعظيم حبه خيرم واستقامة أمورهم وصالح أحوالهم ، إذ دعا الله تعالى أن يبارك لهم في بكورهم ، فيجعله عملا سديدا يعود عليهم بالخير العظيم والنجاح والفلاح الدائم .



(الثاني) مدحه للبكور وتناؤه عليه ورضاه عنه ، إذ كان هو منشأ دعائه لأُمته بأن يجعل الله تعالى بكورها مَنِيَّةً خَصْبًا تَجْنِي منه الخيرات والبركات وكل ما يكسب الفوز والصلاح والتوفيق للسداد .

(الثالث) أمره عليه الصلاة والسلام لأُمته بالبكور ، فإن مدحه له ورضاه عنه ودعاه بأن يجعله الله تعالى سبباً في بركة أُمته ، كل ذلك قد تضمن أمر الأُمّة بالبكور وحثهم على العمل به والحرص عليه ، حتى يكونوا أهلاً لعناية الرسول صلى الله عليه وسلم بهم في دعائه لهم ، وحتى يستحقوا أن يتفضل الله جل ثناؤه فيستجيب دعاء النبي عليه الصلاة والسلام لهم بالبركة .

ثم انظر بعد هذا الى تعبيره صلى الله عليه وسلم بالبكور ، تر أنه ليس ببذع ولا بغريب أن يَصْدُرَ مثله عن مقام النبوة العليا التي أوتى صاحبها جوامع الكلام ، وعلمه ربه من لدنه علماً ، وجعله مبلّغاً عنه لعباده ما أنزله اليه من الآيات والذكر الحكيم ، تر أنه صلوات الله وسلامه عليه قد أخذ بأيدي الأُمّة ووقفها على رأس الطريق الأعظم ، الذي تتفرع منه السبل السلوكية الآمّة ، وتتشعب منه جميع الشعب الموصلة الى النهايات الحميدة ، ذلك هو البكور الذي دعا الله تعالى أن يبارك لهم فيه .

ذلك أن البكور إما يكون أول النهار وفاتحته . ومما لا مرأ فيه أن ذلك يتوقف على تحقق أمرين لا بد منهما معا : أولهما أن يكون للبكر قد نال نصيب من النوم المشروع يستطيع معه التفكير ، ويُسهّل عليه المسارعة الى مزاولة العمل مع النشاط وجد فيه والإتقان له . أما إذا لم ينل هذا النصيب من النوم فإنه لا يمكنه التفكير ، وإذا حاوله فإن عمله حينئذ لا يكون عمل النشاط والرغبة الخالصة ولا يحكم ، بل يكون عمل الكسل والكراهية والسآمة والخلل ، وكل ذلك أثر سيئ لعدم استيفائه قسطه من النوم المشروع الواجب .

ثانيهما أن يبادر المبكر فينام في أول الليل الى الوقت الذي تكون فيه القوى الحسية والاعنوية قد تكاملت وعادت سيرتها الأولى . وقد بين الدين والطب كلاهما الوقت الكافي الذي جملة الله تعالى للناس لبساً ، وجعل نومهم فيه سباتاً

قد تبين لك من هذا أن المبكور لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان كل من الليل والنهار قد وضعه الناس حيث وضعه الله الحكيم ، فحافظوا على أن يكون الليل وقت النوم والراحة واستجماع القوى ، وعلى أن يكون النهار وقت العمل والكد وقضاء مصالح الدين والدنيا .

إن الناس اذ فعلوا ذلك واتبعوا ما أرشدهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا جديرين بمنايته أن يدعو لهم بالبركة ، كما يكونون أيضاً حقيقين باستجابة . فله سبحانه دعاء نبيه لهم فيبارك لهم ويزيدهم من فضله ، ( وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) . وبعد فقد طهر لك أن هذه الكلمة النبوية وهي ( المبكور ) قد تضمنت في جملتها أمر الأمة بأن تحرص كل الحرص على حكمة الله تعالى في خلقه الليل والنهار لعباده ، وأن تقدرهما حق قدرهما ، وأن تؤدّي ما وجب عليهما من شكرهما ، وذلك كله إنما يكون بالمبكور المستلزم لوضع كل من الليل والنهار في الموضع الذي فضت به حكمة الله العليم الحكيم . وقد بينا ذلك فيما سبق .

هذا تعليل من تعاليم الإسلام التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم للناس من نحو أربعة عشر قرناً ما أرسل اليهم من ربه في مثل قوله تعالى : ( أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا )

(١) من وقت زوالها . (٢) مجرى ظلمته . ومن وقت الزوال الى مجرى ، ظلمة الليل أربعة أوقات :  
لظهر ولعصر والمغرب والمشاء . (٣) صلاة الصبح .

وقوله: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ<sup>(١)</sup> الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ<sup>(٢)</sup> . وَمِنْ لَيْلٍ نَسَبَةً<sup>(٣)</sup> وَأَذْيَارًا<sup>(٤)</sup> السُّجُودِ) .

عَمِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَمَانِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ خَالِصٍ فَظَفَرُوا بِمِرَاتِمِهَا الطَّيِّبَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ الْقَوْمُ قَائِمِينَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ حَافِظِينَ لِحُدُودِهِ حَتَّى خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلَفٌ<sup>(٥)</sup> أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ<sup>(٦)</sup> وَعَكَسُوا آيَةَ الْاِيْلِ وَالنَّهَارِ وَعَدَلُوا بِهِمَا عَنْ حُكْمِهِمَا ، حَتَّى كَادُوا يَمْتَحُونَ آيَةَ النَّهَارِ وَيَجْعَلُونَ آيَةَ اللَّيْلِ مُبْصِرَةً .

فَلَقَدْ تَخَذُوا مِنْ لَيْلٍ أَوْقَاتًا أَضَاعَوْهَا فِيمَا لَا يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَا يَرْضَى بِهِ مِنْ لَهُ مُسْكَةٌ<sup>(٧)</sup> مِنْ دِينٍ أَوْ عَقْلٍ . نَبَذُوا أَوْامِرَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِهَانَةً بِهَا ، وَعَكَفُوا عَلَى مَنَاجِيهِهِ اسْتِحْصَانًا لَهَا ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا بَلَّغَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَّمَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا . أَقْبَوْا لَيْلًا فِي فَنُونٍ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَعْجُورِ وَسَمَاعٍ<sup>(٨)</sup> مُتَجَرٍّ مِنَ الْقَوْلِ الْبَدِيِّ ، الَّذِي نَسَبَتْ<sup>(٩)</sup> مِنْهُ لِأَسْمَاعٍ ، وَفِي رُؤْيَا مَا تُفْمِضُ عَنْهُ أَعْيُنُ الدُّوَى الْمُرُوءَاتِ . أَفْنَوْا لِيَاهِمٍ فِي هَذَا وَأُمَثَالِهِ وَمَنْ يَعْلَمُونَ أَنَّ فَنَاءَهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْقَبِيحِ فَنَاءٌ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ وَصَحَّتِهِمْ ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ سَوَّلَ لَهُمْ وَآمَلَى لَهُمْ فَأَصَمَّهُمْ عَنْ سَمَاعِ النَّصَائِحِ وَالنَّوَاعِظِ ، وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَنْ تَرَى قَبِيحَ مَا يَظُنُّونَهُ سَلُوةً وَتَمَتُّعًا ، كَمَا أَعْمَى بَصَارَهُمْ أَنْ تَعْتَظَ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَافْتَنَى كَمَا افْتَنَتْهُ وَخَاضَ كَمَا خَاضُوا وَ (مَا أَعْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) .

(١) قبل حادثة اربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس .

(٢) قبل الغروب .

(٣) أي صل كذلك المغرب والمشاء .

(٤) أي صل كذلك التواقل المسبوبة عقب الفرائض .

(٥) أي صل كذلك صلاة الظهر والمغرب .

(٦) أي صل كذلك التواقل المسبوبة عقب الفرائض .

أَنْظُنْ أَنْ أَحَدًا يَقْضِي لَيْلَهُ كُلَّهُ أَوْ جُلَّهُ لَا هِيَ لَا عِبَا غَافِلًا ثُمَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْكَرَ  
مَسَارِعًا إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ فِي رَغْبَةٍ وَجَدَ وَنَشَاطٍ ؟ : إِنَّ الْوَاقِعَ يُشْهَدُ بِغَيْرِ  
ذَلِكَ ، فَإِنَّا كَثِيرًا مَا رَأَيْنَا الَّذِينَ أُغْرِمُوا بِتَصْيِيعِ أَعْمَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي السَّهْرِ وَالسَّعْرِ  
وَفَنَوَاتِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ يُصِيبُهُمْ شَارِحِي الْأَلْوَانِ مِنْهُوَ كِي الْقُوَى مَرْمَضِي الْأَعْيُنِ  
ضَعْفَى الْأَذَانِ .

فَإِنْ انْقَطَعَ نَعْصُهُمْ عَنْ عَمَلِهِمْ مَرَّةً ، سَوَاءٌ أَمَّا كَانَ مُسْتَقْلِلًا فِي عَمَلِهِ أَمْ مَرَدُّهُ سَاءً ، فَسَوْفَ  
يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَرَارًا وَيُؤْوِلُ أَمْرَهُ إِلَى الْبَطَالَةِ وَيَعِيشُ عَالَةً مُتَكَفِّفًا ، وَإِنْ تَكَفَّلَ الذَّهَابُ  
إِلَى عَمَلِهِ ذَهَبَ بَعْدَ فَوَاتِ وَقْتِ الذَّهَابِ وَكَانَ عَرِصَةً لِلْعُزْرَانِ وَالتَّعْنِيفِ وَالْعِقَابِ إِنْ  
كَانَ مَرَدُّهُ سَاءً ، وَكَانَ عَمَلُهُ عَرِضَةً أَيْضًا لِلْإِهْمَالِ وَالْخَطَا وَالتَّأْخِيرِ وَتَعْطِيلِ الْمَصَالِحِ وَصَيَاعِهَا  
عَلَى أَرْبَابِهَا ، ثُمَّ تَكُونُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ الطَّرْدَ وَالْحَرَمَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ نَدَمُهُ إِنْ نَدِمَ ، وَلَا  
شِيَاطِينُهُ الَّذِينَ أَغْوَوْهُ وَرَبَّوْهُ سَوَاءَ عَمَلِهِ .

لَا يَدْعُ إِذَا كَانَتْ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الْغَاوِينَ اللَّاهِينَ هَذِهِ الْعَاقِبَةُ الذَّمِيَّةُ ، فَإِنَّهُمْ  
قَدْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ تَنَالَهُمْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبِرْكَ لَأَمْتِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا  
بِرُصِيَّتِهِ وَحَافَظُوا عَلَى الْبِكُورِ وَاتَّقَعُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِم بِاللَّيْلِ الَّذِي جَعَلَهُ لِبَاسًا ،  
وَبِالنَّوْمِ الَّذِي جَعَلَهُ سُبَاتًا ، وَبِالنَّهَارِ الَّذِي جَعَلَهُ مَعَاشًا وَنُشُورًا ، فَكَانَ جِزَاءُ أَوْلَئِكَ  
الْمُفْرَطِينَ لِلْمُسْتَهْزِئِينَ أَنْ يُحْرَمُوا مِنَ الْبِرْكَ فِي أَعْمَارِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَعَاقِبَتِهِمْ ( وَمَا  
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) .

وَإِنَّ تَعَجُّبَ مَنْ اتَّهَكَ هَؤُلَاءِ اللَّاعِبِينَ الَّذِينَ نُشِرُوا <sup>(١)</sup> فِي لَيْلِهِمْ وَسُيِّرُوا <sup>(٢)</sup>  
فِي مَهَارِهِمْ ، وَمِنْ امْتِنَانِهِمْ لَا أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ لَدَى يَنْتَحِلُونَ الْإِنْمَاءَ إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ أَشَدُّ  
الْمُعْجَبِ مِنْ عَمَلِ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ الْآخَرِينَ وَاعْتَصَامِهِمْ بِذَلِكَ التَّعْلِيمِ النَّبَوِيِّ الَّذِي جَاءَ

(١) تَيَقَّظُوا وَسَهَرُوا . (٢) ظَلَمُوا .

في الحديث الذي نشره ، وهو الحث على البكور لنيل ما فيه من البركة والخير الكثير ، مع أن أولئك القوم ليسوا مسلمين ولم يدعوا الانتساب إلى الإسلام .

ذلك أن بعض <sup>(١)</sup> الدول الغربية غير المسلمة قد أبطلت في هذه الأيام المحافل الرسمية التي جرت بها عاداتها من قبل ليلاً ، وحظرت على مرءوسيها وعمالها أن يضيئوا شبتاً من ليالهم في سهر أو سمر . والذي دعاها إلى ذلك أن تضيق الليل في شيء من هذا يستوجب تضيق البكور والمبادرة إلى مزاولة الأعمال ، ويستلزم تأخيرها وتراكمها وتطرق الخلل والخطأ إليها ، زد على ذلك أنواع الضرر والفساد الكثير الذي يستلزمه السهر والسمر ، وقد عرفت منه الشيء الكثير .

عليه الناس في هذه الأيام بذلك الخبر فتحدثوا به في المجالس واستحسنوه وأثمنوا على الأمرين به وأطالوا وأطنموا ، ونلقوه بالقبول والإفغان ، وتغنوا أن يقتدى المسلمون بتلك الدولة غير المسلمة ، قائلين إنها ما أمرت بذلك إلا وهي على بينة من أمرها ، شأن كل الدول الغربية الأوربية التي لا تدين بالإسلام .

أما نحن فلنا كلمتان متصلان بهذا الخبر :

الأولى : هي أنك قد علمت أن الأمر بالبكور لما فيه من المنافع العامة وخاصة دينية ودينية ، هو من جملة التعاليم الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية من قبل أن يصدر أمر هذه الدولة بنحو أربعة عشر قرناً ، فإين كان أولئك الذين جهلوا هذا الحكم ولم يعلموا أنه من تعاليم الإسلام الذي يُمدُّون من أهله ، حتى إذا بلغهم عن غير المسلمين أثمنوا عليه الثناء الجليل وتقبلاه وسلّموا تسليماً .

الثانية : قد ذكرنا هذا الخبر بمحدث كثير ما كان الامام الزاهد الحكيم أستاذنا الشيخ حسن الطويل رحمه الله يذكره : سمعناه لأول مرة يقول : « والله

(١) هي الدولة الإيطالية .

لن يفلحوا « فلم نفهم من أرد وما أراد ، فاستفهمنا فقال : أريد هؤلاء الذين التحفوا بالاسلام وتسموا بأسماء أهله ، ولكن ( إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا إِلَيَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَيَّ الرَّسُولُ ) . اشعزت قلوبهم ، و ( لَوْ وَارَدُوهُمْ وَرَأَوْا يَنْصُرُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ) . أما إذا قيل لهم : « قال فلان العالم الأوربي كذا » فإنك تراه قد استخذوا وخضعوا وأذعنوا ، كان هؤلاء الناس لا يؤمنون إلا إذا جاءهم الإيمان من أوربا ، أما إذا جاءهم عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهم يكونون في شك مريب <sup>(١)</sup> .

نقول : لو عاش رحمه الله الى زماننا هذا لا نقطع رجاءه في إيمانهم حتى ولو جاءهم الإيمان من أوربا ، فإن غرهم بالإباحة وإطلاقهم من كل قيد فيما يأتون وما يذرون قد حملهم على الإلحاد ورفض الشرائع والأحكام الإلهية ( وَمَا تُفْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ) ( إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ) .

وأما تبليغه صلى الله عليه وسلم ما أمره الله تعالى به تبليغا عمليا فهو في قوله في الحديث : ( وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعْثُهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ) . وقد قدمنا لك أن الحكمة في أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرن القول بالعمل في كثير من الأمور هي مزج التثبيت والتقرير للقول وإظهار صدقه وحسن نتائجه . ومن ذلك خاتمة هذا الحديث الشريف ، وهي ما ناله صخر بن وداعة راوى ذلك الحديث من الثبوت وكثرة المال . وهذه العاقبة الطيبة هي البركة التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في بكورها ، وقد حققها الله تعالى لصخر بن وداعة جزاء له على صدق إيمانه وحسن امتثاله وتسليمه ( وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ) .

محمّد منصور

وكيل مدرستي القضاء الشرعي

ودار العلوم سابقا

(١) انتهى كلام رحمه الله .

# الفتاوى والأحكام

رود إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع ما يأتي : —

هل كل منكر لربوبية تعالى من ذرية آدم عليه السلام، أو عابد لغيره، أو مشرك به  
ماخوذ يوم القيامة بإقراره على نفسه يوم أن قال له ألسنت بر بكم قالوا بلى شهدنا ؟

وهل هذه الشهادة خاصة بنبي إسرائيل إلخا بالآيات الساجدة أو عامة لكافة  
البشر لقوله تعالى : ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ  
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا  
عَن هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ  
أَفْتُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) ؟

وفي اختتام أسأل الله أن يقوى بكم محبة الاسلام آمين مـ محمود العلواني  
بوزباشي بالمعاش بعزبته بايناي البارود

## الجواب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلی الله علی سیدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لقد كان من مرید نعمة الله تعالى علی بنی آدم أن جعل لهم الأرض مستقراً ومتاعاً  
الی حين ، ثم إلیه مرجعهم فینبشهم بما كانوا یعملون ، ولكن لما كان ذلك لا یتیم إلا اذا

كانوا عالمين بوجود المسافع التى تصلح بها حياتهم فى الدنيا والآخرة ، قضت حكمته الإلهية أن يتم نعمته عليهم بأن يهديهم الى ما ينفعهم فيعلموه ، والى ما يصرم فيجتنبوه . ثم إن تلك الهداية الإلهية نوعان : هداية تشريعية ، وهداية فطرية . فأما الهداية التشريعية فإنها تكون بالوحي وإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية فيها نبيان كل شئ من مصالح الدين والدنيا .

وأما الهداية الفطرية فإنها تكون بما أودعه الله تعالى فى فطرة بنى آدم ، وعما حببهم عليه من العقول والمدارك ، حتى صاروا مستعدين بأصل رجبهم للإيمان به والإقرار بربوبيته وتوحيده والاعتراف بأنه هو الذى يرجى ثوابه ويرهب عقابه .

ثم إنه سبحانه قد بدأ هذه السورة (سورة الأعراف) بذكر الهداية التشريعية التى أنزلها على عبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لينذر بها الناس كافة ويذكرهم بما ينفعهم ويأمرهم باتباع ما أنزل إليهم من ربهم ، وذلك قوله تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدْرِكَ حَزَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) الآيات . ثم ذكر سبحانه بعد ذلك ما شاء أن يذكره مما يتصل بهذه الهداية المحمدية . ثم قفى عليها بذكر الهداية التشريعية التى أوحاها الى بعض رسله الكرام ، فذكر من قصصهم مع أمهم ما فيه عبرة وعظة لقوم يتفكرون . ثم ختم سبحانه ذلك القصص بقصص سيدنا موسى عليه السلام مع بنى اسرائيل والمصريين ، مبيّنا ما كان من تلك الأمم جميعها من إيمان وكفر وطاعة ومعصية ، وما حازى به كل فريق منهم جزاء وفاقا .

بعد أن أتم سبحانه الكلام فى الهداية التنزيلية التشريعية أتبعها بذكر الهداية الفطرية فى قوله عز وجل (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طُورِ حِجِّى ذُرِّيَّتَهُمُ) الآيات ، فيبين أنه تعالى شأنه كما هدى بنى آدم كافة بما أوحاه إليهم على لسان رسله الصادقين ، كذلك هدام عامة هداية فطرية بما ركب تكوينهم عليه من العقول



والمذكرك والمشاعر والوجدان ، حتى صاروا جميعاً أمة واحدة فى أصل الخلقة مستعدين  
عاية الاستعداد بحسب تركيبهم الآدى لمعرفة ربهم وأنه وحده إلههم الذى لا تصرف  
فيهم لغيره بخير ولا شر ، ولا بثواب ولا عقاب .

لهذا لم يكن لبنى آدم مناص من أن يشهدوا على أنفسهم بلسان مقالهم أو حالهم  
أن الله جل ذكره هو ربهم لا إله لهم غيره ، بيده نواصيهم واليه مأسئهم وعليه حسابهم .  
كل ذلك لئلا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة ، كما حكى الله سبحانه ذلك بقوله :  
( أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ بآؤُنَا  
مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ . أَفَتُهْنِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ) .

هذه يتضح لك غاية الانصاح أن قول الله تعالى : ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ) الآيات  
بيان للهداية الفطرية التى فطر الله الناس عليها شاملة لبنى إسرائيل وغيرهم ، وأما الخاصة  
بهم فإنما هى الآيات من قوله تعالى : ( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى ) الآية الثالثة بعد  
الدالة الى آخر قوله تعالى : ( وَإِذْ نَسَفْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ) الآية الحادية والسبعين بعد الدالة

ثم اعلم أن الثواب والعقاب جراءان فضى الله تعالى بهما فضلاً وعدلاً على عباده  
بعد أن تتحقق الهدايتان التشريعية والفطرية معاً ، فكان من تمام رحمة الله تعالى وعظيم  
رافته بعباده أنه لم يحمل الفطرة الآدمية والمقول الانسانية وحدهما مناطاً لجزاء  
والمواخاة ، بل حاط الفطرة وصان المقول بما يحفظها من الرغل والخطأ وتبع  
الشهوات ، وكان ذلك بالهداية التشريعية بالوحى وإزال الكتب السماوية وإرسال الرسل  
مبشرين ومنذرين ، كما قال سبحانه : ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا )  
أى لم يكن من سنتنا وبالغ حكمتنا أن نعذب أحداً تعذيباً دنيوياً مستأصلاً ، ولا أخروياً  
إلا بعد أن يبين لهم سبيل السعادة والشقاء ، وحينئذ تكمل لبنى آدم الهدايتان .  
هداية الفطرة وهداية التشريع ، ولا يكون إذ ذاك لأحد عذر ولا حجة .

وكما قال تعالى أيضا مبينا للهدايتين المذكورتين : ( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ ) فقولهُ تعالى : ( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ) يبان للهداية الفطرية .  
 أى كانوا جميعا متساوين فى أصل فطرتهم وخلقهم وما أودعناه فيهم من القرى والعقول .  
 وقولهُ سبحانه : ( فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ) الآية يبان للهداية التشريعية التنزيلية .  
 وصفوة القول : أن مناط الثواب والعقاب والرضا والمواخظة الواردة فى دين الله تعالى ، إنما هو لهدايتان المذكورتان معا كما جاء فى الآيات التى تلونها عليك .  
 وأما أهل الفترة والصبيان ونحوهم فلم يباحث آخر . وكلام العلماء فيهم مشهور .  
 والله هو الهادى إلى سواء السبيل م

هــ منصور  
 وكبير مدرستى القضاء الشرعى  
 ودار العلوم سابقا

## الطرف والملح

قال محمد بن واسع لقُتَيْبَةَ بن مُسَيْمٍ : إني أتيتك فى حاجة رفعتها إلى الله فقبلك  
 فإن يَأْذَنِ الله فيها قضيتها ومحمدناك ، وإن لم يَأْذَنِ الله فيها لم تقضها وعذرناك .

## خطبة

فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد الالباني

## عند افتتاح كلية أصول الدين

\*\*\*\*\*

في صبيحة يوم السبت ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ الموافق ٣ أكتوبر  
سنة ١٩٣١

بدأت الدراسة في كلية أصول الدين فأقبل إليها حضرات العلماء والطلاب  
مستشرين مبتهجين لهذا المعهد الجديد ، وقبل الشروع في الدروس اجتمع  
حضرات الأساتذة والطلاب بالمعهد ، فافتتحت الحلقة بقراءة آيات من الذكر  
الحكيم ، ثم قام حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الحميد الالباني  
شيخ المعهد ، وألقى خطبة ذكر فيها العاية التي أنشئت من أجلها هذه الكلية ،  
وأودعها نصائح لحضرات الأساتذة والطلاب ، فكانت خطبة بليغة عامرة ، ولصها :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نعمه تم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نبى  
صرح الإصلاح على قواعد الحق ، فخر الفكر ونقل العالم من وحشية لى مدنية ،  
وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا وصابروا وصبروا حتى كانت كلمة لله هي العليا .

إخواني الأجلاء وأبنائي الأعزاء .

أحبكم أطيّب تحية ، وأعاهدكم على الإخلاص وأرجو منكم لعملكم وأنفسكم ،  
وأسأل الله لنا جميعا التوفيق في مهمتنا .

بسم الله نفتح هذه الكلية المباركة ، كلية أصول الدين التي أسأل الله تعالى أن يحسن لها نصيباً وافراً من اسمها ، حتى تكون معقلاً للدين الخفيف ، تخرج للعالم الاسلامي علماء عاملين ، ودعاة للحق كفاءة موفقين ، في ظل حضرة صاحب الجلالة حامي حامي الدين ملك مصر اعظم مولانا **أحمد فؤاد ابو الوول** الذي انفرد من بين ملوك الاسلام في هذا العصر بشدة الغيرة على دينه والذود عن حياضه .

وإني أحب منذ الساعة الأولى أن أصور لحضراتكم الغاية التي من أجلها أنشئت هذه الكلية ، لتجعلوها نصب أعينكم ، وتتخذوها دليلاً لكم في سيركم نحو غرضها الأسمى :

قضى قانون الأزهر الجديد أن يوجه الى هذه الكلية مهمة القيام على أصول الدين وآدابه ، وهي مهمة خطيرة ، بل شرف عظيم يجب أن تتقدم لحمله وآدائه بقلوب تملؤها العزيمة على إبراء ذمنا ، والرغبة الى الله تعالى أن يسدد خطانا ويكمل مجهودنا بالفور والنجاح .

إن عقائد الاسلام هي دعائم الحق التي لا قوام للمدلل بدونها ، ولا بقاء لسعادة الأمم إلا ببقائها حية في قلوب المسلمين ، مسلمة لا شية فيها من شوائب الشكوك والأضاليل ، ومنذ أقدم عصور الاسلام انقطع عدد كبير من العلماء لدراستها واستنباطها من أدلتها ، ثم قاموا عليها حفظاً آمناً ، وحماة أقوياء ، ودعاة ينشرونها بين المسلمين ، ويذودون عنها شبهات الضالين . لذا بصدد البحث في ذلك النضال الطويل الذي قام به أولئك الأسلاف الأتجاد وإيمانريد أن ننق نظرة عامة على ذلك العمل الجليل لتتعرف منها طبيعة العمل الذي خلفنا فيه ، وأصبحت ذمنا رهينة بأدائه :

إن هذا العمل الطيب يجمع كلمتان . ( الأولى ) الدعوة . و ( الثانية ) الدفاع . ففي سبيل الدعوة عقد علماءنا رضوان الله عليهم الدروس ، حية لا ميتة ، خضرة ناضرة ،

لأجافة ذابلة، ونصبوا على هذا الوجه أنفسهم لتعليم شبان المسلمين وشيبتهم، ذكورهم وأنثاهم، واتخذوا من النابر والمساجد وسيلة لنشر الدين وغرس آدابه في نفوس طهرت به وزكّت، وكانت مثلاً أعلى للأمم الحية ومفخرة للإسلام.

وقد صرفوا من وقتهم زمناً طويلاً في تأليف الكتب مبسطة وموحزة لخدمة هذا الغرض الأسمى أما تاريخ دفاعهم المجيد عن الدين الحنيف خفايا الصفحات بكبار الأعمال التي خلّدت مجدهم، فقد هبت على الإسلام منذ أيامه الأولى أعاصير نزغات، وأوهام شكوك وأضاليل، أثارها عليه للتزندقون والملاحدة ممن يدعون العلم، وساعدتهم بعض الذين أنرفوا، ففرتهم زهرة الحياة الدنيا وأضلتهم الشياطين. كان شر هذه الدعوة مستطير، فانبهرى لهؤلاء وهؤلاء من اصطفاهم الله من علماء الإسلام الأعلام، وأخذوا يضدون أضاليلهم، ويردون كيدهم في نحورهم، حتى خفت أصواتهم، وركد ربح باطهم، وفشلت دعايتهم، وظهر أمر الله وعم له كارهون. ولا تزال مواقف جهاد السلف من العلماء مسجلة في بطون مؤلفاتهم التي ندرسها، والتي لم ندرسها إلى يومنا هذا، وهي شاهدة لهم بالفضل والبلاء في جهادهم.

### أبرار الدعوة :

اليوم وقد ذهب هذا السلف الصالح إلى ربه راضياً مرضياً، وانتقل هذا الواجب إلينا، فقد أصبح أداؤه حقاً علينا، ولعلكم تعلمون أن الإسلام لم يكن في عصر من المصور أحوج إلى البحث والدرس والنشر والدود عن حياضه منه في عصرنا الحاضر، فقد شغل جمهور المسلمين عن دينهم انصرافهم إلى زخرف التقاليد الفاسدة الخلابة، واللبس إلى الأوهام والأضاليل الكاذبة الواردة إليه من العالم الغربي الذي يظنونهم مهبط الرقي، فاعتنقوا مدينته الشبيهة بالوحشية بما زينه الشيطان، وكفى له للإنسان عدواً مبيناً. ها هي ذي حركة اللادينية التي نبتت بذورها وسقي زرعها في أرض أوربا بشهوات الهوى حتى غدا وترعرع قد تقلت عدواها إلى هذا البلد الأمين، ووجدت لها فيه دعاة

وأنصار، يرددونها، ويحاولون حمل الناس عليها بأساليب مختلفة، وطرق متنوعة، ما بين كتب وصحف، وخطابات ومحاضرات تركت أثراً في نفوس البسطاء، ساعد على قبوله الجهل بالدين.

إن هذا الجهل وتلك الدعاية إلى الخروح على الدين هما أصل ما ترون من انتشار الفساد وشيوع ضروب الرذيلة التي لم تكد تكون معروفة بين المسلمين، فإن عقيدتهم الحقة الراسخة في نفوسهم هي أساس الفضيلة، وقد كانت لديهم هي القضاء الأكبر على الرذيلة التي ما فشت في عصر إلا تدهور أهلها، وما ظهرت في أمة إلا انساقت وراء وضع الشهوات النفسية، وصارت إلى فرار الخراب والدمار، والتاريخ أصدق شاهد بذلك.

هذه حالة تستثير أحر دقات الأسي من قلب كل مسلم مخلص، وعلاجها فرض وجب علينا معشر العلماء، وهو مقصودنا والغاية التي أنشئت لها هذه الكلية المباركة إن شاء الله تعالى، فليست مهمتنا مقصورة على أداء عملنا بين جدرانها فحسب، بل هي أوسع من ذلك نطاقاً وأبعد مدى. هذه الكلية أعدت لتخرج العلماء المرين ولدعاة دين الله من المرشدين بالقول الحق والعمل الطيب، الذادة عن الاسلام الناشرين له بين طوائف المسلمين بكل الوسائل، وبأقرب طرق الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأختم كلمتي بارشادكم علماء وطلاباً إلى واجبتكم، أما أنتم أيها العلماء فعليتكم أن تكونوا مثال سلفكم الصالح ديناً وعملاً، وذكاء وفطنة، وإخلاصاً للعمل لذي فرضه الله عليكم، وجعله أمانة في أعناقكم، تؤدون به إلى أمتكم بالوجه الذي يبينه لكم، وعلى الطريق الذي يشره إتهاذ المسلمين من كبوتهم، وأن تدعوا كل ما يوجب انتقاداً عليكم أو خطأ من كرامتكم، بذلك تكونون قد أدبتم الله واجبه وللأمة حقها. وأما أنتم أيها الطلاب

فأنتم غرس اليوم وأمل المستقبل، تهيتون اليوم لما يكون غدا من حقوق للدين والأمة، ولا تكونون كذلك إلا إذا كنتم جادين غير هازلين، أمثلة لطلاب العلم الديني في صدر الاسلام، أهل دين وتق ونشاط و مستقامة، قائمين بما رضى الله ورسوله، فكونوا كذلك، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم. اليكم جميعا أوجه النصيحة وأسألكم العمل بها، وأسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق، واعلموا أنكم إن نصرتم الله نصرتهم، وإن خدتم عن لحق خدائهم، أذكركم جميعا علماء وطلابا بآية من كتاب الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ هَـمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ).

أسأله تعالى أن يؤيدنا بالحق، وأن يحفظ لنا حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب « الملك فؤاد الأول »، مؤيدا منصورا، وأن يقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة المصرية المحبوب « الأمير فاروق » وباقي حضرات أصحاب السمو الأتجال الكرام



## المسلمون في أوروبا الغربية<sup>(١)</sup>

لم يبق في أوروبا الغربية جاليات إسلامية تقيم بها إقامة مستديمة منذ القرن السابع عشر ، حيث كانت تُحمَل أسر العرب البربر إما على مهاجرة البلاد أو اعتناق المسيحية ، وقد استوطنت تلك الأسر في بلاد الألبان والبرتغال من سنة ٧١٢ الى سنة ١٦٠٩ ، وفي جزر الباليارى من سنة ٧٢٠ الى سنة ١٢٥٩ ، وفي مالطة من سنة ٨٧٠ الى سنة ١١٢٢ حيث لا يزال فيها من يتكلمون الى الآن العربية ويكتبونها بأحرف لاتينية ، كما يوجد بها جريدتان بأسماء عربية ، ويبلغ عدد سكانها ٢٢٨٥٣٤ نفسا و ٥٠٠٠٠ من المهاجرين ، وفي إيطاليا ( في ساردينيا من سنة ٧٥٠ الى سنة ١٠٢٢ وفي صقلية من سنة ٨٢٧ الى سنة ١٠٥٨ وفي لوشيرا من سنة ١٢٢٥ الى سنة ١٣١٠ ) وفي فرنسا ( في لانجادوك من سنة ٧٢٠ الى سنة ٧٥٩ وفي بروفانس من سنة ٨٨٩ الى سنة ٩٧٥ ) أما حصر جميع الآثار الإسلامية الباقية في تلك البلاد ( مثل أسماء الأماكن وأسماء الأسر والعادات المحلية ) فقد تقدم بقدر كاف في اسباب وصقلية ، لكنه لم تعمل له قائمة عن البرتغال وفرنسه .

ويوجد بفرنسا منذ حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ عدد كبير من أسر العمال من العرب والبربر الذين نزحوا اليها من شمال افريقيا من الجزائريين وكذلك من المراكشيين وأقاموا حول المصانع في مقاطعات نهر السين ( المقاطعات الثلاثة عشر والخامسة عشر والتاسعة عشر والعشرين ) بالقرب من مصبات نهر الرون ، ومقاطعة ( با - ده - كاليه )

(١) مترجم من الفرنسية من دليل العالم الاسلامي .



Pas-de Calais ومقاطعة صرت - و - موريل Meurthe - et - Moselle وكان عددهم ثمانين ألفا ذهب منهم ٥٠٠٠ الى بلجيكا ولو كسومبورج ، ولا تزال هذه الهجرة الى فرنسا مستمرة رغم ما حاوله منشور ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤ ومرسوم ٤ أبريل سنة ١٩٢٨ من منع المهاجرة من الجزائر *Algerie* .

وهذا يحمل إحصاء رسمي للعمل الوطنيين الافريقيين في فرنسا ( ويلاحظ أنهم من الرجال فقط ) وهذا الإحصاء عمل لغاية أول يناير سنة ١٩٢٨ وهو كما يلي :

الجزائريون : يوجد منهم في مقاطعة الأردين *Ardenne* ١٣٢٧ نفسا ، وفي مقاطعة بوش دو رون *Bouches - du - Rhône* ١٠٠٠٠ عامل ، وفي مقاطعة جارد *Gard* ١٢٤٢ وفي مقاطعة هيرولت *Hérault* ٤٨٧٥ ، وفي مقاطعة المرت - واللوزيل ١١٥٤ ، وفي مقاطعة الشمال *Nord* ٣٦٥٤ ، وفي مقاطعة الرودن *Rhône* ١٣٠٠ ، وفي مقاطعة السين *Seine* ٣٢٠٠ ، وفي مقاطعة السين وواز *Seine - et - Oise* ١٨٧٥ ، فيكون مجموعهم مع بقية المقاطعات التي لم نأت على ذكر عددها هو ٦٢٢٨٦ نفسا .

التونسيون : يوجد منهم في مقاطعة الألب ماريتيم *Alpes - Maritimes* ١٠٥ أنفس ، وفي مقاطعة بوش - دو - رون *Bouches - du - Rhône* ٢٦٦ ، وفي مقاطعة هيرولت ٣٠٠ نفس ، وفي مقاطعة الرودن ٢٠٠ ، وفي مقاطعة السين ١٠٠٠ ، وفي مقاطعة السين الأدنى *Seine Inférieure* ١١٠ فيكون مجموعهم مع المقاطعات التي لم يذكر عدد سكانها هو ٢٣٩٠ نفسا .

المراكشيون : يوجد منهم بمقاطعة الأردين ٢٤٠ نفسا ، وفي مقاطعة « كالفادوس » *Calvados* ١٩٢ وفي مقاطعة جيروند *Gironde* ٣٩٢ ، وفي مقاطعة « ايزير » *Isere* ٢١٦ ، وفي مقاطعة « لوار » *Loire* ٢٦٢٠ ، وفي مقاطعة « صرت - و - موزيل » ٣٤٣ وفي مقاطعة « بليفر » *Nièvre* ١٨٣ وفي مقاطعة الشمال ١٠٤٨ ، وفي مقاطعة

الرون ١١٠٠ ، وفي مقاطعة « السافو » Savoie ١٨٦ ، وفي مقاطعة « السين » ٤٥٠٠ ، وفي مقاطعة السين الأدنى ٥٤٧ ، وفي مقاطعة السين - و - واز ١١٥٣ ، فيكون المجموع مع بقية المقاطعات هو ١٤٣٨٧ نفسا ، والمجموع الكلى هو ٨١٠٧٣ نفسا .

هذا وكتب السيوجنتنار يقول : إنه يوجد في فرنسا نحو ١٥٠٠٠٠ مسلم من شمال افريقيا في فرنسا .

أما ملخص التعداد لرسى للعمال المسلمين من شمال افريقيا الموجودين في بلجيكا ولو كسومبورج Loxembourg في سنة ١٩٢٨ فهو :

الجزائريون : فيوجد منهم ٣٠٣٣ في مقاطعتي شارل روا Charleroi ومونس Mons في بلجيكا ، و ١٩٠ نفسا في لو كسومبورج ، فيكون المجموع ٣٢٢٣ نفسا .

التونسيون : فيوجد منهم ٥٦٠ نفسا في مونس ( بلجيكا ) .

المراكشيون : فيوجد منهم ١٢٩١ نفسا في لياج Liege في بلجيكا ، و ٧٠ في لو كسومبورج ، فيكون المجموع ١٣٦١ ، ويكون المجموع الكلى هو ٥٢٤٤ نفسا .

في إنجلترا : يوجد بها منذ سنة ١٩١٣ طائفة مكونة من عشرات الأسر الانجليزية السكونية اعتنقت الدين الاسلامي ، وتلف حول مسجد أحمدى معتدل يسمى « جاجهجان » Shahdajan في مدينة ووكنج Woking في مقاطعة « صرى » Surrey وحول مسجد آخر أحمدى متطرف في سوثفيلدس South fields في لوندرة حيث ينشرون مذهب « النظامية » ( فرع متطرف من الأحدية ) .

ويوجد عدا هذه الطائفة الوليدة بعض أحوال فردية اعتنق فيها بعضهم الاسلام في ألمانيا ، حيث يوجد مسجد في فيلر سدورف ، وكذا في النمسا وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا ، حيث يوجد كذلك مسجد المعهد الاسلامي في باويس ، ولكن تلك الأحوال

الفردية التي اعتنق فيها الاسلام لم تمتد أشخاص للمعتنقين الى أسرهم أو تقتتل الى سلاتهم.

هذا وتوجد بعض الجرائد والمجلات الاسلامية التي تصدر في بعض البلدان الأوربية، ففي برلين (عاصمة ألمانيا) جريدة صدى الاسلام Islam Echo وتصدر باللغة الألمانية، ومجلة «ناشريشتن» Nachrichten التي تصدرها شهريا جمعية نشر العلوم الاسلامية باللغة الألمانية، ومجلة «ايران شار» Iranschahe الشهرية، وتصدرها جمعية كواباتي الفارسية منذ سنة ١٩٢٢ ويقوم بتحريرها باللغة الفارسية ه. قاسم زاده و «المجلة الاسلامية» Moslemische Revue ويحررها منذ سنة ١٩٢٤ باللغة الألمانية مولاي صدر الدين الأحمدى المذهب، وتصدر شهريا.

وفي جنيف (بسويسرا) «مجلة الأمم» Revue des Nations ويصدرها بالفرنسية ف. والي، و«منبر الشرق» Tribune d'Orient ويصدرها بالفرنسية والعربية منذ سنة ١٩٢١ الشيخ علي الغاياني، وهي نصف شهرية.

وفي لندن: «مجلة الأديان» Review of Religions وهي لسان حال القضائية في لندن، ويصدرها باللغة الانجليزية منذ سنة ١٩٠٢ الأستاذ ا. م. دارد Dard وهي شهرية، ومجلة «المنارة» Minaret ويصدرها منذ سنة ١٩٢٦ باللغة الانجليزية الأستاذ خ. شلدريك Sheldrake.

وفي باريس: مجلة «المجاهدة» Mudjahedé وكانت تصدر باللغة التركية سنة ١٩٢٤ ثم ألغيت، ومجلة «الشرق الأدنى» ويصدرها بالعربية والفرنسية منذ سنة ١٩٢٥ الأستاذ ا. ت. هويك، وهي نصف شهرية، ومجلة «رسائل الشرق» Correspondance d'Orient وتصدر بالفرنسية، وكانت تصدر كذلك جريدة «المستقبل» باللغة العربية، ومجلة «الشرق والغرب» بالفرنسية، ومجلة «فرنسا والاسلام»

بالفرنسية ، ثم وقفت تلك الجرائد عن الصدور ، ومجلة « فرنسا والشرق » France Orient ومجلة « العالم الإسلامي » وكانت تصدر بهذا الاسم منذ سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٢٦ ، ثم باسم « مجلة المباحث الإسلامية » Revue des Etudes Islamiques منذ سنة ١٩٢٦ ، و « الدليل السنوي للعالم الإسلامي » Annuaire du Monde Musulman منذ سنة ١٩٢٣ .

وفي ساه مال (سويسرا) : مجلة « الإصلاح » ويصدرها باللغة العربية الأستاذ بركات الله منذ سنة ١٩٢٥ .

وفي مدينة زيورخ (سويسرا) : مجلة « فأنجارد » (الطليعة - Vanguard) ويصدرها باللغة الانجليزية والجوهراتية (إحدى لغات الهند) لاستاذ م. ن. روى في

---

## الطرف والملح

كان أُمَيَّةُ بن عبد الله بن خالد وَجَّهَ إلى محاربة أبي قُدَيْلِكَ ، فلهزم أُمَيَّةُ وأُتِيَ الحجاجُ بدوابٍّ من دوابِّ أُمَيَّةٍ قد وُثِمَ على أنْفَازِها «عُدَّةٌ» فَأَمَرَ الحجاجُ فَكُتِبَ تحت ذلك « للفرار » .

## صناعة الورق

### كيف يصنع الورق<sup>(١)</sup>

هل تساءلت مرة اذا رأيت رجلا يطوف بالبيوت يجمع منها الخرق البالية ، أو رأيت مجلته التي يدفعها بيده محملة بكوم من الأطمار القذرة عما يريد أن يصنع بها ؟ المرجح لدينا أنها نافعة وإلا لما تجشم مشقة جمعها . إنما يجمعها ليبيعهما لتاجر الخرق ، وهذا التاجر يفرزها طوائف مختلفة ثم يبيعها هو أيضا الى أصحاب المعامل ، وهؤلاء ينتفعون بها بكيفيات مختلفة ، فبعضها يقطع إربا ويمزج بالصوف ويستعمل في صناعة المنسوجات الخشبية ، ومقادير وافرة منها خصوصا التيلية تستعمل في صناعة الورق .

وإذا أريد استعمال الخرق في هذه الصناعة فانه ينبغى البداية بالعناية بجمعها أقساما وتسليمها للنساء لقصها قصاصات صغيرة ، وأجود الخرق التيلية هي التي تُقدّم ، لأنه لا يستعمل غيرها في صناعة أحسن ورق الكتابة . وأما خرق التيل الواطي والقطن فتوضع في أكوام أخرى على حسب درجة الورق المراد صنعه منها وصفه ، ثم تغسل الخرق بالماء الساخن أو البخار وتبيض بمواد كيميائية<sup>(٢)</sup> ثم توضع في آلة تمزق فيها قطعاً دقيقة تبلغ من الصغر حد تصوير فيه كالعجين الطري الذي لا يرى فيه أدنى أثر للنسج . وهذه الآلة هي نوع حاية ( حوض كبير ) مملوء ماء فيها دن جوانبه منقطعة بأنسامير

(١) مترجمة عن الانكليزية من الكتاب للمنون « كيف تصنع الاشياء للشائع استعمالها من اناس »  
لؤلؤه أنكسن . (٢) من هذه المواد كلوريد الجير .

المحددة يدور على نفسه دورانا مستمرا، وفي قاع الجاية مسامير أخرى أو قواطع مثبتة فيه تمر بينها المسامير المثبتة في الدن أثناء دورانه، فتمزق هاتان الطائفتان من المسامير الخرق قطعا تبقي في هذه الآلة عدة ساعات تصير في نهايتها كثيرة الشبه جداً بالردغة<sup>(١)</sup> البيضاء المزوجة بالماء، وينقل هذا المعجن الى جاية أخرى كبيرة تحفظ حرارتها عادة بالبخار.

وفي لوقت الحاضر يصنع معظم الورق بواسطة آلات، ولكن أجود أصنافا لا يزال يصنع باليد. ولما كان صنع لورق باليد أيسر فها رأيت أن أبدأ بوصفه ثم أقول بعض كلمات عن الآلات التي تقوم الآن مقام اليد في عملها:

يقف صانع الورق الذي يسمى أحيانا بالفراف بجانب الجاية المملوءة بمعجن الورق أو ردغة الورق كما يصح لنا أن نسميه بذلك ويده قالب ليس هو إلا منخل سلك مربعا منسوجا سلكه كالنسيج العادي، وقالب آخر يسمى معيارا يستطيع أن يطبقه على رأس القالب الأول تطبيقا تبرز فيه منه حافة صغيرة، قريبة الشبه جداً بالحافة التي تبرز من إطار الصورة الشمسية، مرتفعة عنه، فاذا ركب المعيار على القالب غمسها الغراف — كما يغمس الطبق — في عجين الورق واغترف بهما من الجاية قدر ملء طبق من هذا المعجن، وحرك القالب يمنة ويسرة ليسط المعجن في جميع نواحيه، فيسيل الماء من ثغوب السلك الذي في قاعه ويتحلف عليه قشرة من المعجن شبيهة بطبقة صغيرة من الردغة البيضاء، فيضع صانع الورق القالب ناحية ويأخذ قالباً آخر ليغترف به من الجاية كما فعل أولا مستملا القالب العلوي أيضا كما سبق، فاذا مكث القالب الأول بعض ثون ليصق عنه الماء تناوله عامل آخر يسمى الرقاد وقلبه وهز ورقة المعجن المتماسكة فأخرجها منه ووضعها على قطعة من نسيج الصوف وغطاها بقطعة أخرى منه وأعاد

القالب الفارغ للخراف ليقترب به من المعجن، ثم يخرج منه لرقاد الورقة الأخرى بهذه الطريقة عنها، ثم توضع هذه الأوراق واحدة فوق واحدة بعضها فوق بعض مفصولا كل منها عن الأخرى بقطعة من نسيج الصوف حتى تصير كوما مؤلفا من عدة أوراق، ثم يوضع هذا الكوم تحت مكبس قوى يكبس فيه كبسا شديدا حتى يطرد ما يكون باقيا فيه من الرطوبة، وتضغط طبقات الورق في آن واحد، ثم تكبس عدة مرات بدون أن يتخللها قطع النسيج، ثم تنتشر على أحبال لتجف.

فإذا جفت الأوراق صارت في غاية التماسك والقوة، غير أنها لا تكون صلبة لامة كورق الكتانة بل كابية متحللة أقرب بالورق انشفاف شها، وإذا حاولنا انكتابة عليها وهي في هذه الحالة انتشر فوقها اللداد وبقيها حتى إنه يستحيل قراءة ما يكتب فيها، ولا صلاح هذا العيب ينبغي تفريتها أى غمس كل حلة منها معا في غراء رقيق ضئيف يصنع من قطع جلد المدبوغ وغير المدبوغ واللواجر ممزوجة بمقدار من الشب، فهذا الغراء يملأ مسامها الصغيرة ويستقر على وجهها فيصيره ناعما صالحا للكتابة، ثم تجفف الأوراق مرة أخرى منه وتكبس عدة مرات، ثم تطبق أو تقطع حسب الطلب.

وأما إذا أريد صنع الورق بالآلات فيصبب المعجن من الجاية على نسيج واسع من السلك كالذى يصنع منه قالب الورق لدى يصنع باليد يكون طوله عدة أقدام، وهو ما يسميه صانع الآلات بالانهاى، عانين به اتصال طرفيه بحيث لا يدري أين ينتهى كما فى السيور المستعملة فى إدارة الخياط (آلات الخياطة) والمدارس (آلات درس الحبوب) ومحركات الدراجات وغيرها من أنواع الآلات الكثيرة الأخرى، ويوضع النسيج الانهاى لآلة صنع الورق مستويا وضعا محكما على اسطوانتين تكون إحداها قريبة من الجاية والثانية على بعد عدة أقدام منها، ويمجرى النسيج على هاتين الاسطوانتين

فإذا أديرنا جمل النسيج يدور حولها من جهة الاسطوانة القريبة للصاية الى جهة الاسطوانة الأخرى، ويكررها راجعا مارا بأسفل الأولى لأفأ حولها أيضا، وفي نفس هذا الوقت يترجح قليلا بتدوير آخر في الآلة من أحد جانبي الاسطوانتين الى الجانب الآخر، فإذا سال المعين المائي عليه من الجاية نشرته حركة الترجح هذه بالتساوي فوqe، ومنعه من السقوط منه شريطان من الجلد مقامان على حابيه، وسال الماء من ثقبه كما كان يسيل من خلال قمر قالب الغراف، وخلف طبقة رقيقة متماسكة من المعين مبسوطة بالتساوي على النسيج.

ولما كان هذا النسيج مستمرا في حركته من الاسطوانة القريبة من الجاية الى الاسطوانة الأخرى، فإنه يحمل معه هذه الطبقة، فاذا حرت معه الى بُعد معين مرّت تحت اسطوانة أخرى مغطاة بنسيج، فضغطها وامتنص بعض رطوبتها. فاذا بلغ النسيج في دورانه الى الاسطوانة الثانية وأنشأ ينقلب راجعا أمسكت طبقة الورق بعض اسطوانات أخرى في الآلة ونقلتها الى نسيج لا نهائي آخر مصنوع من نسيج خيطي لا من سلك، فيمر بها هذا النسيج بين اسطوانتين أخريين تجففانها وتضغطانها ضغطا أقوى مما مر، فهي بهذه الوسيلة تتحرك روية وجيدة، وتمر بين عدد من الاسطوانات بعضها مسخن بالبخار فيجففها بنابة السرعة، وبعضها في غاية النعومة فيكسبها صقالة جميلة. والمعين الذي ينصب على النسيج اللانهائي يستحيل ورقا قبل أن يفادر الآلة. والعمل الذي يستغرق بضعة أيام في صناعة الورق باليد تعمله الآلة في بضع دقائق، وبما أن المعين لا ينقطع سيلانه في الآلة فالورق الخارج منها يكون متصلا لا قطع له، فيلف على ملف طويل قد يخنوي على ما طوله نحو ميل أو ميلين منه، وبعض المطابع تستعمل هذه الأوراق كما هي، ولكن معظم لأغراض التي يصنع الورق من أجلها تقتضى أن يقطع على أحجام مختلفة



## المملكة الحيوانية وتعدد أنواعها <sup>(١)</sup>

جاء في كتاب «نظام الطبيعة» للأستاذ «لينيه» الذي ظهر سنة ١٧٥٨ أنه يوجد بالعالم ٤٢٠٨ نوعا مختلفا من الحيوانات الكثيرة الخلايا، وفي عام ١٨٩٨ تمكن الأستاذ «موبوس» من إحصاء ١٢٦٠٠ نوعا مختلفا منها.

وأحدث تعداد لأنواع المملكة الحيوانية يرجع إلى الأستاذ «هسه» الذي استعان بكثير من العلماء المحققين وبالراجع العلمية الحديثة، فتوصل إلى إحصائها بثلاثة أرباع المليون إذا اعتبرنا عدد الحشرات وحدها نصف مليون، وأما إذا اعتبرنا عددها ثلاثة أرباع مليون فإن عدد الأنواع المختلفة بالمملكة الحيوانية لا يقل عن المليون.

وبديهى أن هذا الإحصاء هو على وجه التقريب، خصوصا وأن الآراء تختلف اختلافا كبيرا في تحديد النوع، وكثيرا ما يطرأ على النوع الواحد تغيرات ظاهرية كثيرة بسبب اختلاف البيئة والاقليم أو فصول السنة، وأوضح ما تكون هذه التغيرات في الحشرات والزواحف الصغيرة.

[ مترجمة من مجلة (Kosmos) الألمانية ]

## النظرف والمُلمح

قال حكيم: أَرْبَعٌ يَذْهَبْنَ ضَيَاعًا: الْأَكْلُ مَعَ الشَّجْعِ، وَالسَّرَاجُ فِي الْقَمَرِ، وَالزَّرْعُ فِي السَّيْخَةِ، وَالصَّنِيْعَةُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.

## أقبال العالم الاسلامي على هذه المجلة

— — — — —

أخذت هذه المجلة في العالم الاسلامي مكانة، وحازت في جميع الشعوب الاسلامية قبولاً، ومنذ صدرت والرسائل ترد في الثناء على خطتها شمرأ ونثراً، ومن هذه الرسائل خطاب ورد من حضرة الفاضل الدكتور عبد الله محمد شريف مدير جريدة صوت الحق بيومباي وهو :

اطلعت على هذه المجلة الفريدة العزيرة التي صدرت حديثاً من لندن مشيخة الجامع الأزهر الشريف . ولعمر الحق إنها قد سدت فراغاً مهماً في عالم الصحافة الذي كان قبل صدورها هائماً في ظلمات الدس والاحاد والزندقة وسرت عدواً الى عامة الناس . فكان بزوغ نور الاسلام من الأزهر الشريف صدور الشيء من معدنه . وأى مركز في الاسلام قاطبة هو أولى من مشيخة الأزهر بالتصدي لقمع دابر المفسدين في الدين، ولاظهار الدين الاسلامي لملأ بمظهره الحقيقي الذي كادت تطمس معالمه أبدي دعاء الفسق والسوء والفساد . وكانت مجلة « نور لاسلام » نورا وضاءً أزاح عن كثير من شبه المضايين حجب الضلالة والتمويه، وكان هذا النور يشع من بطن الأزهر الشريف، مضيئاً للناس طريقاً تعدت إظلامه أيدي المفسدين الذين باءوا بالخسارات والفشل، وسيلحقهم الدمار، وعن قريب سيحقق الله وعده (وَكَانَ حَقًّا عَايِنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ) الذين قيل ويقال في حقهم : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)

هنيئاً لمصر التي جعلها الله في كل شيء كنزاً . فيها كنوز الفراعنة الغابرين، وفيها حالا كنوز شريعة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ولا أدري هل أهني

مصر هذه المفخرة، أم أهني كل مسلم، أم أهني العالمين جميعا بطول عمر الشريعة الخفيفة  
السمحة بعد أن كادت تنتحر — لولا مبادرة مصر وعلى رأسها جلالة ملكها أحمد فؤاد  
الأول المؤيد، ومن ورائه رجال الدين وحمله شريعة سيد المرسلين الذين قاموا بالحق  
وبه يعدلون، وفقهم الله.

بارك الله في مصر وفي ملكها وآله، وبارك الله في الأزهر ورجاله، وبارك الله  
لشيخه لأزهر الشريف الذين قاموا بتحرير مجلة «نور الاسلام» اللطيف. وفقهم  
جميعا لما يحب ويرضى آمين

عبد الله محمد شريف

وزير ميلشن — بهندي بازار — بمبای

## الظرف والملح

قال برهان الدين الواطواط : لقد أحسن ابن شهيد كل الإحسان في قوله يصف  
من صان وجهه عن السؤال يقناع قناعته وكف، وصبر على مضض الاحتياج بقدر  
استطاعته فَعَفَ :

إن الكريم إذا نالته غَمَصَةٌ      أبَدَى إلى الناس رِيًّا وهو ظَلَمَان  
يَطْوِي الضلوعَ على مثل اللَّطِي حَرَقًا      والوجه طَلَقَ بماء البِشْرِ رِيَان

## المؤتمر الاسلامى بفلسطين والخلافة

دعا حصرة صاحب الفضيلة السيد محمد أمين الحسينى رئيس المجلس الاسلامى الأعلى الى مؤتمر ينعقد فى القدس فى يوم ٢٦ رجب سنة ١٣٥٠ و جاء فى الدعوة أن الغرض من المؤتمر النظر فى أمور نهم المسلمين ، وأشيع مع هذا أن المؤتمر سينظر فى مسألة الخلافة ، وكان ما فى الدعوة من غموض مدعاة لكثرة الأقاويل وذبوع الاشاعات حول نعرته مسألة الخلافة .

ولما كانت الخلافة أمرا خطيرا فى الاسلام ، لا يجوز طرحها فى أى مؤتمر إلا بعد دراسة ، ويجب أن تكون الدعوة إليها صريحة ، لكي يتمكن مندوبو الاقطار الاسلامية من درسها واستطلاع آراء الشعوب التى ينتهون اليها ، وحتى لا تمثل الحادثة التى كانت قد جرت فى عمان من قبل ، فنحن نرجو أن لا يكون شئ من تلك الأقاويل صحيفا ، فان الخوض فى مسألة الخلافة لم يحسن بعد .

ففى سنة ١٣٤٢ اجتمعت فى القاهرة هيئة علمية دينية كبرى ودعت الى عقد مؤتمر للنظر فى الخلافة ، وانعقد المؤتمر فى القاهرة وشهده مندوبون من أقطار اسلامية مختلفة ومن بينهم مندوبون من فلسطين وغيرها .

وبعد تبادل الآراء رأى المؤتمر أن الوقت غير صالح للفصل فى الخلافة على وجه يرتضيه الشرع ، وقرر ارجاء ذلك الى وقت مناسب .

ولم يتجدد بعد ذلك الارجاء شئ يجعل الوقت الحاضر مناسبا للفصل فى هذه المسئلة الخطيرة ، وانا نختص أن تكون إثارة مسئلة الخلافة فى هذا المؤتمر سببا لاضاعة الغرض الذى عقد من أجله .

فليس من مصلحة المؤتمر ولا من مصلحة المسلمين التعرض لهذه المسئلة التى لا يأتى البحث فيها اليوم بفائدة ولا يمكن تقريرها على وجه يرتضيه الشريعة القراء ما

"Grievest thou not too much over the unbelievers who deviated from the truth and did not believe in the Koran, for haply you may kill thyself out of grief over them"

(Alucy's Commentary)

So great indeed was his faith that he made light of all threats and persecutions. It was beyond human endurance to have suffered unflinchingly what Mohammad has suffered in the course of announcing his divine message.

A cursory perusal of his early history would suffice to convince the reader of his integrity and truth.

It would not be irrelevant to mention in this connection that once when preaching to the people of Al-Taif to call them unto the Lord Mohammad was so roughly handled and maltreated that he bled profusely, yet in the midst of his afflictions he turned to God in earnest prayer "O Lord, I appeal to thee in complaint of my weakness, the meagerness of my resources and the contempt and abuse of men but would I merit thy favour, verily little would I care for what beseteth me of misfortune."

Would not such magnificent display of faith and fortitude be considered ample evidence of his truth?

The impartial inquirer gifted with wide vision and fair sense of justice who analyses the character of Mohammad and puts his actions to the searching test of criticism will readily recognise the veracity of his claims and be convinced of his truth and integrity.

The signs of the true as well as that of the imposter not only show in their actions and utterances, but also in their very gestures. The discerning critic or psychologist could not mistake them for indeed the states of man's mind and conscience show on his face, though little or nothing thereof could be detected in word or action. Of such the Lord saith.

« فَلَمَّعَ قَتَمَهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ وَتَنَفَّرَ مِنْهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ »

ترجمة تفسير هذه الآية تلالا عن البهناوى

"They will be recognised by the peculiar signs whereby the Lord hath marked them and by the erroneous perversion of words".

(Butdawy's Commentary.)

A thorough analysis of the precepts of Islam and a careful consideration of the divine source from whence issued forth those springs of good and well being, will leave no room for doubt to rankle in the minds of inquirers regarding its truth and authenticity. For whoso contemplates the fortitude of Mohammad in the face of great odds and the toleration with which he suffered all sorts of insults and persecutions, will scarce doubt his truth and conviction. Had this not been the case, it would indeed have been easy to detect flaws of falsehood and indecision in his career.

Should you in course of consideration, come to the conclusion that Mohammad has distinguished himself by such noble conduct and unimpeachable character so much so that he was called "The Faithful" long before his prophetic mission, and that his own people had never imputed a single lapse or a vile action to him despite the fact that he never ceased disparaging their mentalities and fearlessly reviling their so-called gods, you would realise that such a man could never be an imposter, for lying is most degrading not only in the eyes of men but also in one's own estimation.

A man like Mohammad could not possibly lie and he who proclaimed the greatness of God in such unprecedented manner and relentlessly striven against those who imputed falsehood unto Him.

Again had he been an imposter, he could not, try as he could, have helped lapsing into confusion and contradiction and would have thereby been exposed to his detriment and disgrace.

He could never have been a source of perfection or a guide unto good and righteousness.

The position of Christians in denying the prophethood of Mohammad is identical with that of the Jews in denying the prophethood of Jesus.

Why then should the Christian subject them to such persecution when they are guilty of the very same thing.

Would not the spread of Islam to the furthest corner of the globe within less than a single century constitute a mighty evidence of its truth? Would not the welcome and eagerness with which it was received and the support extended thereto all point out that it is a religion which pleased the Lord to give unto mankind?

Would not the zeal and self-sacrifice shown by Mohammad in the guidance of mankind constitute an irrefragable proof of that divine reality which filled his heart and soul, so much so that the Lord addressed him thus:

« فَلَمَّا كُنْتُمْ جَمِيعًا قَسَتْ عَلَىٰ أَنْذَارِهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا هَذَا الْفَلْسَفَةِ أَسَاءً »

ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن الألباني

It would seem as if some of God's creatures lack the faculty of truth and are deprived of the sense whereby to appreciate it, for try as you can, they would still remain insensible to its clamor call and would never despite your endeavour, find their way thereto.

Futile indeed is your endeavour for it would be as if you were to expect the deaf to hear the sound of big guns, or the blind to behold the brilliance of the radiant sun.

Little wonder, therefore, that they were bound to remain under the dire influence of doubt and disbelief and that the Lord saith concerning them

«وَلَوْ أَنَّا رَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَالْمَلْأَمَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلِينَ كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا»

ترجمہ فقیر محمد، آیتہ خلاصہ ایسی کثیر

"Were the Lord to send down the Angels to announce unto them the truth of the apostles, were He to quicken the dead to bear witness thereto and were He to cause all things to confront them face to face and testify to such truth, they still would not believe "

(Ibn Kathir's Commentary.)

«وَأَن يَرَوْا كَلَّ آيَاتِهِ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا . وَأَن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا . وَأَن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا » .

ترجمہ فقیر محمد، آیتہ خلاصہ عن الاکومی

"Even if they hear the revelations recited or see the miracles performed, they would not, out of pertinacity and mental derangement, believe therein, and if they see the path of truth and righteousness, they would not take it, and if they see the path of error and misguidance, they would choose to take it for the satisfaction of their passion. "

(Alucy's Commentary.)

So much then for those hopeless few; to resume our main discussion, we would like to point out that it would have been easy to recount many of Mohammad's miracles which were established beyond all doubts through authentic successive corroboration of facts pertaining thereto. It would have been just as easy to dispel all suspicions and banish all doubts regarding his truth. But we decline to enter with you on such lengthy discussion and prefer to choose a short cut leading thereto; and thus in making our appeal to your mind and conscience, we are only meeting the demands of the present era which is definitely one of reason and research.

water is al a dream. He would protest that the sleeper could see even more than that in his sleep and so vividly indeed does he see t that he doubts not it is actually true. He may even dream that he has had a dream, had awoken and had recounted it to an interpreter and other such like dreams which sleepers have and yet never as much as suspect or doubt for a single moment the reality thereof.

"Why" argues the sophist, "should't you be in such a state believing as the dreamer does that what he beholds is the stark reality and not a dream" ?

And in such a brazen and unabashed way, he continues his sophistic argument

What would your answer be in the face of these conjectures and untruths.

Would it not be very hard to convince him though you are absolutely sure that these assumptions are utterly unfounded ?

And if the mind admit of their likelihood to happen, intuition positively renounces them as non-existent.

Should men rely on these assumptions in the disposal of their affairs, they would be reduced to a most deplorable state of chaos and confusion and beasts would, in such a case, be more amenable to reason than they are.

It is significant in this connection to quote the Koranic Verse in reference to such people -

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْفُسَانَا مِن نِّحْنُ قَوْمٍ مَّسْخُورُونَ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقل عن السيوطي

"God sa th concerning those pertinacious unbelievers that even were He to throw open above them a ga away unto Heaven through which they might behold its marvels all day long, inquiring concerning the mysteries that surround them, they would still declare out of sheer pertinacity and scepticism, that their sights were obstructed from beholding the real, that what they saw was a mere vision and that Mohammad had them bewitched at the time when the miracles were performed."

(Baidawy's Commentary.)

The Lord explained that they feigned to rebu' that marvel which they have witnessed on the ground of the likelihood of defective sights or bewitched minds.



object and many other such hypotheses which are the outcome of mere conjecture nurtured by speculation and scepticism.

It is fragi-comical indeed to see such divergence of opinion. It seems to rob the mind of its inherent faculty and the human nature of its initial clearness and purity.

A philosopher has rightly remarked in this connection that "Scepticism is responsible for the demoralisation of many a good man." And as such he will lack that pure instinct and that clean conscience to which he may turn for judicious judgement.

Suppose for the sake of argument that someone declared that he gives little or no credence to all news and he regards them as positively unreliable on the grounds that it is possible that his informant may be telling a lie, or that he may have believed something contrary to what actually had taken place, or that he may have, inadvertently, told something else or that he may have in speaking figuratively, told something other than the truth. There could, indeed, be no confidence or trust in view of all these contingencies which the mind admits as liable but not certain to occur.

Should he declare that he has no faith in any of the scientific principles such as those of grammar, etymology and declension and the like on the grounds that those who compiled them from the original authors are a few numbered persons who are liable to error and forgetfulness. And so he goes on applying the same argument in the ascription of every statement to the speaker and every opinion to the exponent thereof.

What answer could you give to such sophistry? and what argument could you advance? Could you hope for the guidance or expect the reform of one who argues thus?

And what would the state of affairs be should we apply those assumptions to military, commercial, administrative and social matters?

The answer is a foregone conclusion but let me put one more question to establish the truth we seek.

Suppose you were wide awake and in your normal state of health, the sun was shining bright and resplendent in the sky and you fully beheld it with your own very eyes unable to gaze long at it on account of its glaring brilliancy, but there comes a sophist that would ask you to prove that the sun is shining! You will simply exclaim that you see it and he sees it as well as other people do and that its very presence is clearer than any proof that could be offered in confirmation thereof. But he would say to you that you may probably be asleep and that what you see is no more than a vision or a dream! that your meeting and discussion and all what you behold of trees and stones, light and

ing on the one and the same thing thus rendering it, through consistent and successive corroboration, positively irrefutable !

If we doubt the authenticity of Mohammad's prophethood, then how can we establish the prophethood of Moses or Jesus or the other prophets, lacking as they did, that consistent corroboration which was the lot of Mohammad ? What argument would the Christians have against the Jews for not believing in Christ and the Bible ?

It would be detrimental to entertain all possible contingencies and to let loose the forces of scepticism to run riot in the mind, for that would scarce lead to reality or truth.

The atheists deny the existence of God as a result of such sceptical conjectures, God who is the very source of existence ! whose existence is the most obvious of all facts and without whom nothing has a reasonable existence !

Others doubt even in perceptible objects and declare that they do not denote knowledge of the object as perception is often liable to err. They cite such errors of perception as may be witnessed in the apparent rushing past of the shore while on board a steamship or the apparent bigness of a single grape seen through water.

Others absolutely deny the existence of all objects and declare that objects are not real, that they are mere forms or shadows.

Yet another school the agnostics, were so hopelessly steeped in scepticism that they completely lost their way and had to confess their failure to comprehend the reality of things.

You will find through the study of the different doctrines and opinions expounded by the different schools of thoughts that the controversy raged fierce regarding knowledge, which is known in itself and by means of which other things are known.

But as assumption and speculation found their way into knowledge, scepticism began to show itself in the doctrines of its exponents and the door was thus flung wide open for all sorts of unfounded conjectures.

Contradictory opinions were held by opposing schools. Some declare knowledge to be axiomatic and requires no definition. Others declare that it is undefinable owing to the intrinsic difficulty involved in comprehending its reality. While others declare that it is, *per se*, the known thing for knowledge of fire is fire itself and knowledge of water is water itself. But when knowledge is conceived by the mind, it assumes another form and would become subject to different rules. Another raging controversy is that regarding existence and the existing

that are distasteful; he who mitigated the rigours of their rituals and tempered the severe stringency of their injunctions

Those who believed in his mission and prophethood, revered and supported him against his enemies, and followed the Koran revealed unto him will those merit favour and prosperity."

*(Alucy's Commentary.)*

« رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا. فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ »

ترجمة لسير هذه الآية ثلاثين الاكوس

"The mercy and knowledge of God are unbounded they embrace everything Forgiveness is solicited for those of whom He knoweth true penitence and desistence from sin, those who have followed the ordained path of righteousness; the Lord is implored to save them from the severe torment of Hell."

*(Alucy's Commentary.)*

The truth and authenticity of the prophethood of Mohammad could be easily proven by citing his many miracles which though may be singly open to criticism, could not possibly be gainsaid in their entirety

Should we however, entertain dogmatic assumptions it would be very hard indeed to believe the records of any past king or prophet or any historical event. History would be rendered unreliable and laws and conventions would have been thrown into utter confusion should these assumptions be taken into consideration

The authenticity of Mohammad's prophethood is so consistently sanctioned by successive traditions and generations to admit of any falsehood or untruth. It would have been impossible for all those millions of people from East and West to concur as they did, on such a question, despite the difference of their races and the vast distances which separate their countries

Assuming, therefore, that everyone would cite a single miracle of the Prophet's, there comes out a general fact unanimously admitted by all, that on the whole and, irrespective of single instances, miracles were performed by him

Nor is that all. It should be borne in mind that many of these miracles were cited by trustworthy and impartial chroniclers from others whose accuracy and integrity are warranted on all hands.

Should the event be cited from one of these reliable sources, it would be incumbent on us to accept it as authentic; what with all the sources concurr-

مترجمة عن كتاب « رسائل السلام » لحضرة صاحب انصية الاساد الشيخ يوسف الدجوى

## THE PROPHET MOHAMMAD<sup>(1)</sup>

« وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَأَنْتُمْ مِنَ الْمَرْغُوبِينَ وَيُؤْتُونَ الرِّسَالَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِهِ  
يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَنْتَعِمُونَ بِرَسُولِي لَا تَجْعَلُوا لَهُمْ مَسْجُودًا يُعْبَدُونَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ  
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَبَيْنَ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْفَحْشَاءَ وَيَضَعُ  
عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ. فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي  
أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

رجة خبر هذه الآية فلا عن الاكومي

"The Mercy of God is so great and comprehensive that it embraceth everything, no believer is there or unbeliever righteous or sinner but he enjoyeth the bounties of the Lord in this world. The mercy of God will therefore, be particularly accorded to those who refrain from sin and disbelief those who give the ordained alms out of their wealth and those who implicitly believe in all His signs. Those who follow the Apostle sent by God to announce His Dispensation, the illiterate Prophet who told mankind of their Lord; and whose name and qualities are clearly given in the Scriptures, the Torah and the Evangel. The Prophet who enjoineeth true belief and forbiddeth all evil, he who makes lawful unto the Jews the things that are rightly relished and forbiddeth those things

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef El-Djow's Book, "Messages of Peace"







## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### العزة - والتواضع

سهل على الانسان أن يدرك معنى الفضيلة في صورة بحلة ، بل سهل عليه أن يتعرف ما هي الفضائل بتفصيل ، وإنما العسر في أخذ النفس بها ، والسير في معاملة الناس على قانونها ، وعُسْرُ العمل على الفضيلة مع تصور مفهومها ، والشعور بحسن أثرها يجيء من ناحية الشهوات التي قد تطفئ فتطمس على البصائر ، وتكاد تحول معرفتها للخير الى جهالة عمياء . وقد يؤخذ الدارس للأخلاق من ناحية ضعفه في تطبيق الأعمال على ما تقتضيه أصول المكارم ، ذلك لأن علم الأخلاق يشرح الفضيلة ، ويبين ما بينها وبين الأخلاق الأخرى من صلة ، وينبئ على ما لها من آثار حميدة ، ولا يتعرض لمظاهر الفضيلة مظهرا فظهورا ، ولا لمواضع الأخذ بها موضعا فوضعا ، بل يكمل ذلك الى اجتهاد الشخص ونباهته .

وحدود الفضائل تقع بمقربة من أخلاق مكروهة ، وهذه الحدود في نفسها واضحة جلية — إلا أن تمييز ما يدخل فيها مما هو خارج عنها ، يحتاج الى صفاء فطرة أو تربية تأسس بها النفس شيئا فشيئا .

وكثيرا ما يتشابه على الرجل لأول النظر أمور ، فلا يدري أيها داخل في الفضيلة أم هي خارجة عن حدودها ، وربما سبق ظنه الى غير صواب ، فيخال ما هو من قبيل الفضيلة مكروهها ، ويدعه أو يعيب غيره به ، أو يخال ما هو من قبيل المكروه فضيلة فيرتكبه أو يمدح غيره عليه . وهذا الشأن يجري في خلق العزة والتواضع .

فعرزة النفس نمتار في الأذهان عن الكبرياء امتيار الصبح من الدجى ، إذ العزة ارتفاع النفس عن مواضع المهانة ، والكبرياء استنكاف النفس أن تاتى صالحا ، بتخيل أن ذلك الممثل لا يليق بمزلتها ، أو تمظنها عن أن تجامل ذا نفس زاكية بزعم أنه غير كفه لها .

ويقابل المزة الضعة ، وهى انحدار النفس فى هوة للمهانة ، ويقابل الكبرياء التواضع ، وهو إذعائها للحق ونظرها الى ذى النفس الزاكية أو للمستعدة لأن تكون زاكية ، نظر احترام أو عطف وإشفاق .

والفرق بين حقائق هذه الأخلاق سهل المأخذ ، ولا يكاد يخفى أمره على عامة الناس فضلا عن خواصهم ، ولكن أحوالا تعرض للرجل فيغنى فيها الوجه الذى يدعو الى مظهر الرفعة فيعد مستكبرا ، أو يخفى فيها الوجه الذى يدعو الى مظهر التواضع ، فيعد صاغرا .

وفى الناس من عد التواضع ذلة وعد اعتزاز النفس من جهله كبرا

وقال رجل للمحسن بن على : إن الناس يزعمون أن فيك تبا ، فقال : ليس بتيه ولكنه عزة ، وتلا قوله تعالى : ( وَفِيهِ الْعِزَّةُ وَالرُّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) وقال عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس لانه المنذر : إن فيك لتيها مفرطا ، وإن العيون تهبج النباه ، والقلوب تنفر عنه ؛ فقال المنذر : « إن لهذا السلطان رونقا يرقه التبذل ، وعلاوا يخفضه الالبساط ، ولا يصونه إلا التيه ولا تقباض » ، ثم ذكر ألباسا يمدون تواضع الرجل صفرا ، وتحفضه خسة ؛ فقال له عبد الرحمن : ابق وما رأيت .

فوزن المعاملات الخاصة وإلحاقها بإحدى خصائى العزة أو التواضع ، أو طرحتها الى الكبرياء أو المهانة ، يرجع الى اجتهاد الشخص نفسه ، وهذا لا يمنع غيره الذى



عرف من سر المعاملة ما عرف من علانيتهما أن ينقدها ، ويصف صاحبها بأنه عزز النفس أو متواضع ، أو يحكم عليه بأنه متكبر أو متصاغر .

في عزة النفس فوائد تعود على الشخص نفسه ، منها ارتياح ضميره وسلامته من ألم الهوان الذي يلاقيه من لا يحتفظ بكرامته ، ثم ما يلقيه هذا الخلق على صاحبه من مهابة ووقار ، وإحراز مكانة احترام في النفوس مما تشرح له صدور العظماء ، وإعلاء عيب الرجل في أن يجعل هذه المكانة غايته المذسودة ، أو يتخذها حباله لاصطياد ما رُب لا يتعداه نفعها .

ولهذه الغصلة آثار صالحة في الاجتماع ، فإن الأمة التي تُشرب في هوسها العزة يشتد فيها الحرص على أن تكون مستقلة بشئونها ، غنية عن أمم من غيرها ، وتبالغ في الحذر من أن تقع في يد من يطمع في تحريك أمتها ، ولا يستحي الإنسانية أن تراه مهتظا لحقوقها .

ومن عناية الاسلام بأدب العزة أنه بنى كثيرا من أحكامه العملية على رعايتها ، كما منع القادر على الكسب من بسط كفه للاستجداء ، إذ كان في استجدائه إراقة لماء وجهه بين يدي من تكون يده هي العليا ، قال صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلُهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ » وسن الهجرة من بلد لا يرفع فيها الاسلام لواءه إلى بلد تخفق عييه رايته وتقام فيه أحكام شريعته ، قال تعالى : ( وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآئِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ) وشرع النود عن الأوطان وحمايتها من أن يكون للخصوم عليها سيطرة إذ لا نصيب لجماعة المسلمين من سيطرة غير المسلم إلا العسف والإرهاق .

ومن الأحكام القائمة على رعاية العزة أن التبرعات لا تنقرر إلا بقبول التبرع له ، فلو وهب شخص لآخر مالا ، لم تنعقد الهبة إلا أن يقبلها لموهوب له ، إذ قد يرأى به

خلق العزة عن قبورها، كراهة احتمال منها، والمنة تصدع قناة العزة، فلا يحتملها ذنوب المروآت إلا في حال ضرورة، ولا سيما منة نجي. من غير ذى طبع كريم أو قدر رفيع، والعلماء الذين كانوا لا يقبلون عطايا ولاية الأمور، يريدون الاحتفاظ بكامل عزتهم حتى يكون موقفهم في وعظ أولئك الولاة إذا حادوا عن الرشيد موقف الناصح الأمين.

ومن هذه الأحكام شرط الكفاءة في النكاح، ذلك لأن في تزوج الرقيقة بمن هو دونها امتناناً لقدرها، ونمسا من كرامة أوليائها، فجعل للمرأة وأوليائها الحق في الممانعة من تزوجها بمن لا يكافئها، وإنما اختلف الفقهاء في تحديد الكفاءة كما هو مقرر في كتب الأحكام.

وقد عرف الفقهاء أن الشريعة تراعى في أحكامها حق العزة فقالوا: إن السافر يقبل هبة الماء للوضوء ولا يتيمم، إذ لا يمتن بمقدار ما يتوضأ به من الماء عادة، ولم يلزمه قبول هبة ثمن الماء، وأجازوا له التيمم، إذ كان في هبة الثمن منة، والمنة تورث شيئاً من الذلة، وعلى هذا النحو جرى لامام الغزالي إذ جعل خشية الإهانة مسقطاً لوجوب النهي عن المنكر، وموضع هـد أن يعرف العالم أن نهيه لا يجدى نفعا، ويزيد على عدم جدواه بأن يسومه أولئك المبتلون أو الفاسقون خفا، أما إذا كان يرجو مما يقوله أو يكتبه فائدة، فاحتمال الأذى في سبيل العمل الصالح عزة لا تطاولها عزة.

ومدح الإنسان نفسه رعونة، فإذا مسه أحد باردرة، فإن علم الأخلاق يسمح له بأن يزود عن عزته، ويقول كلمة ينبه بها على مكائده، وقد أبو الفضل بن شرف إلى المعتصم أحد أمراء الأندلس في زى تظهر عليه البدانة، وأنشده قصيدته التي يقول في طالعها:

مطل الليل بوعد الفلق      وتشكى النعم طول الأرق

فاهتز المعتصم لسباعها طرباً ، فحسد أبا الفضل من الحاضرين ابن أخت غانم ، وقال له : من أي البوادي أنت ؟ فقال أبو الفضل : أنا من الشرف في اللوحة العالية وإن كانت البادية على بادية ، ولا أنكر خالي ، ولا أعرف بحالي ، فانتقبض ابن أخت غانم خجلاً .

وأما التواضع وهو بذل الاحترام أو العطف والمجاملة لمن يستحقه ، فهو خلق يكسب صاحبه رضا أهل الفضل من الناس ومودتهم ، وهو الطريق الذي يدخل بالشخص في المجتمع ويكون به عضواً ملتئماً مع سائر الأعضاء التي يتألف منها جسد نسميه الأمة ، فالتواضع أنجح وسيلة إلى الائتلاف والائحاد اللذين هما أساس التعاون على مرافق الحياة وجلائل الأعمال ، قال الله تعالى يدعو رسوله الكريم إلى هذا الخلق العظيم : ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ) وقال تعالى : ( وَأَضْمِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا ) .

يستكبر الأغبياء فلنا منهم أن في الاستكبار رفعة ، والحقيقة أن ابتغاء الرفعة من طريق التواضع أنجح من التوسل إليها بطريق التجبير والغطرسة ، فالتواضع الحكيم يورث المودة ، ومن عمر فؤاده بمودتك ، امتلأت عينه بمهابتك .

وأحسن مقرونين في عين ناظر جلالة قدر في خمول تواضع

قد يراك الرجل وأنت تقضي حق الاحترام رجلاً عرفت من كماله ما لم يعرفه ، فيبعد عمالك تصاغراً ، ويرى أمامك أو وراءك بسهم الإنكار ، ولو اطلع على ما بطن من هذه المعاملة كما اطلع على ما ظهر منها ، لأقام لك بدل الإنكار عذراً ، قدم أبو الفضل ابن العميد لأبي بكر بن الخياط نعله ، فعدده بعض الحاضرين إفراطاً في التنازل ، فقال

أبو الفضل : أولام على تعظيم رجل ما قرأت عليه شيئا من الطبائع للعاحظ إلا عرف ديوانه ، وقرأ القصيدة من أولها الى آخرها حتى ينتهى اليه :

وكان أبو العباس المبرد عند ما يرى أبا بكر الأبهري مقبلا ينهض قائما حفاوة به وإجلالا ، فخطر على بال بعض أصحابه أنه تجاوز حد التواضع وأن أبا بكر لا يستحق هذا القدر من الإجلال وشافه المبرد بهذا الخطا ، فقال لمرد :

إذا ما رأيتاه مقبلا      حللنا الحبا وابتدنا القياما  
فلا تنكرن قياى له      فإن الكريم يحل الكراما

يتواضع الرجل لأقرانه فلا يصاعر لهم خدا وإن أبى الدهر إسعافهم ، ولا يخرج في معاملتهم عن حدود المساواة وإن رزق من المال أو الجاه ما لم يرزقوا ، قال البحتري وإذا ما الشريف لم يتواضع للأخلاء فهو عين الوضيع

ويتواضع الرجل لمن هو دونه في ظاهر هذه الحياة أو فيما يحرى به عرف الناس كالأستاذ يحامل طالب العلم ، والرئيس يحامل المرءوس ، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الذين أتوا الحكمة ، وسيرة الذين استقاموا على الفضيلة ما فيه عظة حسنة وقدوة صالحة .

أما الأستاذ لا يتعاضد على طالب العلم فن مظاهره الإصفاء اليه عند المناقشة ، وإجابته عما سأل في رفق ، وتلقى ما يسديه من الفهم بإنصاف ، فإن أخطأ بنه لوجه الخطأ ، وإن قال صوابا ثقبه منه بارتياح ، وارتياح الأستاذ لأثار نجابة الطلاب مما يزيدهم جدا في الطلب ، ويشعرهم باستعدادهم لأن يكونوا في النوانح ، وإعما ينبع الثائى في العلم متى تألق في نفسه مثل هذا الشعور ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . « تعلموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه » ومن حكم الامام على كرم الله وجهه : « وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، ولمن تعلمونه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء » .

وأما الرئيس لا يتعظم على المرءوس فمن مظاهره لين القول في مخاطبته ، والعناية بقضاء ما يستطيع من حاجته ، والسعي في دفع الأذى عن جانبه ؛ والرئيس المتواضع يتحاشى أن تشهد منه أترايدل على أن نفسه تحذره بأنه أفضل منك ، إلا مظاهر يسبقها عرف أصبح مألوفاً بين الناس ، روى الامام مالك : أن عمر بن الخطاب « كان في فضله وقدمه ينفع عام الرماة »<sup>(١)</sup> النار تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحيته» ذكر هذا مالك لهارون الرشيد ، وقال له : إن الناس يرضون منكم بما دون هذا .

ونقرأ في سيرة مظفر الدين صاحب أربل أنه بنى أربعة ملاجئ : للزمنى والعميان ، وقرر لهم ما يحتاجون اليه في كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في عصر كل اثنين وخميس ، ويدخل الى كل واحد في نزله ، ويسأله عن حاجته ؛ فأحسن مظفر الدين الى هؤلاء رحمة ، ودخله على كل واحد في نزله ، وسأله عن حاله ، نواضع .

وصفة المقال أن العزة ترجع الى أن يقدر الانسان قيمة نفسه ، فلا يوردها إلا الموارد التي تليق بها ؛ والكبير يرجع الى أن يرى نفسه في منزلة فوق منزلتها ، فيتراءى في مظاهر يمدحها المارقون لكنه حاله اغترارا وإسرافا في التقدير ، والضمرة ترجع الى أن يفيط نفسه حقها ، ويضعها في مواضع أدنى مما تستحق أن يضعها ، والمتواضع من يعرف قدره ، ولا يأبى أن يرسل نفسه في وجوه الخير وما يقتضيه حسن المعاشرة .

وإذا كان من يحتفظ بالعزة ، ولا يصرف وجهه عن التواضع ، هو لرجل الذي يرجى لنفع الأمة ، ويستطيع أن يخوض في كل مجتمع ، ضاف الكرامة ، أليس يلتقى شديد الثقة بنفسه ، كان حقا على من يتولى تربية الناشئ أن يتفقد في كل طور ، حتى إذا رأى فيه خمولا وقلة احتراس من مواقع المهانة ، أيقظ فيه الشعور بالعزة والطموح الى المقامات العليا ، وإذا رأى فيه كبرا عانيا وتبها مسرفا ، خفف من غلوائه ، وسأسه بالحكمة حتى يتعلم أن لمجد المؤنل لا يقوم إلا على دعائم العزة والتواضع .

محمد الخضر حسين

(١) الرماة : الهلكة سمي به عام حطب ومعهط وقع في زمن أبي الخطاب لهلاك الناس به والأموال .

# النفس

## سورة الملك

٧

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله عز وجل : ( إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ) .

كلمة موجزة تذكرك بخلاصة ما سبق :

قد بين الله جل ثناؤه في أول السورة أنه قادر على جميع الممكنات قدرة كاملة شاملة لها . ثم بين أن هذه القدرة العظمى إنما تتعلق بمصالح العباد ومنافعهم وإعدادهم المسابقة في الخيرات ، حتى يظهر حينئذ أيهم أحسن عملاً . ثم ذكر سبحانه بعد ذلك أنه عزيز يقهر ولا يقهر ، فيسيء إلى المسيء بإساءته ، وأنه غفور يعفو ويصفح ، فيحسن إلى الحسن ويتجاوز عنه بإحسانه ، كما قال : ( إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الْأَلْسِنَاتِ ) . ثم أقام بعد ذلك ما شاء من الأدلة على ما له عز وجل من القدرة الكاملة والإرادة النافذة والعلم المحيط والحكمة البالغة وسائر الكمالات الإلهية : فذكر خلقه سبحانه للسموات السبع وما فيها من عجائب التكوين وبدائع الصنع ، ليعلم الناس أن من كان قادراً على ذلك فهو بلا ريب قادر على معاقبة الماصي وعلى إثابة الطائع . ثم أتبع هذا بياناً ما أعدّه بمدله للماصين من العقاب في الآيات السابقة ، وهي قوله تعالى .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ . وَثَبَسَ الْمَصِيرُ) وقد تقدم الكلام فيها في العدد السادس . وسيأتى بيان ما أعدّه بفضلُه للطائمين في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمُ) الآية .

ثم نقول لأن : الإلقاء هنا هو الطرح والرمي على سبيل الإهانة والاذراء . والشهيق هو إدخال النفس في الجوف بشدة حتى يُسمع له صوت قبيح وأنين مرتفع . والزفير هو إخراج النفس من الجوف بقوة أيضا حتى يُسمع له مثلُ هذا الصوت المنكر المكروه ، وكلاهما من أصوات المصائب والكروب . والفور شدة الغليان والاضطراب .

يُنِىَ اللهُ الْحُكْمَ الْعَدْلُ في الآية المتقدمة وهي قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَثَبَسَ الْمَصِيرُ) الجزء العدل الذي استحقه الذين كفروا برهم ، وهو عذاب جهنم ، ثم ذم جهنم هذه التي أعدّها مهادا وفرارا لهم بِمَجْمَعِ الدَّمَامِ في قوله : (وَثَبَسَ الْمَصِيرُ) أى الذى يصير اليه أمرهم ، ثم بعد أن ذمها هذا الذم الجامع العام أخذ يفصّله بمضّ التفصيل بقوله سبحانه : (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ) .

فبيّن في هذه الآية أن دخولهم فيها ليس<sup>(١)</sup> باختيارهم ، بل بإلجائهم وقهرهم عليه فلا يحدون لهم يومئذ وليا ولا نصيرا ، ولذلك عبّر بالإلقاء الذى هو القذف والتبذّر مع الاحتقار والامتهان .

(١) فهم في الآخرة التى هي دار الجزاء على الاعمال ملوؤوا الاختيار محجورون على دوق العذاب . أما في الدنيا التى هي دار التكليف والامتحان فهم يريدون مختارون مطلقو التصرف مع بيان الله تعالى لهم ما ينفعهم وما يضرهم .

وقد جاء وصف إدخالهم في جهنم داخرين<sup>(١)</sup> مذخورين مفسورين في عدة آيات من القرآن العظيم - فيها قوله تعالى: (يَوْمَ يُدْعَوْنَ<sup>(٢)</sup> إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً هَٰذَا النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) وقوله: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ<sup>(٣)</sup> فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي<sup>(٤)</sup> وَالْأَفْئَادِمِ) وقوله: (وَيَحْشُرُهُمْ<sup>(٥)</sup> فِيهَا اللَّيْمَةَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمَّا قُبِحُوا<sup>(٦)</sup> وَنُصِبُوا<sup>(٧)</sup> إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا<sup>(٨)</sup>) وقوله: (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَتِيسَ الْمُصِيرِ) وقوله: (مُتَّعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَافِظٍ).

ثم نبه عز وجل على أن إدخالهم في هذه الدار الذميمة يوم القيامة أمر محتم لا ممتنع له، ولهذا عبر بكلمة إذا المفيدة للتحقيق والتقرير وأن ما يذكر بعدها أمر لا محيص منه.

ثم شرع سبحانه يفصل شينا من أحوال جهنم وصفاتها الذميمة البشعة فقال مبينا الصفة الأولى: (سَمِعُوا هَٰذَا شَهيقًا) أى صوتا منكرا فظيما صادرا منها يشبه ذلك الصوت المزيج القبيح الذى عهدوه فى الدنيا وهو الشهيق لذى هو صوت الكوارث والنوائب، بل شهيق جهنم أنكر وأذهى وأمر.

(١) أدلاء مطرودين من الرحمة مقهورين على دخول جهنم. (٢) يدعون دفعا عبدا

(٣) علاماتهم كسواد الوجوه ورقعة العيون. (٤) جمع ناصية وهى الشمر الذى فى مقدم الرأس. أى يصبون من شعورهم وأرجلهم الى جهنم. (٥) فكفار يوم القيامة فى الحشر وبعد دخولهم جهنم جملة أطوار وأحوال: فتارة يكونون عيا وكما وصفا، وتارة يكونون غير ذلك، فلا تنال بين النصوص القرآنية فى ذلك. (٦) أى أن عيونهم ذرى من العمى، فإن الحديقة الميأة تكون ذرقاء. (٧) ماشين عطاشا.



قد اقتصر سبحانه هنا في ذكر أصوات جهنم على الشهيق، ولكنه ذكر زفيرها في آية أخرى وهي قوله تعالى: (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سِيرًا. إِذَا رَأَتْهُمْ<sup>(١)</sup> مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا<sup>(٢)</sup> وَزَفِيرًا).

ثم إن سماعهم لصوت جهنم حينما يُلْقَوْنَ فيها كما دلت عليه الآية التي معنا، لا ينافي أنهم يسمعون صوتها قبل الإلقاء أيضاً وهم في المحشر يمدون بها كما دلت عليه الآية الثانية، فهم في كلتا الحالين: سَوَّيِّهِم إلى جهنم وإِلَاقَتِهِمْ فيها، قد لا قسم جهنم شرّاً لها، وَحَتِّتُهُمْ أَسْوَأَ نَحِيَةٍ. قد بدت البغضاء من أفواهها، وما تخفيه صدورها أكبر، ولهم فيها بعد ذلك عذاب مقيم.

ثم إن هذين الصوتين النكرين وهما الشهيق والزفير، إنما يكونان للنار إذا تسعّرت وتوهّجت واشتد تلهبها واضطرابها، وهما وصفان يعرفهما الناس ل نار الدنيا، ولكلها نار جهنم أقبح وأبشع.

فوصف الله تعالى لها بهما إنما هو من قبيل بيان جنس فظاعة جهنم وشناعتها، وتقريب أوصافها إلى الأفهام بما هو معهود لها في الدنيا، وقياس الغائب على الشاهد في الجملة وعلى الوجه لأعم.

ومثل وصفه سبحانه لجهنم على هذا النحو، وصفه للجنة كذلك، وتقريبه لنعيمها إلى العقول بما هو مألوف لها. وقد نبه عز وجل على هذا التفاوت العظيم بين ما في الآخرة وما هو مألوف في الدنيا في مثل قوله في عقاب أهل النار: (قَالَتَيْنِ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ. يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ). وقوله في ثواب أهل الجنة: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

(١) أي للسير وهي نار جهنم. (٢) أي صوتاً ناشئاً من تغيطها.

ثم إنه جل اسمه بعد أن بين ما يزعمهم ويذهب بألبابهم حين إلقائهم في جهنم من طريق السمع، بين ما تنحلح له قلوبهم ويجعل أفئدتهم هواء حينئذ من طريق البصر وغيره، فقال مبينا الصفة الثانية: (وَهِيَ تَقُورُ) أى تغلى بهم بعد إلقائهم فيها كما يغلى المرجل بما فيه من شدة التلثب والتسمر، فهم لا يزلون فيها صاعدين هابطين كالطب حينما ينلى به الماء، لا فرار لهم فيها (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا. كَذَلِكَ يُجْزَى<sup>(١)</sup> كُلُّ كَفُورٍ).

ثم إنه جل وعلا ذكر سبب فوران جهنم وغليانها بهم مبينا الصفة الثالثة فقال: (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ) إذا قلت: تكاد الشمس تغرب، فعناه أنها قاربت الغروب ولكنها لم تغرب. وتَمَيِّزُ الشئ تَفْرِقُ أجزائه وفصال بعضها من بعض. والغيط أشد الغضب. والغضب أكم<sup>(٢)</sup> يصيب النفس فيشور له دم القلب إرادة الانتقام. والتميز ناشئ من الحرارة التي يثيرها فوران الدم، فإن الدم عند الفوران يصير أعظم حجماً، فيمدد الأوعية حتى تكاد تنشق وتنخرق.

وصف الله سبحانه جهنم بالغيط، وهو كما علمت من أوصاف المخلوقات المدركة كالإنسان، فدل ذلك على أن وصف جهنم به إنما هو على سبيل التمثيل ونشبيه شدة اشتعال نارها وعظم توهجها وفورانها، في قوة تأثيرها فيهم وإيلامها لهم وإيصال الضرر العظيم إليهم، بغيظ الغتاظ الخائق على غيره، المجد في الانتقام منه، للبالغ في النكابة به وإيصال الضرر الجسيم إليه<sup>(٣)</sup>.

وللعنى أن جهنم تقرب أن تنفك أجزاؤها وتتقطع أوصالها من شدة فورانها وغليانها وقوة تسمرها وتأظيها. فما أشبه حالها حينئذ بحال الإنسان إذا ملكه

(١) قراء أبي عمرو. (٢) فتكون كلمة ليط على هذا استمارة تعريحية أصلية وبجوز غير ذلك.

الغضب حتى كاد يتميز ويتفطر من الغيظ، كما قيل: يكاد فلان ينشق من غيظه،  
وحق فلان فطارت شقة منه في الأرض وشقة في السماء.

هذا كله كما ترى إذا فرض أن جهنم لا حياة لها ولا إدراك، أما إذا كانت  
من قبيل المخلوقات الحية<sup>(١)</sup> المدركة التي تغضب وتحنق حتى تكاد تتميز وتمزق،  
فإن وصف تميزها من الغيظ يكون وصفا حقيقيا لا مجازيا، ويكون معنى الآية الكريمة  
حينئذ أنجلي وأوضح. هذا.

ربما كان فرض الحياة والإدراك لجهنم مثارا لإوجوم<sup>(٢)</sup> بعض وإنكار بعض  
آخر مستبعدين أو منكرين أن يكون للجحيم حياة وإدراك، زاعمين أن ذلك هدم للقواعد  
وخرق للقوانين وإبطال للأحكام التي قضى بها النظر.

هكذا رعموا، مع أنهم معترفون بأن هذه القواعد وتلك القوانين إنما هي آثار  
قدرة باهرة، وصنع خالق جليل في نموه حكيم في أفعاله، فإن كانوا صادقين في هذا  
الاعتراف قلنا لهم: إن هذا الخالق كما وضع تلك القواعد والقوانين بقدرته وحكمته  
لوقت وسبب معينين، له أن يبطلها ويستبدلها غيرها إذا اقتضت حكمته ذلك،  
مع بقاء النظام والسلامة من الفساد، وما ذلك عليه بمزير.

لأنظن أنهم يحجرون عليه ويقولون: إن يده مغولة فلا يقدر أن ينقض ما أبرم،  
فإن قالوا ذلك قلنا لهم أولا: إن هذا منهم نقض لما أبرموه في اعترافهم من كمال هذا  
الخالق القادر الحكيم، ثم قلنا لهم ثانيا: إن هذا الذي حجرتم عليه وغلتم يده، ليس  
هو الخالق الأعظم الحكيم الغالب على أمره لئلا نمنى نحن وبدين له كما شهد به  
الحجج العقلية الصادقة، لأننا إنما نمى خالقا قادرا قام الدليل القاطع على أنه وحده مصدر

(١) قد حور ذلك بعض العلماء وقد ورد في بعض الأخبار ما يؤيد ذلك. راجع تفسير الألوسي والعمري.

(٢) وجه من الأمر أمسك به وهو كاره له.

جميع الآثار من الإيجاد والإعدام والتكوين على طبق علمه المحيط وحكمته البالغة ، فهو ينقض ما أُبرمَ ، ويحو ما أثبتَ ، ويُبرم ما نقضَ ، ويُثبت ما حُجِّجَ . كل ذلك منه إذا دعت إليه المصلحة واقتضته حكمته ، فإذا أبطل شيئاً من القواعد والقوانين الأولى التي كان قد وضعها مطابقة لحال سابقة ، فإنه يكون قد وضع بدلاً منها قواعد وقوانين أخرى وفقاً لحال لاحقة ، ونُظِمَ الموجودات واستقامت أمورُها سائرةً منيرتها الأولى .

كل ذلك يصدر عن ذلك الخالق لأعظم بمقتضى قدرته وعلمه وحكمته وسائر كمالاته العاليا ، والمخلوقات في جميع أطوارها التي يُصرفها فيها قائمةٌ في وجودها على أثبت القواعد وأحكم القوانين وأدق النظم والبراهين من كل عيب وفساد .

ذلكم هو الخلاق الأكبر الذي نعنيه ونقيم وجوهنا إليه ، وهو الذي يجعل جهنم يوم القيامة من قبيل المخلوقات الحية المدركة ، حتى إذا أُلقيَ فيها الذين كفروا به اشتد غضبها عليهم و ( تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ) عليهم بسوء كفرهم به .

أما هذا الخالق الآخر الذي زعموه ، فإننا لا نَعْنِيهِ في كلامنا ، بل نَدْعُهُ لَهُمْ ، فإن شاءوا أَبْقَوْهُ محموراً عليه مغلول اليدين ، وإن شاءوا أَطْلَقُوا يده ووضَعُوا الأَغْلالَ التي كانت عليه . ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ قَائِمَةٍ لَّهُ . إِنَّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ . وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْزِدُوهُ مِنْهُ . ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ . مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) .

كيف يُسْكِرُونَ الحياةَ على جهنم وينكرونها عليها وقد علموا أن الحياة قدر مشترك بين مخلوقات كثيرة ، ولكل جنس منها نصيب مفروض من الحياة وحظ

محدود منها يناسبه ، فلجنس الحيوان حياة جنسية تناسبه ، ولكل نوع من أنواعه حياة نوعية كذلك ، وعلى هذا القانون جنس النبات وأنواعه ، حتى إنك ترى أن بعض النبات إذا كسسه لأمس تأثر تأثر الحيوان بل الإنسان ، فتراه قد ذبل وتقبض حتى صار في صورة الخجل للمستحي .

أبعد أن يعلموا هذه الحياة في غير الحيوان والإنسان من المخلوقات ، ويروا آثارها والانفعالات الناشئة عنها فيها ، يستكبرون على جهنم الحياة والغيظ من الذين كفروا بهم : ولكن لا يجب ، فإن إنكار الحياة والإدراك على جهنم ليس بدعاً من الذين عصوا فطرتهم وعفوا عقولهم فأنكروا ما هو أجلى وأظهر من ذلك ، وهو البعث وما بعده من الحساب والثواب والعقاب ودخول الجنة والإلقاء في جهنم . ثم ماذا يقولون إذا سمعوا قول الله عز وجل في شأن جهنم يوم القيامة : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) أو قوله في شأن خلق السماء والأرض : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ؟ إنهم سيقولون في هذا مثل ما قالوه في غيظ جهنم ، ويدعون هنا ما ادعوه هناك ، ويقولون إن القول خاصة من خواص الأحياء المدركين ، وأين منهم الأرض والسماء ؟ .

ونحن نقول لهم : إن القول وسائر ما انصف به الأحياء المدركون ، هو من الأمور الممكنة التي لا تستعصي على قدرة الخلاق المميز الذي نحن نفيه ، فخميتها في قبضة عزه يُصرفها كيفما شاء ، ويضعها حيثما اقتضت حكمته .

قد يزهد بل يتمتع من هذا الاستدلال العقلي السليم فريق من الناس لا تنساع إلى مداركهم المقدمات البرهانية ، ولا تنفذ إلى قلوبهم الأدلة العقلية ، فتراهم لا يتعرفون ما سموه علماً إلا من المادة التي يبصرونها ، ولا يستخذون إلا لأحكامها التي يزعمونها ،

ويرفضون ما يرون أنه مخالف أو مبطل لها ، مع أنهم طالما اعترفوا بأن كثيرا مما  
قرروه من أحكامها وقوانينها وقواعدها كان نتيجة استقراء ناقص أو مبني على  
خطأ محض .

فهل بعد أن يترفوا هذا الاعتراف يحمّدون على المدة وصفاتها ، ويثبّدون  
العقل وبراهينه ظهرياً ؟

على أننا سنشايهم ونسألهم قليلا جنبا لجنب فنقول : كان الناس إذ قال قائل  
منهم : لقد سمعت من آله <sup>(١)</sup> مستحدثة من جاد صوتا ذا مقاطع قد اشتملت على  
حروف كوّنَتْ منها كلمات ، ثم أُلْقَتْ منها جُلُّ واضحة مفيدة نطقت بها تلك الآله  
نظنا محكما ، فكان منها ما هو جيد ، ومنها ما هو هزل ، ومنها ما هو أغاني منظومة  
ومنشورة قد جاءت على طبق قوانين التوقيع والتلحين — اذا قيل لهم ذلك أوسعوا قائله  
تعبيا وسخرية وتسفيا وتكذيبا .

فأبالمهم الآن بعد أن سمعوا كما سمع قائلهم قد اطمأنت قلوبهم الى خبره ، وتبين  
لهم أنه لم يكن من السفهاء الكاذبين ، وعلموا أن للعقول الإنسانية مجالا مقدسا  
يتفكرون فيما حواه من الكائنات التي خلقها الله تعالى فيه ، ثم يُرَكَّبُونَ ويحلّلون ،  
ويحترصون ويصرفون فيها على وجوه شتى ، ليصلوا الى معرفة ما أودعه الله تعالى  
فيها من الخصاص والمزايا ويتمتعوا بها :

فإذا كانت قدرة الإنسان محدودة قاصرة لا تتعدى دائرة قدرها لها الخلاق العليم  
كما نشمر به من أنفسنا ، ولو نُسِبَتْ المقدورات التي استطاعت القدرة الإنسانية أن  
تتناولها ، الى غيرها مما عجزت عنه ، لم تكن شيئا مذكورا — اذا كانت هذه القدرة

(١) هي ما كن الاسوات (فجر جراف) .

في عجزها وقصورها على ما وصفنا وقد استطاعت أن تحتال وتتصرف حتى اخترعت  
وأنطقت الجناد، فنطق بما بهر العقول واسترعى الأسماع، فسوّت بذلك بين الجناد الأخرس  
الصامت والإنسان المتكلم الناطق، أفيمجب الإنسان بعد هذا أو ينكر إذا قال الله  
الخالق القدير: إن جهنم يوم القيامة إذا أُلتي فيها الذين كفروا (تَكَادُ تَمَيُّزٌ مِنَ الْغَيْظِ).  
أو قال في شأن السماء والأرض: (قَالَتْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ) أو نحو ذلك مما ورد في القرآن  
الكريم، مدعيًا في استمزاز ونيجح أن الغيظ والقول إنما هما من شأن الأحياء  
وخصائصهم لا يشار إليهم الجناد فيهما، غافلاً عن أن الخلاق القالب على أمره لا يُعزّزُه  
شيء في الأرض ولا في السماء، بل إنه على كل شيء قدير؛ فأين هذه القدرة الانسانية  
القاصرة التي سوّت بين الجناد والحي، من هذه القدرة العظمى التي وجبت للإله الخالق  
الأكبر واهب القوى والقدير.

ألا فليعلم الناس أجمعون، أن الله الذي ليس كمثل شيء، قادر على أن يخلق من  
العدم موجوداً، وأن يجعل من الجناد حياً مدركاً، وأن ينشئ من الحى جماداً صامتاً،  
وأنه سبحانه على كل شيء من الممكنات قدير.

كذلك فليعلموا أن ما ورد في القرآن العزيز من نسبة القول إلى السماء والأرض،  
وما ورد في الأخبار من نسبة الحياة والإدراك إلى جهنم تفسيراً لقوله تعالى: (تَكَادُ  
تَمَيُّزٌ مِنَ الْغَيْظِ)، هذا وذالك صحيح مقبول شرعاً وعقلاً، لأنه من الممكنات المقدورة  
لله عز وجل، ولا لفظ القرآن الكريم يحتملها.

ولعل في هذه الكلمة بلاغات قوم عابدين (فَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنُوا وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ)  
(وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ . إِنَّا عَامِلُونَ . وَانْتَظِرُوا . إِنَّا  
مُنْتَظِرُونَ) (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) .

وكيل مدرستي القضاء الشرعي  
ودار العلوم العليا سابقاً

## رحم الله امرءا عرف قدره

.....

تعلم دعاك الله أن بعض الناس الذين رقى دينهم وغلظ حججهم يشككون فيما نسب لى الأنبياء مما لم يدروا له تأويلا ولم يعرفوا له معنى، فتراهم يكررون ما جاء فى الدين من الروحانيات وأمور الآخرة، لأن طبيعتهم الخبيث لا يقبله، واستعدادهم الضعيف قاصر عنه. وكثيرا مايؤثر ذلك فى قراءة الصحف والمجلات، فنريد أن نحذركم من تقليد أولئك الجهلاء فى مقالنا هذا، فحسى أن ترجع ذوى الثروة الذين يريدون أن يطيروا بأجسامهم الثقيلة فى جوسماء الأرواح، الى خطة الانصاف، حتى يعرفوا أن لهم درجة من العلم والاستعداد يجب عليهم أن يقفوا عندها ويدعوا ما وراء ذلك ولا يخوضوا فيه، حتى اذا سمعوه عن الأنبياء لم يتكروه، فيكونون من الذين يؤمنون بالغيب وهو نوع من الهداية.

إن التفاوت الذى بين أفراد الإنسان لم يتفق مثله لأفراد نوع آخر، فليس هناك فرد يساوى ألف فرد أو أكثر من أفراد نوعه غير الإنسان، وإنه باعتبار أفرادهم لأرفع لأنواع على الإطلاق وأحطها على الإطلاق، وليس لكل فرد من تلك الأفراد علم إلا عن نفسه، ولا خبر لديه عن معلومات الفرد الآخر وما هو عليه.

إن كل إنسان لا يعرف إلا ما يناسب استعداده الخاص، ولا يمكنه أن يعرف ما يناسب ما فرفه من ضروب الاستعداد وما لذلك من الأحكام الخاصة التى تعمل عن درجته، فذلك عالم آخر بالنسبة اليه محجور عليه دخوله بمقتضى استعداد السافل، حتى إنه لا يكاد يصدق بأوضحها عند أربابها، وربما كان البعد فيما بين ذلك وبين



استمداده شاسعا فلا ينفع فيه البرهان ، ولا يمكنه أن يدركه ، وكان كالنبي يكلف أن يرى ما بعد عن متناول بصره وقوة نظره من المراتب لغيره ؛ ولو ذكرت الكهرباء ، وآثارها للمصري الساذج منذ مائة سنة لم يصدقك ولو أقمت له على ذلك ألف برهان ، بل ذلك يحده الانسان من نفسه إذا تأمل في أحواله وتنقلاته في أدوار حياته المختلفة يعرف أنه كان في دور السذاجة ينكر ما يعتقد الآن في دور العلم ، ولا يزل هكذا يترقى في معرفة الحقائق ( يعتقد اليوم ما كان ينكره بالأمس ) .

وقد استباننا تلك الحقيقة لأساطير الفلسفة في أوروبا فاعترفوا بأن ما يحملون أكثر مما يعلمون ، وأن فوق استعدادهم ما لم يصلوا اليه حتى الآن ، وقد قال الفيلسوف ( سيزار لومبروزو ) في كتاب ألفه في إثبات الأسير تزم ( استحضار الأرواح ) : « لنحذر من ادعاء دقة العقل واعتقاد أن كل من سوانا مخرفون واهمون ولحترس من الزعم بأننا وحدنا العلماء دون غيرنا فإن ذلك يوقننا ولا شك في الضلال » ولو ذكر لأرسطو وأفلاطون وسقراط أن الماء مركب وأن الذهب غير مركب لأنكروا ذلك كل الإنكار ، كما أنك تعد الآن انحصار العناصر في لأربعة التي بدكرها القدماء الذين يحملون الماء بسيطا وطهوا كذلك جهلا عظيما أو خرافة لا تسمع ، فليس من العقل أن نحكم في كل شيء بالأحكام الجازمة ، بل يلزمنا أن نعتقد أن وراء استعدادنا ما لا يدخل تحت مداركنا . ولو فرضنا أن حاسة الشم مثلا كانت مفقودة من العالم كله لأنكروا نوع المشومات بأسرها افتقد آلة إدراكها فبهم ، ولعل هناك من الأشياء ما لا يدرك إلا بحاسة سادسة لم تخلق فينا أو في بعضنا ، فكانت تلك الأشياء عنده داخلية في عالم العدم لا في عالم الوجود ( وقد ذكر بعض علماء الحيوان أن للنحل حاسة ليست فيها ) فكل إنسان عصور في سجن استعدادده المحيط به من كل جهاته لا يمكنه أن يرفع رأسه إلى ما فوق سقف ذلك السجن

ولا أن يجاوز بصره ما وراء حيطانه وإن كان في وسط ذلك العالم الفسيح، والأشياء موجودة في أنفسها لا يؤثر فيها جهل الجاهلين بها، وكل يرى منها على قدر بصر عقله، فليست الأشياء كلها موجودة في حركتك، أو لست أنت موجودا إلا في بعض يسير منها وإن كان يخيل لك أنك في الكون كله.

وبهذا تعلم أن حكم الطبقة الدنيا على الطبقة العليا لا يكاد يقرب من محل الصواب إلا بالمصادفة والاتفاق، أو بالقرب من درجة تلك الطبقة العالية، بل إذا رأينا شخصين من طبقة واحدة وقد صدر منهما فعل واحد لا يمكننا أن نحكم عليهما حكما واحدا حتى نعرف مبدأ الفعل وباعته وغايته التي تراد منه عند كل منهما، فقد تكون صورة الفعل واحدة وهو حسنة كبرى بالنسبة إلى شخص، وسيئة عظيمة بالنسبة إلى آخر، ودرجات الأفعال في ذلك وجزاؤها على ما يقتضيه وزنها الحقيقي لا يتضع في هذا العالم إلا نوعا من الانضاح، ولا يقوم بالجزاء الحق إلا من عرف كنهه لأشياء على ما هي عليه في الواقع، وليس إلا الله تعالى كما قال: (وَلَإِنْ كُنَّ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ).

ولا بد أن تكون قد علمت بعد هذا أن كل إنسان إنما يحكم حسب ما يراه بصره الضعيف أو القوى (المحدود على كل حال) وأما ما بعد عما يتناولوه إدراكا فهو بالنسبة إليه في عالم العدم، وإن من الجبل أن يعتقد الإنسان أن كل شيء يدخل تحت علمه ويمكنه أن يصل إليه، فكما خلقت على حد محدود في القوة الجسمية فلا نستطيع أن تنقل الصخر ولا أن تحرك الجبل ولا أن نسمع من الأصوات أو ترى من البصائر إلا على مسافة مخصوصة، ولا يمكنك أن تصل إلى ما وراء ذلك ولو أجهدت سمعك وأتعبت بصرك. كذلك خلقت على حد محدود في عقلك وإدراكك، فأنت محدود في جميع أمرك، مقيد في استعدادك الباطني تفيدك في استعدادك الظاهري، وإن كان يمكنك أن تترقى

ولكن إلى حد محدود أيضا . ولكل من الدرجتين علوم تخصها لا يمكنك في كلتا الحالتين أن تتجاوزها إلى ما وراءها ، وليس ذلك الاطلاق الذي لتفصيل والقوة غير المحدودة في كل شيء . والعلم غير المتناهي إلا لله تعالى ، وتعلم أن من الحكمة بعد ذلك إلزام كل حده ، حتى لا يحكم الصغير العقل الضعيف الاستعداد القليل للمعلومات النازل لدرجة على العظيم في كل ذلك .

وإذا أينا على السوق الساذج أن يتكلم في السياسة ويتكلم على قادة الأمم وكبرائها بأحكامه الجائرة التي لا يشك هو في عدالتها ، ويخطئهم في آرائهم التي لا يعرف أسرارها ودخائلها ، فكيف لا نأثي على هؤلاء الزعاف الذين لم يعرفوا من العالم لمحسوس إلا ظواهره فضلا عن العالم الروحاني الذي لم يشعوا له رائحة أن يتكلموا في الأنبياء والمرسلين ، ويحكموا عليهم بحكمهم من في الأرض على من في السماء ؛ فأمر الدين وما فيه من الأسرار أدق وأنعم من أمر السياسة ، وأرفع من أن يصل إليه أولئك الجثائيون ، وبينهم وبين الأنبياء أبعد مما بين الملوك والسوقة ، وأرفع مما بين الفرش والعرش . وإن العلم أشبه شيء بالبحر ، ومن نزل البحر ولم يحسن السباحة أدركه الفرق لا محالة . وإيست كل سفينة تصالح لكل بحر ، ولا رباتها يسير بها مع كل عاصفة .

فميك أيها الراغب في سعادتك ، المحتاط لأمر دينك ، الخائف على نفسك ، أن تنتق لأعراض قلبك من العلماء كما تنتق لأعراض بدنك من الحكماء ، وأن نحتاط في نحصيل مزاياك ، كما نحتاط في اكتساب قضاياك ، فورا ذلك شقاء ماله غاية ، أو سمادة ليس لها نهاية .

يوسف البربري

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## الربا

الربا في الجاهلية والاسلام - الربا في نظر الشرع وفي نظر القانون

الربا في نظر الأمم وفي نظر الأفراد

٢

بعد أن انتهينا من تفسير هذه الآية الكريمة وعرفنا من أسرارها وتبصيرها ما فيه مقتع ، يصح أن نعرض لآية آل عمران لنكشف القناع عن شبهة تعلق بأذيالها من يبحث لنفسه عن منفذ ينيلها به مبتغها ، ضاربا الصفع عن كل هذه الآيات والنذر :

قال تعالى في سورة آل عمران : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) .

لقد فهم بعض من لا خلاق لهم ومن يحاولون أن يخذلوا الدين الى أهوائهم وينزلوه على حكم شهواتهم بدل أن ينزلوا أنفسهم على حكمه من قوله تعالى في النهي عن أكل الربا : ( أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ) أن هذا قيد في النهي ، وأن النهي عن الربا إنما يكون اذا كان أضعافا مضاعفة ، فإن لم يكن كذلك فهو حلال ، وقالوا على ذلك يكون النهي عنه إنما هو الربا الفاحش المتضاعف ، أما الربا ذو الفائدة المعتدلة فلا حرمة فيه ولا نهى عنه . وما أشد ما فرحوا بهذا التخريج وملأوا الدنيا صياحا أن قد وجدوا في القرآن

ما يحل لهم أكل الربا غير الفالحش ، فقد قيد النهي بقيد المضاعفة ، حيث لم يحصل القيد لم يتحقق النهي . هكذا قالوا ، وهكذا فهموا ، أو حاولوا أن يفهموا ، جرياً وراء غاية نفوسهم ، وسمياً لتحقيق ما حرصوا عليه وهو ابتغاء الوسيلة لاستحلاله ولو من أضيق الطرق . وسنبين لك فساد مزاعمهم بما لا يدع مجالاً للشك فضلاً عن المكارة والإنكار .

ويحتاج الأمر قبل ذلك الى كلمة وجيزة في أنواع الدلالة اللفظية التي هي عماد فهم النصوص الشرعية . اقد قسم علماء الأصول دلالة اللفظ الى دلالة منطوق ودلالة مفهوم ، وقسموا المفهوم الى مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة ، ولا يرو عنك التعبير الاصطلاحي وإسناده الى علماء الأصول فتظن أما تعمقنا في القول بما يخرج عن فهم الجمهور ولعلوا على مستوى فكر عامة الناس ، فليس في الأمر ما يدعو الى ذلك ، وإن كنا لو صرنا اليه في موضوع أخذ الأحكام من القرآن لم يكن في ذلك من بأس ، فباب الاستنباط من القرآن باب عال لا ينبغي أن يحاول اقتحامه إلا من أعد له عدته ، ولكن الأمر في هذه المسألة ليس من الصعوبة على ما تظن ، فدلالة المنطوق دلالة اللفظ على معناه الذي يستعمل فيه ، ودلالة المفهوم دلالته على معنى خارج عنه ، فالأول كدلالة « أحل الله البيع وحرم الربا » على حل البيع وحرمة الربا ، والثاني كدلالة هذا النص على حل الاتِّفَاع بالنمن وبالمبيع وحل الشهادة على ذلك ، وكدلالته على أن الفائدة في الربا لا تملك ، وأن المقر له وهو قادر على تغييره من نكب إثمها ، وأن المساعد عليه بالشهادة أو الكتابة شريك في الإثم . مستحق لعنة الورد في الحديث .

وأوضح من هذا في تشييل دلالة المفهوم دلالة قوله تعالى في شأن البر بالوالدين . ( وَلَا تَقْرَبَا أُمَّيَ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ) دلالة على حرمة ضربهما وابتداهما وتعتديهما بالجور أو الخيس أو ما مثلهما ، فإن ذلك ليس ممنولاً لكلمة لا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، ولكنه مفهوم بالبدهة أن النهي عما يجرح عزة نفوسهما

ووجب تغيرهما واشتمل أزهما، نهى بالأولى عما يؤذيها ويحرمها ويؤلها. هذا مفهوم الموافقة، وهو دلالة اللفظ على حكم مماثل للحكم المنطوق به وموافق له، أما مفهوم المخالفة فهو دلالة اللفظ على حكم مخالف للحكم الذي دل عليه النص، وذلك كما في قوله عليه السلام: «مطل العنى ظلم» فإنه يفيد أن مطل المدين الفقير أى تأخير أدائه لدين الذي عليه ليس بظلم، وكما في قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ) مفهومه أن غير ذات الحمل لا يجب الإنفاق عليها إلا مدة العدة المقررة، وقوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)، مفهومه أنها إن تزوجت غيره حلت لزوجها الأول، وهذا النوع من الدلالة وهو مفهوم المخالفة مختلف فيه بين الفقهاء: أسكره أبو حنيفة وأثبتته الشافعي، وفصل آخرون فيه تفصيلا لا يسع المقام بسطه، والمثبتون له اعترفوا بأن دلالاته ضعيفة، فشرطوا فيها ألا يظهر لتقييد فائدة ما غير مخالفة حكم ما خرج به الحكم ما اشتمل عليه، أما إذا ظهرت له فائدة فلا مفهوم مخالفة، وذلك كما في قوله تعالى في تحريم النساء: (وَرَبَايُسُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ) فليس معناه أن ربيبة الرجل لا تحرم عليه إلا إذا كانت في حجره أى تربي معه في بيت واحد، بل حرمة لربيبة شاملة لمن كانت معه ومن كانت بعيدة عنه، وإنما ذكر قيد اللاتي في حجوركم، لأنه الغالب من جهة، وتنبهها على حكمة التحريم من جهة أخرى، ببيان أن هذه الربيبة ستدفعها الحالة إلى أن تكون معك في بيت واحد، إن لم يكن دائما ففي بعض الأحيان، فمن حقها أن تنظر إليها كما تنظر إلى ابنتك المترية في حجره، فيجب أن تنقطع طماعتك عنها بالمرّة، وذلك بتحريمها، وكما في قوله تعالى: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِنَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا) فليس معناه أن الإماء إذا لم يردن التحصن جاز دفعهن إلى البناء أو جاز تمكينهن منه ولو بدون إكراه، وإنما قيد مسوق للنأيب والتبكيك وتفضيع ما كاتوا يفعلونه مع إماءهم من إكراههن على البناء يتكسبن به

ويعطينه لصادقته ، فجاءت الآية نعيًا عليهم وتقييحا لشنيع فعلهم ، وكأنه يقال لهم : إذا كان هؤلاء نساء مملوكات لا يعرفن ما هو العفاف والشرف والصيانة كما تعرفون ويردن التحصن ، فكيف كنتم أيها الرجل المقلدون فدونهن إكراهًا مع أنه لا ينالكن من مقارفة هذه القبائح إلا دراهم معدودة ، بينما قد ينلن هن من اللذة البهيمية ما عساه يدفعهن لذلك القبيح . فالآية بالغة في التشنيع عليهم والتشهير بسوء فعلهم مبلغًا عظيمًا ، وذلك بذكر هذا القيد خصوصًا مع لفظ الإكراه .

اذ نعهد هذا رجعتنا الى متمسك أولئك الطعام في أمر الربا بهذه الآية ، وذكر قيد أضعافًا مضاعفة ، وأستحلفك أن تطرد السامة عن نفسك ، فالأمر جلل والبلوى عامة والنفوس متطلعة الى ما ينير لها الطريق :

إن من يريد أن يفهم آي القرآن الكريم حق فهمها يجب أن ينظر في الآية مع سابقها ولاحقها ، حتى يتجلى له من غامض أسرارها ما لا يقينه لو اقتطعها من بين صواحبتها .

ولقد جاءت هذه الآية الكريمة هي وما بعدها من آيات الترغيب في الإنفاق وفعل الخيرات متوسطة بين آيات الجهاد ، فقبلها قوله تعالى : ( وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) الآيات الى قوله تعالى : ( رِبَاً مَقْطُوعاً طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْسِبْنَهُمْ فَيَنْقَابُوا خَائِبِينَ لَا يَسْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ) وفيه ما في السموات وما في الأرض يفقر إن يشاء ويُمذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) ثم هذه الآية وآيات الترغيب في الإنفاق وفعل الخيرات ، ثم العودة الى أحكام الجهاد في قوله تعالى : ( وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) الآيات ، فالآية متوسطة بين آيات القتال وقد علم أن المال من أقوى عود القتال ، حتى لقد قدم على النفس في قوله تعالى :

(أَقْرِوْا خِفَاءً وَيَقَالًا وَحَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) وقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاتُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ) فإذا لعبت بالنفوس الضعيفة تلك القاعدة السقيمة، قاعدة « الغاية تبرر الوسيلة » أفليس يتبادر الى أذهان المؤمنين الالتفات الى جمع المال من أى طريق كما كان يفعل خصومهم المشركون، ومن أيسر طريقه وأسرعها في الجمع طريق الربا ؟ فجاءت الآية التحذير من أن يتطرق الى نفوسهم ذلك الخطر السوء، فنهتهم عن أكل الربا، مشعة عليه بما هو الغالب في شأنه من أنه يؤول الى أن يكون أضغاث مضاعفة، فالقيد مسوق للتشجيع وتبحيح أمر الربا بإبراره في أشنع صورة، صورة انظلم البين واستلال الغنى القوي حاجة الضيف الفقير، فيبتز ماله ويحرمه هنائه ولا ذنب له إلا حاجته الدافعة، فكيف يكون القيد مسوقا للتنفير والتشجيع وإبراز انتهى عنه في أقبح صورة تبميدها منه ومبالغة في الزجر ثم يتخذونه سبيلا لا باحة شيء منه ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

لقد ظلم نفسه من يتمسك بدلالة ضمنية مختلف فيها، واحتاط لها الفائل بها شروط إن لم تتوافر زالت كلبية، في مقابلة ما ذكر في آية البقرة، بل في مقابلة ما يشير اليه وضع الآية في هذا الموضع بقصد أخذ الطريق عليهم، كيلا يندفعوا وراء الخواطر الكاذبة المبنية على ضخامة أمر الجهاد وعظم خطر المال فيه، فقد يادر باغتنام الفرصة وسد الطريق عليهم فقال لهم : حذار أن تفكروا وأنتم في طريق لاستعداد للقتال، أن تجمعوا المال من طريق الربا، لالا، اجتنبوا هذا وأنفقوا مما رزقكم الله حلالا طيبا، (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (وَأُولَئِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ) قوله . (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْعُسْرَاءِ) فجميعها بين آيات الجهاد والاستطراق منها الى الترغيب في الاتفاق محل التنبيه والتحذير، لكيلا



يفكرو في تلك المعاملة السيئة التي غالب شأنها أن تصير أضعفا مضاعفة على حساب الفقر والمسكنة فاحذروه احذروه . وحسبك إردافها بقوله : ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) أى فما كان الفلاح في محاربة الله ورسوله ، ثم قوله : ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) أى ليس معناه أن تمتاعى هذه المعاملة إن لم يكن كافرا فهو على شفا حفرة الكفر ؟ وإلا فمضى قوله عقبها : ( وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) ثم قال تأكيدا وتثبيتا : ( وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلِرَسُولٍ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ) .

لا أظن أن قد بى للمحالف متمسك ولو بشبهة واهية بعد هذا الذى بيناه ، اللهم إلا رجلا يريد أن يقول هذا رأبى وكفى ، هاوئلك (سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم .

بقيت كلمة في تفسير قوله تعالى في سورة الروم : ( وَمَا آتَيْنَا مِنْ رَبٍّ لِبَرْبٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُدُّونَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنَا مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ) والأمر فيها ظاهر ، فقد سبق الآيات السابقة للتدليل على التوحيد بدلالة العقلية في قوله حل شأنه : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ) وما بعده ، ثم أردفت بقوله : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ) ثم بين أن التوحيد متأصل في فطر الناس ينجثون اليه بنفوسهم ، خصوصا إذا مسهم الضر على ما بيناه في مقالاتنا المتتالية في المجلة (الاسلام دين المطرة) فقال : ( وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ) ثم ذكر أن ما يصيب الناس من ضر هو بما قدمت أيديهم ، فكان جديرا أن يبين لهم ما ينبغى أن يفعلوا وما ينبغى أن يدعوا فقال : ( قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ )

وَأَنَّ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّا يَرْبُؤُا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ) فذلك من بيان ما يحلب الخير وما يحلب الشر وما يدور عليه بسط الرزق وقبضه ، ومرد كل شيء الى الله ، فالله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وما كان حربكم لله وعصيانكم إياه وخروجكم على أمره بالذي يعود عليكم بالخير وبالبسط ، في آيتهم من ربا تستريدون به أموالكم لينهب في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما توهتموه قصاص من أداء الزكاة تريدون وجه الله فهو زيادة الحقيقة ، بل هو لإضمار المطرد ، إما بالتماء والبركة . وإما بكثرة الثواب الذي هو المقصود الأعظم في الدار الآخرة ، ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرُ أُنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) .

ومن المفسرين من حمل هذه الآية على محل آخر وقال إنها وردت في الرجل يقدم لآخر هدية ينتظر من ورثتها أن يجزل له الآخذ ثوابها ويضاعف له قيمتها كما يفعل مع الأغنياء والعظماء ، فيبين الشارع أن هذا مما لا ينبغي وإن لم يكن محرماً ، فإنه غالباً يعمل فيه سيف لحياء ، وعلى ذلك تكون الآية من واد آخر وإن كنا نميل الى الوجه الأول ، خصوصاً أنها سبقت عقب ابتلاء الناس بالمصائب ، فكان حذاً أن يرشدوا الى أن الشفقة على عباد الله مع تستدر به رحمة الله ، الراحون برحمتهم الرحمن . وليس في استنزاف القوى مال الضميف واستغلاله حاجته شيء من الرحمة تسترل به رحمة الرءوف الرحيم . وقبل أن نتم هذه الكلمة يجب أن نعرض الى كلمة يقولها علماء الاجتماع والقانون كما يسمون أنفسهم ، وهي أولاً — أن هذه المعاملة مع تدعو اليه الضرورة وتقوم به المشروعات العامة ، وقد رأيت في كلامنا في تفسير آية آل عمران ما يسد هذا الباب سدا محكما ، فالضرورة مهما بالفت في تصويرها محال أن تصل الى ضرورة الحروب التي يدور عليها سعادة وشقاء الأمم والشعوب ، والتي يقال فيها ويل المغلوب ، خصوصاً

إذا كانت بين فئة قليلة ضعيفة تتخطف من كل جانب، وتحمل أعظم أمانة تدور عليها سعادة الأمم أجمع، كما في حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابة له المشركين وأشياعهم؛ وقد رأيت كيف جرى بآية ربا بين آي القتال لرد ما عساه أن يخطر ببال أحد منهم من أن يستبيح طريق جمع المال بآية وسيلة، عملا بكلمة: الغاية تبرر الوسيلة. فتأمل هذا فضل تأمل. على أننا قد بينا في إحدى مقالاتنا السابقة أن في المضاربة والقراض مندوحة عن الربا، وأنها أقرب للعادلة، إذ يكون الركنان المتعاقدان في المشروع الذي يراد إنشاؤه وهما المال واليد العاملة مقسمين للفائدة اقتساما عادلا رحما وخسارة زيادة ونقصا، أما أن أحد الركنين وهو المال يبقى دائما فائزا رابحا بينما اليد تكبد ولذهن يد والعقل يدبرو لجسم يجهد ثم يعود الفشل والحسران على اليد العاملة وحدها، فهذه قسمة ضيزى تبذر من بذور الشقاق والأحقاد في النفوس على توالى الأزمان ما يعجز عن علاجه كل إنسان؛ وهالك أمراض الإنسانية التي ضج بالشكوى منها كل الأمم وأخصها الشيوعية والبلشفية.

وقلوا ثانيا : — إن أمر الربا لم يخرج عن كونه من باب الإجارة، فاعترض أخذ الديار لينتفع به ثم يرده وعليه أجره أي قيمة الانتفاع به، كما تستأجر الدابة لتركبها ثم تردها لصاحبها ومعهما أجرتها، وما أشبه هذا بما حكاه القرآن الكريم عن الأواين في قولهم: إنما البيع مثل الربا، بل أمر الإجارة أبعد شبيها عن الربا من أمر البيع، فإن المستأجر شيء ينتفع به مع بقاء عينه، وهل يمكنك أن تنتفع بالدينار إلا إذا ضاع من يدك كما قال الحريري في وصفه: «وشر ما فيه من الخلائق، أن ليس يغنى عنك في المضايق، إلا إذا فر فرار الآبق» وهل سمعت بمن يستأجر رغيفا يأكله ثم يرده وأجرته، أو جرة ماء ليشر بها ثم يردها؟ إن هي إلا تمحلات كلما سد في وجههم باب حاولوا فتح غيره، وكل هذا مما يلقيه الشيطان في قلوبهم (فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي

الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُبَاقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً  
لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ  
لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

ابراهيم الجبالي  
مدرس قسم التحصين

## الظرف والمحل

قال شيخ لابنه يشكو عقوفه :

تَعْلُ <sup>(١)</sup> بَمَا أَجْنِي <sup>(٢)</sup> عَلَيْكَ وَتَهْلُ <sup>(٣)</sup>	غَدَوْنُكَ مَوْلُودًا وَمِنْتُكَ يَافَمَا
لُسْقَمِكَ إِلَّا سَاهَرَا أُنْمَلِلْ	إِذَا لَيْلَةً ضَافَتْكَ بِالْقَمِّ لَمْ أَبْتَ
طُرِفَتْ بِهِ دُونِي فَمِئِنِّي تَهْلُ	كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي
لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مَوْجَلْ	تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّمَا
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهَا أَوْمَلْ	فَمَا بَلَفْتَ السَّنَّ وَالْعَاقِبَةَ الَّتِي
كَأَنَّكَ أَنْتَ لِلنَّعِيمِ الْمُتَفَضَّلْ	جَعَلْتَ جَزَائِي غَلْظَةً وَفُظَاظَةً
فَعَلْتَ كَمَا الْجَلْدُ الْمَجَاوِرُ يَفْعَلْ	فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقِّي أَبَوَيَّ

(١) حل شرب مرة بعد مرة . (٢) أجبته واحضره إليك . (٣) نهل شرب المرة الاولى

حتى روى . وللمراد تنفسي بما أجبته إليك من المأكول والمشروب مقدو ما محتاج وتشهي .

# السُّنَّةُ

## الترغيب في تأديب الأولاد

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( مَا تَحَلَّ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ تَحَلٍّ أَفْضَلَ مِنْ  
أَدَبٍ حَسَنٍ <sup>(١)</sup> ) .

### الشرح

تَحَلَّ الوالد ولده شيئاً أعطاه إياه من غير عوضٍ يُطِيبُ نفس . والتَّحَلُّ ( بضم  
النون ) هو ذلك الشيء المُعْطَى .

والأدب هو رياضة النفس وكثرة توجيها وشغلها في وجوه الحماد ، واستمرار  
تدريبها وتعميقها على محاسن الأخلاق والأعمال حتى تَسَلِّسَ وتَمَهَّرَ في الفضائل  
والخصال والأعمال الحمودة .

والمأذية ( بضم الدال ) هي الطعام الذي يُصْنَعُ في الوليمة ثم يُدْعَى الناس إليه .

(١) رواه الترمذي .

والمأدبة ( بفتح الدال ) مأخذ الآداب ومصدرها ومنشؤها ، كالكتب السماوية والشرائع الإلهية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء والحكماء والمرقنين العارفين وسيرهم .  
وفي كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته » .

فإن كانت الدال في المادة ( في كلام ابن مسعود هذا ) مضمومة ، فإنه يكون قد شبه القرآن العظيم بصنع جليل من الأطعمة صنع الله تعالى ، جمع فيه من أنواع المساكل والألوان واللذائذ والمشهيات اللقيدة ما فيه خير ومنافع للعباد ثم دعاهم إليه ليأكل كل منهم فيسطه بقدر استمداده وجده ونوفيق الله تعالى له فيما تنوق إليه نفسه وتسمو إليه همته <sup>(١)</sup> .

وإن كانت مفتوحة فالمعنى أن القرآن العظيم هو ينبوع الآداب ومشرق الحكم وموطنها وكثر مصالح الدنيا والآخرة .

إن المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن من بينة يؤمنون بأن كلا من هذين المعنيين صحيح منطبق على القرآن الكريم كل الانطباق ، أما تلك البيئة التي كان عنها إيمانهم فهي شهادتان :

الشهادة الأولى : شهادة الله تعالى للقرآن بذلك في عدة آيات من آياته — فمنها قوله عز وجل : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَهْدِيَ لِلَّيْ هِيَ أَقْوَمُ ) وقوله : ( وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ) وقوله : ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ نَبِيًّا مَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ) .

الشهادة الثانية : شهادة آلائه الحسنة في حياة المسلمين حينما كانوا يعلمون ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام وكانوا بها عاملين ، فلما هجروه ونبذوه كما نبذ من قلبهم

(١) قال أبو عبيد : وهذا التعبير أعجب إلى .

من أهل الكتاب كتابهم ظهرياً، جهلوا المنافع وحرموا الخيرات وتفرقت بهم السبلُ  
وشتتتهم المنازح والأهواء أيدى سباً، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب  
من الله و (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) .

وَجُمَاعُ<sup>(١)</sup> الأدب الحسن الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث  
الشريف حث للآباء على تأديب أولادهم به أدبان : الأدب الأول العلم الصحيح . وهو  
نوعان : فالنوع الأول هو العلم بالمعلومات الدينية المتعلقة بما يجب لله تعالى من نعمته  
الجليلة الإلهية ، وبما يجب لأتباعه ورسله وملائكته عليهم الصلاة والسلام ، وبما  
يجب الإيمان به من الكتب السماوية الصحيحة وما تضمنته من الشرائع والأحكام  
والتحكيم الإلهية وسائر الفضائل والعقائد .

والنوع الثاني هو العلم بالمعلومات الدنيوية التي هي قوام هذه الحياة الدنيا ، وعليها  
يدور صلاح أحوال البشر وتستقيم أمورهم وشئونهم ومعايشهم وينتظم بها مجتمعاتهم .

لأدب الثاني العمل السديد المحكم الذي هو على طبق هذا العلم الصحيح . وهو  
ديني ودنيوي . فأما الأعمال الدينية فقد بينها الشريعة السنية وفصلتها تفصيلاً .  
وأما الأعمال الدنيوية فقد جعلها الله القدير الحكيم بقدر معلوم يوصل إلى المنافع التي  
رتمها بحكمته عايباً ، ثم ألهمها العباد وهداهم إلى سلوك طرقها والأخذ بأسبابها ، كما قال  
سبحانه . ( سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى )  
وكما قال حكايمة لما قاله سيدنا موسى عليه السلام لفرعون والمصريين : ( رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى  
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ) وكما قال : ( إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَالِقُنَاهُ بِقَدَرٍ ) ( وَكُلُّ شَيْءٍ  
عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ) .

(١) أي ما يجمع مضاه إجمالاً .

ثم اعلم أن العمل الديوى أصناف عدة، فمنها الصناعة . والذين يعملونها ويحيطون بفروعها وشعبها لأن إتمام غير المسلمين ومن هَجَّوا مِنْهُمْ في الجهل والخلول . علموا منها ما ينفع وقت الأمن والسلم ، كما علموا ما يفيدهم زمن الخوف والحرب ، على اختلاف أجناس هذه الصناعات وتباين فنونها وكثرتها ، مع الجهد في الاستكثار منها والسمي لحثيث في الاختراع والتفنن فيها ، حتى صاروا وحدهم مُلَّاكَهَا بل ملوكها ، يعملون لأنفسهم ما يشاءون من مرافق الحياة ، كما يصنعون لغيرهم من الأمم الجاهلة ما يحتاجون إليه فقيرا كان أو جليلا ، فأصبحوا وم القابضون على زمام كل حرفة ، وبأيديهم مقاليد كل صناعة ، يُصَرِّفونها في بلادهم منتفعين بها وبأنعامها وبأرباحها ، كما يجوبون بها الآفاق وأقطار الأمم الجاهلة التي أعجزها الكلُّ وأقعدها الخمول عن أن تستيقظ من سباتها وتُسَمِّرَ شعطيها المواهب التي وهبها الله ، فم تفكر أن تعمل عملا من الأعمال ، ولا أن تمارس صناعة شيء ، مما تحتاج إليه ، بل رضيت أن تعيش عائلة على كواهل غيرها من الأمم العاملة ، أسيرة لها في كل ما تقتقر إليه من مقومات الحياة وعناصرها ، وإن ترتب على ذلك فقرها وانزعاج ما بأيديها من مال أو ثروة وإفراغها في خزائن هذه الأمم العاملة الصنَّاع<sup>(١)</sup> .

لم يكن موت الصناعات في الأقطار الإسلامية ناشئا عن أن المسلمين ليس عندهم من المؤهلات العقلية والفكرية ، ولا من الوسائل المالية ، ما يُمكنهم من السير في طريق الأعمال . ومن التفكير في الاختراع والإبداع والإحكام في أبواب الصناعات ، ومن إنفاق الأموال التي يستطيعون بها أن يؤسِّسوا العامل وينشئوا المصانع ثم يُرَقِّقوها وديمقوها ويحسنوها .

لم يكن موت الصناعات عندهم ناشئا عن شيء . من هذا ، فإن جميع ذلك ميسور لهم وهو في قبضة أيديهم ، وإنما منشأ ذلك هو الدعة والجود والركون إلى الراحة والاستقامة

(١) الخادمة للساهرة للفتنة في الأعمال .



الى البطالة والتَّرف الكاذب ، وكل ذلك نتيجة الجهل والتفريط فيما أمرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من تربية أولادهم التربية النافعة ، وتأديبهم التأديب الحسن الذي من ضمنه العمل الذي تصالح به حياتهم الدنيوية ، وتوافره بأسباب المعاش فيما بينهم ، حتى لا يكونوا كلاً على سواهم من الأمم ، وحتى لا يكونوا مزعجاً خصباً ضائعاً يرعاه أولئك الذين جدّوا واخترعوا وأحسنوا صنما فيما عملوا .

أعرض الوالدون عن أوامر الله عز شأنه في تربية الأولاد ، وفرطوا في تأديبهم بالأدب الحسنه دنيوية ودنيوية ، فكانت عاقبة ذلك أن نشأ الأولاد زشاة الجاهلين ، ليس عندهم من علوم الدين ولا من علوم الدنيا ما تصلح به حياتهم الأخروية ، ولا ما تستقيم به حياتهم الدنيوية ، حتى إذا ما كبروا وزُجَّ بهم في جوف المستقبل لم يجدوا في أنفسهم ولا في أمتهم القدرة على القيام بما يحتاجون اليه من المطالب ، فتكفّفوا الأمم التي سبقتهم الى ميدان الأعمال ، وبدلوا لها أموالهم في سبيل الحصول على ما يشتهون .

وبالذمهم وهم كذلك اشتهوا ما يُحمدون عليه ولا يلوئهم الماصحون الخاصون على إنفاق أموالهم فيه ، ولا يحتقرهم الأمم التي تجلب اليهم مشترياتهم هذه ، لما تراءى فيهم من السفه والسوء فيما هو في الواقع من السخاف وفضول المدينة الباطلة .

لا نطيل الكلام فيما أنفق فيه أولاد أولئك الآباء حياتهم وأموالهم ، فإن ذلك ليس مما يسمعه شرح هذا الحديث الشريف . وفيما ذكرناه من نفث آباءهم لهم وسلوكهم غير سبيل الأدب الحسن الذي في هذا الحديث تبصيرة وذكرى لقوم يعقلون .

قد شرحنا لك فيما سبق معنى الأدب الحسن الذي حثّ النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يؤدّوا به أولادهم ، وبيننا لك غايصره الصحيحة التي هي قوامه وعماده .

فاجعلْ هـد الأَدبَ الحَسَنَ نُصَبَ المَينين ، واضْبِرْ نَفْسَكَ على تذكّر عناصره التي بيناها ، ووقها حقها من التدبر والعناية ، ثم أرقم القسطاس المستقيم ، وضع في إحدى ركفتيه ذلك الأَدبَ الحَسَنَ ، ثم ضع في الأخرى ما يتعلمه المسلمون الآن في أغلب دور العلم في مشارق أقطارهم ومغاربها ، فهل نظر أن الكفتين تماثلان ؟ أم هل ترى أنهما تتفاوتان فترجح إحداهما الأخرى ؟

نحن هنا نترك نعين تلك الكيفة الراجعة للقارئ المتدبر فيما شرحناه من معنى الأَدبَ الحَسَنَ ، فإن رفقته له وإنصافه وصدقه بالحق وبغضه بكتابه كل ذلك يجعله يجهز بالحق ويأتي بالشهادة على وجهها ، فيحكم بالرجحان الكيفة الأَدبَ الحَسَنَ الذي أمر الله ورسوله للمسلمين به ، وبأنه هو الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث مبين به قول الله عز وجل في محو : ( وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَوْا عَنْ سَبِيلِهِ ذَرِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ )  
وأما الكيفة الثانية للرجوحة فيها إنما صارت مرجوحة طائشة ، لأن ما وضع فيها هو السبيل التي هي الله تعالى العباد أن يتبعوها ، وأذرم أنهم إذا اتبعوها فرقهم وجهتهم ومزقت أوصالهم وأضلّتهم عن سبيله المستقيم الذي يوصل إلى خيرى الدنيا والآخرة ضلالا بعيدا .

بقولون . إن أهل هذا العصر قد أوثوا الخط الأوفر من العلم ، حتى كان عصرهم عصر النور والعرفان ، فلقد تحققت عقولهم واستنارت أفكارهم حتى سمت مدركهم وأخذت بنواصى العلم في كل بواحيه ، واتسع أمانها مجال البحث والتنقيب ، وأكثرت من لا حترع والإبداع مع التعديد والترق والتحسين فيما تبرزه للناس من عجائب الأعمال والمخدرات . وبهذا استطاع الإنسان أن يجوب الأقطار ويشق البعار وينصعد إلى السماء وينوص في الماء ، ويكلم أهل المغرب أهل الشرق وكل

في مجلسه من بلده، الى غير ذلك مما وصل اليه بفضل ما عموه من آثار الكهرباء والبخار وغيرهما. هدم اليه جديهم في التفكير والبحث والتحصيل .

أما نحن فإنه ليس موضوع كلامنا الآن تفضيل هذا العصر على ذلك العصر ، وإنما هو بيان الطريق السوي الموصل الى خيرى الدنيا والآخرة ، وهو الأدب الحسن الذى أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الأمة اليه فى هذا الحديث ، وقد عرفت معناه مما فصلناه لك تفصيلا .

ولكننا مع هذا التفصيل نحتمل التبيحة فنجعل لك ذلك المعنى إجمالا فى كلمة موجزة فنقول : إن خيرى الدنيا والآخرة لا ينالها أحد مما إلا بالأدب الحسن ، وهو — كما سبق — علم صحيح ، دينى ودنيوى ، وعمل كذلك دينى ودنيوى مؤسس على ذلك العلم الصحيح . أى أنه علم يتعلق بأمر معنوية وأمر مادية ، وعمل يتعلق كذلك بأمر معنوية وأمر مادية . فعلى قدر ما يناله الانسان أو الأمة من ذلك الأدب الحسن يكون حفظه من الخير والنفع ، فمن ناله كله كان له الخير كله ، ومن نال بعضه كان له بعضه ، دينيا كان ذلك البعض أو دنيويا .

ثم نقول : هل الذى ناله أهل عصرنا هذا الذى سموه عصر النور والمعرفة هو كل ما تضمنه الأدب الحسن الوارد فى هذا الحديث الشريف وهو العلم والعمل بقسميهما ، أو الذى نالوه إنما هو بعضه ، وهو العلم المتعلق بالمادة وخواصها وآثارها ؟

إن الذى نعلمه بالمشاهدة ومن أقوال أهل هذا العصر أنفسهم هو أن الذى نالوه إنما هو بعضه المادى ، وما سواه وهو المتعلق بالدين علما وعملا فهو مطروح منبوذ ، لم يفكروا فيه تفكيرهم فى الماديات ولم يقيموا له وزنا ، بل عابوه واتقصوه وجدثوا فى عهده وتحويل من ينتسبون اليه عنه .

وإن كنتم في ريب مما قلنا فالمدارس ومناهج ما يدرس فيها وما يلقنه المعلمون وما نسمعه من المتعلمين - إلا من عصم الله - وما يكتب في الكتب والمجلات وغيرها، وما يخطب فيه الخطباء وما يتحدثون به في الأندية العامة والخاصة ، كل ذلك شهودٌ على صدق ما نقول .

فأي المصريين حينئذ يكون هو الجدير بأن يسمى (عصر العلم والنور والمعرفة) : عصر تكون فيه شمس الأدب لحسن سراجا وتهاجا في كبد السماء ، قد أثار ضوءها أقطار السموات والأرض ، أم عصر تكون فيه شمس مكسوفة قد أطمح وجهها إلا قليلا ؟ .

إن مثل هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب منا ، فنترك الإجابة عنه لأهل هذا العصر ولا سيما لمسلمين منهم ، فإن هذا الحديث حديث نبيهم لدى أرسل إليهم ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

هل يظن أحد من الذين تدبروا ما بسطناه وعقلوه حق تفكلا أن المسلمين الآن قد تحلوا أولادهم هذا التحل ، وهو الأدب الحسن الذي جاءهم عن ربهم على لسان رسولهم عليه الصلاة والسلام ؟ إن الجواب عن هذا السؤال أيضا يعلمه عامة الناس وفي مقدمتهم الوالدون . فمسي أن يرحموا أولادهم ويوققوا لأن ينحلوا هذا التحل النافع ، ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .

وبعد فإذا قد اكتفينا بالكلام في الصناعة عن التعرض لبقية أصناف الأعمال الدنيوية كالتيجارة والزراعة ، فإن حظ المسلمين بتفريطهم فيها وحظ غيرهم يخدم فيها ، كظهم جميعا في الصناعة : جهلٌ وخمولٌ وحِرمانٌ للأولين ، وعلمٌ واجتهادٌ وثروةٌ للآخرين .

لكننا بعد هذا كله لا نزال نرجو أن المسلمين يُفيعون مما هم فيه ، وإن هذه الكوارث والقوارع التي تتأبهم آناً قائماً في دينهم ودنياهم كافية كل الكفاية في زجرهم واتعاطهم وإفلاهم عن لأعراض عن أوامر الله ورسوله ، حتى يؤهلوا أنفسهم لأن يبدل الله تعالى سيئات ما هم فيه حسنات ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ . وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ ذَالٍ ) ( وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا )

مسند منصور

وكيل مدرستي القضاء الشرعي  
ودار العلوم العليا سابقاً

## الظرف والمِلح

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي :

يَبْقَى الثَّناء وَتَذْهَبُ الْأَمْوالُ      وَلِكُلِّ دَهرٍ دَوْلَةٌ وَرِجالُ  
مَنايِلُ تَحْمَدَةُ الرِّجالِ وَشُكْرُهم      إِلَّا الْجَواذُ بِمالِهِ الْفِضالُ  
لَا تَرْضَى مِنْ رِجلٍ حِلالةٌ قَوْلُهُ      حَتَّى يُصَدِّقَ ما يَقُولُ فَعالٌ<sup>(١)</sup>

(١) فقه الحسن .

# الفتاوى والأحكام

ورد إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع ما ياتي :

جاء في صحيفة ١٥ عدد ١ مجلد ٢ ضمن التفسير للعلامة المحبوب المجيد الاستاذ الشيخ حسن منصور أن المصحف قد كتبه الصحابة في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله عنه بإشرافه عليهم الخ، مع أن المعروف أن المصحف قد كتب في خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه حينما أرسل الى سيدنا عمر في ذلك وقال له أولا : كيف تفعل أمراً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ، الى أن شرح الله لذلك أيضا صدر عمر ورآه حقا فكتبوه . فهل مراد الاستاذ الشيخ حسن منصور أن سيدنا عثمان قد نسخ في خلافته نسخا عن المصحف المكتوب في خلافة سيدنا الصديق وأرسلها الى أقطار الاسلام أم مراده غير ذلك ؟ فإن وجدتم من المناسب الجواب عن ذلك على صفحات المجلة لينتبه المطلعون عليها، أوفى كتاب خاص لهذا الذي إن ساعدكم الوقت، ولا تنسوني من صالح دعواتكم ؟

محمد هاشم رشيد الخطيب  
الحسنى القادري

## الجواب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قد اشتمل السؤال على أربعة أمور : (الأول) أن الذي فكر أولا في كتابة

القرآن الكريم هو سيدنا أبو بكر . ( الثاني ) أنه أرسل الى سيدنا عمر في ذلك .  
 ( الثالث ) أن سيدنا عمر لم يوافقه أولاً على كتابة القرآن . ( الرابع ) أن الله تعالى شرح  
 صدر سيدنا عمر لها آخرًا بعد نفوره منها . ولكنك ستعلم مما سنذكره لك بتوفيق  
 الله تعالى أن الواقع بخلاف ذلك في جميع ما ذكر فنتقول :

إِعلم أن الدَّفَّ والدَّفَّةَ ، الجانبُ من كل شيء . فدَفَّنَا الكتابَ جانبا . أى  
 غِلافه الذى توضع فيه أوراقه .

ودَفَّنَا المصحفَ هما أيضا كذلك . ويرادُ فهما المصحفُ ، فهما بمعنى واحد  
 وإضافة الدفتين الى المصحف من إضافة الجزء الى كله .

والصحائف والمصحف هى تلك الأوراق التى كتب فيها القرآن المجيد وحُفظت  
 بين الدفتين . ومنه ما يُروى . ( ما بين دُفَيِّ المصحفِ كلامُ الله تعالى ) .

ثم شاع إطلاق المصحف على ما يعم الدفتين والصحائف جميعا حتى صار حقيقة  
 عرفية عامة فيهما ، ولهذا عبرنا فى مقالنا بالمصحف دون الصحائف ، اعتمادا على هذا  
 العُرف الشائع . هذا .

ثم نقول : قد كتبنا فى الصفحة الخامسة عشرة من العدد الثانى للسنة الثانية أن  
 المصحف قد كتب فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فعنى ذلك أنه أمر بكتابة  
 القرآن العظيم فى صحائف ، وجَمَلَ تلك الصحائف فى مصحف ، أى غِلاف يحفظها  
 ويجعلها صالحة لأن تتداولها أيدي المسلمين ويقرءوها ، ولذلك كَتَبَ منها خمسة  
 مصاحفَ ثم أرسلها إلى الأقطار .

هذا الذى قلناه من عمل سيدنا عثمان لا ينافى أن سيدنا أبا بكر قد سبقه الى بعضه ،  
 فكتبَ القرآنَ الكريمَ فى صحائف حفظها عنده ، ثم انتقلت بوفاته إلى سيدنا عمر ،  
 ثم من بعده الى بنته حفصة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهم .

فما كتبه سيدنا أبو بكر هو صحائف كتبت منها نسخة واحدة ولم توضع في مصحف ولم تُرسل إلى الأقطار، بل حفظت عنده. وأما ما كتبه سيدنا عثمان فهو صحائف أخرى، كتبت منها خمس نسخ، وجعلت كل واحدة منها في مصحف، ثم أرسلت إلى الأقطار التي فشا فيها الاسلام.

وبعد، فقد يحسن أن نذكر بصفوة من تاريخ كتابة القرآن الكريم، ليتعرف منها المسلمون تاريخ كتابة القرآن، ويعرفوا مقدار عناية سلفهم الصالح بكتاب الله عز وجل، وعظيم حرصهم على حفظه وصيادته من التغير والتحريف، مع علمهم أن الله جل ثناؤه قد نولي حفظه بنفسه إذ يقول: (إِنَّا نَحْنُ نُحْفِظُهَا وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فلم يجعل حفظه موكولا إلى أحد من المؤمنين به، بخلاف ما قبله من الكتب السماوية، فإنه سبحانه وكل حفظها إلى من آمنوا بها ولكم لم يحفظوها، بل حرقوا وكتبتوا وجعلوها قراطيس يبدونها ويحرقونها كثيرا، كما قال تعالى في شأن التوراة: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَرُشْدٌ لِّمَن نَّيَّيْتُونُ الَّذِينَ أَتَمَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالْبَانِينَ وَالْأَحْبَارَ مَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) وقال: (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَحْمِلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا).

### كتابة القرآن الكريم

قد أجمع المسلمون على أنه عليه الصلاة والسلام كان يقف أصحابه عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب السور وآياتها، ويعلمهم مواضع الآيات من السور، وكان يقرأ السور للطوال وغيرها في الصلوات وفي خارجها جهرا فيسمعونه، وكانوا يقرءون أمامه على ما رتب وعلم.



وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم عَرَضَ القرآن بعد تمامه عرضتين على جبريل ، ثم قرأه عليه أصحابه بعد ذلك على الترتيب الذى نمرقه ، فلم ينتقل عليه الصلاة والسلام الى جوار ربه حتى كان القرآن كله مكتوباً يحفظه العدد الكثير من أصحابه ، لكن الصحائف والألواح التى كتب عليها لم تكن بمجموعة بين دفتين فى مصحف واحد ، وإنما كان ذلك فيما بعد .

### جمع القرآن وتدوينه

قدّمنا أن القرآن كان يحفظه العدد الكثير من الصحابة ، وكان مكتوباً فى الرقاع وغيرها فى حياته صلى الله عليه وسلم ، لكنه كان مفرقاً غير مجموع فى مصحف واحد ولا مكان واحد ، حتى لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، وإنما جُمِعَ فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه .

وذلك أن عمر رضى الله عنه دخل عليه بعد سنتين من ولايته ، فقال له : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاقون على القتال تهافت الفراعنة على النار ، وإنى أخشى ألا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع وينسى ، ولو جمعتهم : فنفر أبو بكر وقال : أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فترأبوا فى ذلك . ثم أرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما ( من كتاب الوحي ومن الحفظ المتقين ) فعرض عليه قول عمر ، وعمر ساكت ، فنفر زيد كما نفر أبو بكر وقال : تفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال عمر : وما عليكما لو فعلتما ؟ إنه والله خير . وما زال بهما حتى وافقاه .

جَمَعَ أبو بكر الحفظ للشهود لهم بالإتقان ، وكان منهم زيد بن ثابت وأبى بن كعب وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم ، وأخذوا يولون الاجتماع وأحضروا

كل ما كانوا كتبوه بإملاء النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخذوا يقرءون فيقابلون حتى وصلوا إلى قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ). وهو آخر سورة التوبة، فلم يجدوه مكتوباً مع أنه محفوظ. فإرأوا يبحثون حتى وجدوه مكتوباً عند أبي خزيمة بن أوس الأنصاري، وكذلك آية (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) من سورة الأحزاب، فإنهم وجدوها عند خزيمة بن ثابت، فكتبوا القرآن آياته وسوره على الترتيب والضبط اللذين تأقنواهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع عند سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه. فلما توفي كان عند سيدنا عمر، وبعده وضع عند أم المؤمنين السيدة حفصة بنته رضي الله تعالى عنها.

### المصحف الامام أو مصحف سيدنا عثمان

قلنا إن المصحف التي كتبت فيها القرآن العظيم كانت عند أم المؤمنين حفصة بعد وفاة أبيها، فلم يكن قد كتبت منه مصاحف يتداولها الناس ويقرءون فيها، فلما كان عثمان رضي الله تعالى عنه أشار عليه بعض الصحابة أن يكتب للناس مصاحف، ويرسلها إلى الأفاق التي انتشر فيها الاسلام، ليجتمع الناس للمسلمون على مصحف واحد، وحتى لا يقع في القرآن زيادة ولا نقص ولا تبديل في آياته وكلماته، ولا تغيير في ترتيبه، فأرسل سيدنا عثمان إلى حفصة أم المؤمنين: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا الصَّحْفَ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرْدُهَا إِلَيْكَ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا إِلَيْهِ.

فأمر<sup>(١)</sup> سيدنا عثمانُ زيدَ بنَ ثابتَ (وهو أحدُ الجامعين للقرآن في عهد سيدنا أبي بكر كما قدمنا) وعبدُ الله بنَ الزبير وسعيد بنَ العاص وعبدُ الرحمن بنَ الحارث بنَ هشام فَنَسَخُوهَا في المصاحف، ثم رَدَّ سيدنا عثمانُ الصحفَ إلى السيدة حفصةَ، وأرسل إلى كلِّ مِصْرٍ مصحفًا: فأرسل إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق، وأبقى بالمدينة مصحفًا، وأمر بما سواه من الصحف أو المصاحف أن يُحترقَ، وصار الناس يقرءون على مصاحفه ويكتبون منها مصاحفهم وتتابعوا على ذلك، وقد اشتهر ما كُتِبَ بأمر سيدنا عثمانَ بالمصحف الإمام أو مصحف عثمان، وهو المعروف في كلامنا الآن بالمصحف العثماني، نسبة إلى سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه.

والفرق بين جميع أبي بكر وجميع عثمان رضي الله تعالى عنهما أن الأول كان خشيةً أن يذهبَ من القرآن شيء بذهابِ حفظته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجَمَعَهُ في صحائف مرتباً لها على ما وقَّفه عليهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم. وأن الثاني كان خشيةً أن يُقرأ كتابُ الله على غير ما سُمِعَ من رسوله بعد العرصة الأخيرة، فَنَسَخَ الصحف التي جمَعها سيدنا أبو بكر في مصحف واحد، وكُتِبَ من ذلك عِدَّة مصاحف كما سبق.

راجع هذا الموضوع في الجزء الأول من كتابنا (لدين الاسلامي).

مصر منصور

وكيل مدرستي القضاء الشرعي

ودار العلوم العليا سابقا

(١) جاء في بعض الروايات أن زيدا كتبه في المصحف هو ومن معه من الصحابة أولاً، ثم أرسل سيدنا عثمان إلى أم المؤمنين حفصة ليثبت بالمصحف التي عندها، فمرس زيد عليها ما كتب قلم يختلف في شيء، ثم ردت الصحف بعد ذلك إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله تعالى عنها.

## ليلة النصف من شعبان

وورد أيضا إدارة الجهة السؤال الآتي :

س : ( ١ ) لماذا يحتفل المسلمون في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان من سائر ليالي العام ؟

( ٢ ) وهل ما يتلى من الدعوات ، ويصلى من الركعات بين المغرب والعشاء من هذه الليلة بنية طول العمر ودفع البلاء والاستغناء عن الناس ، ورد فيه نص شرعي ؟

صالح محمد عماشه  
مأذون ميت غمر دفعية

س : ما السبب في إحياء ليلة النصف من شعبان وصوم يومه ، والتهليل فيها بالقراءة والأدعية والذكر ، وجعلها في مصاف ليالي العيدين ؟

بسيموني ابراهيم شقور  
المدرس بمدرسة ميت حلفا الازامية

س : ما هي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، ويبرم ، هل هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ؟

طله شلقاي  
عمدة ريدة

## الجواب

احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان، ثم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولو ارد أن خالد بن معدان، ومكحول الشامي من التابعين، كأنه يجتهدان ليلة النصف من شعبان في العبادة، ولما شتهر ذلك عنهما اختلف الناس في تعظيم هذه الليلة وإحيائها بالعبادة، فمنهم من أقره ومنهم من أنكره، والمقرون له على طائفتين. طائفة تذهب الى استحباب إحيائها جماعة في المسجد، وممن وفق على هذا سحاق بن راهويه، وطائفة نكره الاجتماع لها في المسجد، ولا يكرهون للرجل أن يحيي تلك الليلة في الصلاة وحده، وهذا ما اختاره الاوزاعي إمام أهل الشام.

والمنكرون لتخصيص هذه الليلة بتعظيم ثم طائفة من علماء لحجاز كمطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة، وفقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم. أما القائلون بإحياء هذه الليلة بالعبادة فإنهم يستندون الى أحاديث وردت في فضلها، كحديث (إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لأكثر من شعر غنم «كلب») وحديث (إن الله عز وجل يطالع الى عبادته في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويغفر للكافرين، وبدع أهل الخفد لحقدم حتى يدعوه) وهذه الأحاديث قد صرح علماء الحديث بضعفها، فمن يستند اليها في فضل ليلة النصف من شعبان فلائنه لا يعترف بضعفها، أو لأن الأحاديث الضعيفة نكثي لأن يستند اليها في فضائل الأعمال.

ثم إن من أحاد إحياءها جماعة في المساجد يبنى على أن لا بأس بصلاة النوافل في جماعة، وقد نص الامام الشافعي رضي الله عنه في مختصر البويطي والريبع على

(١) أخرجه الدارقطني والامام احمد في مسندهما. (٢) روه الدارقطني في كتاب السنن

أن لا بأس بالجماعة فى النافلة ، وقد ورد فى هــد أحاديث صحيحة كحديث عتبان بن مالك وغيره .

وأما من أجاز إحياءها للناس فردى دون اجتماع لها فى المساجد ، فلعلمه يرى رأى الإمام مالك رضى الله عنه فى أن لا تصلى النوافل جماعة حيث تشتهر أو أن يجمع لها الناس ، روى ابن وهب عن مالك أنه لا بأس بأن يؤم التفر فى النافلة ، فأما أن يكون مشتهرا ويجمع له الناس فلا . قال الحافظ ابن حجر : وهذا بناء منه على قاعدة سسد الذرائع ، كراهة أن يظن من لا علم عنده أن ذلك فريضة ، ويستثنى قيام رمضان لاشتهار ذلك من فعل الصحابة .

أما المنكرون لأن يكون لهذه الليلة فضل على غيرها فلائنه لم يثبت عندهم فى فصلها حديث ، قال القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب الأحكام : « وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لا فى فضلها ، ولا فى نسخ الآجال فيها ، فلا تلتفتوا إليه » وقال فى كتاب العارضة : « وليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه » .

هذه مذهب أهل العلم فى تعظيم ليلة النصف من شعبان ، وأما الصلاة المخصوصة التى يعمد إليها بعض الناس فى هذه الليلة فقد ورد حديثها فى إحياء لأبى حامد الفزلى وقوت القلوب لأبى طالب السكى ، ولكن جماعة من الحفاظ صرحوا بأن حديثها موضوع ، قال الحافظ ابن الجزرى فى الحصن . « وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان ، وصلاة ليلة التمدد من رمضان ، فلا تصح ، وسندها موضوع باطل » وقال الإمام النووى فى كتاب المجموع : « الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب ، وهى ثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة ، وهاتان الصلاتان بدعتان منكרותان ولا يفتر

بذكرهما في كتاب قوت القلوب وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما ، فإن كل ذلك باطل ، ولا يغتر ببعض من اشبه عليه حكمهما من الأئمة ، فصنف ورقات في استحبابهما ، فإنه غلط في ذلك ، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن اسماعيل المقدسي كتاباً نفيساً في إبطالها فأحسن فيه وأجاد .

والليلة المباركة الواردة في قوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ) هي ليلة القدر ، وتفسيرها ليلة النصف من شعبان ينسبه بعض المفسرين إلى عكرمة ، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « ومن قال : إنها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة ، فقد أبعد النجعة ، فإن نص القرآن في أمها في رمضان » وقال القاضي أبو بكر بن العربي : « وجهور العلماء على أنها ليلة القدر ، ومهم من قال : إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع : ( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ) فنص على أن ميقات نزوله رمضان ، ثم عبر عن وقتها بالليل هنا فقل : ( فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ) .

ويتنخص الجواب في أن ليلة النصف من شعبان ليست هي الليلة المرادة بالليلة المباركة الواردة في قوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ) وأن الصلاة المخصوصة التي يفعلها بعض الناس ، قد طعن كثير من الحفاظ في صحة حديثها ، وأدخلوها في قبيل البدعة التي هي طريقة في الدين تخترع ليضاهي بها الطريقة الشرعية .

أما إحياء الرجل لها بالعبادة في جملة ما يتيسر له إحياءه من الليالي رجا أن يكون لها في استجابة الدعاء وقبول العبادة المزية التي وردت في أحاديث فضلاء ، فليس فيه من بأس ، وهذه الأحاديث تكفي داعياً للإقبال فيها على العبادة ، وتنفي أن يكون قيام الرجل فيها بشيء من العبادة المطلقة عن التعميد بعدد معين ، أو هيته مخصصة ، بدعة ، وإن لم تبلغ هذه الأحاديث درجة الصحيح

## الآلام ومخافتها<sup>(١)</sup>

تنشأ عادة عن الأمراض أو التأثيرات الخارجية التي تقع على جسم الإنسان آلام يمكن وصفها بنموت مختلفة لتمييزها، ولكن لا يمكن تعريفها على وجه عام، كما يتمذر علينا إدراكه كنه وماهية الألم من حيث هو، بل تقتصر معرفتنا له على الشعور والاحساس به.

واشعور الإنسان بالألم بحكمة غاية، إذ بدونه فلما أدرك الإنسان خطر الأمراض أو اقتراب الأخطار، فهو خير نذير وأصدق منبه، وربما كانت سمادة المرء ومنفعته في قوة حسه للآلام، وشقاوته في ضعف شعوره بها أو عدم إدراكها بالمرّة.

وقد تصاب المجموعة العصبية — وبها يرجع الفضل في إدراك الآلام الجسدية والاحساس بها — بتغيير يعطل فيها وظيفتها الحسية، فلا يشعر الإنسان حتى بأثر الحرارة أو الرطوبة وتضيق بعض أعضاء هؤلاء النساء فريسة للأمراض المهلكة، وذلك لعدم تنبههم لها واستئصالها قبل استفحال أمرها.

كما أن هناك بعض أمراض خبيثة تصيب أعضاء الجسم الداخلية دون أن يكون لها تأثير على المجموعة العصبية فلا يدركها حس الإنسان أو يتنبه لها شعوره، حتى إذا ما ادّهم الخطب ذهب المريض غالباً ضحية عدم تنبه حسه الذي ينذر بسرّيان سموم الداء إلى جوف الجسم.

(١) نقلاً عن مقال للدكتور « أدولف اورست » من مجلة « Kosmos » الألمانية



وهكذا فإن الآلام على شدة وقعها فهي في جميع الأحوال نذير طيب لتلافى أخطار تهدد الحياة ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى بها خيرا بالإنسان .

على أننا نلاحظ في بعض الأحيان أن أشد الآلام تنشأ عن أقل الأمراض خطرا ، وهذا مما يدعو الى البحث عن سبب نشأة هذه الآلام وطرق تنبيهها لمجموعة العصبية التي تدرك بدورها نوع ومكان الألم ، فالأوجاع التي تنشأ عن مرض الأسنان — وخصوصا ذا وصل التهاب الى غشاء الجذور — شديدة جدا ، بيد أن أمراضا أخرى كثيرة الخطورة مثل السرطان — في بدايته — أو لالتهابات الرئوية أو الزهري قلما ينشأ عنها آلام ذات بال ، كما أن هناك بعضا من أعضاء الجسم الباطنية لا يشعر الإنسان بالتوجع منها اذا أصابها الأمراض .

وقد يتعذر الوصول الى معرفة ما اذا كانت الآلام الجسدية تحدث عرضا دون قانون أو قاعدة ، أو هي تنشأ في بعض أعضاء وجهاً من الجسم دون البعض الآخر بطريق المصادفة ، أو أنه كان الأصل أن جميع أجزاء الجسم تشعر بالألم على السواء ، غير أن بعضها تعطلت فيه أداة لمس دون الآخر .

وسواء أكان هذا أم ذاك فإنه أصبح من الأمور المقطوع بها أن المركز الحسي للآلام إنما هو في المخ ، وليس في المكان الذي نشأ فيه الألم كما يسبق الى ذهن البعض . وأما كيفية وصول هذه الإشارة السببية الى المخ فهي كما يلي :

يدرك الإنسان فعل المؤثرات الخارجية التي تقع على أعضاء الجسم بواسطة أعضاء حسها ، ويوجد مركز حاسة الجلد في سطحه الخارجي الذي يحتوي على عدد كبير من الأعصاب الدقيقة المختلفة التركيب والوضع ، وهذه تتأثر بكل ما يقع على الجلد من العوامل الخارجية ، وبين هذه الأعصاب ما هو خاص بحاسة اللمس وما هو خاص بالأحاساس بالدفء والبرودة ، أو بالألم ، وهذه الأعصاب الدقيقة موزعة على مناطق

سطح الجلد المختلفة وتقل في جهة وتكثر في أخرى ، كما يختلف توزيعها بالنسبة لدواع إدراكها ودرجته ، فتكثر في أطراف الأصابع خصوصا ما كان منها للتعرف باللمس ، وفي الشفتين خصوصا ما كان منها لتمييز الساخن من البارد ، ولذا فإننا نجد أن شعور الإنسان بفعل المؤثرات والعوامل الخارجية في مثل هذه المناطق أشد وأقوى ، وذلك لسرعة تنبهها ودقة إدراكها وتأثيرها .

فاذا ما لمسنا الجلد الخارجى تأثر بذلك عصب الحس الخاص به وانتقل الشعور باللمس بواسطة الى النخاع الشوكى ثم الى المخ ، وهنا يتنبه الانسان بما وقع على الجلد ، فاذا ما زيد اللمس الى درجة الضغط ازدادت تبعاله درجة التنبيه في المخ ، وذلك لتأثر عدد أكبر من أعصاب الحس ، خصوصا وأن التأثير يصل في هذه الحالة الى الأعصاب الأبعد موضعا في العضلات أو في العظام ، وهكذا كلما اشتد العامل الخارجى قوى تبعاله تأثير الأعصاب الحسية لدرجة التهيج وازداد معه تنبيه وإدراك المخ ، ومثل هذا ما يحصل عادة عند إصابة الجلد الخارجى بجروح أو التهابات بالغة .

ويصعب الشعور بالألم حركة غريزية يقوم بها العضو المتأثر بما سبب الألم ، ويكون القصد من هذه الحركات الجسمانية في الغالب الدفاع ووقاية العضو المصاب ، كما أنه كثيرا ما تسبب الآلام الجسمانية آلاما أخرى نفسانية تنشأ عن اشتراك القوى المفكرة في المخ قد تصل الى نهج شديد وثورة جنونية لا يمكن تأويلها بأنه قصد بها الدفاع والوقاية ، وإنما المقصود منها في الواقع تخفيف شدة وقع الألم على النفس ، ولا علاقة لها بالجسم من هذه الوجهة بالمرة .

أما أعضاء الجسم الباطنة فما كانت منها متصلا بالخارج بواسطة فتحات الجلد الخارجى كالقنم مثلاً فمى قليلة التأثير بالآلام ، وذلك لصيانتها بثل هذه الفتحات التى تدفع عنها كل المؤثرات الخارجية والعوامل المؤذية فلا تصلها السوائل الشديدة السخونة

أو البرودة ، كما أنها تمنع ولوج المواد الحريفة أو القطع الحادة والأجزاء القاطمة وما شاكلها ، وذلك لسرعة ودقة تنبيه الفتحات ، فتكون هذه الأعضاء في مأمن من فعل المؤثرات والعوامل الخارجية التي قد يتعرض لها الجلد مثلاً ، ولذا فإنها في مثل هذه الأحوال لا تتأثر بتفعل هذه العوامل لعدم حاجتها إلى أعصاب الحس بها .

وأما الأعضاء الباطنة التي لا يوصفها بالخارج فتحت في لوقوعها بعيدة عن التأثير الخارجي قليلة أعصاب الحس ، فلا تشمر بالعوامل التي لو تعرض لها الجلد الخارجي لتنبيه بها شعور الإنسان وسبب الألم ، وهذه الأعضاء مثل الرئتين والقلب والأمعاء والكبد والطحال والكلية وأعضاء باطنة أخرى كثيرة .

إلا أن هناك أعضاء باطنة أخرى شديدة التأثير بالعوامل الخارجية قوة الحس بها ، أهمها الأغشية المحيطة بالبطن وبالضلع ، وربما زاد شعورها بالألم عن درجة حس الجلد الخارجي ، فهي تحتوى على عدد وافر من أعصاب الحس التي تخلو منها الأعضاء الباطنة عادة .

والأعضاء الباطنة جهاز عصبي خاص بها يختلف في تكوينه عن الجهاز العصبي الخاص بالجلود الخارجية ، ولكنه متصل به ، ويسمى بالجهاز العصبي النباتي ، وتتوقف عليه حركات الأعضاء الباطنة مثل نبض القلب وحركة الأمعاء دون أن تكون للإرادة الإنسانية أي سيطرة عليها .

وقد يكون من الخطأ في الرأي أن يعزو الإنسان الآلام التي تصاب بها الأعضاء الباطنة التي سبق أن نوهنا عن وجودها بالنسبة إلى الحس بالألم وإدراكه مثل الأمعاء والمصران والحويصلة المرارية أو الكلية إلى نفس الأسباب التي تثير تهيج الجلد الخارجي وما شاكله ، فإن نشأة آلام الأعضاء الباطنة تختلف اختلافاً تاماً عن الخارجية ، وذلك لعدم حاجتها إلى أعصاب الحس الخاصة بإدراك تأثير العوامل الخارجية لوقوعها بعيدة

عنها، فلا تتأثر بالجرح أو الحرق، لاختلاف تكوينها وتركيبها عن الجلود الخارجية حيث إنه يصعب أن تتعرض هذه الأعضاء الباطنة لتأثير هذه العوامل في الأحوال العادية.

أما الأعضاء الباطنة ذات لجارى — مثل الأمعاء والمصران وقنوات الحويصلة المرارية وحوض الكلى والمجارى البولية — فإنها دائما معرضة لتأثير التفاعلات المختلفة التي تقع محتوياتها، وتنتقل هذه التأثيرات بواسطة ألياف أعصاب الجهاز العصبي النباتي الى حزمة الأعصاب في الجذع، ومنها تصل الى المخ بواسطة النخاع الشوكي.

وتتصل أعصاب الجهاز العصبي الباقى بالأعصاب النباتية للأعضاء الباطنة المختلفة بواسطة الحزمة العصبية التي في الجذع، بل وتكون هذه حلقة الاتصال بين الجهاز العصبي النباتي وبين أعصاب الجلد الحساسة، ولذا فان كثيرا ما يشعر الانسان بالألم في مناطق الأعصاب المجاورة — وفي بعض الأحيان البعيدة أيضا — اذا ما أصيب أى عضو في هذه الحلقة بمرض قوى، فنجد أنه قلما يقتصر الألم الناشئ عن مرض قنوات الحويصلة المرارية على المنطقة محلية أى في مجموعة الكبد والأمعاء، بل كثيرا ما يتأثر به الكتف الأيمن والذراع الأيمن، بل يصل أثره الى الوجه ومؤخر الرأس.

يتضح مما تقدم أن أعضاء الجسم الباطنة تختلف اختلافا كبيرا بالنسبة لدرجة ونوع حساسيتها باللام والاضرابات الأخرى؛ فهما ما لا يتأثر باللام من جراء حرق أو قطع، بل ولا يتنبه بفعل الأمراض أو التهابات، وأخرى يقتصر حساسيتها على تقلصات العضلات دون الجروح وما شاكلها، كما أن بالجسم أعضاء باطنة سريعة التأثر شديدة الانفعال قوية الحس اذا أصابها هذا أو ذلك مثل غشاء البطن أو غشاء الضلوع، وكذلك أغشية العظام، بخلاف معظم ذاته الخالي من الإحساس باللمة، وأما العضلات فلا يؤثر فيها سوى التقلصات الشديدة أو الإجهاد الكبير.

ونحن أمام هذا التباين الواسع في درجة شعور أعضاء الجسم المختلفة لا يسعنا إلا الاعتراف جملة بأن هذا الاختلاف إنما تقتضيه ضرورة الحاجة، إذ يتضح للإنسان

لأول وهلة أن الأعضاء الباطنة المجردة عن الحس بالنسبة لبعض العوارض إنما جردت من أعصاب الحس لاستغنائها عنها، إما لاحتجابها وبعدها عن هذه العوارض، وإما لصيانتها بواسطة الأغشية والاعضاء ذات القنوات والفتحات والجلود الخارجية التي هي في العادة سريعة التنبه قوية الحس والإدراك بحيث تكون إنذارا كافيا.

إلا أن هناك أعضاء باطنة — وهي غالباً المصمتة — قد تصاب بالتورم والتقيح أو الالتهابات دون أن يكون للانسان منها أى تذكير، بخلاف الأعضاء الجوفاء فيسبق إصابتها آلام مبرحة، فإذا كانت الآلام الناشئة عن خدش الجلد ظاهري أو عن أدواء الأعضاء الأخرى من مقتضيات الضرورة للوقاية، فإن تجرد مثل هذه الأعضاء من الحس ليس من مصلحة الانسان في شيء.

والواقع أن الآلام لا تنشأ إلا اذا ابعثت من لأجزاء الكثيرة أعصاب الحس السابق ذكرها، وهي غير متوفرة، ونكاد نعدم في بعض الأعضاء الباطنة لا يمكن الاستغناء عنها بأعراض أخرى للأمراض، فالخ مثلاً وهو المركز الرئيسي الذى ينبه شهور الانسان بالآلام على اختلاف أنواعها ومصادر ابعثائها خلو من أعصاب الألم الحسية، فلا يشعر الانسان بما قد يعتريه من الأدواء.

وتكون لآلام عادة مصحوبة بحركات جنسانية عنيفة في بعض الأحيان، وهي إما غريزية وإما مصطنعة، فالأولى للدفاع والوقاية، وتنشأ عادة من اشتراك القوى المفكرة فى الانسان. وأما الثانية فهي لتخفيف شدة وطأة الألم نفسانيا على الأقل كما أسلفنا، وقد تكون هذه الحركات الجنسية على اختلاف أنواعها مما يساعد على الشفاء من الأدواء، إلا أنها فى بعض الأحيان تكون سبباً بعيداً فى زيادة الضرر. وأشد لآلام التي يعرفها الانسان هي الماشنة عن الأمغص المعوية والكلى، وهذه تستلزم الراحة والسكينة التامة، وعلى كل حال يمكن اعتبار الحركات الجنسية العنيفة

والشورات العصبية التي تنتاب المرضى في هذه الأحوال نذير الاستدعاء الخبير، الطيبين لمكافئة الألم واستئصال الداء قبل أن يستفعل أمره ويستعصى شفاؤه، فلا يمكن أن يستغنى الإنسان عن الآلام وما تحدثه من فزع وثورة عصبية، بل لا بد أن تتقبلها على ما فيها من مفضل.

افترض الحديث فيما تقدم على الآلام الجذائية وهي ما يحس ويشعر بها الإنسان في أعضائه ظهرة أو باطنة دون غيرها من الآلام التي تعترى الإنسان من يأس يتسرب إلى النفس بسبب إخفاق في مقتضيات الحياة المادية أو المعنوية، فهذه الانفعالات النفسانية قد تصل إلى حد بعيد من الألم عند أصحاب الأمراض العصبية الدقيقة، ويظهر أثر هذه الآلام في الإنسان بالبكاء وعبوس لوجه، أو قلة التمتع بالمأكل والمشرب. ولو أن هذه الآلام النفسانية غالباً تنشأ عن مجرد توهجات لا أصل ولا أثر لها بأعضاء الجسم بئنا - إلا أننا لا نريد أن نفعل ذكرها خصوصاً وأنها قد تبلغ حد المرض الذي يستلزم العناية والعلاج مثل النيروستاينا والهستيريا، وكثيراً ما تنشأ هذه الآلام من أوهام وخيالات بسبب الذعر والخوف.

أما المصابون بها فهم عادة ذوو الأعصاب الدقيقة جداً، حتى إن التأثيرات العادية تسبب في حياتهم لوجدانية أثراً عميقاً يبعث الآلام والشقاء، أو الاكتئاب الدائم. هذا ما يمكن أن يقال عن الآلام ونشأتها في أعضاء جسم الإنسان الباطنة أو الظاهرة في مقال محدود، وهنا نحن أولاء نبحث في الطرق التي اهتدى إليها العقل البشري لمكافئة هذه الآلام ودفعها، أو لتخفيف وطأتها على الأهل :

رأينا فيما تقدم أن الآلام النفسانية لا علاقة لها بالجسم بالمرّة، وإن هي ناشئة مما يسمى (الايحاء الذاتي) فالسبيل إلى مقاومتها ودفعها يستلزم (إيحاء خارجياً) مضاد لها من قوتها على الأهل.

أما في حالة الآلام الجسدية فإننا نجتهد على قدر الطاقة في إزالة أسبابها ، وبذلك نقضى عليها . وللعلم الحديث في ذلك طريقان . فإما أن توجه العناية الى العضو الذي ينبعث الألم منه مثل ربط الجرح أو جبر كسر العظم الى آخره ، وإما أن نلتجئ الى تخدير الأعصاب الحسية .

على أن وسائل تسكين الآلام وتخديرها كثيرة ومختلفة بقدر اختلاف نوع الألم ومنشئه ، وذلك بفضل العلوم والتجارب والأبحاث الحديثة ، وقد لا يمر يوم لا نحدثنا فيه صناعة الصيدلة عن مستحضرات كيميائية جديدة لمعونة الاخصائيين في علاجهم من هذه الوحة . هذا الى أن أمام الطبيب طرقا ووسائل أخرى أقوى مفعولا وأكثر أثرا ، علاوة على المستحضرات المذكورة التي تكون غالبا على شكل حبوب أو أقراص ، ولا يلتجئ الطبيب الى المواد المخدرة القوية إلا في الأحوال غير العادية التي لا يمكن للإنسان أن يقاوم آلامها وهو في حالته الطبيعية مستحوذا على جميع شعوره وإحساسه مثل العمليات الجراحية وما شاكلها ، وأشهر المواد المستخدمة في مثل هذه الأحوال وأهمها المورفين .

والمورفين وما شاكله من المواد البنعية التي تخدر المجموعة العصبية وأعضاء الحس في الإنسان من السموم القتالة ، فلا يلجأ الطبيب الى الاستمانة بها إلا في الأحوال الحرجة الكبيرة الخطر ، على أنه في مثل هذه الأحوال لا ينبغي أن يستعملها إلا بمقادير طفيفة جدا لا تتجاوز المليعرات أو السنتيغرامات المسكبة على الأكثر ، فيسكن بها الألم بسرعة وتبعث على النوم .

وهذه المواد وإن كانت كافية في أغلب الأحيان في مقاومة الألم والتخدير المؤقت ، إلا أنها هذه النسب الصغيرة قد لا تكفي غالبا في أحوال العمليات الجراحية الكبيرة الشأن التي تحتاج الى أوقات طويلة وغيوبة المريض التامة ، وهنا — وثلا يلجأ الطبيب

اضطرابا الى استعمال مقادير كبيرة من هذه المواد السامة قد تودى بحياة المريض — كانت صناعة الطب ولا زالت مهتمة لايجاد مواد أقل خطورة مع تأديتها للفرض لسد هذا النقص الخطير .

كان الدكتور مورتون طبيب الأسنان بمدينة بوستون في الولايات المتحدة الأمريكية أول من استخدم الأثير المخدر في عملياته في عام ١٨٤٦ ، والدكتور سمسون في مدينة ادنبرج باسكتلندا أول من استعمل الكاروفورم في سنة ١٨٤٧ ، وكأنا بدأ أول من مهد هذا الطريق الوعر ، فسألت للأطباء إحراء العمليات الجراحية على اختلافها المرضى وم في سبات عميق وغيبوبة تامة .

وطريقة استخدام هاتين المادتين هي أن تمزج بالهواء ويستنشق المريض هذا الخليط فيمتزج مع الأكسجين في الدم فيعمل الى المخ ومخدر المجموعة العصبية ومعها جميع أعصاب الحس في الانسان ، فيفقد المريض إحساسه ويتلاشى شعوره تدريجيا . على أن اكتشاف هاتين المادتين لم يف عاما بالفرض المطلوب إذ لا زال ثمة خطر على المرضى بالرئة باستنشاق الأثير ، وعلى المرضى بالقلب باستنشاق الكاروفورم . هذ علاوة على ضيق التنفس الذي ينشأ عن مزج هذه المواد مع الهواء .

ولذا قد نشط العلماء في السنوات الأخيرة للبحث عن مواد أخرى أقل خطرا وأقرب الى الغاية المنشودة ، وقد ظهرت أخيرا أنواع كثيرة من الغازات الأخرى التي يمكن حقنها تحت الجلد للتخلص من صعوبة التنفس مع تأديتها عملية التخدير التام . كما أن هناك طرقا أخرى للتخدير الموضعي ، فلا يؤثر إلا في أعضاء الحس المحلية من جسم الانسان ، وفي هذه الحالة لا يشعر المريض بألم إجراء العملية بالرغم من صحوه التام وتمتعه بكل شعوره وامتلاكه الكامل حواسه الأخرى وقدرته على الكلام والنظر والسمع الى آخره .



وأول من استخدم طريقة التخدير الموضعي هما شلايش وريكوس ، وتقدمت طريقتهما منذ ذلك الحين تقدما سريعا حتى إنه يمكن الالتجاء اليها الآن في العمليات الجراحية الكبيرة ، ولا يقتصر فيها على الجراحة الصغرى دون أن تنجم عنها أخطار . وكان لاستخدام طريقة التخدير الموضعي فضل كبير في إثبات نجود بعض أعضاء الجسم الباطنة من الشعور اذا ما عرست لمثل المؤثرات الآلية كالقطع والجرح .

وتؤخذ هذه المخدرات الموضعية على شكل أمصال تحقن تحت الجلد في المناطق المصابة أو في مواطن أعصاب حسها ، وهكذا تتمطل كل وظائف الحسية ، وكثيرا ما تعطى بواسطة حقنها داخل قناة النخاع الشوكي لتخدير النصف الأسفل من الجسم ، ولا يمكن استخدامها لتخدير النصف الأعلى الأخطار التي قد تنجم عنها في أعضاء الجسم الحيوية الهامة الموجودة به مثل القلب وجهاز التنفس .

## النظر في الملح

لما قدم حاتم الأصم إلى الامام أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بششته به . أخبرني كيف التحصن الى السلامة من الناس ؟ فقال له حاتم : بثلاثة أشياء . فقل له أحمد : ماهي ؟ قال : تعطيم مالك ولا تأخذ ما لهم ، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك ، وتصبر على أذامهم ولا تؤذهم . فقال أحمد : إنها لصعبة . قال له حاتم : وليتك تسلم .

## المسلمون في أوروبا الشرقية<sup>(١)</sup>

### ألبانيا

.....

موقعها الجغرافي : — تحده ألبانيا شمالا بجمهورية يوغوسلافيا، وشرقا وشمالا ببلاد اليونان بين الدرجة ٤٠° والدرجة ٤٢°٣٠' من خطوط العرض الشمالية، وبين الدرجة ١٩°٣٠' والدرجة ٢١° من خطوط الطول الشرقية ويفصلها البحر عن الجبلية. هذا وقد قام مؤتمر السفراء المنعقد في باريس في ٩ نوفمبر سنة ١٩٢١ بتعديل حدود ألبانيا.

أما مساحتها فتبلغ ٤٠,٠٠٠ كيلو مترا مربعا، وبها سلسلة جبال موازية لشاطئ البحر مختلفة الارتفاع، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة لها ٢,٣٠٦ مترا في جبل طومور (Tomor) بالقرب من مدينة بيرات (Berat) وترتفع المملكة عن سطح البحر أكثر من ألف متر في ثلثي أنحاءها.

وأهمها غزيرة المياه إلا أنها سريعة الاندفاع، وتصب من الشمال للجنوب، وهي دران (Drin) وأسكومبي (Skumbi)، وديفولي سيميني (Devoli — Semeni) وفويوسا (Voyousa)، وتصل ألبانيا شرقا ببحيرة أشريدا (Uchrida) وشمالا ببحيرة شقودره (Scutari).

ويبلغ تعداد سكانها ٨٣٣,٦١٨ نسمة منهم ٥٦٣,٧٢٩ نفسم من المسلمين أي بنسبة ٦٨ في المائة، و ١٨١,٠٥١ نفسم من المسيحيين الأرثوذكس أي بنسبة ٢١ في المائة

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب دليل العالم الاسلامي .

و ٨٨,٧٣٩ من الكاثوليك أى بنسبة ١١ في المائة من مجموع السكان، ولا يوجد غير ٣٥ شخصا من اليهود، وذلك حسب إحصاء سنة ١٩٢٧ وكان عدد المسلمين سنة ١٩٢١ موزعا حسب الجهات كما يأتى :

٥٧٣ و ١٦٠ في الشمال ( يقابلهم ٠٩٨ و ٨٥ من الكاثوليك و ٢,٧٠٥ من الأرثوذكس ) و ٢٥٤,٨٨٤ في البانيا الوسطى ( يقابلهم ٣,٨٥٧ من الكاثوليك و ٣٦,٣١٦ من الأرثوذكس ) و ٢١٨,١٦٩ في الجنوب ( يقابلهم ١٩٤,١١٩ من الأرثوذكس و ٣٢ فقط من الكاثوليك ) .

ويجئنا أن هذا الإحصاء الرسمى أقل قليلا من الحقيقة، لأن تعداد البانيا يبلغ نحو ٩٣٠,٠٠٠ نسمة غير المهاجرين منهم، عدد ٤٠,٠٠٠ في أمريكا، و ٢٠٨,٤١٠ في جنوب إيطاليا سنة ١٩٠١ هذا عدا السبعين قرية الألبانية الداخلة في حدود مملكة يوغوسلافية والتي يبلغ عدد سكانها ٣٥٠,٠٠٠ نسمة في بلاد "أنيفارى" ( Antivari ) و « هوتى » ( Hoti ) و « جرودا » ( Gruda ) كما يوجد ١٧٣٧ نسمة في بعض بلدان متفرقة . وفي بلاد اليونان القديمة والجزر اليونانية وفي غرب « كاستوريا » ( Kastoria ) والجنوب الغربى « ليانينا » ( Janina ) يوجد كذلك ٢٠٠,٠٠٠ نسمة من المسلمين .

وفي تعدادات سنة ١٩١٧ لجزئية بلغ مجموع عدد السكان في مناطق نفوذ النمسا وإيطاليا وفرنسا ٩١٣,٤٩٨ نسمة من المسلمين، و ٦٤٠,١٧٢ من الأرثوذكس، و ٨٩٥,٧٠ من الكاثوليك، أى يبلغ مجموعهم الكلى ٧٤١,٠٢٣ نسمة عدا سبع مديريات « اسكابارى » و « مالشيا » و « ميتوهيا » و « دوكاجين » و « ليوما » و « ديبرا » و « جولوردا » فيكون عدد المسلمين بنسبة ٦٧ في المائة من مجموع السكان .

ويبلغ متوسط كثافة السكان ٦٧ نفسا في الكيلو متر المربع .

أما تعداد سكان المدن فيبلغ ٢٨,٠٠٠ في مدينة أشقودرة ( وكان ٢٣,٠٠٠ حسب تعداد سنة ١٩١٧ ) و ٢٣,٠٠٠ في غورتر ( ١٧,٧٧٩ من الأرثوذكس و ٥,٤٦٤ من المسلمين كما جاء بإحصائية سنة ١٩١٧ ) و ١٢,٠٠٠ في مدينة « البلسان » و ١١,٧٣٣

في « أرجير وكاسترو » منهم ١٠٠٣٠٠ من المسلمين . وفي « تيرانا » العاصمة ١٠٠٠٠٠ نفس ، منها ٨٠٠٠٠ مسلم ، وفي « بيرات » ٩٠٠٠٠ و « كافيلا » ٤٣٣٠٠ نسمة و « فالونا » ٤٠٩١٤ ( منها ٣٠١١٧ مسلما ) وفي « دورازو » ٤٠١٧٥ و « كوراثيا » ٣٠٨٦١ وفي « السيو » ٣٠٠٠٠ وفي « لوشفيا » ٢٠٠٠٠ نسمة .

وجميع سكانها من محبي الإقامة في موطنهم إلا فزا قليلا من الرعاة الذين يأوون الى الجبال بمواشيهم في زمن الصيف .

الاسلام في البانيا :- توجد هناك أسطورة محلية تنسب دخول الاسلام في البانيا الى ساري سلطيق أحد دراويش التاتار للبشرين الذين يقال إنهم أدخلوا كذلك الانجيل في دوبروجا ثم في طراقيا ومقدونيا حتى بحيرة أورشيدا فيما بين سنتي ١٢٦٠ و ١٢٨٠ من الميلاد، ولا تزال ذكرى ذلك الدراويش التي ترتبط ارتباطا مدهشا بذكرى بعض القديسين المسيحيين محافظا عليها في شرق البانيا .

وإن الفتح التركي لالبانيا الذي بدأه السلطان مراد الثاني قد عاقته وقتا مقاومة اسكندر برج ( جورج كلسترو ) في سنة ١٤٢٣ قد تم في سنة ١٤٦٧ . وقد شكل السلطان محمد الثاني في سنة ١٤٦٦ هيئة حرية إسلامية كبرى في الباسان .

ولما دخلت البانيا في الاسلام لم تقبل حكومة الترك ، ولا الصرايب التي قررت على الأراضى ، ولا تجنيد الجيوش - إلا أنها قدمت للترك ضباطا عظاما وكثيرا من كبار رجال السياسة ( الأثناوط : ثمانية عشر صدرا أعظم مثل كيرولو ، وعددا عظيما من الباشوات منهم محمد علي والى مصر ) ولقد قامت البانيا بمحاولتين للحصول على الاستقلال الذاتي المحلى للمسلمين في القرن الثامن عشر ، وقد قام بها رجال البوشتالى في شقودرة ، وعلى في تيبيليني والباشا حاكم ياتينا .

وأهم المراكز التي انتشر فيها الاسلام هي الشاطئ الايمن من نهر الدان لاسود وتيرانا والباسان والقوروبيلش ( تيليني وجانوكاستري ) والمذهب السني المتبع هناك هو مذهب الخنفية .

ومن الكتاب الالبانيين الحديثين يمكننا أن نذكر منهم ولدي « فراسهير » ( سامي ونسيم ) وفائق بك كونيكا .  
ويوجد بالبنانيا :

( ١ ) خمسون قبيلة من الألبانيين أو من الفيس ، وأشهرها من الشمال الى الجنوب ست قبائل : المليسور وهي النيكاج والشالا والشوشي والسالكا والطوبلانه والدوشاي .

واثنتا عشرة قبيلة من قبائل المرديت — منها قبيلة الدوكاجين ( دوق جان ) وقبائل الجيج ، وقبائل التوسك في الجنوب ، وقبائل الديفول ( في شرق كورسا ) وقبيلة السولي في شمال ياتينا .

( ٢ ) المهاجرون من أهالي البوسنة ( العرب المسلمون ) في منطقة الشجاك ( درئيس وتيرانا ) .

( ٣ ) المهاجرون من أهالي رومانيا ( الكوتزو الفالاك والزنجار والأرمون ) وم من لرعا ، ويقيمون في غرب البند ( pinde ) في ( موكوفو — Mocovo ) وفي جابلويكا ( في غرب أو رشيدا ) وهم من المسيحيين الأرثوذكس إلا قليلا منهم اعتنقوا الاسلام في جنوب دبرا .

( ٤ ) جماعات النور ( العجر ) من المسلمين والأرثوذكس مشتتة بين هنا وهناك .  
وإن نظام القبائل الذي كانت يسود في شمال البانيا في الزمن النار ( مع جماعات الشيوخ والشيبية من « الزليجا » ( Zhelma ) قد تطور الى النظام الإقطاعي في البانيا

الوسطى ( الموالى أو مايسمونهم بالـكولا " Kula " الذين كان يحكمهم حاكم يحمل لقب « بك » ).

أما القرى التي كانت تتمتع بنوع من السيادة الذاتية في البانيا الشرقية فكانت تخول سلطتها الى حاكم يطلقون عليه اسم ميفتار ( Myftar ) أو العمدة ، وهذا هو نظام الحكومة الشعبية الذي تحاول الحكومة أن تعمه .

اللغة : — أما لغة ألبانيا فهي لغة « شكيب » ( Chkipe ) وهي تتفرع من اللغة الليرية ( Illyrien ) القديمة ، ويقال إنها لغة هندية أوروبية ، ويطلق على لهجاتها المختلفة سم « جيج » ( Gnégue ) في شمال أسكومبي ( Skumbi ) واسم « توسك » ( Tosque ) في جنوب اسكومبي حيث ينقلب حرف الراء نونا كما في فالور ، فيقال : فالونا . وفي « شكبيريجا » ( Shkipenja ) فيقال شكبينيجا ( Shkipenja ) ومنذ سنة ١٨٧٩ نصكبت اللغة الألبانية بحروف لاتينية بالرغم من الفتوى التي أذاعها شيخ الاسلام بالاستئانة عن تكفير هذا العمل .

## حكومة البانيا

إن النهضة لأدية اللغوية التي قام بها الأديان سامى ونسيم فراسهيري ، وتأسيس جماعة المسماة باسم « العصبة الألبانية » فيما بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨١ ، والحركات الثورية التي قامت على أثرها في سنتي ١٨٩٣ و ١٩٠٣ كل ذلك انتهى بتشكيل الحكومة الوقتية في فلور سنة ١٩١٢ برئاسة اسماعيل كمال بك .

وبعد محاولة أسعد باشا طوبتاني لتأسيس حكومة أخرى في الباسان اعترف المؤتمر المنعقد في لندره بالحكومة الجديدة ، وبت حدودها بمقتضى المعاهدة الأبرمة في ديسمبر سنة ١٩١٣ ، وعين حاكما عليها غايوم دي فيد في ٣ ديسمبر من هذه السنة ، ثم طرد في ٣ سبتمبر سنة ١٩١٤ وأقيم مكانه أسعد باشا الذي قتل بباريس في ١٣ يونيو

سنة ١٩٢٠ - إلا أن الواقع هو أنه من سنة ١٩١٦ - سنة ١٩١٨ كانت لتمس تحتل شمال البانيا، وإيطاليا، كانت تحتل جنوبها الغربي، وفرنسا كانت تحتل كورسا (Korsa) في جنوبها الشرق .

وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ عين مندوبو الجمعية العمومية الثمانية والأربعون المنعقدة في دورثيس (Durrës) طورخان باشا رئيسا للحكومة الوقية لألبانيا الوسطى . هذا وقد تقرر في اتفاق ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٩ وضع البانيا تحت الانتداب لإيطاليا .

وقد دعا هذا الاتفاق الى نشوب حركة وطنية أدت الى فور حكومة جديدة أسستها الجمعية العمومية المنعقدة في لوشنيا (Lushnja) في ٢ فبراير سنة ١٩٢٠ فشكلت مجلسا أعلى مكونا من أربعة أعضاء، ومم عاكف باشا الياساني بكتاشي وعضو مسلم آخر وعضو أروثوذكسي ورابع كاثوليكي، ووزارة تحت رئاسة عاكف بك دولينو ومجلسا نيابيا مكونا من ٣٦ عضوا منتخبا .

وقد قرر تفاق أليوتي (Alliotti) في ٣ أغسطس سنة ١٩٢٠ جلاء إيطاليا عن البانيا عد جزيرة سازينو (Saseno) أما مجلس النواب الذي انتخب في ابريل سنة ١٩٢١ فقد كان مكونا من ٧٨ نائبا على اعتبار نائب واحد عن كل ١٢٠٠٠ نسمة انتخبوا على درجتين، ونائب إضافي عن المهاجرين في أمريكا، وكان من بين أولئك النواب الثانية والسبعين ٢٩ نائبا من حزب الشعب و ٤١ من المحافظين ، هذ وقد أنشئت ألقاب لاقطاعات . أما إيطاليا التي عهد اليها وحدها حق المحافظة على كيان ألبانيا الجغرافي فقد وقعت على التولي مع أحمد زوغو على « عهد تيرانا » ( في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ) ثم على صحافة دفاعية في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧ تأيدت بسلفة من إيطاليا قدرها خمسون مليون ليرا .

( يتبع )

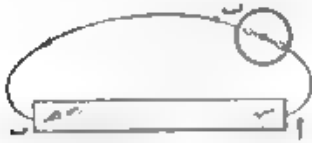
# علم الكهربية

٢

## بيان المناطق الجذبية

مخطوط قوة الجذب :

لو اننا استعملنا فصل القطب الشمالى لجاذب صنير من قطبه الجنوبى فصلا يوجد لما قطبا شماليا مستقلا، ووضعنا هذا القطب على مقربة من القطب الشمالى لجاذب قضيبى، لتحرك القطب الشمالى المنفصل متجها الى القطب الجنوبى للجاذب القضيبى متبعاً في سيره طريقاً منحنياً شبيهاً بالطريق المبين



شكل (٧)

طريقة رسم خطوط القوة في منطقة جدية

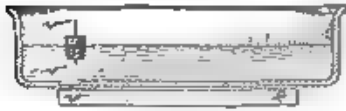
في الشكل رقم ٧ ووجه أن حركته تكون على خط منحن لا على خط مستقيم هو أن ذلك القطب المنفصل يكون في آن واحد مدفوعاً من القطب الشمالى للجاذب

القضيبى ومجذوبا من القطب الجنوبى له . ودرجة الشدة التسمية لهاتين القوتين تتغير على الدوم بتغيراً لا بعداد التسمية للقطب المتحرك عن هذين القطبين . وليس من الصعب عليك أن تختبر هذه النتيجة بالتجربة، فإنك إذا وضعت جاذباً قضيبياً أو جاذباً ناعياً<sup>(١)</sup> تحت طبق مفرطح محتو على ماء كما في الشكل رقم (٨) ووضعنا قطعة فلين غرز فيها إبرة مكتسبة خاصة الجذب على مقربة من قطبه الشمالى بالكيفية المبينة في الشكل

على شكل. فعل الفرس .



لرأيت أن قطعة الفلين تتحرك على طريق منحني من القطب الشمالي نحو القطب الجنوبي ،  
ففي هذه تتحرك قطعة الفلين والابرة كما لو كانتا قطبا منفصلا ، بما أن القطب العلوي



شكل (٨)

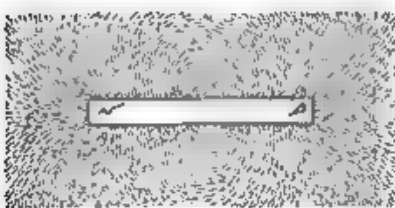
دليل تجريبي على وجود التأثير الحدي  
على طول خطوط القوة

للأبرة يكون من زيادته في البعد عن القطب  
السفلي بحيث يصير تأثير أولها قليلا جدا  
وكل طريق يسلكه قطب مستقل  
في سيره من الشمال الى الجنوب يسمى  
بخط القوة الجذبية . وأبسط طريقة لايجاد

وجهة هذا الطريق في أية نقطة قريبة من جاذب هي أن تمسك برة معين الجهات  
(يتمت الأبرة) في هذه النقطة ، لأن الأبرة ينبغي أن تستقر — كما هو ظاهر — بمحاذاة  
لحظ الذي يتحرك فيه قطباها لو كانا مستقلين ، أعني حذاء خط لقوة البار بالثقل  
المعلومة التي نرمز لها بحرف ث كما في الشكل رقم (٧) .

#### المناطق الجذبية للقوة :

للمنطقة الجذبية المحيطة بجاذب والتي يمكن أن تكشف فيها قواه الجذبية نسمي  
منطقته الجذبية للقوة . وأبسط طريقة لا يدرك الكيفية التي عليها تكون خطوط  
القوة منظمة في المنطقة الجذبية حول أي جاذب هي أن تنخل برادة الحديد فوق قطعة  
من الورق توضع مباشرة فوق جاذب ، فكل حبة من البرادة تصير جاذبا مؤقتا  
بالتوصيل ، وتستقر من أجل ذلك كأبرة معينة الجهات في وجهة خط القوة .

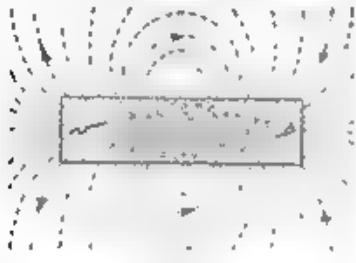


شكل (٩) : المنطقة الجذبية لجاذب فمبي

فالشكل رقم (٩) يريك هيئة المنطقة  
الجذبية حول جاذب قضيب

والشكل رقم (١٠) هو الرسم التصوري  
المقابل للشكل رقم (٩) ويريك خطوط القوة

منبثقة من القطب الشمالى ومارة حوله فى خطوط منحنية الى القطب الجنوبى . وهذه



شكل (١٠)

للطفة الجذبية التمرورية لجاذب قصوى

الطريقة فى تصور خطوط القوة منحنيات

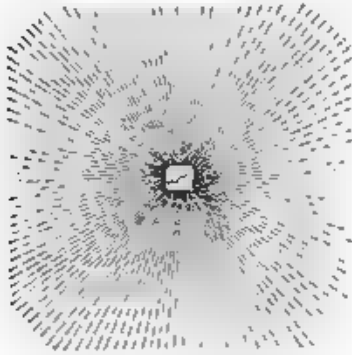
مقفلة ، مارة خارج الجاذب من الشمال

لافة حوله الى الجنوب وداخله ، راجعة

من الجنوب الى الشمال لم تدخل فى العلم

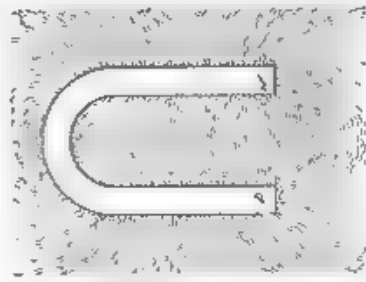
إلا حوالى سنة ١٨٣٠ ميلادية ، أدخلها فيه

العالم فرادى ووجد أنها قد ساعدت مساعدة كبرى فى ربط حقائق الجاذبية بعضها ببعض .



شكل (١٢)

لظام خطوط القوة حول طرف جاذب قصوى



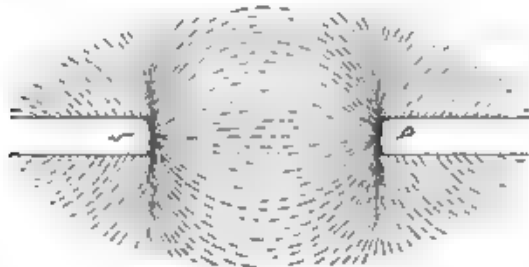
شكل (١١)

للطفة الجذبية لجاذب نعل

والشكل رقم (١١) يريك وجهات خطوط القوة حول جاذب نعلى ورقم (١٢) يمثل لك

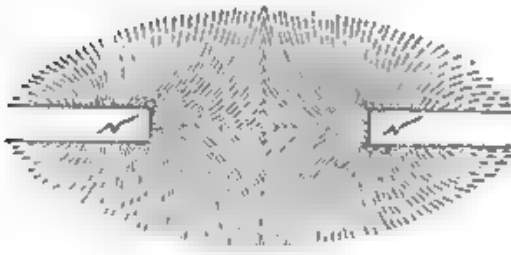
المنطقة الجذبية حول القطب الشمالى لجاذب القصوى ، ففيه تكون الخطوط الجذبية

شعاعية فقط .



شكل (١٣) : نظام خطوط القوة حول قطبين متقاربين لجاذبين قصويين

والمنطقة الجذبية التي تحصل من تقارب قطبين متباينين شمالي وجنوبي لجذبين قضيبيين مبينة في الشكل رقم (١٣).



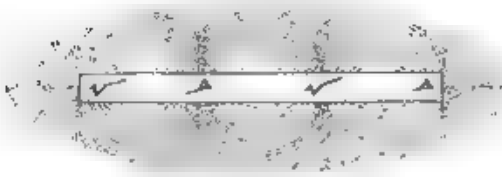
شكل (١٤)

نظام خطوط القوة حول قطبين متباينين حاديين قضيبيين

والمنطقة الجذبية التي تحصل من تقارب قطبين متماثلين شمالي وشمالي، أو جنوبي وجنوبي لجاذب قضيبي أحدهما من الآخر يمثلها الشكل رقم (١٤).

#### القطب التبعي :

يتأتى إيصال خاصية الجذب الى قطعة من الصلب بكيفية غير منتظمة ، وذلك بذلكها بجاذب قوى في مواضع مختلفة منها على طولها ، والجاذب الذي يحصل على هذا



شكل (١٥)

القطب البارز « الشمالي والجنوبي » والقطب التبعي الشمالي والجنوبي

التعويضي جاذبا شاذا ، والقطب التي تكون في هذه الحالة واقعة في طرفي الجاذب تسمى الأقطاب البارزة ، وأما التي تقع في وسطه فتسمى بالأقطاب التبعية ، فقطعة

الصلب التي موصل إليها خاصية الجذب بهذه الطريقة تشبه أن تكون مؤلفة من عدة جواذب قضيبية متواصلة الأطراف ، ولكن على ترتيب معكوس تكون فيه الأقطاب المتماثلة متجاورة . والمنطقة الجذبية للعاذب الشاذ مبينة في الشكل رقم (١٥).

( يتبع )

عبد العزيز محمد

## كتاب المبسوط

للإمام شمس الدين أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي

في مذهب الإمام أبي حنيفة

قام بطبعه حضرة الفاضل الحاج محمد افندي السامي المغربي . في ثلاثين جزءا ويطب من  
مكتنته في سوق القمامين

## الأسرار الإلهية في الحكم التشريعية

تأليف حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن راضي القاضي بالمحاكم الشرعية .  
وهو كتاب بحث فيه عن الحكم المودعة في التشريع الاسلامي بعبارة سهلة وأساليب متينة ،  
لحاء حافلا بالمباحث المفيدة ، والآراء السديدة ، مع حسن الترتيب ، وقد تم طبعة للمرة الثانية  
طبعاً متقناً مع زيادات على الأصل المطبوع للمرة الأولى . فنشكر لفضيلة المؤلف على هذا العمل  
الجليل ، ونحث أهل العلم على اقتنائه ولا سيما المقبلين على درس الشريعة وتعرف أسرارها

## الرابطة الاسلامية

محلة ديمية خلقية تاريخية ، تصدر في دمشق كل خمسة عشر يوماً مرة ، انشئت لتدعو  
الافطار الاسلامية لزيد الوحدة الدينية لصاحبها الفاضل السيد محمد أديب عبد العزيز  
والسيد محمد علي الجم ، وقد اطلعنا على جرائدها الأولى والثاني فآلفيناها حافلة بالمقالات النافعة  
فترجو لها الاقبال والنجاح .

Mohammad had severely taxed them with the distortion of the Scriptures and the withholding of many truths contained therein, and yet he used to make known these truths as signified by the following verses,

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْصُرُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي تُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ  
ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن الألوسي

"The Koran declareth unto the Jews and Christians the truths of many points concerning which they are continually at variance; and which should they fairly consider, will lead them unto Islam, but they did not and persisted in their contumacy and disbelief" (1)

(Alucy's Commentary)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ  
مِنَ الْكِتَابِ  
ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن الألوسي

"The Lord addresseth the Jews and Christians who follow the Scriptures that His Apostle Mohammad had come unto them making manifest many of what they have concealed of the Torah and the Evangel" (2)

(Alucy's Commentary)

Yet another sign of his truth is the giving in full detail, on being questioned by the Jews, the stories of Zu-Karriem (3), Moses, Jesus, the dwellers of the Cave and Lokman and his son as well as what hath been forbidden and made lawful unto the Jews.

1 Such points as they disagree upon are the conception of Jesus as a God or that he is the son of God or that he is one of a trinity or that he is a mere prophet like all other prophets or that he is an impostor and many such other erroneous conceptions.

2 Such as the description of Mohammad and the verse of stoning adulterers in the Law and Christ's prophecy of Mohammad by the name of Ahmed in the Gospel.

3 A great prince of the pre-Christian era whose conquests extended far east and west. Commentators differ widely as to his proper identity but they all agree that he was a true believer.

scientist or philosopher of any attainment while Islam could boast of thousands of distinguished men within a few years of its revelation'

Would such soul which well nigh spent itself with anxiety for the salvation of others be capable of falsehood and deceit?

Would not his mercy and tolerance which he displayed at Onad speak for themselves when with his face cut and eye-tooth broken he turns unto the Lord in earnest prayer "O Lord, forgive my people, for they know not what they do".

Thus in the midst of his afflictions he would find an excuse for his people and pray for their forgiveness.

Such tolerance and magnanimity could only proceed from a complete disregard of the material world and an implied faith in the Almighty God and the divine reality of truth.

Would not his telepathic accomplishments and the accuracy with which he used to tell the instincts and inner workings of the human soul, all point out to a supernatural attainment in the sphere of the unknown? But no wonder for the Lord saith in this connection;

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

مرجة تفسیر هذه الآية نقل عن البیضاوی

"Shall not God who hath created all things in accordance with His judicious decrees know what men conceal or declare and he whose omniscience encompasseth all that is hidden or exposed of the affairs of his creatures".

(Baidawi's Commentary)

Yet Mohammad was illiterate and never travelled in search of knowledge nor held converse with any of the contemporary men of learning as testified by his history, for he was brought up an orphan among an ignorant people. Nor was trade a vocation of his that he could be assumed to have come into contact, in course of his journeys with the sons of advanced nations as those of Persia and Rome, and other such assumptions which lack the corroboration of history and tradition. For Mohammad had neither the means nor the desire for the material world that would induce him to take any trouble on that account.

Would it not be a sign of his truth to have told of past people and remote generations such events as were only known to the high priests of the Scriptures, with whom he never came into contact or ever cared to meet, and such as were so guardedly kept from even their most intimate adherents,

The faith of men in Mohanmad would have, undoubtedly, been shaken and they would have deserted him had it transpired that these hidden thoughts were unfounded and that such detection was mere conjecture on his part.

It is incredible that Mohammad should prejudice his chances of maintaining his cause by claiming other than the truth. He would, consequently, have been exposed to his detriment and utter disgrace.

Would not the fervent zeal and anxiety which he displayed in calling the people unto their salvation in this world and the hereafter, be considered a sign of perfection and great attachment to the Almighty ?

So great, indeed, was his anxiety to guide the people unto the path of righteousness that the Lord addressed him thus :

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ  
ترجمة تفسر هذه الآية تولا عن اليناوى

"Spend thou not thyself out of sorrow and grief over the unbelievers and their persistence in disbelief"

(Baidawiy's Commentary)

His sole objective was to guide them unto a higher sphere of conduct and give them that great system of laws which had raised the Arab nation from the abysmal depths of humiliation, into which it had sunk, to the very zenith of might and glory.

He had, thereby, made them masters after being the abject creatures that they were, and rendered them, through those glorious teachings, the mightiest nation on earth after having categorically been the most despicable of all.

Erudition and learning flourished, and many great philosophers and thinkers distinguished themselves and lead the world unto the untrodden paths of inquiry and research. So thorough, indeed, was the treatment of their subjects that many of the scientific and philosophical theories of to day still bear the unmistakable stamp of their peculiar systems of thought of which they were the world's pioneers.

"Christianity", remarks Draper (1) the celebrated American scientist "continued for one thousand years without the appearance of a single

---

(1) Draper, John William (1811-1882) American scientist, who wrote among other treatises "The History of the Conflict between Religion and Science" (1875).

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا  
ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن اليعزوى

«When the Lord shall cause thee to prevail over thy enemies, and reduce Mecca and other places to submission and the people betake themselves in multitudes to the Religion of Allah» (1)

(Baidawy's Commentary).

All these prophecies and many others were fulfilled, one by one, and their entire significance was fully unfolded to the world. The enemies of Islam would, otherwise, have gloated over its failure, and its followers would have forsaken it instead of multiplying in numbers as had been the case.

Would not the detection of the innermost secrets and workings of the soul as testified in the following verses bear ample evidence to his truth?

وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن اليعزوى

«The hypocrites who feigned belief would say amongst themselves if Mohammad were a prophet would he not invoke the Lord to punish us because of our disbelief and hostility to him» (2)

(Alucy's Commentary.)

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن اليعزوى

«When two companies of the Moslems were about to weaken and fall off in battle» (3)

(Alucy's Commentary.)

(1) This took place in the ninth year of the Hejra when Mecca was reduced and a magnificent dash impaled to Islam as well as the people of Al Jazir, Yemen, Howzan and other tribes who came willingly to Mohammad and professed his faith.

(2) The Jews and hypocritical Moslems plotted secretly against Mohammad and derided him in their private discourse.

(3) The two companies referred to in the verse were Bann Salama of the tribe of Al-Khazraj and Ba Jil Huth of the tribe of Alaws who formed the two flanks of Mohammad's army in the battle of Uhud. Abdul Aziz the infidel, warned them against the great risks they were taking, they being much inferior to their enemy in number, and intimated the advisability of a retreat but he could only prevail on a few and the others held the field by the divine support of God.



cause it to triumph over disbelief, and cause them to succeed the unbelievers and make them His viceregeris on earth, as he caused the Israelites before to succeed the infidels in Egypt and Syria; and that He would establish Islam which He pleased to give unto them» (1)

(Kashaf's Commentary)

لَنْ يَصْرُوكُمْ إِلَّا أَذًى . وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يَوْلُوكُمُ الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَقْعُرُونَ

ترجمة تفسير هذه الآية تنقل عن البياضى

«The unbelievers shall inflict no grievous harm on you except for slight injuries and threats and if they engage in battle against you, they will only be defeated and none would afford them victory over you».

(Baidawy's Commentary).

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

ترجمة تفسير هذه الآية تنقل عن الالوسى

«God hath, by His omnipotence, sent down the koran whos revelation the unbelievers deny, and He shall preserve it from distortion and corruption and render it inimitable and distinct from the discourse of men».

(Alucy's Commentary).

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

ترجمة تفسير هذه الآية تنقل عن البياضى

«God hath promised you victory over the unbelievers but you aimed at the spoils and the avoidance of danger and God willed to exalt His Religion and make manifest the truth by giving you the promised victory over the host of the unbelievers». (2)

[1] In fulfilment of this promise, the Moslem conquests extended from China in the east to Morocco and the Atlantic in the west, a mighty evidence of the surging dominion and exaltation of Islam

[2] At the Battle of Bedr the unbelievers were encamped in two parties, one a caravan under Abu Sufian and guarded by only forty horsemen and the other was the mass of their fighting force under Abu Jahl which latter was defeated by the Moslems in fulfilment of God's promise

evidence of his truth and the authenticity of his prophethood? The following verses would serve to testify thereto :

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن الانوسى

«The host of unbelievers shall be utterly routed and shall take to their heels in the battle of Bedra».

(Alucy's Commentary.)

غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَازِهِمْ سَافِلُونَ

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن البصاوى

«The Persians defeated the Greeks in the nearest boundary town to them. The unbelievers of Mecca rejoiced at their victory as the Persians were followers of the Scriptures like the Moslems. The verse was thus revealed foretelling a victory of the Greeks over the Persians which was fulfilled a few years later». (1)

(Baidawy's Commentary).

لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن الانوسى

«The Moslems were promised to enter Mecca in full security and the verse was revealed to the effect that they will enter the Sacred Mosque in Mecca, which entry was materialised soon after».

(Alucy's Commentary)

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن البصاوى

«God hath promised Mohammad and his people to exalt Islam and

[1] The victory of the Greeks referred to in the verse took place about the third year of the Hجرة.

When he ate, he used to say "Praise be to the Lord who hath provided us with food and pleased to make us Moslems;" and when he drank, "Praise be to the Lord by whose mercy water is made fresh and sweet and not salt and bitter because of our sins."

When he broke his fast, he was wont to say "Praise be to God who hath aided me to fast and hath given me of His bounties to feed."

On turning in bed during the night, he would say "There is no God but God, the one, the Almighty, the Lord of heavens and earth and what lieth betwixt them, the Almighty, the forgiving."

Should he wake up during the night, he would say "O Lord, forgive us our trespasses, grant us thy mercy and guide us unto the right path."

Should he feel apprehension of certain people, he was wont to say, "O Lord, be thou our shield against them and grant us thy protection from their evils."

On coming out of his house, he would say "In the name of the Lord do I plight my troth, for the mighty and strong is He, and seek His protection from misguidance, error and oppression or being lead by others thereto."

When beholding the crescent moon, he would say "May it be an auspicious augury of guidance and well-being unto my people ( Glory Be to thy creator."

Should he raise his eyes towards heavens he would say "O thou welder of hearts confirm thou my heart in thy obedience," and if he had occasion to swear by the Lord he would say "By Him in whose hands the soul of Mohammad lieth."

If the wind blew he would say "O Lord, grant us the good it bringeth and preserve us from the evil thereof."

Such was Mohammad in all his actions, completely given to the thought of the Almighty and ever seeking His aid and support in whatever project he may set to do. No might nor power indeed, did he ever attribute to himself or others where God and His cause were concerned. He pledged his faith to God to the exclusion of all others, thus he was wont to say "Suffice unto me the Creator apart from the created, the Provider apart from the provided for, suffice unto me who sufficeth me, suffice the Lord and the most excellent Patron is He."

---

To resume our analysis, would not the prophecies of future events which abound in the miraculous Koran constitute a mighty

مترجمه عن كتاب : رسائل السلام : مؤلفة صاحب الفقيه الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي

## THE PROPHET MOHAMMAD<sup>(1)</sup>

(Continued.)

As already pointed out, Mohammad was wholly given to the meditation of the Almighty God was all in all to him and the awe and reverence due unto the Lord seemed to run in his very blood.

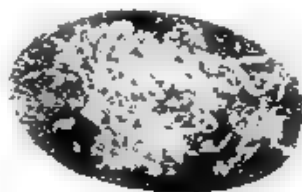
Like all other prophets and apostles, he used to attribute everything to the Lord Should any good come his way, he was wont to say "Praise be to God by whose grace our blessings are rendered complete" and should a misfortune befall him, he would say "Praise be to the Lord in prosperity and adversity."

Should he contemplate an action, he would solicit God's aid "O Lord grant me the good and guide me unto the right," and should he set on a journey he would pray unto Him "O Lord, of thee do I ask strength and seek support."

On going to sleep, he was wont to say "In thy hallowed name do I lay my side to rest, and on rising "Praise be to the Lord who quickeneth us after death and unto Him shall be the return."

On putting on a new garment, he would say "Praise be to the Lord who gave me the wherewithal to adorn myself in life."

[1] Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef El Diaw's Book "Messages of Peace."



فَدَحَاءُ كَلْبٍ كَفَّحَ نَوْرًا كَانَتْ مَنِيَّةُ يَهْدِي إِلَى أَهْلِ سَبْحٍ وَصَلَاتِهِ شَيْئًا لَسَلَامٍ  
وَحُورِ شَهْمَةٍ وَرَأْفَتَانِ إِلَى مُرَادٍ بِرُوحِهِ نَهْنَهَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ •

# بُحْرَانُ الْأَسْبَابِ

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية  
تصديرها ميسخدا لأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

الجزء الثامن	شعبان سنة ١٣٥٠	المجلد الثاني
--------------	----------------	---------------

رئيس التحرير  
السيد

عبد الحفيظ  
من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة

عبد الحفيظ

المستشار بمحكمة الاستئناف ،  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى ،

## الاشتراك

- دفع المهر المصري . . . ٤٠  
للملء غير المدرسين وصحة للماهد وللد رس ٢٠  
خارج القطر المصري . . . ٥٠  
لجنة ماهد ولمدارس .. ٣٠

## الإدارة

شارع محمد مظلوم بإش رقم ١

تليدود : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل أئمة المساهد والمدونين وملكو المدارس الأولية والمهمل معاملة الطلاب

ونحن الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٣٥٠ - ١٩٣١ م





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### السنّة - والبدعة

شرع الله الدين الحنيف في سماحة وحكمة ، فلم يأت بما فيه حرج ، أو بما ينبغي العقل السليم عن قبوله ، وكانت هذه السماحة والحكمة من أسباب انتشاره في المعمورة وظهوره على الأديان كلها في أعوام معدودة ، وحيث بلى بعض الشرائع من قبل فدخلها فساد التبديل والتأويل ، اشتدت عناية الشارع بتحذير الناس من أن يحدّثوا في الاسلام ما ليس منه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »<sup>(١)</sup> وقال : « كل محدثة <sup>(٢)</sup> بدعة وكل بدعة ضلالة » .

ولم يخلص لدين مع هذه الزواجر من طوائف يلصقون به ما يتناقض سماحته ، أو ما يشوه وجه حكمته ، وقد كثرت هذه البدع حتى حشيت جانباً من محاسنه ، وكان لها أثر في تشكر بعض القلوب لهديته . وهذا ما حمل كثيراً من أهل العلم على أن يتناولوا البدع بالتأليف خاصة ، كما فعل أبو بكر الطرطوشي وأبو اسحاق الشاطبي وغيرهما من رجال الدين . وللبحث في البدع مجال واسع ، ونحن نذكر في هذا المقال بالتقدير الكافي لإجابة رسائل اقترح أصحابها على المجلة بيان ما هو سنة وما هو بدعة . وفي المرق بين السنة والبدعة ، وتمييز البدعي من السني إصلاح كبير .

### السنة

معنى السنة في أصل اللغة الطريقة ، حسنة كانت أم سيئة ، وقد تطلق على

ما يقابل القرآن، فيراد بها قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره؛ ويطلقها الفقهاء على ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه مما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وواظب عليه؛ ونطلق على ما يقابل البدعة، فيراد بها ما وافق القرآن أو حديث النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير، وسواء كانت دلالة القرآن أو الحديث على طلب الفعل، مباشرة أو بوسيلة الفروع المأخوذة منها، وينتظم في هذا السلك عمل الخلفاء الراشدين والصحابة الأكرمين. لاثقة بأنهم لا يعملون إلا على بينة من أمر دينهم، قال عمر بن عبد العزيز: «سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال إمامة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد. ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين»

أما دلالة القرآن أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الأمر مشروع فوضحة، ولا شأن للمجتهد في صيغ الأوامر إلا أن يتفقه فيها حتى يحملها على لوجوب أو انتداب، ويتدبر أمرها فيما إذا عارضها دليل آخر، ليقضي بترجيح أحدهما على الآخر، أو يفصل في أن هذا ناسخ لذاك؛ وطرق الترجيح أو الحكم بالنسخ مقررّة في كتب الأحكام.

والذي يستدعيه البحث في هذا المقل أن نحدد عن فعله عليه الصلاة والسلام وإقراره، حتى نعلم الضرب الذي كان نافيًا أسوة حسنة وسنة قائمة.

من أفعاله عليه الصلاة والسلام ما يصدر عن وجه الجبلة أو العادة، كالقيام والقعود والاضطجاع والأكل والشرب واللبس، وهذا الضرب غير داخل فيما يطلب فيه التأمي، وغاية ما يفيد فعله عليه الصلاة والسلام لمثل هذه الأشياء الإباحة، فإذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قام في مكان أو زمان. أو ركب نوحًا من الدواب، أو تناول لونا من الأطعمة، أو لبس صفا من الثياب، فلا يقال فيمن لم يفعل شيئًا من ذلك؛ إنه تارك السنة.



ومن أفعاله عليه الصلاة والسلام ما عَمَّ اختصاصه به كالوصال في الصوم والزيادة في السجود على أربع ، ولا نزاع في أن مثل هذا ليس محلاً للتأني ، وما كان لأحد أن يقتدى به فيما هو من خصائصه .

ومما ما عرف كونه بياناً للقرآن كقطعه يد السارق من الكوع بياناً لقوله تعالى : ( فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمْ ) وحكم الاقتداء به في هذا حكم المبتن من وجوب أو استحباب . ومنها ما لم يكن جيداً ، ولا خصوصية ، ولا بياناً ، وهذا إذ علمت صفته في حقه عليه الصلاة والسلام من وجوب أو ندب أو إباحت ، فأتمته تابعة له في الحكم ، إذ لأصل تساوى المكلفين في الأحكام .

فإن فعل صلى الله عليه وسلم أصراً ولم يبق دليل خاص على أنه فعله على سبيل الوجوب أو التندب أو الإباحة ، فهذا إما أن يظهر فيه معنى القرية ، كافتتاحه لرسائل بكلمة : « بسم الله الرحمن الرحيم » فيحمل على أقل مراتب القرب وهو التندب ، وإما أن لا يظهر فيه معنى القرية فيدل على أنه مأذون فيه ؛ ومن أهل الحديث من يذهب به مذهب المدبوب اليه نظر إلى أنه عليه السلام مشرع ، فالأصل في أفعاله التشريع ، ومثال هذا إرساله عليه الصلاة والسلام شعر رأسه الشريف إلى شحمة الأذن ، وهو عمل لا يظهر فيه معنى القرية ؛ والمكن بمضى أهل العلم كالتقاضى أبي بكر بن العري وأبي بكر الطرطوشي جعلوه من مواضع الاقتداء ، ورأى آخرون أن هذا محمول على العادة ، فإذا جرت عادة قوم بنحو الخلق ، فلا يوصفون بأنهم تركوا ما هو سنة .

ومما يشبه إرسال الشعر إلى الأذن إرساله عليه الصلاة والسلام ذؤابة من الهامة وهي المسماة « المذبة » وقد ورد في حديث عمرو بن حريث في فتح مكة : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرَخَى طَرَفَهَا بَيْنَ

كتفيه<sup>(١)</sup> » وحديث ابن عمر : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتم سجد عمامته بين كتفيه<sup>(٢)</sup> » .

وإذا كان إرسال ذؤابة من العمامة مما لا يظهر فيه معنى القرينة ، يكون موضعاً لاختلاف أهل العلم : فهم من يجعله من قبيل ما يتأسى به ، وإلى هذا يخرج أبو بكر ابن العربي ، وقد روى الترمذى عن ابن عمر وساء والقاسم أنهم كانوا يفعلونه ، ومنهم من يراه من قبيل العادة فلا يعد المتعم من غير عدة ناركاسة ، وهذه وجهة نظر من لم يكن يرسل العدة من السلف ، قال لامم مالك إنه لم يرا أحداً يفعله إلا عامر بن عبد الله بن الزبير<sup>(٣)</sup> .

وقد يتقارب الحال في بعض الأفعال ، فلا يظهر جلياً أهو عادة أم شريعة ، فتتردد فيه أنظار المجتهدين ، نحو جلسة الاستراحة عند قيامه للثانية أو الثالثة ، فذهب بعضهم إلى أنه لم يفعله على وجه القرينة فلا تدخل في قبيل السنة ، وعدّها دأبة فيما يستحب من أهمال الصلاة .

ومما يظهر فيه معنى القرينة تقديم اسمه عليه الصلاة والسلام في الرسائل على اسم المرسل إليه ، ولهذا لم يحافظ عليه بعض السلف محافظتهم على ما يفهمون فيه معنى القرينة ، فأجاروا تأخير اسم المرسل على اسم المرسل إليه ، وسئل لامم مالك عن ذلك فقال : لا بأس به ، بل روى أن ابن عمر وهو من أشد الناس محافظة على السنة ، قد كتب إلى معاوية ، ثم إلى عبد الملك بن مروان ، وقدم سبهما على اسمه<sup>(٤)</sup> .

## تركه

وكذلك يفصل القول في تركه عليه الصلاة والسلام لبعض الأشياء ، فإيتركه من

(١) أخرجه مسلم . (٢) أخرجه الترمذى والنسائى . (٣) بإسنادهم من فتح إبارى .

(٤) دواء أبقراطى في الأدب المفرد يستد صحيح .

أجل كراهته له جبلة، كما امتنع من أكل الضب، وما قال له خالد بن الوليد: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدي أعافه » وليس تركه صلى الله عليه وسلم للشيء على هذا الوجه من مواضع التامس، وشهد أنه خالد رضى الله عنه سمع هذا الجواب، وما أبث أن جر إليه الضب فأكله.

ويجوز على هذا النحو ما يتركه صلى الله عليه وسلم لتحريم يختص به، كتركه أكل الثوم وما شاكله من كل ذي رائحة كريهة، فلفظه من المسلمين تناوله، ولا يكون بتناوله هذا خارجا عن حدود قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

فإن لم يكن تركه عليه الصلاة والسلام من ناحية الجبلة، ولم يثبت أنه كان لمنع يختص به، فإن عم حكم هذا الترك في حقه من حرمة أو كراهة، كانت الحرمة أو الكراهة شاملة لأمره محبة أن الأصل عدم الخصوصية، فإن تركه عليه الصلاة والسلام أمر ولم يعلم حكم هذا الترك، دل على عدم الإذن في الفعل، وأقل مراتب عدم الإذن أسكراهة، فيحمل عليها حتى يقوم الدليل على ما فوقها وهو التحريم.

وإذا ترك صلى الله عليه وسلم الأمر لما منع من الفعل يصرح به أو يفهمه المجتهد بطريق الاستنباط، ثم يزول هذا المانع، فإنه يصح النظر بعد في أمر المتروك، ويجوز حكمه على ما تقتضيه أصول الشريعة، كما ترك صلى الله عليه وسلم صلاة القيام في رمضان جماعة، وذكر أن المانع من استمراره عليها خوف افتراضها عليهم، ولما انقطع لوجي بانتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ارتفع المانع من صلاة التراويح جماعة، وهو خوف الافتراض، فم يبق في تركها موضع للتأمس، ولذلك رجع بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الأصل الذي هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم لها في جماعة.

ومن هذا الباب تركه صلى الله عليه وسلم لقتل حامل بن أبي بلنعة حين طلع له على كتاب أرسله إلى قريش يخبرهم فيه ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وقال رداً على عمر بن الخطاب إذ قال له : دعني أضرب عنق هذا المنافق . « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم<sup>(١)</sup> » في ظاهر الحديث تعليل عدم قتله بشهوده واقعة بدر ، فمن لم يتحقق فيه هذه المزية ممن يتجسسون على المسلمين ويبلغون أخبارهم للمخاريق يبيى أمره موكولاً لاجتهاد الامام ، ليجازيه بما تقتضيه المصاحبة ولو بالإعدام ، وهذا ما يقوله إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله .

وإذا ترك صلى الله عليه وسلم أمراً لم يظهر في عهده ما يقتضى فعله ، ثم طرأ حال يجعل المصلحة في الفعل ، ارتفع طلب التماسي في الترك ، وأصبح ذلك الأمر مجالاً للنظر المجتهد ، حتى يفصل له حكماً على قدر المصلحة الداعية إلى فعله ، ومثال هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يجمع القرآن في مدحف ، إذ لم يظهر في عهده ما يدعو إلى هذا الجمع ، ولكن كثرة من قتل في حرب أهل الردة من القراء أثار الخوف على القرآن من الضياع ، ورأى خليفة الأول صحة الجمع لهذا المقتضى الذي لم يكن في عهد الوحي قائماً .

ولا يدخل في الترك الذي نتحدث عنه عدم فعله صلى الله عليه وسلم لأمر لم تكن وسائلها قد تهيأت ، ولا الفنون التي يتوقف عليها إنشاؤها قد ظهرت ، فلا يخطر على البال أن نمنع من وضع آلات تعرف بها الأوقات في المساجد ، ونستند في هذا المنع إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا في مسجده الشريف ، وليس من لفقه أن رداً خبر بثبوت شهر رمضان يأتي على طريق البرق أو المسرة ، يدعوى أن الأخذ به مخالف للسنة إذ لم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الشهر إلا بشهادة يؤديها من في حضرته ، وإنما يعد مثل هذا من قبيل المسكوت عنه ، فلا أهل العلم أن يتناولوه بالاجتهاد ، ويلحقوه بالأصل الذي يصح تطبيقه عليه .

وانترك الذي يدل على عدم الإلزام هو ما يروى في لفظ صريح، كتركه عليه الصلاة والسلام الأذان ولا إقامة ليوم العيد، وتركه غسل شهيد، أحد الصلاة عليهم؛ ويلحق بهذا تركه لذي م ينقل بلفظ صريح ولكنه يفهم من عدم نقلهم للعمل الذي شأنه أن تتوفر الدواعي على نقله لو وقع. فيصح لنا أن نقول: من السنة ترك رفع الأصوات بالذكر أمام الجندرة، ويكفي في الاستشهاد على أن السنة ترك هذا لرفع عدم نقلهم لفعله، وهو من الأمور التي لو فعلت لتوفرت الدواعي على نقلها.

وقد وردت أحاديث دلت على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتركون الأمر لمجرد ترك النبي صلى الله عليه وسلم له، كما ورد أنه عليه الصلاة والسلام خلع لفعله في صلاة فخلعوا، نعلمهم حتى أخبرهم بعد بأنه علم من طريق الوحي أن بالعمل بحجاسة<sup>(١)</sup>.

ومن شو هذه أنه كان عليه الصلاة والسلام اتخذ خاتما من ذهب، فأنخدوا خواتيم من ذهب، ثم نبذه، وقال: «إني إن ألبسه أبدا» فنبذوا، خو تيميم<sup>(٢)</sup>.

ومن عرف مسابقة الصحابة رضي الله عنهم إلى الاقتداء برسول الله حتى في ترك المكروه، لم يجد في أمثال هذا الحديث دليلا كافيا على أن تركه عليه الصلاة والسلام للشيء، يحمل على أشد مراتب النهي وهو التحريم. وحرمة استعمال خاتم الذهب مأخوذة من الأحاديث الدالة على حرمة استعمال لذهب زينة للرجال.

## تقريرا

من مقتضى ما تقرر من عصمته صلى الله عليه وسلم - وأمانته في التبليغ أن لا يقر أحدا على أمر غير مأذون فيه شرعا، فيكون إقراره للأمر دليلا على أنه لا حرج

(١) رواه الامام أحمد وأبو داود. (٢) صحيح الامام البخاري.

في فعله ، سواء شاهده بنفسه فسكت أو بلغه فم ينكره ، وما لا حرج فيه يشمل الواجب والمندوب والمباح ، فيحمل على أقل مرتبه وهو الجواز حتى يقوم الدليل على الندب أو الوحوب ، ولا يدل الإقرار على جوار الفعل في حق من أقره النبي صلى الله عليه وسلم وحده ، بل يكون لجوز حكماً شاملاً لجميع المكلفين ، أخذاً بالأصل الذي هو استواء الناس في أحكام الشريعة ، فليس لأحد أن يعد اللعب في المسجد بالسلاح غريباً على الحرب أصراً مخالفاً لسنة ، بعد أن ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر الخيشة على اللعب في مسجده بالحرب ، وليس لأحد أن ينكر على المعتدة عدة وفاة إذا خرجت للاستفتاء ، بعد أن ثبت أن قريمة بنت مالك خرجت بعد وفاة زوجها تستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع العدة ، فقال لها : « امكثي حتى تقضى عدتك » ولم يتعرض لخروجها بإنكار .

محمد الخضر مبین

« يتبع »

\*\*\*\*\*

## الظرف والمحل

قال حكيم : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخْلَصُ لك وده ، وَيَبْلَعُ في مُهْمِكَ جُهْدَه . وأخٌ ذو نِيَةٍ يقتصر بك على حُسْنِ نِيَتِهِ ، دون رِفْدِهِ ومَعُونَتِهِ . وأخٌ يَحَامِلُك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشأنه ، ويوسِمْك من كده وأبْغَاؤِهِ .

# التنقيح

## سورة الملك

٨

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله جل ثناؤه . ( كَلِمَاتُ الْإِنِّ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ .  
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ  
كَبِيرٍ ) .

الفوج : الجماعة السريعة في سيرها . وخزنة جهنم هم الملائكة التسعة <sup>(١)</sup> عشر الذين  
يتولون أمر جهنم ويتسلطون على أهلها ويدبرون أمر تعذيبهم فيها . بلى : كلمة يُقصد  
بها إبطال <sup>(٢)</sup> النفي المذكور قبلاً ، فإذا قيل : ليس في مصر معادن ، كان الجواب بلى ،  
أي فيها معادن ؛ وإذا قيل : أم يفرط المسجون في دينهم وديارهم ؟ كان الجواب بلى ،  
أي أنهم فرطوا . والفضال هو العدول عن المنهج القويم ، والانحراف عن الصواب ،  
سواء أكان ذلك عمداً أم سهواً ، يسيراً أم كثيراً ، مع العلم بالحقيقة أم لا ؛ وضده  
الهداية . وسيأتي بسط الكلام في ذلك .

لم يشرح الله عز وجل لعباده حال جهنم التي أعدها للذين كفروا بربهم ، وبين  
ما خلقها عليه من الصفات المزينة البشعة ، أردف ذلك الشرح بحال أهلها ، وبين

(١) أي ملكاً أو مستقلاً أو صفاء . (٢) أي نعم فإنها تبقى ما قبلها على حاله من إثبات أو نفي

المقاولات بينهم وبين خزنتها وبين أنفسهم فقال : ( كَلَّمَآ أَلْتِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُهُمْ خَزَنَتَهَا ) الآية .

قد منا لك أن الفوج هم الجماعة المسرعون في سيرهم ؛ وقد جاء التصريح بذلك الوصف وصف إسرار الكفار في سيرهم إلى جهنم في آيات أخرى - منها قوله تعالى : ( يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً <sup>(١)</sup> كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ <sup>(٢)</sup> يُوقِضُونَ <sup>(٣)</sup> ) وقوله : ( مُهْطِعِينَ <sup>(٤)</sup> إِلَى الْأَذْيَاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ) وقوله : ( مُهْطِعِينَ مُقْنِي <sup>(٥)</sup> رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ <sup>(٦)</sup> إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ <sup>(٧)</sup> هَوَالٌ ) .

دلت تلك الآيات الصادقة على بعض من سوء المقابلة التي يصطدمون بها عقب خروجهم من قبورهم وقبل دخولهم جهنم دار قرعهم ، حتى إذا وردوها ألقوا فيها فوج بعد فوج ، وقذفوا في جوفها أمة بعد أمة ، حتى إذا أداركو فيها جميعاً ( سَأَلْتُهُمْ خَزَنَتَهَا أَمْ يَأْنِيكُمْ نَذِيرٌ ) ؟ وقد جاء ذلك بشرح أوفى في قوله تعالى في آية أخرى : ( وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أُنُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْنِيكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا . فَيُشْسَمَتُونَ <sup>(٨)</sup> الْمُتَكَبِّرِينَ )

(١) لقود . (٢) مسرعين إلى الخسر . (٣) ما يصعب التناقص ويرمونه في ميدان المسابقة . (٤) يسرعون . (٥) مسرعين ، الذين أحاطهم في سيرهم إلى النادى إلى الخسر . (٦) راسع لها . (٧) لا تطرف أعينهم من المزعج . (٨) أى أن قلوبهم لشدة الهول والخزع كانت رمت منهم وذهبت في الحركاتها هواء ، وبغير هذا قول القائل : طار له فلان من الهلع ، ودمت نفسه شعاعاً أى موزعة مفرقة .



لعلك فطمت الى ما يؤخذ من هاتين الآيتين الكريميتين ، وهما قوله تعالى :  
 ( كَلِمًا أَتَتْ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ) لآية ، وقوله : ( وَسَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا )  
 الآية ، من أن الكفار يسألون في الآخرة هذا السؤال مرتين ، مرة قبل دخولهم  
 جهنم كما في الآية الثانية ، ومرة بعد دخولهم فيها كما في الآية الأولى التي تفسرها

والحكمة البالغة في توجيه هذا السؤال إليهم وفي تكريره لهم ، هي مضاعفة الإيلام  
 وريذتهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون . فكما تألمت أجسامهم بالنار التي  
 نُضِجَتْ فيها جلودهم ، وَغَشِيَتْ وجوههم ، وكانت عليهم لُطْفٌ <sup>(١)</sup> زُرَاعَةٌ <sup>(٢)</sup> للشوى ،  
 كذلك أريد إيلام أرواحهم ، وإيحاء نفوسهم ، بتوجيه هذا السؤال لدى لا يحيرُونَ <sup>(٣)</sup>  
 الإحالة عنه إلا بالافرار ولا عتاف ، كما سيأتي في هذه الآية ، ليضاف الى إيلام  
 أبدانهم بالنار إيلام أرواحهم بالتوبيخ ، وليرد دو بالتعنيف والتقريع حسرة بعد  
 حسرة ، وبندامة على ندامة ( وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) .

سئلوا هذا السؤال الجامع للوم والتوبيخ ، المأخوذ الى الإقرار بالحق الواقع ،  
 فهم يجدوا من دون لا عتاف به مؤثلا <sup>(٤)</sup> ، و ( قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَ مَا نَذِيرٌ ) أى قالوا  
 مقرين بأن الله اللطيف بعباده قد أعذر <sup>(٥)</sup> إليهم وأرسل النذير ، وأزاح عنهم ما عسى  
 أن يتعللوا وبجحتجوا به ، كما قال سبحانه : ( رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ  
 لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ) وقال : ( وَأَوَّأْنَا أَهْلَ الْكِنَانِ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ <sup>(٦)</sup> )  
 لِقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ مَا يَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ) .

كان يكفيهم في الجواب أن يقتصروا على قولهم ( بَلَىٰ ) كما يناد لك فيما سبق ،  
 ولكنهم جمعوا بين كلمة الجواب وهي ( بَلَىٰ ) والعبارة المحبب بها وهي : ( قَدْ جَاءَنَا

(١) دار ملتقى . (٢) كثيرة النزع والتقطع لأطرافهم وعضودهم . (٣) لا يستطيعون .

(٤) منبأ . (٥) نفي أعدائهم وأبطالها . (٦) أى قبل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

نَذِيرٌ) مع انقضاءها من كلمة الجواب، وذلك مبالغة منهم في الاعتراف بحجى النذير، وتحزن مما جئوه من تكذيبهم له، وتندم على ما حرموا أنفسهم منه وهو السعادة التى هى جزاء المصدقين. كذلك هو تمهيد قصدوا به التوسل الى بيان ما ارتكبهوه من الايغال والتفريط فى جنب الله تعالى، طمعا منهم أن ذلك قد ينجيهم أو يخفف عنهم، ولكن أنى ذلك لهم (وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ). ثم تولوا عنه وقالوا مُعَلِّمٌ<sup>(١)</sup> مَجْنُونٌ).

أفروا جميعا بما عاملوا به النذير لما جاءهم، فقال كل فوج منهم قد جاءنا نذير، أى نذير واحد حقيقة فى بعض الأمم، كسيدنا نوح عليه السلام، أو حكما فى بعض آخر، كأن تعدد النذر ولكسهم مع تعدد ما كانوا بمنزلة نذير واحد كأنبيا بنى إسرائيل، فإنهم إما كانوا خفا، عن سيدنا موسى عليه السلام مندبرين بشريعته، أى جاءنا نذير فأندرنا بما أعدّه الله تعالى للكاذبين، وتلا علينا ما أنزله عليه من الآيات (فكذبنا) ذلك النذير، وجحدنا أن يكون نذيرا من عند الله تعالى. ثم إننا أفرطنا فى التكذيب وتمديننا فى الإنكار (وقفتما ما نزل الله) على أحد من البشر (من شيء) من الأشياء التى يدعى النذير أنها آيات منزلة عليه من عند الله سبحانه، مستدلين بهذا القول على أنه ليس نذيرا من عند الله تعالى. وقد جاء هذا فى آية أخرى وهى قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ). ثم أغرقنا فى التكذيب وتجاوزنا الحد فى الإنكار، فرمينا النذير بالضلال والسفاهة والجهل، فقلنا له ولكل من يفرض أنه يقول مقالته - (إن أنتم) أيها المنذرون (إلا فى ضلالٍ كبيرٍ).

(١) أى عليه بعض الناس هذه الالطيل ولم يعلمه الله شيئا كما يزعم.

هكذا غلبت على القوم شقوتهم في الدنيا فاجتروا أن يصفوا النذر الكرام بما عصمهم الله تعالى منه ، ولكسهم في الآخرة قد ( بدأ لهم من الله ما لم يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ) ( وبدأ لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون )

وقد يحسن أن نذكر هنا كلمة موجزة دعا إليها ما افتراه أولئك المكذبون على النذر من وصهم لهم بالضلال فنقول : قد شرحنا لك معنى الضلال فيما سبق ، ومنه تعلم أنه أنواع كثيرة : فنه ما هو مذموم ممقوت عند الله تعالى يستحق صاحبه العقاب ، كضلal الكفر والمعاصي ، ومنه ما ليس كذلك كالضلal الصادر عن عدم العلم بالحقيقة أو عن النسيان .

فن الصادر عن عدم العلم بحقيقة ما ينبغي اتباعه ما جاء في قول الله تعالى لتبينا صلى الله عليه وسلم : ( وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ) أى كنت غير عالم فمُلك ، وكنت غير عارف بما يصلح به فساد البشر فعرَّفك ، وكنت غير مهتد الى الطريقة المثلى التى يكون فى اتباعها سعادة الدين ولدى الدنيا والآخرة فهذا .

وهذا كما قال عز وجل فى آية أخرى : ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدَى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا . وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ) .

ومن الصادر عن السهو وغيبية الأمر عن الخاطر قول سيدنا موسى لفرعون فى شأن قتل القبطى : ( فَعَلْنَاهُ <sup>(١)</sup> إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ) وقول أولاد سيدنا يعقوب له عليه السلام : ( إِنْ أَبَانَا لَكِ ضَالًّا مُبِينٍ ) ( إِنَّكَ لَكِ صَالِكٌ قَدِيمٌ )

(١) أى القصة وحى قتل القبطى للتدبى على الاسرائيلى .

وقوله تعالى في آية كتابة الدين والاستشهاد عليه . ( وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ <sup>(١)</sup> . فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ) .

ومن الصادر عن الإنكار والخطأ العمد ضلال الكفر والكذب في قول الله تعالى : ( وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَآيَاتِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ أَعْرِضُوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) . ومنه ما حكاه أهل جهنم عن أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا يقولون بحسب رعمهم الباطل لرسلهم . ( إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ) . على أنهم لم يكتفوا برى رسلهم بالضلال فقط ، بل وصفوه بأنه ضلال كبير فاحش ذميم . زعموا هذ وهم في الدنيا دار أمهم وسلامتهم ، وغفلوا عن أن الله تعالى سيسألهم في الآخرة ويقول لهم : ( يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ نَفْسَهُمُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاْفِرِينَ ) .

ثم اعلم أن الله جل ثناؤه قد كرم نبي آدم وفضلهم على كثير من خلق تفضيلاً ، فوهب لهم هبة عظمى خصهم بها ، وهي نعمة العقل لدى به يعقلون ويميزون لحق من الباطل ، والطيب من الخبيث ، والخير من الشر ، ثم أنم عليهم تلك النعمة فجعل لها آلات ووسائل توصل إليها المعلومات ، وناط بكل آلة منها معلومات مميّنة تؤدّيها إلى العقل — تلك هي السمع والبصر وسائر الحواس .

ثم إن بني آدم الذين فطرهم الله تعالى على هذه الفطرة لركبة قد اختصوا شيعاً : فمنهم من أدى حق الله تعالى عليه في هذه النعم الجليلة فشكرها ، وشكرها إنما يكون

بإحسان التصرف فيها: بأن يوجه الإنسان كل نعمة منها إلى ما خافت له، ويستعملها على الوجه الصحيح المشروع؛ وحينئذ يكون قد قام بشكر الله سبحانه على نعمة العقل والحواس، ويكون قد انتفع بحقيقة بما فضله الله تعالى به، ويكون هو الجدير بأن يوصف بالعقل والسمع وغيرها.

أما من لم يؤدِّ حق الله تعالى عليه في هذه النعم فلم يشكرها على الوجه الذي عرفت فإنه يكون معطلا لحكمة الله تعالى في خلقها، مضيقا لها محروما من ثمراتها غير منتفع بآثارها الطيبة التي امتاز بها عن سائر أنواع الحيوان، بله غبرها<sup>(١)</sup> بل يكون هو والحيوان الأعمى سواء، بل أسوأ منه؛ وكان ممن قال الله تعالى فيهم: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا. أُولَٰئِكَ كَانُوا لَنَا مَنَاقِبَ. بَلْ لَمْ أَضَلُّ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) وكما قال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ).

إذا عرفت هذا فكن على ذكرٍ منه لنعود بك إلى تفسير بقية مقال أهل جهنم أخزام الله، فنقول: بعد أن اعترف أهل جهنم للخزنة بأنهم قد حادوا عن النذير، ونحسروا ما شاءوا أن يتحصروا على ما جئوه على أنفسهم، عادوا فكررُوا التصبر على وجه أبلغ، مبينين أن سبب تكذيبهم للنذير هو فقر طبعهم وعدم شكرهم نعمة العقل والسمع، ولو حرصوا عليها فاستمعوا لقوله سبحانه القبول والامتنال، وعقلوا عنه ما تلاه عليهم من آيات الله وشرائعه، لكانوا إذ ذاك قد أحسنوا التصرف في تلك النعمة ووضعوها حيث أمر الله تعالى أن توضع، ولكانوا من الذين قال الله سبحانه فيهم: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) (الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) ولكانوا في زمرة الشاكرين الذين وعدم الله سبحانه بقوله (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ).

لكنهم عتَوْ عن أمرهم، ورسله، واستجبلوا النذير واستغفوا به، وغمطوا نعمة لا يدرك كبروها، فكانوا ممن بدل نعمة الله كفرًا، وحرموا أنفسهم من نفعها بها، وكبو أمر الله عز وجل في شأنهم. (إِنَّ شَرَّ لَّدَوَابِّ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمُ النَّفْسُ الَّتِي قَالَتْ إِنَّكَ لَأَعْلَوُكُمْ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا) (١) لَأَسْمَهُمْ (٢).  
وَأَوْ أَسْمَهُمْ (٣) لَتَوَلَّوْا (٤) وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٥).

هد هو ما سلكه الله جل شأنه هنا إذ يقول: (وَقَالُوا أَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) أي لو كنا نسمع سماعًا يقضي بنا إلى قبول حق ورد الباطل بعد أن يتبين لأمرنا، ولو كنا نعقل حقائق الأشياء عقلا نصل به إلى العلم بظواهرها وبوطيها على ما هي عليه، وفقه به الحكم الإلهية في خلقها، ولو لم يكن لنا سمع، لو كنا كذلك ما كنا جملة الذين أعد الله لهم نار السعير، ونحشر في زمرة أولئك المسكينين مجرمين، و(إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ. أَلَا يُفْتَرُ عَلَيْهِمْ) (٦) وَهُمْ فِيهِ مُبْلِِسُونَ (٧). وَمَا ظَنُّنَاكُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ. وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَيْنُنَا رَبُّكَ. قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُرُونَ. لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).

لقد صدق أهل جهنم في أقروا به على أنفسهم، وشهدوا عليها شهادة صدق سجلت عليهم أنهم كانوا مكذبين، ولغوا في التعزير على أنفسهم والتسديم على سوء ما صنعوا من استجبلوا النذير واستغفوا فهم به، ونبذهم ما جاءهم به من آيات الله والحكمة ظهريًا.

- (١) جمع اية اسم لكل حيوان يميز وغيره يميز. (٢) من سمع الحق. (٣) عن اسطق به. (٤) سلاح لسمع الحق. (٥) سمع نفهم وقبول. (٦) أي على سبيل الفرض مع علمه أنه لا خير فيهم. (٧) انصرفوا عن الحق. (٨) كارهون عباد وجناب. (٩) هذا مأخوذ من التعبير بأمر في الآية لا سيما لا أحد الشيئين. (١٠) لا يظف. (١١) ساكتون سكوت يأس وقنوط.

فعلوا ذلك طامعين أنه ينجيهم من سوء المذاب الذي أُرْكسوا<sup>(١)</sup> فيه أنفسهم ولا يقبل لهم به<sup>(٢)</sup> وكان ذلك منهم قياساً على ما عهدوه في الدنيا من أن المذنب إذا تاب وأخلص فإنه قد يرجى أن تقبل توبته، ولكن فاتهم أن ذلك إنما كان في الدنيا لأنها دار التكليف والامتحان والمنافسة في أعمال البر والخيار، ليتبين الخبيث من الطيب والمطيع من العاصي، أما الآخرة فإنها دار الحساب والجزاء، ومعرفة كل عامل بما عمل من تصديق وتكذيب، وإيمان وكفر، وخير وشر، فهي يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً. ولا يقبل منها عدل<sup>(٣)</sup> ولا تنفعها شفاعة ولا ثم ينصرون<sup>(٤)</sup> إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم أقيم أن يقبل الله منهم، لئلا يؤذوا أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولا نذاب<sup>(٥)</sup> مقيم

طنوا أن إقرارهم هذا ينفعهم نجاتهم، وكان إقرارهم حجة لله تعالى عليهم، وشهادة منهم جعلت ذنب تكذيبهم وكفرهم لِمَا في أعناقهم لا يحدون عنه عيصاً، ولهذا بين الله تعالى نتيجة ما دار بينهم وبين خزنة من السؤال والجواب بقوله: فَاعترفوا بذنبيهم<sup>(٦)</sup> الذي هو تكذيبهم لِرَبِّهِمْ وإنكروا تنزيهاً، أي أقروا بإقرار صادراً منهم عن معرفة<sup>(٧)</sup> بما جنوه على أنفسهم من تكذيبهم المذير وكرههم لعلهم من آيات الله البينة التي أعذرهم الله حتى دحضت حججهم وزهقت أطماعهم، فكان اعترافهم بذنبيهم ذخيلاً لهم، وتثبيتاً لتفريعهم في حجب الله تعالى، سبب عدلاً لسحقهم وحشرهم في أبواب السعير

(١) أوسوا به أنفسهم مكروبين مقاربين عالياً ساطعاً . (٢) لا طرفة . (٣) مدة

(٤) إشارة إلى أن معنى الاعتراف هو الاعتراف بالشيء عن معرفة له .

لهذا أردف الله عز وجل اعترافهم هذا بقوله : ( فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ) وهو دعاء عليهم من الله تعالى مستجاب حتماً لن يتخلف ، واستنزل للسحق أى البعد والطرده والحرم من كل رحمة ومغفرة . ومن هذا نعلم أن أهل جهنم قد صُِبَّ عليهم المقت وتعمدب أرواحهم بالنار والتوبيخ والحسرة والتندم من ثلاثة جوانب : من جانب الملائكة خزنة جهنم ، ومن جانب أنفسهم ، ومن جانب الله المنتقم شديد العقاب . ثم إن الدعاء على إنسان هو الاستعانة عليه بالقوى القادرة على أن يُنْزَلَ به المكروه ، وهذا كما ترى مستحيل على الله القدير على كل شيء ، فيكون معنى قول الله تعالى : ( فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ) هو ما يستلزمه الدعاء ، وهو شدة مقت الله تعالى لهم وسخطه عليهم ، وأهمهم قد سَخَّطَهُمْ <sup>(١)</sup> الله سُحْقًا وغضب عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاب السعير .

لم يكن التعبير عنهم في هذه الجملة الدعائية بضميرهم بأن يقال : ( فسحقاً لهم ) بل عبر عنهم بأصحاب السعير لإفادة أمرين : أولهما بيان بشاعة هذا السحق الذى سُحِقُوهُ وأنه الإحراق بالنار المتأججة المضطربة كأنها سُعْرٌ أى جنونا ثانيهما الدلالة على أنهم في عذاب جهنم خالدون ، وأنهم في مقاساة لظاها وتسمرها مقيمون ، فإن صحبة الشيء للشيء ملازمته له وطول مكثه ولبثه معه .

بقى أنه تعالى لما عبر عما اعترفوا به عبر عنه بالذنب بلفظ الأفراد دون أن يقول : بدنوبهم ، مع أن لهم ذنوباً كثيرة . فحكمة هذا التعبير شيئين : الأول : أن المذكور في الآية ذنب واحد وهو سوء ما قابلوا به النذير . والثاني : أن هذا الذنب كفر صراح . ولا ريب أن الكفر بالله هو أعظم الذنوب وأخشها ، بل هو الجرثومة الخبيثة التى تنفزع عنها جميع الذنوب والمواقف على كثرتها واختلافها ، فكان الكفر حينئذ أجدر

(١) إشارة إلى أن سُحْقًا في الآية مفعول مطلق للعمل ثلاثي متعمد محذوف .



شيء بأن يسمى ذنباً ؛ وقد اقتصر عليه في هذه الآية لتحذير العباد منه ليتقوا الوقوع فيه ، فإن لوقوع فيه وقوع في كل المعاصي ، والنجاة منه نعمة عظيمة لا تُنال إلا بالإيمان الذي هو صراط الله المستقيم الموصل الى رضاه جل ثناؤه .

وهذا لا ينافي بحسب الذنب بمجموعه في اعترافهم في آية أخرى وهي قوله تعالى :  
( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لَمَتُّ أَكْبَرُ مِنْ مَفْتِكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتَنِينَ <sup>(١)</sup> وَأَحْيَيْنَا أَفْتَنِينَ <sup>(٢)</sup> فَاعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ) .

لأن التعبير بالذنب بمجموعه في هذه الآية الثانية إنما هو من تعييرهم أنفسهم لا من تعيير الله تعالى عنهم كما في الآية الأولى التي علمت حكمة الإفراد فيها ؛ فلما كانوا المعبزين عن أنفسهم في هذا الموطن موطن الاستغفار والاسترحام والاستعطاف ، ظنوا قياساً على ما ألقوه في الدنيا أن اللبالة في الاعتراف بالذنوب كلها أجمع وسيلة تشفع لهم وتخلصهم من الورطة التي أقحموا أنفسهم فيها .

ولكنهم غفلوا عن أن الآخرة إنما هي دار ثواب أو عقاب ، لا دار تكليف وابتلاء ، وتوبة وإنيابة ، وفدية واستمتاب <sup>(٣)</sup> ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ . أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ) .

عسمة منصور

وكيل مدرستي القضاء الشرعي

ودار العلوم العليا سابقا

(١) أي إمتنبت انتنبت : الاول وهم نطف . والثانيه عدد اقضاء آجالهم . (٢) أي إحياءتهم

انتنبت : الاول بنفخ الروح فمهم في بطون أمهاتهم والثانية بالبت يوم القيامة . (٣) استمصاب .

## الشرعية منبع السعادة

سر ممي على ما أحب عسى أن تجد ما تحب ، وإياك والرعوة فظلك حرمت أهما  
من خيرات وحجبت عقولهم عن حقائق ، خرك ممي الفكر أيدك لله وتجرد عن كل  
ما تملك ، نفسك وانطبع في مرآة قلبك عن تقليد و ستحسان لا عن دلائل وبرهان .  
إذا غلب عليك الانصاف وصادفك الرشد وفعلت ما اتفقنا عليه ، وجدت الشريعة  
قد جاءت بسعادة لروح والبدن جميعا ، والانسان — كما نعلم — مركب من جزء علوي  
سماوي وجزء مادي أرضي ؛ و إنك لا تسمى ، راء مطالب الأبدان وما يحتاج اليه إلا من  
حيث إنك حيوان لا من حيث إنك إنسان ؛ ولعل أن كل حيوان يطلب للطعام  
والشارب وما يقيه من الحر والبرد إلى غير ذلك ، وأنه لا قيمة ما يشاركك فيه لحيوانات  
وإن كنت في طلبه أوسع تدبير وأنقن صنعا وأعظم تفننا ، واستعققت بذلك أن  
تكون سيد الحيوانات ، ولكن الوصف الذي صيرك إنسانا وأخلقك بالملائكة هو  
أنك أعطيت نفسا شريفة تشاكل بها الملائكة وتستمد لأن تعرف من جلال الله  
تعالى وحاله ما لا يعرفه غيرك ، وبمكنتك أن تترقى في السمكالات دنا وتخرط في سلك  
العالم الأعلى الذي لا يلحقه ألم ولا يشوبه نقص ، وأن تفارق عالم الحيوان الذي تؤذيك  
فيه البسوضة ، ويسقمك فيه الحر والبرد ، وزعجك لأحلام ، ونحيفك لأوهام .

وبمقتضى ذلك جزء الروحاني الذي ليس له حد محدود في الترقى في السمكالات  
( وعلى قدرها تكون اللذة والنعم ) كانت هذه الحياة الحيوانية غير كافية لروحك ولا  
موفية حق استعدادك ، فكان لك بمقتضى حكمة الحكيم حياة أخرى لا تنفد حتى  
يتأنق لك فيها أن تأخذ كل ما يقتضيه استعدادك وتوجيه حقيقة ذاتك مما لم يخلق له  
الحيون ولا يمكنه أن يصل اليه ؛ ولولا ذلك لكان غيرك من المخلوقات أسعد منك حالا

وأتم منك بالآ، ولكن إيمانك على هذا الوجه من السفه بئكان — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (أَخْسِبُهُ أَعْمًا خَلَعْنَا كُمْ عَمِيًّا وَأَنْكُمُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) .

إن لذة هذا الجزء الروحاني إنما هي بالعلوم والمعارف والأنوار والأسرار؛ وإيه قد يصل الى حد تفعل عنه لأشياء كلها ويكون في نعم بلا كدر وصفاء بلا تشويش<sup>(١)</sup> وقد جاءت الشريعة تعالجك من الأمراض التي أحاطت بك، ومحاول أن توصلك الى هذا الحد، وتظهر فيك خاصة الانسانية . ولا تعجل على — يرحمك الله — فإني معترف معك بأنها جاءت نحث على مصالح لأبدان وسعادتها أيضا، فإذا قد جاءت الشريعة بسعادة لأبدان والأرواح، وإن شئت فقل بسعادة الدنيا والآخرة، فسرعت المبادات البدنية عسى أن تدخل الى قلبك من الأنوار وتذكرك من العضة الالهية ما توفي به قسط الروح وما يحلو مرآة القلب مما تراكم عليها من طلمة وعلا عليها من صدا، وما تنتفع به في مصالح البدن أيضا، فإنه اذا انجلت مرآة قلبك تجلي فيه الحق حقا والباطل باطلا، وظهرت فيج رضاء ندمية من الحقد والحسد والطمع والشره، وحسن العفة والسقاء والشجاعة والاقتصاد وسلامة الصدر الى آخر الفضائل والذائل، وتقوى عقلك بذلك المدد النوراني، وجتنبت ما يشيك ونحيت ما يزينك، فطاب عيشك وتم سرورك، وإلا حقت عليك الكلمة وأحاطت بك الشقوة، ولم تفعلك أموالك ولا أولادك، متى كنت فيها على غير تأييد إلهي ونور رباني (فَلَا تُفْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا) فيضيع منك طيب الحياتين ويفوتك تحصيل السعادتير (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) نصرك الله في أمرك، وهدك الى رشدك، ولا جعلك ممن نسوا الله فأنسهم أنفسهم بئنه وكرمه

يوسف الرموي  
من هيئة كبار العلماء بالأزهر

(١) قد جاء التشويش والهويش جيما خلافا لحرري الذي جبل التشويش لغنا .

## روابط الأسرة

النجاح ومشروعته - أعظم - تعدد الزوجات

الطلاق وسرمشروعته - العدة - الفسب

----

قال الله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

لقد ربط الله دوام العمران لهذا الكون بالناسل، واقتضت حكمته أن يكون النسل بحاجة شديدة إلى التمهيد والعناية بالتربية والتكامل حتى يبلغ أشده، وجعله من الضعف عن أي شيء، والاحتياج إلى كل شيء بحيث ينبغي أن يقوم عليه عدد عديد حتى يستوفي ما يلزم له، فهو بحاجة إلى مريض ومنظف لبذنه وثوبه، ومتمهده له في نومه ويقظته، وجالب له غذاء، ولباسا وفراشا مهددا وهم جرا، ثم إلى من يلقيه متعارفات الناس ويفهمه لغة قوميه ويدبره على النطق بها، ثم من يأخذه بالتأديب وتربيته الخلق العاقل، ويحنيه قبائح الأعمال مما تدعوه إليه رغباته، ثم من يأخذ بيده ليعوده الأعمال النافعة له ولغيره من أبناء أمته حتى يكون منه عضو عامل في الأمة يفيدها ويستفيد منها، فيتم به وبأمثاله التعاون الذي لا بد منه لكل واحد منهم

وإن كل ذلك ليعتاج إلى صبر وإشارة لمصلحة ذلك النيت الناشئ على مصالحة من يقوم له بكل هذا والتفوس التي فطرت على محبة ذاتها ولا تحب غيرها إلا حباً مستمداً من حب ذاتها، لا يمكن أن تقوم بكل هذا إلا إذا شعرت بأمن الصلات تربطها بهذا

الذى تؤثره على نفسها، وتضحي من أجل رغبته أجل رغائبها. فها هي تلك الصلة التى قلبت النفوس العميقة فى الأثره الى نفوس متعاطلة فى الاشارة، وجعلتها تضحي عن طيب خاطر مصلحتها ومشتباتها فى سبيل إنالة الغير بمض مايتغنيه، بل تجدد من اللذة فى ذلك أضعاف ما يجده لو نالت ذلك لنفسها. تلك هى صلة الآبوة والبنوة، هى صلة التناسل، هى صلة الأصاية والفرعية، هى الصلة التى تجعل النفس تشعر بأن وجود تلك النفس الجديدة وجود لها هى، وتشعر بأنها إذ فاتها طول البقاء بشخصها فافاتها طول البقاء بهذا التبت الذى تتمثل فيه يجديد الوجود، حتى يكاد يشبه الخلود.

غرس الله هذه العاطفة فى نفوس الآباء نحو أبنائهم، فكانوا لهم نعم العون فى هذه الحياة، وهم أشد ما يكونون ضعفاً واحتياجاً الى الممونة، فهم ينشئونهم ويربونهم ويؤدبونهم ويمودونهم أعمال الحياة النافعة، ويسهرون على راحتهم وحراسهم مما يضرهم من أخلاق ذميمة أو مخلوقات شريرة، فإذا ما نجح الأب فى مهمته نحو ابنه ورأى عمله كلل بنجاح طارت نفسه فرحاً، وطابت بكل ما بذل، وشعر بفيطة ومسرة تجعله يهتذ فرحاً وجدلاً ويقول ما قال الأول :

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

وقبلا كانت عنايته واهتمامه يدفعانه الى أن يقول :

وإنما أولادنا بيننا أ كبادنا نمشى على الأرض

وليك لتجد الرجل يكره أن يكون غيره أعلى منه، وبحب أن يكون هو أعلى من كل من يعرف ما استطاع الى ذلك سبيلاً — إلا ابنه، فإن نفسه تطيب ويفرح بأن يرى ابنه قد أربى عليه فى العزة والمجد وسبل السعادة، وكأنه يفسر ذلك بأن وجوده الثانى صار أعلى من وجوده الأول، فهو كفولهم : جميل الله يومك خيراً من أمسك، وغدك خيراً من يومك.

وإذا كان العرف درج على تسمية صفات النفس التي هي من قبيل الليل والنفرة عواطف ، فإن أولاهها باسم العاطفة هي هذه الصفة التي تعطف نفس الأبوين على أولادهما عطفًا وحنوا لا يعدله عطف وحنو .

وإذا كانت العاطفة خاضعة في قوتها وضعفها لقوة اليقين في النفس بتحقيق أسبابها وترتب نتائجها عليها ، فإن هذه العاطفة أقواها ارتباطًا بهذا اليقين وأشدّها قبولًا للتأثر بالاشك والارتياب ، فتحقق الارتباط بين النفسين وأن هذا من ذلك ، واستكمال اليقين فيه أمر عويص وعزيز لدرجة بعيدة ، ولكنه لا بد منه لتطيب النفس بإثارة غيرها عليها ، وبأن تقنى هي لتبقى تلك النفس الجديدة ، وتتمتع في سبيل راحتها ، ونشقى لتحصيل سمادتها ، وتستمرى كل هذا التعب والنصب ، بل تستعذب التعذيب في سبيلها .

وجدان يحده من نفسه كل من ( ذاق حلواء البنين ) ومهما بسطت العبارة في شرحه وتوضيحه فالوجدان شيء والشرح شيء آخر ، ومن ذا الذي يستطيع أن يشرح لغيره طعم فاكهة لم يذوقها حتى يغنيه شرحه عن ذوقها ويقوم مقام وجدانه ؟ هذا في الحسيات ، فما بالك بالمعنويات ؟ .

أجل : لا بد أن نستيقن النفس بأن هذه الصلة محققة لتطيب نفسا بكل تلك التوضيحات المعظمى ، وحتى لا يكون الجهد ضائعًا في غير محله ، ولا البناء على غير أساس صحيح . ومتى تم هذا اليقين كانت الأسرة في أعظم مسرة ، وباتت فريرة العين في عيشة راضية هائلة ، وقلوب مستريحة هادئة ، فترفرر عليها السعادة وتحومها الغبطة من كل جانب ، ويمر العالم مرورًا منتظمًا .

من أجل كل هذا منعت الشرائع كلها أن تكون الألبضاع والأرحام أمراً مشاعاً تتبادلها ضروب الاختلاط التي لا تضبطها ضابطة ؛ من أجل هذا كله أجمعت الشرائع

على حرمة الزنى ، وحظرت اختلاط الجنسيتين إلا بسياج موثوق به يجعل المزرعة قاصرة على تلقى بذرة واحدة ، فيعلم أن هذا الفرع من ذلك الأصل جزماً ، فيرتبط أحدهما بالآخر أوثق ارتباط ، ويبدله أقدس الحقوق وأعظم الواجبات ؛ من أجل هذا شرع النكاح ، وشرعت الأحكام التابعة له .

لم يحصل في الشرائع التي وصل إليها علمها - ونظن أن جميع الشرائع كذلك - لم يحصل أن أباحت شريعة تعدد الرجال للمرأة الواحدة . هذا أمر لم يختلف فيه ، وإنما الذي تخالفت فيه الشرائع حسب مقتضيات الأحوال هو تعدد النساء للرجل الواحد ، وذلك أن هذا التعدد لا يحل ييقن الاتصال الذي شرحنا آنفاً أنه أمر لا بد منه في قيام الوالدين بشئون الولد ليكمل نظام العمران ، فمن الشرائع ما أباحت التعدد بلا قيد ولا حد ، ومنها ما منعه بتأناً ، ومنها ما توسطت في الأمر فأباحت التعدد إلى حد مخصوص ، وشرطته بشروط وقيد لا بد من توافرها .

وقد ذكر العلماء في بيان حكمة ذلك وجوهاً يقبلها العقل : فقالوا : أباحت الشريعة الموسوية التعدد لا إلى حد ، لأن شعب بني إسرائيل كانوا قد وقعوا تحت عسف الحكم الفرعوني ، ورسخ في نفس فرعون موسى أن هلاكه وزوال ملكه سيكون على يده من بني إسرائيل ، فأخذ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ، فقل عدد الرجال عن عدد النساء قلة عظمى ، ولا بد للمرأة ممن يعولها ، فأباح التعدد لينهض الرجل الواحد بحملة نساء قدر استطاعته ، ولكي يكون التعدد معواناً على كثرة النسل بسرعة ، وكان الشعب بحاجة إلى ذلك لما عاناه من إرهاب ، سواء من الملك لا اعتقاده السابق ، أو من الرعية لأنهم كانوا يعتبرون الاسرائيليين أجانب لا يصح أن يشاركوا أهل البلاد شركة المساواة ، فكانوا لذلك بحاجة إلى الاعتزاز بقوميتهم وكثرتهم ، فأباح لهم التعدد لذلك لا إلى حد محدود . وحظرت الشريعة المسيحية التعدد بتأناً ، لتستأصل من النفوس عادة

وسخت بتضي الزمن وقد انتهى ما يوجبها وهو الأحوال التي شرحناها، إذ كانت أعراضاً وقتية لاحالة دائمية تستدعيها طبيعة العمران أو طبيعة التكوين في الرجل والمرأة وواجباتهما في الحياة، فلما اقتلعت تلك العادة من نفوس الناس ومضى عليها الوقت الذي بمضيه تصبح نسياً منسياً، جاءها الشريعة الوسطى التي هي خير لأمر، وهي التي اختارها الحق جل جلاله للأمة التي قال فيها: ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ) .

جاء هذا التشريع متضمناً أعظم حكمة وأعدل حكم يناسب طبائع العمران ومقتضيات كل زمان ومكان: روعي فيه أن الرجل من شأنه أن يتعرض لأخطار الحياة ومشاق الأسفار، وهو القائم بشئون الجهاد والقتال، الأمر الذي معها عمل على تقاديه فلا بد من الوقوع فيه، ثم هو الذي يكلف مهام المعيشة والقيام بأعباء الحياة، بينما المرأة بأصل تكوينها ينبغي أن تكون وادعة هادئة، ذات عمل محدود، ليس في نصب العمل الرحالي ولا مشقة، فكان الرجل للسببين الأواين عرضة لأن يكون عدده أقل من عدد النساء في كثير من الأحيان، وللسبب الثالث تكون تكاليف الحياة حاجزاً له عن الاسترسال في المزيد إلا بقدر يطيقه: ومن جهة أخرى فالغرض من مشروعية النكاح هو تنمية عدد الأمة وكمية النسل. وإن التناسل وما يتبعه يستدعي من المرأة زمناً مديداً في الحمل والرضاع والقيام على الطفل بحالة يستحيل معها أن تؤدي عمل الحمل مكرر في وقت واحد، بينما الرجل من هذه الجهة لا يزال مستعداً لتأدية عمله التناسلي في حرث آخر، فافتضت الحكمة لأهمية ألا يعطل فريق لتريق في هذا المقصد العظيم. ولكن لما كان للشهوات ونزعات النفوس تطوح وميل للاستقصاء قد يؤدي إلى مفساد في هذه الرابطة المقدسة التي عليها مدار نظام المعيشة، قيدت الشريعة الغراء



هذا الحكم بقيود تصفبها وتخلصها من وجوه الضرر التي قد تمرض عليها، فقيدت العدد بحيث يخلص للمرأة من حكم قاس وهو أن تخزن المدة الطويلة في وحشة الوحدة ويأس الأفراد، فتقلب على فراش التماسه والنسيان والإهمال حتى تصير حياتها جعباء، فأثقلت المرأة من هذا يحمل العدد أمراً متناولاً لا يؤدي إلى طول نوبة الغياب عنها، وأوجب العدل في القسم في البيت والمعاملة حتى لا يطفأ سراج السعادة المنزلية.

ولما كانت المعاملة التي تنتظرها المرأة من الرجل منها ما هو واقع تحت اختياره كالليت وحسن العشرة والإنفاق، ومنها ما لا اختيار له فيه كالحبة والاشتهاء، وكان مناط التكليف هو الاختيار، أوجب الله العدل في القسم الأول وعاقب من القسم الثاني، ولذلك ورد « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك » وعلى هذا جاء حكم الشريعة الإسلامية للمرأة في أمر التعدد وإفيا بالحكمة المقصودة من النكاح وهو التماس، وقيام الجانب القوى وهو الرجل بثئون الجانب الضعيف المحتاج وهو المرأة، وسلياً من الأعراض المرضية التي تسوء معها العشرة وتقلب السعادة تامة وشقاء، فكانت من مظاهر رحمة الله بعباده.

يقول أناس: إن في هذا ظلماً للمرأة، وإجابة لكل رغائب الرجل، ومتبعة للفرصة الشهوية التي ينبغي العمل على تشديدها. ونحن نقول بأي امرأة تريد أن تهتم؟ أيجنس المرأة مطلقاً أية امرأة كانت، فذلك هو ما ينبغي أن يراعى في التشريع العام والبحث العام؟ فهل إذا أكرمنا اثنتين من النساء كل واحدة نصف إكرام نكون قد أجمعنا بحق المرأة المطلقة؟ أو أذ خصصنا واحدة بالنعيم والتكريم وحرمت الثانية من ذلك وخصصناها بالحرمان والإهمال يكون الإجحاف؟ أم يزيد أن تهتم بالمرأة التي سبق الزوج منها، فقد كانت ممتعة بكل كلاء ورعاية الرجل فأصبحت تراحها امرأة أخرى؟ ونقول نعم هذا صحيح، ولكن هل إشرارك امرأة كانت عرضة للإهمال في جزء من نعيم

غرقت فيه واحدة سابقة واستأثرت به يكون ماحيا للمعدل وموجبا للإجحاف لا لظن مفكرا منصفاً مسلماً نفسه للحجة والدليل يصلان به الى الغاية الصحيحة يتأخر عن الحكم معنا بأن الحق هو أن تعني يجنس المرأة من حيث هي امرأة لا بامرأة مخصوصة. وإن مشاركة امرأة لامرأة في حفظها أقرب الى وفاء حق المرأة العامة من غمس واحدة في النعيم كله وحرمان الأخرى من كل حظ فلا أحد يقول : إن السابقة امرأة واللاحقة امرأة . نعم لو قال قائل : إننا بالتمدد أرهقنا الرجل بالتكاليف لكان له وجه ، فكما حصل تمدد الزوجات لرجل ازدادت تكاليف الحياة وقلت أعباؤها ، ولكن هذا لا يسمى ظلماً ، فما ألزمه أحد بالتعدد ولا بأصل الزواج ، فن أنس من نفسه المقدرة على القيام بحقوق زوجات متعدّدات فله ذلك ، ومن لم يقدر فلا عليه في ألا يمدد ، بل ولا في ألا يتزوج ، ثم له من كمال الاستمتاع وزيادة النسل عوض مما ألزمه من تلك الكلف .

لقد عنيت الشريعة المطهرة بتفطيم أمر الزنى والمبالغة في حظره ونهيه والنهي عنه بأسلوب لم نره في أشد المنكرات غيره ، فبينما نرى الهى عن المنكرات منصبا على ذواتها كقوله تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) ( وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ) ( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ) بل كقوله تعالى : ( يَا بَنِيَّ لَا تَشْرِكْ بِأَبِيَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) ( قُلْ لَعَالَوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُنْتُمْ عَالِيكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ) اذا بنا نرى النهى في الزنى منصبا على قربانه ، قال جل شأنه : ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ ) ثم أوردته ببيان الحكمة التي تكفل تنفيذ النهى فقال : ( إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ) والفاحشة الأمر بالمعيب الذي يشتد قبحه فترا نفوس الطاهرة أن توصم به ، وتنظر الى من وصم به نظر الازدراء والاحتقار ، وكلمة ( ساء سبيلا ) جليلة في تقييد طريقه وكل ما أدى اليه . فهل ترى بمد

هذا غاية في التقيح والتنفير ؟ ثم رتب على الوقوع فيه أشد ما يرتب من العقوبة في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى : فحمل حد الزاني المحصن لقتل مع المهانة والاحتقار والنبد كما ينبذ أدنس الأشياء وأنجمها ، جعله قتلا بالرجم بالحجارة كما ترى الحشرات المؤذية من العقارب والنعابين والمسوام التي تعاف النفس ملامستها ، فكأنه قتل يتحرز فيه القاتل أن ينجس سيفه بدم ذلك القاتل النجس ، أو أن يقترب منه ، ذلك إلى الافتضاح والتشهير الذي لا يقدر قدره . هذا في المحصن .

ولقد راعت الشريعة شيئا من العذر لمن لم يحصن ، فأبقت عليه عساة يصلح حاله ، وكان عذره أن هذا شيء لم يذقه على وجه مشروع ، وهو عرضة لأن يلعب به الشيطان ويغيب له الوم أسرا فوق ما يحسه الإنسان ، فكان الحكم عقوبة مجمعة إلى الإيلام والإيذاء معنى الخفارة والإلحاق بالبهائم التي إنما تؤدب بالضرب الوجيع ، فكأنه التحقق بمن لا عقل له ينتفع به ، إذ لم يمتنع بكل ذلك لوجر والمنع ، وضم إلى ذلك فضيحته والتشهير به كما في قوله تعالى : ( وَلَيَسْهَنَ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

ومن مظاهر النهي عن قربانه فوق النهي عن داته أن حرم في سبيل تحريمه أشياء عديدة : فحرمت خلو الرجل بالمرأة الأجنبية ، وحرمت الملامسة والقبلة ، وحرم النظر المثير للشهوة بل غير المثير إذا لم يكن له حاجة تدعو إليه ، وجعل جميع بدن المرأة عورة على الرجل لا يحل النظر إليها — إلا ما تدعو إليه الحاجة من وجه وكفين ينظر إليهما لفرض صحيح ، كخطبة حقة ، أو مخاطبة في معاملة ، أو تحمل شهادة ، أو تفق في ضرورة علاج ، كنظر الطبيب لجسم المريضة في أي عضو دعت إليه مصلحة العلاج .

هذا شأن الزنى في نظر الشارع الحكيم ، وما أحقه بأن ينظر إليه هذا النظر من الشارع الحكيم : فدواعيه من أقوى الدواعي التي تغلب المرء على أمره ، حتى ورد « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » ومن

المأثور « ما خلا رجل باسرة إلا كان الشيطان ثالثهما » ونتائج من أسوأ النتائج وأخطرها وأشدها في الظلم وأعرها ، ففيه ظلم للحنين إذ يخرج ضائعاً منبوذاً لا كفيل له ولا عائل ، وهو أحوج ما يكون للكفيل والعائل ، ثم يعيش إذا عاش حاملاً للعار والاحتقار بلا جناية قترفها ولا ذنب ارتكبه ، فيترأ منه كل أحد حتى من يعلم أنه قد فقه في بطن أمه ، فما أحقه بترديد قول الشاعر :

غيري جنى وأنا المعضب فيكمو فكأنني سبابة المتسدم

وظلم للمزني بها إذ يحملها ما لا قبل لها باحتماله ، من عار ينبتها ، وخزي يطردها عن رحمة الرءاء بها من أهلها وذوي قرباها أو زوجها وأبنائها وهي لا قوة لها على الحياة إلا مستظلة بتلك الرحمات ، ولكنها شريكة الرجل في تلك المظالم ، فهي أصل البلاء والركن الأعظم في الجرعة ؛ وظلم لذوي قرباها ، من الخزي والعار والمذلة والاحتقار ؛ ثم ظلم أعظم لزوجها إن كانت ذات بعل ؛ إذ يلحق به على فراشه من لا يربطه به سبب ولا نسب ، فيلزمه نفقته وإعالتة ويره بلا حق ؛ وظلم لأبناء ذلك البعل ، بمشاركتهم فيما جعل الله لهم من رزق ، أو إلزامهم به وهو لا يلزمهم في قليل ولا كثير . هذا قليل من كثير من نتائج السيئة وآثاره الخبيثة ، إنه كان فاحشة وساء سييلاً .

وإذ كان على هذا الوجه الذي شرحناه وأكثر مما شرحناه ، وكان تعرض النفوس للوقوع فيه أسراً قريباً شديداً لا يكاد من يتعرض له يخلص منه إلا بالجهد والمجاهدة مع التوفيق الإلهي ، اقتضت حكمة الحكيم العليم أن يشرع له من أنواع العلاج ما يكفي لسد باب الخبيث ، ويكفل الإقناذ من شره الويل . وإن في إياحة التعدد لمنجاة من خطره ، إذ فيه بالنسبة للرجل التمكن مما تشد إليه رغبته ويتمكن منه التوق إليه ، وفي ذلك قطع للأعداء ، وفيه بالنسبة إلى المرأة تزويج أكبر عدد ممكن تسمعه قدرة الرجال ، ففيه تضيق لباب العزوبة بالقدر المستطاع للناس ، وفي ذلك من سد باب ذلك الشر

العظيم ما يهون بعض المضار التي تصيب بعض الأشخاص الذين لم يوفقوا مراعاة الشرائط الشرعية تمام التوفيق، فأخذوا بالعدل الذي كلفوه؛ ولا شك أن الضرر القليل يغتفر لتعصيل الخيز الكثير، وهل يعاب نزول الغيث الذي يحيا به الزرع والضرع من أجل أنه هدم كوخا لمعجوز فقيرة، أو أنه عرض للبرد مسافرا وابن سبيل؟

أنشدك الله إلا ما أعدت النظر فيما قلنا بإنصاف، متأملا فيه مع تخلية نفسك من حكم بحكم عليك ويقيدك عن التفكير، ويجذبك لى ناحية معينة: إني واثق بأنك إذا استجمعت فكرك وأخلصت النية في تأملك نجلى لك من حسن هذا التشريع ما به تقول: ليس في الإمكان أبدع مما كان، وتكرر قوله جل شأنه في خطاب أشرف المرسلين: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) أضف الى هذا ما يعترض بعض النساء من عقم أو مرض بخل بالاستمتاع بها أو يقلل الرغبة فيها.

وإن من أكبر مظاهر السخف العقلي ما يتشدد به بعض ممن زعموا ألا تقسمهم حق استنباط الأحكام من القرآن الكريم والأدلة الشرعية من قولهم: «ناط القرآن الكريم حل التعدد بأمن العدل فقال جل من قائل: (فَإِنْ حَضَمْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا قَوَّاحِدَةً) ونفى استطاعة العدل بين النساء ولو مع الحرص في قوله تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) فينتج مجموع الآيتين أن التعدد غير جائز في الشريعة الإسلامية مطلقا: سبحانهك هذا بهتان عظيم، وجراة على الله في تبديل أحكامه؛ وما أحقهم بأن يقال لهم: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا كَيْفُ أَلَيْسَ لَكُمْ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ).

وإن أصل الداء في هذا أن يتغلب الهوى على النفوس فيعقد قلوبها على حكم بعينه، وترتكب التعاليف لتصل اليه بأية طريقة كانت، لا أنها تسلم نفسها للدليل رصية بما ينتجه كائنا ما كان كما هو شأن المستدل الحقيقي.

والحاصل أن من الناس من يستدل ثم يعتقد، ومنهم من يعتقد ثم يستدل .  
فالأول يطلق العنان للدليل بمشى حراً كما يقتضيه اقتضاء صحيحها . والثاني يحور  
في الدليل ويبدل ويعدل حتى يجذبه الى هواء الذي رسمخ في قلبه، فذلك ممن اتخذ إلهه  
هواء ومعبوده مشتهاه .

أما أنت الشرع أوجب على الأزواج العدل بين الزوجات المتعددات فصحيح،  
ولكنه العدل فيما يقع تحت الاختيار، وهو القسم في المييت، والتسوية في حسن المعاشرة .  
وأما العدل فيما لا يقع تحت الاختيار والإرادة من الحب والبغض وما يتبعه من الإقبال  
على الاستمتاع ونحوه، فليس مراد من العدل الذي أوجبه الشارع، وإنما هو المراد بالعدل  
الذي نفى عنهم استطاعته والقدرة عليه، فكان الآية الثانية للتمهيد لشرح العدل المطلوب  
منهم بتخليصه مما يشق به مما لا يقدرون عليه، ليتبين لهم جلياً ما طلب منهم وما أعفوا  
منه، حتى يكون الحلال بينا والحرام بيناً، وحتى لا يتلصق أحد بخلط أحدهما بالآخر  
ثم يقول : لم أستطع أن أعدل فوقعت في الميل فهرأ عني فلي المذر لا يكلف الله نفساً إلا  
وسعها، فجاءت الآية لتفخيص التشابهين حتى لا يؤثر حكم أحدهما في الآخر، فكانه  
نعملي يقول لنا : قد علمنا أن هناك عدلاً خارجاً عن طاعتكم واستطاعتكم فلم نكلفكموه  
وهو العدل في ميل النفوس وركونها الى إحدى الجهتين، فلن تستطيعوا أن تعدلوا بين  
النساء ولو حرصتم، وإنما كلفناكم ما تقدرون عليه وهو عدم الاسترسال في متابعة  
هوى نفوسكم، فتتخذوا الليل القلبي ذريعة للميل في المعاملة، فتكونوا قد ملتم كل الليل،  
هذا هو ما نهاكم عنه، فلا تميلوا كل الليل . ويقرب من هذا قول الناس في مخاطبتهم :  
الميسور لا يسقط بالمسور، وقولهم : ما لا يدرك كله لا يترك كله .

ولو أن الأمر على ما يقول أولئك المتبجحون لضاع معنى الآيتين جميعاً، أما الآية  
الأولى فلاها مسوقة لجرم عن عادة كانت متفشية فيهم، كان الرجل يعهد اليه

بترية اليتيمة ذات المال ويكون وصيا عليها ولها مال ، فتقطع نفسه في مالها فيتزوج منها توصلًا لا حراز مالها وليس لها في نفسه منزلة ولا له بها حاجة ، فهو من ذلك نهيا مصحوبا بداعية الإقلاع ، وهو أن باب الزوج أمامكم واسع فسيح ، فلكم أن تتزوجوا من اثنتين أو ثلاث أو أربع ممن تستطيبونها وتميل اليها أنفسكم . وهذا كما تقول لصاحبك : مآث ولهذا الذي قد يجر عليك ما لا تحب وقد أقسح لك المجال في سواء ؟ فهو من التلطف في معالجة حال قد استقرت في نفوسهم ، فتنتزع منها بألطف أسلوب . فلو أن التعدد مراد حظره في الآية الثانية كيف تؤدي هذه الآية الغرض الذي سيقت له ؟ وقوله جل شأنه بعد ذلك : ( فَإِنْ رَحَقْتُمْ إِلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ) علاج لما قد يطرأ على هذه التوسعة من محذور آخر ، وذلك في الرجل يعلم من نفسه أنها تروض على إجراء العدل في نصابه ، ويعهد في نفسه أن ميوله تؤثر في معاملاته وأحكامه ، فجاءت الآية لتحذروهم من أن يكون نقلهم من محقوت وهو زوج اليتيمات طمعا في مالهن موقعا لهم في مقت آخر وهو الجور بين الزوجات ، فمن أنس من نفسه ذلك فعليه أن يتوقاه ولا يوقع نفسه في محذور جديد وهو بسبيل النجاة من المحذور الأول . وأما ضياع معنى الآية الثانية فلائها لو كانت تمنع التعدد فما معنى الهمى عن أن يميلوا كل الليل ؛ وهل هناك تعدد متصور بعد ذلك الحظر المطلق حتى يكون محل للميل كل الليل أو بعض الليل فينهى عنه ؟ . وكفى بالعمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلا وشاهدا على تعين ما ذكرنا في تفسير الآيةين .

هذا نموذج من تدخل أمان في تفسير كلام الله واستنباط الأحكام الشرعية من أدلتهم بدون أن يهدوا لها عدتها ، فيسيثون الى أنفسهم ، الى العامة من قومهم ، الى دينهم ووليتهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فاللهم اهدنا صراطك المستقيم .

وعلوم أن أصل هذه البلية وأمثالها راجع الى شيء واحد ملك على الناس عقولهم وطرق تفكيرهم ، بل وجدانهم وإحساسهم ، ألا وهو ولوعهم بتقليد الأمم الغربية

بهرتهم بحضارتها وقوة استنباطها للشئون الصناعية وعظم ملكتها في استخدام القوى السكونية في مصلحة الحضارة البشرية ، فأخذوا من نجاح تلك الأمم في العلوم المادية نجاحها في كل شيء ، من علوم دينية ، أو مناحي خلقية ، أو عادات قومية ، أو مستحضرات ومستحجات ذوقية ، فأصبحوا يدينون بما يدينون ، فإن لم يطوعهم صريح دينهم أخذوا يتعسفون في جذب ما يدينون به إلى تلك الناحية التي بهرتهم ، فإن أعيتهم الحيل قالوا إن الدين قاصر على محض علاقة المرء بربه من طقوس العبادات أو رسوخ الاعتقادات ؛ وما سواه مما يمس علاقات الإنسان بالإنسان فتشريع يجب أن يتطور بتطور الزمان والمكان ، ومعنى هذا الانسلاخ عن حكم الدين والخضوع له وتسخيره للشهوات تلعب به كيفما سنح لها الهوى ، فانقلبت عليهم الآية ، وأصبح الذي يجب أن يكون حاكما مهيمنا مصالها مقوما أصبح في نظرم محكوما خاضعا لأهوائهم ، فيقولون لما تصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام .

وإن لولوع بتقليد الغالب أمر فطري بل مستحسن إذا كان تقليده فيما به غلب ونجح ، بشرط ألا يترك محاسن عاداته وواجب دينه ومقومات أخلاقه ويميزاته القومية ، أما إذا انسأخ عن هذا كله وخلع ما خصه الله به من ميزة وذاب في أمة أخرى ، فهذا هو الفناء القوي ، فما كان انقراض الأقوام بالفناء و تقطاع النسل ، وإعما هو بانقراض أخلاق الأمة واندماجها في غيرها فتفنى أمة وتنضم أمة .

ولقد صادف دعاة السوء أولئك في هذه المسألة بعينها (المسألة النسائية) صادفت هوى من نفوس الكثير منهم ، فأخذوا يحتضنون سنن الأمم الفرية ذراعا بذراع وشبرا بشبر ، فهجموا على المرأة يزينون لها طرق الوقوع فريسة في أيديهم ينشبون فيها براثن شرورهم وفسادهم ، ليصلوا إلى أغراضهم الدنيئة ، فأقاموا عليها حربا عوانا وأعلنوا أنه حرب لها قالوا : كيف تستترين وتتحجبين وفي هذا قيد لحريتك واستعبادك



وإطفاء لنورك؟ هيا ابرزى الينا نبحتلى محاسنك ونستمتع بالخلطة بك ونستمتع بالخلطة  
بن ، ومعنى ذلك اتركى صوبك واعتزازك بخدرك وتمتلك بأن يقوم الرجل الذى  
يؤويك بما يجب لك من أب أو أخ أو بعل، و ابرزى لنا لتكون ككتفا لكشف، ووضعوا  
على هذه الدعوة السيئة غشاء براقا يهر الأيمن ويمشى الأناظر، حتى استطاعوا أن  
يصوروا حسنا ما ليس بالحسن، وهذه هى المحنة وقضاؤها، ولقد تم لهم ذلك على كثير  
من أفراد الأمة، فاستطاعوا أن ينزعوا الحجاب الشرعى عن كثير من المخدرات  
المصونات، وحسنوا لمن السفور لذى وفق هوى من نفوس الكثيرات منهن .

وها نحن أولاء نعانى من السفور وأنصار السفور ما تنفر منه الشريعة كل النفور،  
ثم حولوا الحرب الى ميدان آخر مستمينين بأهواء النساء وبانفعال نفوس بعضهن  
بعامل الغيرة الشديد التأثير، فأخذوا يقبحون أمر تعدد الزوجات انتصارا للمرأة،  
وهل التعدد يحىء إلا من إشر لك امرأة فى بعض ما تستأثر به امرأة أخرى؟ وهل  
منعه إلا حرمان بات لبعضهن وإغراق فى النعيم لبعض آخر؟ فأى الحالتين أحق باسم  
لرحمة والشفقة؟ وهل اذا قلت مئونة جيش حتى ضاقت بأن ينعم الجميع بكل ما يريد  
يكون لأحق باسم الرحمة والشفقة أن تفرق بعض أفراد الجيش فى النعيم وتحرم  
بعضه الآخر تماما، أو أن توزع ما لديك توزيعا متساويا فياخذ كل بمض ما يريد  
ويكف عن بعض؟ إن الأمر لجلي، ولكن التقليد هو لذى أعمى البصائر والأبصار،  
وميل النفوس الى مشتهياتها يصور النهار بصورة ليل والليل بصورة النهار .

أليس فى إبقاء شطر كبير من النساء أرامل مع إباحة السفور والخلطة إمتاع  
للفسوس المسحطة يدعوها الى استعمال سلاطة اللسان وسلطة أسفطة ذريمة لئيل تلك  
المبتغيات الدنيئة ضاربة بالفضيلة ومقومات الحياة الصحيحة عرض الحائط؟ ثم ماذا  
كانت النتيجة؟ كانت ما ينفطر له قلب كل غيور على دينه وعرضه، إذ يرى الاحتشام

انقلب ابتذالا ، والصيانة أصبحت استهتارا ، والمخدرات يبلأن الطرقات متسكعات معروضات مبتذلات تعافهن النفوس الطاهرة بل كل النفوس ، وتنفر منهن الطباع السليمة بل كل الطباع ، وتبع ذلك إعراض الرجال وخصوصا الشبان عن الزواج بعد أن كان أشهى إليهم من كل شيء ، فكسدت سوقهن وأصبحن يندبن سوء حفظهن ولا شفيع لهن ولا نصير ، وتخلي عن رحمتن والمطف عليهن كل أحد حتى من كانوا يدعون أنهم نصرائهن ، فأصبح مثلهم ومثلهن كمثل الشيطان إذ قل الإنسان اكفر فلما كفر قال إني برى ، منك إني أخاف الله رب العالمين . هذا هو إصلاحهم بالزعم ، ومبلغ رحمتهم الموهومة .

زعموا أنهم حريصون على مصالحتهن وما حرصهم في الحقيقة إلا على نيل أغراضهم منهن ، فوجدوا أقرب طريق لذلك خداعهن والتفريغ بهن ، وما أسرع الخداع الفواني ( فالفواني قلوبهن هواء ) ؛ وهكذا كانت نتيجة خروجهم على أحكام الدين الحنيف وإياهم قبول الرحمة الهادة ، فأصبحوا يشهدون سوء حالهم ولا يعتبرون ، ويتجرعون غصصه وهم في غيهم يعمهون .

معذرة الى القارئ الكريم : فقد تطوح بنا القلم الى حديث السفور ونحن بصدد الكلام في تعدد الزوجات ، ولكن الأمرين : السفور ومنع التمدد — قد استعملنا سلاحا لنصرة المرأة وما هما إلا سلاح للانتصار عليها وإيذاشها وامتهانها وتجريدها مما منحها الشارع الكريم من عز وكرامة . وإنك تثرى من ابتلى في أسرته بالعند العديد من النساء العوانس أكبر أمنية له أن يجد لهن أو لا يجد لهن بعلا أو نصف بعل أو ربع بعل بمشاركتهن لزوجته أخرى أو زوجات ، فتى بدا له ذلك بادر بانتهاز فرصته مفضلا له على مكشهن عنده هكذا معطلات ، وإلا فإذا بدفع المرأة وولى المرأة الى قبول الزوج من متزوج بأخرى سوى قولهم : « شيء خير من لا شيء » . ولقد يزيد في آلام ذلك

المبتلى في أسرته بوفرة عدد النساء ما هجم على آداب المجتمع من شيوخ السفور، ونعلزل عاداته المستقيمة في كل الطبقات؛ فإن حافظ المرء على محاسن عاداته في بيته هم عليه من جيرانه ومعارفه وأقاربه، حتى صارت حياة المرأة وردها إلى خدر يصونها أشد من القبض على الجُرء، وترتب على ذلك أسوأ الآثار وهو الإعراض عن الزواج والخوف منه ومقت الرجل للنساء.

مكينة أيها المرأة: أحسنت الظن بهم بذاتك و ستلت لتمويهاهم بسلامة نيتك، تغدوك بوسوستهم، وزينوا لك السوء بترهاتهم، ثم اقبلوا يشكون منك وهم أصل البلية ومنشأ الملة. فليتك امثلت أمر ربك فيما وصى به نبيه الكريم في شأنك: فَقَدْ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الْخِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَزْجَالِهِنَّ لِلْمَسْكِينِ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ نُصْرَةٌ فِي التَّوْبَةِ وَالْمَلَايِحَ، ووفقنا إلى طريق النجاح إنه سميع مجيب

«للكلام بقية»

ابراهيم الجبالي

مدرس بقسم التخصص بالازهر

# الفتاوى والأحكام

## هل السموات هي الكواكب ؟

---

س : ورد إدارة المجلة هذا السؤال من حضرة صاحب الإيماء ، وعبارته بعد الديباجة : وبعد فترجو نشر ما يأتي مع جواب فضيلتكم عليه في مجلة نور الاسلام الغراء ليكون النفع عاما والفائدة شاملة - يقول بعض الناس : إن السموات السبع هي الكواكب السبعة السيارة ، ونظن ذلك بعيداً لما يأتي :

معلوم أن هذه الكواكب بينها فروج ، والقرآن الكريم يقول : ( وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ) القرآن الكريم يقول : ( وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ) أى بالكواكب ، وما به الزينة غير ماله الزينة قطعاً ، وإلا كنا شيناً واحداً . وقال تعالى : ( وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ) ومن المعلوم أن المجمول غير المجمول فيه .

ترجو من فضيلتكم تحقيق المقام بأوسع ما يمكن ، والإجابة على ما تقدم بما يمرض ذلك الرأي ، ونسأل فضيلتكم : هل تعتقدون ما يعتقد هؤلاء ؟

وما مقصودنا من ذلك كله إلا معرفة ما يجب أن ندين الله به معرفة تامة لانشوبها شائبة ، وفقكم الله وحفظكم ما

عبد السلام أحمد

## الجواب

مقدمة

ينبغي أن يعلم قبل كل شيء، أن هؤلاء الناس كثيرا ما يسارعون الى الأحكام الجازمة من غير دليل ولا برهان، ولهذا تراه يتقضون اليوم ما أرموه بالأمس، حتى قال بعض علمائهم: إن هذه العلوم التي نتبجح بها الآن قد يظهر بطلانها بعد مائة سنة، فيرمونها بالتخريف كما رميننا من قبلنا بالتخريف، وقد صرح رئيس وزراء إنجلترا سابقا السيوفلور حين رأس مجمع ترق العلوم البريطانية بجامعة كبرج في أغسطس سنة ١٩٠٤ بما يفيد قصور علمهم وكثرة ما يرد عليه من الخطأ والاشتباه. فلا يحسن بالعاقل أن ينتز بكل ما يسمعه عنهم (وإن روجوا وهرجوا وقمقموا وجمعوا) فإن غالب كلامهم خصوصاً في العلويات غير مبرهن، ولظنون والتخيلات فيه مجال كبير، ومنهم من يأتي على نظرياته بمججج على سبيل جلدل فيظن أنها براهين لجله بطريق البرهان ومقدماته.

ومما يزيد الأمر خطورة وبملاً القلوب أسفاً أن كثيرا من أبنائنا أصبحوا يقلدون انغريبين في كل ما ينقل عنهم من غير بحث ولا نظر ولا تحليل ولا تمحيص، ويكفهم برهاناً على صحته أنهم قالوه، مع أنه عند قائله ربما كان في محل الظن والتخمين، وربما كان فرضاً وجدوه أقرب من غيره من الفروض فقالوا به حتى يتبين لهم خلافه فيرجعون عنه، ولكن المفتونين بهم عندنا جعلوهم في محل التقديس، فلا يبحثون فيما جاء عنهم كائناً ما كان، وليس هذا شأن المنطق ولا الفلسفة ولا الدين، فهي على رأى بعض علمائنا كلمات قلها قائل، فنقلها ناقل، فقبلها قابل، فاغتر بها جاهل لا قدرة له على النظر.

وبعد، فالسموات جاءت بها لذيانات كلها، وعندنا من الأدلة على وجودها ما لا يحصى. فن ذلك ما ذكره السائل، ونزيد على ما ذكره قوله تعالى: (إِذَا الْمَاءُ

أَنْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ أُنْتَثَرَتْ) فجعل الكواكب غير السماء، ويقول: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) ثم يقول بعد ذلك: (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة. ومن يقرأ مثل قوله تعالى: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) وقوله سبحانه: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوَاكِبِ) (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) لم يشك في أن السموات غير الشمس والقمر والكواكب. وفي السنة من ذلك شئ، كثير أيضا لا داعي للإطالة به؛ وليعلم قبل كل شئ، أننا ثبتت السماء كما أثبتها القرآن والتوراة والانجيل والزيود، ولكن لا تتعرض لبيان جواهرها وتحليل عناصرها وشرح ما يكتنفها. فإن النصوص عندنا لم تتعرض لذلك، وأما ما يذكره بعض (الأخباريين) من أن السماء الأولى من فضة والثانية من ذهب الى آخره، فهي أخبار اسرائيلية لا يعول عليها ولا يلتفت اليها، ولا غرو فالديانات لم نجح. لشرح الأكوان شرحا طبيعيا، ولم تتعرض لبيان ما فيها من الجواهر والأعراض والمناصر والظواهر، وإنما تتعرض لها من حيث ما فيها من الدلائل على قدرة الله وعظمته، وما تشتمل عليه من إتقان تديره وجميل صنعه، وما ترشد اليه من آثار رحمته وعظيم نعمته ومزيد حكمته، أما الأبحاث الطبيعية فقد تركتها للعقول ولم تمنع منها، بل نذبت إليها وحشت عليها.

ثم لتعلم أنت المقرر عندنا أنه اذا عارض العقل النقل، أو لنا النقل، لأن الطعن في العقل طعن في النقل كما هو مبين في محله (والتأويل عندنا أوسع من السموات) فلتنظر بعد هذا فيما عند هؤلاء المتفهبين الذين يتغنون السموات تقيا بأننا تقديسا لشئ. سمعوه عن أوربا ولم يترشوا قليلا تقديسا للقرآن والسنة، ولو ثبت ذلك يبرهان

صحيح لسكتنا أول للزولين لما جاء في الشريعة من ذلك ، ولغة العرب أوسع اللغات  
 تصرفا في باب المجاز والكناية وأكثرها ألفاظا مشتركة ، حتى إن اللفظ فيها قد  
 يوضع لعشرات المعاني كما ذكره في العين والخلد ، ولكننا لا نطرق باب التأويل  
 أو نلجأ إلى القول بالمجاز أو الكناية أو نبحث في معاجم اللغة عن وضع للمشاركات  
 إلا إذا اضطررنا لذلك ، وقد نظرنا فلم نجد عند القوم على نفي السموات دليلا ولا شبه  
 دليل ، فإنه ليس عندهم أكثر من أنهم لم يروها بأنظارهم ولا منظارهم أو قية آلاتهم ،  
 وليس في ذلك متمسك لمن يعرف المنطق الصحيح ، فإننا لا نعرف العناصر التي خلقت  
 منها السموات ، وما يذكر في ذلك فهو كذب لا أصل له كما قلنا ، فيجوز أن تكون  
 السموات شفافة ، بل هذا هو الذي يقرره الأقدمون فيقولون : إننا نرى الكواكب  
 الفلك الثامن ( وهو فلك الثوابت عندهم ) فيصلنا ضوء تلك الكواكب لتكون  
 السموات شفافة ، فإذا أصبح أن تقول : إنه يرى ما وراءها ولا ترى هي ، شأن كل  
 شفاف مع غيره ، ويجوز أن تكون بعيدة عنا بعدا يمنع من رؤيتها ، مع ملاحظة أن  
 السماء تطلق بإطلاقات كثيرة على معان عديدة : فتطلق على الأفلاك ، وتطلق على  
 السحاب ، كما قال تعالى : ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ) على  
 رأى كثير من المفسرين ، وتطلق على كل ما علاك كما هو معروف .

وقد قال كثير من العلماء : إن الكواكب ليست مغروزة في السماء ولا مماسة  
 لها ، وإنما هي بين السماء والأرض ، فتكون السماء من البعد بمنزلة ما لا يروونه من  
 النجوم ، وقد قال الامام أبو بكر بن العربي من أئمة المالكية : إن السماء التي هي إحدى  
 الأفلاك غير مرئية لنا . ( وهي مشتركة كما قلنا ) وهؤلاء النافون لا يستطيعون أن  
 يقولوا إنهم رأوا كل ما في العالم العلوي ، بل هم متعرفون بالتصور عن ذلك تمام  
 الاعتراف ، وقد بين عظمة العالم السماوي اللانهائي اللورد أفيري الانجليزي أتم البيان

في كتابه محاسن الطبيعة فانظره إن شئت ، ويجوز أن يكون لديهم اشتباه كثير في ذلك العالم الذي لا يعلمه إلا الله ، وكما اختلطت عليهم الأمور والتبس لديهم الحقائق واشتبهت عليهم الأحكام في العالم الأرضي فضلا عن العالم السماوي ، وكما بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الهيئة من خلاف ، وكما للفريقين من خبط وخط :

وبعد هذا كله فمن يستطيع أن يقول إن عدم رؤية الأشياء دليل على عدمها في الواقع ؟ أما كانوا ينكرون المكروبات لعدم رؤيتهم إياها . فهل كان ذلك دليلا على عدمها في نفس الأمر ؛ والمؤمنون من الأمم كلها وأرباب الديانات جمعا يشبثون العرش ولم يروه استنادا لما جاءت به الأنبياء وقررت الشرائع التي تقول لنا : إنكم ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، وتقول : ( مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) وتقول في الإنسان : ( إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ) وتنبئ على قوم سوء حالهم فتقول : ( بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ) وتقول في حق المتظننين الذين يسارعون لتصديق ما يلقيه الخيال وتغلبه الأهواء والجهالات : ( إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ) .

ومن العجيب أن هؤلاء ينفون السموات التي هي الأفلاك ، والأقدمون من الفلاسفة يشبثون الأفلاك ويقولون إنها أمتن من كل شيء ، حتى قالوا إنه يستحيل عليها الخرق والالتهام . فانظر الى تنافي الرأيين وتباعد ما بين المذهبين لتعلم أن طوائف البشر قد يصلون من الخبط والخلط الى حد أنهما يكونان على طرفي نقيض ، وكل منهما يظن أنه الفيلسوف المحقق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ فرحم الله امرأ عرف قدره فلم يتبعجج بتبجح الجاهل وأرباب الخيال . ولو شئنا لتوسعنا أكثر من هذا ، ولعل فيه مقنعا وكفاة ، ولا تزال نكرر أنه لا مانع عندنا من التأويل واتباع



الدليل ، ولكن القوم لم يقيموا على ما يزعمون برهانا ولا شبه برهان ، ولا يمكننا أن نعدل عن تلك الظواهر لأجل قول يقال أو مجرد وهم أو خيال .

يوسف الرجوى  
من هيئة كبار العلماء

\*\*\*\*\*

## الظرف والملح

خطب يوسف بن عمر فقال : تقوا الله عباد الله ، فكم من مؤملٍ أملًا لا يَبْلُغُهُ ، وجامعٍ مالًا لا يَأْكُلُهُ ، ومائعٍ ماسوفٍ يتركُهُ ، ولعله من باطلٍ جمعه ، ومن حقٍ منعه . أصابه حراما ، ووزنه عدواً ، وأحتملَ إضرده ، وباءَ بوزره ، وورد على ربه أسفاً لا هفاً (خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) .

\*\*\*

قال عبد الملك بن عمير : قدِمَ علينا الأحنفُ الكُوفَةُ مع مُصمَّبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فإِذَا رَأَيْتَ خَصْلَةً تُدَمِّمُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهَا فِي الْأُحْنَفِ : كَانَ صَلَ (١) الرَّأْسِ ، مَتْرَاكِبِ الْأَسْنَانِ ، أَشَدَّقَ (٢) مِثْلَ الذَّقَنِ ، نَاقِيَّ الْوَجْهِ ، عَائِرَ الْعَيْنِ ، خَفِيفَ الْعَارِضِ ، أَحْنَفَ (٣) الرَّجْلِ ، وَلَكِنْ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَّأَ عَنْ نَفْسِهِ .

(١) صفة الرأس . (٢) مائل الحد . (٣) الأحنف هو من تقبل إحدى إبهاميه على الإبهام الأخرى . وهو أيضا من يمشى على ظهر قدميه من شق الخنصر . م يلاحظ أن الأحنف هذا تاهى كبير جليل رضى الله عنه .

## العرش

س : قرأنا في العدد الثاني من المجلد الثاني لسنة ١٣٥٠ هـ في المقالة الثانية المبتدئة من صفحة ٩٧ والنتيجة الى صفحة ١٠٣ في الكلام عن ( بيده الملك ) ما يفيد أن العرش أي عرش الرحمن كناية عن نفس الملك ، وصرح بذلك القفال في العبارة التي نقلها الكاتب عنه ولم يتعرض للتعليق عليها بشيء ، ومعنى ذلك أن الذي يرتضيه الكاتب أيضا أن العرش كناية عن نفس الملك الخ ؛ وقد يتسرب للذهن بادي ذي بدء أن ليس هناك عرش حقيقة للرحمن ، وذلك ما لا نعتقه بالنسبة للكاتب بعد أن صرح القرآن فقال : ( وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَاتٍ ) وما جاء في السنة من حديث الشفاعة على ما فيه فيما رواه ابن عباس من جلوس رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرش كما ذكر ذلك بعض المفسرين عند الكلام عن الآية ( عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُمُودًا ) . وأيضاً صرح الغزالي بالصحيحة ٧٩ بالفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلتي الشهادة بما يفيد أن العرش حقيقة وليس كناية فقال : « وأنه مستوعب العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن الماسة والاستقرار والتمكن والحلول والاتقال لا بحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته » .

فهل لنا أن نرجو إدارة المجلة أن تتكرم فتأني على هذه العقيدة بالشرح الوافي حتى لا يبق هناك مجال لشك الشاكين ، فإن الذي عهدناه في طريقة المجلة الصراحة التامة وهذا ما يجب عليها ، فهي للمسلمين خاصتهم وعامتهم ؛ ونسأل الله التوفيق والهداية ما

حسين المسلي  
واعظ الاسماعيلية

## الجواب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

العرش في اللغة يكون مصدرا كالتعريض ، ومعناه البناء ، أى وضع شئ فوق شئ ، على وجه الثبات والاستمرار ، ويكون غير مصدر ، ومن معانيه السرير الذى يُجْلَسُ عليه ، والمَلِكُ ، والعزة والسلطان ونحوهما ، ومنه قولهم — كما فى أساس البلاغة للزخشرى : استوى على عرشه اذا مَلَكَ ، وثُلَّ عرشه اذا هلك .

والاستواء هو استقامة الشئ واعتداله ، واذا قُرِنَ بعلى اقتضى معنى لاستيلاء ، كما فى قوله تعالى : ( ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ <sup>(١)</sup> ) .

ثم إن العرش <sup>(٢)</sup> قد جاء فى القرآن الحكيم مع وصف الاستواء فى سبع سور ، وهى سور الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان والسجدة والحديد ؛ وجاء بدونه فى إحدى عشرة سورة ، وهى سور التوبة وهود والاسراء والمؤمنين والبلل وتزويل وغافر والزخرف والحاقة والتكوير والبروج .

قد رأيت من هذا أن بعض المعانى التى ذكرناها للعرش مستحيل على الله تعالى ، وهو السرير المؤلف الذى يُجْلَسُ عليه ، ولكننا قدمنا لك فى الصفحة المائة من العدد الثانى للسنة الثانية أن كل وصف ورد فى القرآن العظيم أو السنة النبوية وكان ظاهره مستحيلا على الله سبحانه ، فإنه يجب تأويله أى صرفه عن ذلك الظاهر المُحال ، وحمله على

(١) قاله الراغب الأصفهاني . (٢) أى عرش الرحمن

ما يوافق جلال الله وعظمته ، لأن الدلائل النقلية والعقلية قد نطقت بتلك الاستحالة ، وأرشدت الى المعنى الذى يوجبه الكمال الإلهي ، ويقضى به تنزه الله العلي الكبير عن كل ما لا يليق بمقام الإلهية العظمى .

ثم ذكرنا هناك عدة أمثلة لتلك الأوصاف المستحيلة ، وكان منها وصف استوائه سبحانه على العرش ، ثم نقلنا عن الامام القفال تأويل هـــــ الوصف وغيره ، كما نقلنا عن الامام نجر الدين الرازى ونظام الدين النيسابورى موافقتهما في تفسيريهما للامام القفال فيما أول به الاستواء على العرش .

وحاصل ذلك التأويل أن العرش المذكور مع الاستواء هو الملك ، وأن استواء الله تعالى عليه هو استقامة شأن ذلك الملك ، واعتدال أمر الله سبحانه واطرادُه فيه ، واستعلاؤه تعالى عليه استعلاء عزة وسلطان وقهر .

على أن هذا التأويل لم ينفرد به القفال ، بل ذكره غيره أيضا ، ومنهم البغوي والبيهقي وأبو السعود والآلوسي وغيرهم ، بل زاد الامام الفخر تأويلا آخر ذكره في تفسير قوله تعالى : ( وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ) فقال : وكل ذلك ( أى تشبيه الله سبحانه بخلقه وجعله محمولا على العرش كما رعمه المشبهون ) كفر صريح . فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل ، فنقول : السبب في هذا الكلام هو أنه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه ، تخلق لنفسه بيتا يزورونه وليس لأنه يسكنه ، تعالى الله عنه ، وجعل في ركن البيت حجرا هو يمينه في الأرض ، إذ كان من شأنهم أن يعظموا رؤسائهم تنقيلا أيمانهم ، وحمل على العباد حفظه ، ليس لأن النسيان يحوز عليه سبحانه ، لكن لأن هذا هو المتعارف ، فكذلك لما كان من شأن الملك إذا أراد محاسبة عماله جلس اليهم على سرير ووقف الأعوان حوله ، أحضر الله يوم القيامة عرشا

وحضرت الملائكة وحفَّتْ به ، لا لأنه يقعد عليه أو يحتاج اليه ، بل لمثل ما قلناه في البيت والطواف . ١١

فأنت ترى أن الامام غر الدين قد أوّل العرش في هذه الآية بغير ما أوّل به القفال ، وجعله عرشاً في الآخرة لا في الدنيا ، وأياً ما كان من التأويلين فإيهما قاضيان بتنزيه الله تعالى عما لا يليق به .

كذلك ننقل لك ما قاله الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى . ( ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ) في سورة يونس عليه السلام . قال : اتفق المسلمون على أن فوق السموات جسماً عظيماً هو العرش . ادّعت هذا فتقول : العرش المذكور في هذه الآية هل المراد منه ذلك العرش أو غيره ؟ ثم ذكر الفخر أقوالاً ثلاثة ( أولها ) أن العرش هو البناء ، أي بناء السموات والأرض وتكونيهما ، وأن الاستواء هو الاستعلاء عليهما بالقدرة والعزة الربانية ، وهذا القول لأبي مسلم الاصفهاني .

( ثانيها ) أن العرش في آية يونس هو الجسم العظيم الذي فوق السموات .

( ثالثها ) أن الرد به المُلك ، إلى آخر ما بسطه فراجع

نعم إن جُمِّلَ الامام القفال وغيره العرش كناية عن المُلك ، ليس معناه إنكاراً لعرش بمعنى الجسم العظيم الذي فوق السموات ، بل هو مثبت مقرر لوجوده ، لأنه جزء من الملك ، فإن ملك الله تعالى كلُّ له أجزاء تركيب منها ، فهو شامل لجميع ما خلقه الله في الدار الدنيا ، ومن جلته العرش العظيم المحيط بالأكوان .

ثم نقول : قد تحصل مما ذكرناه أن عرش الرحمن صالح لأن يفسر بأحد معانٍ أربعة بحسب مساق الآيات القرآنية ، وهي ذلك الجسم العظيم المحيط ، والمُلك ، وبناء السموات والأرض أي خلقهما وتسويتهما ، وهذه الثلاثة في الدار الدنيا ، والمعنى الرابع عرش يحضره الله القدير في الآخرة .

فكل هذه التأويلات صحيحة وحق ، لأن لفظ العرش لا ياباها ، لا من جهة اللغة ولا من جهة العقيدة الصحيحة ولا من جهة العقل السليم ، لأن مبناها كلها على تنزيه الله تعالى وتقديسه عن مشابته خلقه في أن يكون له عرش يستوى عليه استواء بالكيفية المعلومة المهودة فينا .

كل هذا جرى على طريقة الخلف الذين يؤولون ما قام دليل النقل والعقل على استحالة ظاهره ، وعلى وجوب حمله على ما يوافق الدليلين المذكورين . أما إذا جربنا على طريقة السلف فإننا ندع التأويل جانباً ، ثم نؤمن بما ورد إيماناً جازماً موافقاً لما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من اللفظ الكريم ، وَتَدْعُ تَعْيِينَ للمراد منه الى علمه عز وجل ، لأنه لم يكلفنا أن نعلمه علم التعيين ، ولو أراد ذلك لعينه لنا ، لأن تعيينه لا يُعلم إلا منه سبحانه .

فكل من السلف والخلف قد رفض للمعنى المستحيل على الله تعالى ، ولكن بعد اتفاقهما على ذلك لم يتعرض السلف للمعنى المراد تَعْيِينَ مَّا ، بل وَكَلُّوا علمه وتعيينه الى الله جل شأنه . وأما الخلف فإنهم تعرضوا له ببيان مَّا ، متبعين في ذلك استعمال العرب وأساليبهم في لغتهم التي جاء القرآن الكريم على طبق قوانينها . فأنت ترى أن كلا من طريقتي السلف والخلف قد أُسِّسَ على تنزيه الله عز وجل وتقديسه عما لا يليق بمقامه الأسمى سبحانه .

بقي بعد هذا كله كلمات : الكلمة الأولى — قد عرفت من صدر كلامنا المعنى المستحيل على الله تعالى لكلمتي الاستواء والعرش ، فاذ فُسِّرَ العرش بأحد معانيه الصحيحة ، أي بالجسم لأعظم المحيط بالعالم في الدنيا ، أو بالعرش الذي يكون في الآخرة ، فإن ذلك التفسير يكون تأويلاً أي صرفاً لكلمتي الاستواء والعرش عن ظاهرهما المستحيل ، وانتقالاً الى معنى آخر حَقِيقٍ بالنسبة الى ذلك المعنى الظاهر ،

وذلك المعنى الآخر الخفى الجائز المنتقل اليه هو الجسم الأعظم أو عرش الآخرة ،  
الذى هو تحت استيلاء الله تعالى عليه بالقهر والسلطان والعزة الإلهية .

فثبت بهذا أن تفسير العرش بما ذكر هو تأويل له بلاريب ، وحينئذ يكون  
أصحاب هذه المعانى الأربعة التى ذكرناها للعرش جميعهم مؤولون ، أى أنهم قد جروا  
على طريقة الخلف لذين يؤولون المتشبه بما يوافق تنزيه الله العزيز .

الكلمة الثانية - قد علمت أن التأويل هو انتقال من المعنى الظاهر الى المعنى  
الخفى بالنسبة الى ذلك الظاهر ، فلا جمل هذا الانتقال من الظاهر الى الخفى ترى المؤولون  
يقولون حينما يؤولون : إن العرش مثلا كناية عن كذا ، لا يريدون أن المعنى المؤول به  
المنتقل اليه هو معنى وهمى خيالى لا حقيقة له كما لو أولوا العرش بالملك مثلا ، بل يريدون  
أنه معنى مدلول عليه بلفظ العرش مثلا دلالة كناية ، أى دلالة خفية بالنسبة الى  
الظاهر ، بواسطة القرينة الدالة على ذلك المعنى الجائز على الله تعالى ، كما هو شأن الكناية  
المقررة فى علم البيان .

وقد أرشد الامام غفر الدين الرازى الى ذلك فيما نقلناه عنه فى الصفحة الثالثة بعد  
المائة من العدد الثانى للسنة الثانية إذ يقول : ونظيره قولهم للرجل الطويل : فلان  
طويل التجاد . الى آخر كلامه .

فعلى هذا لا يكون قول الامام القفال وصاحب الكشف وغيرهما : إن العرش  
مثلا كناية عن كذا ، معناه أنه ليس لارحم سبحانه عرش حقيقة ، بل معناه أن لفظ  
العرش لفظ عبر الله تعالى به تعبيرا كناية عن معنى حقيقى ثابت فى نفسه موافق  
لواقع . والحكمة فى التعبير به أنه هو المتعارف السألوف فى مخاطب الناس ، لأنهم  
عبدوا فى ملوكهم أن لهم عروشا يستوون عليها ، أى أسيرة يجلسون عليها حينما  
ينظرون فى تدبير الملك

الكلمة الثالثة - - تنقل لك ما ذكره الامام الفخر الرازى فى تفسيره لقوله تعالى :  
(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) عن الامام الواحدى ، وعبارته : قال  
لواحدى : روى عن ابن مسعود أنه قال : يُقْعِدُ اللَّهُ مُحَمَّدًا عَلَى الْعَرْشِ . وعن مجاهد أنه  
قال : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ . ثم قال الواحدى : وهذا قول رَذَلٌ مُوحِشٌ فُظِيعٌ .  
ونص الكتاب ينادى بفساد هذا التفسير ، ويدل عليه وجوه (الأول) أن البعث  
ضد الإجلال ، يقال بعثت النازل واقاعد فابعث . ويقال : بعث الله الميت أى  
أقامه من قبره ، فتفسير البعث بالإجلال تفسير للضد بالضد وهو طلسد .

( الثانى ) أنه تعالى قال : ( مَقَامًا مَحْمُودًا ) ولم يقل مقعد ، والقام موضع القيام  
لا موضع القعود .

( الثالث ) لو كان تعالى جالساً على العرش بحيث يجلس عنده محمد عليه الصلاة  
والسلام ، لكان محدوداً متساهياً ، ومن كان كذلك فهو محدث .

( الرابع ) يقال . إن جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثير إعزاز ، لأن هؤلاء  
الجملة الحَقَقَى يقولون فى كل أهل الجنة : إنهم يزورون الله تعالى ، وإنهم يحسون معه  
وإنه تعالى يسألهم عن أحوالهم التى كانوا فيها فى الدنيا . وإذا كانت هذه الحالة حاصلة  
عندهم لكل المؤمنين لم يكن لتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بها مزيد شرف ورتبة .

( الخامس ) أنه إذ قيل : السلطان بعث فلاناً فهم منه أنه أرسله إلى قوم لإصلاح  
مهماتهم ، ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه فثبت أن هذا القول رَذَلٌ سَقَطٌ لَا يَمِيلُ  
إِلَيْهِ إِلَّا إِنْسَانٌ قَلِيلُ الْعَقْلِ عَدِيمُ الدِّينِ . اهـ

قلنا : قد صرحت هذه العبارة التى نقلناها عن هذين الامامين بإنكار أمرين :  
إنكار صلاحية هذه الرواية أن تكون دليلاً على أن للرحمن عرشاً يوم القيامة ، وإنكار  
إجلال النبي صلى الله عليه وسلم على العرش فى ذلك اليوم . ودليل هذين الإنكارين  
هو الوجوه الخمسة المذكورة .



لكن هذا الإنكار من هذه الجهة الباطلة لا ينافي أن الامامين المذكورين وسائر المسلمين يؤمنون بأن للرحمن عز وجل عرشا يوم القيمة ، كما هو تأويل قوله تعالى : ( وَبِجَهْلِ عَرْشِ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّائِيَةٌ ) كما سبق عن الامام الرازي .

ولعل هذا النقد الذي نغناه عن الواحدى والفخر هو الذى أشير اليه فى السؤال بمبارة ( على ما فيه ) ولهذا كان يحسن حذف هذه لرواية كلها من السؤال .

ثم إننا قد بينا لك فيما سبق معنى الكناية التى عبر بها الامام القفال وغيره من الخلف ، ومنه تعلم أن عرش الرحمن جل ثناؤه ليس شيئا مزعوما وهيا ، بل هو حقيقة ثابتة بنص الكتاب العزيز ، سوء أول العرش بالملائك أم بغيره من المعاني الأربعة المتقدمة .

فعلى ذلك يكون ما قاله القفال وغيره هو عين ما قاله حجة الاسلام الغزالي . وغاية الأمر أن ما قاله القفال وغيره هو طريقة خلف ، وما قاله الغزالي هو طريقة السلف ، وكلا الفريقين قد نزه الله العلى لكبير عما لا يبيق به سبحانه .

ومن هذا نعلم أنه كان يحسن أيضا عدم ذكر عبارة الغزالي ، لأنها لا تنافض كلام القفال . ولعل فيما قلناه شرحا وافيا لهذه العقيدة لاسلامية ، حتى لا يبق هناك مجال لشك الشاكين ، كما جاء فى السؤال ؛ والله ولى التوفيق

مسند منصور

وكيل مدرستى القضاء الشرعى  
ودار العلوم العليا سابقا

## قرار الهيئة العلمية الدينية بالديار المصرية في شأن الخلافة سنة ١٣٤٢

نشرت بعض الصحف حديثنا لمولانا شوكت علي ، ومما قال في هذا الحديث « إن المؤتمر في القدس لا يبحث في مسألة الخلافة ، وهو يرى أنها قائمة ، لأن الخليفة موجود الآن ولو أنه في بلد أجنبي غير إسلامي » .

وهذا الذي ادعاه حصرة شوكت علي من أن الخلافة قائمة غير صحيح ، فإن الهيئة العلمية الكبرى التي تألقت في القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م قررت أن خلافة الامير عبد المحيد كانت غير شرعية ، بل هي بدعة في الاسلام ، فليس له في أعناق المسلمين بيعة . ونحن هذا القرار :

في يوم الثلاثاء ١٩ شعبان سنة ١٣٤٢ ( ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ ) جتمعت بالادارة العامة للمعاهد الدينية هيئة علمية دينية كبرى تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأبر شيخ الجامع الأزهر الشريف ورئيس المعاهد الدينية العلمية لاسلامية ( الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي ) وبعضوية أصحاب الفضيلة رئيس المحكمة العليا انشرعية ( الشيخ محمد مصطفى المراغي ) ومفتي الديار المصرية ( الشيخ عبد الرحمن قراعة ) ووكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية ( الشيخ أحمد هارون ) والسكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى والمعاهد الدينية ( الشيخ حسين والي ) وشيوخ المعاهد الدينية الكبرى ( الشيخ محمد الاحمدى الظواهري والشيخ محمد عبد اللطيف الفحم والشيخ عبد الفتى محمود والشيخ ابراهيم الجبالى ) ومشايع الاقسام بالجامع الأزهر والكثير

من هيئة كبار العلماء ( منهم الشيخ بنحيث والشيخ محمد شاكر والشيخ النجدي شيخ الشافعية والشيخ أحمد نصر وكيل المالكية والشيخ سبيع لذهبي شيخ الحنابلة والشيخ عبد المعطي الشرشيمي ) وغيرهم من العلماء والمفتشين بالمعاهد الدينية لمداولة في شئون الخلافة الإسلامية وقر قرارهم بعد بحث طويل على ما يأتي :

١ - كثر تحدث الناس في أمر الخلافة بعد خروج الأمير عبد المجيد من الاستانة ، واهتم المسلمون بالبحث والتفكير فيما يجب عليهم عمله قياماً بما يفرضه عليهم دينهم الحنيف . لذلك رأينا أن نعان رأينا في خلافة الأمير عبد المجيد وفيما يجب على المسلمين اتباعه الآن وفيما بعد .

٢ - الخلافة - وتسمى الامامة - رياسة عامة في الدين والدنيا قوامها النظر في مصالح الملة وتدير الأمة . والإمام نائب عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في حياطة الدين وتنفيذ أحكامه ، وفي تدير شئون الخلق الدنيوية على مقتضى النظر الشرعي .

٣ - الإمام يصير إماماً بالبيعة من أهل الحل والعقد أو استخلاف إمام قبله ولا بد مع هذا من نفاذ حكمه في رعيتة خوفاً من قهره وسلطانه ، فإن بايع الناس الإمام ولم ينفذ حكمه فيهم لمجزه عن قهرهم ، أو استخلفه إمام قبله ولم ينفذ حكمه في الرعية لمجزه ، لا يصير إماماً بالبيعة أو الاستخلاف .

وتستفاد الإمامة أيضاً بطريق التغلب وحده ، فإذا تغلب شخص على الخليفة واعتصب مكانه انزل الأول . وقد يوجد التغلب مع البيعة أو الاستخلاف كما حصل لأكثر الخلفاء في العصور الماضية ، وهذا كله مستفاد صراحة من نصوص السادة الحنفية .

٤ - ولما كان الإمام صاحب التصرف التام في شئون الرعية وجب أن تكون جميع الولايات مستمدة منه وصادرة عنه ، كولاية الوزراء ، وكولاية أمراء الأقاليم ، وولاية القضاة ، وولاية نقياء الجيوش وحامه الثغور .

٥ - وينحل عقد الإمامة بما يزول به المقصود منها كأمره بحيث لا يرجى خلاصه، وعجزه عن تدبير مصالح الأمة والأمة. ومتى وجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانكاس أمور الدين، جاز للأمة خلع مالم يؤد ذلك لى فتنة. فإن أدى إليها احتمال أخف الضررين.

٦ - رضى المسلمون الذين كانوا يدبنون لخلافة لأمر وحيد الدين عن خلعهم للأسباب التى علموها عنه واعتقدوا أنها مبررة لخلع، ثم قدم الأتراك للخلافة لأمر عبد المجيد معدين فصل السلطة جميعها عن الخليفة، ووكالوا أمرها لى مجلسهم الوطنى وجعلوا الأمر عبد المجيد خليفة روحياً فقط.

٧ - وقد أحدث الأتراك بمعامهم هذا بدعة ما كان يعرفها المسلمون من قبل، ثم أضافوا إليها بدعة أخرى وهى إلغاء مقام الخلافة.

٨ - لم تكن خلافة الأمر عبد المجيد والحالة هذه خلافة شرعية، فإن الدين الإسلامى لا يعرف الخليفة بهذا المعنى الذى حدد له ورضيه، ولم تكن بيعة المسلمين له بيعة صحيحة شرعاً.

٩ - وإذا غضضنا النظر عن هذا وقدنا إن البيعة صحت له، فإنه لم يتم له نفوذ الحكم الذى هو شرط شرعى لتحقيق معنى الخلافة.

١٠ - وإذا فرض أنه تم له وصف الخلافة بمعناها الشرعى فقد انحل عنه ذلك لوصف بعجزه حقيقة عن القيام بتدبير أمور الدين والدنيا، وعجزه عن الإقامة فى بلده ومملكته، وعن حماية نفسه وأسرته بمد أن تم للأتراك تعاملهم عليه.

١١ - والنتيجة لهذا كله أنه ليس للأمر عبد المجيد بيعة فى أعناق المسلمين لزوال المقصود من الإمامة شرعاً، وأنه ليس من الحكمة ولا مما يلائم شرف الإسلام

والمسلمين أن ينادوا ببقاء بيعة في أعناقهم لشخص لا يملك الإقامة في بلده ولا يمكنه منها .

١٢ - ولما كان مركز الخلافة في نظر الدين الإسلامي ونظر جميع المسلمين له من الأهمية ما لا يعدله شيء آخر ، لما يترتب عليه من إعلاء شأن الدين وأهله ، ومن توحيد جامعة المسلمين وربطهم برباط قوى متين ، وجب على المسلمين أن يفكروا في نظام الخلافة ، وفي وضع أسسه على قواعد تتفق مع أحكام الدين الإسلامي ، ولا تتجافى مع المظم الإسلامية التي رضيها المسلمون نظماً لحكمهم .

١٣ - غير أن الضجة العنيفة التي أحدثها الأتراك بإلغاء مقام الخلافة والتغيب على الأمير عبد المجيد جعلت العالم الإسلامي في اضطراب لا يتمكن المسلمون معه من البت في هذه النظم ، وتكون رأي ناضج فيها ، وفيمن يصح أن يختار خليفة لهم إلا بعد الهدوء وبعد الإيمان والروية ، وبعد معرفة وجهات النظر في مختلف الجهات .

١٤ - لهذه الأسباب نرى أنه لا بد من عقد مؤتمر ديني إسلامي يدعى إليه ممثلو جميع الأمم الإسلامية للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية ، ويكون بمدينة القاهرة تحت رئاسة شيخ الإسلام بالديار المصرية ، وذلك نظراً لمكانة مصر الممتازة بين الأمم الإسلامية ، وأن يكون عقد المؤتمر في شهر شعبان سنة ١٣٤٣ هـ (مارس سنة ١٩٢٥ م) .

١٥ - ولا بد لنا من إعلان الشكر لكل من أبدىغيرة دينية إسلامية في أمر الخلافة ، وأظهر اهتماماً بهذا الواجب .

١٦ - ونعلن أيضاً شكرنا للأمم التي تدين بأديان أخرى غير الدين الإسلامي ولدول تلك الأمم على ما أظهروه الى الآن من اجتماعهم عن التدخل في شئون الخلافة

الاسلامية، ونرجو منهم أن يلاحظوا أن مسألة الخلافة مسألة إسلامية محضة لا يجوز أن تتعدى دائرتها، ولا أن يهتم بها أحد من غير أهلها. والعالم الاسلامي جميعه يريد أن يمشى سلام مع الأمم الأخرى، وأن يحافظ على قواعد دينه الحق ونظمه البريئة بطبعها من روح المدوان.

١٧ - هذا ما رأينا من الواجب الديني علينا إذ عته الى العالم الاسلامي في مختلف البقاع، والى الأمم الأخرى ليكون الجميع على بينة من الأمر.

القاهرة في ١٩ شعبان سنة ١٣٤٢ هـ.  
٢٥ مارس سنة ١٩٢٣ م.

وبلى ذلك الامضاءات.

\*\*\*\*\*

## الظرف والملح

قال بعض الحكماء: المنظر محتاج الى القبول، والحسب محتاج الى الأدب،  
والسرور محتاج الى الأمن، والقراءة محتاجة الى المودة، والمعرفة محتاجة الى التجارب،  
والشرف محتاج الى التواضع، والتجدة محتاجة الى الجدة.

■

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: ما طأو عنى الناس على شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرقات الدنيا.

## المسلمون في أوروبا الشرقية<sup>(١)</sup> ألبانيا

٢

مجلس الوصاية الأعلى ( ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ) .

لقد كان هذا المجلس مكوناً في سنة ١٩٢٠ من عاكف باشا البلساني وعابدي بك الطوبتاني والدكتور تورنللي ( Turtulli ) ونيافة القس لوي بومشي ( Louis Bumeri ) ثم تبدل هؤلاء الأعضاء في سنة ١٩٢١ وتكون المجلس من عمر باشافريوني ( Vroni ) ورفيق بك طوتاني وسوتيريديشي ( Sotirpeci ) وانطوان بستولي ( Antoine pistua ) ولم يبق في المجلس سنة ١٩٢٤ سوى سوتيريديشي .

الوزارات : - وزارة سليمان بك ديلفينو ( مسلم ) في سنة ١٩٢٠ ، ووزارة الياس بك فريوني ( أرثوذكسي ) في ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، ووزارة بانديلي ايوانغيلي ( Pandei Evangheli ) ( أرثوذكسي ) في أكتوبر سنة ١٩٢١ ، ووزارة جعفر يبي ( Ypi ) ( مسلم ) في ديسمبر سنة ١٩٢١ ، ووزارة أحمد ماتي دوغو ( مسلم ) في ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، ووزارة شوكت فبرلاشي ( Verlaci ) ( مسلم ) في ٥ مارس سنة ١٩٢٤ ، ووزارة نيافة المطران فان نولي ( أرثوذكسي ) في يوليو سنة ١٩٢٤ ، ووزارة م.م. زوغو في ٨ يناير سنة ١٩٢٥ ، ثم وزارة كوستا كوتا ( Kosta Kotta ) في أول سبتمبر سنة ١٩٢٨ ويناير سنة ١٩٢٩ ، وعينت ألبانيا مندوباً عنها في جمعية الأمم .

(١) مترجم من الفرنسية من كتاب دليل العالم الاسلامي .

هذا وقد أدت حركة الانقلاب السياسي التي قامت في سنة ١٩٢٥ الى إعلال الجمهورية، وانتخب ا. م. زوغو رئيسا لها في أول فبراير سنة ١٩٢٥ إلا أنه أعلن نفسه ملكا في أول سبتمبر سنة ١٩٢٨ باسم زوغو لأول .

الإدارة في القاليم : — كانت ألبانيا في سنة ١٩٢٤ مقسمة الى ثمان مديريات أو إيالات ، وهذه كانت مقسمة في سنة ١٩٢١ الى عدة أقضية (كازاس) (Cazas) كالآتي :

١ — مديرية شقودرة : ( ليش ) ( Lesh ) وكوبليك ، وبوكا ، وميرديتي ، وبريكالي ، وبونيأي .

٢ — مديرية دورئيس : كافايا ، وتيرانا ، وشياك ، وكروجا ، وماتي .

٣ — مديرية البلسان : ييخان ، وفوكسي ، وجرامشي .

٤ — مديرية ييرات : لوشنيا ، وفيري ، ومالا كلسترا ، وسكراپاري .

٥ — مديرية فلورا : همارا .

٦ — مديرية جينو كاسترتي : دلفينا ، وييرميتي ، وطيبيليني ، وليبوهوا وليسكوفيك .

٧ — مديرية كورسا : بوجراديك ، وييكاشتي ، وكولونيا .

٨ — مديرية دريني : هاسي ، وهوميشي ، ولوما .

ثم أنشئت مديرتان في سنة ١٩٢٨ وهما مديرتا تيرانا وديرا .

وبوجد بألبانيا خمسة وسبعون قرايهين " Krahins " (مركز) وقرى ينتخب رجال إدارتها بطريق الانتخاب العام .

وقد بقي قضاء ( مقاطعه ) « ميرديتي » مستقلا استقلالاً داخلياً إدارياً تحت إدارة « قبطان » من أسرة « ييب دودا » ( Bib Doda ) .



الامانة الربنية: - إن «جماعة الرابطة الاسلامية الأهلية» قد استقلت عن شيخ الإسلام الاستانة في سنة ١٩١١، أما من حيث الخطبة فإن اسم الخليفة قد حذف في الصلوات العمومية التي كانت تقام باللغة الألبانية، ولم يبق إلا في الصيغة العربية في الجهات التي استمر فيها استعمال الصيغة العربية من التقاليد المعمول بها (طبقاً لما تقرر بمؤتمر تيرانا في سنة ١٩٢٣).

وليس الإسلام في ألبانيا هو دين الحكومة الرسمي - إلا أن الحكومة هي التي تعين القضاة ورجال الإفتاء وتدفع لهم مرتباتهم. وهذا وتوجد مدرسة في بيرت لا عدد رجال الدين، وكان بها ثلاثون طالباً سنة ١٩٢١، ولا يزال توجد بعض الأوقاف تابعة للآن للأوقاف العامة بالاستانة.

وبألبانيا مساجد عديدة، منها أربعة وثلاثون مسجداً بالباسن.

وقد تقرر الزواج من زوجة واحدة فقط وألغى لبس نقاب (يشعق) النساء طبقاً لما جاء بمؤتمر تيرانا في إبريل سنة ١٩٢٣، وأصبح الوضوء حسب الطقوس الدينية غير إجباري (كذا).

وجماعة لا إله إلا الله البكتاشية هي أكثر الجماعات انتشاراً، ولها ثلاثة وأربعون فرعاً لكل منها سرادق خاص يقال له تكيه (Tekké) ففي ألبانيا الجنوبية تتجه الأميال كثيراً لمذهب الشيعة.

وقد تأسست جماعات البكتاشيين في القرن الثالث عشر من الميلاد، وجاء بعضهم إلى ألبانيا في القرون الرابع عشر بين رجال الانكشارية الذين تزحوا إليها من أورخان (Orkhan) في القرن الخامس عشر، وتفقوا في التصوف على أساس التوحيد طبقاً لمذهب الشيعة الإسماعيلية الحروفية (Horoûfis) ومركزهم التركي في أنقرة. أما سكتشيو ألبانيا الذين هم قوام النظم الإسلامية المحلية في ألبانيا فقد أعلنوا في جمعية

عمومية مكونة من ٥٠٠ مندوب انعقدت في يناير سنة ١٩٢٢ الاستقلال لثاني للبيكتاشية الألبانية، وجعلوها تحت إدارة سبعة باباوت (Babas) برئاسة بابا « تكية » ( Tekke ) افتشى — حيصار (Aqiche Hissar) ويرأسها الآن بابا سليمان؛ وتكية فتشى حيصار لا تضم الآن سوى اثني عشر درويشا . وتوجد بعض تكايا لرجال الطرق الجلشانية والخلوتية والرفاعية .

أما مسيحيو ألبانيا الأرثوذكس فإنهم مهددون بالسياسة التي ترى اليها ليونان، ويميلون الى تأسيس كنيسة تكون مستقلة عن الكنيسة الاغريقية ( وقد تحقق لهم هذا الأمر في لولايات المتحدة ورومانيا حيث تلقى انواعا بالغة الألبانية ) ويقال إن لهم أربعة مراكز أسقفية في كورسا ويرات وجيروكاسترى ودورئيس .

وأما كاثوليك ألبانيا فهم تابعون للمندوب الرسولى لأسقفية شقودرة المكونة من رئيس مطران، وخمسة أساقفة، وبعض الفرنسيسكانيين الألبانيين، وقس أوروشى للتوج .

التعليم : — توجد مدرسة للمعلمين في « ييرات » تخرج منها ثلاثون معلم في سنة ١٩٢٠، ويوجد ستون مدرسة ابتدائية راقية، و٧٢ مدرسة أولية، ومدرستان تجهيزيتان فرنسيتان ألبانيتان، في مدينتي كورسا وجينو كاسترى، وبعض مدارس خصوصية للأباء اليسوعيين الإيطاليين والفرنسيين النمسويين الألبانيين في أشقودرة، ومدارس أخرى تابعة لجمعية الصليب الأحمر الأمريكى في تيرانا والباسان وأشقودرة، ومدرسة صناعية أمريكية في تيراما .

الصحافة . — توجد عدة صحف ألبانية بعضها ينشر في ألبانيا نفسها، وبعضها ينشر خارجها، مثل صحيفة « كومبي » ( Kombi ) وقد أنشئت سنة ١٩٠٦ في مدينة بوستون ( Boston ) بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم « مجلة الادرياتيک » ( Adriatic Review )

وجريدة «ديلي» (Dielli) ومعناها «الشمس» وأنشئت كذلك في مدينة بوستون سنة ١٩٠٩ وهي يومية، «والتاسيونى البانيزى» (Nation Albanese) ومعناها «الشعب الألبانى» وتصدر في «كالابري» (Calabre) في الجنوب الغربى من إيطاليا، وجريدة «ألبانيا» (L'Albania) وتصدر في مدينة بروكسيل (بيلجيكا) وجريدة «الديفانس ناسيونال» (La Defense Nationale) ومعناها «الدفاع الوطنى» وجريدة «الدير بارول» (La Libre Parole) ومعناها «لقول الحر» وتصدر في مدينة فلورا (Vlora) بألبانيا، وتطبع ٢٠٠٠ نسخة، ثم جريدتا «جيتار» (Jetare) و«كوها» (Koha) ومجلة «سكنديا» (Skenda) في مدينة «كورسا»؛ وأنشئت في سنة ١٩٢٧ بمدينة بارى (Bari) بإيطاليا جريدة «غازيت أشقبيتارى» (Gazetta Shqiptare) وتصدر يوميا باللغة الألبانية، وجريدة «شيقوللى - رى» (Shëkulli i Ri) وتصدر باللغة الألبانية في مدينة دوراتزو (Durazzo) بألبانيا، وتصدر بمدينة جينوكاسترى جريدة «ديموكراسيا» (Demokracia) و«فيروج» (Virog) ويحررها باللغة الألبانية ج. خورشيد، وتصدر بمدينة كورسا (بألبانيا) جريدة جيتارى (Jetarre) باللغة الألبانية و«غازيت إكورسيس» (Gazeta e Korçës) باللغة الألبانية أيضا.

أما في مدينة «نير» فتصدر فيها عدة جرائد، مثل «غارنا إريه» (Gazeta e Rë) وأنشئت في سنة ١٩٢٨ وهي لسان حال وزارة الخارجية وتصدر باللغة الألبانية، وجريدة «أشقينيا» (Shqipëria) وأنشئت سنة ١٩٢٧ وتصدر باللغة الألبانية، وجريدة «فليتويا زيرتارى» (Fletvoja Zyrtare) وهي الجريدة الرسمية وتصدر كذلك بالألبانية، وجريدة «التلغراف» (Telegraf) وتصدر بالألبانية.

القضاء. — إن القانون العثمانى هو الذى يفصل فى الأحكام النهائية فهناك محاكم مركزية: محكمة فى كل قضاء من أفضية ألبانيا، وهناك محكمة تقض لإبرام بمدينة أشقودرة.

وفي قضاء (مقاطعة) «ميرديتي» يسود حكم العرف الذي كان متبعاً في القرن الخامس عشر الميلادي الذي يرجع أصله إلى الأمير «نكول ليك دو كاجان» (Nkol ick Dukagin) الذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم «دوكاجان زاده محمد بك» في سنة ١٤٦٩ وتشمل «ميرديتي» خمس دوائر قضائية مركزية تسمى ييارق (Bairaq).

أما الضرائب فعامة ومقررة على جميع الأهالي على قدم المساواة. وتحصل ضريبة المشور على المحصولات التي تباع بالزاد العلني في كل قرية، كما أن هناك ضريبة مقررة على المواشي، إذ يحصل على كل رأس منها فرنك ذهباً (نحو أربعة غروش) وكذلك تحصل رسوم الجمارك؛ أما القبائل الجبلية التي كانت تمتنع عن دفع الضرائب للأتراك فقد دفعتها في سنة ١٩٢٠، وبلغ مجموع الضرائب ٧٩٧،٠٠٠ و ١٨ (ثمانية عشر مليوناً وسبعائة وسبعة وتسعين ألفاً) فرنكاً ذهباً.

العادات القديمة: — قلنا إن حكم العرف كان يسود قديماً لاسيما في القرن الخامس عشر، فنضمن القوانين التي كان مرجعها العرف قانون أطلق عليه اسم «البسا» (La Bessa) ومعناه «عهد الصلح» وقد وضع هذا القانون حداً لمسألة الأخذ بالثأر الذي كان يقوم به «الجياكسور» (Gjaksur) ولي الدم، أو «البوبراتيم» (Pobratim) أخو الدم، أو «الكومبار» (Kompar) ومعناه «الأخ المختار» الذي كان يقص خصلة من شعر رأس أصغر أبناء أخيه فيتخذونه أخاً له؛ وقد ألغيت كذلك في القرن التاسع عشر عادة اختطاف فتاة مسلمة من أشرف الليرديتين وتعميدها في الحال للزواج منها؛ وقد أشار السيويكارد (Picard) في سنة ١٩٢٠ إلى أن عدد البانغين الذين قتلوا بسبب الأخذ بالثأر من بين الليرديتين كان يتراوح بين ١٩ و ٤٢ في المائة حسب القبائل سنوياً.

الجيش: — أما الخدمة العسكرية فهي نظرياً عامة، ومدة الخدمة ثمانية عشر شهراً، ويوجد بالجيش الألباني مائة معلم من الإيطاليين، وعدد رجاله ٤,٥٠٠ جندي

مقسمين على ثلاث فصائل تكون في أشقودرة وتيرنا وكورسا ، كما يوجد ٣,٥٠٠ شرطي ، وعدة فرق حرة من المسلمين في الشمال ، وليس لألبانيا بحرية .

### الآعمال والمحصولات

الزراعة : — يبلغ الجزء المنزرع من الأراضي عشرين عاماً متوسط المحصول فيبلغ ٤,٥٠٠ طنونولاه من القمح و ٦,٠٠٠ من الذرة و ١٥,٠٠٠ من الشعير و ٥,٠٠٠ من القطن ، ويزرع بهب اللسان ، ومها كثير من أشجار الفواكه ، ويوجد شجر التين في الجزء الشرق منها .

وتوجد الغابات في المناطق العليا شمالا وشرقا ، أما شجر الرمان والكستل ( أوفرو ) ولزيتون فيوجد على الشاطئ وفي الباسن ، ويبلغ محصوله ١٥,٠٠٠ طنا ، وقد قضي قطع الأشجار في الجنوب على أشجار السماق والسنديان .

الصناعة : — يستغل الفحم الحجري في « بوجراديك » ( Pogradec ) و « كورسا » وديريا ( Durra ) وتوجد بعض مناجم للحاس ولاسفلت ، وقد أنشئ في القرن الثامن عشر مصنع للقيشاني الفينيقي في مدينة ريسنا ( Resna ) .

وقد بقى نظام الجمعيات والشركات كما كان عليه في العهد التركي ، فيوجد ٩٥٠ حانوتا في سوق الباسن و ١,٠٠٠ في سوق أشقودرة و ٦٠٠ في سوق تيرنا .

الشرائط : — جماعة « فالرا » ( Valra ) وقد أسسها فائق بك قونيكافي سنة ١٩١٢ وهي عبارة عن اتحاد ثمانين جمعية تعاون أخوي ، وتوجد أيضا جمعية باسم « جمعية التربية » في مدينة كورسا ، وكذا الجمعية النسوية باسم « إحياء العلوم » في مدينة كورسا أيضا وممكونة من مملات وأرثوذكسيات ، كما توجد عدة أندية عمالة في « بريمتي » ( Premeti ) وأشقودرة .

## الحركة الاقتصادية العامة

الواردات : — بلغت قيمة الواردات ٧٠ مليوناً ليرة ، والصادرات ستة ملايين ليرة في سنة ١٩٢٠ .

وتستورد ألبانيا السكر ولأرز والدقيق والبن والمشروبات الروحية والمنسوجات القطنية والحزيرية والصابون والمواد الكيميائية والحديد والأواني النحاسية .

وتصدر ألبانيا القرمط والشعير والفواكه والخضروات والغنم ولحم الخنزير والسمك للملح والجلود . أما مصرف ( بنك ) الحكومة فمركزه مدينة باري ( Bari ) في إيطاليا .

التجارة الداخلية : — لا توجد سكك حديدية كبيرة ، ولم يبق من السكك الحديدية التي أنشئت إبان الحرب سوى خط واحد موصل بين دورثيس وتيرانا وكافايا ( Kavaja ) وقد دعت الحرب إلى إنشاء خطوط — منها خط بين سانتى كارانتا وموناستير ، وآخر بين فالوفا وسانتى كارانتا ، وثالث بين فالوفا وجينوكسترى ، ورابع بين فالوفا وبيرات ، وخامس بين كورسا وفلورينا ، وسادس بين أشقودره وتيرانا ( ودرئيس ) وكلها غير معتنى بها .

وتوجد ميناء فلورا ( فالوفا ) وثغور لشنجين ( Shengjin ) ( جنوب جيوفانى ده مدوا ) ودرئيس ( دوراتزو ) . أما البريد الجوي فيأطلى .

السياحة : — إن مناظر الجبال في ألبانيا والملابس الأهلية ترغب منذ عدة سنين عددا عظيما من السياح لزيارة ألبانيا بالرغم من صعوبة السفر .

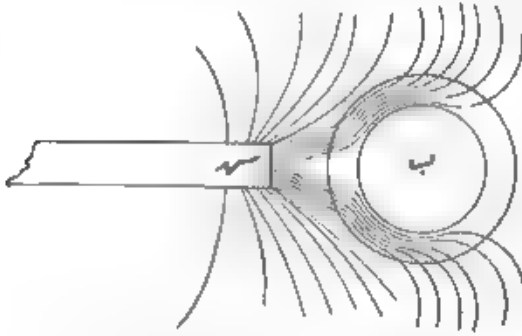
النفود . — لك ( الفرنك الذهب ) بقى وحدة العملة الألبانية نذكارا لمصفر اسم اسكندر بك ( Scanderbeg ) وكثيرا ما يبلغ سعر الريخ حد الريا م٢

## علم الكهرباء

٣

الجذب من قبل الاجسام :

اذا وضعت قطعة من الزجاج أو الخشب أو الورق أو أية مادة أخرى غير حاذية بين جاذب وبين قطعة من الحديد أو غيره من المواد الجاذبة ، ظهر لك أن الجذب يحصل بين الجاذب والمادة الجاذبة كما لو لم يكن توسطهما شيء ، على أنه اذا وضع جاذب صغير أو قطعة من الحديد أو الصلب داخل كرة جوفاء مصنوعة من الحديد فلا يؤثر فيها أى جاذب خارجي ، وسبب هذه الظاهرة هو أن



خطوط القوة الجاذبية تكون موجبة حول الكرة المحتوية على أيهما ، والحالة التي أجملناها آنفا مبينة بيانا واضحا في الشكل رقم (١٦) .

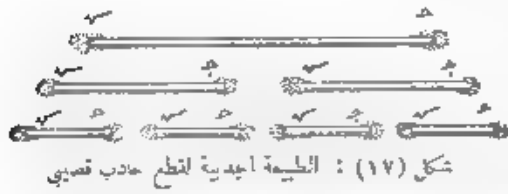
شكل (١٦) : اثر المايز الحديد

في طبيعة الجاذبية

الأدلة على أن الجاذبية من طبيعتها ذات أجزاء دقيقة .

اثر الحرارة :

اذا سخنت كرة فيها خاصة الجذب على النار حتى بلغت درجة الاحمرار فإنها تفقد هذه الخاصية فقد اكليا ، وكذلك اذا هز جاذب أو طرق بالمطرقة أو لوى ، فإن قوة قطبيه القدرة باستعداده لالتقاط المسامير الصغيرة وبرادة الحديد تنقص نقصا كبيرا .



فهدن لأمرن يشير  
الى استنتاج أن الجاذبية لها  
ارتباط بنظام لأجزاء الدقيقة  
عما أن الأسباب التي تشوش هذا النظام تشويشا شديدا في الجاذب تضعف جاذبيته .  
كسر الجاذب :

وكذلك ذكسرت إرة فيها خاصة الجذب فكل جزء منها يرى أنه صار جاذبا كاملا ، ومعنى هذا أنه يبدو في محل الكسر قطبان جديان أى قطب شمالى جديد في الجزء الذى كان فيه القطب الجنوبي الأصلي ، وقطب جنوبى جديد في الجزء الذى كان فيه القطب الشمالى الأصلي ؛ ويمكن الاستمرار في هذا التكسير والتجزئة الثانوية الى غير



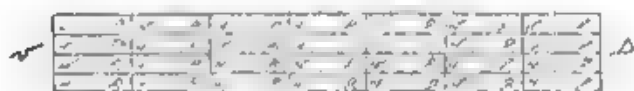
نهاية ، ولكن بنتيجة واحدة وهي البيئة في الشكل رقم (١٧) وهذا الأمر يشير الى استنتاج أن الأجزاء الدقيقة للقطب المكتسب خاصة الجذب هي في ذاتها جواذب صغيرة منظمة على شكل صفوف تكون فيها أقطابها المتقابلة متماصة كما في الشكل رقم (١٩) .

أثر هذه الجاذب :

إذا سعقت قطعة من الصلب غير المكتسب خاصة الجذب سحقا شديدا ، وهي بين قطبي جاذب أو سحنت الى درجة الاحمرار وتركبت تبرد وهي في هذ الوضع ، ظهر أنها اكتسبت تلك الخاصة . وهذا الأمر يدل على أن القضيبي من الحديد أو الصلب الذى لم يكتسب خاصة الجذب من المحتمل أن تكون أجزاؤه الدقيقة جواذب صغيرة منظمة ، إما تنظيما حيثما اتفق ، أو على هيئة طوائف صغيرة متقاربة ، أو على شكل سلاسل كاليمين في الشكل رقم (١٨) بحيث إن الاقطاب المتقابلة في جميعها يبطل بعضها عمل بعض في كل القضيبي ، فأما إن قرب القطب من جاذب فإن أجزائه الدقيقة تتذبذب



حواله بقوة الجذب الخارجية حتى تنظم صفوفها بكيفية ما كما في الشكل رقم (١٩) .  
ونناء على هذا الرأي يكون سبب في أن التسخين وظهر يضعفان الجاذب هو  
أن ضروب الاختلال والتشوش التي من هذا النوع من شأنها أن تهز الأجزاء الدقيقة  
فتخرجها عن نظامها.



ثم إن التسخين

والهز يسهلان

شكل (١٩) . تبيان النظرى بلاحق الدقة في حدث نصبي مشع

أكتساب خاصة جذب إذ كل المصنوب الحالى منها موضوعا بين قطبي جذب، لأنها  
يعينان القوة المكسبة لهذه خاصة على فصل الأجزاء الدقيقة أو سلاسل ووردها الى نظامها.  
ويمكنك أن تضع نموذجاً عملياً مقبلاً للتدليل على هذه النظرية بأن تملأ أنبوبة  
اختبار برادة الحديد، فإذا دأبت هذه الأنبوبة من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر  
يجاذب، رأيت أنها تعمل عمل إبرة معين الجهات، كما لو كانت هي نفسها بإذني قضيبيا،  
ولكنها فقد خاصة الجذب بمجرد هز البرادة، فبرادة الحديد تمثل الأجزاء الدقيقة  
في الحاذب، فإذا عرضت لعمل حاذب، فإن قطبيها في فجرة، كاتسبة خاصة الجذب  
وبجته أقطبها الثلاثة نفسها و سدادها لأنبوبة من سداد هي كى تعمل على الجاذب،  
ولكن إذا هزت البرادة بحيث لا يبقى فرد في سدادها متجهة اتجاهها واحداً، وأبطل  
من أجل ذلك بعضاً من بعض، فقد زال عن الأنبوبة وصف الجاذب.

الحديد اللين أعلى قابلية للتشرب من الحديد الشديد، ولا سبب لذلك إلا أن  
الأجزاء الدقيقة في أولها لا تبدى من مقاومة للقوة التي تميل إلى هزها وإعادتها إلى  
نظامها ما تبدى أجزاء الثانية. وأما أصاب فيه من قابلية حفظ خاصة الجذب أكثر  
مما في الحديد اللين، لأن أجزاءه الدقيقة ليست من سهولة التحريك والإخراج  
من أوضاعها متى استقرت فيها بالمقدار الذى في أجزاء الحديد اللين

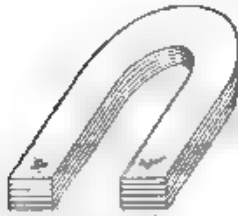
المجاذب المتبعة :

من الأدلة القوية على صحة رأى السانف ذكره ما يشاهد في أن القطعة من الحديد

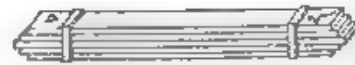
أو الصلب لا يتأثر إكسابها من خاصية الجذب فوق حد معين مهما بلغ مقدار القوة المكسبة لهذه الخاصية . وربما كان هذا الحد مقابلا للحالة التي تكون فيها محاور جميع الأجزاء الدقيقة متوازية كما في الشكل رقم (١٩) فالجاذب الذي يكون في هذه الحالة يسمى مشبعا لأنه أقوى ما يستطيع عمله .

### الجواذب المركبة .

قد ظهر أن الجواذب الطويلة الرقيقة التي تكون في شكلها كقطع الصفيح أو الأسلاك تكون أقوى بالنسبة لوزنها من الجواذب المصنوعة من المواد الصلبة . ومن اليسر عمل حاذب شديد القوة بتقسيم جواذب صفيحية مشبعة معا . وأقوى الجواذب المستمرة يصنع بوضع عدد من الجواذب السلكية الصلبة المشبعة المتماثلة المكثبة الخاصة الجذب متجاورة متلاحمة الأقطاب ، ويريك الشكلان دشا ٢٠ و ٢١ مثالين للجواذب المركبة التي من نموذجي الجاذب القضيبى والعملى .



شكل (٢١) جاذب عملى صليحي



شكل (٢٠)  
جاذب قضيبى صليحي

### الجاذبية الأرضية :

إن في اتجاه إبرة معين الجهات دائما نحو الشمال والجنوب أو قريبا منهما لدليلا على أن الأرض نفسها جاذب عظيم له قطب جنوى جذبى بالقرب من قطبها الشمالى ، وقطب شمالى جذبى بالقرب من قطبها الجنوبى ، لأن قطبها الجذبى اقرب من القطب الشمالى ينبغى بالضرورة أن يكون مغايرا لقطب الجاذب المسلق الذى يتجه نحوه ، وقطب الجاذب المسلق الذى يتجه نحو الشمال هو الذى قضى لاصطلاح بتسميته القطب الشمالى ، وفيما سلف كان هذا القطب من إبرة معين الجهات ( بيت الابره ) يسمى بالقطب المتطلب .

وقد كشف قطب الأرض الجذبى الذى هو قريب من قطبها الشمالى سنة ١٨٣١، كشفه السير جيمس روس فى مدينة بوتيا فيليكس من أعمال كندا عند ٣٠° و ٧٠° من خط العرض شمالا و ٩٥° من خط الطول غربا، ثم عثر عليه ثانية فى سنة ١٩٠٥ القبودان أمود سين فى جهة تبعد قليلا عن النقطة لأولى غربا، ومستقره التقريبى بين ٥° و ٧٠° شمالا ٩٦° و ٩٩° غربا، ومن المحتمل أن يغير وضعه تغيرا بطيئا.

وعدم تطابق القطب الجذبى للأرض وقطبها الاصطلاحي تطابقا كليا هو السبب بالضرورة فى عدم اتجاه إبرة معين لجهات نحو الشمال بالضبط، وفى أن اتجاهها يتغير اذا حركت على سطح الأرض.

وأول من كشف هذا الأمر الأخير هو كولبس فى سفره لى أمريكا، وأحدث كشفه فزعا شديدا بين بحارته. على أن ثمة أسبابا محلية أخرى كوجود دواسب كثيرة من الحجر الحديدى تسبب انحراف إبرة معين لجهات منحرفا موضعيا عن جهة الشمال الحقيقية، وعدد الدرجات التى بها تنحرف لإبرة عن خط الشمال والجنوب فى قطعة معينة يسمى انحراف هذه النقطة.

### البل أو الشروى.

إغرز إبرة تطريز خالية من خاصة الجذب فى قطعة من الفلين كما فى الشكل (٢٢) وهى الرموز لها فيه بحرف «ب» وإغرز فيها إبرة أخرى وهى الرموز لها بحرف «ب» بحيث تكون مع الإبرة الأولى زوايا قائمة، وأحكم هذا التركيب بقطعة من الشمع



شكل (٢٢)

أو بدبوس وهو الرموز له بحرف «ث» حتى يصير فى توازن لا ميل فيه، وتكون النقطة الرموز لها بحرف «ب» كمحور اذا اتجهت الالة «ا» الى الشرق والغرب.

ذا تم ذلك فاكسب الأرض خاصية جذب أقوى بذلك أحد طرفيها من الوسط إلى النهاية بالقطب الشمالي لجذب أقوى، وذلك طرفها الثاني من الوسط إلى نهايته بالقطب الجنوبي لهذا الجذب نفسه، فادأمت الأرض إلى حاملها وأدنتها في خط شمالى جنوبى جاعلا قطبها الشمالى نحو الشمال، لو جد أنها في المنطقة المعتدلة الشمالية تهوى هوى يجمعها تكون زاوية مع الأفق سعتها من  $60^\circ$  درجة إلى  $75^\circ$  درجة. وهذا يدل على أن الخطوط الجذبية للأرض في العروض المذكورة ليست موازية لسطح الأرض مطلقا ولزاوية لو قعة بين هذه الخطوط وسطح الأرض تسمى هوى الأرض أو ميلها، ومقدار هذه الزاوية في مدينة شنغوت  $71.5^\circ$  ومقدارها في مدينة شيكاكو  $42.5^\circ$  وفي القطبين الجذبيين يكون مقدارها بالسريرة  $90^\circ$  درجة، وفيما يسمى خط الاستواء الجذبي وهو خط منحن غير منتظم مارب خطين الحاريتين يكون الهوى صفرا.

### الأرض جاذب عظيم :

من الطرق التعليمية الكثيرة الفائدة حد الدالة على أن الأرض تعمل عمل الجاذب العظيم، أن تمسك أى قضيب عاوى من الحديد أو الصلب إمساكا يكون فيه موازيا لخطوط جذبية الأرض، أعنى أنه يكون موازيا لخط من خطوط الطول المعروفة في علم تقويم البلدان، ولكن مع جعل طرفه الشمالى مائلا على هيئة روية ففرضها  $70^\circ$  درجة ثم طرق أحد طرفيه بمطرقة بعض ضربات تر أن القضيب قد صار جاذبه طرفه العلوى قطب جنوبى مثل القطب الشمالى للأرض، وطرفه السفلى قطب شمالى، فإذا عكست القضيب وطرفه مرة أخرى بمطرقة فعكست جاذبيته أيضا، فإذا أمسك في وضع جعل فيه طرفه من الشرق إلى الغرب وطرق صار مجردا من خاصية الجذب لما يرى من كون كلا طرفيه يجذبان أى طرف من ايرة معين الجهات.

And

يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

ترجمة نصير هذه الآية خلاص الاولوى

"They will find his name and qualities clearly given in the Torah and Evangel."

(Atucy's Commentary).

And

تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ  
ثُمَّ نَنْتَقِلُ فَنَجْعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

ترجمة نصير هذه الآية خلاص الاولوى

"The Lord direct His Prophet to call together his people and their people and make imprecations on those who lied concerning Christ"

(Atucy's Commentary).

As already stated at the beginning of this chapter, the Christians who came to dispute with Mohammed, would be abounded and never as much as utter a single word.

To the ignorant and blinded among them this was proof positive of his truth and not a few of the eminent men and learned rabbis, such as Abdullah Ibn Salam and Moenarich, believed in him.

It is proven by the fact that such a man as Abdullah Ibn Salam, one of the most learned of his who the doctors of the Law would have believed in Mohammed and that the Christians of Najran have ignominiously withdrawn from making imprecations after accusing him of falsehood and deceit.

Moreover, it is very improper that Mohammed would, had he been an impostor, address the infidels in a way and rebraid them with the fact that he is "one of those who know their own children".

It is also incredible that he would dare to maintain such an assertion for but a few moments from him and made him an object of scorn and ridicule.

Had Mohammed been a prophet as it is alleged, he was undeniably the greatest of them. Should he profess to be what he was not, he would have been exposed to the ridicule and ignorance of them all. His enemies would have found him an easy prey and the great edifice which he had, erstwhile, succeeded in raising would have long crumbled to earth.

"There will come after me false prophets" saith Jesus Christ, and on being asked what will their sign be, he answered "Their sign will be that the Lord shall not support them".

The support extended by God to the prophet Mohammad exceeds, by far, such as was rendered to any of the prophets before him. The great change which took place after his mission is unprecedented in the annals of anterior religions. Any one, who deems it possible that the Lord have supported and made him to prevail whereas he was a lying imposter, would be guilty of gross ignorance of the proper attributes due to the Lord and of the divine laws governing His creatures as well as of His justice and wisdom.

Moreover a lying imposter could not hide his false attitude all his lifetime particularly from his most intimate friends.

It would be impossible that such hypocrisy and deceit should remain unexposed for any length of time. For truth has a distinctive quality which vanity completely lacks, and deception is but a false mask which the lapse of time is bound to tear off some day.

This is more so in the case of someone who has a host of inexorable enemies as Mohammad had.

Yet the history of his companions such as that of Abu-Bekr and Omar bear a glowing testimony to his integrity and moral perfection. For mutual harmony could be achieved only in proportion to the affinity that exists between kindred souls. Character is affected by character and is ultimately tinged with the peculiar traits thereof and this is particularly so in the case of master and disciples where deep and true affection obtains.

Nor is that all, the material phenomena alone performed by Mohammad, more than substantiate his claims. They were cited from the most reliable sources and never, in a single instance, lacked the corroboration of history or tradition. Had those pertinacious cavillers been endowed with a sense of justice and were they only seekers of truth, they would have, unhesitatingly, believed in the authenticity of the Koran which never failed to iterate such verses as

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ،

ترجمة تفسير هذه الآية فلا من يخلو

"The rabbis of the Scripture know Mohammad even as they know their own children whom they confuse not with others, for his name and qualities were clearly given in their books".

(Baidawy's Commentary).

To those of deep insight and penetration, there could be no greater proof of truth than the actions of the claimant to prophethood, his spiritual and moral worth and the influence he exercises for the advancement and well-being of men, rendering them thereby, foremost in Heaven as well as on earth

For such was the state of the Moslem people at the time when they adhered strictly to their faith and the tenets thereof. It would, indeed, be impossible that such far-reaching and important results could be achieved without divine support. The history of the failure of philosophers and others who wielded earthly power fully bears out such a conclusion. Moreover, it should be remembered that Mohamammad was brought up among the savage and ignorant tribes of the Arabs which fact constitutes a proof in itself

---

It is not our intention to discuss in detail the characteristics and miracles of Mohammad. Nor is it our desire to dwell long on the fact that falsehood becomes not such a perfect soul. "I have been sent to perfect the traits of noble conduct" such was Mohammad's mission unto mankind.

Such a great soul from whence issued forth the springs of good unto the whole world could hardly be an evil one. For deceit is a characteristic which has a most pernicious and detrimental effect on the souls and is positively a sign of utter depravity and degradation.

It is an established fact that he who lacks something, cannot but fail to give it, that the true character of a person will, in course of time, be revealed whether he willed it or not and that the soul of man will be laid bare not only through his words and actions but also through his very gestures.

It is recorded of some Arabs that on beholding the divine light of truth which radiated from Mohammad's face, they exclaimed, "Verily this is not the face of an imposter" and consequently believed in him. (1)

Suffice it to say in this connection that Mohammad was so noted for his noble conduct and unimpeachable character that the people of Koraish called him "The Faithful".

Moreover, it has never been the divine rule to give support to imposters claiming prophethood for that would be incompatible with the wisdom and justice of the Lord.

---

1) The same is recorded of Abdullah Ibn Sa'ad a learned Jewish rabbi.

ترجمة تفسير هذه الآيات للشيخ الألباني

'Would the unbelievers do perils to the Koran and meditate the exhortations and admonitions contained therein that, in the day of reckoning as they have committed, they but their heads are so wrapped in darkness that no meditation that no word or truth could find a way thereto.'

(The Explanations)

Much more could be written on this point, but we must pass on the case from other points of view.

On further consideration, it would be readily recognized that the elevation of the Arab people from the lowest depths of ignorance to the high station of knowledge, from servile humiliation to exaltation through the cultivation of a most efficient culture and guidance to a most noble conduct in every sphere of life, that so transformed them that everyone of them had become a free man after having been akin to the beasts of prey. They were given the revelation of the weak and burying their daughters, they were made free from slavery and freed from. Yet in less than no time, the unbelievers, distinct from the believers, were leaders and leaders of their time and the egalitarian was there, was established over the earth.

To those of sound judgement and clear insight it is obvious beyond all doubt, that the source of such a great feat, is the very perfection of His God's perfection. For the virtues rubred from the person by one's just of necessity, be commensurate with his moral worth and attainments.

The object of all divine dispensations is but to deliver mankind from the pernicious evils that beset them and to afford them the correct guidance to their hearts as well as the fear of God in secret and public. It is the bedrock of all good and prosperity. The Prophet Muhammad (s.a.w.) is respect the greatest of all prophets and thus himself affords a perfect example to those who seek a true moral path. As for the other, it is worth to mention the more tangible proofs and the more concrete evidence of the divine and the fundamental principle which is the standard of moral and spiritual excellence the highest possible standard of moral and spiritual excellence.

They fail to comprehend the reality of things and lack the experience of those finer things which afford the souls the bliss of the Kingdom of Heaven to which they aspire.

For in no other wise could man achieve material and spiritual refinement.



Should we fairly consider the book revealed to Mohammad, we would readily recognize the divine source from whence it issued. The reader who studies the Koran carefully would find that it enjoins no more than the worship of God, noble conduct and kindly treatment of men, thus leading to the path of salvation and urging to mercy and benevolence towards God's creatures. It maintains the unity and infallibility of God and points out the love and reverence due unto Him. It further enjoins to entertain no awe except of Him and to seek no refuge save in Him, for He considereth aught of men's outward appearances but looketh deep into their hearts, so that they may attain through faith and integrity, the highest of all virtues and the acme of perfection.

Had this book been faked for some ulterior motive or other, we would have found it altogether different and it would have been a medley of confusion and contradictions instead of being the model of sublime wisdom and perfection that it is.

No wonder, therefore, that the Lord saith in this connection

قُلْ لِّغَيْرِ اجْتِمَاعٍ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ  
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.

ترجمة تفهيم هذه الآية نكلا عن الألوسي

"Were men and Djinn, those supernatural beings who have the power to perform wonders, assemble to produce something equal to the Koran in eloquence, rhyme and superb meaning, they could not, under any circumstance, produce anything like it though they may include amongst them the purest Arabs of the progeny of Ishmael who are masters of rhetoric and oratory. Nay but they could not do it even though they co-operate together for the purpose and support one another all they can".

(Blue's Commentary).

Could such an extraordinary utterance be made by a wavering imposter? For imposters are known, the world over, to be a cowardly lot who feel apprehension on the least possible provocation.

What great faith and conviction must have filled that heart from whence issued at the Lord's behest this significant verse :

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.

ترجمة تفسير هذه الآية نقلًا عن الصاوي

'Should the allegation of the unbelievers that the Koran is a discourse of men, be true, let them summon all they command of their men, djinn and deities apart from the Lord for He alone can produce the like of it, but, when their attempt to emulate the Koran will fail to produce anything approaching it, and it is bound to fail, it would be manifest that the koran is the word of God and belief therein would be incumbent on all, so let them fear hell whose fuel shall be men and the heathen idols they worshipped, and is made to receive those who disbelieved".

(Baidawy's Commentary).

It should be observed that a prophecy is included in this verse foretelling the inevitability of their failure which was duly fulfilled. We have already alluded to the many prophecies foretold in the Koran, a similar one is the prophecy concerning the Jews which runs.

وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ،

ترجمة تفسير هذه الآية نقلًا عن الصاوي

"The Jews claimed that Paradise is exclusively assigned to them to the exclusion of all other people. In refutation of their claims, they were challenged to wish for death if they were so sure of going to Heaven, but never will they wish for it because of the sins they have committed which rendered them liable to hell-fire".

(Baidawy's Commentary).

But they dared not wish for it, even perfunctorily, despite their eagerness to refute his claims.

So much for this digression, to resume the main subject, the failure of the Arabs to emulate the Koran was proof positive, against them as well as all others, of the divine origin thereof even as the healing of the blind and the leper by Jesus was considered a proof against medical practitioners, and the turning of his staff into a serpent by Moses a proof against magicians. Yet the successive corroboration sustained by authentic traditions and versions of the miracles performed by Mohammmad, have never fallen to the lot of Moses, Jesus or any other prophet. In fact such corroboration is completely lacking in their case, and it was only through the Koran that their miracles were confirmed.

But they declined to do it knowing of his truth and their chief spokesman, Al-Akeb, by name said "Ye have witnessed that the man is a prophet and never did a people enter into imprecation against a prophet of God but they were destroyed".

Would not his insistence to purge the souls of the taints of human nature and vile desires be considered a clear indication of his truth? For, indeed, such solicitude could only proceed from a holy soul completely devoid of personal ends and desires and relying for guidance on divine inspiration. Had this not been the case, he would otherwise have lapsed into contradiction and confusion in pursuance of the different ends and according to the ever-changing phases of circumstance.

The following verse is significant in this connection :

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ،  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلها عن الطحاوي

"Let the unbelievers consider the meanings of the Koran and meditate the purport thereof; for had it been a discourse of men as they allege, they would not fail to detect therein many incongruities and contradictions".

(Baidlawy's Commentary).

Would not his wide vision, comprehending as it did, all spheres of human life constitute another sign of his truth? There was not a single concern of man to which he did not prescribe the adequate means for the right conduct thereof. He pointed out the proper attitude in regard to God which leads to the elevation of man's mind and the salvation of his soul, acquainting him thereby, with the finer and higher attributes that dwell within him besides his corporeal frame. Nor was the treatment of his family or of people in general left out, his relations with them were so happily ordered to ensure a happy and contented life.

Would not the failure of the Arabs, who were the acclaimed masters of eloquence and oratory, to emulate the Koran constitute yet another sign of his truth? They were intent on the refutation of his claims and the suppression of his influence, but he continued, therewithal, to upbraid them and heap censure on their conduct as shown in the following verse :

فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ .

مترجمة عن كتب ، رسائل السلام ، حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى

## THE PROPHET MOHAMMAD<sup>(1)</sup>

(Continued)

The attitude of Mohammad towards the Christians was just the same, yet, in no single instance, did a Christian or a Jew dare to deny his truth on those occasions despite the bitter hatred and animosity they harboured against him and their eagerness to refute his claims.

Not was that all, he called upon the Christians at the behest of the Lord

« تَعَالَوْا نَدْعُ أَنْبَاءَنَا وَأَنْبَاءَكُمْ وَرِيسَاءَنَا وَرِيسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ  
لَنَمُتَ نَبْتَسِلَ فَتُجْعَلَ لِعَذَّةِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نكالا عن الأئمة

"to summon together his people and their people and make imprecations on those who lied concerning Christ" (2)

(Alucy's Commentary).

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh Youssef E. Digwy's book 'Messagen of Peace'.

(2) The Christians of Najran sent a deputation to dispute with Mohammad concerning Christ. They agreed to abide the trial mentioned in the verse but at the last moment their courage failed them.



هذه كراسة تذكروا كانت من هديته هذه منافع ورسالة شتى السلام  
 في شهر رمضان سنة ١٣٥٠ م

# بفكر الأستاذ الأبرار

مجد دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصديقها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غمرة كل شهر عربي

الطبعة الثانية

رمضان سنة ١٣٥٠

الطبعة التاسعة

رئيس التحرير

السيد

محمد الحصري

من علماء الأزهر

مدير إدارة المطبعة

عبدالحق بن عبدالحق

المستشار بمحكمة الاستئناف  
 ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى



## الاشتراك

- ٤٠ . . . . . واحد النظم المصري
- ٢٠ . . . . . طلبة المدارس والمعاهد والمدارس
- ١٠ . . . . . صرح النظم المصري
- ٣٠ . . . . . لطيفة المعاهد والمدارس

## الإدارة

شارع محمد مظلوم باشا رقم ١  
 تليفون : ٨٤٣٣٣  
 الرسائل تسكون باسم مدير المطبعة

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والبالغ معاملة الطلاب

ونعم الجزء الواحد ٣ صاغ داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٥ - ١٩٣٦ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### السنة - والبدعة

٢

ويتصل يبحث السنة مسألتان جرى فيهما اختلاف علماء الشريعة ( إحداهما ) ما يقوم الدليل على أنه سنة ، ثم يتهاون فيه الناس ، ولا يحتفظ به إلا فريق عرفوا باسم المبتدعة من ناحية اعتقاد أو عمل ، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى ترك هذه السنة احتراماً من التشبه بالمبتدعة ، وضرب المثل لهذا بتسطيح القبور وانتفخ باليمن : والحق أن محافظة بعض المبتدعة على سنة حتى تصير شعار لهم ، لا يخرجها عن حقيقة السنة ، ولا يرال خطاب الاقتداء بالبي صلى الله عليه وسلم فيها متوجهاً إلى أولئك الذين تركوا السنة حتى يعودوا إليها .

( ثانيتهما ) ما يخشى من فعله اعتقاد العامة لوجوبه ، فقد راعى بعض الأئمة مفسدة اعتقاد العامة لوجوب ما هو مندوب إليه ، كما ذهب الإمام مالك إلى كراهة صوم ستة أيام من شوال مع صحة حديث الورد في فضله ، خشية أن يعتقد العامة وجوبها ، قال أبو اسحاق الشافعي . والذي خشي منه مالك وقع في المعجم ، فصاروا يتركون المسحurin على عاداتهم والبرواقين .

وكذلك قال أبو اسحاق المروزي من أصحاب الإمام الشافعي : لا أحب أن يداوم الإمام على مثل أن يقرأ كل يوم جمعة بسورة الجمعة ونحوها ، لئلا يعتقد العامة وجوبه ، ولجمهور لا يقيمون للخوف من اعتقاد العامة وزناً . والتبعة في مثل هذا على أهل العلم

إذ هم المطالبون بتعليم الناس آداب دينهم وهدايتهم إلى سبيل ربهم ، وانظروا إلى ما صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قبل الحجر الأسود وقال : « إني أعرأئك لا أنضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك مقبلتك <sup>(١)</sup> » فقد جمع بين الأخذ بالسنة ودفع ما عساه يخطر في أذهان العامة من اعتقاد فاسد .

البرعمة :

البدعة في اللغة لأمر المحدث على غير مثال ، محمود أو كان الأمر مذموماً ، ووردت البدعة في لسان الشرع ، فذهب الفقهاء في الحديث عنها مذهبين . ( أحدهما ) مذهب من يتوسع في معناها فيحتملها على ما أحدث بعد عهد النبوة ، سواء كان راجعاً إلى المبادات أم للمعاملات ، وسواء أكان حسناً أم قبيحاً ، قال الامام الشافعي رضي الله عنه : المحدثات من الأمور ضربان : أحدهما ما أحدث بخلاف كتاب أو سنة أو أثر أو إجماع ، فهذه البدعة الضلالة ، والثاني ما أحدث من الخير ، وهذه محدثة غير مذمومة . وعلى هذه الطريقة جرى عز الدين بن عبد السلام إذ قسم البدعة إلى واجبة كوضع عيد العربية وتعليمه ، ومندوبة كإقامة المدارس ، ومكروهة كتزويق المساجد ، ومحرمة كتأحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي ، ومباحة كوضع الأظعمة على الموائد ألواناً .

( ثانيهما ) مذهب من يفسر المدعة بالطريقة المخترعة على أهل من الدين وليست من الدين في شيء ، فهي مذمومة في كل حال ، ولا بدخل في حقيقتها وجب أو مندوب أو مباح ، وعلى هذا المعنى ورد قوله صلى الله عليه وسلم . « وكل بدعة ضلالة » وهذا ما يريد الامام مالك رضي الله عنه في قوله : « من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله تعالى يقول : ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ) » .



وأصحاب هذه الطريقة يحملون قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نعمت البدعة هذه» على معنى البدعة في اللغة، كما أن أصحاب الطريقة لأولى بذهبون في قوله صلى الله عليه وسلم: (واشر لأموالهم بدعاتها وكل بدعة ضلالة<sup>(١)</sup>) إلى أن الرد من المحدث والبدعة نوع خاص من المحدثات والبدع، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة. والابتداع إما إحداث أمر في الدين غير مشروع من أصله، كصلاة الرغائب في رجب، وصلاة ليلة عاشوراء، وإما زيادة على أمر مشروع، كالذكر يقرر بالرقص في حركات متطابقة، وإما نقص من المشروع، كالذكر باسم مفرد في رأى من يعمده بدعة، نظراً إلى أن لوارد إنما هو ذكر الله بلفظ مركب مفيد، وإما تحويل المشروع عن موضعه، كتقديم خطبة العيد على الصلاة.

ويدخل في البدع كل عمل استند صاحبه في ابتداعه إلى حديث موضوع، كالرقص في حال الذكر الذي يروى فيه دعاءه حديثاً موضوعاً هو «أن النبي صلى الله عليه وسلم تواجد واهتز حتى سقط الرءاء عن منكبيه» أما الحديث الضعيف يدل على فضل عمل خاص فينبى عن العمل بسم البدعة، بشرط أن لا يكون ضعيفاً جداً، وأن يشهد لما رغب فيه من العمل أصل عام من أصول الشريعة.

ويدخل في البدعة ترك المأذون فيه على وجه التدين، وتسمى البدعة التركية، وقد سدت الشريعة الطريق دون هذه البدعة إذ لم يعم قوم أن يقوموا في خطبتينها، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) ولم تعد هذه البدعة بعد نزول الآية أساساً يتعلقون بها ويحسبون أنهم يتقربون إلى الله بالتزامها، وإلى محذروا إليها من ناحية الزهد، وللزهد مواطن لا يدخل ترك الطيبات في حدودها.

دعى الحسن البصرى لى طعام ومعه أخصاه وفرقد السبخى<sup>(١)</sup> فقمعدو على المائدة وعليها ألوان من الدجاج باسمن والغالوذج وغير ذلك ، فتنزل فرقد ناحية ، فسأل الحسن . أهو صائم ؟ قلوا : لا ، ولكننه يكره هذه الألوان ، فأقبل الحسن عليه ، وقال . يافرقد أترى لعاب الحبل بلباب الرئ مخاض السمن . يعيبه مسلم :

ومن البدع التى يلبسها بعض المتصوفة بدعوى لزهد أثواب ينشئونها من قطع مختلفة ، وتسمى المرقعات ، قال القاضى أبوبكر بن العربى فى كتب المعارضة : إن الثوب ذ خرق منه جزء كان طارح جميعه من الكبير والمباهدة والتكاثر فى لادياء ، وإذا رقعته كان بعكس ذلك كله ، ووقع الخلفاء ثيابهم ، والحديث مشهور عن عمر ، وذلك شعار الصالحين وسنة المتقين ، حتى اتخذ الصوفية شعارا ، جعلته فى الجديد وإنشاء مرقعة من أصلها ، وهذا ليس سنة ، بل هو بدعة عظيمة ، داخل فى باب الرياء ، وإنما المقصود بالترقيع استدامة الانتفاع بالثوب على هيئة البلى .

ومن أقبح البدع ماوضع موضع سنة كالاستحارة بنحو المصحف والسبحة بدل الاستغفرة لواردة فى السنة التى هى صلاة ركعتين بالقائحة وسورتى الكافرون والإخلاص ، ثم الدعاء ( اللهم إنى أستخيرك بعلمك الخ ) ، ولو قال إنسان لآخر عند الملاقاة : « صباح الخير » أو « أسعد الله صباحكم » مثلا - فى موضع السلام عليكم ، لعد صنيعه هذا من قبيل وضع الحديث مكان السنة ، غير أن الفرق بين هذا المثال وما تقدمه أن الاستحارة بنحو المصحف والسبحة ممنوعة فى نفسها ، قال القاضى أبوبكر بن العربى فى كتاب الأحكام بعد أن تكلم على التعرض للغيب : فإن قيل فهل يجوز طاب ذلك فى المصحف ؟ قلنا لا يجوز ، فإنه لا يتبين للمصحف ليعلم به الغيب ، إنما بينت آياته ، ورسمت كلماته ليمنع عن الغيب ، فلا تشتغلوا به ولا يتعرض أحدكم له . وأمانحو « أسعد

(١) السبخة موضع بالبحر ينسب إليه فرقد لانه كان يادى إليه .

الله صباحكم « فإنما ينكر حيث يوضع موضع تحية الاسلام ، فهو أضيف الى التحية الاسلامية لم يكن في إضافته اليها من بأس .

ومم يفعله بعض الناس بدل حكاية الأذان والدعاء ( اللهم رب هذه الدعوة التامة الخ ) الثابتين في الصحيح أن يقول الشخص : « مرحبا بحبيبي وفرة عيني محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم » ثم يقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه ، ولا نعم لهذا الذي يفعلونه من سند يوثق به حتى يصح أن يقام مقام سنة ثابتة .

ولا يدخل في البدعة ما يفتى به البالغة درجة الاجتهاد وإن خالف الجمهور ، وإنما هو رأى مرجوح وآخر راجح - إلا أن تكون الفتوى مخالفة للنص الجلي من القرآن أو السنة ، أو القواعد الفاطمة أو الإجماع ، فإن الفتوى تكون حينئذ زلة لا يصح اتبعا، عليها أو المتابعة فيها

والشاهد على ما تقول من أن الأعمال التي تسند الى آراء اجتهادية ولو كانت مرجوحة لا تسمى بدعة ، أن الأئمة المجتهدين يرون أقوال مخالفيهم بالنسبة الى أقوالهم مرجوحة ، ولا ينسبونها الى ضلال ، ولا ينكرون على من يقتدى بهم في المذهب ، وإجماعهم على أن حكم الحاكم يرفع الخلاف ، شاهد على أن المجتهد لا يرى أن العمل بقول مخالفه بدعة ، ولو كان في نظره بدعة لم أفتى بإقراره وهو يعلم أن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . فلا نسمي الصلاة لغير الخسوف والكسوف كالزلة والريح الشديدة بدعة وضلالة ، وصاحبها مبتدعا ضالا ، لأنها مشروعة عند بعض الأئمة وإن كانت أدلهم فيما نرى أو يرى الامام الذي تفقها على مذهبه ، واهية مرجوحة .

نقول هذا تحذير من قوم لم يدرسوا أصول الدين ، ولم يتعرفوا مقاصد الشريعة ولجروا ما يتلون آية أو حديثا ويبدو لهم - وهم أشباه العامة - أن ما يقوله الامام فلان أو الأئمة لأئمة مخالف للآية أو الحديث ، يعملون الى الإسكار ، ولا يبالون أن يسموا العمل على ما ظهر لهم من أنه مخالف لنص الكتاب أو السنة ، بدعة ، وصاحبها مبتدعا

و إذا كان في أشباه العامة من يقرأ الحديث في صحيح لأمام البخاري أو الإمام مسلم مثلاً - ولا يحسن أن يتفقه فيه على مقتضى أصول الشريعة ، فيخف إلى الطعن في مذاهب لأئمة حتى ينزها بلقب "البدعة" ، فإن في المستضعفين من أهل العلم من يعتمد على أعمال يتدعها العامة مخالفة للصوم الجلية أو القواعد القطعية ، فيطلب لها مخرجا يبتغى بها مرضاتهم ( وَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ) .

ومن أضر البدع ما يكون إتلافاً للمال وإتفاقاً له في غير جدوى كإيقاد الشموع على قبور الأولياء بقصد القرية . ومن أجلبها للأضرار ما يعوق عن فعل خير كالاستخارات غير الشرعية ، فقد يتفق قناص المصحف أن يقع نظره على آية فيها معنى "لهي - مثلاً - فيترك الأمر ويكون في فعله لو استشار أو اعتمد على الاستخارة الشرعية خير كثير . ومن شرها ما يفعل بدعوى القرية ويصكون في الواقع مثيراً للأهواء ، مبعداً للنفوس عن التقوى ، كهذه الأشعار التي توصف فيها الخمر والفواني والغلمان ، ولا يتحاشى فيها عن ذكر أمشق والمهجر والوصال والعيون والنفور والرضاب ، ويتغنى بها في المجامع زعم أنها كتابات أو إشارات لها تعلق بالحضرة الإلهية أو النبوية .

ومن أسوأ البدع ما يضاهي به بعض طرقات المخالين ، كهذا الذي يدعو إليه بعض الزائغين أو المغففين من إقامة خليفة (روحي) لاجندله ولا سلاح ، ولا يملك من تنفيذ الأحكام الشرعية قليلاً ولا كثيراً ، يدعو إليه الزائغون لأنهم يريدون تخاذله رمزاً لفصل الدين عن السياسة ، ويدعو إليه بعض المغففين لأنهم لم ينتبهوا لضرورة الزائغين أول قصد الشارع في إقامة خليفة من مصلحة اتحاد كلمة المسلمين وتنفيذ أحكام شريعته الفراء ، وإنما يتعد المسلمون تحت راية من يحترمونه لعدله وجهاده في الحق جهاداً يطمس على أثر الباطل ، وإنما يقيم أحكام الشريعة على وجهها من يكون في لسانه حجة وفي يده قوة .

ومن البدع التي جاء الاسلام ليقتلها من منبتها أعمال يبينها أصحابها على زعم أنها نقي من الجبر، وليس بينها وبين هذه الوقاية من صلة، كدبج حيران، أو صنع طعام، باعتقاد أنه يجلب رضام، ويكون سبباً لدفع ضرر يتوهم أنه يحيى، من فاحيتهم. ذكر لابن شهاب أن إبراهيم بن هشام المحزومي أخرى عينا فقال له بعض المهندسين عند طهور الماء: لو أهرقت عليها دما كان أخرى أن لا تفيض ولا تغور فتقتل من يعمل فيها، فنحر جزائر<sup>(١)</sup> حتى جرى الماء عسائلا بالدم، وأمر فصيح له ولأصحابه منه طعام، فقال ابن شهاب: أما بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يذبح لاس؟

وقد عرفت أن ترك السنة لا يسند على فعل بدعة - إلا أن ترك السنة على اعتقاد أن خير لدين في تركها، فيكون من قبيل البدعة التركية، كمن يترك الصلاة في جماعة بدعوى أن صلاته في حال انفراد أجمع للقلب وأدعى للخشوع. أما من ترك السنة لغرض ذيوى، فلا يسمى لمجرد تركه السنة مبتدعا، كما اعتاد الناس ترك تسميت<sup>(٢)</sup> الرؤساء مهابة لهم ولو حمدوا الله تعالى بعد العطاس، عطس المأمون مرة في محضر جماعة فهدى شتمه أحد، فقال لهم: لماذا لم تسمتوني؟ قلوا هبتك، فقال: لا خير في مهابة تحرمني من رحمة الله. وإنما أمات هذه السنة في الناس الرؤساء استكفاف بعضهم من الرد على من يشتمهم، وما كان لهم أن يستكفوا.

وإد كانت البدع تشوه وجه الدين الخفيف في نظر من يجهاون حقائقه فضلا عما تجرد من المفاصد العظيمة والمناثم، فمن الواجب على أهل العدم أن يحاربوها بما استطاعوا، وعلى القوة لحكمة أن تشد أزرهم في تنييرها، وكثير من البدع لا تقتاع عروقها ويظن على آثارها إلا أن تعاضد القوتان: العلمية والتنفيذية على إمامتها، قال عز الدين ابن عبد السلام في رسالة<sup>(٣)</sup> أنكر فيها بدعة صلاة الرغائب «ولما صح عند الملك

(١) جمع جزور وهي الناقة المجروءة أي المتجروءة. (٢) تسميت العاطس الدعاء له. (٣) أوردتها

ابن السبكي في طبعات لشاذل ج ٤ ص ١٠٥

الكامل رحمه الله أنها من البدع المقتناة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبطلها من لدير المصرية ، فطوبى لمن تولى شيئاً من أمور المسلمين ، فأعان على إمامة بدعة أو إحياء سنة .

هذه كلمة موجزة في السنة والبدعة ، وسنعود إلى هذا البحث إن شاء الله تعالى  
تارة أخرى

محمد الخضر حسين

## النظر في الملح

قال سفيان الثوري : العالم طيب هذه الأمة ، والمال ديوها ، فإذا كان يجُرُّ الدماء إلى نفسه ، فكيف يعالج غيره ؟ .



لما مرض الإمام الشافعي رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه قال لقومه : اذْ أَمَّا مَتَّ فَقُولُوا لِقُلَانٍ يُعَسِّلِي . فلما تَوَقَّيَ وَبَلَغَهُ الْخَبَرُ قَالَ : ائْتُونِي بِتَدْ كِرْتَهْ . فجئ بها إليه ، فوجد فيها على الشافعي سبعين ألف درهم دينا لقلان وفلان ، فكسها الرجل على نفسه وقال : هذا هو العُسل الذي أَرَادَهُ .

# التفسير

## تفسير سورة النور

وهي سورة الرابعة والعشرون وآياتها ثمان وستون وقيل أربع

وستون ، وهي مدنية إجماعاً واستثنى بعضهم آية :

(وَلَيْسَ الذِّكُّمُ الدِّينَ مَا يَبْلُغُوا الْحُلُمَ)

والأكثر على أنها مدنية أيضاً

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد في المجلة سؤال عن تفسير قوله تعالى : ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ )  
الآية ، فخطرنا واذ الآية في سورة النور ، معقبه آيات تتعلق بتنظيم الحياة المنزلية  
وصور روابط الأسرة وبين حقوق وواجبات العشرة واختلاط بين الجنسين :  
الذكور والإناث ؛ واد بكل هذا يتصل اتصالاً تاماً بما بدأنا الكلام فيه من روابط  
الحياة المنزلية ؛ ثم هو دواء شاف وعلاج ناجع لما أصابها من الأمراض في هئتها  
الاجتماعية الحاضرة ، هذا بنا ذلك كله لي اشرع في تفسير السورة بتمامها مما يصل لنا  
إن شاء الله تعالى لي تفسير الآية السكرية المستول عليها ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ )  
ولا نرى في ذلك إيماداً مؤملاً للدائل فما اجتهدنا من عرضه إلا إكالا لفائدته  
وذئدة القارئين وفائدتنا معهم إن شاء الله ، والله المستعان :

قال الله تبارك وتعالى: **مِمَّنْ أَنْزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** .

السورة جملة من قرآن الكريم مستقلة بذاتها، ذات مدية ونهاية معلومتين شرعا بالتوقيف . وهي تشتمل على آيات أقال ثلاث ؛ وأصل تسميتها من السور وهو البناء لدى بحيد بالندية ، لأنها نجيد بالآي المشئلة هي عليها إحاطة بحددها ولا تدع بابا للزيادة عليها . لا يسفر عنها ؛ أو من لسورة بمعنى انزلة وانزلة ، من كل سورة من القرآن من قرأها وفهمها حق فهمها فقد وصل إلى منزلة من "علم ومرتبة حقته أن يعنى بها وية بصبر حر زها ؛ وكلا لوجهين فيه حكمة اتقسم القرآن سور ، فإن التقارى إذا حفظ جملة مستقلة عمدتها وسهايتها حق له أن يستريح إلى ما أحرز ويتهيج عما نال ، إذ تم جملة صالحة للوقوف عندها ، قد جعل لها الدارعة معنى مستغلا عما قبلي وما بعدها ، والنفوس سادة سترحة حين وصولها إلى قدم شيء تعالجه . ومن كان سيبه آخر من نوعه ، كالمسافر قطع مرحلة فيتمسك بالراحة ثم يستأنف السفر بنشاط جديد ، وكذلك تسر النفس إذ تسهر أهدأ أحرزت منزلة حصة ، وحازت مرتبة معينة من الفضائل والفوائد والأحكام ، قد جعل لها الشارع قيمة معينة تاجع من أحكامها وآبها في نسق واحد ، فكل من حاز مرتبة مها فقد أحرز شيئا كاملا يبعث سروره ويوجب عبطته

والإنزال الوحي من الله تعالى إلى نبيه ، على لسان جهيل أو بدونه ، كما قال جل شأنه : **أَوْ مَا كَلَّ إِنشِرِ أَرْبُكُمُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رُسُلًا** ) والتعبير بالإنزال أو التنزيل ، لأن مصدر هذا الوحي هو الأعلى لا على ، فكل ما سواه فهو بادل ، ومعلوم أن العلو هو العلو لرتبي ، إذ ليس للباري جل وعلا مكان ولا جهة ، أو لأن الله الذي ينزل به ينزل من جهة السماء ، وهو من الملائكة الأعلى ، وذلك علو حسي ومعنوي أيضا ، باعتبار علو منزلة الملائكة عامة على الإنسان في الجملة . وذلك لأننا في محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق .



والفرض الحز في الشيء، والنقطع غير المستأصل، ومنه قيل بوضع الفوس من الوتر فرض، سمي به لأمر الجازم لما في الحز من الثبات وعدم الحو، ومنه جاء قوله تعالى في بيان الحزم في الأمر: (فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) أي بين ما أوحى إليك بلاغا جازما مؤثرا أثر ثابت لا يمحي كالصدع في الرجح، وعلى كل حال فمضى انقطع في تحته الأمر مستفيض بأي لفظ ورد كالبت والجزم، ولايات جمع آية، وهي في الأصل العلامة ولا مارة، نقول: آية ما بيني وبينك أن أشير بكذا أو أرسل كذا، وأكثر استعمالها في الشئون ذات الخطر، فهي سهد، تفارق السنة والعلامة. وتطلق على العبرة لأنها علامة ودليل على عظمة قدره الخالق وعلو سلطانه وقهره، وإطلاقها على الجملة من القرآن الكريم، لأنها بما احتوت عليه من إيجاز أو حكمة بالغه أو خبر عن غيب أو ماثل ذلك، علامة على صدقه صلى الله عليه وسلم في أنه إنما يبلغ عن ربه.

والبينات جمع بينة، من بان بنى الضع، ووضوحها إما في ذاتها وإما في دلالتها على ما قصد منها وما أقيمت شاهد على صحتها، ومنه البينة بمعنى الشهادة، لأنها واضحة لدلالة على صدق ما قامت عليه.

ولعل في أصلها الترجي، وهي توقع أمر مرعوب فيه. أو لتوقع أمر مخوف مكروه، وهذا المعنى محال في حقه جل شأنه، فتعمل في كلامه عز وجل على التبدل، أي أن ما بعدهما علة لما قبلها، فهي كاللام التعليية إلا أنه يفرق بين موقعها ومواقع اللام، فإن اللام وكى وأمثاله تقع في القرآن العزيز لبيان العلة المؤدية إلى المعلوم حتما، وأما لعل وعسى فهما للعلة بمعنى التهيئة للحكم المعلومها وتيسير أسبابه، وينبغي لتحقيق توجهه المخاطب أو اختبار من تعلق به الحكم، ومحصل ذلك أن التعليل باللام يكون في العلة امكتفية بنفسها، والتعليل يسمى لعل للعلة المتوقفة على اختيار المختار وقد تستعملان بمعنى الترجية، أي حمل المكافئين على الترجي، كقوله تعالى (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) والتذكر معناه استحضار معلومات كامنة في النفس عائدة عنها.

بدأ جل شأنه هذه السورة الكريمة بما هو متحقق في كل سورة، وهو (سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات) ف من سورة من القرآن الكريم إلا وهي سورة أنزلها جل شأنه وفرضها على عباده، فرض الإذعان لها والتصديق بما فيها، والعمل بما احتوت عليه من أحكام إن كانت من سور الأحكام، واعتقاد أنها من عند الله، وأنزل فيها آيات بينات، وإنما اختص هذه السورة بهذه البداية لتربية الاتباع في نفس سامعها، والتفطن لما سيأتي عليه فيها، تنويها بشأنه وتعليلها، مثل ذلك - والله المثل الأعلى - مثل أن تقول لمخاطبك في أمر تعني به فصل عناية وتهتم به عظيم اهتمام تقول له: «كلمة أقولها لك» أو «موضوع ألقى إليك» أو «مسألة عرفت لك» وما من كلام تحدث به مخاطبك إلا وهو من هذا القبيل، وإنما يريد بذلك أن تسترعى تباهاه وتوجهه اهتمامه، وكذلك إذا تحدثت إلى عظيم في شئون شتى ثم أردت أن تعرض لأمر أنت به جد مهم فتقول له: «كلمة أريد أن أقولها» فإليك تسمع منه حينئذ ما يدل على أنه أعطاك إصفا، خاصا، فتقولها وأنت وثق من إحرازها اسمه واتباهه.

وإنما عني في هذه السورة بذلك لأنها جاءت في شأن من أخطر شئون الحياة، وهو صون الحياة المزلية مما يهددها من أخطار الأمراض، وتنظيم الخلطة بين الناس على وجه يكفل الخير ويبعد عن الشر، فقد تضمنت حكم من لم يحفظ فرجه من زانية وزان، ومن هذا يظهر سر مناسبة هذه السورة لسورة (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) التي فيها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ) فكانها عود على بدء، وبيان شأن الفروج وحفظها، وما يجب أن يراعى في حفظها ويحتاط به لصونها يانا شافيا وفيها، لأمر هو من أخطر أمور الحياة وأشدها تعقلا بنظامها ودوام سمادتها، ثم بيان ما يجب للأبضاع من الحرمة والصون، حتى عن أن تنال بقذف بالكلام، ورتب الأحكام الشديدة على القذف، ومساق قصة الإفك ببسط الآداب والأحكام، تنبيها على عظم خطره، ولا ذلك

لأمر بغض البصر وصور الأجسام عن التبذل والتكشف، وأمر النساء بالاحتشام والنستر، وكل ذلك من توسيع الحى الذى نجب صيانه فى سبيل صون المروج وحفظها، ثم لأمر بالاستئذان حذراً من مفاجأة النظر، ثم الأمر بالإفكاح وأمر من لا يقدر بالاستعفاف، وانهى عن إكرام الفتيات على البغاء، وهكذا من الإرشادات التى لا تستقر السعادة فى منزل لم يتمسك بها، وجاء بعد ذلك وما يتفق به قوله جل شانه: (اللَّهُ يُؤْتِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) على ما يتضح وجه الجملان فيه إن شاء الله تعالى.

ومما يزيد أحكام هذه السورة عناية فوق ما تقدم أنها تعالج مرضاً قوياً لاستحكام فى النفوس، قوى التأثير فيها، قوى المأخذ والأسباب المؤدية اليه، وذلك هو طغيان القوة الشهوية فى الانسان حتى تخرج به عن الحد الذى رسمه لها المليم الحكيم، وحسبك من قوة هذا الشر أنه شر يتعاون فيه نفسان على كل منهما لتفسد عليه عقله ودينه، فالرجل مثلاً يداعب المرأة ويخاطبها حتى يستأب منها عفاقها ويعيث بصيائها وعصمتها، ونفس المرأة وما جبلت عليه من شهوة مستعكة فيها تساعد ذلك الرجل الصائل، لأنها هى تشاركه فى هذا الأرب، فتتعاون نفسها ونفسه الشريرتان على ما فيها من عاطفة خير من حياء أو دين، أو حمية لمرض أو أسرة، وعاملان ضعيفان يغلبان قوياً، فما بالك برغبتين قويتى الحياة واليقظة يتسلطان على عامل الحياء أو الدين لئلا يضعف رويده، حتى يتورى ويستقيم مغلوباً على أمره، لكثرة المداعبات أو لمخاطبات التى كل مرة منها تترك فى النفس أثراً سيئاً يبعد عن الخير ويقرب إلى الشر، وكما تقول فى مداعبة الرجل للمرأة حتى يغلبها على نفسها تقول فى مشاغل النساء للرجال بالنعروض والتبرج، والصد تارة والنوا أخرى من وسائل الشيطان وحباله، ولا تنس خطرات الشيطان يدهم وسفارته لها حتى يحبك الشر ويقتنص الفريسة بل الفريستين، بما يقيمه فى روعهما من تسهيل الخطر واغتنام الفرص، وهكذا حتى تغفل النفس عن

دينها وأديها، وهذا يعني، قوله صلى الله عليه وسلم ( لا زنى الزانى حين زنى وهو مؤمن أى أنه لا يمكن أن يكون حاضر لايمان مستحضر الما يستفده من عقيدة راسخة في نفسه ، ولو أنها حشرت في ذمه حينئذ لاستحال أن يقترب من تلك العصية ، فلو لم يمنعه الخوف من العقاب لمنعه الحياء من على الجباب .

وانظر تعقيب آخرى في قوله : « تستحى من موكك ، وأنت برأى مايكك » فهل نظن أن الرجل الذى يستحى حين يطالع خادمه على نفسه ، وتضع رغبته المستحكة لسامع صوت يخشى أن يكشف سره ولو به تلك شيئا من أمره - أترام يستحضر أن الله مطلع عليه، يعلم سره وعلايته، ولا يخفى عليه منه شيء ؟ أليس هذا غافلا إلى درجة أشبه الإنكار عن عبد ربه وقدرته ؟ حكى أن رجلا عثر بامرأة فامتعت عليه، فقال: ماذا تخشين ولا أحد بر ناسوى الكوكب ؟ فقلت : فأين مكوكب ؟ فكاد يصق ، وهو هاربا منها ، ألا يعطيك هـد معنى واضحا لحديث ( لا زنى الزانى حين زنى وهو مؤمن ) ؟

هد في قوة داعية الزنى وعوامل فتعاضد هذا الخي المصون أما آثاره السيئة وتنتائج المعقولة فأكثر من أن تحصى، وأظهر من أن نشرح ، وناهيك بجرمة تركها صاحبها وهو حدلان مسرور ، بينما يخفى على نفسه باغضاب ربه وتعرضه لشديد عقابه ، وعلى خليته هتك عرصها ولمريضها لا قتراف كبيرة وهى لاهية مسرورة ، وتدنيس شرف أسرته وإلحاق العار بأهله وم يقترب من جرمها شيئا ، ثم الحماية على الجنين الذى قد يولد بينهما فيعرض للقتل وهو انعالب ، أو لصيغ والمفرد منه، والعار للملارم وحتقر كل من عرفه ، أو الجناية على بهما إن كان لها بعل ، وعلى أولاده بفتحام شخص غريب يدهم إشارتهم بلا حق في رزقهم وشرفهم وسهم وكل خوصهم ، ثم يتبع ذلك أحكام لا يعلمها ، لا علام الغيوب هذا نظرت إلى الأضرار الصحبة وما ألبته الطب من مضار تزدى مما فردد له التليف تبين لك الضرر مجسما

وبعد، فإن هذا الأمر الملقوت متى وقع فيه شخص مرة استمرأه وأحب التنقل فيه، فلا يزال يحبك شراكه لا يقاع الأبرياء في وهنته حتى يتفاقم الشر ويتزايد الضرر، وكلما جاء عامل جديد فتح به باب من الشر جديد.

هذا شيء من نتائج السيئة، وذلك شيء من عوامله ودواعيه القوية، فهل يستغرب أن يكون الأسلوب في علاجه هو أن تجمع الأذهان وتستريح النفوس لما بقي عليها في شأنه من الأحكام المفصلة والآيات البيّنات لعلكم تذكرون؟ أجل: إن ذكر الأحكام الزاجرة على الوجه التمهيلي، وتنويع الأساليب المنبهة لما فيه من مزالق للنفوس الغافلة، ومسالك للشيطان ولأهواءه، مدعاة للذكرى، وإن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقد قرئ فرضناها بالتشديد، إما على معنى فصلنا فرأضها تفصيلاً يعين على الذكرى، وإما على معنى أكثرنا فيها من الفرش ولا أحكام، أو لكثرة المفروض عليهم بكثرة لأحوال التي تمس هذه الأحكام وتتعلق بها، وهي أحوال لا تكاد تخلو أسرة بل مرد منها ومن التمرض لها، وقولنا: «يعين على الذكرى» بوضع لك التعليل في لعل، وأنه غير التعليل باللام وكى ونحوهما.

قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَادَةٌ عَنْ يَحْمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

لزنى: الفجور المنكر. ولا نقول المعروف، فهو أبعد ما يكون عن المعروف. ويعرفه الفقهاء بأنه الإيلاج في القبل أو التمسكين منه، سواء أحصل من الرجل أو المرأة، فكل من الموج والممكن يسمى زنى. وجلد الصرب، وأصله إصابة الجلد واستعمل في مطلق الصرب، أصاب الجلد أو كان على حائل، بشرط ألا يمنع الألم.

وقيل : الجلد الضرب بالجلد كسوط ونحوه . والأخذ الحيازة . والرأفة الشفقة والتلطاف في المعاملة ورقة القلب ، أو هي أشد الرحمة التي هي رقة القلب . ومعنى هذا التعبير التحذير من أن تؤثر الرأفة في العزيمة فنصرف الشخص عما صمم عليه ، وأصل ذلك أن الأخذ يستولى على المأخوذ وينطلق تصرفه فيه حسب ما يريد ، فكان الرأفة إذا أثرت فيه على وفق مقتضاها وصرفت عزيمته عن وجهتها تكون قد استولت عليه وأخذته ، ومثل ذلك : لا تأخذنه في الله لومة لائم ، أي أن اللوم لا يؤثر فيه ولا يتصرف في إرادته كما يتصرف الخائز فيما يحوزه ، وهو من أبلغ الأساليب في التعبير .

وقوله تعالى : ( إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) من باب إلهاب الحمية واستنهاض العزيمة ، وتقرير التصميم بإسناده إلى أعز شيء في النفس وهو الإيمان ، كما تقول مخاطبك : إن كنت رجلاً فلا تعمل كذا ، وكقولهم : الرجل المهذب لا يبصق في الطريق ، وهو شائع في الاستعمال ، وليس معناه أن ترك ذلك مساف للإيمان . والطائفة جماعة لمحيطه بالشيء ، من الطواف وهو الدوران حول الشيء . وقد اختلف الفقهاء في تحديدها هنا : فمنهم من قال : أربعة ، ومنهم من زاد ، ومنهم من اكتفى في التشهير بواحد

وهذا أول الأحكام التي نشتمل عليها هذه السورة الكريمة ، والتي مهد لها بهذه البدءة لعظمة في أول السورة الشريفة ، وقد بدأ به لأنه أهم ما تنبه النفوس إلى خطره ، فهو الخطر الأكبر في هذه المواضع ، وما قرره منه هو المقصود الأعظم في هذا التشريع ، وبقية الأحكام الآتية شرعت من أجله وفي طريق تحقيقه ، فهو مركز الدائرة والنقطة الجوهرية ، وما حوله كعمى يرمى لرعايته ، ويصان توصلًا لصيانيته .

وقد جاء في حكمه عقوبة دنيوية غير المعقوبة الأخروية ، ولعذاب الآخر أشد وأبى - تلك هي عقوبة الجلد بغير المحصن ، والمحصن هو من وطئ في رواج شرعي صحيح ، فحده الرجم بالحجارة حتى يموت ، وفي الجلد مع الإيذاء معنى الاحتقار وإسقاط منزلة

لأن عمن معنى الانسانية ، والحقه بالحيوانات العجوات ' حتى لا تعرف التأديب إلا بالضرب ، ولا ينفع معها زجر ولا نصيح ، ولا بيان محبة ولا إقامة حجة ، فكأنه تجرد عن الانسانية والفهم باللسان ، ولم يبق له إلا ضرب الجلد وإجماعه ، فهو الوسيلة الوحيدة لفهمه كالبهايم ، وكما يقول القائل :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه العقلة

وهل العبد إلا متاع في المعنى مدعوق بالحيوانات العجوات ؟ وزادت الآية في التعذيب معنى آخر يدرك نفسها لانسانية إن بقيت ، وهو معنى التشهير والفضيحة : جعل ضربه أو ضربها أمام طائفة من الناس ، ليكون الخزي والعار أبلغ وأكمل في حقهما ، وكان الناس قد شهدت تجريدتهما من إنسانيتهما فلا حق لهما في إعادة الاعتبار ودعوى الافتخار . وزاد بعض الفقهاء في ذلك تغريب عام ، استنادا للحديث الشريف « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » وهو زيادة في السنة على ما أفادته الآية ، ومثله لا يسمى نسخا ، لأن النسخ هو إلغاء حكم ثبت ، وهذا زيادة حكم لا ينق ، فإن إثبات حكم لا ينفي ثبوت حكم آخر معه .

وبعض الفقهاء يرى أن الاقتصار في مقام البيان يفيد الحصر ، فيكون مدلول الآية أن حد الزنى للمحصن هو الجلد لا غيره ، فإذا جاءت زيادة كتغريب أو غيره كانت نسخا ، لحصر الحد في الجلد المفاد بالآية ، والنسخ لا يكون إذا كان المنسوخ أقوى من النسخ ، وليست السنة الأحادية في قوة للكتاب فلا تنسخه ، فاقصروا في الحد على الجلد ولم يضيفوا إليه التغريب . هذا في حد الزاني غير لمحصن ، وأما المحصن فحدّه الرجم كما سبق ، وقيل حدّه الجلد مع الرجم ، والأول رأى جمهور الفقهاء ، والثاني وهو الجمع بين الجلد والرجم للمحصن رأى الظاهرية وروية عن الامام أحمد ، وعنه رواية أخرى توافق الجمهور وهي الاقتصار على رجم في حد المحصن ، وقد روى عن أنه جمع في محصن بين الجلد والرجم ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الثيب بالثيب

جلد مائة ورمى بالحجارة « أو » ورجم بالحجارة « فإذا قيل يجمع بينهما في حد المحصن فلا يكون هناك نسخ إلا على رأى من يرى الزيادة على الحكم نسخا، لأنها نسخت قصر الحد على الجلد المستفاد من الاختصار في مقام البيان على ما سبق .

وأما إذا جرينا على رأى الجمهور من قصر حد المحصن على الرجم وحده، فيكون في الآية نسخ أو تخصيص، لأن الزاوية والزاني عام للمحصن وغيره، وقد خرج عنه المحصن بحكم آخر وهو الرجم، فيكون تخصيصا . وبعضهم يرى لتخصيص نسخا لإزالة عموم الحكم، وبعضهم لا يراه لبقاء الحكم في البعض ويقصر النسخ على إزالة الحكم بالكيفية، وتفصيل ذلك في علمي الفقه والأصول، وإني الذي يعنيان من هذا هو بيان التخصيص لعموم الآية أو النسخ لها، ففهم من يرى تخصيصها أو نسخها بالسنة التي تواترت معنى وإن كانت تفاصيلها آحادا، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالرجم في عدة وقائع، والسنة المتواترة تنسخ الكتاب، بل السنة لأحادية متى صحت يجوز التخصيص عند القائلين بأن هذا تخصيص لا نسخ .

ومهم من يرى أن النسخ هنا بالكتاب، وذلك أنه كان فيما أزل قرآنا آية نسخت تلاوتها ولم ينسخ حكمها، وهي ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ) والنسخ كما يكون للحكم يكون للتلاوة، ويكون لهما معا، ونسخ التلاوة دخل في معنى النسخ الذي هو رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي، أي لا بقياس ولا إجماع، فلا ينسخ شيء منهما حكم النص، والخطاب أهم من لقولي والفعل، فكل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم في باب التشريع صادر عن خطاب الله عز وجل له، وإنما دخل نسخ التلاوة في معنى النسخ العام الذي هو رفع حكم شرعي، لأن معنى نسخ التلاوة رفع حكم التلاوة عنها من صحة الصلاة بها، وحرمتها علىجنب وحنأض، وحرمة مسها على المحدث وأمثال ذلك، والحكمة في النسخ والكلام في جوازه مبسوط في أصول



الفقه ، وإنما يعين منه لئلا تحس حكمة نسخ تلاوة هذه الآية مع بقاء حكمها ، وكأنه لا شعاع النفس أن الزنى من المحصن أمر لا ينبغي أن يفرض وقوعه حتى يكون حكم حده متلوا على الأئمة في كل زمان ومكان ، بل هو من الشئون التي حققها المدم من الوجود والروال من الأذهان ، فكأنه يراد تصويره بصورة ما لا يكاد يحصل ، وعلى ذلك تكون الآية قد نزلت فنسخت عموم الآية السابقة أو خصصتها على اختلافهم في التعبير ، ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها .

وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال في خطبة : « إن الله بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه كتابا ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم - يعنى الشيخ والشيخة الخ فقرأها ووعينها » ثم قال « وإني خشيت أن يطول بالناس زمان ، فيقول قائل لا نجد رجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن » وقد سمع الصحابة وأقرؤه فاعتبر إجماعا سكوتيا ، وهو يكفي في أنها آية نزلت ، ونسخ تلاوتها لا يؤثر في بقاء حكمها وأنه ناسخ أو مخصص لغيره .

ولقد صح ما كشف به عمر ، فناء جماعة من الخوارج ينكرون الرجم بحجة أنهم لم يروه في كتاب الله ، ويروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنه لما أنكروا عليه القول بالرجم لأنه ليس في كتاب الله ألزمهم بمدد الركعات في الصلاة ومقادير الزكاة ، فقالوا هذا من فعله صلى الله عليه وسلم ، فقال : وهذا من فعله صلى الله عليه وسلم . ولا يدل هذا على أن عمر بن عبد العزيز ينكر أن آية الرجم نزلت ثم نسخت تلاوتها ، بل هو من الرجوع الى طريق أقرب الى الإلزام والإفحام ، وهو الصواب في مناظرة مثل أولئك الخوارج المكابرين ومن يحذو حذوهم .

وعلى الجلة فالقول برجم الزانى المحصن مجمع عليه ، ولا عبرة بشدو الخوارج ، والخلاف إنما هو في موضعين . الأول : أيقصر في حده على الرجم ، وهو رأى الجمهور ، أم يجمع بينه وبين الجلد ، وبه قال فريق كما تقدم . الثانى - بماذا نسخت آية

الجلد أو خصصت أبحاثاً المنسوخة تلاوها ، أم فعله صلى الله عليه وسلم ؟ وذهب كثير الى الثاني ، لأن فعله صلى الله عليه وسلم قد نواتر وصار قطعي الثبوت ؛ وأما قرآنية تلك الآية فروايتها آحاد ، وذكر عمر لها في خطبته مع سكوت الصحابة عليه في رأيهم لا يفيد القطع .

هذا وإن من يتأمل في هذا البيان الشتملة عليه لآية فيما يتعاقب بلزجر عن لرنى وتهويل أمره ، لا يبق لديه شك في أنه من أشد المكرات وأكبر الكبائر ، فنظر الى التمهيد لأحكامه بالبداة العجيبة أول السورة ، ثم إيجاده الحد لزجر المحزى ، ثم النهي عن المرأة في شأنهما ، ثم ربط ذلك النهي عن الرأفة بالإيمان بالله واليوم الآخر لدل على أن مقتضى الإيمان الغلظة في حقهما ، ثم إضافة التشهير والفضيحة بالأمر بشهود طائفة عذابهما ، وأن تكون هذه الطائفة من المؤمنين .

انظر الى هذه المعاني في سبيل تقطيع أمر وتر العجب العجيب ، فكيف اذا أضفت اليه أنه خص من بين النهيات بالنهي عن قربانه بينما ينهى عن ذنبا ، ثم اقترنه بالشرك بالله وقتل النفس ، وأن رتب على جملتها ما رتب في قوله تعالى : ( وَلَئِنْ لَا تَدْعُونَا مَعَ رَبِّهِمْ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنْقُصْ لَهُ أَثْمَانُ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) انظر الى ما رتب من الأحكام على مجرد الاتهام به من حد القذف وأمر الامان ، ثم التشديد في طريق إتيانه حتى لا يقدم الناس على الترامي بهذا الأمر الخطير بلا وجه حق ، ليشتبه بعضهم غليله من بعض ، الى غير ذلك من أحكام حمة ستبلى عليك في بقية هذه السورة ، وكلها تدور حول العلاج واحتياط ، لعدم وقوع هذه الجريمة الكبرى . أما شروط وجوب الحد وتحقق الإحصان فجعل تفصيله فوق ما سبق كتب افقه ، فليرجع اليها من شاء . والله أعلم .

ابراهيم الخليلي

## تنزيه الله عنه المظاهر والجمرة

كتبنا تحت هذا العنوان كلمة في تنزيه الله تعالى عن الجهة في العدد الرابع من هذه السنة جواباً عن سؤال ورد إلينا ، وجاء ما خطاب مطول من الأستاذ الشيخ عبد الغفار على المسلاوي أحد العلماء يبين فيه مذهب السلف والخلف ويبرأ فيه من التحسيم والتشبيه ، كأننا رميناه بذلك ، أو كأن الكلمة كانت موجبة إليه ، وقد جتهد ما استطاع في تبرئة السلف من التشبيه ، ولم يعلم أنه جهاد في غير عدو ، ولو التفت قليلاً لما كتبناه لأراح نفسه من ذلك العناء ، وأراحنا من العودة إلى الموضوع مرة ثانية .

ولنسق لك عيون ما كتبته ، ونعاق عليها بما يعين لنا من الملاحظات :

قال حضرته : إن مذهب السلف رضى الله عنهم التصديق بآيات الصفات وما صح من أحاديثها ، وإمرارها على ظاهرها مع نفي التشبيه والتكليف عنها ، فلا يجوز صرفها عن ظاهرها ، لأن فيه تعطيلاً لما جاء في الكتاب والسنة من صفاته تعالى ، وكذلك لا يجوز تكليفها وتشبيهها بصفات المخلوقين ، لقوله تعالى : ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ) وقوله : ( فَلَا تَصْرِبُوهُ أَشْبَهَ الْأَمْثَالِ ) فضلاً عن دلالة العقل وإجماع الأمة على مخافته تعالى للحدوث ، فكل ما وصف الله تعالى به نفسه من الوجه والعين واليد والاستواء على العرش ، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم كنزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة ، فهو عندهم حق على حقيقته التي تليق به تعالى من غير تشبيه ولا تكليف ، فقوله تعالى : ( أَلَمْ تَجْعَلْ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوًى ) الصحيح عندهم ما نقله الامام البخاري في صحيحه وغيره عن معاهد من أن معناه : علا أى علواً بلا يمكن على العرش لا نقول كيفيته ، كما قال مالك الامام وقد سئل عن كيفية استوائه على العرش « الاستواء معلوم والكيف مجهول والامان به

واحِب والسؤال عنه بدعة» فهو سبحانه فوق سمواته على عرشه ، وإنما هو تعالى عال على خلقه بائن منهم بلا حد ولا صفة ، فقوله تعالى : ( أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ) يعني نفسه ، لا يريد - تعالى وتقدس - أن الماء ظرف له ، وإنما معناه أنه فوقها على العرش بلا تمكن ولا تكيف ، كما أجمعوا على أن له تعالى يدين وعين ووجها بلا تكيف ولا تشبيه ، إلى آخر ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قال : وحديث « لو أنكم دليتم بحبل إلى لأرض السفلى لهبط على الله » قال مخرجه لحافظ أبو عيسى الترمذي في جامعه لما أخرجه : قال أهل العلم : أر دل هبط على علم الله ، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه . انتهى بلفظه . إلى أن قال : وقال أبو عيسى الترمذي أيضا إثر ما روى حديث أبي هريرة « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه فيرسها » روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا وما يشبهه من الصفات كنزول رب : ثبتت هذه الروايات في هذا وتؤمن به ، إلى أن قال : ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه حرف واحد يفيد صرف هذه الآيات والأحاديث عن ظاهرها ، نعم التشبيه غير مرد منها قطعا ، إلى آخر ما قال .

ونحن نقول له أولا : إن ما كتبناه كان جوابا عن سؤال بقول سائله . إن المراد من قوله تعالى : ( أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ) جهة العلو ، فثبت الجهة لله تعالى بصريح العبارة . وكثير ممن يطالع كتب ابن القيم وابن تيمية لا يكاد يخلص من تلك العقيدة ، فإنه بكثرة ما يوردونه من التليسات والتشكيكات ، وما يعمهون به من ذكر الآيات تسرى فيه تلك العقيدة من حيث لا يشعر ، ولو فحش عن قلبه تفتيش المتمم لنفسه لوجدنا راسخة فيه — غير أنه إذا ضوبق بما يلزم ذلك من الحدوث لجأ إلى كلمات لا يحصل لها ، أو هي متناقضة ، ثم اقتنع بذلك واطمأن إليه .

على أن نقول لحضرة المدافع عن السلف قبل مناقشته في بعض كلماته . ما الذي هاج أعصابك علينا ؟ وهلا أعدت النظر فيما كتبناه حتى تعرف ما نسبناه إلى السلف الذين

تدافع عنهم، وما نسبنا إلى الخلف الذين توهم أنهم المعتزلة أو الجهمية مع أن ذلك مبين في كتب التوحيد أنهم بيان<sup>١٠</sup> وقد قال في جوهرة مشير إلى المذهبيين، وهي من أصغر كتب التوحيد، وصاحبها أشعري حميم:

وكل نص أو جم التشبيه أوله أو فوض ورم تنزيها

ولنذكر لك ما قلناه في مقالنا المشار إليه ذلك ننظر فيه بإنصاف وإيمان، حتى نعرف أنه لا خلاف بيننا وبينك، وأنا كنا مرد على أسائل الذي أثبت الجهة لله لا عليك ولا على السلف، وهالك نص ما قلناه في العدد الرابع:

«ولا بد أن تكون قد عرفت أن السلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه، وأن الخلف يؤولون خوفهم التشبيه، فكلمهم متفقون على التنزيه، وإنما الفرق بينهما أن علماء الخلف يعمنون المعنى المراد، فيقولون مثلاً في قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)<sup>١١</sup> المراد باليد لقدرة، والسلف يفوضون بعد التنزيه، فيقولون: إننا ننزهه تعالى عن الجارحة ولا نعين شيئاً خاصاً من المعاني التنزيهية كما فعل علماء الخلف» فهل ترى في ذلك نسبة لتشبيهه إلى السلف حتى تنور بآثر تلك؟

ثم نقول لك، ما معنى قولك: إن كل ما وصف الله به نفسه من الوجه والعين واليد والالاستواء على العرش، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم كنزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة فهو عندهم حق على حقيقته التي تليق به تعالى من غير تشبيه ولا تكييف؟ زبد منكم أن تفهموا معنى تلك الكلمات التي تسبق إليها السنتكم من حيث تشعرون أو لا تشعرون، فاما معنى كون النزول حقاً وعلى حقيقته؟ وهل هناك حقيقة للنزول غير المهبوط من أعلى إلى أسفل؟ لا تعرف العرب حقيقة للنزول غير هذا وإن جاز استعماله في غيره على طريق المجاز؛ وكذلك اليد: لا معنى لها على سبيل الحقيقة عندهم إلا الجارحة

المخصوصة وإن جاز استعمالها في غيرها على سبيل المجاز؛ وكذا العين وغيرها؛ فسامعني كونها عندهم على سبيل الحقيقة؟ وهل عرفتم لها معنى في حق الله حتى تحكموا بأنها حقيقة فيه؟ فإن يهتم لها معنى تزيهيا لا تشبيه فيه وافقتم الخلف في هذا، وكانت حينئذ على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة؛ وما معنى قولكم بعد ذلك: بلا تشبيه ولا تكيف؟ وهل هو إلا قول متهافت لا معنى له بعد أن قررتم أنها ثابتة له على سبيل الحقيقة؟ ثم نقول: إنك أثبت له في خطابك يدين وعينين، فلماذا لم تثبت له أعينا لا عينين فقط، مع أنه يقول: (تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا)؟ ولماذا لم تثبت له أيديا لا يدين فقط، فإنه يقول: (خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)؟ ثم تقول في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): الصحيح عندهم ما نقله الامام البخاري في صحيحه وغيره عن مجاهد من أن معناه: علا أى علوا بلا تمكن على العرش لا تعقل كيفيته، كما قال مالك الامام وقد سئل عن كيفية استوائه على العرش: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» فهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

ونحن نسألك عما فهمته من كلام مجاهد هذا. هل فهمت العلو الحسى كما ينبغي عنه قولك الذى تكرره إنه فوق عرشه؟ وإذا تكون قد أثبت له الجهة والحيز لا محالة، وإذا ثبتت له الجهة ثبتت له الجسمية، ومتى ثبتت له الجسمية ثبتت له لوازمها؛ وإن أردت العلو المعنوى وافقتنا ولم تأت بشئ جديد، ولكن قلت إنك لا تعقل ذلك العلو والعلو المعنوى معقول، ف الذى فهمته وما الذى أثبتته؟ وهل هناك شئ وراء العلو الحسى والعلو للمعنوى، أم هو كلام (كالورد يشم ولا يدعك)؟ ولماذا لم تقل إنه فى السماء بلا تمكن، كما قلت إنه فوق العرش بلا تمكن؟ وهل هناك فرق بين الآيتين؟ وإذا قلتم نفوقية بلا تمكن ولا كيف وهى على حقيقتها، فلماذا لا تقولون بظرفية بلا

نتمكن ولا كيف متى كان الغرض التشبث بكلمات من هذا القبيل تعقل أو لا تعمل .  
ثم كنتم تقولون إن الظرفية بلا كيف لا تنافي الفوقية بلا كيف ؟ .

ثم نقول لك بعد ذلك : ماذا فهمت من عبارة الإمام مالك في قوله : الاستواء معلوم ؟ هل ظننت أن مالكاً يثبت الاستواء للمعلوم ؟ ( إذا يكون مشبهاً ومجسماً ) لأن الاستواء المعلوم هو الاستقرار المستلزم للجسمية ولوازمها ، فإن كان الاستواء بغير هذا المعنى فهو غير معلوم ، فيجب إذاً أن يكون مراد مالك أنه معلوم الثبوت والورود ، فإنه نطق به القرآن ، لا معلوم الحقيقة والمعنى . على أن بعض المحققين يظنون في ثبوت الرواية عن مالك ، وهو الذي أقول به ولا أكاد أعتقد غيره ، فإن جعله الاستواء معلوماً — على ما يفهم منه — اعترف بأن المجهول هو الكيف فقط ، وقد يستوى الملك على عرشه بكيفيات كثيرة ، فجهل الكيفية لا يكفي في التنزيه ، بل يثبت التشبيه ، فإن الكيفية حاصلة على كل حال غير أنها مجهولة ، ولاستواء الحقيق لا يعقل بدون كيفية وإن لم تكن معلومة ناء ، ولكن لا بد له من كيفيته في الواقع .

هذا . وقد رأيت رواية أخرى في هذه الواقعة عن عبد الله بن وهب أن مالكاً سئل عن الاستواء فأطرق وأخذته الرحضاء ثم قال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال له كيف ، وكيف عنه مرفوع ، لي آخر ما قال وما يلبسون به على الناس أو على أنفسهم قولهم : إن ذلك كله حق على حقيقته ، فإن كلمة ( حق ) ها هنا تقع في النفوس موقع الإيمان والقبول ، ومن ذا الذي يستطيع أن يقول إن ما ورد في الآيات غير حق ؟ ولكننا نستفسر منهم عما أرادوا بتلك الكلمة : فإن كان قصدهم أن هذه النصوص لا يمكن ردها فإنها نصوص قرآنية أو سنة صحيحة ، فهو حق ، ولكن ليس محل النزاع ؛ وإن أرادوا أن معناه الذي يعرفه الناس حق ، فذلك باطل ، ولكنها عادتهم يأتون بالكلام الموجه بالكلمات المحتملة .

وليت شعري أى شيء أثبتوا لله تعالى إذا كانت اليد فى حقه ليست على ما نعرف ، ولا استواء ، والنزول بالنسبة إليه على غير ما نعهده ، فما الذى أثبتوه له ؟ . وهل يمكن التصديق بثبوت شيء لا تفهمه ولا تفعل له معنى ؟ . كيف وتصور المحمول والموضوع شرط فى التصديق أو شطر منه ، كما هو معروف فى المنطق ؛ وهل بيننا وبينهم خلاف إذا كانوا سلفيين حقا كما يقولون ؟ فإن الاستواء عندهم وصف كمالى تنزهى ثابت لله تعالى ، وكذا اليد واليمين الخ ، ونحن نقول بثبوت كل كمال الله تعالى فما الذى أثبتوه رائد على ذلك ؟ ؛ ونحن نقرر دائما أن كمالات الله لا تتناهى ، وفى الحديث : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » غاية الأمر أن الخلف يؤولون خوفا من وقوع القاصرين فى التشبيه ، فما أرادوا إلا النصيح لله وكتبه ورسوله والمسلمين . على أنى اختار مذهب السلف وأدين به . وقد قلت فى آخر العدد الرابع ما نصه : « والخلاصة أن أحاديث الصفات ليست على ظاهرها ، وأن لها تأويلات تليق بجلال الله تعالى ولا نقطع بتعيين تأويل منها ، بل نكل ذلك لى العليم الخبير ، ولكن لا بد من التنزيه على كل حال » أما قول الكاتب : إنه تعالى عال على خلقه بائن منهم بلا حد ولا صفة ، فهو من قبيل ما سبقه ، واست أدرى أيقصده الملو المعنوى الذى لا يخالف فيه أحد ، أم الملو الحسى الذى يستلزم الجهة ، أم هو شيء لا نعرفه ( نحن ولا أنتم ) ؟ ومثل ذلك قوله : ( أَلَمْ نَشْرِكْ مِنْ فِي السَّمَاءِ ) يعنى نفسه : لا يريد تعالى وتقدس أن السماء ظرف له ، وإنا معناه أنه فوقها على العرش بلا تمكن ولا تكيف ؛ وهل يظن الكاتب أنه بين معناها بقوله . إنه فوق سمائه على عرشه ، ما دامت الفوقية غير معروفة ؟ .

ثم نقل صاحب الخطاب بحد ذلك عن الترمذى أنه قال فى حديث « لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله » قال الترمذى فى بيان المراد منه : « لهبط



على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه « ولا أدري لماذا نقلها وقد كان مقتضى مذهبهم ألا يقولوا هذا التأويل ، لأنهم يقولون الموصوف على ظواهرها ويؤمنون بها على حقيقتها ؛ ولعله نقلها لقوله فيها : وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه . وليت شعري لماذا لم يقولوا : إن الهبوط على حقيقته ولكن بلا تشبيه ولا تكليف ؟ » ثم قال : قال أبو عيسى الترمذي أيضا إرم ما روى حديث أبي هريرة « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه فيريها » : روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ؛ وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا أو ما يشبهه من الصفات كنزول الرب : ثبتت هذه الروايات في هذا وتؤمن به . ونحن أيضا نشبهنا ونؤمن بها ، ولكن النزاع ليس في ثبوتها والإيمان بها . ومن ذا الذي لا يؤمن بما ورد عن رسول الله ؟ ؛ ولكننا ممن يحورد إجراء المجازات والكنائيات في أمثال هذه المقامات من غير جزم ولا تحميم على ما شرحنا .

ثم قال السكاتب : لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه حرف واحد يفيد صرف هذه الآيات والأحاديث عن ظواهرها ، نعم التشبيه غير مراد منها قطعا . ونحن نقول أيضا . لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه حرف يفيد أنها باقية على حقيقتها كما تقولون ، بل ترك ذلك للعقول وتصرفاتها ، وللنصوص نزاهة الكثيرة ، فضلا عن البراهين العقلية ، ولما تعرفه العرب من مجازاتها وكنائياتها ، ولا أرى قولكم : إن الاستواء على امرئ مثلاً باق على حقيقته مع التنزيه وعدم التشبيه إلا متناقضا ، فكأنكم قلتم إنه مستقر على عرشه غير مستقر على عرشه ؛ وهل هذا إلا التناقض الصريح ؟ . والذي لا يفهم للاستواء معنى محصلا لا ينبئ له أن يكثر من ذكر الفوقية والاستواء والعلو ، وإلا فليصار حنا بما يعتقد ، ولا يقل إنه سلفي ، فإن السلفي لا يقول

بمعنى معين في آيات الصفات ، وإنما يمرها كما وردت ، ولا يتعرض لتحليل معانيها ، ولا إطالة القول فيه .

ثم قال الكاتب في آخر كلامه : « لسنا بحمد الله بحسنة ولا حلولية » وإني أحمد الله على ذلك ، وما رميت الكاتب بالتحميم ، ولا كان كلامي معه ولا مع السالف الذين يفتحون إليهم ، وسكن كنت أكتب لمن ثبتت لله جهة ، أو يقول وقد نزل من على المبر : « إن الله ينزل من عرشه على سماء الدنيا كنزولي »

هذا . وكلامنا اليوم أيضا هو مع هذه الطائفة لا مع الكاتب وإن كان هو المثير غبارها ، فإني أسلم ما يقرره من عقيدته وأوافقه عليه ، وما أريد بكل ما أكتب إلا النصيحة للمسلمين ، والتحذير من زعات الضالين الجاهلين ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

بوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

-----

## النظر والمُلح

نظر الحُطَيْيئةُ إلى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر رضى الله عنهم ، فقال : مَنْ هذا الذي رُل عن الناس في سُنَّته ، وعلام في قوله ٢ .

## التوصل والاستفتاء

كنا نشرنا بالعدد الثالث من مجلة نور الاسلام كلمة بعنوان « الحياة وأطوارها »  
ضمنها حديثا دار بيننا وبين عظيم من علماء الحرمين لشريفين لم تكن استأذناه في نشر  
ما دار بيننا ، فلم نر من الحق أن يذكر اسمه بدون إذن منه ، وكان ضمن الحديث أمنية  
أن يتحاطب العلماء وأهل الدراية بالدين والبصر بأحكامه فخطبنا هادئا لنا ، ويتمههوا  
في المواضيع التي يتناولونها بالبحث تفاهما بعيدا عن العالوية الموجبة للضوضاء ، والتي قد  
تدعو الى حرص كل من الطرفين على مقائمه ، فيكون ذلك مبعدا عن لوصول للاتفاق  
ومتفرأ للحق أن يدنو من ساحتهم ، وكل يدعيه لنفسه .

ولشد ما كان اغتباطنا إذ ورد إلينا كتاب من فضل « يسبق لما شرف مقاسمه ،  
ودل قلمه على أدب جم وحسن فهم وتقدير ، فلما قد تحققت الأمنية ووجدنا بين مخالفين  
من يستجيب دعوتنا الى التفاهم الانفرادي ، بعيدا عن جلبة المناظرات الصحفية  
والمنازعات العلنية ، وهو أقرب سبيل للاتفاق ، وأعظم تألف للحق .

طالعنا كتابه فشهد له برحابة العقل وبصيرة الرأي ، وحبه أن يكون الجدل بالتي  
هي أحسن ، فأجبناه على كتابه بطريقة المراسلة الخاصة ، ورجوناه في أن تدوم المحاوره  
بيننا على هذا الأسلوب ، فمما اتفق على كلمة واحدة ، فيجمع الله بنا بين فئتين عظيمتين ،  
لا سيما أن كلا منا ليس له نزعة خاصة في الموضوع ولا هو بصدد ميدانه ، أو كلانا على  
الحياء ، وبيننا أما في انتظار جواب من فضيلته كما بدأني بفصله ، وإذا يأخذ إخواني  
الفضلاء ، يطلعي على إحدى المجلات الدينية ومها مقال بقلم حصرة الكاتب نفسه ، أتى فيه

على كل ما كتبه الى ، وزاد عليه مما يرى أنه يعزز رأيه في الموضوع ، فرأيتني في حل من أن أكتب فيه في المجلة بما أرى ، وإن كنت أود من صميم قلبي ألا تتسع هوة الخلف بين المسلمين في أمور ليست من أصول الدين في شيء ، ولا تزيد عن أنها حالات تجري بين الكثير من الناس عن طيب قلب وحسن اعتقاد ، فينظر اليها غيرهم ويتناولونها بالتأويل والافساد .

وقبل الدخول في الموضوع أحصر بين يدي القارئ ما يعلمه من أصول الدين ويعتقده جمهور المسلمين وقد نطق به الكتاب المبين : يقول الله تعالى : ( اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) ويقول جل شأنه ( وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا أَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) .

والآيات من قبيل الآيتين الكريمتين كثيرة في القرآن العزيز ، ومن هذه الآيات أجمع المسلمون إلا شواذ من أهل البدع على ألا خلق إلا الله ، وأن كل ما يجري في الكون من كل شيء أو جزئي فهو معلوم لله مرادله من الأزل — ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

مع هذا ربط الله الأشياء بعضها ببعض ، وجعل بعضها سبباً في بعض ، وكلها بقدرته وإيجاده ، وما ذلك التسبب إلا يجعله ، ولو شاء لغاير هذا الربط عما يخالفه .

أحسب عامة المسلمين وخاصتهم اليوم على هذا ، لا يخصر أحدا منهم آمن بالله وكتبه ورسوله شك في ذلك ، معاً در على لسانه من كلمات موهمة أو محتاجة للتأويل . وسواء أكان التسبب مفهوم الوجه أو غير مفهومه فإنه لا يطنى على تلك العقيدة الراسخة في قلوب المؤمنين ، وهي أن الله خالق كل شيء ، وأنه مالك الملك وحده ، لا شريك له ، بيده الأمر كله ، وهو على كل شيء قدير .

بعد تهديد هذا الأساس يصبح أن نفهم سر عناية الشريعة بحياطة النفوس الضعيفة الفهم ، وصونها من الانخداع بالأسباب القوية أو الخفية فتقف نقولها عندها ، ولا تنفذ بصيرتها فيما وراءها ، فتسند إليها لا آثار التي رطبها الله بها اختيارا منه ، فتقلب من أنها آيات كونية تشهد بجلال قدرة تكوينها وعظمته ، وأن النظر فيها مدعاة لتمجيد عبادته ، إلى أن يكون حاجب للعقول عن ذلك لشهود المقصود ؛ فمن أجل هذا حال التحذير في لسان الشرع كثيرا عن الانخداع بالأسباب ووهف العقول عندها ، فورد النهي عن أن يقال مطربا دوا ، كد ومثله مما يحول النظر إلى الكوكب ويصرفه عن مكوكبها ، وجاءت الآيات الكريمة لتفهم قيمة الأسباب ، وتنبهتها عن أن يعتز بها ، مثل قوله : ( أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَرُونَ أَأَنْتُمْ تَرْزَعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ خَيْرُ الْزَّارِعِينَ لَوْ شَاءَ جَعَلْنَاَهُمْ حُطَمَاءَ ) ( أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورَدُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَذَارًا لِّلْمُتَّقِينَ ) وأمثال هذا في القرآن كثير مما يقصد به تربية النفوس على صحيح النظر ، وإرشاد العقول لتوفي الغفلات .

هذا أصل عظم في تربية العقيدة لا ينبغي إغفاله ولا التهاون فيه ، ولكنه لا يجوز أيضا أن يقع فيه الإفراط حتى يقطع معنى السببية وما أودع الله في هذا العالم من نظام ربط أحواله بعضها ببعض ، ووحيد بين جماتها بانصال محكم وثيق صرح معه أن يسمى عالما وحده ينظر إليه نظر واحد ، فتتجلى عظمة مبدعه وتظهر حكمته البالغة ، فيكون ذلك مدعاة للتجيد والتعظيم ، ويقرب المؤمن مما طلب منه ، وهو أن يقدر الله حق قدره . وهذا أيضا أصل عظيم في الإيمان ، به تتعرف عظمة خالق القدير ، وتتجلى حكمته البالغة . فتقبل على عبادته والثناء عليه بما هو أهله . أصلا لا يجوز أن يطغى أحدهما على الآخر حتى يبعثه في جلته ، ولا مناص لمن يؤمن بربه من أن يرعاها حق رعايتها ، وأن ينظر بإحدى عينييه لأحدهما وبالأخرى للآخر ، لا بل ينظر إلى أحدهما ليفيده في الإيمان

بالآخر ، فيتفكر في الملك ونظامه وأحكامه ، ليفهم صفات مالك الملك وما يجب له وما يصح في حقه .

ومع ارتباط كل من هذين الأصلين بصاحبه في جلته نجد تفاصيل كل واحد منهما بما لا يقف عند حد ، فباب الإيمان بالله ووحدانيته وما يصح له أو يجب أو يستحيل باب من العلم واسع فسيح أفرد له فن العقائد ، وباب لأسباب وتنوعها وكيفيتها أخذ من الفنون المتنوعة ما لا حصر له ، ولا يستغرق كل ما أودع في هذا العالم من أسرار . لا تتوهم أننا ابتعدنا بك عما هيأنا عقلك لاستماعه وهو القول في الاستغانة أو التوصل ، وإنما نحن نعهد لك الأصول لنسهل عليك يادن الله الوصول ، فلا تسأم ولا تضجر ، فلا تسر جدير بالتفكير والذهن الكثير :

فد مث الله الروابط بين ظواهر الكائنات ، وناط بعضها ببعض ، وهدانا إلى تلك الروابط لاستفيد في تحصيل أغراضنا بتحصيل ما هو بسبب منها ، ولكن تلك السببية وذلك الارتباط متفاوت المراتب في الظهور والخفاء ، فنه ما يعلم فيه السبب والسبب ووجه السببية ، أو أصل ارتباط هذا بذلك ، ومعناه الاطلاع على صفة في السبب هي منشأ ترتب السبب عليه ، كما تراه في سيلان الماء ورطوبته ، فيذيب بعض الأملاح أو المعادن الطينية ، فيسهل على جذور النبات أو جريثم البذور امتصاص الصلح منها لغذائها فيكون الماء بذلك منشأ حياة النبات ، ومنه ما لا نعرف فيه تلك الصفة التي من أجلها ترتب للسبب على سببه ، ولكنه مع ذلك يعلم الترتب بالتجربة المتكررة التي لا تدع مجالاً للشك في أن هذا مترتب على ذلك ، وإن كنت لا نعرف لماذا ترتب عليه . ومن أمثلة ذلك أن ترى رجلاً شريراً ملك الشر نفسه حتى ظهر في حديثه ، وكان له سميت خاص إذا نظر إليك أو إلى شيء ، يخصك ، تعهد فيه أنه ما نظر إلى شيء يعجبه وينال استحسانه إلا لحقه الفساد والضرر لبعته ، تشكو إلى صديقك هذا فيشكو لك نظيره مما اتفق له ،

وتشرح له حادثة فيقفي عليها بحوادث من نظارها صادفته مع هذا الرجل ؛ وقد يهجم عليك نالث يبادرك بالشكوى مما تشكوان فتطلعانه على ما كنتم تقولان فيتولاكم جيما العجب ؛ أفتشكون ثلاثكم في أن عين هذا الرجل عين أخاذة مصيبة وأنه حبود ؟ أو لم يتبادر الى ذهنكم كلم الإيمان بأن العين تورد الرجل القبر والجل القدر ، ولولم تكونوا سمعتم به على وجه يقنعكم بصحته ؟ وهل تتوقفون في الاعتراف بتسبب هذا الرجل في الضرر بمجرد نظره على أن تفهموا معنى الحسد والإصابة بالعين وسر ذلك ؟ وهل استطاع جمهور المعتقدين عن يقين بأن العين حق أن يملأوا هذه السببية ويربطوا ربطا مقنعا بين رؤية الرجل ما يمجبه وبين لحوق الفساد له ؟ وهل اذا كنت ممن لا يعتقد بالحسد وإصابة العين لا تشعر من نفسك بحركة اشمزاز وتوجس حين يمر عليك ذلك الذى يصفه الناس بالحسد وبين يديك ما هو عزيز عليك مما يوجبك ويعجب الحبود ويعجب الناس ؟ أفلا ترى معي أن الحركة التى أحسستها من نفسك فطردتها بمقلك عن وهمك، ناشئة عن أنه يحوز في نظرك أن يكون بين رؤية الرجل وحدوث الشر ارتباط حقي لم نعرفه ولم يتكشف لنا ؟ .

إني أسير معك الآن في طريق التفهم والتعرف فيما بيننا لنصل الى غاية واحدة غير مشوبة بالمناطرة والجدل ، وإعما هو بحث المرء مع نفسه ، فنادى لك الله لا تقلت من يدى :

اذا كانت الأسباب التى هى مناط الجمال فى العالم منها ما هو خفى السببية ومنها ما هو جليها، واذا كانت الأسباب على تنوعها لا يصح أن تطنى على الخلق والتقدير والتدبير الذى تقر به العليم القدير، فهل اذا قال قائل: إني أحس من نفسى أن تكون أقوى اتجاها لنايتها التى تشغل بالها اذا كنت بحضرة أستاذى فلان، أو استعنت بمشاركة أخى فلان، أو أجد عزيمتى تقوى حين أستحضر نفس أبى التوفى وهمته، أو ألحظ مجد قوى وآثاره،

كل هذا أجده أثاراً في تكيف نفسى في صدق عزمها أو قوة توجهها أو عظم استجابتها قواها، ثم قيل مع هذا : إنه كلما صدق توجه النفس في الدعاء أو العبادة أو العمل الدينى كانت توصيله الى نتيجة أسرع وأصدق . هل ذا حدثك شخص عن نفسه بهذا الحديث وقال لك هذه المقالة . تراها بما لا تفهمه العقول ولا تصدر إلا عن كافر أو مجنون يرى في آية أنه الفاعل لا يريد، وأنه الميمن عليه وعلى أغراضه وغاياته، أم هل ترى في تفسير هذا ما يبتعد عن معنى السببية التي عرفت ولم يعرف وجهها ومنشؤها ؟ .

يلوح في بعد هذا البيان أن ليس في مثل هذا ما يناقى الإيمان ، وأن التكفير بمثل هذه الحالة يهتن أو هذيان ، أو جهل تام نفهم معنى الإيمان ، فالتحدث بتلك الكلمات الضخمة الخطيرة : إيمان وكفر ، وتوحيد وشرك ، في مثل هذا المقام ، دال على كثير من الجهل والغباء .

هذا من ناحية ، ولكن لا ينبغي ننصف يريد لوصول الى الحقيقة للناصحة أن يقرأ الكتاب من وجه واحد ، بل يجب استقصاء البحث حتى يعرف ماله وما عليه ، فالأمر جليل ، والغريبان المختلفان لا غاية لأحد منهما إلا لإصلاح ما استطاع اليه سبيلا ، ويتمنيان لو اتفقا أو تقاربا ، ولكن قاتل الله الخصومة في الجدل ، ما أسرع ما تفرى بالأنانية ، وتدفع كلا الى لئس بكلمته لأنها كلمته حسب . نقول : من الحق أن ينظر الى الأمر من كل ناحية ، وإن التجارب في الأمم ترشدنا الى أن مثل هذا بما لا ينبغي التساهل في شأنه وأمن مفهته ، فقد بما جرفوا الى الخروج عن إيمانهم وتوحيدهم ، فعبدوا غير ربهم ، وإن كانوا قد تراجعون ويقولون : ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله رلى ، وهل بعد الإيمان من عزير يحتفظ به ، أو بعد التوحيد من مطلب يشغل الهمم ويوجه اليه الإرشاد والهدى ؟ وإذا كان أعز عزير عندنا الإيمان ، وأعلى مطلب هو التوحيد ، فهل من اللائق أن تفتح عليه ثغرات لا يدري ما وراءها ، ونطمئن نفس المؤمن في إيمان الى مظاهر أعمال



لا تؤمن عواقبها؟ نعم ليس في هذا الذي شرحت ما يوجب الكفر أو يدعو إلى الشرك، ولكن كيف تهمل العامة البسطاء يسترسلون في ندائهم : يا سيد ويا سيده ، عليك بفلان ، اكسر ظهره ، ادعوك لفلان تشفى مرضه ، وهكذا ، فإذا بقي بين هؤلاء وبين الإشراف وهل يتهاون في صور العقيدة الأساسية حتى بهجم عليها ما يهلكها ، أو يجب أن تصان في حرز حرز وتحاط بأسوار بعيدة عنها حتى تكون كماصمة الدولة هي الوسط المحمي حانبه ؟ أفيليق أن تقلص ما حولها حتى تصبح طرفا ؟ ألا ترى كيف جعل حمى الإيمان الطاعات ، وجعلت النوافل حمى للفرائض ، وجعل المكروه حمى للحرام ، وقيل : من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه ؟ .

إذا قلت مثل هذا فالإنصاف يدعونا إلى تأييدك ، ونقول معك . حقا إن كثيرا من الناس قد ظهرت منهم أعمال يجب التنبيه إليها ، وإرشادهم إلى الطريق للأمن ، وهدايتهم بالتعليم والتفهم ، ليرفوا أدب الدعاء والتوسل والاستغاثة ، وما لكل من حدود لا يمدوها ، وما ينبغى في مخاطبة الخالق والمخوق .

هكذا ينبغى ، وهكذا يصح ، ولكن الإفراط من جاب يدعو إلى الإفراط من الجانب الآخر ، فتجى سياسة شد الحبل كما يقولون ، والله تعالى يقول : ( اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنَّوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صُلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) .

فباب الترية والإرشاد إلى أن هذا أمر قد يجر إلى ما لا يحمد ، غير باب تهريب الحقائق ، وأن هذا العمل معناه كذا وكذا ، وممالك الترية أمر عملي ، وممالك العقائد أمر يقينى برهاني ، وقد يقدح في نظري استحسان خطبة في العمل والترية ، بينما ينقدح في نظر الآخر خلافها ، لذلك لم يفسق أصحاب المذاهب الفقهية بعضهم بعضا ، ولم

يستنكف أحدهم أن يأتهم في صلاته بخالفه ، ويتقاضي في أحكامه اليه وينفذ له حكمه ، بل يقول : حكم الحاكم يرفع الخلاف . أما باب العقائد فهو من غير هذا الباب ، ومسألتنا وإن كانت عملاً يقصد به الاحتياط لحفظ العقائد وصونها من أن يتطرق اليها الضرر ، فإنها ما زالت عملاً حكمياً حكم ببقية الأعمال ، ومثلها مثل قولك : لا يزال الرجل يتغلغل في المعاصي حتى يران على قلبه ، وربما سلب إيمانه والعباد بالله ، وتستشهد على ذلك بما تقدمه أفواه المستهترين في المعاصي من قولهم لمن ينصحهم وبذكرهم بالآخرة . « بق خدما على جناحك الى الجنة » .

أما بعد فالكلام في مقامين الأول - تقرير العقيدة ، وبيان ما يتنافى الإيمان ويخل بالتوحيد والكفى - تربية الناس وتعميدهم ما تحمد مغيبته ، وتفيرم مما عسى أن يحرم الى ما لا تحمد عقبا .

أما الأول فقد عرفت أنه لا يقتنع بالإيمان إلا ما ينافيه ، أو ما جعله الشارح علامة لمنافاته كالسجود لصنم أو نحوه مما عبده الجاهلون ، وليس من هذا الاستعانة بمخلوق حي أو ميت ، ولا التوسل بجاهه الى المولى ليقضى له حاجته ، فإكان الأول ليعدوا للجأ الى الأسباب صحت السببية في الواقع أم لم تصح ، ظهر وجه سببيتها أم لم يظهر ، وما كان الثاني إلا تبركاً عن كرمهم لله تعالى وجعل لهم منزلة عنده ، فهو أشبه شئ بالاستشفاع لدى يظهر به ما أراد الله أن يزل عن طريق بعض أصفياه ، على ما سبق لنا تقريره في إحدى مقالات المجلة ، وقولهم في استنكاره : إنه من العبادة التي حكاها الله عن المشركين في قوله : ( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلُمَى ) قول من لم يفرق بين العبادات والتعظيم ، فما كل تعظيم عبادة ، ولا كل استعانة فيها اعتراف بالتأثير المنافي للإيمان ، وناهيك بقوله تعالى : ( وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ) والفرقة بين الحى والميت

لا وجه لها بعد ما شرحنا من أن حالة البرزخ طور من أطوار الحياة وإن لم نفهم تفصيله وكل أحكامه، وناهيك بقوله جل شأنه في الشهداء: (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) وقوله: (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَأْخُذُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) وقوله في آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) فقد قررنا أن هذا قبل يوم القيامة المذكور في قوله: (وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) وقوله عليه السلام في المشركين قتلى بدر: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» على ما فصنناه لك في المقال السابق. وإذا كان الأمر لا يعمدو السببية، والسببية لا يلزم في اعتمادها معرفة وجهها الذي أوجبها، كان هذا المعنى مما تحتمله العقول، وينصح حمله على محمل صحيح تستسيغه العقول بكل سهولة ويسر. أما قولهم: إن الاستغاثة دعاء والدعاء ليس إلا العبادة، والنحل لذلك بمثل آية (إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن يَجْعَلُوا ذُبَابًا) فمن الاعتساف للتعالي على تكفير للمؤمن.

ولا ولي بالقصد هو العمل على التماس وجه لا يقاذا للمؤمن من التكفير لا انردته في الكفر، فما قال أحد: إنه لا دعاء إلا العبادة، والدعاء يأتي بمعنى العبادة، وليس كل دعاء عبادة؛ وقد قرر العلماء أنه يؤول للمؤمن في تصحيح إيمانه من وجه إلى سبعة وجوه؛ فما أنت ذا ترى الناس يدعوا بعضهم بعضا في كل زمان ومكان، ويستعين بعضهم ببعض كذلك ولا يخطر في بال أحد أن هذا عبادة. وأما التفرقة بين الأحياء والأموات وأنهم لا يستوون لا في العقل ولا في الشرع ولا في الحس، فهو على معنى أنهم لا يستوون في كل الأحكام، لا على معنى أنهم لا يشتركون في حكم مطلقا.

ففي المساواة نفي الاشتراك في جميع الأشياء، وهذا صادق بثبوت الاشتراك في بعض الأشياء دون بعض، يعرف ذلك صغار الطلاب حين تقرر لهم الفرق بين عموم السلب وسلب العلوم.

ويغفر الله لحصرة الكاتب في تلك المجلة تلك الزلة التي فرطت من قلبه عن غير قصد في قوله . « وأما مخاضته للعقل ومكابرتة له فإن الناس يعلمون أن الحى اذا مات فقد الشمور ولا إحساس وانقطع عنه التكليف الشرعى والعرفى وانقطع الخطاب معه وعدوا مخاطبه مجنونا » استغفر الله - أهكذا يجز الجدل والخصام ؟ : سحقا للجدل بنير التي هي أحسن : أهكذا يمدون مخاطبه مجنونا وقد روى المحدثون واقعة بدر التي ذكرناها وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لقتلى المشركين ؟ نحن نعلم أن الأستاذ لا يقصد كل ذلك ويقصد انقطاع التكليف ، ونحن نوافقه عليه وحده ، أما انقطاع الشمور والإحساس وعد مخاطبه مجنونا ، فنندعها ونعرض عنها ، لأننا لا نتلسزلات ، وبخاصة مثل هذا الفاضل المنصف النحرير ، ومن يضمن لنفسه العصاة من زلزل ؟ نسأل الله السلامة لنا ولاخواننا ، والهداية والتوفيق لما يحب ويرضى .

وأما مثل آية ( إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ ) وقوله : ( وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ) ومثل آية ( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ ) فليست مما نحن بصددده في شيء . فالأوليان للتيتيس من هديتهم وقبولهم التعليم بتمثيلهم بصورة ما تعارف الناس فيه انقطاع الصلة والتفاهم بينهم وبينه في هذه الحياة ، فلما ادستماع القبول والا تفاع بالهداية . والثانية من النعى على المشركين عبادتهم من لا يملك لنفسه شيئا حتى يستعيب لغيره ، فهو غافل عن الدعوى مشغول بشأنه لذى يعنيه ، فأين هذا مما نحن فيه من تقرير أن الحالة البرزخية طور من أطوار الحياة ؟ وقولهم : إنها حياة روحية لاجسمية هو وحده كاف ، فما كان المتوسل أو المستغث بطالب من التوسل به عملا جسمى كأن يرفع معه صحرا أو يبنى له بيتا ، وإنما ينتظر أن تتوجه روحه الى ربه كتوجه الشفعاء ، وما كان الموت الجسماني بمبطل لهذا .

أما للمقام الثاني وهو تربية الناس على ما تؤمن مغيبته ، وتعويدهم من أفعال الزلفى ما لا يجر الى منكر أو كفر ، فإنى أنا شخصيا أوافق عليه ، وأرى أن كثيرا من العامة يصدر منهم ما لا ينبغى أن يقرؤا عليه ، وما رجا جر الى كفر ، ولكن هذا شىء والتكفير به شىء آخر ، فأرى من واجب العلماء أن يعلموا الناس ما يليق بزيارة الصالحين ، ويتعهدوا عقيدتهم بالوقاية ، ويرشدوهم الى ما يجعل السننهم موافقة لما فى قلوبهم ، وأن ما يجرى على السننهم وإن صح فليس مما ينبغى شرعا . هذا رأى الخاص ، ولو جاء من يقول لى : إن اعتقادهم فى الصالحين يقوى رغبتهم فى رسم خطاطم والتأسى بهم فلا بأس به حيث كانت العقيدة مأمونة الصحة ، ما رأيتنى حريصا على تشديد التكفير عليه ، فهو مسلك فى التربية وما أراه مسلك ، ولكل وجهة . وعلى هذا فالمسألة مسألة ثانوية لا تنشق لها عصا الساميين ، ولا يصح أن يتقاطعوا فيها أو يتدابروا من أجاها .

والخلاصة أن كلا من الاستغاثه والتوسل لا يصح التكفير به ، وليس تكفير المسلم من الهنات لهينات ، ولولا خوف السامة لسقنا نصوص الفقهاء فى الاحتياط فى أمر التكفير ، كما جاء الاحتياط شرعا فى أمر الحدود التى هى أخف منه .

ولكنه ينبغى أن يعدل ذلك الموج الذى فشا فى العامة ، وينهوا عما يصدر من جهلهم من تقبيل الأعتاب أو النذر غير الصحيح ، أو الطلب اليوم أن للمضروب منه تصرفا فى أمر من الأمور ، كل هذا ينبغى معالجته وتعديله ، واقتلاع عادته السيئة المتأصلة . وما كانت الكلمات التى توالى تباعا من فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ المدجوى إلا فى المقام الأول ، حرصا على ألا يسلب من الاسلام من استظل براية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وإنا نطلب الى الهداة المرشدين أن يتكاثفوا على محاربة المنكرات والإلحاد ، ويدعوا أسباب الخلاف التى تفت فى عضد المسلمين ( وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ) وفقنا الله للخير آمين

ابراهيم الجبلى

## حقوق الزوجين

قال الله تعالى . ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) .

الكلمة الفذة والحكمة الجامعة لحق كل من الزوجين على الآخر هي قوله تعالى .  
( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) أى وللنساء على الرجال مثل ما للرجال عليهن ،  
فليؤد كل منهما الى الآخر ما يجب عليه بالمعروف .

نحن لانعلم نصاً أنصف الرجل من المرأة ، والمرأة من الرجل كهذا النص  
الشريف ؛ ولا شريعة راعت حقوق المرأة ورفعت من شأنها فسادتها من حيث الحقوق  
بالرجل كالشريعة الاسلامية ، السمحة السهلة ، التى تفضل الله تعالى بها على هذا النوع  
الانسانى ، ليحول بينه وبين هواه ، وما تسول له نفسه من الظلم وحب الأثرة  
والاستعباد .

إن الشريعة الاسلامية حافظت على المرأة ، وأوجبت لكل واحد من الزوجين  
حقوقاً على الآخر ، وآية ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) لم تبق مقالا لقائل ،  
ولا مجالاً لمفكر ، فهى بعمومها تشمل حسن المعاشرة ولين الكلام ، والداعية والرحمة ،  
والإصلاح والحلم ، وتحمل الأذى ، والقيام بالمصالح ، والعدل والتعليم والتأديب  
والطاعة ، والانقياد والصيانة ، والأمانة ولتمتعف ، وغير ذلك من كريم الخصال ؛ وبكل  
ذلك جاءت الآثار ، وتواتر الأخبار ، فليهنأ المحافظون على هذه الخلال ، الواقفون  
عند هذه الحدود ، ولينمت غيظا الجاهلون الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقولون  
ما لا يعلمون ، فيندبون للإسلام جمود المرأة المسلمة وجهلها وظلمها ، وعدم العناية بها ،  
ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وقد رأينا أن نذكر إخواننا محبي الهداية ببعض ما جاء في الشريعة الإسلامية من حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، فعمال يفترية على الاسلام بعض أعدائه، ورجاء أن يتعظ بذلك غافل، ويهتدى به عاقل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

### مقوق الزوج على زوجته :

ذكر من هذه الحقوق أموراً عشرة ، وقبل أن نبتدى بها نتقدم بالنصيحة الى الراغب فى الزواج أن يختار ذات الدين ويؤثرها على من عداها من ذوات الجلال والمال ، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال <sup>(١)</sup> : « تنكح المرأة لأربع خصال : لمالها ، ولحسبها <sup>(٢)</sup> ولجمالها ، ولدينها ، فافصر بذات الدين تربت <sup>(٣)</sup> يدك » وايس المراد - والله أعلم - الزوج عن رعاية الجلال ، بل المراد الخض على اختيار ذات لدين ، وتقديمها على غيرها من ربوات المال والحسب والجمال ، وذم من يرغب فى الجميلة مثلاً - لجمالها ، غير ملتفت لدينها وآدابها ، وأخرج ابن ماجه حديث : « لا تزوجوا النساء لحسن ، فمسى حسنهن أن يرديهن ؛ ولا تزوجوهن لأموالهن ، فمسى أموالهن أن تعطيهن ؛ ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرقاء ذات دين أفضل » وروى أن سيدنا سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام قال : « الجمال كاذب ، والحسن مخيف » ومنه قول الشاعر :

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى      فما كل مصقول الحديد يمانى

وقال أ كثم بن صيفى لبعض بنيه : إياك واختيار اللئيمة بما عندها من المال ، فإنه يذهب وتبقى فى حالك اللؤم . وقيل : تحت بياض الألوان ، سواد صفار وهوان .

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى . (٢) حسب الانسان ما يمد من مفاخر آتاه .

(٣) أى التصلت بالتراب من الفقر . وهذا الدعاء وأمثاله لا يرد مقصد الدعاء على المخاطب ، بل التحريض

وقد يكون في ثنایا لألقاب والرتب، مقایر للفضل والأدب . واذ ضم الى ذات الدين كونها رخيصة المهر، ممن تعلت العلوم الواجبة الضرورية، والفنون المنزلية، ونشأت من أبوين أشربا حب الكمال، وأسرة اعتزت بها الفضيلة، فهناك السعادة اتمامة والهناء الدائم .

الدول : منه مفقود الزوج على روبة — طاعنها ر في كل ما يطلب منها مما لا معصية فيه .

ورد في فضل طاعة الزوج عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة — منها ما أخرجه الزار والطبرانی أن امرأة قالت : يا رسول الله : أنا وافدة النساء إليك، ثم ذكرت ما للرجال في الجهاد من الأجر والنعمة، ثم قالت : فما لنا من ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أبلي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله » .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن أبي أوفى رضى الله عنه قال : لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟ قال : يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك . قال : « فلا تفعل، فأبى لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها » . وأخرج الترمذی وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه حديث « أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » وأخرج الزار بسند حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قل : زوجها . قلت : فأى الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه . وقد قيل : خير الزوجات المطيعة



الحلية الفطنة ، الولود الودود ، القصيرة اللسان ، المطاوعة العنان <sup>(١)</sup> وقيل : من أرادت أن يطيعها زوجها فلتطعمه .

ومن طاعة الزوجة لزوجها أن لا تنازعه في شيء أراده ، ولو كانت على ثقة من صواب رأيها ، فالإذعان والإطاعة أفضل لها ، إذ قد ينتج الاختلاف عن أسباب نافية ، وينشأ عن ذلك مشا كل خطيرة ، وكثيرا ما تتوصل المرأة لى تحويل الرجل الى رأيها إذا طرحت العناد جانباً . وإذا لم ينشأ عن طاعة الزوجة لزوجها إلا إحرارها لرضاء ربها تعالى ، وهنؤها في حياتها ، وتربح أولادها على طاعتهم لها ولأبيهم ، والإذعان لسلطتهم عليهم ، لكان ذلك كافيا ، ودواء من النزاع بين الزوجين شافيا .

الثاني : أنه تعصوه نفسها عنه نظرا لغيرها وتستر عنه الأبواب وتقضى بصورها عن رؤيتهم .

قال الله تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَنْبَارِهِمْ } وقال تعالى : { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُضْنَ مِنْ أَنْبَارِهِنَّ } وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال <sup>(٢)</sup> لانهته فاطمة رضي الله عنها : « أي شيء خير للمرأة » ؟ قالت . أن لا ترى رجلا ولا يراها رجلا . فضمنها صلى الله عليه وسلم اليه وقال . « ذرية نعصها من بعض » واستحسن كلامها .

ومنى كانت الزوجة قاصرة <sup>(٣)</sup> العرف ، كان ذلك دليلا على إحلاصها لزوجها ، وفي ذلك السعادة والهناء ، ولم شعث الائتلاف ، وقطع دابر الاختلاف . وعلى المرأة أن تحتزم من التطلع الى بيوت الجيران والأسواق والسكك من ثقب وكوى وشبايبك ، ومن أن يسمع أجنبي صوتها بلا ضرورة أو يعرف شخصها . وعليها أن لا تتعرف الى صديق بعلمها في حاجاتها ولوازمها ، وإذا استأذن صديق لبعلمها ولم يكن لبعلم حاضر

(١) عان النابة ما تعاد به (٢) دواء البرار وإندار فطى في الامراء من حديث على رضي الله عنه بسند ضعيف قاله العراقي . (٣) أي حايبة عينها على زوجها فلا تتطلع إلى غيره .

لم تستفهم من هو ولا ما حاجته ؛ وإن دعت الى ذلك ضرورة فلتغير صوتها لئلا يجد الشيطان لذلك مدخلا عليها أو على بعلمها أو صديقه ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .

### الثالث . أنه تقوم بكل خدمة في الدار تخدم عليها

ينبغي أن تبكر المرأة بالقيام لمباشرة أعمال المنزل ، كي يقوى جسمها وعقلها ، وتندأ عن نفسها الأمراض والعلل ، وليقتدى بها غيرها ممن في المنزل ، فتغنى بكس الدار كل يوم ، وإصلاح فرشها ، وطبخ ما احتيج لطبخه ، وبالعجن والخبز ، وسقى الدابة إن كانت ، وإعطاء الملف لها ، وخياطة ما تيسر ، وتغلا آنية الوضوء والشرب وبيت الخلاء ، وتحضر ماء الغسل باردا أو مسغنا بحسب اختلاف الأوقات والحاجات ، وتجعلهما إصلاح شأن دارها ، وتدير منزلها ، وتقوم من ذلك بما في وسعها مما جرت به عادة وأقره العرف ؛ وجهور النساء على أنها بذلك متطوعة ؛ وقيل إن ذلك واجب عليها ديانة إن كانت ممن نخدم نفسها ، وتقدر على ذلك .

وفي البخاري أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضی الله عنهما قالت : تزوجني الزبير <sup>(١)</sup> وما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه <sup>(٢)</sup> ، فكنت أعلف فرسه - زاد مسلم : وأسوسه - وأدق النوى لناضحه ، وأستقي الماء ، وأخرز غره <sup>(٣)</sup> وأحن ، وكنت أقال النوى على رأسى من ثلثي <sup>(٤)</sup> فرسخ ، حتى أرسل إلى أبو بكر بخادم يكفيني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني ، فثنت يوما والنوى على رأسى ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . ألمخ إخ - يستنخ ناقته ليحملني خلفه - فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته - وكان أغبر الناس - فعرف

(١) هو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وهو أحد عشرة .

(٢) أى بيمره الذى يستقى عليه . (٣) أى أصبغ دلوه . (٤) كناية عن مسافة ساعة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قد استحييت ، جئت الزبير فحكيت له ما جرى ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه صلى الله عليه وسلم ! .

الرابع : أنه لا تخرج من البيت الذي أسكنها فيه إلا بإذن الصريح .

إذا أذن الزوج لها بالخروج لفرورة فلتخرج لابسة ثياب الحشمة غير متبرجة<sup>(١)</sup> ، ثلاثا يكون نهرجها سببا في لفت خائنة الأعين لها ، ولتطلب للمواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ؛ فإن خرجت بغير إذن بلا ضرورة كأنهدام الدار أمنت ، ولعنيتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب ؛ وكحروجها بلا إذن زوجها صمودها على أسطحة دارها ، أو المواضع المرتفعة منها ، ودخولها على جيرانها ، إلا لفرورة تدعو إلى ذلك .

أخرج البيهقي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت لمها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع قيل : وإن كان ظالما ؟ قال : وإن كان طالما . قال العراقي : هكذا رواه أبو داود الطيالسي وابن عساكر . وأخرج الترمذي وقال : حسن صحيح ، وابن حبان من حديث ابن مسعود رضى الله عنه : « المرأة عورة<sup>(٢)</sup> » فإذا خرجت استشرفها<sup>(٣)</sup> الشيطان .

وأخرج الحاكم عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أي امرأة استعطرت فخرجت فرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية ، وكل عين زانية » . وعند الطبراني من حديث ابن مسعود رضى الله عنه : « أقرب ما تكون للمرأة من الله تعالى وهي في قمر بيتها » .

هذا ولتعلم المرأة المسلمة أن ملازمتها لبيتها لا ير دمنه — كما يشيعه بعض أعداء الاسلام — حبسها أو التضيق عليها ، كلا ، ثم كلا ، وإعما يراد منه المحافظة عليها ،

(١) التبرجة هي التي مخرج متزينة لابسة آخر ثيابها هي إن سلت بنفسها لم يعلم الناس منها

(٢) المودة في الأصل ما يستحي من إظهاره من العار وهو الدمة . كشيء بها عن وجوب الاستتار في حقها .

(٣) استشرفها الشيطان أي ليدبها أو يعوى بها فيوقع أحدها أو كليهما في الفتنة .

والإبقاء على حرمتها وآدابها، وسلامتها من مغالطة الرجال الأجانب ليس إلا؛ ولا شك أن عدم مخالطتها للأجانب مما يوجب لها العز والفخر، ويكسبها الثناء وحسن الذكر، إذ كم انبعث عن مخالطتها الرجال مفسد، وكم نشأ عنها مضار. إن عقلاء الغربيين حيارى لا يدرون كيف يدفعون عن بلادهم وأممهم بلاء هذه الفتنة، فتنة اختلاط المرأة بالرجل، وهم جازمون بأن عاقبة ذلك سقوط الفضيلة، وشيوع الرذيلة، وموت الأخلاق والآداب.

تقول الكاتبة الشهيرة «اللادى كوك» بجريدة الايلو. على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى. وهنا البلاء العظيم على المرأة، ولرجل الذى علقته منه يتركها وشأنها تنقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتدوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الموت. أما العاقبة فلأن الحمل وثقله، والوحم ودواره من موانع الكسب الذى تحصل به قوتها؛ وأما العناء فهو كونها تصبح شريرة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها؛ وأما لذل والمعارف عار بعد هذا؟ وأما الموت فكثيرا ما تفجع المرأة نفسها بالانتحار.

هذا ورجل لا يم به شئ من ذلك. أما أن هنا أن نبحت عما يحجب - إذا لم تقل يزبل - هذه المصائب التى تعود بالمعار على المدنية الغربية؟. أما أن لنا أن نتخذ طرقا تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لا ذنب لهم؟

يا أيها لوالدان: لا يفركما بعض دربهات تكسبها نتائجك باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا علموهن لاتعداد عن الرجال. أحبروهن بماقبة الكيد السام منهن بسبب ذلك. لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنى يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال. لقد أدت بنا لحال لى حد من الدناءة لم يكن تصورهما بالإمكان. وبلاء من هذه الحالة التعيسة.

وتقول الكاتبة الشهيرة «مس آنى رود»: لأن يشتغل بناتنا فى البيوت خادعات خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بما يذهب برونق

حياتها الى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد الاسلام فيها الحشمة والعفاف والطهارة : إلخ .

فظهر بهذا أن ملازمة المرأة لبيتها بخاصة من آفات جمة ، وإيلا متعددة ، وأن يحجب الشرع لاسلامى ذلك عاينها هو لفائدتها وراحتها ، والسير بها الى ما يوجب الرفعة وعلو الشأن ، والراحة وهناء العيش .

**الخامس : أنه لا تعطى شيئا من بيته الا بأذنه .**

من محاسن المرأة أن لا تقرط في مال زوجها ، مدخرا كان أو ما كولا أو ملبوسا ، بل تحفظه عليه ، فإن لم تفعل كان تفریطها في ماله سببا لضعف الألفة الزوجية ، وذهاب بهجتها ، وبلاء جدتها ، وذلك مبدأ التفور ، ومبعث الشقاق ، ولذا وجب على الزوجة التباعد عن إضاعة مال زوجها ، والعمل على إصلاحه وتوفيره ، فإن أعطت منه فقيرا أو غيره شيئا ولو قليلا ، فليكن ذلك بإذنه الصريح أو علم رضاه .

أخرج أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : ولا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت ذلك كان له الأجر ، وعليها الوزر . وأخرج البيهقي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما . وأن لا تعطى شيئا إلا بإذنه ، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها .

**السادس : أنه لا تصوم يوما واحدا أو أكثر تطوعا الا بأذنه .**

إذا صامت امرأة و زوجها حاضر غير مسافر جاعت وعطشت ، وأثمت في صومها ، ولم يتقبل منها ، بل هناك من العلماء من قال : إن صومها للنفل بغير إذن لا يصح أصلا . وهذا في صوم التطوع ، أما صوم الفريضة فإنها لا تحتاج فيه الى إذنه .

أخرج البيهقي من حديث ابن عمر : أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على طهر فتب<sup>(١)</sup> وأن لا تصوم يوما واحدا إلا بإذنه ، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها

(١) القتب للعدل كالسرح للفرس

السابع : أنه يجوز المصراع والاختصاص في غيبة ، والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في مفروقه .

لا خير فيمن تلقى زوجها متقبضة الوجه ، مكفهرة ، وسحة الثياب ، قدرة البدن ملأى بالمبوس والتقطيب ، فإنها بذلك تفتح طريقا للشيطان ، وتمهد السبيل للنزاعة والشقاق ، وكفى هذا هادما لبناء زوجية ، مفسدا لنظام الأسرة ، فلتحتنب المرأة هذه الخصال الدميعة ، ولتقابل زوجها بالتبسم والفرح ، ولتطلب سروره ورضاه في جميع أموره ، ولتكن عند مقابلاتها له متطيبة مزينة ، نظيفة البدن والأمتعة والثياب ، مزينة عنها رائحة لأعراق والأوساخ ، محصرة له ما يطلبه ويرغب فيه من طعام وغيره .

أوصت سيدة انتها عند زواجها فقالت : أى بنية ، لا تغفل عن نظافة بدنك فإن نظافته نقى وجهك ، وتحبب فيك زوجك ، وتبعد عنك الأمراض والعدل ، وتقوى جسمك على العمل ، فالرأفة التفل<sup>(١)</sup> تمنحها الطيباع ، وتبني عنها العيون والأسماع ، وإذا قابلت زوجك فقابل به فرحة مستبشرة ، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه .

الثامن . أنه لا تكلف ما لا يلزم ولا تطالب بالزائد من حاجات نفسها .

على المرأة أن تعين زوجها على العيش بالاعتصام وحسن التدبير ، وتكون قائمة بما رزق الله تعالى ، لا تستزیده في مأكول ولا ملبوس ، فإن ربح الجشع<sup>(٢)</sup> تطفى نار المحبة ، وتثير غبار الكراهية ؛ والقناعة والاعتصام من أحسن صفات المرأة وأكرم نعمتها ، ومتى درفت المرأة القناعة وتمكن منها هذا خلق الجليل ، أمكنها أن تدبر القليل من الرزق فتنتفع به وتحسن التصرف فيه ، ويندرج في قناعتها تعففها عن كسبه إذا كان حراما ، فإن في تناول الحرام الهلاك الأبدى ، وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به .

(١) التفة : لشفة الزم ترك الأدهان والطيب . (٢) الجشع محركة : شدة الحرص واسوأ النطم .

وقد كانت عادة النساء في السلف اذا خرج الرجل من منزله يقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب الحرام فإذا نصبر على الجوع والضر ، ولا نصبر على الدار .  
وعلى الزوجة أن لا تمتعض <sup>(١)</sup> من إعسار زوجها ولا تتغير من تحول حاله ، بل تقابل ذلك بالصبر ولرضا ، فالخبرة من تكون لزوجها في عسره كما كانت له في يسره . وقد رأينا بأم المين من الفضليات من تمين زوجها في أيام ضيقه على الدهر ، وتحمل معه بعض آلام العسر ، فتستقطر ثقب إبرتها قطرات من الرزق تدفع بها بعض حاجتها ، وتسد بها من خلتها ، وهي في ذلك رضية صابرة ، عالمة أن انتظار الفرج من أفضل أنواع العبادة . وأن مع العسر اليسر ، وأن نعيم الدنيا قد يكون في لاخرة بلاء ، وسعادتها قد تكون شقاء ، ومصادق ذلك قوله <sup>(٢)</sup> صلى الله عليه وسلم -- وقد أصابه جوع يوما فعمد لى حجر فوضعه على بطنه الشريف . « أَلَا رُبُّ نَفْسٍ طَامِعَةٌ نَاعِمَةٌ فِي الدُّنْيَا ، جَائِعَةٌ عَارِبَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا رَبُّ مَكْرَمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مِهِنٌ أَلَا رَبُّ مِهِنٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مَكْرَمٌ » .

التاسع : أنه ينزل مهرها في أداء وإيمانها الديني .

ينبغي للمرأة أن تقبل على صلاتها وصيامها وسائر ما فرضه الله تعالى عليها ، وليكن أول أعمالها اليومية بعد أن تهض باكرا من فراشها أداء صلاة الفجر ، ولتوقظ لذلك أولادها ، ولتسهل لهم ولزوجها السبيل الى ذلك ؛ وينبغي للمرأة أن تكون كثيرة الخوف من الله تعالى ، مجتهدة في عبادته ، متعلمة ما فرض الله تعالى ، لا تقدم على أمر دينها شيئا أبدا .

أخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأدامت

(١) أى لا تمتعض . (٢) أخرجه ابن أبي الدنيا . قاله المراقى .

زوجها، دخلت جنة ربه» وعن الحسن<sup>(١)</sup> قال - حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أول ما تسأل المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعْلِها » .

العاشر : أنه تبرز زوجها وتؤثره على ما سواه .

على المرأة أن تقدم حق زوجها على حق نفسها وحق أقاربها ، ومن البر بالزوج احترام أهله ، وخاصة أمه التي كانت سببا في زواجها منه ، فقسلم اليها زمام لرأسة المنزلية وتنقاد لكلامها ، وتعمل بنصائحها ، فكثيرا ما كان الخلاف بين الأم والزوجة سببا لحل عقدة النكاح ، أو عقود لزوج لأمه ، وخسارته لرضا ربه ، والعياذ بالله تعالى . ومن بر الزوج شكره على ما يأتي به الى الدار من طعام وشراب ، وثياب وفاكهة ، وأثاث بيت ، إذ من لؤم الطبع ترك الثناء على الجليل وجحد المعروف . ومن بره أيضا حسن تربيتها لأولادها بحيث تكون رحيمة بهم ، شفيقة عليهم ، صابرة على ما تكابده منهم في الصعلة والمرض ، قصيرة اللسان عن سبهم والدعاء عليهم ، ممرية لهم على التقشف وتحمل الصعاب ، مثقفة لأفكارهم ، حاملة لهم على لأدب مع غيرهم ، غارسة في قلوبهم قواعد الايمان والاسلام ، محبة اليهم فعل الخير ت ، وترك المنكرات ، ناهجة بهم مخرج من يرى أن أحب الخلق الى الله أنفعهم لعباد الله م

دمشق - محمود ياسين

(يتبع)



## المسلمون في أوروبا الشرقية<sup>(١)</sup>

— يوغوسلافيا —

مملكة الصرب والكروات والسلوفين سابقا  
أقلية مسلمة

.....

إن حرية الاعتقاد قد كفلتها المادة الثانية عشرة من دستور المملكة ، فالأقلية المسلمة اليوغوسلافية تشترك الآن في الحياة العامة لوطنية في الأحوال والظروف التالية :

أحصاء السكان : — إن مجموع سكان هذه المملكة حسب ما جاء بإحصاء وزارة الشعائر الدينية الذي نشرته سنة ١٩٢٣ هو ١٢,٣٢٣,١٢٠ نسمة ، ويبلغ عدد المسلمين من هذا المجموع ١,٣٣٧,٦٨٧ شخصا على الأقل أي بنسبة ١٢٪ (في المائة) من ذلك المجموع موزعين في المقاطعات كالاتي :

ففي شمال الصرب : يوجد منهم ١٦,١٨٥ نفسا من مجموع سكان هذه المنطقة البالغ قدره ٢,٦٦٩,٥٦٧ شخصا .

وفي جنوب الصرب : ٧٠٥,٥٥٤ نسمة من المسلمين ، وهو عدد ضئيل بالنسبة لمجموع الأهل الذين يبلغ عددهم ١,٤٧٢,٩٨٢ نفسا ، منهم ٧٤٣,٨٧٢ أرثوذكسيا ، و ١٢,٦٩٩ كاثوليكيا ، و ٥,٧٣٧ من الاسرائيليين .

وفي كرواتيا — سلوفينيا : (Croatie Slavonie) يوجد ٢,٤٣٩ مسلما من ٢,٦١٦,٩٣٨ شخصا مكونين لمجموع أهالي هذه المنطقة .

(١) مترجم عن الفرنسية من كتاب دليل العالم الاسلامي .

وفي ميجوموريه — (Méđounourie) : يوجد ٥٦ مسلما من مجموع الأهالي البالغ قدره ٩٦,٩٧٢ شخصا.

وفي سلافيني — (Sloveme) : ٦٥٠ مسلما من مجموع السكان وعددهم ١٠٥٦,٤٨٢ نفسا.

وفي الجبل الأسود — (Montenegro) : ٢٢,٨٥٦ مسلما من مجموع سكانه البالغ عددهم ١٩٩,٨٥٧ نسمة.

وفي البوسنة والهرسك : يوجد ٥٨٨,٢٤٧ من المسلمين من مجموع السكان وهو ١,٥٨٩,٩٢٩ نفسا، منهم ٨٢٩,١٦٢ أرثوذكسيا و ٤٤٣,٩١٤ كاثوليكيا، و ١٢٠,٢٨ يهوديا، و ٩,٢٩٧ من المسيحيين الاغريق المعترفين بسلطة البابا العليا و ٦,٦٤٩ من البروتستانت.

وفي بانا — (Banat) : ٧٣٥ مسلما من ٥٨٢,٥٤٠ نفسا مجموع عدد السكان.

وفي بانسكا — بارانا : (Batchka - Baran) ٩٦٥ مسلما من مجموع سكانها البالغين ٧٩٧,٨٧٣ نفسا.

ولا يوجد مسلمون في « دالمسيا » ولا يجزيرة « كرك » (Krk).

ملحوظة : — إن التقسيم الاقليمي السالف الذكر قد تغير فعلا في ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ ووضع بدلا من تقسيم أكثر نجاسا، ومكون من تسع مقاطعات (Banovines) وهي : « دراڤا » (Drava) و « سافا » (Sava) و « أوربا » (Urba) و « بريمورسكا » (Primorska) الواقعة على الشاطئ، و « درينا » (Drina) و « دونافا » (Dunava) و « زيتا » (Zeta) و « فاردار » (Vardar).

وعلى وجه الإجمال يكون المسلمون ٤٨ ٪ (في المائة) من مجموع سكان جنوب بلاد الصرب، و ٣٧ ٪ (في المائة) من مجموع أهالي البوسنة والهرسك.

بمقول المرسوم . — بدئ دخول الاسلام هذه البلاد بمجد السيف في وقعة « تشيرنومن » ( Tchernomen ) سنة ١٣٧١ ، وواقعة « كوسوفو » سنة ١٣٨٩ من الميلاد ، وأخذ ينتشر بعد الفتح التركي سنة ١٤٥٩ بأقامة القبائل التركية لرحالة ( يوروكس Yuruks ) في تلك البلاد ، وكذلك المستعمرين العسكريين ( أود حاق في بانر د ) وقد اعتنق الاسلام جزء من الفلاحين ، ولا سيما من فلاحى البوسنة .

وعلاوة على ذلك فقد اعتنق الاسلام منذ الفتح التركي ( بين سنة ١٤٨٠ وسنة ١٥٢٢ ) طبقة أصحاب الإقطاعيات من الكروات والصرب المسيحيين غير الأرثوذكس ( من المرقصيين والكاثوليك ) وكونوا طبقة البيكوات ، فكان هناك من ٣٦ الى ٤٨ رتبة بيك وراثية ، وكان أصحابها خاضعين خضوعا مآلوا الى التركي في « ترافنيك » ( Travnik ) ( أو « بانجلوكا » Banjaluka ) ، وكانت هذه الطبقة ذات شهامة وشكيمة قوية ، وشديده الغيرة على الاسلام الخالص المحض ، وكان محمد سوكلى ( Sokolli ) الذى عين صدرا أعظم من سنة ١٥٦٥ الى سنة ١٥٧٩ من هذه الطائفة .

وهذا هو تقسيم المسلمين حسب الأجناس التى دخلت الاسلام .

فالصرب والكروات الذين اعتنقوا الاسلام في البوسنة والمهرسك ونوتى بازار ( Novibazar ) و « بيلوبولجى » ( Bielopolje ) يبلغ عددهم ٦٥٠,٠٠٠ شخصا .

أما الترك القاطنون على الشاطئ الشرقى من نهر « فاردار » ( Vardar ) فى اتجاه أسكوب ( Uskub ) فعددهم ٢٨٠,٠٠٠ نسمة ، وأما الالبانيون القاطنون فيما بين « بروكوبلجى » ( Prokouplje ) و « دياكوفيسكا » ( Diakovika ) وبالتقرب من موناستير فيبلغون ٣٥٠,٠٠٠ نفس ، وأما طوائف النور المسلمين ( Tseganes ) الموجودين فى نيش ( Nisch ) و « فرانبا » ( Vranja ) و « ليسكوفاتز » ( Lescovatz ) فعددهم

٥٠,٠٠٠ نفس

اللغات : - يتكلم اثنان ٪ في المائة من مسلمى البوسنة اللغة التركية والعربية والفارسية ، إلا أنه منذ سنة ١٩٠٩ ولا سيما منذ سنة ١٩١٢ أخذوا جميعا يتركون استعمال اللغة التركية كلغة مكتوبة وابتدؤا يستعملون اللغة الصربية مكتوبة بحروف عربية عوضا عن الحروف السلافية المبدلة ، وأما مسلمو يوغوسلافيا الآخرون فإن اللغة السائدة بينهم هي اللغة التركية وكذلك الكتابة التركية .

مشارك المسلمين في الحكم : - كان يوجد عشرة من النواب المسلمين في مجالس نواب سنة ١٩١٩ .

أما انتخابات ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٠ لمجلس نواب « سكويشتينا » ( Skupchina ) فقد أسفرت عن انتخاب ٢٤ مسلما من مسلمى البوسنة من حزب مسلمى يوغوسلافيا ، و ١٢ مسلما من مسلمى جنوب الصرب من بين (الراديكالين) المتطرفين أو الديمقراطيين ، فيكون للمسلمين في مجلس نواب يوغوسلافيا ٣٦ كرسيًا من ٤١٧ كرسيًا ، وقد ألف بعضهم حزبا أثناء تلك الدورة النيابية أسموه باسم « الجمعية » ( Djemiet ) .

وأما الانتخابات التي أجريت في ١٨ مارس سنة ١٩٢٣ فقد أسفرت عن انتخاب ١٨ مسلما من البوسنة من حزب « سباهو » ( Spaho ) و ١٣ مسلما من جنوب الصرب من حزب « الجمعية » الذي كان يتآلف من وقت لآخر مع الحزب المتطرف (الراديكال) .

وقد كان لحزب مسلمى يوغوسلافيا ، في البوسنة الذي تألف سنة ١٩١٩ كرسيان في الولاية اليوغوسلافية التي تشكلت في مارس سنة ١٩٢١ ، وكان يشغلها الدكتور محمد سبا هو والدكتور قرا محمد وفقش - وفي سنة ١٩٢٢ انقسم حزب مسلمى يوغوسلافية الى شعبتين :

(١) شعبة بقيت حافظة للاسم الأصلي للحزب وهو « الحزب اليوغوسلافي الاسلامي » ويطالب بالاستقلال ويديره الدكتور سباهو، وكانت جريدة « برافدا » ( Pravda ) لسان حاله تطبع في مدينة سيرا جيفو، وتميل الى الانضمام لمطالب الكراويين.

(٢) والشعبة الثانية تسمت باسم « حزب نارودنا اليوغوسلافي الاسلامي » وقد أسسه سماحة المفتي « مجيليتش » ( Magjailitch ) وله جريدة لسان حاله اسمها « الإرشاد »، تطبع في سيرا جيفو أيضا، وهو حزب وصولي، وقد انهزم في انتخابات سنة ١٩٢٣ رغمًا عن أنه كان له حينئذ كرسى في الوزارة يشغلها الدكتور درويش بك عمروفتش وأحمد شيرتش، وقد أسس الجزء الأعظم من نواب جنوب صربيا المسلمين الذين هم من أصل تركي أو ألباني حزبا خاصا في مجلس نواب سنة ١٩٢٠ أطلقوا عليه اسم « الجمعية » وقد أسسوه في الوقت المناسب بحيث كان يقود الأغلبية عند التصويت على دستور المملكة، أما بعض النواب الآخرين الذين هم من أصل صربي مثل المفتي سيف الدين بك « محمود ويجوفتش » النائب الديموقراطي عن يلو بولجي، فقد استروا منضمين للأحزاب الكبرى مثل الحزب « الراديكالي » ( المتطرف ) أو « الديموقراطي » ( الشعبي ) وكان لحزب « الجمعية » جريدة لسان حاله تدعى جريدة « الحق » أسست سنة ١٩٢٠ وتطبع في مدينة سكوبلجي طبعيتين، طبعة باللغة الصربية والأخرى بالتركية.

وهذان الحزبان من المحافظين، إلا أنهما انضما لمشروع إصلاح زراعي.

ويوجد عدة مجالس بلدية مكونة أغليتها من المسلمين في البوسنة وفي جنوب الصرب، ولم تنشر إحصائيات رسمية.

ادارة المعارف الدينية : — لمسلمى البوسنة رئيس أعلى يدعى رئيس العلماء، ويقع في سيرا جيفو طبقا لقانون النظامى العسوى البوسنى الصادر سنة ١٩٠٩، ويشغل هذه الوظيفة في سنة ١٩٢٨ حاج محمد جمال الدين جاوشيفتش الذى خلف الشيخ حافظ سببان شارتر، ويكاد يكون مستقلا عن وزارة الشماثر الدينية.

أما صربيا (الشمالية والجنوبية) وبلاد الجبل الأسود والنفودينا (Voivodina) فالرئيس الديني للمسلمين فيها هو سماحة المفتي الأكبر، ومقره في بلغراد سنة ١٩٢٨ وهو الشيخ محمد زكي تشينارا ويساعده مجلس مكون من عضوين .

وأما كرواتيا (سلافونيا وميجوموريا وسلافونيا ودالماسيا) فرئيسها الديني المفتي المقيم بمدينة زغرب، وكان الشيخ عصمت مفتي نيقش هو الذي يشغل وظيفة الإفتاء بها سنة ١٩٢٨ . وكانت خطبة الجمعة تلقى باسم الخليفة العثماني في جميع مساجد يوغوسلافيا حتى سنة ١٩٢٤ .

ويتبع مسلمو يوغوسلافيا مذهب الحنفية، ورئيس العلماء في البوسنة يعين بمساعدة مجلس القضاة ورجال الإفتاء (وعدهم سبعة) والأئمة وخطباء المساجد، وهو نفسه تعيينه الحكومة من بين ثلاثة ترشحهم هيئة العلماء المنتخبة من البوسنة، عملاً بقانون ٢٦ فبراير سنة ١٩٠٩ . وكان يوجد من سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٩٤ إدارة للأوقاف تشرف عليها الحكومة ولجان استشارية، وكانت إيراداتها مخصصة للإتفاق على المعاهد الدينية، وهي: مدارس ابتدائية، وتدعى « مكاتب الصبيان » وعددها سبعائة .

ومدارس ابتدائية نظامية تدعى « مكاتب ابتدائية » وعددها مائة وعشرون .

وغير ذلك كان يوجد نمائى عشرة « مدرسة » منها أربع نظامية في سنة ١٩٢٨ يقابلها سبع وثلاثون في سنة ١٩١٤، ومدرسة ثانوية للبنات، وأخرى تجهيزية للشرعية في سيراغيفو حيث يؤسس معهد الآن لدراسة علم التوحيد .

وفي مدينة « سكوابيجي » أسست المدرسة الكبرى سنة ١٩٢٥ باسم « اسكندر الأول » . ويمدون الآن (سنة ١٩٢٩) مشروع قانون ليتم استقلال المسلمين في إدارة شئونهم الدينية، ومسائل التربية والتعليم والأوقاف، وهناك مدرسة للقضاء أسست سنة ١٨٨٩ في مدينة سيراغيفو .

وبجانب كل محكمة عادية في البوسنة والهرسك توجد محكمة شرعية يديرها قاض شرعي ، وبجانب محكمة سيرا جيفو العليا توجد محكمة شرعية عليا مكونة من ثلاثة من كبار القضاة .

وهذا النظام سيمتد الى بقية بلاد يوغوسلافيا حيث يفصل موقتا رجال الإفتاء في شئون المسلمين وجماعات الإخوان الإسلامية القديمة تسير الآن في طريق الانحلال لأن ميل المصريين الذين اعتنقوا الإسلام الى التصوف وتشيع نفوسهم بموامل الشفقة والزهد ونسيان الذات — كل ذلك أ كسب طرق النقشبندية والقادرية والمولوية وخلقوية الكثيرين من مريديها الذين انضموا اليها منذ القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، ولا يوجد الآن سوى تكتيتين للبيكتشية في سيرا جيفو. وأما لجماعات المكونة على النظام العثماني المسماة باسم « أصناف » فلا يزال يوجد منها في جنوب بلاد الصرب .

الصحافة : — أما الصحف الإسلامية فهي : جريدة « الإرشاد » وألغيت الآن وجريدة « برافدا » ( Pravda ) وجريدة « نوفي فريم » ( Novi vrome ) وجريدة « جيريت » وهي نصف شهرية ، وجريدة نوفي بهار ، وهي كذلك نصف شهرية ، ومجلة « جولستان » الشهرية ، ومجلة اسلامكا سميحيست الشهرية ، إلا أنهما أوقفتا سنة ١٩٢٦ ، وكل تلك الصحف كانت تطبع باللغة الصربية بمدينة سيرا جيفو . وكان يطبع في مدينة سكوب جريدة الحق باللغة التركية والصربية ، إلا أنها ألغيت سنة ١٩٢٠ ، وجريدة « البرليق » باللغة التركية والصربية أيضا ، وجريدة « صدائي مليت » وكان يجردها باللغة التركية والصربية كذلك الاستاذ اسكندر بوقفتش في سنة ١٩٢٧ ، وجريدة « فسنيق » باللغة الصربية . وتنتشر بمدينة « توزلا » مجلة « حكمت » الشهرية وتطبع باللغة الصربية .

# الطابع الأدبي للإسلام

في أفريقيا الشرقية<sup>(١)</sup>

يمتدز الإسلام من بين الأديان الأخرى في هذه الجهات بأنه دين جاء به كتاب سماوي ، والكثير من الأهالي يتقن لهذا السبب كتابة الحروف العربية وقراءتها ومجدثرة ذلك في لوحات معلقة على أبواب منازلهم ومتاجرهم ، وفي كثير من الخطابات وانقصاصات المختلفة . ومما يلفت النظر كذلك أننا نجد بين حين وآخر أناسا يقرءون من كتب عربية أمام منازلهم ، وبالاختصار فإن قليلا من الملاحظة تكفي لبيان أن للإسلام في هذه الجهات أثرا كبيرا في الطابع الأدبي بها .

وترداد هذه الظاهرة وضوحا سبب نفشي لأمية بين أصحاب الأديان الأخرى ، إلا أنه كثيرا ما توضع اللوحات العربية مزودة بآيات قرآنية على أبواب المنازل والمتاجر — كما سبق ذكره — لأغراض أخرى ، مثل إبعاد الأرواح الخبيثة .

وتقوم فئة المدرسين بتلفين تلاميذهم قواعد الكتابة العربية ، حتى يتمكنوا من استذكار بعض الآيات القرآنية وحفظها عن ظهر قلب دون أن يقدر أغلبهم على تفسيرها ، وكذلك كثير من المدرسين أنفسهم لم يصلوا إلى درجة من العلم تمكنهم من تفسير القرآن ، وتوجد طبقة أخرى أعلى من مستوى الكتابة يقدر الكثير منهم على قراءة القرآن قراءة صحيحة وتفسيره أيضا ، ويطلق عليهم لقب « الشيوخ » ، ولا يقل عددهم في مقاطعة أو سارامو — إذا استثنينا مدينتي دار السلام وباجامبو — عن أحد عشر .

(١) نقلا عن مقال للاستاد Kiamroth في مجلة العالم الإسلامي العالمية التي تصدرها الجمعية العالمية

للمعارف الإسلامية ببرلين .



ويقسم المسلمون في هذه البلاد إلى طوائف مختلفة فمنهم المسلمون المهاجرون الذين نزحوا إلى هذه البلاد من الخارج ، ومنهم الأهالي الوطنيون ، وكذلك منهم من هو من أصل هندي ولا أثر له في إسلام هذه البقاع ، ومنهم من هو من أصل عري ، ويتكلمون العربية كلغة أساسية ، ولو أن بينهم من يتبع مذهب مختلفة ، إلا أن الجزء الأكبر منهم كان له لأثر الكبير في الإسلام هناك . وأما اليوم فإن الممثل الحقيقي للديانة الإسلامية هم الأهالي الوطنيون وليس هم الغرباء ، وهم وحدهم الذين همنا معرفة مبلغ ما وصلوا إليه من الشفافة الأدبية بفضل الإسلام .

والباحث عن كتب في أحوال هذه القبائل يمكنه للوصول إلى معرفة درجة العلم والأدب التي هم عليها ، وقد يكون في أخبار من لم يبحث بنفسه في دخائل لأموال الأدبية وتوعها وحقيقتها شيء من التضليل .

وإني سأجهد هنا ما أمكن في الاستعداد عن آداب لغتهم الأصلية التي وإن كانت مدونة بالحروف العربية ، إلا أنها ليست بالعربية ، وليس للعرب أو الإسلام فيها أي أثر وعلى هذا النهج نحا الأستاذ Becker في مقاله « القواعد الأدبية في إسلام أفريقيا الشرقية الألمانية » الذي نشرته مجلة « الإسلام » الألمانية في الجزء الأول من المجلد الثاني ص ١٨ ولم يهتم بهذه الحاجة من آداب اللغة الأصلية سوى بعض علماء الكنيسة الانجيلية . أمثال كرابف ووتنر وماينهوف ، ونشرت لهم أبحاث قيمة في هذا الصدد في مجلة « لغات المستعمرات » الألمانية عام ١٩١١

والذي يهنا الآن البحث فيه هو اللغة العربية لاقرانها بالإسلام في ثقافة هذه البلاد .

ومما يجب التنبيه إليه — محافة الوقوع في اللبس — أن درجة استعمال الكتب ليست دليلاً على اهتمام الناس بالقراءة ، فكثيراً ما تستعمل كتب الدين والتفسير

لاقتباس أحكام الشريعة الإسلامية، فترك الأيدي أترا على الكتب دون أن يدل ذلك على استعاطها للقراءة أو نحو ذلك، كما أن كثيرا من أصحاب هذه الكتب لا يجيدون قراءة اللغة العربية، ولذا يجب عدم التسرع عند الحكم على مقدار الاطلاع أو تأثير محتويات الكتب العربية على هذه الفئة.

وكثيرا ما يخطئ المدرسون الوطنيون في ترجمة أو كتابة الجمل العربية، وقد ثبت لي ذلك بوضوح في كثير من المواقف، وقد يرجع ذلك إلى أن الكثير منهم يعرف الحروف العربية، ولكنه لم يصل في معلوماته إلى درجة فهم اللغة تائنا، أو على الأقل على الوجه الصحيح.

وكثيرا ما يختلط على الإنسان أن يعرف بالضبط الدرجة التي عندها يصل المدرس إلى تفهم معاني الجمل والعبارات العربية على الوجه الأكمل، ولكن يغلب على الظن أن هذه الدرجة يصلها المدرس عند حصوله على لقب شيخ، ولو أن درجة إتقان الشيوخ للغة العربية تتفاوت، فقد تمكن أحدهم من سكان الحضر من ترجمة إحدى العبارات العربية ترجمة صحيحة على حين ادعى الآخر من سكان الريف أن أغلب العبارة - وهو آيات قرآنية - لا يمكن ترجمته، وأما الباقى فكانت ترجمته في الجوهر قريبة من الصحيحة، ولو أن كلا من الشيعين ليسا من علماء اللغة العربية، إلا أن ترجمتهما كانت قريبة من الأصل، وذلك في الجمل العربية المأثورة.

وقد وصلت إلى مثل هذه النتيجة في حديثي مع مدرس لغة أفريقيا الشرقية الألمانية الأصلية في معهد لغات المستعمرات في هامبورج المدعو ابن بكرى بخصوص معرفة أهالي تلك البلاد بالقراءة والكتابة، وهو يقسم مسلمي تلك البلاد من هذه الوجهة الأدبية إلى قسمين. فثمة من يشهد الشهادة بالله ورسوله، ولكنه لا يعرف من قواعد الإيمان شيئا ومع ذلك يعتبر مسلما، وأما من يستمر في طلب العلم فإنه يدرس

قواعد الاسلام الخمس ، وهي الشهادة والصلاة وزكاة والصيام والحج ، وقد ذكر ابن بكري في حديثه لى أن كثيرا من مسلمي هذه البقاع لا يعرف من هذه القواعد شيئا حتى ولا الشهادة ، ولا يمكن لغير الشيوخ إعطاء معلومات خاصة بقواعد الاسلام الخمس ، حتى أن المدرسين أنفسهم ينقصهم بعض العلم بها ، وأنه — أى ابن بكري — بالرغم من أنه كان تلميذا على أحد شيوخ مدينة باجا ، مايو الكبير المدعو أبا بكر لم يعرف شيئا عن قواعد الاسلام الخمس ، وهو فى السنة السادسة عشرة من عمره ، فى حين أنه كان قادر على قراءة القرآن وعلى كتابة الخطابات بالحروف العربية ولو أنه لا يفهم اللغة نفسها ، ولكنه ابتداء من ذلك التاريخ بدأ دراسته الحقيقية فى الشريعة والصلاة والوضوء . وهذا ما يطلق عليه هناك العلم .

وعيل ابن بكري الى اعتقاد أن الفرق بين المدرس والشيخ هو أن المدرس يقرأ القرآن ولا يعرف العربية ، بعكس الشيخ الذى يقدر على تفسير القرآن ومطلع فى العلوم العربية .

ولا يسعنى إلا أن أقر أن ملاحظات ابن بكري تتفق مع ما وصلت اليه من أبحاث ، إلا أن ابن بكري يذهب أبعد من ذلك فى التفرقة فى صفوف الشيوخ أنفسهم : فمنهم من يبحث فى أمور الدنيا ، ومنهم من يبحث فى أمور الآخرة ، فالفرق الأول لا يهتم كثيرا بأمور الدين اهتمامه بالأحكام الإلهية والآيات وطرد الأشباح الخ . وأما الفريق الثانى فيعترف بوجود الشياطين والأرواح والجن ، ولكنهم لا يعترفون بما يعتقد الفريق الأول من المس ، ويقولون إن الله لا يرسل الشياطين والأرواح لفساد الانسان . وأغلبية المدرسين يتبعون فريق الدنيا .

وقد اهتمت كثيرا بمعرفة نسبة عدد كل فريق الى الآخر ، ولكن ابن بكري لم يتمكن من تعيين أسماء الشيوخ أصحاب نظرة لآخرة — غير أنه ذكر اسم مدرسه

أبي بكر لذى هو واحد منهم ولم يعين غيره من شيوخ باجا مايو أودار السلام أو في القارة الأفريقية على العموم ، وذكر أنه يغلب على ظنه أن في زنجبار كثيرا منهم ولو أنه لا يعرف أسماءهم .

وقد رجع ذلك الى غيره بمض الشيوخ وتلاميذهم من البعض . الآخر ، فقد حدث أنى ذكرت اسم ابن بكرى أمام أحد شيوخ مدينة دار السلام فظهر هذا شكاً في مقدرة ابن بكرى باللغة العربية ، ولو أنه يعلم تمام العلم أنه أحد تلاميذ الشيوخ الكبار . وقد تكون هذه الحقيقة ذات أهمية كبرى لنا في أبحاثنا ، وهى أن كلا منهم كثير الشك والريبة في مقدرة الآخر على فهم اللغة العربية على أصولها الصحيحة .

اقتصر الحديث الى هنا كما بينت في أول المقال عن المسلمين من الأهلى الوطنيين أما الغرباء المهاجرون الذين أغلبهم من أصل عرنى أو هندى فهم كما ذكرت آنفا لا يمثلون الاسلام فى تلك البقاع ، ولا يفتب عن بالنأ أن الجنس العرنى الأصل — خصوصاً الذين هم من حضرموت — لهم اليوم أثر كبير فى الاسلام وكل ما يتعلق به من الشؤون فى أفريقيا الشرقية الألمانية .

والآن ولهذا السبب يحذر بنا أن نبحث عن قيمة هذه الفئة الأدبية ، ويحذرنا أن أصرح أن ما وصلت اليه من المعلومات من هذه الوجهة لم يكن ليبدل على أن اطلع هؤلاء فى الآداب كذلك لم يصل شأوا بعيدا ، فى زنجبار تصدر جريدة تسمى « النجاح » وهى تمثل فكرة اتحاد المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، ويصدرها جماعة من العرب الأباضييين اعتنقوا مذهب الشافعية منذ زمن قريب .

وظهر فى العدد الخامس عشر فى ٢ مارس سنة ١٩١٢ مقالة تبحث فى الأسباب التى من أجلها انحط مستوى الشعب العربى فى أفريقيا الشرقية ، واعتقد الكاتب أن السبب لا يمكن أن يكون فى طبيعة العرب أنفسهم ، كما أنه لا يمكن أن يكون بسبب

داء عضال يستعصى دواؤه ، ولكن هناك أمور أخرى هي السبب في فساد الشعب ، وهذه الأمور ترجع في الأصل الى سببين رئيسيين :

الأول — تدخل الأوربيين في تجارة ابلاد الداخلية والتجارية ، وبذا تأخرت الزراعة والتجارة الوطنية التي اقتصت بها الأهالي والحكومة منذ دخول العرب وقد عاق تقدم الزراعة منع تجارة الرقيق ، واقتصرت بذلك ثروة البنين على ما خلفه لهم الآباء ، فعند ما نفدت أموالهم اضطروا للقرض من الأجانب الأوربيين حتى ، ثقلت ديونهم وذهبت ثرواتهم وكثرت شكواهم وانهمم الناس بالكسل والاستكانة ، ولكن الأمر في الحقيقة هو غير ذلك ، بل هو الوقوع في حالة إنحما ، والجمود رغم الارادة .

وأما السبب الثاني فيرجع لمعجز الأسلاف عن مساعدة الشعب من الوجهة الأدبية والعلمية ، فلم يتركوا تراثا لثقافة أحفادهم من علم أو فن أو حرف ، فخل دون نبت الشجر أو إثماره الجفاف وذبول فروعه وأوراقه .

وتجهد جريدة النجاش في شد أزر كل حركة نرمي إلى إزالة المائق الثاني وسد النقص من هذه الوجهة ، وهذا المجهود من شأنه توحيد المسلمين من الناحية الأدبية ، ولا يرى هذا المجهود في مجموعه الى إيجاد ثقافة عامة فحسب ، بل إن له زعاعات وأغراضا أخرى تتضح مما جاء في نفس الجريدة في العدد الخامس والعشرين منها الصادر في ١٢ يونيه سنة ١٩١٢ حيث ذكرت أن آراء العلماء قد اجتمعت على أن الشرق ينقصه كثير من العلم والخبرة العملية ، ولكن ذلك ليس هو ما ينقص الشرق مباشرة ، بل إن النقص الأكبر هو في الوحدة القوية التي لا تحصى ، إلا عن طريق العلم والعمل ، لأن العلم والعمل كل في حد ذاته لا ينفع الشرق كثيرا ، ولكن الاتفاق وربط كلة المسلمين هي مفتاح كل خير وسعادة للعالم الاسلامي .

ولقد اختار رسول الله هذا الطريق ، فإن الوسيلة كانت حتى زوال سطوة  
لإسلام عن طريق الإخاء لديني ، وليست عن طريق العلم أو العمل وحده لدى لن  
يبلغ أحد منهما ما بلغ الرسول أو خلفاءه .

يتضح مما سبق ذكره أن الحكم على الحياة الأدبية وأثر الإسلام فيها في بلاد  
أفريقيا الشرقية ليس من الأمور السهلة ، وهو من طريق جمع المعلومات بواسطة  
لحادثات الشفوية أصعب بكثير ، إنما لا مفر للباحث أن يسلكه على ما فيه من  
صعوبة وعقبات ، حتى يكون الحكم صحيحا لا غبار عليه .

وصعوبة هذا المسلك في مثل هذه الأبحاث هي أنه قلما يصرح أحد لوطنيين  
بوضوح عن النقط التي تفيد الباحث الأوربي بطريق مباشر في عمله ، وهم حريصون  
جد الحرص في نصريحتهم ، بل هي في كثير من الأحوال إما قليلة الأهمية أو متناقضة ،  
فلا يبقى للباحث من هذه الوجهة سوى أن يلجأ الى التقارير الأهلية في هذا الصدد ،  
ولو أنها كثيرا ما تكون مبنية على أساس غير دقيق ، ولا بد من التحقق من وضعها  
واختبار صحتها ومقارنتها للحقيقة الواقعة ، وقد وقع كثير من العلماء الباحثين في هذه  
الغائطة المبنية على التسرع وعدم الحيلة أكثر من مرة .

وأخيرا وقبل ختام هذا الموضوع يحذرني أن أنبه أنه من الضروري لدراسة  
الطابع الأدبي للإسلام في أفريقيا الشرقية الإحاطة التامة بالأديان الأخرى — وأغلبها  
وثنية — وما تحتمه من عادات وعبادات ، حتى يسهل للباحث أن يتعرف ما يمكن أن  
يهمزى للإسلام من غيره .

فن معتقدات الوثنية في هذه الناحية من الأرض أن اللوت ماهو إلانداء الرب لبعده ،  
ومثل هذا من العقائد كثير في الأديان التي تعتقد بوحدة الإله ، ولكنهم لا يقيمون  
شعائر خاصة احتفالاً بعونهم ، وقد كان للإسلام أثر ظاهر في هذه العقيدة واتجاهها نحو

طرق فكرية أخرى هي وإن لم تختلف مع العقيدة الأصلية في الجوهر إلا أنها تباينها في الطريق الفكري ، وذلك بأن جمعت الاعتقاد السائد لأن أن الموت ليس نداء الرب ، وإنما هو موافاة الساعة ( الأجل ) المحتومة ، وبذا تغيرت العقيدة الأصلية في تفسير الموت من الوجهة الفكرية فقط دون أن يكون لذلك خطر على المقصود بالذات في جوهر المعنى الأصلي .

ومثل ذلك أمر الأعياد والموالد الأهلية والدينية التي كان للإسلام أثر واضح في تهذيبها أو إقامتها مع تغيير وجهة النظر العامة في ماضيها أو نتائجها ، وبهذه المناسبات نجد تضارباً في الآراء كبيراً يصعب معه تفسيرها أو الوصول بواسطتها إلى جمع معلومات تفيدنا في بحث مثل هذا الموضوع المتشعب .

وأخيراً أشير إلى أنه لا يزال هناك عمل صعب كثير يجب تدليله قبل أن نصل إلى معالجة هذا الموضوع معالجة وافية ، ويحذر بالهتمين بثمل هذه الأبحاث التكاثر في جمع معلوماتهم خدمة للعلم والتاريخ .

## الاخلاق الدينية

تأليف فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجريري مفتش أول مساجد الأوقاف

كتاب قيم يهدي إلى مكارم الأخلاق ويرشد إلى فضائل الأعمال من كتاب الله وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم بعبارة سهلة وأسلوب جيد . صدر منه جزء الأول مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد .

فنشكر فضيلة المؤلف على هذا العمل النافع ، ونحث أهل العلم ولا سيما خطباء المساجد والوعاظ على اقتنائه .

# الطفل العجيب

« كريستيان هينريش هينيكن »

جاء ذكر هذا الطفل العجيب في مقال لحفرة صاحب النصيحة الأستاذ الشيخ يوسف المدجوي عن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومميزاته الحسية في الجزء السابع من المجلد الاول من هذه المجلة ، ولما كان تفصيل هذا الحادث التاريخي العجيب مما يهم قراء المجلة لقائده التاريخي والحكيمي ، رأينا أن ننقل الى العربية ما جاء في إحدى المجلات العلمية عن تاريخ حياة هذا الطفل العجيب ممجزة انقله الثامن عشر :

ولد « كريستيان هينريش هينيكن » في ٦ فبراير سنة ١٧٢١ بمدينة « ليبك » من أعمال المانية ، وقد كانت حياته القصيرة الخائفة بالمعائب والخرارق الطبيعية سببا في انتشار اسمه في أنحاء المعمورة حتى زاره الناس من كل صوب ، وبقي ذكره في جميع المجلات والمؤلفات العلمية حتى هذا العصر .

وكان أبوه رساما ، ومرضت أمه فلم تقو على رضاعته ، فعهد به الى صربية لرضاعته وكان اسمها « صوفي هيلد براندت » وقضى في حضانتها عشرة أشهر عادية دون أن تتأثر حياته خلالها بأية ظاهرة غريبة ، وكان وهو في هذه السن يطيل النظر والتأمل في محتويات الغرف شأن جميع الأطفال ، إلا أنه عند ما لفت نظره أحد أقاربه المدعو « فون شونيش » الى بعض صور الحيوانات ناطقا بأسمائها أمامه ، حاول الطفل إعادة نطقها فأفلح في ذلك بعد محاولات قليلة ومجهود غير كبير ، ومن ثم أخذ المدعو « فون شونيش » على عاتقه تعليم الطفل وتدريبه ، ولم يلق في ذلك عناء كبيراً ، فتمكن الطفل من الكلام بوضوح في أيام معدودة ، وفي نفس السنة بدأ معلمه في تلقينه التاريخ القديم للكتاب المقدس وأنهم دراسته ودراسة الكتب المقدسة الأخرى وسيرة لربل وهو لم يتجاوز من العمر ثلاثة عشر شهراً .



وقد حاول أهله أن يصدوه عن رضاعة لبن المربية وتعويده على الغذاء مع البالغين فكان يرفض ذلك بتاتا واستمر على الرضاعة، إلا أنه كان يستمتع دائما من أسماء أنواع الأغذية الأخرى وأصاها وطرق إنتاجها حتى تمكن في وقت قصير من تفسير كل التركيبات الغذائية وتحليلها، ولم يستغرق في دراسة التاريخ العام أكثر من ستة أشهر أخرى، كان يجيب بعدها على كل الأسئلة الخاصة بتاريخ اليهود والأشوريين والآريين والفرس والمصريين والافريق، وكذلك قياصرة الشرق والغرب.

ثم بدأ في دراسة جغرافية العلم لحفظ عن ظهر قلب أسماء ومواقع البلدان الهامة والأنهار الكبيرة والأقاليم ذات الشأن والمناطق الزراعية والصناعية والتجارية. ثم إنه لم يهمل دراسة اللغة اللاتينية، فكانت تزيد معلوماته من هذه الناحية يوميا زيادة محسوسة. واهتم بحسم الانسان اهتماما كبيرا، عندما عرضت عليه المججمة لأول مرة، فدرس التشريح وعلم الحياة ووظائف الأعضاء.

ومرض لأول مرة ولما يبلغ من العمر عشرين شهرا، ولكن سرعان ما أبيل من مرضه وعكف على علومه، فبدأ دراسة الحقوق وتاريخ بلاده بالتفصيل، وكان قد بلغ في هذا الوقت من العمر ثلاث سنين ولم يقل نشاطه وإقباله على العلم، فأخذ في دراسة العلوم الدينية وفلسفتها، وحفظ عن ظهر قلب جملا كثيرة من الكتب السماوية، وكان في هذا العهد يجيد اللغة اللاتينية إحادة تامة، وهنا بدأ اهتمامه بدراسة التاريخ السياسي لأسوج والروسية وبولندية والمجر وأسبانية وبلاد الانجلىز وهو في بد، السنة الرابعة من حياته.

وقد تظهر قصة حياة هذا الطفل العجيب خرافية، إلا أن المستندات والأوراق الرسمية المحفوظة من ذلك العهد تؤيد جميع ما جاء فيها، وقد أظهر هذا المخلوق العجيب ذاكرة نادرة وموهبة فائقة في الحفظ والاستذكار، حتى إنها أصبحت مضرب الأمثال على مرور السنين. وأجاد تعلم اللغة الفرنسية فيما بين اطلاعه ودراسته المختلفة، ولكنه

لم يستطع تعلم الكتابة ، فبقيت وحدها العقبة الكؤود أمامه ، ويفسر مفاصروه هذا التناقص الغريب بأنه كان ضعيفا نحيل الجسم للغاية ، فلم تقو أصابعه على تحريك القلم والضغط عليه ، ولو أنه كان ينمو نموا طبيعيا عاديا بالرغم من تغذيته على لبن المريسة القليل . وتعلم الحساب بسرعة فائقة ، فكان يعد حجة في عملياته المختلفة علاوة على السرعة الزائدة في إنجازها .

ومرض للمرة الثانية في شهر مايو سنة ١٧٢٤ فكان يشكو إسهالا شديدا ، تخيف على حياته عندما كثرت شكواه وطال مرضه ، ولكنه أبل منه في يولبو من السنة نفسها ، غير أنه كان هزيعا ضعيفا البنية ، فقرر ذووه السفر به الى شواطئ بلاد الدانمارك طلبا لراحة ، آمليين أن يجدوا من عطف ملك هذه البلاد ما يسد حاجتهم المادية ، فأبحروا من ميناء « ترافيند » على مركب شراعية صادفت أعاصير شديدة حتى قاربت على الغرق والهلاك ، فأجهدوا السفر كثيرا ، وعند وصوله الى كونهاجن عاصمة الدانمارك شرع في زيارة الجهات التاريخية والمعاهد العلمية ودور الحكومة .

وكان قد بلغ نبأ وصوله الى الجهات المختلفة ، فهرع اليه الناس أفواجا لرؤيته والتحدث اليه ، فكان يجيب على أسئلتهم بسرعة خاطر فائقة . ثم سمح له بمقابلة ملك الدانمارك فنفعه هذا باسة ثمينة وبعض الأحجار الكريمة ، فشكر له صنيمه بكلمات بليغة وانصرف . وتلت هذه الزيارة الملكية زيارات عديدة لأشراف البلد وأعيانها ، فكان موضع الإعجاب والتقدير من العلماء والسيوخ . ثم عاد مع أمه ومريسته الى مدينة ليبك موطنه ومسقط رأسه وهو متعب شارد الفكر ، ولكنه ما لبث أن استعاد قوته وجمع شتات أفكاره ، وبدأ في تدريب نفسه على الكتابة حتى أجادها ، وكان في هذه الأثناء نمود على ترك الرضاة تدريجيا ، ولكنه لم يستعص عنها إلا بالندر اليسير من اللأكولات البسيطة .

وعاوده المرض مرارا الى أن نهك جسمه ، وكان كلما ضعفت صحته زادت قواه العقلية ومقدرته الفكرية . واهتم في آخر أيام حياته بدراسة الفلك وعلم النجوم ، فانقطع لها وعكف على البحث فيها الى أن خارت قواه ولزم الفراش وشعر بقرب منيته ، فكان يخاطب أهله ومعارفه بصوت خافت منذرا دنو أجله .

وفي ٢٧ يونيه سنة ١٧٢٥ توفي وعمره أربع سنوات وأربعة أشهر وواحد وعشرون يوما . وبقيت جثته محفوظة في فراشها أسبوعين حتى تمكن مئات الألوف من الناس من رؤيتها قبل دفنها ، ثم ووريت التراب في ١٠ يوليه .

ولهذا الطفل صورة من صنع الرسام المعروف كريستيان فريتش في سنة ١٧٢٦ ما زالت باقية في متحف مدينة هامبورج .

## الفريدة في حساب الفريضة

تأليف الاسناد السيد محمد نسيب البيطار الحسيني رئيس كنياب المحكمة الشرعية بالقدس

كتاب نفيس جمع أحكام الارث بأدلتها ، وفصل مسائل الميراث بعمليات حامية سهلة قريبة . وفيه أحكام الوصايا المتعلقة بالتركات وفوائد في كيفية قسمة التركة بين الغرماء ، وفي تقسيم القيراط وكسوره . وقد ذيل بكتاب في أحكام الانتفال وكيفية قسمة الأراضي الأميرية ومسائل حسابية تتعلق بقسمة الأراضي وتوحيد الحصص المختلفة في قيود الطابو ، وقد ظهر هذا الكتاب متقن الطبع جيد الورق . ويطلب من مطبعة بيت المقدس بالقدس الشريف .

## وفاة عالم جليل

في ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان ١٣٥٠ هـ فجع العلم والدين والأدب بوفاته الاستاذ العالم الجليل الشيخ حسن منصور وكيل دار العلوم سابقا، وأحد محرري مجلة نور الاسلام، فتصدعت القلوب لهذا المصاب حزبا، وسالت له المبرات حسرة، فقد كان الفقيه رحمه الله تعالى راسخا في العلم، مهذب الأخلاق، قوى الايمان، محمود السيرة، حسن البيان.

ولد الفقيه في الاسكندرية وبها نشأ، وحفظ القرآن وجود قراءته على أشهر قراء الاسكندرية المرحوم لشيخ ابراهيم إدريس، وابتدأ بعد حفظ القرآن وتجويده يطلب العلم في جامع الشيخ ابراهيم باشا. وكان هذا الجامع المعهد الديني بالاسكندرية لذلك الوقت. ثم انتقل الى الازهر الشريف وتلقى فيه العلم نحو سبع سنين. ثم دخل دار العلوم واستمر بها حتى أحزر شهادتها، وولى بعد إحراز الشهادة التدريس في مدرسة البنات السنية، ثم ولى التدريس في مدرسة خليل أغا، ثم نقل الى محكمة الاستئناف كاتباً ورئيساً لقلم النسخ، ولما أنشئت مدرسة القضاء عينها مدرسا، وظهر تحقيقه بوجه خاص في التفسير والحديث. ثم عين وكيلها مع عدم الانقطاع عن التدريس، ولما ألغيت مدرسة القضاء وأنشئت تجهيزية دار العلوم عين ناظرها حينئذ ثم عين وكيلها لدار العلوم ومدرسا بها وما زال بها حتى بلغ الستين فأحيل على المعاش. ولما عازمت مشيخة الأزهر الجليلة على إصدار مجلة نور الاسلام اختارته للتحرير بها، فاختص بقسم التفسير، وشرح السنة، والملح والطرف، فدل ما يكتبه على تضلع في علوم الدين وبراعة في التحرير، وسلامة ذوق في الاختيار.

ومالنا أمام هذا المصاب إلا أن نقول: إيا الله وإنا اليه راجعون. ونسأل الله تعالى أن يفيض على قبر الفقيه رحمة ونورا، ويموض المسلمين منه خيرا.

It is feasible on consideration of this aspect of truth, to recognise the favours which the Lord hath bestowed upon the prophets and true believers as well as the punishment which he inflicted on the unbelievers.

This latter aspect of the truth has become well established through the constant corroboration it has received from such events as the Deluge and the drowning of Pharaoh and his host.

It was frequently referred to in the Koran as in the following verses :

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَتَمُودُ وَقَوْمُ  
إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ  
نُجْمًا أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ. فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ  
ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْعَثُ فِيهَا نُجْمًا فَهُمْ  
يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَكَوْنُوا لَكُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ  
بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ .

ترجمة غير هذه الآية فلا من الأولى

“And if your people charge thee (Mohammad) with imposture, thou art not the only one who hath been so charged. the people of Noah, and Ad and Themoud, the people of Abraham, and the people of Lot, and the inhabitants of Madian, have charged their prophets Noah, Hud, Saleh and Shueb with imposture, Moses too was charged with imposture by the Copts.

The Lord hath respited those unbelievers for the allotted span of their lives then he destroyed them and lo, how severe His disapproval was, and what a change He hath wrought !

How many a city whose people were ungodly hath the Lord destroyed because of their wrong-doing and rendered desolate and in ruins ; and how many a well hath been abandoned with no one to draw water therefrom after the destruction of those people, and how many a lofty castle hath the Lord deprived of its inhabitants.

Have those people not journeyed in the land to witness the destruction of the unbelievers and take warning thereby ? Nay but their hearts are blinded and their minds rendered delinquent through the following of passion and indulging in vain imitation.”

(Baidaroy's Commentary).

Heraclius further inquired whether Mohammad had ever been known to betray a trust to which they answered in the negative whereupon he explained, "so it is with prophets, they betray not their trusts."

He knew that prophets are subject to the support as well as trials from the Lord. It has always been the divine rule to put the faith of the prophets and true believers to test in both prosperity and adversity so that they may attain to resignation and gratitude

Finally, Heraclius inquired of them regarding what Mohammad had enjoined. On learning of them that he enjoined the worship of God as well as prayers, truth, virtue and charity and that he forbade them to worship what their fathers have worshipped before, he said, "This is a sign of a true prophet; I knew that a prophet will be sent but it never occurred to me that he would be from amongst ye; I wish I could join him for I would please wash his feet".

Abu-Sufian Ibn Harb was the one thus addressed. He was an unbeliever and a most implacable foe of Mohammad at the time. On his way out from the presence of Heraclius, he is cited to have said to those in his company "The influence of Mohammad hath become so great that the king of the Romans feareth him".

When he embraced Islam later, Abu Sufian is cited to have said, "I continued to entertain a strong belief that the mission of Mohammad will ultimately succeed until the Lord decreed to guide me unto Islam".

The questions which Heraclius put to Abu Sufian and the investigation that followed thereafter, convinced him, beyond all doubt, that Mohammad was the promised prophet.

Every sane and normal person who hears of those questions and the investigation that followed, will readily recognise the great ingenuity with which the discussion was conducted thus contributing widely to the establishment of truth.

---

Another sign testifying to the truth of a prophet, is the divine rule that the Lord giveth His support to His chosen messengers and afflicteth their enemies with failure, and no matter what betide them, the final victory will be granted the righteous.

Heraclius then explained the significance of those questions thus : He asked them whether one of his forefathers was a king and they answered in the negative, whereupon he said, "had one of his forefathers been a king, I would have said someone claiming the kingdom of his father".

He asked whether someone prior to him had preached what he preached and he received the same answer, whereupon he said "Had someone prior to him preached what he preaches, I would have said someone following the instance of a predecessor" No doubt a thing of frequent occurrence among human beings, in contradistinction to proclaiming an altogether original saying which was never known to the people of that particular nation before, or the institution of new practices diametrically opposed to the usage of the people. Such latter innovation is indeed, of rare occurrence, nevertheless it could take place.

He then asked whether they have ever accused him of falsehood before he proclaimed what he preached to which they answered in the negative, whereupon Heraclius explained "He would not have refrained from lying to men and then lie to the Lord". For such would be a deliberate lie positively against his principles and could only be told by someone who is in the habit of lying. And if lying is not a characteristic of him, having always been known to tell the truth, and he is averse to lying to people, he would be more decidedly so in regard to God.

Heraclius then inquired whether the number of his followers increase or decrease to which they answered that they do increase, whereupon he explained "Such is the case with true belief until it is rendered perfect and complete".

He then asked whether any of his followers had renounced his faith, in indignation, after adoption thereof to which they answered in the negative, whereupon he explained "Such is the case with true belief whose sheer joy penetrateth the hearts of men that indignation findeth no way thereto".

He then inquired whether his followers remain steadfast to his faith and continue to uphold its tenets, to which they answered in the affirmative. This again is a sign of truth for falsehood is bound to be exposed in the end with the result that his disciples would desert him and that others would decline to adopt his faith.

The early prophets have declared that the reign of the false claimant to prophethood is short-lived.

Heracius (1) inquired of Abn-Sufian, who was then an unbeliever regarding Mohamamad and ordered those who were in his company to contradict him should he tell an untruth. But they, one and all, agreed to what he said despite their eagerness to refute the claims of Mohamamad and belittle his influence.

Heracius meant by so doing to ascertain the truth of Mohamamad's prophethood through the consideration of his qualities and conduct as well as the circumstances in which he was placed. A most ingenious process indeed of establishing a truth.

"Had any of his forefathers been a king?" inquired Heracius.

"No", said they

"Had any one prior to him preached what he preached?" he continued.

"No", said they.

"Is he of noble lineage?" asked he.

"Yes", said they.

"Did you ever accuse him of falsehood before he proclaimed what he preached?" he inquired.

"No", said they, "we have never known him to tell a lie".

"Was he followed by the weak or the strong and vainglorious?" he asked.

"The weak followed him", said they.

"Did his followers increase or decrease?" inquired he.

"They increased", said they.

"Did any of them renounce his faith in indignation after embracing it?" asked he.

"No", said they.

"Was he ever known to betray a trust?" he asked.

"No", said they.

"What did he enjoin you to do?" asked he.

"He enjoined us to worship only God and to associate no one else with Him, and ordained prayers, truth, virtue and charity", they said.

---

(1) Heracius (575 — 642) East Roman Emperor proclaimed in the year 610 A.D. In 629 A.D. the Arabs made their first incursion into his domains. In 636 they won a notable victory on the Yermuk (Jheromax) and in the following years conquered all Syria, Palestine and Egypt.



the first time "Fear thou not, the Lord will never shame thee, for thou givest unto the kindred, speakest the truth, relievest the burthen of the weak, welcomest the guest, renderest succour to the needy and defendest the truth; Aye but whoso combines truth, benevolence and charity will the Lord shame him not".

It is the divine rule that whoso is endowed with noble and unimpeachable conduct enjoyeth the favour and support of God

Should the one blessed with these attributes fulfil the other characteristics of the prophets, he would be recognised as one of them, particularly if his advent was foretold and his distinctive qualities were known to men. Such knowledge should lead to the positive conviction that he is the promised prophet. It is in reference to this, that the Lord saith :

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .  
وَإِنْ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .

ترجمة تفسير هذه الآية علاء الدين البخاري

"The learned people of the Scripture know Mohammad by his qualities even as they know their own children whom they confound not with others, but some pertinacious cavillers from amongst them conceal this fact though they recognise its truth".

(Baidawi's Commentary).

On inquiring of the Moslems regarding what Mohammad preached and on requesting them to recite the Koran, the Negus of Ethiopia came to the conclusion that the revelation of Mohammad bear the same stamp as the revelations of other prophets. He is cited to have said "Verily the revelation of Mohammad and that of Moses issue from the one and the same source".

It is reported that Waraka Ibn Nowfal, who embraced Christianity in pre-Islamic days had said unto Mohammad regarding the revelation "This is the Great Nomos who descended on Moses, and your people will drive thee out". The Prophet inquired whether his people would do that, whereupon Waraka said "No one who had ever preached what you preach but would he incur the enmity of the people; and if I survive until that day, I would afford you my strong support", but he did not survive and died shortly afterwards.

Assuming therefore, that someone came unto mankind, enjoining theocracy and idolatry and sanctioning wickedness, iniquity and disbelief in God and the Day of Judgment, would such a man be required to perform a miracle or expected to be true? And even granting that he happened to perform what appears to be a miracle, it would only be a clever piece of jugglery or some sort of quackery. In a word, the innermost of man's thoughts whether right or wrong, good or evil are bound to show on his face and through the slips of his tongue, nay, even in the very gestures he unconsciously makes.

It is in regard to such people that the Lord addresses his Prophet thus :

وَلَوْ نَشَاءُ لَارِئْنَا كُفْرَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ،

ترجمة تفسیر هذه الآية غلام من الیضاوی

"Should it please the Lord, He would point the hypocrites out to Mohammad whom he will surely recognise by the peculiar signs whereby the Lord hath marked them and by the perversion and unintelligibility of their words".

(Baidawy's Commentary).

And if man's innermost thoughts could be detected without being voiced, they would even be more amenable to be fully understood should they be accompanied with some actual expression thereof

Again, if the truth or imposture of an informant could be inferred from the premises of the case; nay, even from the very slips of the tongue or twitchings of the face, then how could the truth or imposture of someone who claims prophethood remain undiscovered? And how could the true be undistinguished from the false in view of all such evidence.

Again, people know of their elders and fellow-beings, whose truth and veracity they have long tried, that they do not deliberately tell a lie.

We do not deny that man is liable to change and become an intentional liar that he never was before. But when he does, those who know him, will not fail to perceive the change that has come over him.

It was because Khadija (1) knew Mohammad to be true and righteous, that she said to him when he betrayed fear on receiving the revelation for

---

(1) First wife of Mohammad.

the right path. The light and good example which he affords to mankind could never be attained by the impostor who is influenced by satan.

Of such the Lord saith :

« هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نُّنَزِّلُ الشَّيَاطِينَ . نُنَزِّلُ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ أَشِيرًا .

ترجمة تفسير هذه الآية فلا عن اليطاوى

"The unbelievers alleged that the Koran was sent down with satans whereupon the Lord proclaimed that satans could not descend on Mohammad as they descend only on liars and wicked people and Mohammad was neither of these".

(Baidawi's Commentary).

It is thus shown that satans hold communion with the false and wicked. Those soothsayers, even though they should chance to predict some unknown event which proves to be true, are essentially wicked impostors whose pretensions will be exposed.

They have no real claim to prophethood and what they reveal could not be the outcome of divine inspiration. For whoso knows the truth, integrity and consistency of the Prophet Mohammad, will realise, out of true conviction, that he is no soothsayer or impostor.

People can easily distinguish between the true and the false by means of the many indications pertaining thereto even in those who profess knowledge of arts and handicrafts. As the truth or vanity of such people is easily discernible from many stand points, so it is with him who proclaims, in word or deed, a faith of love, righteousness and truth, his genuineness or imposture is bound to be detected from many points of view.

Prophethood implies certain knowledge and duties by which a prophet is known. Such knowledge and duties are the most noble of all accomplishments. It is incredible, therefore, that the true could be confounded with the false and that truth and imposture should remain undiscovered in view of all such proofs. It is even more so when we remember that the world never ceased to manifest the influence of some prophet from the time of Adam up to the present day.

Nor is mankind unaware of the kind of revelation proclaimed by the prophets and messengers of God whose influence still prevails on earth. For men still retain some impressions of those prophets by which they can recognise the verity of their claims and distinguish between prophet and impostor.

ENGLISH SUPPLEMENT OF

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

مترجمة عن كتاب رسائل السلام، لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى

### THE PROPHET MOHAMMAD<sup>(1)</sup>

(Continued.)

---

In completion of our subject, we summarise in the following pages a long discourse of Ibn Taimiyya's, one of the most learned doctors of Islam in the seventh century of Hejra

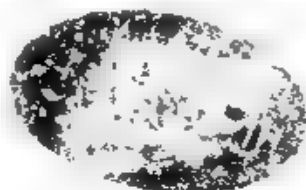
"There is no one who has honestly claimed prophethood but has displayed such signs as wisdom, truth, charity and other virtuous attributes which constitute a proof of his genuineness in the estimation of any one endowed with an iota of common-sense.

A prophet necessarily preaches and enjoins certain truths and tenets, he has moreover, certain duties to perform. Not so an impostor, whose falsehood will be readily detected in whatever he does or says

Nay, but when two persons claim a thing, the one being true and the other false, the truth of the former and the quackery of the latter are bound to be revealed in more than one way. For truth is requisite to righteousness and falsehood necessarily implies wickedness. The true is guided by inspirations from on high which urge him on and lead him unto

---

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh YOUSSEF EL-DJAWY's Book "Messages of Peace".



قَدْ جَاءَ كَرِيمًا أَهْلًا يَرْوُو كَلِمَاتٍ مُبَيَّنَّةً يُعْطِي فِيهَا نَفْسًا رَاسِحًا وَصَوَانِدَ يَسْتَلْ الْأَلَامَ  
وَيُخْرِجُهُ مِنَ الضُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِ فَكَرِهْتَ بِالْوَقَائِدِ أَنْ يُكَذَّبَ بِمَا كَانَ يَنْتَقِيزُ •

# بُحُورُ الْأَسْبَابِ الْمَرْفُوعَةِ

مَجْدُ دِينِيهِ عِلْمِيهِ خَلْقِيهِ تَارِيخِيهِ حِكْمِيهِ

تَصَدُّرُهَا مِنْ شَخْصٍ لَا زَهْرَ الشَّرَفِ

تَطَهَّرَ غَرَّةَ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

الجزء العاشر	شوال سنة ١٣٥٠	المجلد الثاني
--------------	---------------	---------------



رئيس التحرير  
السيد  
عبد الحسین  
من علماء الأزهر

مدير إدارة المجلة  
عبد الحسین  
المستشار بمحكمة الاستئناف  
ومن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى

الاشتراك  
داخل القطر المصري .. ٤٠ ...  
خارج القطر المصري .. ٢٠ ...  
قطر المصروف والمطبعة والمطبعة .. ٢٠ ...  
قطر المصروف والمطبعة والمطبعة .. ٢٠ ...

الإدارة  
شارع محمد مظلوم باشا رقم ١  
تليمن ٨٤٣٣٢  
الرسائل تكون باسم مدير المجلة

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمي المدارس الأولية والعمال معاملة الطلاب  
وعن الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٥ - ١٩٣٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سماعة الاسلام في معاملة غير المسلمين

من يدرس أصول الإسلام يجد، ويذهب في تعرف روح تشريعه مذهب بعيدة المدى، يدرك دون أن يأخذه ريب أنه دين نزل من السماء ليضرب بهدأيته في أرجاء المعمورة، ويعلم أنهم أرقى نظم لاجتماع، وقد ارتفعت في الشرق والغرب رأيته، يوم تولى أمره زعماء لبسوا من آدابه برودا سنية، ونحروا في الدعوة اليه سبلا سوية، ولا أستطيع أن ألم في هذا المقال عما احتوته شريعته من النظم المدنية، والقواعد التي تشهد بأنه تشريع لم يكن للمواطن البشرية والعادات القومية عليه من سلطان، فأكتفي بأن أصف لك ناحية يتشمل فيها عدل قضائه، ورفق سياسته، وسمو آدابه، تلك الناحية هي أصوله الخاصة في معاملة غير المسلمين.

لخالفون في نظر الإسلام محاربون، أو معاهدون، أو أهل ذمة، والمراد ذمة الله أي عهده، فهذا الاسم يشعر بأن من مسهم بأذى فقد خان عهد الله وعهد دينه الخفيف.

أما المحاربون فهم الذين يهاجون أمة إسلامية، أو يتحفزون للهجوم عليها، أو يمدون أيديهم إلى حق من حقوقها، وحكم الإسلام في هؤلاء أن يدفعوا إذا هاجوا، ويبادروا بما يكف بأسهم إذا تحفزوا، ويقفوا إذا اعتدوا على الحق حتى ينصفوا، يأذن الإسلام في دفع المهاجم أو كف الناوي، مع رعاية جانب الرفق والأخذ بالمعرف.

ومن الرفق الذي أقام عليه سياسته الحريسة أنه منع من التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال كالرهبان والفلاحين والنساء والأطفال والشيخ الهرم والأجير والمعتوه والأعمى والزمن، ومن الفقهاء من لا يجوز قتل الأعمى والزمن ولو كانا ذوى رأى في الحرب وتدير، ولا يجوز قتل النساء وإن استعملن لحراسة الحصون أو رَمَيْنَ بِحِجَارٍ، ودليل هذا قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَبْقَا تُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) فجعل القتال في مقابلة القتال، ونبه النبي صلى الله عليه وسلم على أن من لا يقا تل لا يقتل حين وجد امرأة في بعض الغزوات قتيلة فأنكر ذلك وقال: (ما كانت هذه لتقاتل<sup>(١)</sup>).

وإذا وضع المحاربون الأطفال والنساء أمامهم، وجب الكف عن قتالهم - إلا أن يتخذوا ذلك ذريعة لفوز علينا، ونخشى أن تكون دائرة السوء على جندنا.

ولا يجوز الإسلام لتمثيل المحارب، قال صلى الله عليه وسلم: (ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا<sup>(٢)</sup>) ويمنع من حمل رؤوسهم من بلد إلى بلد أو حملها إلى الولاية، وقد أنكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا وقال: هو فعل الأعاجم.

ولم يشرع الإسلام للأسير حكماً واحداً، بل جعل أمره موكولاً إلى الأمير الذي يقدر مصلحة الحرب، وله أن يخلى سبيله بقاء أو بغير فداء.

ولا يرغم الإسلام المحارب على الدخول في ملته، بل يعرض عليه أن يقيم تحت سلطانه آمناً على نفسه وماله وعرضه ودينه، ويستوى في هذا الحكم أصحاب الأديان السماوية وغيرهم، قال لامام مالك وصاحبه ابن القاسم: تقبل الجزية من كل من دن بغير الإسلام.

وأما المعاهدون وهم الذين نقدر بيننا وبينهم عهد على السلم، فيجب علينا الوفاء بمهدهم وأن نستقيم لهم ما استقاموا لنا، وذا كان في بعض ذوى القوة من يحسن من خصمه



المعاهد تحفزنا الى الخيانة فيسبقه اليها ، فإن الاسلام يوجب في حال الخوف من خيانة المعاهدين أن تنبذ لهم العهد عدا ، وفي القرآن الكريم ( وَإِذَا مَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِثِينَ ) .

ولم يخص الاسلام تأمين المحارب بصاحب الدولة ، بل هو حق لكل مسلم ومسلمة ، فإذا أتمن رجل أو امرأة من المسلمين محاربا ، كان تأمينه نافذا ، واعتصم بهذا التأمين من أن يناله أحد بسوء حتى يبلغ مأمنه . وليس من شرط التأمين البلوغ ولا الاسلام ، فلو أتمن صبي يعلم ما يقول أو أحد من أهل الذمة بعض المحاربين كان هذا التأمين عقدا محترما .

بلغ الدين في رعاية عهد الأمان أقصى غاية ، فلو أشار المسلم الى الحرب إشارة يريد بها عدم التأمين ، ففهمها الحربى على التأمين ، وجب له الأمان على حسب ما فهم من تلك الإشارة .

وهذا حكم التأمين في حال الحرب ، أما تأمين المحارب ليدخل البلاد بقصد التجارة فمن شأن أولى الأمر ، ولو أتمن أحد السوقه محاربا فدخل بقصد التجارة وظن المحارب أن هذا التأمين نافذ ، وجب الوفاء له على حسب ظنه ، وليس لولى الأمر إن لم يرض عن هذا التأمين إلا أن يرد المحارب الى مأمنه .

وإذا أخذ محارب أمانا لينظر في الدين ، ولم ينشرح صدره للاسلام ، فإنا لا أن نرده الى داره آمنا ، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : ( وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ) .

ولو ر المسلمون بمحارب جاء مقبلا من بلد العدو فقال : جئت لأطلب الأمان لم يجوز التعرض له بمكرهه ، وإذا لم يروا للصلحة في تأمينه ردوه الى مأمنه .

ولو وجد المسلمون طائفة من المخاريين في أطراف بلاد الاسلام فقالوا: جئنا تجاراً ووطننا أسكن لا نتعرضون لمن جاء تاجراً، فليس لنا إلا أن ندعهم وشأن تجارتهم أو نردم إلى ما منهم — إلا أن تقوم الشواهد على أنهم يقصدون من الشر ما لا يقولون .

ومن رعاية الاسلام لعهد التأمين أن أكد في احترام أموال المعاهدين ، حتى إذا رجع المعاهد إلى بلده وترك في دار الاسلام وديمة أو ديناً ، وجب إرسالها إليه ، فإن مات بُعث بها إلى ورثته إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا أرسل بها إلى رئيس قومه .

وبذلك على ما لعهد التأمين في دين الاسلام من حرمة قول عمر بن الخطاب «إنه ينبغي أن رجالاً منكم يطلبون العليج حتى إذا أسند إلى الجبل وامتنع قال رجل «مترس»<sup>(١)</sup>» يقول لا نخف، حتى إذا أدركه قتله ، وإني والذي نفسي بيده لا أعلم مكان واحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه<sup>(٢)</sup>» .

وأما من رضوا بالإقامة تحت راية الدولة الاسلامية فقد قرر لهم الدين من الحقوق ما يكفل حريتهم ، ويحفظهم أعضاء حية مرتبطة بسائر أعضاء الأمة المسلمة ارتباط ألفه وعطف وتعاون ، توجد هذه الروابط في القرآن والحديث وآثار الصحابة وأقول أهل العلم من بعدهم .

يقتضى العهد الذي ي عقد لأهل الذمة أن يقيموا تحت رايته متمتعين بحقوقهم الدينية ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، واليك نص عهد عمر بن الخطاب لأهل إيليا «أعطيهم الأمان لا أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسائر ملتهم ، لا تسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم» .

إن القرآن كقانون أساسي لدولة الاسلام ، فلم يترك ناحية من نوحى الاجتماع أو السياسة إلا وضع لها أصلاً يهتدى به في تفاصيل أحكامها ، وانظر إليه ماذا صنع

(١) كلمة فارسية معناها لا تخف . (٢) موطلا .

في ناحية هي من أكبر النواحي الاجتماعية أو السياسية ، وهي معاملة الطوائف غير المسلمين اذا اختاروا الإقامة في جوارنا ولم ينزعوا الى مناوأتنا ، إقرأ إن شئت قوله تعالى : ( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) فلاية نحث على رعاية قانون العدل في معاملتهم ، وتدل بمد هذا على فضيلة البر بهم ، واذا عبرت عن هذا المعنى بعدم الهسى عنه ، فلائها قصدت الرد على ما يسبق الى ذهن من أن مخالفتهم للدين تمنع من برهم وتسهل الاستهانة بحقوقهم .

وقد جرى أمراء الاسلام لعادلون على سيرة هذه الآية ، فكانوا يتصحبون لنواهم بالعدل ، ويخصون أهل الذمة في نصيحتهم بالذكور ، وأحسن مثل نوقه على هذا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص وهو يومئذ والى على مصر ، ومما جاء في هذا الكتاب « وإن معك أهل ذمة وعهد وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم » ومنه « وقد قال صلى الله عليه وسلم : من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة ، حذريا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصما فإنه من خصمه خصمه <sup>(١)</sup> » ومن الأحاديث الثابتة في هذا الصدد قوله صلى الله عليه وسلم : « من قذف ذميا حذله يوم القيامة بسيطا من نار » .

فانظروا الى مكانة العهد في نظر الاسلام ، وزنوها بمعاهدات يأخذ فيها بعض الأقوياء على أنفسهم احترام حقوق شعب إسلامي حتى اذا أمسكوا ناصيته لم يستحيوا أن يمشوا بالأرواح ، وتجول أيديهم في الأموال ، ويعملوا جهدهم على أن يقلبوا الى جهود بعد إيمان ، ويحققون بعد هذا كله على من يسميهم أعداء الانسانية ، وقابضى روح الحرية .

(١) روى الخطيب في تاريخه عن ابن مسعود (من أدى ذميا ذميا حذله يوم القيامة ومن كنت خصمه خصته يوم القيامة)

أدرك الفقهاء رعاية شارع الإسلام لأهل الذمة وحرصه على احترام حقوقهم ، فاستنبطوا من أصوله أحكاما جعلوا المسلم وغير المسلم فيها على سواء ، وأذ كر من هذه الأحكام أنهم أجازوا للمسلم أن يوصى أو يقف شيئا من ماله لغير المسلمين من أهل الذمة ، وتكون هذه الوصية أو الوقف أمرا نافذا ، ولما قال صلى الله عليه وسلم : ( لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه <sup>(١)</sup> ) قلوا : البيع على بيع غير المسلم الداخل في ذمة الاسلام كالبيع على بيع المسلم ، والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم : كلاهما حرام .

وإذا ذكر فقهاؤنا آداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة ، وندبوا الى لرفق بهم ، واحتمل لأذى في جوارحهم ، وحفظ غيبتهم ، ودفع من يتعرض لأذنيهم ، قال شهاب الدين القرافي في كتاب الفروق : « إن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لأنهم في جوارنا وفي خفارت ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام ، فن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم ، أو أى نوع من أنواع الأذى ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الاسلام » وقال ابن حزم في مراتب الإجماع : « إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب الى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح ، ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة » .

وجعل الاسلام أحكام رؤسائهم فيما بينهم نافذة ، فلم أن يتحاكوا أمام رؤساء مللهم فيما يعرض لهم من القضايا ، وإنما اختلف علماءنا فيما اذا رفع الخصومات منهم القضية الى الحاكم المسلم ، فقال المالكية : إن كان ما رفعوه ظلما لا تختلف الشرائع

في تحريمه كالغصب والقتل، وجب على الحاكم المسلم أن يفصل فيه على وجه العدل، فإن كان مما يختلف فيه الشرائع، كان له الخيار في الفصل بينهم بشريعة الاسلام، أو صرفهم الى رئيس طائفتهم، وحملوا على هذا لوجه قوله تعالى: ( فَإِنْ جَافَوْكَ فَخُكُمُ يَنْتَهُمُ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ) وقال الامام أبو حنيفة: على الحاكم المسلم متى ارتفع اليه الخصمان من أهل الكتاب أن يفصل في قضيتهم، وليس له الاعتراض عنهم. وأخذ في وجوب الفصل بينهم بقوله تعالى: (وَأَنْ أَحْكُمُ يَنْتَهُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) وقال: إن لأمر القاطع في هذه الآية ناسخ للتخيير في آية (فَخُكُمُ يَنْتَهُمُ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ). هذا أصل البحث في هذه المسألة، أما تفصيل المذاهب وبسط أدلتها فوضعه كتب الفقه وأحكام القرآن.

وأباح للمسلم أن يتزوج تحت سلطان الاسلام يهودية أو نصرانية، وجعل لها من الحقوق ما لزوجه المسلمة، وفي الزواج صلة الصهر، وتتبعها صلة النسب، وفي هذا شاهد على أن الدين الخفيف ليس بالدين الذي يدعو الى التقاطع المنع من المباشرة بالمعروف والتعاون على مرافق الحياة.

وكره لاسلام أن يجري المسلم في مخاطبة غير المسلمين مجرى أولئك الذين يتعصبون لمعتقداتهم بغير الحق، فيطلقون السننهم بإذية من يجادل في صحتها، فقال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقال تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). وخاتمة المقال أن المسلمين قد استناروا بسماحة دينهم، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معايشة أصحاب الأديان الأخرى ممن لا يكيدون لهم كيداً، ولا يظهرون عليهم عدواً ويمكنهم أن يعيشوا معهم في صفاء وتعاون على المصالح الوطنية، وكثيراً ما نقرأ أنباء من يشرح الله صدرهم للاسلام فجدد فيهم حيث يذكرون دواعي اهتدائهم يصرحون بأن من هذه الدواعي ما يروونه في هذا الدين من سعة الصدر والأمر بالرفق والاحسان في معاملة المخالفين، وبأن لا يزداد عند جدالهم على دفع الشبهة بالحجة مـ محمد الخضر حسين

# التفسير

## سورة النور

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ).

يحسن بمن يريد تفهم معنى الآية الكريمة أن يكون عنده من الأناة والروية ما يساعده على استيفاء ما قاله المفسرون فيها ، وفي سبب نزولها ، وفي أحكامها : أممسوخة أم باقية ، ثم يردد النظر حتى تطمئن نفسه الى المعنى الذى يرجحه عقله ، فقد اختلفت كلمة المفسرين فى ذلك اختلافا يبعث على عظيم التدبر والتفكير .

ولننسى ذلك فى مقامين : (الأول) فى سبب نزولها ، و (الثانى) فى بيان معناها وحكمها ، وكونه منسوخا أو باقيا .

المقام الأول : سبب نزول الآية — روى كثير من المفسرين أن ناسا من ضعفاء المهاجرين وفقرائهم لما وردوا المدينة وجدوا بنايا معلنات أقن الرايات على بيوتهن ليعلم أمرهن فيقصدن لذلك ، وكن من أخصب أهل المدينة عيشا وأكثرهم خيرا ، منهم من أهل الكتاب ، ومنهم إماء ليمض الأنصار أعدوهن للتكسب ، كما يعرف من قوله تعالى : (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا) وكان فى المهاجرين

فقر شديد لخروجهم من ديارهم وأموالهم فارين بدينهم ، وزادتهم الغربة شدة ، وكان بالمدينة غلاء ، فلما رأوا خصب هؤلاء البغايا وخيرهن حدثهم نفوسهم لوزوجوا منهم ليكون عوناً لهم على جهد العيش حتى يجعل الله لهم من أمرهم يسراً ، وكان من عادتهم الاتفاق على من تزوجهن ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو دأبهم في كل تصرفاتهم ، إذ كان الزمن زمن تشريع ، ولم تكن الأحكام أخذت مستقرها ، ولم يكن الدين قد وصل إلى هذا الكمال ، فنزات الآية الكريمة ليؤمنوا عن ذلك فامتنعوا .

ولا يظن في هذا أن مقام الصحابة وما نشعر به لهم من التجلة والإكبار يأتي أن يصدر من أحد منهم مثل هذه الخواطر المنحطة التي إن لم يمنع منها الدين منع منها الشعم وتأصل الكرامة في نفوسهم ، نقول لا يظن هذا في الرواية لأن إياه النفوس ونفرتها تابع لاستقباح العمل وشدة استهجانها ، وللمقيدة وتأصل العادة أكبر مدخل في أمر الاستقباح أو التسامح ، وكان القوم حديثي عهد بجاهلية لم تكن تنظر إلى هذه المنكرات فظروا من استقر في قلبه الدين كاملاً ، وملكته عادته المتأصلة ، فلا جرم صح أن يحمل الفقر المدقع والغربة والشتات قوماً فرو بدينهم وبينهم نبيهم برعام ويتمدهم بالهدى والإرشاد فهم في مأمن بحياطته ، صح أن يحملهم ذلك على التفكير في أية وسيلة للعيش ، فيستفهموا عن حكمها ، فإن أذنوا مضوا وإن نهوا انتهوا ، ولا حرج في ذلك ولا نكر ، وإنما التنكير على من نهاه الله فلم يرعو عن غيه ، ولا تقيس وجداننا النفسي — وقد استقر الدين كاملاً عندنا ودرجنا على أحكامه ونشأنا عليها — على وجدانهم وهم في مقام تعرف الأحكام من جديد ، ليغلمو عادة ويلبسوا خيراً منها .

وروى جماعة منهم أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي أن رجلاً يقال له مرند كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة ، وكان بمكة امرأة بنى يقال لها عناق ، وكانت صديقة له قبل أن يسلم ، فذهب مرة ليحمل أسيراً كان قد وعده أن يحمله ،

فاختبأ في ظل حائط من حوائط مكة، وكانت ليلة مقمرة، فمرت به عناق فأبصرته، فأنتهت إليه حتى عرفته، فقالت مرثد؟ قال مرثد، قالت: مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة، فقال: يا عناق! إن الله حرم علينا الزنى، فصاحت بأهل مكة تنذروهم به وتقول: هذا لرجل يحمل أسراكم، ففر من وجهها وتبعه ثمانية نفر منهم حتى دخل جبلا من جبال مكة يقال له الخندمة، فبدا له فيه غار لجأ إليه وأعماهم لله عنه، ثم رجعوا ورجع إلى صاحبه فحمّله إلى المدينة، قال فأتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناق؟ فأمسك فلم يرد على شيئا حتى نزلت الآية، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا مرثد! الزانى لا ينكح إلا رانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فلا تنكحها».

وهذا السبب لا يتبعه عليه ذلك الاعتراض اتجاهه على الوجه السابق، فإن النفوس قد تفكر في ارتكاب بعض ما تكرهه وتنفر منه توصلا إلى أمر خطير يتوقف عليه، وناهيك بتخليص أسرى المسلمين من أيدي المشركين، واضطرر متقدم إلى الإيواء لامرأة بنى توريه، وهو لم يقصد أن يزنى بها، وإنما أراد أن ينكحها ليأوى إليهم توصلا لهذا القصد الشريف، ولم ير أن يقدم على الأمر بدون أن يستأذنه صلى الله عليه وسلم، وليس توجبنا هذا معناه أنا نقر قول بعض الناس إن الفاية تبرر الوسيلة، وإنما وجهنا فيه أنه لا يبعد أن تفكر النفس في ارتكاب أخف الضررين تفاديا من أشدهما، فيبدو لها أن تزوج الزانية أخف من بقاء جماعة من أسرى المسلمين في أيدي المشركين قد يفتنونهم عن دينهم، على أنه لم يبت في الأمر، بل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فأنهى.

المقام الثانى : معناها وحكمها — وقبل الشروع في بيان ذلك نقول : جمهور الفقهاء مطبقون على أن المسلم ولو كان زانيا لا يجوز له أن ينكح المشركة، وأن المسلمة ولو زانية لا يحل لها أن تنكح المشرك، وأن الزانى يحل له نكاح العفيفة، والزانية يحل لها نكاح العفيف.



من أجل هذا كان حمل الآية على معناها المتبادر من أن الزاني لا يحل له أن ينكح إلا زنية أو مشركة، وأن الزانية لا يحل لها أن تنكح إلا زانيا أو مشركا — مخالفا لما أجمع عليه المسلمون من عدم تزوج المسلم والمسلمة بالمشركين، ولا يمكن أن يجمعوا على خلاف مقتضى النص إلا إذا كان النص منسوخا، فقال بعضهم: إن حكم الآية كان مقررا ثم نسخ بآية (وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ)، ولا شك أن المسئلة الزانية لم تخرج بالزنى من آيات المسلمين. ولا يشكل هذا بأن لفظ الأيى عام للزواني وغيرهن، والعام المخالف حكمه حكم الخاص لا ينسخ الخاص، بل يحمل على ما عدا الخاص، حتى يكون كل من الدليلين معمولا به، ولأن دلالة الخاص أقوى من دلالة العام نقول لا يشكل بهذا، لأن محل ذلك ما لم ينعقد الإجماع على مقتضى حكم العام، فإنه حينئذ يتقوى بانقضاء الإجماع على مقتضاه، وهذا معنى قول بعض العلماء إن الآية منسوخة بالإجماع، أى إن الآية منسوخة إجماعا، ونسخها بآية الأيى، فإن ظاهر قوله هـد فسد، لأن الإجماع لا ينسخ ولا ينسخ به، فإنه إنما يعمل عليه بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ينقطع التشريع وينسد باب، كما قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا).

هذا في نسخ حرمة سكاح الزانية والزاني للعفيف والعفيفة، أما تحريم نكاح المشركين والمشركات بعد أن كان حلالا فن قوله تعالى: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ).

هذا رأى لبعضهم، وحاصله أن الآية واردة لتحريم النكاح على الزواني ولزامة — إلا من بعضهم لبعض، أو المشركين، وأن ذلك نسخ في الموضعين، فأهل النكاح بين الزناة والعفاف، وبين الزواني والأعفاء، وحرم النكاح بين المسلمين والمشركين.

ورأى جماعة أن هذا من باب الإخبار عن الغالب من أن رغبة كل فريق تتجه إلى من يمثله في طباعه ، وشبه الشيء منجذب إليه ، فكان مساق الآية للتحدث عما يغلب على طباع الناس من ميل الزناة إلى الزواني أو من هن شر منهم وهن المشركات ، وميل الزواني إلى الزناة أو من هم شر منهم وهم المشركون ، وأن المؤمن العفيف الحميد السيرة والمؤمنة العفيفة لا تتجه رغبتهما إلا إلى ماثلهما في الصون والعماف والتزهد عما يشين . وهذا المعنى وإن اختاره كثير فليس مما تطمئن النفس إلى حمل الآية الكريمة عليه ، فإن التحدث عن العادات والإخبار عنها ليس من مقاصد الهداية والإرشاد ، وفرق بين هذا وبين قولهم في مواضع كثيرة : (الآية محمولة على الغالب) فإن معنى ذلك أن الآية واردة على معالجة حالة غالبية على الناس ، أو استئصال عادة متفشية فيهم ، أو النهي عن أمر أكثر واستعاض بغيره ، ودرق بين معالجة حالة غالبية بالنهي أو الإرشاد أو التشجيع وبين حكايتها والتحدث بغيرها .

والذي نميل إليه ونرجحه من بين أقوالهم في ذلك هو ما ذكره كثير من المفسرين مختارين له أن الآية مسوقة لتنفير أولئك الضملاء من المسلمين الذين حدثتهم أنفسهم بالتزوج من أولئك الزواني ليستعينوا بما هم فيه من رخاء المعيشة ووفرة المال على ما هم فيه من جهد وإعدام لا يطيقون مصابرة حتى يجعل الله بعد عسر يسراً ، فلما استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك نزلت الآية ، ليحفظ على المؤمنين صيانتهم ، والبعد عن الأذناس ولو في سبيل أكل العيش وتحصيل القوت الضروري ، ويكون المعنى أن هذا مما لا يليق بالمؤمن ، وإنما هو من سمات الزناة ، فهم الذين يميلون أو يقبلون نكاح الزواني أو من هن أخش منهم وهن المشركات ، ثم أردفت تنكيلاً بشرح أمر الزانية ، فهي التي تقبل أو يليق بها أن نميل إلى الزاني ومن هو شر منه وهو المشرک ، فالآية مسوقة للتفسير وبيان أن هذا لا يليق بالمؤمن المصون ، وهذا غير المعنى السابق الذي حاصله أن

ذلك حكاية وإخبار عما هو الغالب في الناس، ففرق بين قولك : إن هذا لا يليق إلا بشئ كذا ، وبين قولك : إن هذا لا يحصل غالبا إلا كذا ، فالأول من باب قولهم : الكريم لا يعيب ، والخير لا يصدر منه إلا الخير ، وهو ما نلمحه في قولهم : كل إناء ينضح بما فيه ، وقولهم : وهل ينتظر من السفه إلا الوصف بما هو فيه . ويقرب من هذا الأسلوب ما يأتي في قوله تعالى : ( اَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) على بعض التفاسير فيها كما استطاع عاينه إن شاء الله . وهذا الوجه مناسب لقصة مرثد أيضا ، والمعنى لا ترتكب هذه الخسة ولو لهذا القصد العظيم ، ويكون محصل المعنى على هذا الوجه : الفاسق الخبيث الفاجر لا ينتظر منه أن تنحه رغبته وميله إلا بمن تشا كله وتشبهه ، فهي الأليق بحاله والأنسب به ، وماله وبالعفيفة ينفر طبعها منه ولا تشاطره خبث سيرته ؟ والزانية الخبيثة الفاجرة لا يليق بها إلا خبيث مثلبا يشاركها في فجورها . والغرض منه تنفير ضعاف المسلمين من ذلك الخطر الذي بدا لهم ، أو زجر مرثد من تزوجه بعاق التي استفتى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذا المعنى يتفق هو وما روى في سبب النزول ، سواء أكان قصة مرثد أو قصة ضعفاء المؤمنين ، ويكون قوله جل شأنه : ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) منه أن نكاح المؤمن المحمود عند الله من زانية خبيثة فاجرة وانخراطه بذلك في سلك الفساق الذين يفسدونها محظور عليه محرم ، لا على معنى تحريم العقد على زانية ، وإنما هو على معنى تعرضه لارتكاب آثام ومفاسد جمة من ضياع النسب الصحيح ومعاشرة الخاطئين وتعود المرء مشاهدة المنكرات ، مما يضعف في النفس روح الحمية للدين ، فيتعود إقرار المنكر ، وكذلك شأن من تزوج من الخبيث الزاني ، وقد يجرها إلى مقارفة الكبيرة ، ولا يقتضى هذا حرمة عقد النكاح على الزانية أو الزاني الذي يجر إلى فساد حتى يرتكب التمسح الذي هو خلاف الأصل ، بل الحرمة حرمة الإقدام ، ولكن لو وقع كان صحيحا .

هذا محصل كلام المفسرين سقناه على اختلافه ، ليعتد القارئ التأمل في معاني الآيات مستعينا بنظر من قبله ، وبيننا ما يرد على بعضها من الاعتراض ليحسن الاختيار بعد التفكير .

وأياماً ما سلكت في تفسير الآية الكريمة فإن الذي لا يختلف هو ما يفهم من سياقها والإيمان بها بعد آية حد الزنى الذي هو أول الأحكام المشتملة عليها السورة الكريمة ، فإن من تدبر ما سبق في تلك الآية من الأمر بإقامة الحد عليهما ، والهي عن الرأفة بهما ، مع التعبير عنها بأنها رافة في طريق إقامة الدين ، فكأنها عقبة تعترض طريق الدين ، معلقاً ذلك على الإيمان بالله واليوم الآخر ، ومعنى ذلك أن هذا مقتضى الإيمان ونتيجته ، ثم الأمر بالتنكيل بهما وإعلان عقوبتهما ، تشهيراً بهما ، وزيادة في فتضاحهما وأن يكون الحاضر طائفة ومن المؤمنين ، لأن الاستحياء من أهل الإيمان والصلاح أكمل منه بالنسبة للكافرين أو الفساق ، بل ربما عد في نظر الفجار من أسباب الفخار ، فكل ذلك يعطى صورة من عناية الشارع الحكيم بتفطيع ذلك الجرم العظيم ، لمعرفته في المقال السابق من قوة دواعيه ، ومن كبر أثره وعظم خطره ، فإذا ضم إلى ذلك ما اشتملت عليه هذه الآية من تفطيع أمر الزنى والتفجير ممن وقع فيه بأنه لا يليق أن يكون بينه وبين مؤمن صلة ، بل ينبغي أن يقتطع ويفر منه كما يفر من الأجدم ، وأنه لا يصح أن يرغب في الاتصال به إلا من شاركه في خبثه ، أو كان مشركاً لا صلة له بالاسلام والإيمان ، نقول إذا ضم إلى الآية السابقة ما يستفاد من هذه الآية بلوغ التشنيع عليه والتفجير له والتفجير منه أعظم مبلغ وأكبره ، وكان جذيراً بمن يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر أن يصون نفسه من هذه الموبقة الفاحشة ، وما أحق أن يقال فيه : « لا يزني الزاني حين زنى وهو مؤمن » كما جاء في الحديث الشريف .:

أجل : لا يكاد المرء يصدق أن مؤمناً بالله مصداقاً برسالة رسله يسمع ما قال الله في شأنه من هذه الأحكام والأوصاف ، وما ذكر في معاملة من وقع في وهدهته ،

وأنة يثبذ ويقاطع ويقتطع من سجل الأسرة الاسلامية، فلا يليق أن يتصل به إلا من كان على مثل حاله وسوء فعله، ثم يكون مع إيمانه وتصديقه وحضور عقله راضيا لنفسه هذا المقت وهذا الفحش الأكبر، لا لا، لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، نسأل الله العصمة من الزلات، وأن يغنيننا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمن سواه.

بقى من مباحث الآية الكريمة بيان حكمة تقديم الزانية على الزنى في الآية الأولى، وتقديم الزانى على الزانية في الآية الثانية، والسرف في ذلك أن الآية الأولى مسوقة لبيان حكم الزنى، والعامل الأقوى فيه هو المرأة بما يبدو منها دائماً من تبرج وتزين ودعابة الى نفسها بشئ الوسائل في حركاتها وسكناتها ونظرها وإعراضها - حتى في تمنعها، فلا تكاد تخلو حالة من أحوالها من دواعي لفت النظر اليها، سواء كان ذلك عن قصد منها أم عن طبيعتها وما ركب في جبلتها من تكسر ومعنى أنونة، وكفى بأكبر لركنين دعابة للجريمة استحقاقاً للتقديم.

وأما في الآية الثانية فالكلام في أمر النكاح والعقد، ولا شك أن الذي يسمى فيه ويعمل على تحقيقه ويبدأ بالخطبة وأمثالها من مقدمات العقد هو الرجل، حتى إن المرأة إذا حاولت ذلك حاولته من طريق خفي، وتحايلت على أن تدفع بالرجل لى أن يفتح الباب من ناحيته، ويبدأ الكلام من جهته، فكان جديراً أن يبدأ بحكمه في مقام العقد الذي هو من خواصه، والله أعلم بأسرار كلامه.

ابراهيم الحبالى



## كلمات للوهابية وردّها

١ - ذكروا في حياة الشهداء أنه يحتمل أن يكون المراد بها حياة الذكر فلا تدل الآية الشريفة الواردة في حياتهم على ما أردنا من ثبوت الحياة لهم وللأنبياء . يخج - لقد أجبتهم وأخفتم ، وأنتم بما لم يأت به إلا الأوربيون الذين لا يعرفون إلا حياة التاريخ . وكيف يتفق هذا يا حضرات الأفاضل وما جاء في الحديث الصحيح من أنهم يأكلون من ثمر الجنة أو شجر الجنة ويردون أنهارها ويأوون إلى قناديل تحت العرش ، ومن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة ، ومن قصة ثابت ابن قيس الذي أخبر بعد موته عن درعه التي سرقها أحد الغزاة بغزوة اليمامة ، إلى غير ذلك مما لا يحصى ، بل كيف يتفق هذا وما جاء في القرآن من أنهم ( يُرْزَقُونَ فِي حَيَاتِهِمْ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) ؟

فإن قالوا : إنهم يرزقون بعد البعث ، قلنا : إن المؤمنين كلهم كذلك لا خصوص الشهداء . وما معنى كونهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم على هذا ؟ ثم كيف يقول تعالى : ( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ) فهل تجهل حياة التاريخ حتى يقول القرآن : ولكن لا تشعرون والصغار عندنا يقولون : نعمل للتاريخ ؟ وهل يخفى على أحد أن من عمل عملا جليلا كان له الذكر الحسن والثناء الجليل الذي يسجله له التاريخ كما يقولون ؟ ولماذا يقول في الآية لا أخرى : ( بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) مع أنهم على هذا أحياء عندنا ؟ وكيف يرزقون ويفرحون

وَيَسْتَبْشِرُونَ وَحْيَاتِهِمْ حَيَاةَ ذِكْرٍ وَتَارِيخٍ كَمَا قُلْنَا ؟ وَهَلْ يَرْغَبُ الْقُرْآنُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِثَلْثِ هَذَا ؟ وَهَلْ يَتَّفِقُ هَذَا وَرُوحَ الْإِسْلَامِ الَّذِي يَرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَعْمَلُوا مُخْلِصِينَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لِلنَّاسِ وَلَا لِلتَّارِيخِ ؟ وَلَكِنْ ( هَكَذَا هَكَذَا ) يَكُونُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ عَرَفُوا أَسْرَارَ الدِّينِ وَمَقَاصِدَهُ السَّامِيَّةَ وَغَايَتَهُ الشَّرِيفَةَ ( وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ السَّخِيفَةِ ( الْأَوْرِيَّةِ الْمَادِيَّةِ ) وَبَيْنَ تَأْوِيلَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْبَاطِيَّةِ ؟ وَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا ؟ أَفَرَادًا مِنَ الْقَوْلِ بِحَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي قُلْنَا إِنَّهَا أَوْلَى مِنْ حَيَاةِ الشُّهُدَاءِ ؟ وَإِذَا فُلِيَ عَالَمُوا أَنَّهُمْ مَا صَنَعُوا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُمْ أَفْهَمُونَا مَقْدَارَ تَمَسُّكِهِم بِالْدِّينِ وَفَهْمِهِمْ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، فَتَارَةً تَجِدُ قَرَامِطَةً بَاطِنِيَّةً ، وَتَارَةً تَجِدُ ظَاهِرِيَّةً مُتَطَرِّفَةً ، وَصَاحِبَ الْهَوَى مُتَوَلِّيًا يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ ، وَيَتَقَلَّبُ فِي التَّبَايُنَاتِ .

وَلِيَعْمَلُوا إِنْ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ النُّصُوصَ فِي ذَلِكَ مُتَوَاتِرَةٌ وَلَا مَنَاصَ لَهُمْ مِنْ تَسْلِيمِهَا وَلَوْ صَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ أَوْ نَزَلُوا إِلَى قَرَارِ الْمَاءِ ، وَلَيْسَ الْيَوْمُ يَوْمَ إِطْلَاقِهَا ، وَلَكِنْ لَا عَجَبَ فَقَدْ أَنْكَرَ رَئِيسُ مِنْ رُؤَسَائِهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، وَقَالَ : إِنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ ، كَمَا أَنْكَرَ الْجَنُّ ، وَهُوَ كُفْرٌ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ ، وَلَا دَاعِيَ لِلتَّصَرُّحِ بِاسْمِهِ ، وَكَمْ لَهُمْ مِنْ زَهَاتٍ وَسَخَفَاتٍ يُضَيِّقُ الْمَقَامَ عَنْ ذِكْرِهَا ، وَهَلْ يَبْقَى مَعَ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْكُفْرِيَّةِ السَّخِيفَةِ وَثُوقُ نَصِّ مِنَ النُّصُوصِ أَوْ حُجَّةٌ عَلَى مُخَالَفِ ؟ وَهَذَا هُوَ مَا أَرَادَهُ الْبَاطِنِيَّةُ قَبْلَ هَذَا .

٢ - قَالُوا : إِنْ حَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ الَّذِي فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ اللَّهَ بِحَقِّهِ وَبِحَقِّ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ أَنْ يُغْفَرَ لَهَا وَيُوسِعَ مَدْخَلَهَا - إِنَّهُ أَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ ، لِأَنَّ فِيهِ رُوحَ بَنِي صَالِحٍ . وَنَحْنُ نَقُولُ لَهُمْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ : يَا حَضْرَاتِ الْمُحَدِّثِينَ إِنَّهُ رُوحُ بَنِي صَالِحٍ لَا رُوحُ بَنِي صَالِحٍ . ثُمَّ نَقُولُ ثَانِيًا : إِنْ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ بِرَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ : فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ وَفِي الْمَرْقَةِ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَأَخْرَجَهُ لَدَيْمِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ ، وَأَخْرَجَهُ الشَّيْرَازِيُّ فِي الْأَلْقَابِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ،

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، وقد روى من طريق أنس وابن عباس وعلى بن أبي طالب ،  
ففي أي طرفه تنازعون ، وعلى أي مخرجيه تنتقدون ؟ ثم نقول : كيف يحل لكم أن  
تقولوا : إنه أوهى من بيت العنكبوت يا أرباب الدين والتقوى وقد روى من هذه  
الطرق كلها ؟ :

على أما نقول لكم بعد النزول : إن روح بن صلاح المصري قد وثقه ابن حبان ، وقال  
الحاكم : ثقة مأمون . ولا يصح أن فيه خلافا ، فقلما يخلو أحد من خلاف ، وما نحن  
فيه يكفيه هذا القدر ، فكيف يسوغ لهم بعد هذا أن يقولوا : إن الحديث أوهى من  
بيت العنكبوت إذا كانوا يخافون الله أو يريدون الحق ؟ : ولعمري لو وافق الحديث  
نزعتم ومذهبكم لا كتفتيم في روايته بأقل من ذلك بكثير كما هي عادتكم . ثم نقول  
من جهة أخرى : إن موضوع التوسل لا ينبغي أن نتشدد فيه هذا التشدد كما هو  
معروف . وأما حديث أنه شرك أو عبادة لغير الله فحديث خرافة مردود بأوليات العقل  
وبدهيات النقل ، على أن التوسل فيه غير هذا الحديث من الصحاح على ما سمعت وتسمع  
من الأدلة .

٣ - جاء في بعض ما كتبناه أن الأفعال نارة تلصق ظالمها نحو ( وَ لَقَدْ بُهَدِي مَنْ  
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ونارة تلصق إلى كاسها نحو ( وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ) وأردنا بذلك أن نشير إلى جواب آخر غير مشهور في دفع التنافي بين قوله  
تعالى : ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) وقوله : ( وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )  
وتركنا الجواب المشهور الذي يعرفه صغار الطلبة من أن الهداية في قوله تعالى : ( وَإِنَّكَ  
لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) بمعنى لدلالة — أردنا أن نشير إلى ذلك من طرف حقي  
إشارة يفهمها الأذكياء ، وما كنا بصدد الجواب عن الآيتين ، وإنما ذكرنا ذلك على  
سبيل التمثيل لما كنا فيه ، فقام قائمهم يقول : إن الهداية تطلق على الدلالة ، وينقل في ذلك



كلام الزمخشري وغيره، وما كان أغناء عن هذا كله، فالمسألة من أوليات المسائل التي تذكر في صغار الكتب، وما أتينا بما يفيد الحصر، ولكن القوم لا يطلبون حقا ولا يريدون إنصافا، فتي وجدوا شيئا نالها وقد فهموه على غير وجهه ملأوا الدنيا صياحا معلنين عن أنفسهم وملبسين على الناس. على أن الكاتب ترك أصل الموضوع العلمي وما فيه من أدلة وبراهين، وأخذ يناقش في المثال، وقد قالوا: إن المناقشة في المثال، ليست من دأب الرجال، ولكن أي هكذا خلقت:.

٤ - ذكرنا في أدلة التوسل حديث توسل آدم عليه السلام به صلى الله عليه وسلم عند ما اقترف الخطيئة، وقلنا: «أخرجه الحاكم في المستدرك ولم يتعقبه الذهبي في كتابه الذي تعقب به الحاكم في مستدركه» وهو كتاب ذكر فيه الأحاديث التي يرى أنها موضوعة وهي نحو مائة حديث، فلم يفهموا هذه العبارة الواضحة (وقلما يفهم صاحب الهوى غير ما يوافق هواه أو ينصر نزعته) وإلا فلماذا ذكرنا ذلك الوصف وكان أخصر من هذا أن نقول: «في تلخيص المستدرك» أو لا نقول شيئا، فإنه إذ قيل: لم يتعقبه الذهبي، فهم منه أن ذلك في التلخيص. هذا هو المعروف إلا عند إخواننا المعروفين، وقد أردنا أن نفهمهم أن الذهبي رجع عن الحكم بالوضع في ذلك الكتاب، فلما لم يفهموا ذلك قالوا: إن الذهبي لم يقره بل ذكر أنه موضوع، ثم طعنوا بذلك ما شاء لهم الهوى مما سمحت به آدابهم واقتضته أدوافهم. ونحن نقول لهم أولا: إنكم لم تفهموا عبارتنا في المجلة مع كونها واضحة، وقد أوقعهم في ذلك شغفهم بالظن على مخالفتهم من جهة، وقصور اطلاعهم من جهة أخرى، فإن للذهبي كما قلنا كتابا مخصوصا بموضوعات المستدرك في رأيه، وهو كتاب خطي لا يعرفه هؤلاء فيما يظهر، وهذا غير تلخيص المستدرك الذي يذكر فيه الموضوع والصحيح، وأما الذي أئمه لمجرد التعقب، فهو كتاب آخر كما عرفت، لم يذكر فيه إلا الموضوعات.

فأين هذا من ذلك ؟ وهل يعقل أن أنسب ذلك لتأخيص المستدرك وهو مطبوع معه في نسخة واحدة ؟ وعبارة المجلة واضحة في ذلك . على أننا نقول : إن الذي قاله الذهبي في تلخيص المستدرك بعد قول الحاكم : إنه صحيح — هكذا : « بل موضوع وعبد الرحمن بن زيد واه » ولم يزد على ذلك ؛ ونقول : إن هذا مدسوس على الذهبي من بعض تلك الطائفة ، ويبعد جدا أن يكون من كلامه ، وكثيرا ما رأينا ذلك وثبتنا منه ، وربما جرت إليه المناسبة في الأعداد الآتية ، فإن ذلك لو كان من الذهبي لقال : « فيه فلان الكذاب أو الوضاع » ولا يكفي في الحكم عليه بالوضع أن يقول : إن عبد الرحمن واه ثم يسكت ، بل كان يقول على الأقل : واه جدا . وكيف يؤول إنه موضوع وقد رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة الذي قال فيه الذهبي نفسه : إن هذا الكتاب كله هدي ونور ، ورواه القاضي عياض في الشفاء بسند صحيح عن الامام مالك في قصته مع المنصور ، ولا مطعن في ذلك السند ، خلافا لمن توم ذلك ، وسيتبين لك ؟ وقد ذكره صاحب المواهب وشارحها ولم يتعقبا .

قال الطاعنون : إن في سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف . ونحن نقول : نعم هو ضعيف ، ولكن ليس بوضاع ، ثم نقول : معلوم أن الضعيف الذي يثلب عليه الوم قد يصح حديثه ، ويعرف ذلك الحفاظ بقرائن كثيرة تفيد صحة الحديث وإن كان راويه ضعيفا ، ويدل على ذلك فيما نحن فيه أن الحاكم ممن ضعف عبد الرحمن بن زيد ، فكيف يروى عنه ويصح له وهو من مضعفيه ؟ فلا بد أن يكون قد علم أن عبد الرحمن لم يهمل ولم يغلط في هذا الحديث ، ويمكنه أن يعرف ذلك مثلا — بما روى عن مالك في قصة المنصور ، مع ملاحظة أن مالكا كان أول الطاعنين على عبد الرحمن بن زيد ، فلم يقل مالك للمنصور : « لماذا تصرف وجهك عن رسول الله وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم » إلا وقد ثبت عنده صحة الحديث ، وكفى بمالك حجة .

فالحديث لا يمكن أن يكون موضوعا بحال من الأحوال، والذهبي لا يمكن أن يبطل ذلك، فلا يمكن أن يحكم بوضعه حكما غير مبين كما سمعت، ولا يمكن أن يتفق القاضي عياض في الشفاء وشرائه، وصاحب المواهب وشرائها، والبيهقي في الدلائل على ذكره من غير أن يشير واحد منهم إلى ذلك بكلمة تفيد الوضع أو أن هناك من قال به. على أن ابن عدي قال في عبد الرحمن بن زيد هذا: «له أحاديث حسنة وهو ممن احتمله الناس ووثقه بعضهم ويكتب حديثه» وقد روى عنه وكيع وابن عيينة وغيرهما ولم يفتحوا إلى من تكلم فيه، على أننا نرى النقاد من المحدثين ينتقون من روايات من تكلم فيهم من جهة الضبط ما يخرجونه في عداد الصحيح كما فعل مسم وغيره، ومن ظن أن الكلام في الأحاديث تصحيحا وتوضيحا وفي الرواة تجريحا وتعديلا أمرهين، فقد هان عليه العلم، فكيف يكون حديثه موضوعا بعد هذا كله الخ ؟

على أن الحجة في ذلك كلام مالك مع المنصور، وهو الدليل الواضح على أن عبد الرحمن ما غلط وما وهم في هذا الحديث، وربما كان من الواجب أن نتعرض لما أورده بعضهم من الطعن في الرواية عن مالك بأن فيها يعقوب بن اسحق بن أبي إسرائيل رواه عن ابن حميد للمعمرى مع أنه لم يدرك ابن حميد للمعمرى، وإنما أدرك ابن حميد الرازي وهو ضعيف غير ثقة، فهذا يحصل طعنهم في الرواية عن مالك. ونحن نقول أولا: إن الطاعن لجهله أو تضليله حرف كلمة (عن) إلى كلمة (ابن) أو اغتر بكتاب محرف كما وقع لكثير منهم عند ما نظروا في الكتب المطبوعة لمخرقة، ولا ريب في أن يعقوب بن اسحق يروي عن أبيه اسحق، بل هو روايته. ونقول ثانيا: إننا إذا سلمنا أنه يروي عن ابن حميد الرازي، فلا نسلم أن الرازي غير ثقة، فقد وثقه يحيى بن معين والامام أحمد، ولو كان الحديث مما يصادف هوى في نفوسهم لطاروا به فرحا وملاؤا الدنيا كلاما، مستندين إلى توثيق أحمد ولو لم يكن معه ابن معين، فكيف بمن وثقه أحمد وابن معين جميعا ؟ ولا ينبغي عليك تشدد ابن معين في توثيق رجال الحديث.

فأقيمة من تكلم فيه بعد توثيق هذين الإمامين؟ وقد يقولون - ولا نستبعد منهم شيئاً - : إن الخطيب البغدادي لم يذكر ابن حميد الزاري في رواية مالك، وما أوهى ذلك سنداً وأضعفه حجة : فكم ترك الخطيب من رواية مالك . على أن ثبوت معاصرة الثقة يعني عن ثبوت اللقب عند مسلم صاحب الصحيح كما هو معروف ، وقد توفي الزاري المذكور سنة ٢٤٨ عن اثنتين وثمانين سنة ، وبين رواية مالك من تأخرت وفاته إلى ما بعد سنة ٢٥٨ .

وبعد هذا كله يجدر بنا أن نلفت نظرك في هذا المقام إلى أن هناك ما هو أظلم وأعظم من ذلك كله ، وهو أنه يلزم على مذهب الوهابيين أن يكون كل من خرّج هذا الحديث من أبواب الكتب للصنفة ، وكل راو من رواه الكثيرين هو وأمثاله من الأحاديث كحديث عثمان بن حنيف ( لا سهل بن حنيف ) كما غلطوا فيه ، وهم المبرزون في علم الحديث على ما يزعمون . نقول يلزم أن يكون أولئك الرواة حتى مالك بن أنس ( حتى عثمان بن حنيف الصحابي الجليل من أوائل المجرمين أو الكافرين ) لأنهم رووا ما بوجب الإجماع أو الكفر ، وليس يخفى عليك حال الراضى بالشرك ، فما بالك بالله اعني اليه والناقل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ نفوذ بالله أن نرى أصحاب رسول الله أو علماء المسلمين بشيء من هذا ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ) .

وأظنك بعدُ لم تنس ما قلناه من أن المتوسل ما طلب إلا من الله سائلاً إياه بمنزلة نبيه عنده ، وهي لم تتغير في حياته ولا بعد مماته ، بل نقول : إنه لو طلب من النبي نفسه أن يفعل له لم يكن كافراً ولا مشركاً ، فإنه يطلب منه على سبيل التسبب وكل من يطلب من المخلوق على سبيل التسبب لا يكون مشركاً ولا كافراً . وما أدرى أينازعون

في الصغرى أم في الكبرى؟ وإذا يكونون قد خرجوا إلى المهارة وسقطت معهم المناظرة، وإذا كان الطالب من الأتباع والأنبياء هو على سبيل التسبب فلا كفر فيه كما هو بدهي ولو كان الطالب غالطا (على سبيل الفرض) ويكون ممن طلب المعونة من المقعد غير عالم أنه مقعد، فزاية ما فيه التلط والجهل لا الشرك والكفر، وإلا كان الناس كلهم مشركين، فإن هذا العالم مبني على الأسباب والسيئات.

هذا وقد نقلنا لك من المعنى للحنابلة الذي طبعه الشيخ رشيد أن الزائر له صلى الله عليه وسلم يتشفع به إلى الله عند زيارته، ومع حنابلة على ما يزعمون، والشيخ رشيد عالمهم ومفتيهم، ونقلنا لهم عن ابن القيم وهو من أئمتهم أن الروح الكبيرة ربما هزمت جيشا، ونقلنا لهم عبارة الشوكاني في ذلك وهو من أئمتهم أيضا، فليت شعري ماذا يقولون بعد ذلك كله؟ ولكن القوم لا يعجزون عن شيء، ويمكنهم الجواب عن كل شيء، شتما وإقداعا ونحايلا واقتراء.

وليس يهمن أن يشتوا أو يسبوا — غير أن يحب لهم أن ينصفوا ولا يتعصبوا، على أن يجانب هذا نخجل من ثناء المتين وإطراء الطرين، فإن كنا غلصين فأجر الآخرة بعد ذلك خير وأبقى، وإن كنا غير غلصين أنشدنا قول القائل:

إذا رضيت عنى كرام عشيرتي فلا زال غضبانا على سوامي

وربما ذكرنا لك في الأعداد المقبلة من كتابهم الفارغة وأجوبتهم الجاهلة، وخيالات علمائهم عندنا بمصر، ونصحياتهم الأحاديث الصحيحة المشهورة (لأجل نقطة) ما يعرفك أنهم ليسوا من العلم في ورد ولا صدر، ولا من الفهم في قليل ولا كثير

فرقة تدعى الحديث ولكن لا يكادون يفقهون حديثا

برسفة الهرجوري

من هيئة كبار العلماء

## روابط الأسرة

### الطلاق

---

قال الله تعالى : ( الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ يُتَقْرَفُ أَوْ يُتْرِكُ بِالْإِحْسَانِ ) .  
قد علمنا أن الزواج هو أساس تكوين الأسرة تكويناً صحيحاً ثابتاً ، وأنه ينبوع  
لسعادة الحياة وهناءة المعيشة المنزلية على وجه مستقر قوى الأركان متين البنين  
لا تهزه أعاصير الحياة ولا تقتلعه عواصفها ، وأن الاختلاط للتابع لمجرد الهوى والليل ،  
والذي لم يحكم رابطته بمقعدة الزواج إن هو إلا نزعة هوى يذريها الهواء ، ونزوة نفس  
لا تلبث أن تتلاشى كمشوراء لهباء ، فالحياة عرضة لأعاصير المحوم والأحزان ، ومثار  
لتقلبات الأكدار والشجون ، فلا بقاء لتلك المواطنف الوقتية ، ولا ثبات لتلك الزوات  
النفسية إلا ساعة الغفلة وركود الحياة ونوم عواملها ، فتى تحركت أسبابها وجد جدها  
أطفأت لهبها وجعلتها كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ففى الحالة هذه لا تصلح لأن  
تكون أساساً يبنى عليه نشأة جيل جديد يخلف ما قبله فى عمارة الكون واستمرار  
الوجود ، جيل يحتاج فى نشأته الى نضافر قوى الأبوين وتوافر أسباب عنايتهما به ،  
ومصايرتهما كل مضى يلقى هماً من أجله ، وناهيك باختلاف رأيهما لمصلحته وما يحرمه  
ذلك من معاندة ومخاصمة يليهما اشمزاز واستنكار ، هل يصبر لتلك ويصمد له إلا نفسان  
توقفت الروابط بينهما ، وأشعرت كلا منهما بأنه لا مندوحة له عن معاشرة الآخر  
ومبادئته الصالح والتفكير ، والحقوق والواجبات ، وأن لكل منهما على صاحبها حق  
الاستمساك والاستيثاق والارتباط ، رضيت نفسه أم كرهت ؟ .

ولقد حاطت الشريعة الفراء هذه الرابطة المقدسة بأمتن الروابط وأحكم الصلات، واتخذت لها الأساليب العديدة التي تكفل ثباتها واستقرارها أمام عواصف الأهواء، فبدأت الأمر بينهما بالتعرف البسيط البريء الذي لا يخشى منه على الأخلاق أن تقسد، ولا الأعراض أن تنتهك، فأباححت لمريد الزواج أن ينظر ممن يريد لها لنفسه وجهها وكفيها متى صمم على خطبتها، وكفى بذلك تعرفاً لما يهيمه ويعنيه، ثم أمامه البحث وتعرف أخلاقها ونشأتها وأسرتها وهم جرا لا يمانع في ذلك ولا يذفع، فإذا ما خطب وعقد فقد وجب عليه الصداق المفروض، ثم وجب عليه لها النفقة الدائمة، ووجب له عليها الطاعة والاستسلام في أمور العشرة الزوجية، فتبادل هذه الحقوق والواجبات لكل منهما على صاحبه ضمان لاستمرار المناء والسعادة في معيشتها، خصوصاً بعد التمهيد لها بتلك الخطبة التي بها يتعلق كل منهما بصاحبه تعلقاً تاماً، بحيث يشعر أنه مبدأ سعادته وراحته.

وقد امتن الله على الزوجين بهذه النعمة العظمى: نعمة المودة والرحمة المجعولة جملاً إلهياً، كما قال جل شأنه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) كل هذا ليوفر للأسرة أسباب السعادة وعوامل القوة في رابطتها، والثبات لكتلتها، لتبقى متضامنة متماسكة، لتقوى على مصابرة عوامل الحياة وطوارئها، وتنهض بتنشيء الجليل لئلا يلبسها على أحسن الوجوه وأكملها، فتكون منه أمة غير مفككة الأوصال ولا وهنة الرابطة، حكمة منه وفضلاً، ولكن الإنسان هو الإنسان: زوانه نزوانه، وزغاته الشيطان فيه زغاته، وما كانت الشرائع معها كملت لتقتاع طبعه أو تخففه خلق جديد، وإنما هي لهذيب نفسه وتشتذيب شذوذه وتقوم اعوجاجه، علاجاً لا استئصالاً، وتعديلاً لا تبديلاً، فشرعت أحكام الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية وافية بكل هذا على أكمل الوجوه وأعلى، كما سيبين من مقارنتها بغيرها.

كما اختلفت الشرائع السماوية التي وصل إليها في أمر تعدد الزوجات اختلفت في إباحة الطلاق، فأباحته الشريعة الموسوية، وأباحته الرجة بعده ما لم تزوج من رجل آخر فليس لها عودة إليه، ولعل حكمته تسهيل أمر العشرة الزوجية ورفع الحرج فيها حتى يكثر الإقبال عليها فيكثر الشعب الاسرائيلي بسرعة، وقد كان فيه النبوة والدعوة الى الله وإلى طريق الخير، ومن الحكمة تقوية شعب جعل الله فيه النبوة وعهد إليه بتحمل أعباء الهداية.

ومنعته الشريعة المسيحية لما اكتمل الشعب واستجمع قوته، وأراد الحق جل جلاله أن يقتلع العادة التي تأصلت فيه، فسد باب التعدد كلية لينسى أمره وتقطع طماعيته، فلما استقر الأمر على ما أراد الحكيم العليم جاءت الشريعة المظهرة الكاملة التي تناسب أجيال الناس في مختلف أحوالها من حضارة وبداءة وضعف وقوة، فجاءت بحكم يتفق مع مظاهر الحياة كلها لا يتقيد بمعالج حال طارئة، قراعت الحكمة الإلهية أن الزوجين وهما يتعاشران ويقومان معا بأعباء الحياة، كل بحسب ما تمهأ له، هما عرضة لهبوب عواصف من هجوم الحياة وأكدارها، فلا بد أن تثور النفس في بعض الأحيان ثورا ما قد يحدث أثره في النفس الأخرى، وقد يتماديان في المغاضبة حتى يضيق الذرع وتنفّر النفوس من هذا القيد الذي ارتبطا به، وتقلب تلك الرابطة المقدسة فيبدأ في الأرجل، وغلا في الأعناق، وحرجا في الصدور، فقسوه الحياة ويسود وجهه للمعيشة، ويكون ما قصد منه لهناء والسعادة مبعثا للشقاء والتعاسة، فرفع الله الرحمن الرحيم عن الأسرة هذا الحرج، ومكن أحد الطرفين وهو الأثبت رأيا، والأرزن عقلا، والأقدر على ضبط النفس، والمرضة للفرامة المالية في الحل والعقد وهو الرجل - مكنه من أن يحمل تلك العقدة إذا توافرت أمامه دواعيها، فجعل له الطلاق، ولكن نفره منه من جهة أخرى، حتى ورد «أنقض الحلال الى الله الطلاق» لكيلا يقدم عليه إلا بعد الأمانة وطول التفكير، فليس أصعب على المؤمن من المهجوم على أمر مبنوخ لله، ولكن أليس من



الجارز القريب أن تلك الثورة الغضبية التي عملت عملها في نفسيهما حتى بدلت اجتماعهما  
فرقة ووصلهما قطيعة نهداً، فتسكن الأعصاب وتماود النفوس النظر، فندكر ما سبق  
من حسنات تذهب تلك السيئات، فيأسف على ما فات، ويود أن يتداركه فيها هو آت ؟  
نعم هذا محتمل وقريب الاحتمال جداً، والمشاهدات المتكررة أكبر شاهد، فذلك  
شرع الحكيم الخبير أمر العدة فرصة للمعاودة، وقدرها بمدة تكفي في مراجعة النفوس  
سابق عهدتها وإحسان التأمل في إرجاع البصر، وذلك مدة ثلاثة قروء تنتهي غالباً  
ثلاثة أشهر، أو ثلاثة أشهر إذا لم تكن المعتدة من ذوات الأقراء، ولا شك أن مثل  
هذه المدة كاف في مراجعة النفوس لشتونها ونيانها السيئة التي لا يجسمها في التذكير  
إلا التهاب النفوس بالقوة الغضبية وهياجها من ألم السيئة، فكان الله الزوج من الرجعة  
في مدة العدة المذكورة أو ما هو في حكمها من وضع الحمل الذي هو حادث يعتبر في الحياة  
الزوجية بمنزلة ختام فصل من روايتها متمم لما قبله جعله دوراً قائماً بنفسه، فاذا تراجع  
الرجان فقد يتمرضان لمثل ذلك، فأباح لهما هذا بعينه مرة أخرى . فاذا راجعا ووقع  
بعد ذلك أن طلقها، كان بكثرة تكراره هاجما على رابطة محترمة ينبغي صونها عن  
التلاعب، ولا يصح أن تبقى دائماً أبداً مظهراً للسخط والغضب، وكفى أن قد أعذر إليه  
في المرتين الأولى، وأنه تصور الفراق وخراب البيت وانهايار صرح السعادة تصوراً  
يجب أن يكون رادعاً، فاذا لم يرتدع بالمرتين، ولم يحرص على ما يجب أن يحرص عليه  
ولم يحتفظ به، فهي نعمة ينبغي أن يحرم منها، وأن يحال بينه وبين العودة إليها والتنعم  
بها، وكذلك الزوجة إذا رأت أن عقدتها في يده، وأنها بإغضابه تعرض نفسها لزوال  
ما هي فيه من نعمة، احتاطت لنفسها فلم ترتكب ما يوجب ذلك الغضب المشنوم، وهذا  
منتهى الرحمة والتربية العادلة، وعلاج المعاشرة المقدسة بالدواء الشفي، حتى يبطش  
المريض بنفسه، فيكون مستحقاً لتجرع النصبة بما جنت يده، وما ظلمهم الله ولكن  
أنفسهم يظلمون .

سيقول السفهاء من الناس : إننا نرى الكثير من الرجال يسيء استعمال هذا الحق فيتخذ عقدة النكاح لعبة يلهو بها إجابة لشهواته وأغراضه السقيمة ، فكيف يكون نعمة وهو يجر على المرأة شقاء عظيما ، وهي مخلوق ضئيف ينبغي أن يحاط بالرحمة بكل ما يمكن ؟ فنقول لهم : ومتى كانت النعم الإلهية مستعملة دائما في أقرب الوجوه للصواب ؟ فهل كل الأغنياء استعملوا ثروتهم فيما يطلب منهم ؟ وهل كل الأقوياء بذلوا قوتهم فيما يجب عليهم ؟ وهل كل العقلاء صرفوا عقولهم لاستنباط الحق وفهم الأمور على وجهها وتمييز حسناتها من قبيحها ؟ وهل كل ذوى اللسان أرشدوا الناس الى ما ينفعهم وما يضرهم ؟ لا يستطيع أحد أن يقول إن كل النعم صرفت في وجوه الخير والمنفعة ، بل نرى الكثير منها صرف الى محض الضرر ، كالثروة تبين على الشرف المقوت ، والقوة تساعد على التمردى والإيذاء ، فهل خرجت النعمة بهذا عن أن تكون نعمة ؟ كلا ، إن النعمة شئ ، وإحسان استعمالها فيما هيئت له شئ آخر ، وخروج النعم عليه عن الشكر الى الكفران لا يخرج النعمة عن أن تكون نعمة ، والطلاق على ما شرعناه نعمة على البشر أحسنوا استعماله أم لا ، بل مجرد مشروعيته نعمة ، لأنه يفهم الطارفين أن هذه العقدة ليست ضربة لازب يستحيل حلها ، لا بل هي نعمة جائز زوالها ، فلا تتجنبوا فيها متجنبوا على أنفسكم ما تكرهون . متى علمت الزوجة ذلك احتاطت لنفسها وأبقت على العشرة وحفظت حق الزوجية ، ومتى علم الزوج ذلك وأن الطلاق هدم لمشيه وتخريب لبيته وتقص لنزله ، وهو بحاجة الى من يعاشره ويكون له سكنا يبادل به الرحمة والمودة ولاغنى له عن ذلك ، وأن تجديد النكاح سيعود عليه بفرامة مالية ربما لا يستطيعها ، وقد يقع في شر من هذه التي يشكو منها ، نقول : متى علم الزوج ذلك ابتعد عن مغاضبة زوجته ، حتى لا يثير نفسها ولا يدفعها للسوء بسوء فعله ، فكان في مشروعية الطلاق عون على أن يقوم كل بواجبه نحو الآخر ، وبوفيه حقه الذى طلب منه ، ولن يضره بعد أن كانت

له هذه المحاسن أنه يستعين به الشرير على الإساءة ، فالليل رحمة وإن استعان بظلامه السارق على السرقة ، والهار رحمة وإن تمكن القاتل بضوئه من تسديد الرمية .

المرء - : وما يلتحق بالكلام في النكاح والطلاق الكلام في العدة ، ويمكن تقريبها في أقسام :

( الأول ) وضع الحمل ، وهو الأصل في كل العدد ، فالمعتدة الحامل عدتها وضع حملها ، سواء أكانت عدة طلاق أم عدة وفاة ، وذلك أن وضع الحمل على ما سبق كتتميم فصل من رواية لزوج وختم دور من أدوار الحياة الزوجية ، فإشروع الزواج في الأصل إلا للتناسل ، فكل وضع يكون كزراعة قائمة بنفسها في الحرث ، وما يمهده يكون كاستئناف دور آخر .

و ( الثاني ) الزمن ، وهو في المتوفى عنها مطلقاً إذا كانت غير حامل ، سواء أكانت من ذوات الحيض أم لا ، ومدتها أربعة أشهر وعشر ، وسواء أكانت مدخولاً بها أم لا ، والحكمة فيها القيام بحق الوفاء ومراعاة واجب العشرة المقدسة ، وفي ذلك من محاسن الأخلاق ما لا يحتاج إلى شرح ، وفي المطلقة إذا لم تكن من ذوات الحيض كصغيرة لم تبلغ أو كبيرة انقطع عنها الحيض ، والمعنى في ذلك مراعاة كرامة الارتباط السابق والعشرة المتقدمة ، والإبقاء عليها حتى تفتت النفوس عن ملاحظتها وذكرياتها ، فلا يشور بها غضب النخوة ، ولا يحيد الشيطان مرتعاً لتزغاته الخبيثة ، فيولد الشرور والضغائن بين الزوج القديم والزوج الجديد ، وفيها مع ذلك مراعاة لصون البضع عن أن يكون متاعاً متداولاً بائذال بلا مراعاة حرمة التصون والاحتفاظ ، فليس البضع كبيت يخرج منه ساكن ليعتله عقبه ساكن آخر ، ولا كتوب أو نمل يخلمه هذا ليلبسه ذلك ، وإنما هو كائن حتى ذو كرامة يستحق الصون ويربأ به أن يكون كرة متقاذفة في أيدي اللاعبين .

(والثالث) الأقراء، وذلك المطلقة التي هي من ذوات الحيض، وذلك ثلاثة فروع، وفيه من الحكمة مع ما سبق من طول العهد بين الزوجيتين حتى لا يعكر قديهما صفو حديثها - فيه استيقان براءة الرحم وصون الأنساب عن الاختلاط؛ وهذا وإن كفى فيه حيضة واحدة فإن الوجه الأول وهو إطالة العهد حتى ينسى القديم وتزول صورته من الأذهان استدعى ذلك التمدد، ولذلك اكتفى في عدة الزوجة التي هي أمة بقرين، فإن التعلق بالإماء والغيرة عليهن وغضب النفوس من أجلهن ليس الأمر فيه كالحرائر، فالأمة أعدت في أصلها للخدمة والابتدال، والتمتع بالنسبة لها كالعارض، بخلاف الحرة، ولكنها على كل حال زوجة، فأما إذا كانت أمة استمتع بها مالكها بملك اليمين وانتقلت بالبيع أو الهبة أو نحوهما إلى مالك آخر، فإنه يكفي في حل استمتاع مالكها بها حيضة واحدة يعلم بها نقاء الرحم من الحمل حتى لا تختلط الأنساب.

النسب - : نعم النسب، فهو النتيجة لهذا كله، والثمره المقصودة من كل تلك الأحكام، وهو الذي من أجله أودع الله في النفوس هذه الميول والمواطف ليبقى الكون معموراً، فحب للأباء أن يفنوا صحتهم وقوام في طريق تربية الأبناء مهما بلغ بهم اليأس من أن ينتفعوا بهم، وحبهم في إشارهم على أنفسهم بالذائد والطيبات مهما بلغ منهم الشح والأثرة، وغرس في قلوبهم معنى أن وجودهم (أي الأبناء) في معنى وجود الآباء أنفسهم، وأنهم إذ فاتهم الخلود والبقاء بأنفسهم فقد عوضوه في أبنائهم.

هذا شأن البنوة والآبوة: يتجنى الابن على الأب ويبنى عليه وكأنه يجتنى منه ثمرأ شهيأ، ويرى الابن أن له على أبيه حق التربية والتنشئة، وليس عليه في مقابلة ذلك إلا الهر والحب والاحترام، ويوافق الأب على ذلك فلا يريد منه جزاء ولا شكوراً، بل كثيراً ما يتسامح معه وترضى نفسه منه بما هو دون الرضا. كل هذا ينبغى أن يحافظ عليه ويحتاط له، فتدفع عنه الوسوس والشكوك حتى يكون المحسن دائماً مطمئن النفس بأن إحسانه

صادف محله ، ثم لم يجعل عرصه للتردد والارتباب فينقطع متى ظنت الظنون أو حامت  
 لريب والشكوك . كل هذا راعاه الشارع الحكيم فجعل الولد للفراش ، وحماءه في ضعفه  
 عن أن يكون في مهب عواصف الغضب والمخاصمات فيعنى الأبون ويعذب الابن  
 المسكين ، ثم فرض له على كليهما ما يحسن القيام به ، فكانت بفقته على أبيه ، وكانت  
 حضنته لأمه ، ردا لكل شيء الى نصابه ووضعها له في محله اللائق به .

هذه نبذة صغيرة بقدر ما تسع مداركنا اجتلاءه من محاسن الشريعة الفراء  
 في باب النكاح وما يتبعه ، وهي قليل من كثير من أنوارها المتلألئة في كل باب ، ونمها  
 الجلة على كل إنسان ، وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها . فنبأه تعالى أن يرزقنا التوفيق  
 لشكر نعمه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

ابراهيم الجبالي

## الغرف والملاح

كان مالك بن دينار يخرج الى القبور كل خميس على حمار ويقول :

أَلَا حَيُّ الْقُبُورِ وَمَنْ يَهْنَةُ	وجسود في القبور أحبهنة
فَلَوْ أَنَّ الْقُبُورَ سَمِعْنَ صَوْنِي	إِذَا لَأَجِبْنِي مِنْ وَجْدِهِنَّ
وَلَكِنَّ الْقُبُورَ صَمَتَتْ هَتَّى	فَأَبَتْ بِحَسرةٍ مِنْ عِنْدِهِنَّ

ثم يبكي ويبكي .

# الفتاوى والأحكام

## حكم الانتفاع بالمرهون من أرض وغيرها

جاءنا هذا الخطاب من حضرة صاحب الامضاء :

سيدى المحترم صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يوسف الرجوى

تحية وسلاما وبعد، فهانذا أكتب إليكم اليوم متطعا لذاتكم القيس الذى يدتم به  
ظلام الباطل، فطالما أتيتم بحججكم الباهرة على أضاليل المغررين، وأظهرتم الحق واضحاً  
جلياً لذى عيتين ومن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أريد أن أستطلع رأى فضيلتكم فى نوع من المعاملات جرى التعامل به بين  
الناس واشتهر أمره فيما بين الخصاص والعام، ذلك النوع من المعاملة هو أن يعطى شخص  
شخصاً آخر مائة جنيه مثلاً - فى نظير أن يحبس قطعة من الأرض على سبيل الرهن،  
ويكون للمرتهن مجرد العقد أن يتصرف فى الرهن كيف شاء، وإما أن يؤجرها الى  
الراهن ويصم قيمة لا يجاز الى المبلغ الأسمى، وبذلك ترداد المائة باطراد كل سنة،  
وإما أن يؤجرها الى غير الراهن ويأخذ قيمة الاجار لنفسه بدون أن يخصها من أصل  
المبلغ، وإما أن يزرعها هو ويأخذ الزرع من غير أن يكون للراهن أى نصيب فيه،  
وفى جميع الحالات تبقى الأرض تحت يده على سبيل الرهن، فهل هذا يجوز؟

أرجو أن يجيبوا عن هذا السؤال على صفحات مجلة نور الاسلام إحقاقاً للحق  
ولكم جزيل الأجر وخالص الشكر م  
ع . ح  
بالبرقيات

## الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

وبعد ، فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على تحريم الربا بسائر أقسامه ،  
وانفق العلماء من السلف والخلف على أن منها ربا بالقرض ، وقد اشتهر في ذلك قولهم :  
« كل قرض جر نفعا فهو ربا » بحيث صار كالصرورى بين أهل العلم ، وهذا النوع من  
المعاملة الوارد بالسؤال وهو أن يعطى شخص شخصا آخر مائة جنيه مثلا في نظير  
أن يحبس قطعة من الأرض على سبيل الرهن ويكون المرتهن بمحرد العقد الانتفاع  
بالرهون بوجه من الوجوه التى ذكرها حضرة السائل — فيه ربا القرض من غير  
شك . ومما يوضح ذلك أن شرط الانتفاع بالرهون شرط باطل ينافى مقتضى القرض ،  
إذ هو تعليق مال على أن يرد مثله فقط ابتغاء لشواب الأخرى طلبا لرضا الله تعالى ،  
وينافى أيضا مقتضى الرهن ، إذ هو شرعا جمل عين متمولة تحت يد الدائن بدينه  
يستوفى منها عند تندر الوفاء ، وإذا فلا سبيل لحل انتفاع المقرض المرتهن بالرهون  
فهو حرام لمكان الزيادة التى لاحق له فيها .

والربا فى الأصل الزيادة . وقد تقرر بالاتفاق التحريم لكل قرض اشترط فيه  
أن تكون منفعة المرهون المقرض مطلقا من غير تفصيل — إلا ما يذكر عن الشافعية  
من أن محل التحريم وقوع الشرط الباطل فى صلب العقد ، ولكن من المقرر عندهم  
أيضا أن المجلس حريم العقد فله حكمه ، فإن توطأ المتعافدان على ذلك قبل العقد ، فلا

حرمة ، على ما يراه كثير منهم ، لكن قال محققون منهم أيضا : هذا من حيث الظاهر ، وأما من حيث الباطن فحرام ( إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ) .

هذا وقول الحنفية : نماء الرهون يتبعه ، ليس معناه أن المرتهن يستحقه ملكا كما قد يتوهم بمض الناس ، بل المعنى أن النماء يكون مرهونا كالأصل ، فالدين المرتهن لا يستحق شيئا من المنفعة ولا يحل له ذلك ، حيث إن زيادة لا يقابلها شيء من القرض ، ولكن هل لنا حالة يمكن أن يكون للمرتهن فيها حق الانتفاع باعتبار آخر ؟ يتضح لك جواب هذا السؤال مما يأتي :

قال الامام ابن رشد في بداية المجتهد : « والجمهور على أن ليس للمرتهن أن ينتفع بشيء من الرهن » وقال قوم : اذا كان الرهن حيوانا فالمرتهن أن يحلبه ويركبه بقدر ما يملكه وينفق عليه . وهو قول أحمد وإسحاق بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( الرهن محلوب ومركوب ) انتهت عبارته . وهذا الحديث روى أيضا بغير هذا اللفظ — قال صلى الله عليه وسلم : ( الظهر يركب بنفقته اذا كان مرهونا ، ولبن الدار يشرب بنفقته اذا كان مرهونا ، وعلى الذى يركب ويشرب النفقة ) أخرجه الدار قطنى والحاكم والبيهقى وابن حبان .

ورأى الجمهور أنه يخالف أصولا محمدا عليها وآثارا مابته لا يختلف في صحتها ( كما في شروح البغارى ونيل الأوطار وغيرها ) فقال بعضهم إنه منسوخ ، ويدل لذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن البغارى وغيره : ( لا تحلب ماشية امرئ بغير إذنه ) وتعقب بأن التاريخ لا يعرف حتى يقال بالنسخ ، لذلك ذهب الأكثر الى التأويل فيتعين حمل الحديث على ما إذا امتنع الراهن من الاتفاق على الرهون ، فيباح حينئذ للمرتهن ، وهو قول الأوزاعى والليث وأبى ثور وجمهورهم الله تعالى .



ومما يدل للجمهور أيضا حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ( لا ينفق الرهن من صاحبه لذى رهنه : له غنمه وعليه غرمه <sup>(١)</sup> ) قال في منتقى الأخبار : رواه الشافعي والدارقطني ، وقال . إسناده حسن متصل ، وقال شارحه : إنه رواه أيضا لحاكم وابن حبان في صحيحه ، وإنه روى من طرف مختلفة - منها صحيح ومنها ضعيف وإنه روى مرفوعا وموقوفا ومرسلا . ومن هنا يظهر أنه صالح للاحتجاج به للجمهور ، بل الحديث إذا روى من طريق صحيح وآخر ضعيف كان أقوى مما إذا روى من طريق صحيح فقط .

والخلاصة أن التحريم متفق عليه في غير مسألة المرصوب والمحلوب ، ونقول في غير مسألة المرهون إذا كان حيوانا محتاحا للنفقة ، أما فيها فقد قيل بالحل ، ولكن الجمهور على خلافه ، ولا شك أن الأرض المرهونة ليست كالحيوان حتى تقاس عليه ، فلا يجوز أن يكون القرض على رهنها سببا في الانتفاع بها اتفاقا ، فإن محل الخلاف بين الجمهور وغيرهم إنما هو الحيوان كما علمت .

وبعد فالمرء ينظر لنفسه ويستفتي قلبه وإن افتناه المفتون ، ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، ولذلك لم نخرج على ما عسى أن تكون قد سمعت مما يخالف ما كتبناه ، والله يتولى هدى الجميع

برسيف الدموي

من هيئة كبار العلماء

(١) خلق الرهن كمرح استعته الرهن . فمى لا يملك الرهن . لا يملكه صاحب الدين بدينه بل هو صاحبه فان تعدد الوفاء بيع و ستوى منه . ومضى له غنمه وعليه غرمه أن له زبائنه ونعماءه وأدائنه أو تلفه عليه .

## اجتهاد ابن القاسم

ورد إدارة المجلة ما يأتي :

نجد في كتب الفقه مسائل يجتمع فيها قول الإمام مالك وقول ابن القاسم تلميذه ، فيقولون : قول مالك ضعيف ، وقول ابن القاسم هو المعتمد .

فهل قول ابن القاسم هذا معدود من أقول الإمام أم لا ؟ فإذا كان قوله استنبطه من أقوال إمامه ، فكيف يصح العزوا اليه ويجعل مقابلا لقول الإمام وردا عايه ؟ وإذا كان من عند نفسه فكيف يستوغ لنا أن نترك قول إمام المذهب ونقتبع قول تلميذه ؟ وكيف نجترئ ونقول : قول الإمام ضعيف ، وقول تلميذه هو المعتمد ، ومن اعتمد هذا وضعف ذلك ؟

خالد آدم

بمعهد السودان العلمي

## الجواب

يقسم علماء الشريعة المجتهد الى مجتهد مطلق ، وهو الذي يرجع في تقرير الحكم الى الكتاب والسنة وما يرجع اليهما من الأقيسة الصحيحة والقواعد القاطعة ، ومجتهد مذهب ، وهو الذي يجري على طريقة إمامه في الاستدلال فيراعى قواعده وما يراه شرطا لصحة الاستنباط .

وقد جرى خلاف في ابن القاسم هل هو مجتهد مطلق ، أو مقيد بطريقة الإمام مالك في الاستدلال ، قال المقرئ : « شهدت مجلس أبي تاشفين صاحب تلمسان ، فدكر فيه أبو زيد بن الإمام أن ابن القاسم مقلد لمالك ، ونازعه أبو موسى بن عمران ، وادعى أنه مطلق الاجتهاد ، واحتج بمخالفته لمالك في كثير من المسائل ، وذكر منها نظائر » .

وكذلك استدلل ابن عبد السلام على أن ابن القاسم مجتهد مطبق، بخالفته للإمام في كثير من الأحكام، وخالفه ابن عرفة ونفى عنه الاجتهاد المطلق، وقال: إن بضاعة ابن القاسم في الحديث مزجاة.

والظاهر من سيرة ابن القاسم في الفتوى أنه يجري في اجتهاده على قواعد مذهب الامام مالك، فإنه كان يقول للمستفتي: سمعت مالكا يقول كذا، أو بلغني عنه كذا، ومسألتك مثاها، وهذه طريقة مجتهد المذهب.

ولا يخرج به عن مرتبة الاجتهاد في المذهب أنه يخالف الامام مالكا في بعض المسائل، كما قال فيما كان من شأن الرجل والمرأة من متاع البيت: إنه يقسم بينهما عند التتارع، بعد أيمانهما، لا اشتراكهما في وضع اليد عليه، ومذهب مالك أنه للرجل حتى تقيم المرأة البيئة لأن البيت بيته، وكما قال فيمن لم يوص به الأب إلى أحد ولم يقدم عليه الحاكم من ينظر في أمره: إنه ينظر في حاله يوم ييمه وابتياعه، فإن كان رشيدا جازت أفعاله، وإن كان سفها لم يجوز منها شيء، ومذهب مالك أن أفعاله كلها بعد البلوغ جائزة نافذة رشيدا كان أو سفها. وكما قال فيمن قال لعبد: أنت حر وعليك مائة دينار: هو حر ولا يتبع بشيء. ومذهب مالك أن العبد حر وتبقى المائة في ذمته.

فأمثال هذه المخالفة محمولة على أنه رأى ما أفتى به الإمام غير جار على قواعد، فافتى بما يراه المطابق لقواعد مذهب الإمام، ومقتضى هذا أنه يرى لإمام غير مصيب في استنباط هذا الحكم الخاص، وليس في مثل هذا غضاظة على الإمام مالك فإنه لا يدعى لنفسه العصمة، ولا أن أهل العلم من أصحابه يمتقدون فيه أنه لا يخطئ في حال، وقد نقل عنه أنه قال: «إنا أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فما وفق الكتاب والسنة نخذوا به، وما لم يوافق فاركوه» وإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد غفل من قوله تعالى: (وَأَتَيْنَهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا)

فأراد تحديد المهور، حتى ذكرته بها امرأته، فرجع عن رأيه، فمن المحتمل أن يقع الامام مالك أو غيره من الأئمة في خطأ الاجتهاد، ولا أصحابه من بعده أن يقدوا فتواه حتى اذا وجدوها غير مطابقة لقواعده ردوها الى أصلها، وصح من هذا الوجه نسبة الحكم الذى يقرره بعض أصحابه الى مذهبه.

وقد رجع الامام نفسه في مسائل فأفتى فيها بغير ما أفتى به أولاً، وهذه المسائل معروفة في كتب الفقه، وربما اعتمد أصحابه القول الذى رجع عنه، حيث يظهر لهم أنه أوضح دليلاً، وأقوم قبلاً.

ومن يرى أن الاجتهاد المطلق يتجزأ، على معنى أن في الفقهاء من يبلغ رتبة الاجتهاد في باب دون باب، وأن له أن يأخذ باجتهاده في الباب الذى استطاع فيه الاجتهاد، قد يحمل مخالفة ابن القاسم للامام مالك على أنها من قبيل الاجتهاد في أبواب بلغ فيها رتبة الاجتهاد بإطلاق، ثم إن الفقهاء الذين جاءوا بعد ابن القاسم ولم يقصروا عن درجة الترجيح، قد يرون في قول ابن القاسم رجحاناً فيأخذون به، ويمدون قول الامام نجاحه ضعيفاً.

والخلاف الذى جرى في اجتهاد ابن القاسم قد جرى في الامام أشهب، فذهب بعضهم الى أنه مجتهد مطلق، واستدل على هذا بمخالفته للامام مالك في كثير من المسائل، ويروى أنه سئل عن مسألة من باب العتق، فأفتى فيها بما يخالف مذهب الامام مالك، ولما ذكر له قول الامام، قال: « وإن قاله مالك فلسنا له بماليك » والظاهر أن أشهب كابن القاسم يجهل في بعض المسائل على مقتضى أصول مالك، وإذا خالف الامام أو نفي أن يكون مملوكاً له، فلا يري أن لأصول قد تقضى بغير ما أفتى به الامام ونعمته من أن يتبعه في كل ما يفتى به متابعة العبد لمالكه، وقد رأينا كثيراً من المالكية كأبي بكر بن العربي وعبد الحميد الصائغ قد يأخذون بغير مذهب مالك في المسائل لنى يظهر لهم أن أدلة غيره فيها أرجح من أدلته وأقوى من محمد الضرير

# نداء

## صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

### بازاء حوادث التبشير

الى امراءى المسلمين

وصات الى شكوى مما يقوم به بعض المبشرين من مهاجمة الاسلام في موطنه وبلاده حتى مصر، وهى ناج البلاد لاسلامية، وودين دولتها المنصوص في دستورها هو الاسلام. ولوانهم كانوا يقتصرون على طريقة المباحثة ومقارعة الدليل مثله لمان الأمر، ولكنهم يستغلون سذاجة المستضعفين من الفتيات والولدان المسلمين امر فهم عن الدين الاسلامى بالظعن فيه وفي لرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بواسطة الكتب المدرسية وغيرها. ولقد ذاع أنهم لا يقفون عند هذا الحد بل يتجاوزونه الى ما لا تقره الشرائع ولا الانسانية من وسائل الاستهواء والتأثير في بعض المستضعفين ، حتى ذات لهم ما أرادوا حالوا بينه وبين أهله ولو بإرساله خفية الى بلاد نائية .

ولفى فى الوقت الذى أستنكر فيه هذه الأعمال أشد الاستنكار من غير أن أتعرض الى الحوادث التى بين يدى القضاء أوجه أنظار الآباء المسلمين ومن فى حكمهم الى أنهم مسئولون أمام الله القوى القاهر عن تحت ولا يهتم من التلاميذ وغيرهم وواجب عليهم شرعا حمايتهم من هذه الأخطار وإبعادهم عن مظنات هذه الأعمال . ويدخل الطمأنينة على قلبى ما علمته من أن حكومة حصرة صاحب الجلالة الملك المعظم حامى حى الدين معيرة هذا الأمر الهام ما يستحقه من عناية وهتمام ، وعاملة على صون الدين وأنشاء الدين من عبث العاشين ، والله جل شأنه ولى التوفيق م

شيخ الجامع الازهر

محمد الاصمردى الطواهرى

## حقوق الزوجين

٢

حقوق الزوجة على زوجها :

نقتصر من هذه الحقوق على عشرة أيضا دفعا للتطويل ، وطلباً لتساوى حقوق الزوجة بحقوق الزوج ، ونرى من الواجب علينا قبل أن نبتدىء بذكر هذه الحقوق أن نتقدم الى المرأة وأوليائها بالنصيحة الخالصة في أن يختاروا لابنتهم الزوج الشريف الأخلاق ، ذا الدين والمروءة ، المجرب للدرب ، فلا يفرم القلب ولا الشهرة ، ولا يغبوهم حب المال ولا الجمال ، وليحذروا التسرع والعجلة في بت هذا الأمر ، فقد رأينا ورأى غيرنا قتلى هذه العجلة ، وصرعى هذا التسرع ؛ وما يقع في المحاكم كل يوم ، وسجلات الحكام الشرعيين أصدق شاهد على ما نقول ، والله يقول الحق وهو وليّ الصادقين .

الاول منه حقوق الزوجة على زوجها — أداء مهرها للمهر البرها

أخرج الطبراني في الصغير والأوسط بسند رواه ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو أكثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان » الحديث . وأخرج البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم « من أعظم الذنوب عند الله عز وجل رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها » الحديث .

الثاني — الانفاق عليها بالمعروف

الزوج مأمور بالإحسان الى زوجته وإيصالها حقها نفقة ومثوبة وكسوة برضا منه وطيب نفس ولين من القول ، وهو مسئول عن ذلك وآثم في تقصيره ، ففي

الحديث <sup>(١)</sup> الشريف: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته». وأخرج أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» أي من يلزمه قوته.

وعلى الزوج أن لا يفتقر في الإنفاق على زوجته ولا يسرف، بل يكون سيره معها قصداً <sup>(٢)</sup>. قال الله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء وحض على الإحسان إليهن، وقال تعالى ذكره: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) فوجب لهذا على الزوج معاشرة زوجته بالمعروف، والإحسان إليها في الكسوة والنفقة، في حديث الترمذي — وقال حديث حسن صحيح غريب — وابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال في حجة لوداع: «ألا فلتوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان» <sup>(٣)</sup> عندكم «إلى أن قال: «ألا وحقن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». وعند أبي داود وابن حبان في صحيحه: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح» أي لا تسممها مكروها ومن الإحسان إلى الزوجة أن لا يستأثر الزوج دونها بما كوله لذنه، بل يشركها في الأكل منه، وأن يعمل لها الحلوى مما جرت به عادة أمثاله، قال محمد بن سيرين: أشتحب للرجل أن يصل لأهله في كل جمعة فالزوجة <sup>(٤)</sup>. وهذا وأمثاله يرجع إلى العادة، وهي تختلف باختلاف الناس والبلاد.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه . (٢) تصدق الاستوسط . (٣) واحدة المواني حانية وهي الاسيرة يقول: إنما من عندكم بمنزلة الاسرى . (٤) هي ما يصل من الدقيق أو الشا مع التسن ويحلى بالسكر أو اللعل .

واذا أكل الزوج فليأكل مع زوجته وأهل بيته صغاراً وكباراً على مائدة واحدة، قال سفيان الثوري رحمه الله : ملغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة .

ومن الآداب أن يأمر الزوج زوجته بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك ، وجميع ما تنثر من فئات الخبز ، وبماق الأصابع والإناء ، وبعدم التساهل في طراح البقية التي تبقى في لاإناء من الطعام . وينبغي أن يحتسب الرجل نفقته على زوجته وسائر أفراد أسرته فينوي بالإئفاق عليهم أداء الواجب عليه ، أمثالاً لأمر الله تعالى ، ووصونهم عن الحاجة للغير . أخرج البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذ أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهو له صدقة » ، وأخرج مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقة <sup>(١)</sup> ، ودينار أصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك — أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » .

ومن كاست نيته من الإئفاق على زوجته وأفراد أسرته رضا الله تعالى وامتثال أمره ، فأحربه أن لا يلبسهم غير الألبسة الوطنية للعينة القوية ، وأن يمتنع من إلباسهم تلك الألبسة العربية الشفافة الرقيقة البراقة ، فإن في شرائها الوزر في العقبي ، وعقوق الوطن في الدنيا .

### الثالث — الإئفاق عليها من العمل

من أم ما يجب على الزوج مراعاته كون نفقته على زوجته وسائر أفراد أسرته من الحلال الطيب ، فلا يجوز له أن يدخل مداخل السوء ، والتهم من أجلهم ، فإن ذلك جنابة

(١) أي في تحرر رقة وإعتاقها .



عليه وعليهم ، والحرام عار في الدنيا ودمار في الآخرة ، وقد قيل : كل جسم بيت من حرام فالنار أولى به ، وفي التنزيل العزيز : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُكُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » وفيه : « والرجل راع في أهله ، ومسئول عن رعيته » .

#### الرابع — أنه يجزئ في تعليمها وإمبارتها الدفينة

تعليم المرأة واجب من واجبات الزوج ، وحق للزوجة عليه ، قال أهل العلم : ومعنى كان الرجل قائماً بتعليم ما يجب لزوجته امتنع عنها الخروج لسؤال العلماء ، وكذا إن ناب عنها في السؤال وعرفها الجواب ، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل عليها ذلك ، وبعضى الرجل بينهما . ومهما أهملت المرأة حكماً من الأحكام الواجبة ولم يعلمها الرجل إياه خرج معها وشاركها في الإثم ، إذ تعم أحكام الدين التي هي العقائد والعبادات وما يحتاج إليه في المعاملات واجب على المسلم البالغ العاقل ذكرًا كان أو أنثى .

وفي قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ) دلالة على أن الزوج مكلف بتعليم زوجته جميع ذلك ، فيبقيها اعتقاد أهل السنة ، ويزيل عن قلبها كل بدعة تسربت إليها ، ويعلمها الوضوء والغسل ، والطهارة من النجاسة ، وما يحتاج إليه من أحكام الحيض والنفاس والاستعاضة ، وأحكام الصلاة والصيام ، فالعبادة بلا علم كالكتابة على الماء . قال سهل التستري رحمه الله تعالى : ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل ، وقال علي<sup>(١)</sup> رضي الله عنه في قوله تعالى : ( قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

(١) تقي الحفاظ ابن كثير .

ناراً) . أدبهم وعلومهم . وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، ونهيهم عن معصيته ، وتقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به ، وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت معصية قذعهم ورجرتهم .  
ويحسن أن يضيف إلى ذلك تعليمهم شيئاً من العلوم الأخلاقية والتاريخية ، وخاصة تاريخ السيرة النبوية وتراجم أمهات المؤمنين لتزكو بذلك نفسها ، ويتسع عقلها ، وتنشأ على حب الفضائل ومكارم الأخلاق ، فتسعد زوجها ويسعد زوجها بها ، وتعيش في حياتها بهاء وسرور أما تعليمها القراءة والكتابة وبمض العلوم الضرورية وعلم (تدبير المنزل) فقد تكفلت به التربية الأولية ، فأغنى ذلك عن الحث عليها ، والحض على تعليمها

#### الخامس - أنه لا يفرض سرها

ليس للزوج أن يطلع أحداً على ما بينه وبين زوجته من سر حفظاً لكرامتها ، ووفاء لها بحفظها ، وهو أمر مشترك بينه وبينها ، وإفشاء ذلك يهدد الزوجية ، وخيانة للمرأة ، وإيذاء لها ، وحط من مقام أسرتها ، وهو أيضاً رهان على قلة المروءة ، ودليل على سوء التربية ، وفساد الطوية ، وسبب عظيم لظهور نيران الاختلاف ، وتطاول شرر الشقاق .

ولعظيم أخطاره وكثرة أضراره جاء الشرع الشريف بتعريمه وذم صاحبه ، فقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أخبارهما سر صاحبه » .

#### السادس - الغيرة عليها والاعتدال في ذلك

غيرة الزوج على زوجته هي الصفة التي يمتاز بها كرام الرجال وأرباب الشهامة والشرف منهم ؛ وكلما تمكنت هذه الصفة الجليلة من قلب رجل كان ذلك برهاناً على رجولته وغيرة وهيبته .

نحن لا ندلم صفة أخط الرجل من أن يكون ضعيف الغيرة على امرأته ، قليل العناية بها ، كما لا ندلم صفة يتمدح بها أرباب الشرف والحماية أعظم من هذه الصفة ، صفة المحافظة على المرأة والغيرة عليها .

جاء الدين الاسلامي ليتم مكارم الأخلاق ، ومن مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال تقوية هذه البذرة ، وتهدم هذه الخلة التي تنتهي بحماية المرأة من كل ما يوقعها في الشك ، ويرى بها في مراعى الريبة .

لم يحرم الاسلام اختلاط المرأة بالرجال الأجانب ، وخلوتها بالأجنبي وإن كان من أتقى الناس ، وخروجها من بيتها لغير ضرورة ، ومشيتها متعطرة متزينة إلا لحمتها من مواقع التهم ، وصونها من مواقع الريب . ومن سعادة المسلمين وموجبات العزة لديهم أنه لم يفرق في هذا النوع بين عالة وجاهلة ، ولا بين غنية وفقيرة ، فحظر على كل من يصح أن يطلق عليه اسم « المرأة » أن تقف مواقف الشين ، وتقعد مقاعد الشك ، وعد خلوتها بالأجنبي ولو كان أخا زوجها وتبرجها أمامه خارفاً للمروءة ، وقادحا في الشهامة ، ومنافيا للشرف والعزة الاسلامية . ومن هنا قال سيدنا على رضي الله عنه : ألا تستعيبون ؟ ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها !

وقد أذكرتني كلمة هذا الامام الجليل ما كنت قرأته في الأنساب لاحافظ السمعاني عند الكلام على الخطمي قال : موسى بن اسحق الانصارى الخطمي كان فصيحاً ثبثاً ، كثير السماع محموداً ، وكان إليه القضاء بكور الأهواز . قال أبو عبد الله بن موسى : حضرت مجلسه وهو القاضى بالرى سنة ٢٨٦ هـ وتقدمت امرأة قادمي وليها على زوجها خمسمائة درهم مهرأ فانكر ، فقال القاضى : شهودك ، قال : قد أحصرتهم ، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر المرأة ليشير اليها في شهادته فقام ، وقيل للمرأة : قومي ، فقال

الزوج : تفعل ماذا ؟ قال الوكيل : ينظرون الى امرأتك وهي مسفرة ليصح عندهم معرفتها ، فقال الزوج . إني أشهد القاضي أن لها على هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها ، فردت المرأة ، وأخبرت المرأة بما كان من زوجها فقالت : إني أشهد الله والقاضي أني قد وهبت له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة ، فقال القاضي : يكتب هذا في مكارم الأخلاق . وكانت ولادته سنة عشر ومائتين ، ومات بالأهواز في المحرم سنة ٢٩٧ هـ .

فعلى المسلم الذي كان في جميع أدوار حياته مثالا للمتوة والروعة ، والأتفة والإباء أن لا يتساهل في أخذ أسباب الحيلة لذلك ، فلا يتفاهل عن بواذر الأمور وظواهرها التي تخشى غوائلها ، لكن يجب أن لا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت ، ونجس البواطن ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أن يطرق الرجل أهله لئلا يتعونهم أو يطلب عثراتهم وروى أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه « إن من الفيرة غيرة يبعثها الله ، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » .

#### السابع — حسن خلقه معها

حسن الخلق من المباشرة بالمعروف المأمور بها في قوله تعالى : ( وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) . وحسن الخلق اسم جامع لجميع صفات الكمال ، ومن نحلى به حلت بداره السعادة وعاش في بحبوحة الهدوء . وقد قيل : حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار . ومن فوائد حسن خلق الرجل مع امرأته حفظ لسانه من الزلل معها ، فرب كلمة جرّت كلمات ، والبلاء موكل بالمنطق ، ودرّب رأس كان حصيد لسان .

(١) قال العراقي : رواه مسلم .

وفي تعظيم حق الزوجات على أزواجهن قال الله سبحانه: (وَأَخْذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) أى عهداً مؤكداً شديداً وآخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كلمات ظل يتكلمهن حتى تاجلج لسانه وخفى كلامه — جعل صلى الله عليه وسلم يقول<sup>(١)</sup>: « الصلاة ، الصلاة ؛ وما ملكت أيمانكم ؛ لا تكافوهم ما لا يعطون ، الله الله في النساء . فإنهن عوان<sup>(٢)</sup> في أيديكم ، أخذتوهن بمهد الله ، واستحلنهم فروجهن بكلمة الله<sup>(٣)</sup> » . وأخرج الشيعان وغيرهما حديث : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضائع ، وإن أعوج ما في الضام أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » .

#### الثامن — اهتمام الأذى عنها

جدير بالزوج أن يتناقل عن كثير مما يصدر عن الزوجة ترحماً عليها ، وشفقة بها ، وقد شبه الله تعالى حسن القيام على الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال في حق الوالدين . ( وَصَاحِبَيْهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) وقال في حق الزوجات : ( وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) . واحتمال الأذى من المرأة عند طيشها وغضبها من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحتمل ذلك من بعض نساءه حليماً وكرماً ، روى مسلم حديث « ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وفي تاريخ ابن عساكر من حديث أنس رضى الله عنه : « كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والعيال » .

#### التاسع — محارمتها ومداعبها

في الداعية تطيب قلوب النساء وترتاح نفوسهن ، ويكون ذلك داعياً لنشاطهن

(١) رواه النسائي في الكبرى وابن ماجة من حديث أم سلمة رضى الله عنها . قاله المراق .

(٢) جمع غانية أى كالأسرى في أيديكم . (٣) هى التزويج النباح بمن الكتاب المثل . وقيل هى

كلمة التوحيد إيد لا يحسن أن يتركها أن يتزوج مسلمة .

وقياسهن بما كلفن به من الأعمال . وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزح مع النساء ، وينزل الى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق ؛ وكان يسابق سيدتنا عائشة في العدو فسبقته يوماً ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> : « هذه بتلك » ، وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان <sup>(٢)</sup> من أفكك الناس مع نسائه . وأخرج الترمذى والنسائى — واللفظ له — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً والطفهم بأهلهم » .

وعلى الزوج أن يكون في مداعبته لزوجته حسن النية ، صراعياً في ذلك جبر قاهها ، وعليه أن لا ينبسط في مداعبتها إلى حد يفسد خلقها ، ويجرؤها عليه ، فالاعتدال وسلوك سبيل التوسط متمدح الرجل ، وعمل الثناء عليه ؛ وعليه أن يتبع في مخالفتها وموافقها الحق والعدل ، فبالعدل قامت السموات والأرض ومن قيهن .

### المشر — القسم <sup>(٣)</sup> بين الزوجات

إذا كان للرجل نسوة كان من الحقوق الواجبة عليه أن يعدل بينهن على وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية .

ومن العجيب أن يظن بعض الناس أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات بغير شرط ولا نظام ، ذهاباً مع الشهوة ، وإضراراً بالمرأة ، مع أنه إنما يبيح ذلك إباحة ، ولم يوجبه إيجاباً عينياً على كل فرد من أتباعه . والسبب في الإباحة ظاهر النفع ، جلى الفائدة ، إذ لا ينكر أحد فائدة هذه الإباحة عند تناقص الرجال عقب حرب طاحنة ، وعند دخولها في سن الهرم بحيث تصبح لا تفنى الزوج في إرضاء شهوته البدنية ، وعند ثبوت

(١) قال العراقي : رواه أبو داود والنسائى في المستدرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح .

(٢) ذكره في الأحياء وقال العراقي : رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله :

« مع نسائه » . (٣) القسم : العدل .

أنها عقيم والزوج ولود يتطلب الأولاد، وعند ثبوت أن لوقاع يردبها أو يحدث لها أمراضاً جديدة والزوج في حاجة إليه .

أباح الاسلام تعدد الزوجات ، واشترط لذلك شروطاً متعددة ، تدور كلها حول دائرة واحدة من العدل ، أساسها تأمين راحة الزوجات ، ورفع الصرد عنهن ، والصر ب على بد الزوج بيد من حديد ، لئلا يخرج عن هذه الدائرة التي رسمها له . ونحن على تأييدنا لشريعة تعدد الزوجات لما اشتملت عليه من الفوائد ، ولما يدعو اليها من الأسباب المارذ كر بعضها — نعترف بأن الشروط التي وضعها الاسلام لجوار التعدد قلما تتحقق في كثير من الناس مهما بلغت درجتهم ، وعدت منزلتهم ، وذلك فيما نرى ليس ناشئاً عن خلل في هذا التشريع من أصله ، بل عن فشو الجهل بين جميع الطبقات ، وضعف الوزاع الديني في النفوس .

وقد صرح علماء الاسلام بأن من لم يعلم أحكام القسم والنشوز<sup>(١)</sup> ويعمل بمقتضاها يحرم عليه تعدد الزوجات ، ويستحق على عمله هذا أن يعد في الدنيا من المفقوتين ، ويحشر في الآخرة مع الظالمين .

#### على الزوج أنه يعمل بين نسائه

ويجب عليه الاحسان اليهن في المطعم والمشرب ، والملبس والسكن ، ومعاشرتهن بالمعروف ، ويحرم عليه أن يقيم بمسكن واحدة ، ويدعو من بقى اليه ، وأن يجمع بينهن إلا برضائنهن ، وأن يدخل بيت غير صاحبة النوبة بلا حاجة . وإذا خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة أقربع بينهن . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليتها قضى لها ، فإن القضاء واجب عليه .

(١) النشوز: الخروج عن الطاعة .

والأصل في ذلك قوله <sup>(١)</sup> «صلى الله عليه وسلم . « من كانت له امرأة فإن قال الى إحداها جاء يوم القيامة وشقه مائل » . وقوله <sup>(٢)</sup> «صلى الله عليه وسلم : « من كانت عنده امرأة فإن لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ماقص » . وأخرج مسلم وغيره حديث « إن المقسطين <sup>(٣)</sup> على منابر من نور عن يمين الرحمن — وكلتا يديه يمين — الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا » وروى ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي ابن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يُحمل في ثوب يطاف به على نائه وهو مريض يقسم بينهن » وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : « لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له » . هذا ونظرة واحدة لقوله تعالى : ( فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ) كافية لردع أولئك المعتدين ، ودليل واضح على براءة هذا الدين .

على أن المنع من تعدد الزوجات يؤدي — كما هو مشاهد — الى تعطيل كثير من النساء عن الزواج الشرعى ومنعهن من النسل ، وتسهيل طرق الفساد لهن ، وفي ذلك من الضرر على المجتمع البشرى مالا يخفى على منصف . فعلى الأمة التي ترغب في أن يكثر نسلها ، وينمو عدد أبنائها ، ويسود فيها الطهر والعفاف ، وتغلق بيدها أبواب المراقص ، ومواخير الفحش المضرة بالبشر والبشرية — أن تؤيد ثريعة تعدد الزوجات وتذيع فوائدها بين الناس . إن الذين منعو من تعدد الزوجات ورفضوا للمرأة أن تخرج بأبهى زينة ، متبرجة متبرجة ، تفتن النواظر ، وتتلاعب بالقلوب والأفكار ، اضطروا الى إباحة الزنى ، وتعدد أماكن الرقص والتخلعة ، وحماية مواخير الفحش ، وأن تطلق للمرأة حريتها تفعل ما تشاء ، فتولدت فيهم الأمراض الزهرية ، وانتشرت فيهم الأدوية

(١) أمرجه أبو داود . (٢) أخرجه الترمذى وتكلم فيه والمالك وصححه .

(٣) من أخط : عدل .



الاجتماعية التي أدت الى ضعف نسلهم، وقلة عددهم، وانتشار المهر فيهم، وفشو الأمراض السارية بأنثهم، ولا سبيل خلاصهم من كل هذا إلا بالرجوع الى ما جاء به الاسلام ورضيه المنصفون العقلاء . يقول الكاتب الشهير (توس) ما مؤداه : بإباحة تعدد الزوجات يزول البلاء لا محالة ، وتصبح نباتنا ربات بيوت ، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة ، هذا التحديد هو الذي جعل نباتنا شوارد وقذفهن الى لثماس أعمال الرجال ، ولا بد من تغلق الشر اذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة . أى بلاء يحيط بأولئك الذين لهم أولاد غير شرعيين ؛ فقد أصبحوا عائلة وعارا على المجتمع الانساني ، فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من المذاب والهوان إن مزاحمة المرأة الرجل ستحل بنا الدمار ، أم تروا خلفتها كيف تنادى بأن عليهما ما ليس على الرجل ، وعليه ما ليس عليها ؛ وإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين .

### الخاتمة

هذا ما كان يعنى به علماء الملة الاسلامية ، ويجتهدون في دلالة الناس عليه ، وحضهم على التمسك به ، لما يرون من فائده لهم ، وعائده عليهم — أوردنا في هذه رسالة على حين إعراض الناس عن الأحكام الدينية ، وغفلتهم عن الآداب الاسلامية ، فانتشر بسبب ذلك الجهل ، وغلب الهوى ، وعم الظلم ، وضاعت الحقوق ، واستحكم الشقاق بين الزوجين ، واشتد النفور بين الأليفين ، وأصبح ما كان عذبا عذبا ، وما كان لذة عنتا وآثاما ، ورغب أكثر الشبان عن الزواج الشرعى ، وهو من أكبر لذات الحياة ، وخفيت الحكمة منه عليهم فأعرضوا عنه ، واتبعوا بذلك سبيل الشيطان . فعسى أن يكون لم ذكرنا فائدة ونمرة ، والنامول أن يكون فيه ما يحمد ذكره ، ويشجع أمره ، ويستمسك به الصالحون ، ويزدجر بزواجره النافلون ، فهو لعمرك المصدق

طريق الراحة للزوجين ، وسبيل هئائهما في جميع أدور حياتهما ، وكل راحة في غيره  
فهي راحة وهمية ، وكل هناء من غير طريقه فهو عناء ، ونحن لا نكلف المرتاب في ذلك  
إلا أن يتتبع سير الحوادث التي تحدث كل يوم ( بين الزوجين وأهليهما ) من جراء  
الإعراض عن هذا الطريق لوضوح ، والصراط المستقيم .

فلاهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، ورد  
على المسلمين ديمهم فقد فقدوا بترك أحكامه عظيما ، ونشأ عن جهلهم بآياته تفرق كلتهم  
وضياع عزم ، وانهايار بناء مجدهم ، فهم لا يهتدون الى النهوض سبيلا .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتقال المبرات ، وصلى الله على سيدنا محمد  
وعلى إخوانه النبيين وسلم تسليما كثيرا

دمشق — محمود ياسين

\*\*\*\*\*

## الظرف والمُلح

قال بعض الحكماء : إن لك في مالك شريكين : الحِذَنان <sup>(١)</sup> والوارث ، فإن  
استطعت ألا تكونَ أبخسَ الشركاءَ حفظا فافعل .

(١) حوادث الدهر ونوابه .

## احتجاج

### صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

على اضطهاد المسلمين في روسيا

كنا نتلهف على معرفة أحوال المسلمين في روسيا ومبلغ ما ألم بهم من الاضطهاد لدينى في تلك البلاد بعد أن أصبحت سوفيتية الى أن قدم الى مصر أخيراً بعض زعماء مسلمى القفقاز وإيدل أورال وقصوا علينا كثيراً من صنوف المعاملات الشاذة التى يعامل بها المسلمون هناك، ودونوا ملخص ذلك في مذكرة قدموها لنا وفيها الشيء الكثير من الفظائع التى ترتكب ضد الاسلام والمسلمين في روسيا، وشفعوها بكثير من البيانات والوثائق التى تؤيدها.

وقد أزعجتنا تلك الفظائع التى قصوها علينا أو وردت في مذكرتهم والتى تدل في مجموعها على الاضطهاد الدينى الشديد الموجه بنوع خاص الى المسلمين في القفقاز وإيدل أورال.

فبإزاء هذا نحتج على هذا الاضطهاد أشد الاحتجاج، ونطلب الى جميع المسلمين أن يتناولوا الى الله الواحد القهار غضب الصلوات الجامعة أن يرفع هذه الكارثة المظلمة عن المسلمين في روسيا.

وإلى أضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنهم ما رل بهم، وأن يحفظ الاسلام والمسلمين في بقاع الأرض إنه سميع مجيب

شيخ الجامع الازهر  
محمد الومردى الظواهري

## المسلمون في أوروبا الشرقية<sup>(١)</sup>

— بلغاريا —

الإحصائيات : — إن آخر إحصاء أجري كان في سنة ١٩٢٦ ، أما نتائج الإحصائيات حسب المهن فيرجع تاريخها الى سنة ١٩٢٠ ، وكانوا يقدرون حينئذ أن العناصر الاسلامية تبليغ أقل من ١٨ / ( في المائة ) من مجموع السكان العام أى نحو ٦٩٠,٧٣٤ مسلما منهم ٧٠,٠٠٠ من « البوماك » ( Pomaks ) ومجموع السكان الكلى هو ٩٧١,٨٤٦ و٤ نسمة .

ولا إحصائيات الرسمية التي سبقتها ( إحصائيات سنة ١٩١٠ وإحصائيات سنة ١٩١٤ ) جاءت بالأرقام التالية ، ويرى أنها أعظم كثيراً من المذكورة ، وهي ٩٨٢,٨٤٩ مسلما حسب ما يأتى :

٦٠٢,٠١٤ مسلما في نفس بلغاريا الأصلية ، و ٣٨٠,٨٣٥ مسلما في طراقيا الغربية من مجموع الأهالى الذى كان يبلغ قدره حينئذ ٥١٧,٧٠٠ نسمة ، وهذا الفرق الذى نقص الآن من عدد مسلمى بلغاريا وهو ٢٣٢,٠٠٠ مسلم يمكن أن يعادل عدد سكان طراقيا الغربية التي ضمت لبلاد اليونان سنة ١٩١٩ مع عدد المهاجرين من المسلمين الى تركيا .

بقول الاسلام في بلغاريا : — ولو أن لفظ « بلغار » يرجع الى قبائل الترك التتارية من مناطق نهر الفولجا ونزحت الى البلقان في القرن السابع الى اتموز الثالث عشر — وهذا التأخى الجنسى أدى الى عقد التحالف التركى البلغارى من سنة ١٩١٤ — سنة ١٩١٨ — إنه بالرغم من أن هذا اللفظ ( بلغار ) يرجع إلى تلك القبائل الاسلامية

(١) عن الفرنسية من كتاب دليل العالم الاسلامى .

إلا أن الإسلام الذي هو دين القناحين العثمانيين لم يجتذب إليه من أهالي بلغاريا للمسيحيين المراطقة ( المرقصيين من تبعة المراطيق مانيس ) بقدر ما اجتذب إليه في يوغوسلافيا، ولم يكن باسوان أو غلو من بلدة فيدي ( بيلغاريا ) بلغاري الأصل بل كان صربيا اعتنق الإسلام، وهو أول من أيقظ روح الوطنية البلغارية بثورته على الباب العالي بين سنتي ١٧٩٦ و ١٨٠٧ .

المجلس : — إن الأغلبية العظمى من بلغاريا من الجنس التركي التتاري، فكان عددهم ٤٨٨,٠١٠ مسلم في نفس بلغاريا سنة ١٩١٠، و ٢٧٥,٤٩٨ في طرافيا الغربية سنة ١٩١٤، وعشرهم فقط من الجنس البلغاري ويتكلم اللغة البلغارية وهم البوماك من أهالي جبال الرودوب، ويبلغ عددهم ١٦,٠٠٠ في نفس بلغاريا، و ٧٥,٣٣٧ في طرافيا، وهذا العدد أخذ في النقصان، وكثرت من جماعات النور المسلمين، ويبلغ عددهم ٩٨,٠٠٤ في بلغاريا في سنة ١٩١٠، ونحو ٤٠,٠٠٠ في طرافيا، ويتكلمون اللغة التركية، وكذلك لغة النور .

وهناك طوائف أخرى في ديلي — أورمان " Deh — Orman " ( حيث يوجد في بلدة طوزلق مركز صغير لأهل البدعة من الشيعيين المتطرفين ) وفي سيستوف ورازجراد وماجار ( حيث كانت مقرا للمسيحيين الذين كانوا يأوون إلى النوايس ) وفي شوملا وسليفنو وستارا زاجورا ثم في وسط بلغاريا الشرق في كريشين ونفروكوب وجرادشتا وجوماني — بالاكوستنديل وفارنا . والآثراك هم الذين أدخلوا صناعة خلاصة عطر الورد في قازانليك .

استراك المسلمين في الحكم : — كان يوجد تسعة أعضاء من المسلمين في مجلس نواب بلغاريا من ٢٤٦ عضوا انتخبوا في ٣١ مارس سنة ١٩٢٠، وكان عددهم عشرة في المجلس سنة ١٩٢٣ ولم يكن من بينهم أي بلغاري من البوماك ( وهم مسلمو بلغاريا

الذين تزحوا اليها من جبال الرودوب) . وليس هناك أى شبه بين النظام النيابى لمسلمى بلغاريا وبين النظام المتبع فى يوغوسلافيا .

**الإدارة الدينية :** — لا يوجد ببلغاريا رئيس علماء ، فنذ الأصل كان شيخ الاسلام بالاستانة هو الذى يعين رجال الإفتاء ، وهناك الفتى الأكبر لمملكة بلغاريا ويقع بمدينة صوفيا عاصمتها ، وللمديريات ستة عشر مفتيا وعشرون نائب مفت ، وبيلاذ بلغاريا ١٩٩٤ مدرسة منظمة أحسن تنظيم لتعليم القرآن يديرها مجلس منتصب ، ولها أوقاف محبوسة للإفاق عليها ، كما يوجد نحو عشرين مدرسة ثانوية ، ويتبعون فى المدارس طريقة الكتابة حسب « الأصول الجديدة » المتبعة فى اللغة التركية ، كما هو الحال فى قازان ، وبها مدرسة للمعلمين فى مدينة « شوملا » (شومن) ، وكذلك بعض تكيا للبكتاشية فى مدينتى رازجراد وروشتوك ، كما يوجد من الطرق الشاذلية والجلشنية والنقشبندية واللولوبه . وكانت تلقى خطبة الجمعة باسم الخليفة العثمانى فى جميع مساجد بلغاريا وقد لعب البلغار المسلمون دورا فى تاريخ آل عثمان ، فقد كان أحمد مدحت باشا من مسلمى بلغاريا « اليوماك » . هذا وقد منع نشر الجرائد باللغة التركية من سنة ١٩٠٧ .

**الصحافة :** — ويوجد ببلغاريا من الصحف ما يأتى : جريدة « الأهالى » وهى جريدة يومية كانت تنشر باللغة التركية بمدينة « أورهيمنو » وجريدة « دوستايك » وهى كذلك يومية ، وكان محررها « على كمال » باللغة التركية بمدينة « بلوفديف » ، وجريدة « ديلي أورمان » وكان محررها محمد نجم الدين بمدينة رازجراد ، وكانت تصدر باللغة التركية وهى جريدة يومية ، وجريدة « ضياء » وقد أوقفت ، وكانت تصدر بمدينة صوفيا .

### بلاد اليونان

إن المقاطعة الاغريقية الوحيدة التى لا تزال بها أقلية مسلمة هى طراقيا الغربية فى قسمها الجنوبى فى منطقة « زانتى » و « جوموجينا » و « ددياجاش » التى استمرت

تابعة لبيلغار من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩١٨ ، ويبلغ عدد سكان هذه المنطقة ٣٥٠,٠٠٠ نسمة — منهم ١٨٠,٠٠٠ مسلم يمثلهم أربعة من النواب المسلمين في مجلس نواب سنة ١٩١٨ هذا عدا بعض الأسر الألبانية التي تقطر في المناطق الواقعة في جنوب البانيا .

هذا وقد نقل بصفة رسمية من بلاد اليونان الى تركيا فيما بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٥ نحو ٣٦٠,٠٠٠ نفس ممن كانوا استبعدوا ، وذلك طبقا لنصوص الاتفاق اليوناني التركي البرم في لوزان في ٣٠ يناير سنة ١٩٢٣ الذي يحتم تبادل سكان تركيا التابعين للمذهب الاغريقي الارثوذكسي والمقيمين في البلاد التركية مع السكان المسلمين القاطنين في بلاد اليونان ، مع استثناء السكان اليونانيين الذين يقطنون الامتانة والسكان المسلمين المقيمين بطراقيا الغربية ، وهذا النوع من ترحيل السكان بهذا العدد الكثيف الذي حاولت عصبة الأمم أن تضع له نظاما ما قد أدخل في قانوننا الدولي العام طريقة كان من المأمول أنه قد قضى عليها منذ عهد الأشوريين ، أما المسلمون الدينيمة " Deunmehs " وهم خليط من أهل البدعة واليهود ، ومقرم بسالونيك ولهم ارتباط عجيب بالحركة الماسونية العثمانية (لجنة الاتحاد والترقي) فقد حصلوا على تصريح بالبقاء في بلاد اليونان ، ويبلغ عددهم ٥٠٠ من « المامينين » وينقسمون الى ثلاث طوائف تتكلم التركية واليهودية الاسبانيولية ، ومن « الطاربوشيين » و « الكافاليروس » ( الفرسان ) و « الهونيوزوس » .

وقد درس دانون ( Danon ) أعيادهم الخمسة عشر وميادتهم الثمانية عشر التي يرجع أصلها الى ساباتائي سيني ( Sabatai Cevi ) في سنة ١٦٧٦ .

هذا ولا يزال النفوذ العثماني موجودا في بلاد اليونان من الوجهة التاريخية من حيث أسماء الجبل وأسماء المضائق ( البوغازات ) ومجاري الأنهار الشمالية التي ترجع أسماءها الى الرحالة الأتراك الذين نزحوا الى بلغاريا من آسيا الصغرى . وكذلك من حيث تقسيم الأراضي الزراعية الى ضيعات ( شغلاك ) اذ كان يوجد في سنة ١٩١٦

أربع وأربعون ضيعة من بين ٧٥ ضيعة في مركز «كلكيش» (Kilkich) تحمل أسماء تركية.

الصحافة في بلاد المغرب : — يوجد ببلاد المغرب بعض الصحف الإسلامية مثل مجلة «يارين» (Yaren) ويحررها بالالة التركية هـ فهمي وتوكالي مصطفى صبري وتصدر بمدينة «غومولجينا» (Jumuldjina) منذ سنة ١٩٢٧ وهي نصف شهرية، وتصدر جريدة «بني آدين» باللغة التركية في مدينة «زانقشي» (Xanthi) ويحررها «محمد حلمي».

### قبرص

احتلت بريطانيا العظمى جزيرة قبرص سنة ١٨٧٨ وضمتها الى مستعمراتها في سنة ١٩١٤، ويبلغ عدد سكان هذه الجزيرة ٣١٠٧٠٩ أنف (حسب تعداد سنة ١٩٢١) غالبيتهم من الاغريق، ومنهم ٦١٤٢٢ نفسا من المسلمين جلهم من الجنس التركي. وهناك أربع محاكم شرعية للمسلمين مختارون ثلاثة أعضاء من بين اثني عشر عضوا من المجلس التشريعي الذي يبلغ عدد أعضائه ثمانية عشر عضوا.

الصحافة : — توجد عدة صحف تنحصر بالتركية وأخرى بالانجليزية وأخرى باليونانية، مثل : جريدة «بيرايك» (Birlik) وتصدر باللغة التركية منذ سنة ١٩٢٤ ويحررها «فاضل نيازي»، وهي جريدة أسبوعية، وجريدة «سوز» (Soez) وتصدر منذ سنة ١٩١٩ باللغة التركية، ويحررها «م. رمزي» وهي كذلك جريدة أسبوعية، وجريدة «دوغرو يول» (Doghrou Yol) وكانت تصدر أسبوعيا باللغة التركية منذ سنة ١٩٢٠ وجريدة «وطن» وتصدر أسبوعيا باللغة التركية، ويحررها «هـ. جنغيز»، ثم جريدة «أليتيا» و«اليفتريا» و«كبريس» و«ماستيحيون» و«فونيه» و«فيلاكس» وتصدر باليونانية، ومجلة «قبرص غازيت» وتصدر بالانجليزية.



## رودس وجزر الدوديكانيز

احتلت إيطاليا جزر الدوديكانيز منذ سنة ١٩١٢ وضمتها إلى أملاكها سنة ١٩٢٠ واعترفت بهذا الضم معاهدة لوزان المبرمة في سنة ١٩٢٣ . وقد صدرت إرادة ملكية في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٢٥ بمنح سكان تلك الجزر الجنسية الإيطالية مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية الخاص بهم .

ويبلغ عدد المسلمين بها ١٢,٢٦٠ نسمة من مجموع سكانها البالغ قدره ١٠٠,١٩٨ نفساً في سنة ١٩١٧ ، ويوجد من أولئك المسلمين ٧,٦٠٠ مسلم في جزيرة رودس وحدها والباقيون في جزيرة كوس (Coo) .

## رومانيا

بلغ عدد المسلمين في سنة ١٩٢٥ — ٢٥٠,٠٠٠ نسمة من مجموع السكان البالغ قدره حسب تعداد سنة ١٩٢٢ — ١٦,٧٠٠,٠٠٠ نفس ، وغالبية المسلمين وعددهم ١٧٨,٥٠٠ (في سنة ١٩٢١) من أصل تركي ، ولغتهم التركية ، وينقسمون إلى طائفتين :

(١) « النوجائيس » في دوروجا ويقال لهم « تشيتاخ » وقد نزحوا من بسارايا في القرن السابع عشر من الميلاد .

(ب) وطائفة مكونة من جماعات من الأتراك أقامت كل منها في جهات مختلفة على طول شاطئ نهر الدانوب كما في سيلبستري وفي كونستانتزا ، وفي جزيرة « ادا — كاليه » بالقرب من « أورسوقا » كما توجد جالية عربية بدوكوزاشي .

أما تانار الفاعاور في بسارايا البالغ قدره ٥٥,٧٩٠ نسمة في سنة ١٨٩٧ ، والذين نزح بعضهم إلى أدرنه فسكنوها ، فيظهر أنهم خرجوا من المذهب الروحاني وانضموا إلى الكنيسة الاغريقية الارثوذكسية في القرن الثامن عشر دون أن يتأثروا بتعاليم الاسلام تأثيراً محسوساً رغم أنهم لا يزالون يتكلمون التركية .

وعدا ذلك يوجد ٧٠,٠٠٠ من الأصل الآرى، وهم من جماعات النور الذين جاؤا منذ سنة ١٣٥٠ ميلادية كأرقاء للتاتار.

ويجبل المسلمون مدينة «باباداغ» (Babadagh) لوجود ضريح «سارى — ساتيك» بها الذى كان يعتبره المسلمون قديسا مسلما، والذى بعد أن استعمر الدوبروجا أخذ يبشر بالاسلام حتى بحيرة أورشيدا فى البانيا. ويوجد من رجال الافتاء المسلمين أربعة فى تولشيا، وكونستانتريا، وسيلستري، وبازاجيك.

وفى رومانيا مدرسة معلمين عليا إسلامية بمدينة مجيدية، ومن الشكايا ثلاث لفة ادرية والبكتاشية والشاذلية وبعض الأندية التركية العصرية. ولم يدخل الممانيون فى رومانيا إلا فى سنة ١٤٨٤. وقد بقيت ذكرى «سيلستري» عزيزة لدى الأتراك العثمانيين منذ حرب سنة ١٨٧٧، وقد أشاد بذكرها ناصق كمال فى روايته الموسومة باسم «وطن».

الصحافة. — توجد فى مدينة بازار حيق جريدة تركية تصدر باسم «رومانيا»، وفى مدينة سيلستري جريدة تونا دوناريا (Tuna — Dunarea) وتصدر باللغة التركية.

### بلاد المجر

لا يزال يقد إلى بودابست عاصمة المجر كل عام — حتى يوم ٣ ابريل سنة ١٩٢٧ — بعض المسلمين لزيارة ضريح البكتاشى «جول بابا» (Gul Baba) الذى حل ببلاد المجر فى سنة ١٥٤١. وتقوم الحكومة بتعهد هذا الضريح والاتفاق عليه.

وفى ستيريا لا يزالون يحافظون على أسماء الأتراك الذين دخلوا الاسلام فى القرن الخامس عشر من اليلاد.

### بولونيا

يوجد نحو ٦٠٠٠ مسلم بولونى من ٢٨ مليوناً أى نحو ٠.٦٪ م بعض الأشراف (ناجمان وبهوات وغيرهم) وبعض «النوجائيس» لرحالة القدماء، وهم من سلالة الترك

التاتار الذين استوطنوا ليتوانيا فيما بين سنتي ١٤١٠ و ١٤٣٢ من الميلاد، فيوجد منهم ٢,٧٤٧ مسلماً في مديرية فيلنو ( Wilno ) و ١,٦٢٠ في مديرية «جرودنو» (Grodnos) والباقيون يقطنون على طول حدود مديرية « منسك » ( Minsk ) القديمة التي لم تطالب روسيا بضمها إليها، كما يوجد في « تروكي » ( Troki ) ٨٠٠ يهودي من الاسرائيليين القرايين الذين يتكلمون اللغة التركية الكومانية .

ولمسلحي بولونيا نحو ٦٠ مسجداً، ويتكلمون لغتين : لغة الروس البيض، واللغة التركية ويكتبون ويطبعون اللغة البولونية بحروف عربية . هذا وقد انعم مؤتمر في مدينة فيلنو ( Wilno ) في ديسمبر سنة ١٩٢٥ وانتخب ج تشيكيفيش ( J. Szykiewicz ) مفتياً للمسلمين في بولونيا .

وصلات الود والمطف التقليدية التي بين الأتراك والبولونيين معروفة، وقد تأيدت باتفاق خاص جديد أبرم بين تركيا وبولونيا في لوزان سنة ١٩٢٣ . وكذلك تكونت لجنة لدراسة الآداب التتارية ألهماس . ضيادوليفيشا في مدينة فيلنسا .

### ليتوانيا

يوجد في ليتوانيا ١٠٧,١٠٧ مسلم حسب تعداد سنة ١٩٢٧ ينقسمون الى ثلاث طوائف .

### فيتلاندا

يوجد بها نحو ٩٠٠ مسلم في سنة ١٩٢٨، كما يوجد ٣٠٠ مسلم في استونيا من الدول الواقعة على بحر البلطيق

# العلوم والآداب

## أسطورة داروين<sup>(١)</sup>

وأثرها في تضليل الجنس البشرى

تسم العلوم الثابتة الآن بأن العناصر المختلفة مكونة من مادة أولية واحدة ، وهذا الفرض هو بذاته — من حيث البدأ — ما يقوله يوحنا المعمدان من أن كل الأشياء من صنع واحد وبدونه لما صنع شيء . ومما لا جدال فيه أن يوحنا قرأ كثيرا في الكتب الهندية القديمة المعروفة باسم « كتب فيدا المقدسة » كما طلع عليها باستور المشهور وكوري وزوجته مكتشفي الراديوم ونشاط الراديو .

يسلم العلماء أيضا بأن الكهربائية وجميع العناصر مكونة من عدد كبير من الالكترونات الموجبة والسالبة ، ولا بد للإنسان أن يتمثل الذرة في شكل مجموعة شمسية مصغرة وغاية في الدقة ، فإذا كانت الالكترونات في غير حالة التوازن فإن تنسيقها يختلف وتُقذف بسرعة فائقة بسبب الدوران السريع ، في حين أن لوزن الذرى يقل فينشأ عن ذلك عنصر جديد .

والمفروض أن الالكترونات مكون من الكهربائية أى من قوة ، وعلى ذلك فإن الذرة عبارة عن جزء صغير من القوة ، فتكون المادة مكونة من عدد كبير جدا من القوة الدقيقة ، وبذا تكون ( أى المادة ) في حكم العدم ، ولكنها — وهى عبارة

(١) مقولة عن الالمانية من كتاب العالم الجليل الأستاذ « س . فان هوفستيلت » في نقد وتفنيد

نظرية داروين .

عن عدد كبير من جزئيات القوة — تظهر أمامنا في حالة الوجود، وهذه حقيقة يجب وضعها محل الاعتبار والأخذ بها.

والعلوم الثابتة لما تحل بعد مشكلة الأثير أو الالكترونات؛ ولقد جاء ذكر نظرية الأثير والالكترونات من قديم الأزل، فهي مفصلة بوضوح في كتب «فيد. الهندية» ولكن بأسماء أخرى، وكذلك توصل «بمقسوب بومه» العالم الروحاني المشهور بأبحاثه قديما إلى كشف كثير من أسرار الطبيعة الغامضة.

ولقد دلت الكتب الهندية القديمة وكتاب الموتي المعري على أنه كثيرا ما بحثت هذه المسائل، وعلى الأخص مسألة الخلق قديما في هذه المصور، فقد جاء في كتاب «ريج فيدا» ما معناه: «من أين أتى العالم — هل نشأ أو لم ينشأ — لا يعلم ذلك إلا هو — الذي تطل علينا عينه من أعلى السماء — هو وحده قادر على العلم بذلك — وهل يعلم ذلك؟»

ويغلب على الظن أن كتب «ريج فيدا» يرجع تاريخها إلى أربعة أو خمسة آلاف سنة، وإلى الوقت الحاضر لم نتوصل بمعلوماتنا وتجاربنا إلى تفسير مشكلة التطور تفسيراً يقربنا من الحقيقة بالرغم من أن آلاف العلماء يشتغلون بها.

ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن «فولتير» فيلسوف القرن الثامن عشر استمر منكرا وجود الإله في الشطر الأكبر من حياته، وكان له أثر كبير في عصره، فكان إذا أيد شيئا كان لحكمه له انتصار وفوز مبین، وإذا فسد شيئا كان في حكمه القضاء عليه، وقد ضل على أثره مئات الألوف من الناس وترعزت عقائدهم حتى أنكروا وجود الخالق، ولكنه رجع في أفكاره وارتد عن رأيه قبيل وفاته واعتقد في وجود رب للعالم، ودفن في الكنيسة رغما من إرادة الشعب، إلا أن رفاته أخرج بعد ذلك بقليل من مرقده الأخير وألقي به في جهة خربة. وهذا مثل واحد من أمثال كثيرة يغير فيها العلماء آراءهم في النظريات العلمية أو العقائد الدينية.

وقلما شهد العالم ثورة فكرية كالتى أحدثها «كوبرنيكوس» عندما اكتشف أن الأرض هي التى تدور حول الشمس وليست الشمس هي الدائرة كما كان الاعتقاد قديماً، فمئذ ما تبينت الجهات الدينية أن الحق في جانب «كوبرنيكوس» رجعت عن الفكرة القديمة الزائلة واعتنقت الفكرة الجديدة .

ولكن المبادئ التى نشرها داروين في نظريته الوهومة عن نشأة الأجناس — ولو أن صاحبها لم يميزها بالبراهين الكافية — قد أثار عاصفة كبيرة حولها، وأحدثت اضطراباً فكرياً بين الناس أجمعين، وتزعزعت بسببها عقائد الكثيرين، ولا يمكن أن تكون بمقدار الخسائر الأدبية والشقاء الذى لحق بالإنسانية على اختلاف نحلها من جراء أفكار داروين .

لم يجد داروين لنظريته أى برهان يقبله العقل البشرى السليم، ولو أنه وجد في الناس من أعاروه أدناً صاغية . لم يجد ما يميزه النظرية النعسة التى جاء بها لتفسير نشأة الأجناس وتطورها — اللهم إلا الحجة الواهية القائمة على فساد ما ذهب إليه، وهى أنه نجح في المزاجية بين أوزة أوربية وبين أوزة صينية .

هذا هو كل ما أفلح فيه صاحب أسطورة نشأة الأجناس للاستدلال على صحة آرائه . إنه لم يصل بأبحاثه مثلاً إلى نشأة نوع جديد بطريق التطور كما كان يجب أن يكون، حتى تكون للدعامة التى يبنى عليها نظريته نابتة سليمة الأساس . ولكن أنصاره يرددون بكثرة ذكر البراهين الثابتة والحجج القاطعة التى قدمها داروين تأييداً لما جاء بنظريته، ولكننا إذا بحثنا هذه الدعاوى والبراهين لم نجد أنهم ظفروا بشيء مما يؤيد كلامهم وادعاءاتهم من أى وجه من الوجوه — اللهم إلا تغيير طفيف طرأ على النسل دون أن يمس الأصل في جوهره بشيء . هذا إلى أن التزاوج بين الأوزتين المختلفتين لم يأت بطريق التطور والاختيار، بل إنهما اضطرا إلى ذلك اضطرارا، ومع ذلك

فإنهما لم ينتجا نوعا جديدا، بل لم تمتد التغيرات الحادثة النوارق المادية في داخل حدود أى فصيلة من فصائل الحيوانات الراقية.

وإننا لو أطلنا البحث في كل ما جاء به داروين من البراهين والإثباتات العملية، لوجدنا أنه لم يذكر سوى أمور تستند على حقيقة معروفة منذ القدم، وهى أن لكل أنواع النباتات الراقية وفصائل الحيوانات الراقية استعدادا طبيعيا لأن يحدث فيها تغيرات في الشكل فقط، دون أن يحسمها التغير في جوهرها، وأن الانسان يمكنه بطريق التلاقح والزواج المختلطة أن يحدث مثل هذه التغيرات في أنواع النباتات وفصائل الحيوانات الراقية، وهذا ما هو مسلم به من قديم الزمان وليس بالشيء الجديد، وما من أحد يشك في أنه من مصلحة الجنس البشرى أن يكون هناك درجات مختلفة في كل نوع من أنواع النبات أو فصائل الحيوان، إذ مما لا يختلف فيه اثنان أن تعدد أصناف النوع الواحد من النبات أو الحيوان ضرورى بسبب تعدد أذوق الناس ومشاربهم، ولولا هذه الاختلافات لكان بنو آدم — إذا استثنينا المرضى طبيعا الذين هم من سن واحد ومن جنس واحد — متشابهين تمام الشبه من جميع الوجوه، وهذا ما قد لا يرضى الكثير من الناس.

يتضح مما سبق أنه كان الأجدر بعلماء الطبيعة المهتمين بالبحث عن أصل الانسان وأطوار نشأته أن لا تضلهم مثل هذه التغيرات التى تطرأ على كل الحيوانات والنباتات الراقية.

ويمش بين ظهرائنا الآن عالم هولندى ذو شهرة عالمية كبيرة في علم النبات اسمه « هوجودى فريز »، وهو يمد من بين أنصار نظرية التطور والنشوء أكبر أعلامها بعد داروين ولا مارك وهيكل، ولهذا السبب فاني أود أن لا يفوتني مناشة آرائه في هذه المجالة على وجه خاص، خصوصا وأنه كان له تأثير كبير في اعتقاد الكثير

في صحة هذه النظرية واعتناقها مذهباً، إذ قيل إنه توصل بعلمه وأبحاثه إلى إيجاد نوع عضوى جديد لم يكن له من قبل وجود في عالم النبات بواسطة التغيير المتواصل. وهذا في اعتقاده هو أكبر دليل وأصدق شاهد على أن هؤلاء العلماء الأنصار إنما كانوا ولا يزالون دائبين في البحث عن برهان حسي لا إقامة صروح دعواهم، وبذا تسقط حجج من سبقهم ممن ادعوا ثبوت النظرية قطعاً. وعند ما نشر «دى فريز» دعواه وما وصل إليه من الأبحاث أخذها عنه العلماء الآخرون بدون مناقشة أو تمحيص، وهكذا كان ينقلها أحدهم عن الآخر ولا يتحقق صحة الدعوى من فسادها، وهل يمكن اعتبار الزهرة المسماة «أيونوتيرا لاماركيانا» (*Oenothera lamarckiana*) — وهي نتيجة التجارب العملية التي قام بها الأستاذ «دى فريز» — نوعاً جديداً في عالم النبات؟ وهكذا تناقلت الألسن وأفاضت الجرائد والمجلات في ذكر النجاح الباهر في إقامة الدلائل المادية على صحة نظرية داروين، وأن الإنسان سليل الفردة، وأن لا وجود للخلق ومثل هذه الأضاليل الكاذبة والدعوى الفاسدة.

هذا، مع أنه قامت في وجه هؤلاء المهرجين اعتراضات جدية لا يدخلها الشك من أي وجه في أن هذه زهرة ليست وليدة جديدة أو مستحدثة لا سابق له، وثبت ذلك لكل من «باور» و«باتيسون» وغيرهما من أساطين علم الحياة، كما ظهر أن النتيجة التي وصل إليها «دى فريز» لم تقدم العلم خطوة واحدة في سبيل كشف أصل الإنسان وأطوار نشأته.

قامت تجارب «دى فريز» على زهرة خاصة وهي «أيونوتيرا لاماركيانا»، في حين أنه كان يمكنه أن يصل إلى مثل هذه النتيجة لو أنه اتخذ نوعاً آخر من مئات أنواع الزهور المختلفة، كما كان يستطيع أن يكتب على التغيرات المختلفة التي تطرأ على كل منها مجلدات ضخمة مثل كتابه عن الزهرة المذكورة.



وكل صبي صغير مشتغل بزراعة الحدائق يتبين أن كثيرا من زهور الحدائق مثل السنبيل والسوسن والزعفران والورد والبطاطس التي تتكاثر بواسطة الأبصال والأفنان والفروع دون تلاقح جنسى — تبقى ثابتة لا تتغير، ولكنها لا تصلح للبذر، وهذا ما يثبت عدم نقاوتها التي نشأت عن خلط مولدها مئات السنين تلو مئات السنين، فلماذا لا تكون زهرة «أيونوترا لاماركيانا» سائرة على هذه القاعدة دون أن تستثنى من سائر أمثالها؟

يتضح من ذلك أن هذه العقيدة إنما بنيت على التخمينات الواهية المجردة من كل الإثباتات التي يقبها العقل السليم بدون تحيز أو هوى في النفس .

يبلغ «هوجو دى فريز» الآن من العمر ٨٠ عاما ، ويؤلمني كثيرا أن يصادف كتابه مثل هذا النقد الشديد بعد أن قضى المؤلف بين أعماله المفيدة وأبحاثه المثمرة حياة زاهرة، وهو عالم ذو شهرة واسعة وصيت ذائع، وله أباد يضاء على علم النبات الحديث، وهو المؤلف المبقري صاحب كتاب «Intracellulären Pangenese» ومعبد مجد قوانين الوراثة للأستاذ «مندل» فهذا الرجل العالم الكبير في النبات هو أيضا صاحب «نظرية التنير»، وما كنت لأجرؤ على نقد مثل هذا الرجل العظيم لو أنه بقي في اختصاصه واقتصار على علمه وبجته، ولكنه تعدى ذلك إلى مذهب التطور، الذي لا يعلم عنه مخلوق أى شيء إيجابي .

سبق لنا الإشارة إلى أن «فواتير» الكاتب الفيلسوف الفرنسى الكبير الذى قضى الشطر الأول من حياته ملجدا، عاد إلى عقيدته الدينية قبيل وفاته، وإننا نرجو من كل أئمتنا أن يتخذوا عالمنا الهولندى أسوة حسنة ويهتدى إلى الصراط المستقيم .

إنى لا أميل إلى تكرار الإيضاح، ولكنى لا يسعنى في هذا البحث إلا أن أعيد أن أنصار مذهب التطور في عالم الأحياء لم يسعدهم طالعهم بالاهتداء إلى براهين

معقولة لإقامة دعوائهم، وأن كل نظرياتهم كانت خاطئة وظهر فسادها من كل الوجوه وفي كل آونة.

كما ظهر من علم الحفريات أن النتائج التي وصل اليها البعثون في الأحياء المتحجرة لم تساعد على إقامة أى دليل على التسلسل أو التطور التدريجي، بل ثبت على عكس ذلك أن الفروق الدقيقة بين صفوف الأجناس التي نعرفها بقيت على الدوام فاعرة ولم تتلاش أو تقرب من ذلك، ولا يمكن أن نعد ذلك راجعا الى نقص في المجموعات المتحجرة التي وصلت اليها، أو بقايا الهياكل التي اهتمدنا الى تركيبها، بل ظهر بكل وضوح أن كل عضو من مجموعة الأجناس المختلفة مستقل استقلالاً تاماً عن الآخر، ولا يمثل بأى حال من الأحوال حلقة من سلسلة تامة الحلقات، أو طورا من أطوار التدرج المزعوم.

توصل العالم الى معرفة آلاف من أنواع النبات والحيوان المختلفة البائدة، ولكن لم يستطع أحد من علمائنا أن يكشف لنا عن نوع واحد مستحدث.

وليس من المنطق في شيء أن نفرض — طالما لم يقدّم الدليل المحسوس ولا ينتظر أن ينهض — أن نوعا من أنواع القرود يمكن أن يتطور ويتدرج الى أن يتقارب رأسا على عقب ليصير نوعا آخر مارا بسلسلة يمكن تتبع حلقاتها الواحدة بعد الأخرى، بل إن المنطق السليم يحتم علينا فرض وجود إله قادر على كل شيء هو الخالق للنبات والحيوان والانسان، وأن الأجدد بالانسان أن لا يجهد نفسه كثيرا في محاولة الوصول الى معرفة خلق الانسان، إذ أن الصانع وحده هو الذي يعرف حقيقة ما صنع، وأما المصنوع فلا يصل ولن يصل الى إدراك كيفية وجوده وخلقته.

## الراديوم

الراديوم هو أثن المواد المروفة في العالم ، وتاريخ اكتشافه قريب العهد جدا إذ تمكن من استخراجه لأول مرة المدعو كورى وزوجته في سنة ١٩٠٠ من أطنان عديدة من معدن ال اورانيوم ، وقد توصل العالم في الثلاثين عاما الماضية الى استخراج ٦٠٠ جرام فقط من هذه المادة النفيسة فقد منها حتى الآن حوالى ٨٠ جراما ، ويقدر ثمن الجرام بمبلغ ١٥٠٠٠ جنيه وبذا لا يقل ثمن الوجود من هذه المادة في العالم عن سبعة ملايين وخمماية الف جنيه .

وتبذلناية كبيرة في استخدام الراديوم أو نقله ، وذلك لتأثيره الخطر في خلايا وأنسجة الجسم ، هذا علاوة على قيمته البادرة وثمنه النفيس .

فياخذ المشتغلون به في المعامل لأنفسهم حبيطة خاصة اتقاء لشره ، فيجعلون فاصلا بينهم وبين هذا العنصر الذى يشع بذاته حائطا من الرصاص يبلغ سمكه ١٥ سنتيمترا لا تنفذ منه اشعاعاته الخطرة التى كانت سببا في هلاك كثير من العلماء المشتغلين به قبل اكتشاف قدرته ، ويحفظ عادة عشر الجرام من الراديوم داخل صندوق من الرصاص زنته ٢٥ كيلوجرام ، حتى تكون حائلا منيعا بينه وبين من يحمله .

ويسهر على حراسته أثناء نقله من جهة الى أخرى رجال أشداء من البوليس السرى ، ويحفظ داخل خزائن فولاذية تحت رقابة شديدة م

## غوث العباد بديان الی شاد

تالیف حضرت صاحب الفضیلة الاستاذ الشیخ مصطفی الحامی أحد علماء الازهر الشریف وخطیب المسجد الازہبی وهو کتاب مفید تسکم فیہ الاستاذ عن حیاة الانبیاء علیہم الصلاة والسلام فی قبورهم ، وعن الشعاعة یوم القیامة ، ورد علی من "نكر الكرامة" وبسط القول فی حقیقة الاجتهاد وما ینبغی أن یكون علیہ المجتهد ، الی غیر هذا من المسائل الجليلة . وقد طبع الكتاب بمطبعة دار إحياء الكتب العربية .  
فبحث أهل العلم علی الاستفادة منه .

المرجو من القارئ الكريم تصحيح الأخطاء الآتية .

صفحہ	خطا	مواہ
۶۸۵	من المشركين	من المشركين
۶۹۴	بما فيه	بما فيه
۷۰۹	فتذكر	فتذكر
۷۱۷	من طرف	من طرف
۷۲۲	وقه يقول	واقه يقول

ووقع فی ص ۶۱۹ من ۵ من الجزء التاسع سهو فی الآیة الی أوردت فی صدر التفسیر فقد وردت هكذا (ولیستأذنکم الذین لم یبلغوا الحلم) والصواب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ) الآیة ۴

Withal I like Mahomet for his total freedom from cant. He is a rough self-helping son of the wilderness ; does not pretend to be what he is not. There is no ostentatious pride in him , but neither does he go much upon humility ; he is there as he can be, in cloak and shoes of his own clouting ; speaks plainly to all manner of Persian Kings, Greek Emperors, what it is they are bound to do ; knows well enough about himself, 'the respect due unto thee'. In a life-and-death war with the Bedouins, cruel things could not fail ; but neither are acts of mercy, of noble natural pity and generosity wanting. Mahomet makes no apology for the one, no boast of the other."

"No Dilettantism in this Mahomet , it is business of Reprobation and Salvation with him, of Time and eternity he is in deadly earnest about it ! Dilettantism, hypothesis, speculation, a kind of amateur-search for Truth, toying and coquetting with Truth ' this is the sorest sin. It consists in the heart and soul of the man never having been open to Truth , — 'living in a vain show'."

"On the other hand Islam, like any great Faith, and insight into the essence of man, is a perfect equaliser of men : the soul of one believer outweighs all earthly kingships ; all men, according to Islam too, are equal."

Finally Carlyle observes :

"These Arabs believe their Religion, and try to live by it. No Christians, since the early ages, or only perhaps the English Puritans in modern times, have ever stood by their Faith as the Moslems do by theirs, — believing it wholly, fronting Time with it, and eternity with it."

"To the Arab Nation it was as a birth from darkness into light ; Arabia first became alive by means of it. A poor shepherd people, roaming unnoticed in its deserts since the creation of the world . a Hero-Propheet was sent down to them with a word they could believe — see, the unnoticed becomes world-notable, the small has grown world-great ; within one century afterwards Arabia is a Grenada on this hand, at Delhi on that , — glancing in valour and splendour and the light of genius, Arabia shines through long ages over a great section of the world. Belief is great, life-giving. The history of a Nation becomes fruitful, soul-elevating, great, so soon as it believes."

---

Ah no : this deep-hearted Son of the Wilderness, with his beaming black eyes and open social deep soul, had other thoughts in him than ambition. A silent great soul, he was one of those who cannot but be in earnest ; whom Nature herself has appointed to be sincere. While others walk in formulas and hearsays, contented enough to dwell there, this man could not screen himself in formulas — he was alone with his own soul and the reality of things. The great Mystery of Existence, as I said, glared in upon him, with its terrors, with its splendours, no hearsays could hide that unspeakable fact, 'Here am I !' Such sincerity as we named it, has in very truth something of divine. The word of such a man is a Voice direct from Nature's own Heart. Men do and must listen to that as to nothing else ; — all else is wind in comparison.

"We will leave it altogether this impostor hypothesis, as not credible, not very tolerable even, worthy chiefly of dismissal by us."

"Such light had come, as it could, to illuminate the darkness of this wild Arab soul. A confused dazzling splendour as of life and Heaven, in the great darkness which threatened to be death."

Carlyle then goes on to say :

"And now, if the wild idolatrous men did believe this, and with their fiery hearts lay hold of it to do it, in what form soever it came to them, I say it was well worthy of being believed. In one form or the other, I say it is still the one thing worthy of being believed by all men. Man does hereby become the high-priest of this Temple of a World. He is in harmony with the Decrees of the Author of this World ; cooperating with them, not vainly withstanding them."

"Islam devoured all these vain jangling Sects, and I think, had right to do so. It was a Reality, direct from the great Heart of Nature once more. Arab idolatres, Syrian formulas, whatsoever was not equally real, had to go up in flame. — mere lead fact in various senses, for this which was fire."

"Fogger and juggler" No no. This great fiery heart, seething, summing up a great furnace of thoughts, was not a juggler's. His life was a Fact to him, this God's Universe an awful Fact and Reality."

"Sincerity in all senses, seems to me the merit of the Koran, what had rendered it precious to the wild Arab men. It is after all, the first and last merit in a book ; gives it — to merits of all kinds, — nay, at bottom, it alone can give rise to merit of any kind."

Speaking of Mohammad's character Carlyle remarks :

"Traits of that kind show us the genuine man the brother of us all, brought visible through twelve centuries — the veritable Son of our Common Mother."

"But of a Great Man especially, of him I will venture to assert that it is incredible he should have been other than true. It seems to me the primary foundation of him, and of all that can be in him, this. No man adequate to do anything, but is first of all in right earnest about it, what I call a sincere man."

"This Mahomet, then, we will in no wise consider as an insandy and Theatricality, a poor conscious ambitious schemer: we cannot conceive him so. The rude message he delivered was a real one: withal, an earnest confused voice from the unknown Deep. The man's words were not false, nor his workings here below: no insandy and Simulacrum; a fiery mass of Life cast up from the great bosom of Nature herself. To kindle the world, the world's Maker had ordered it so."

"One other circumstance we must not forget: that he had no school-learning; of the thing we call school-learning none at all. The art of writing was but just introduced into Arabia; it seems to be the true opinion that Mahomet never could write."

"Curious, if we will reflect on it, this of having no books. The wisdom that had been before him or at a distance from him in the world, was in a manner as good as not there for him. Of the great souls, flame beacons through so many lands and times, no one directly communicates with this great soul. He is alone there: deep down in the bosom of wilderness, has to grow up so, alone with Nature and his own Thoughts."

But, from an early age, he had been remarked as a thoughtful man. His Companions named him 'Al-Amīn', The Faithful. A man of truth and fidelity; true in what he did, in word he spake and thought. They noted that he always meant something. A man rather taciturn in speech, silent when there was nothing to be said, but pertinent, wise, sincere, when he did speak, always throwing light on the matter. This is the only sort of speech worth speaking! Through life we find him to have been regarded as an altogether solid, brotherly, genuine man. A serious, sincere character, yet amiable, cordial, companionable, jocular even — a good laugh within him: withal, there are men whose laugh is as untrue as anything about them, who cannot laugh. A spontaneous, passionate, yet just, true meaning man!

"All his ambition, seemingly: had been, hitherto, to live an honest life, his 'fame', the mere good opinion of neighbours that knew him, had been sufficient hitherto. Not had he was already getting old, the purrulent heat of his life all burnt out, and peace growing to be the chief thing this world could give him, did he start on the 'career of ambition'; and, belying all his past character and existence, set up as a wretched empty charlatan to acquire what he could no longer enjoy! For my share, I have no faith whatever in that."

It was in this same vein of argument that Carlyle the great English writer and philosopher addressed his fellow Christians in his lectures on heroes when speaking of Mohammad.

The following are a few quotations of his discourse :

"Our current hypothesis about Mahomet, that he was a scheming impostor, a falsehood incarnate, that his religion is a mere mass of quackery and faintly, begins really to be now untenable to any one. The lies, which well-meaning zeal has heaped round this man, are disgraceful to ourselves only."

'The word this man spoke has been the life-guidance now of a hundred and eighty millions (1) of men these twelve-hundred years. These hundred-and-eighty millions were made by God as well as we. A greater number of God's creatures believe in Mahomet's word at this hour than in any other word whatever. Are we to suppose that it was a miserable piece of spiritual legerdemain, this which so many creatures of the Almighty have lived by and died by ? I, for my part, cannot form any such supposition. I will believe most things sooner than that One would be entirely at a loss what to think of this world at all, if quackery so grew and were sanctioned here.

Alas, such theories are very lamentable. If we would attain to knowledge of anything in God's true Creation, let us believe them wholly ! They are the product of an Age of Scepticism, they indicate the saddest spiritual paralysis, and mere death-life of the souls of men ; more godless theory, I think, was never promulgated in this earth. A false man found a religion ? Why, a false man cannot build a brick house ! If he do not know and follow truly the properties of mortar, burnt clay and what else he works in, it is no house that he makes, but a rubbish-heap. It will not stand for twelve centuries, to lodge a hundred-and-eighty millions ; it will fall straightway. A man must conform to Nature's laws, be verily in communion with Nature and the truth of things, or nature will answer him, No, not at all ! Speciosities are specious — ah me ! — a Cagliostro (2), many Cagliostros, prominent world-leaders, do prosper by their quackery, for a day."

---

(1) This was written in 1840 i.e. 82 years ago. The number of Moslems throughout the world is a present Three hundred Millions at a very modest estimation.

(2) Cagliostro (1749 — 1795 A.D.) Italian alchemist, and impostor, was born at Palermo. His real name was Giuseppe Balsamo. He perpetrated a series of ingenious crimes and fled from Sicily to escape punishment. He visited Greece, Egypt, Arabia, Persia, Rhodes (where he studied Alchemy and practiced his quackeries in many European country.



the remains thereof, as the annihilation of the Army of the Elephant lead by Abrahā or the remains of those people in Syria, Yemen and Hedjaz. As to the latter, knowledge thereof is derived from authentic history which is very often established by constant corroboration, as the story of Moses and Pharaoh, the drowning of Pharaoh and his host in the Red Sea, the story of Abraham and Nimrod, Noah and the Deluge and many such other stories acknowledged by all religions.

The narration of these stories is indeed more reliable than any other story, be it of kings or great men as for instance the story of Persian kings, Arabs in pre-Islamic era or Greece with its learned men of medicine, astronomy and philosophy among whom Hippocrates<sup>(1)</sup>, Galen<sup>(2)</sup>, Ptolemy<sup>(3)</sup>, Socrates<sup>(4)</sup>, Plato<sup>(5)</sup> and Aristotle<sup>(6)</sup> figure prominently.

It is evident that the stories of prophets, their people and enemies are, by far, of greater import than the stories of all those mentioned before.

---

(1) Hippocrates (460 B.C.), Greek physician, was born on the Island of Cos off the Coast of Asia Minor. He is regarded as the "Father of Medicine" and is famous for his great Collection on Medicine.

(2) Galen (180 — 200 A.D.), Greek physician, was born in Pergamum, the capital of Mysia in Asia Minor. He was the author of some 500 treatises on medicine and philosophy.

(3) Ptolemy, celebrated Greek mathematician, astronomer and geographer, was born at Ptolemais Hermia a Grecian city of the Thebaid in the 2nd. century of the Christian era. He devoted his life to the study of astronomy and kindred subjects and is the author of the Ptolemaic System pertaining to the structure of the heavens and the motions of heavenly bodies.

(4) Socrates, celebrated Greek philosopher, (469 — 399 B.C.), was born in Athens. He wrote nothing himself but his doctrines were expounded chiefly in the Dialogues of Plato and the Memorabilia of Xenophon.

(5) Plato, Greek philosopher, (428 — 348 B.C.), author of the "Republic", "Gorgias", "Phaedo" etc.

(6) Aristotle, Greek philosopher, (384 — 322 B.C.), was born at Stagira, a Greek colonial town on the north-western shores of the Aegæan. He was the founder of literary criticism.

And :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ  
مَنْ لَمْ نَقْصُرْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا  
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْتَطِلُونَ.

ترجمة تفسير هذه الآية فلا من يضادى

"Several apostles were sent unto the world, the stories of only a few of them were told to Mohammad in the Koran. No apostle had the power to work a miracle unless the Lord so willed it, for certain miracles are assigned to each apostle in accordance with the judicious dispensation of the Lord; they have no choice to work one or the other. But when the Lord ordaineth punishment in this world or the Hereafter, everyone will be accorded his just deserts, and then those who challenged the Prophets to work further miracles, after what had already been worked, will perish for their disbelief."

(Baidawy's Commentary).

Warning against the sad ending and the punishment inflicted upon those who evoked God's wrath, is reiterated in the Chapter of the Poets after the stories of Moses, Abraham, Noah and other Prophets are given thus :

وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كُنَّا أَكْثَرُكُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

ترجمة تفسير هذه الآية فلا من يضادى

"There is verily a sign in what had befallen those people who have gainsaid their Prophet as most of them believed not, for the Lord is mighty in dealing with those who disobeyed His injunctions and merciful to those who obeyed."

(Baidawy's Commentary).

The Lord hath shown that knowledge of such endings is reached through the medium of seeing and hearing or both together. The former applies to those who have witnessed the destruction of the unbelievers or

have also done so before the Meccans. Each of those people schemed against their particular prophet and strove to inflict harm and torture upon him; they disputed with vain words to refute the truth he was sent with whereupon the Lord hath destroyed them and lo, how severe His punishment was !”

(Baidawiy's Commentary).

And :

« أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا  
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَرًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ  
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ سَدِيدُ الْعِقَابِ »

ترجمة تفسير هذه الآية تلا عن البخاري

“Have the unbelievers not journeyed in the earth and witnessed the sad ending of those who charged their Prophets with imposture before them and take warning thereby ! Those past people were far mightier than the Meccans and their castles and strongholds more enduring than theirs, yet the Lord hath destroyed them because of their sins and there was no one to prevent this fate befalling them. This, because they disbelieved the miracles of the Prophets who were sent unto them; and the Lord hath therefore destroyed them for He is mighty and severe of punishment.”

(Baidawiy's Commentary).

And :

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ »

ترجمة تفسير هذه الآية تلا عن البخاري

“The Lord proclaimeth that He would render support to His apostles and to those who believed in them and wreak vengeance upon the unbelievers in this world and the Hereafter when Prophets, angels and true believers shall be called to bear witness on the judgment Day.”

(Baidawiy's Commentary).

ENGLISH SUPPLEMENT OF

## NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

مترجمة عن كتاب : رسائل السلام ، لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى

### THE PROPHET MOHAMMAD <sup>(1)</sup>

( Continued. )

We have already referred to the punishment which the Lord inflicted upon those who denied the truth of the Prophets sent to them. Such punishment was referred to in the Koran as in the following verses :

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ وَهُمْ كَلٌّ أُمِّيٌّ  
بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجْلِدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ  
فَكَتِفَ كَانَ عِقَابِ

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا من البياض

"The unbelievers of Mecca were not the only people who charged their Prophet with imposture; the people of Noah and the people of Ad and Themoud and other people who confederated against their Prophets.

(1) Translated from the Very Reverend Sheikh YOUSSEF EL-DIGWY's book "Messages of Peace".

